

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (١٦٠)

# شرح نقريب التلخيص

المتن والشرح  
لفضيلة الشيخ العلامة  
محمد بن صالح العثيمين  
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

من إصدارات  
مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
نَقَرْنَا بِالسَّيْلِ فِيهِ

© مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٧ هـ  
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين  
شرح تقريب التدمرية. / مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - ط ١ - القصيم، ١٤٣٧ هـ  
٦٧٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم (سلسلة مؤلفات الشيخ ابن عثيمين؛ ١٦٠)  
ردمك: ٧-٩١-٨١٦٣-٦٠٣-٩٧٨  
١- الأسماء والصفات ٢- التوحيد  
أ- العنوان  
ديوي: ٢٤١  
١٤٣٧/٤٨٠٨

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٤٨٠٨  
ردمك: ٧-٩١-٨١٦٣-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

لِمُؤَسَّسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعِثِمِينَ الْخَيْرِيَّةِ  
إلا أن أراد طبع الكتاب لتوزيعه خيرياً بعد مراجعة المؤسسة

الطبعة الأولى  
١٤٣٧ هـ

يُطلب الكتاب من :

مُؤَسَّسَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعِثِمِينَ الْخَيْرِيَّةِ

المملكة العربية السعودية

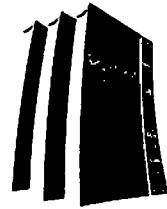
القصيم - عنيزة - ٥١٩١١ ص.ب: ١٩٢٩

هاتف: ٠١٦/٣٦٤٢١٠٧ - فاكس: ٠١٦/٣٦٤٢٠٠٩ - ناسوخ: ٠١٦/٣٦٤٢٠٠٩

جوال: ٠٥٥٣٦٤٢١٠٧ - جوال المبيعات: ٠٥٠٠٧٣٣٧٦٦

www.ibnothaimeen.com

info@binothaimeen.com



الموزع المعتمد والحصري في جمهورية مصر العربية

دار الليرة للنشر والتوزيع - شارع محمد مقلد - متفرع من مصطفى النحاس

بجوار سوهر ماركت أولاد رجب

هاتف وفاكس: ٢٢٧٧٠٥٥٢ - محمول: ٠١٠١٠٥٥٧٠٤٤





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تقديم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ كَانَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ لَصَاحِبِ الْفَضِيلَةِ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ الْوَالِدِ مُحَمَّدَ بْنِ صَالِحِ الْعُنَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنَابَتُهُ الْكَبِيرَةُ بِمَثُونِ الْعَقِيدَةِ وَحِرْصُهُ عَلَى شَرْحِهَا وَالتَّعْلِيقِ عَلَيْهَا وَتَقْرِيْبِهَا لَطُلَّابِ الْعِلْمِ وَالْدَّارِسِينَ؛ وَذَلِكَ لِتَقْرِيرِ وَبَيَانِ عَقِيدَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ هَذَا الْهَدَفِ أَلَفَّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَامَ ١٤١٠ هـ (تَقْرِيبَ التَّدْمِيرِيَّةِ) وَهُوَ تَقْرِيبٌ لِمَعَانِي كِتَابِ الْعَقِيدَةِ التَّدْمِيرِيَّةِ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ تَقِيِّ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ، الْمَتَوَفَّى عَامَ (٧٢٨ هـ)<sup>(١)</sup>، تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِوَأَسْعِ رَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ وَأَسْكَنَهُ فَيْسِيحَ جَنَّاتِهِ، وَجَزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

(١) ترجم له الكثيرون ، انظر: (الدَّيْلُ عَلَى طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ) لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ (٤/ ٤٩١)، و(تَذْكِرَةُ الْخَفَاطِ) لِلدَّهْبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٤/ ١٤٩٦)، و(الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ فِي أَعْيَانِ الْمُنَّةِ الثَّامِنَةِ) لابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ١٤٤).

وَقَدْ اعْتَنَى شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ بِإِخْرَاجِ هَذَا الْكِتَابِ بِصُورَةٍ مُتَقَنَّةٍ، إِذْ كَانَ يُعَدِّلُ عِبَارَاتٍ وَيَشْطُبُ أُخْرَى، وَيُضِيفُ زِيَادَاتٍ تَوْضِيحِيَّةً؛ بَعْضُهَا عَلَى الْأَصْلِ الَّذِي خَطَّهُ بِقَلَمِهِ، وَبَعْضُهَا عَلَى طَبَعَاتِ الْكِتَابِ الصَّادِرَةِ.

ثُمَّ إِنَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَنَاوَلَ الْكِتَابَ بِالشَّرْحِ وَالتَّقْرِيرِ ضِمْنَ الدُّرُوسِ الْجَامِعِيَّةِ الَّتِي أَلْقَاهَا فِي كُלِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ وَأُصُولِ الدِّينِ بِجَامِعَةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْقَصِيمِ، وَقَدْ سُجِّلَ مِنْهَا عِدَّةُ شُرُوحٍ، كَانَ آخِرُهَا عَامَ (١٤٢١هـ)، وَبَنَاءً عَلَى ذَلِكَ اعْتَمَدَ فِي الْإِعْدَادِ الشَّرْحَ الْأَشْمَلَ، كَمَا أُلْحِقَتْ إِلَيْهِ الْفَوَائِدُ وَالزَّوَائِدُ الْمَوْجُودَةُ فِي الشُّرُوحِ الْأُخْرَى.

وَسَعْيًا لِتَعْمِيمِ النِّفَعِ بِهَذِهِ الشُّرُوحِ، وَإِنْفَاذًا لِلقَوَاعِدِ وَالضَّوَابِطِ وَالتَّوْجِيهَاتِ الَّتِي قَرَّرَهَا شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِإِخْرَاجِ ثُرَاتِهِ الْعِلْمِيَّةِ؛ عَهَدَتْ (مُؤَسَّسَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثَيْمِينَ الْخَيْرِيَّةِ) إِلَى الشَّيْخِ (عَيْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ رَمِيحِ الشَّامَرِيِّ) -أَثَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى- بِإِعْدَادِ مَا سُجِّلَ صَوْتِيًّا مِنْ شَرْحِ هَذَا الْكِتَابِ، وَبِأَشْرَ الْقِسْمِ الْعِلْمِيِّ بِالْمُؤَسَّسَةِ تَجْهِيْزَهُ لِلطَّبَاعَةِ وَتَقْدِيمَهُ لِلنَّشْرِ.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا لِرُوحِهِ الْكَرِيمِ؛ نَافِعًا لِعِبَادِهِ، وَأَنْ يَجْزِيَ فَضِيلَةَ شَيْخِنَا عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَيُضَاعِفَ لَهُ الْمُثُوبَةَ وَالْأَجْرَ، وَيُعْلِي دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَسَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

الْقِسْمُ الْعِلْمِيُّ

فِي مُؤَسَّسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثَيْمِينَ الْخَيْرِيَّةِ

٥ صَفَر ١٤٣٧ هـ

## نُبذة مُختصرة عن

فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

١٣٤٧ - ١٤٢١ هـ

### نَسَبُهُ وَمَوْلَدُهُ:

هُوَ صَاحِبُ الْفَضِيلَةِ الشَّيْخُ الْعَالِمُ الْمُحَقِّقُ، الْفَقِيهَ الْمَفْسِّرُ، الْوَرَعَ الزَّاهِدُ، مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ آلِ عَثِيمِينَ مِنَ الْوَهْبَةِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ.

وُلِدَ فِي لَيْلَةِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ، عَامَ (١٣٤٧ هـ) فِي عُنَيْزَةِ -إِحْدَى مُدُنِ الْقَصِيمِ- فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ.

### نَشَأَتُهُ الْعِلْمِيَّةُ:

أَلْحَقَهُ وَالِدُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- لِيَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عِنْدَ جَدِّهِ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ الْمُعَلِّمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّامِغِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، ثُمَّ تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ، وَشَيْئًا مِنَ الْحِسَابِ، وَالنُّصُوصِ الْأَدَبِيَّةِ؛ فِي مَدْرَسَةِ الْأُسْتَاذِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صَالِحِ الدَّامِغِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِقَ بِمَدْرَسَةِ الْمُعَلِّمِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّحِيحَانِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- حَيْثُ حَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عِنْدَهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ وَلَمَّا يَتَجَاوَزَ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ بَعْدُ.

وَبَتَوَجُّهِهِ مِنْ وَالِدِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أَقْبَلَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، وَكَانَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يُدَرِّسُ الْعُلُومَ

الشَّرْعِيَّةَ والعَرَبِيَّةَ فِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ بَعْنِيَّةً، وَقَدْ رَتَّبَ اثْنَيْنِ <sup>(١)</sup> مِنْ طَلَبْتِهِ الْكِبَارِ لِتَدْرِيسِ الْمُبْتَدِئِينَ مِنَ الطَّلَبَةِ، فَاَنْضَمَّ الشَّيْخُ إِلَى حَلَقَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَطْوَعِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - حَتَّى أَدْرَكَ مِنَ الْعِلْمِ - فِي التَّوْحِيدِ، وَالْفِقْهِ، وَالنَّحْوِ - مَا أَدْرَكَ.

ثُمَّ جَلَسَ فِي حَلَقَةِ شَيْخِهِ الْعَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَدَرَسَ عَلَيْهِ فِي التَّفْسِيرِ، وَالْحَدِيثِ، وَالسِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالتَّوْحِيدِ، وَالْفِقْهِ، وَالْأُصُولِ، وَالْفَرَائِضِ، وَالنَّحْوِ، وَحَفِظَ مُحْتَصِرَاتِ الْمُتُونِ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ.

وَيُعَدُّ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - هُوَ شَيْخَهُ الْأَوَّلُ؛ إِذْ أَخَذَ عَنْهُ الْعِلْمَ - مَعْرِفَةً وَطَرِيقَةً - أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذَ عَنْ غَيْرِهِ، وَتَأَثَّرَ بِمَنْهَجِهِ وَتَأْصِيلِهِ، وَطَرِيقَةِ تَدْرِيسِهِ، وَاتَّبَاعِهِ لِلدَّلِيلِ.

وَعِنْدَمَا كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عُدَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَاضِيًا فِي عُيُوزَةِ قَرَأَ عَلَيْهِ فِي عِلْمِ الْفَرَائِضِ، كَمَا قَرَأَ عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَفِيفِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي النَّحْوِ وَالبَلَاغَةِ أَثْنَاءَ وُجُودِهِ مُدْرَسًا فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ.

وَلَمَّا فَتِحَ الْمَعْهَدُ الْعِلْمِيُّ فِي الرِّيَاضِ أَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ إِخْوَانِهِ <sup>(٢)</sup> أَنْ يَلْتَحِقَ بِهِ، فَاسْتَأْذَنَ شَيْخَهُ الْعَلَّامَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَأَذِنَ لَهُ، وَالتَّحَقَّ بِالْمَعْهَدِ عَامِي (١٣٧٢ - ١٣٧٣ هـ).

وَلَقَدْ انْتَفَعَ - خِلَالَ السَّنَتَيْنِ اللَّتَيْنِ انْتَضَمَ فِيهِمَا فِي مَعْهَدِ الرِّيَاضِ الْعِلْمِيِّ - بِالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يُدْرَسُونَ فِيهِ حِينَئِذٍ، وَمِنْهُمْ: الْعَلَّامَةُ الْمُفَسِّرُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ الشَّنْقِيطِيُّ، وَالشَّيْخُ الْفَقِيه عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ نَاصِرِ بْنِ رَشِيدٍ، وَالشَّيْخُ الْمُحَدِّثُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْإِفْرِيقِيُّ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى -.

(١) هما الشَّيْخَانِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَطْوَعِ، وَعَلِيٌّ بْنُ حَمْدِ الصَّالِحِي رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى.

(٢) هُوَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ حَمْدِ الصَّالِحِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وفي أثناء ذلك اتصل بساحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-، فقرأ عليه في المسجد: من صحيح البخاري، ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية؛ وانتفع به في علم الحديث، والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويعدُّ ساحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثير به.

ثم عاد إلى عُنيزة عام (١٣٧٤هـ)، وصار يدرس على شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ويتابع دراسته انتساباً في كلية الشريعة، التي أصبحت جزءاً من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حتى نال الشهادة العالية. **تدريسه:**

توسَّم فيه شيخه النجابة وسُرعة التحصيل العلمي فشجَّعه على التدريس وهو ما زال طالباً في حلقته، فبدأ التدريس عام (١٣٧٠هـ) في الجامع الكبير بعُنيزة. ولما تخرَّج في المعهد العلمي في الرياض عُيِّن مدرِّساً في المعهد العلمي بعُنيزة عام (١٣٧٤هـ).

وفي سنة (١٣٧٦هـ) تُوفِّي شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالى- فتولَّى بعده إمامة الجامع الكبير في عُنيزة، وإمامة العيدين فيها، والتدريس في مكتبة عُنيزة الوطنية التابعة للجامع؛ وهي التي أسَّسها شيخه -رحمه الله- عام (١٣٥٩هـ).

ولما كثر الطلبة، وصارت المكتبة لا تكفيهم؛ بدأ فضيلة الشيخ -رحمه الله- يدرس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع إليه الطلاب وتوافدوا من المملكة وغيرها؛ حتى كانوا يملغون المئات في بعض الدروس، وهؤلاء يدرسون دراسة

تحصيلٍ جادٍ، لَا لِمُجَرَّدِ الاستِماعِ. وبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ -إِمَامًا وَخَطِيبًا وَمُدَرِّسًا- حَتَّى وَفَاتِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-.

بَقِيَ الشَّيْخُ مُدَرِّسًا فِي الْمَعْهَدِ الْعِلْمِيِّ مِنْ عَامِ (١٣٧٤هـ) إِلَى عَامِ (١٣٩٨هـ) عِنْدَمَا انْتَقَلَ إِلَى التَّدْرِيسِ فِي كَلِّيةِ الشَّرِيعَةِ وَأُصُولِ الدِّينِ بِالْقَصِيمِ، التَّابِعَةِ لْجَامِعَةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَظَلَّ أَسَاطِذًا فِيهَا حَتَّى وَفَاتِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-.

وَكَانَ يُدَرِّسُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ وَرَمَضَانَ وَالْإِجَازَاتِ الصَّيْفِيَّةِ، مُنْذُ عَامِ (١٤٠٢هـ) حَتَّى وَفَاتِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-.

وَلِلشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَسْلُوبٌ تَعْلِيمِيٌّ فَرِيدٌ فِي جَوَدَتِهِ وَنَجَاحِهِ، فَهُوَ يُنَاقِشُ طُلَّابَهُ وَيَتَقَبَّلُ أَسْئَلَتَهُمْ، وَيُلْقِي الدُّرُوسَ وَالْمُحَاضَرَاتِ بِهِمَّةٍ عَالِيَةٍ وَنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ وَاثِقَةٍ، مُبْتَهِجًا بَشْرَهُ لِلْعِلْمِ وَتَقْرِيبِهِ إِلَى النَّاسِ.

### أَثَارُهُ الْعِلْمِيَّةُ:

ظَهَرَتْ جُهُودُهُ الْعَظِيمَةُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- خِلَالَ أَكْثَرِ مِنْ خَمْسِينَ عَامًا مِنْ الْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ وَالتَّدْرِيسِ وَالْوَعْظِ وَالْإِزْشَادِ وَالتَّوْجِيهِ وَإِلْقَاءِ الْمُحَاضَرَاتِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَلَقَدْ اِهْتَمَّ بِالتَّأْلِيفِ، وَتَحْرِيرِ الْفَتَاوَى وَالْأَجُوبَةِ، الَّتِي تَمَيَّزَتْ بِالتَّأْصِيلِ الْعِلْمِيِّ الرَّصِينِ، وَصَدَرَتْ لَهُ الْعَشْرَاتُ مِنَ الْكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ وَالْمُحَاضَرَاتِ وَالْفَتَاوَى وَالْخُطَبِ وَاللِّقَاءَاتِ وَالْمَقَالَاتِ، كَمَا صَدَرَ لَهُ آلافُ السَّاعَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي سَجَلَتْ مُحَاضَرَاتِهِ وَخُطَبُهُ وَلِقَاءَاتِهِ وَبَرَامِجُهُ الْإِذَاعِيَّةَ وَدُرُوسَهُ الْعِلْمِيَّةَ؛ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالشُّرُوحَاتِ الْمُتَمَيِّزَةِ لِلْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَالسِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالتُّونِ وَالْمَنْظُومَاتِ فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ.

وإنفاذاً للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قررها فضيلته - رحمه الله تعالى - لنشر مؤلفاته، ورسائله، ودروسه، ومحاضراته، وخطبه، وفتاواه، ولقاءاته؛ تقوم مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - بعون الله وتوفيقه - بواجب وشرف المسؤولية لإخراج كافة آثاره العلمية والعناية بها.

وبناءً على توجيهاته - رحمه الله تعالى - أنشئ له موقع خاص على شبكة المعلومات الدولية<sup>(١)</sup>، من أجل تجميع الفائدة المرجوة - بعون الله تعالى -، وتقديم جميع آثاره العلمية من المؤلفات والتسجيلات الصوتية.

### أعماله وجهوده الأخرى:

إلى جانب تلك الجهود المثمرة في مجالات التدريس والتأليف والإمامة والخطابة والإفتاء والدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - كان لفضيلة الشيخ أعمال كثيرة موفقة منها:

- عضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، من عام (١٤٠٧هـ) حتى وفاته.
- عضواً في المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في العامين الدراسيين (١٣٩٨-١٤٠٠هـ).
- عضواً في مجلس كلية الشريعة وأصول الدين، بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم، ورئيساً لقسم العقيدة فيها.
- وفي آخر فترة تدريسه بالمعهد العلمي شارك في عضوية لجنة الخطط والمناهج للمعاهد العلمية، وألف عدداً من الكتب المقررة فيها.

- عُضُوا فِي لَجْنَةِ التَّوَعِيَةِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ، مِنْ عَام (١٣٩٢هـ) حَتَّى وَفَاتِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-، حَيْثُ كَانَ يُلْقِي دُرُوسًا وَمُحَاضِرَاتٍ فِي مَكَّةَ وَالْمَشَاعِرِ، وَيُفْتِي فِي الْمَسَائِلِ وَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.
- تَرَأَسَ جَمْعِيَّةَ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْخَيْرِيَّةِ فِي عُنِيزَةِ مُنْذُ تَأْسِيسِهَا عَامَ (١٤٠٥هـ) حَتَّى وَفَاتِهِ.
- أَلْقَى مُحَاضِرَاتٍ عَدِيدَةً دَاخِلَ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ عَلَى فِئَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنَ النَّاسِ، كَمَا أَلْقَى مُحَاضِرَاتٍ عَبْرَ الْهَاتِفِ عَلَى تَجْمُعَاتٍ وَمَرَاكِزِ إِسْلَامِيَّةٍ فِي جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْعَالَمِ.
- مِنْ عُلَمَاءِ الْمَمْلَكَةِ الْكِبَارِ الَّذِينَ يُجِيبُونَ عَلَى أَسْئَلَةِ الْمُسْتَفْسِرِينَ حَوْلَ أَحْكَامِ الدِّينِ وَأَصُولِهِ؛ عَقِيدَةً وَشَرِيعَةً، وَذَلِكَ عَبْرَ الْبَرَامِجِ الْإِذَاعِيَّةِ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، وَأَشْهَرُهَا بَرْنَامِجُ (نُورٌ عَلَى الدَّرَبِ).
- نَذَرَ نَفْسَهُ لِلْإِجَابَةِ عَلَى أَسْئَلَةِ السَّائِلِينَ؛ مُهَاتِفَةً وَمُكَاتَبَةً وَمُشَافَهَةً.
- رَتَّبَ لِقَاءَاتٍ عِلْمِيَّةً مُجْدُولَةً، أُسْبُوعِيَّةً وَشَهْرِيَّةً وَسَنَوِيَّةً.
- شَارَكَ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْمُؤْتَمَرَاتِ الَّتِي عُقِدَتْ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ.
- وَلَأنَّهُ يَهْتَمُّ بِالسُّلُوكِ التَّرْبَوِيِّ وَالْجَانِبِ الْوَعْظِيِّ اعْتَنَى بِتَوْجِيهِ الطُّلَابِ وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى سُلُوكِ الْمَنْهَجِ الْجَادِّ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَتَحْصِيلِهِ، وَعَمِلَ عَلَى اسْتِقْطَابِهِمْ وَالصَّبْرِ عَلَى تَعْلِيمِهِمْ وَتَحْمُلِ أَسْئَلَتِهِمُ الْمُتَعَدِّدَةِ، وَالِاهْتِمَامِ بِأُمُورِهِمْ.
- وَلِلشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَعْمَالٌ عَدِيدَةٌ فِي مَيَادِينِ الْخَيْرِ وَأَبْوَابِ الْبِرِّ وَمَجَالَاتِ الْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ، وَالسَّعْيِ فِي حَوَائِجِهِمْ وَكِتَابَةِ الْوَثَائِقِ وَالْعُقُودِ بَيْنَهُمْ، وَإِسْدَاءِ النَّصِيحَةِ لَهُمْ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ.



### مَكَائِنُهُ الْعِلْمِيَّةُ :

يُعَدُّ فَضِيلَةُ الشَّيْخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- مِنْ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ وَهَبَهُمُ اللهُ -بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ- تَأْصِيلاً وَمَلَكَ عَظِيمَةً فِي مَعْرِفَةِ الدَّلِيلِ وَاتِّبَاعِهِ وَاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ وَالْفَوَائِدِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسَبَرِ أَغْوَارِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَانِي وَإِعْرَابًا وَبَلَاغَةً.

وَلَمَّا تَحَلَّى بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْعُلَمَاءِ الْجَلِيلَةِ، وَأَخْلَاقِهِمُ الْحَمِيدَةِ، وَالْجَمْعَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ أَحَبَّهُ النَّاسُ مَحَبَّةً عَظِيمَةً، وَقَدَّرَهُ الْجَمِيعُ كُلَّ التَّقْدِيرِ، وَرَزَقَهُ اللهُ الْقَبُولَ لَدَيْهِمْ، وَاطْمَأْنَنُوا لِاخْتِيَارَاتِهِ الْفِقْهِيَّةِ، وَأَقْبَلُوا عَلَى دُرُوسِهِ وَفَتَاوَاهُ وَأَثَارِهِ الْعِلْمِيَّةِ، يَنْهَلُونَ مِنْ مَعِينِ عِلْمِهِ، وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْ نُصْحِهِ وَمَوَاعِظِهِ.

وَقَدْ مُنِحَ جَائِزَةُ الْمَلِكِ فَيَصَلَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- الْعَالَمِيَّةُ لِحُدُومَةِ الْإِسْلَامِ عَامَ (١٤١٤ هـ)، وَجَاءَ فِي الْحَيَثِيَّاتِ الَّتِي أَبَدَتْهَا لَجَنَةُ الْإِخْتِيَارِ لِمَنْحِهِ الْجَائِزَةَ مَا يَأْتِي:

- أَوَّلًا: تَحْلِيهِ بِأَخْلَاقِ الْعُلَمَاءِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي مِنْ أَبْرَزِهَا: الْوَرَعُ، وَرَحَابَةُ الصَّدْرِ، وَقَوْلُ الْحَقِّ، وَالْعَمَلُ لِمَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالنُّصْحُ لِحَاصَتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ.
- ثَانِيًا: انْتِفَاعُ الْكَثِيرِينَ بِعِلْمِهِ؛ تَدْرِيسًا وَإِفْتَاءً وَتَأْلِيفًا.
- ثَالِثًا: إِلْقَاؤُهُ الْمَحَاضِرَاتِ الْعَامَّةَ النَّافِعَةَ فِي مُخْتَلَفِ مَنَاطِقِ الْمَمْلَكَةِ.
- رَابِعًا: مُشَارَكَتُهُ الْمَفِيدَةَ فِي مُؤْتَمَرَاتِ إِسْلَامِيَّةٍ كَثِيرَةٍ.
- خَامِسًا: اتِّبَاعُهُ أَسْلُوبًا مُتَمِّيزًا فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَتَقْدِيمُهُ مَثَلًا حَيًّا لِمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ؛ فِكْرًا وَسُلُوكًا.

### عَقِبُهُ :

لَهُ خَمْسَةٌ مِنَ الْبَنِينَ، وَثَلَاثٌ مِنَ الْبَنَاتِ، وَبَنُوهُ هُمْ: عَبْدُ اللهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ، وَعَبْدُ الرَّحِيمِ.

## وَفَاتُهُ:

تُوُفِّي -رَحِمَهُ اللهُ- فِي مَدِينَةِ جُدَّةَ، قُبَيْلَ مَغْرِبِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ، الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ، عَامَ (١٤٢١هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بَعْدَ صَلَاةِ عَصْرِ يَوْمِ الْحَمِيسِ، ثُمَّ شَيَّعَتْهُ تِلْكَ الْأَلْفُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَالْحُشُودِ الْعَظِيمَةِ فِي مَشَاهِدَ مُؤَثَّرَةٍ، وَدُفِنَ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ.

وَبَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ مِنَ الْيَوْمِ التَّالِي صُلِّيَ عَلَيْهِ صَلَاةُ الْغَائِبِ فِي جَمِيعِ مُدُنِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ.

رَحِمَ اللهُ شَيْخَنَا رَحْمَةً الْأَبْرَارِ، وَأَسْكَنَهُ فَرْجَ جَنَّتِهِ، وَمَنْ عَلَيْهِ بِمَغْفِرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، وَجَزَاهُ عَمَّا قَدَّمَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا.

الْقِسْمُ الْعِلْمِيُّ

فِي مُؤَسَّسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينَ الْخَيْرِيَّةِ





في السما، قال مع الكائنات انتم رسول الله وان الله اعلم بالصواب.

[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، (وَنَتُوبُ إِلَيْهِ)<sup>[١]</sup>، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا<sup>[٢]</sup>، .....

قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ أَمَا بَعْدُ:

[١] هَذِهِ خُطْبَةٌ مِنْ خُطْبِ النَّبِيِّ ﷺ بِدَأْهَا بِالشَّائِءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَالْحَمْدُ، ثُمَّ بِالِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَطَلَبِ الْعَوْنِ مِنْهُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ، ثُمَّ الْاسْتِغْفَارِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ الْمَعُونَةِ وَالْمَغْفِرَةِ تَيَسَّرَتْ لَهُ الْأَسْبَابُ؛ لِأَنَّ الْمَعُونَةَ فِيهَا تَقْوِيَةُ الْإِنْسَانِ إِرَادَةً وَعَمَلًا، وَالْمَغْفِرَةَ فِيهَا إِزَالَةُ الشَّوَائِبِ الَّتِي تَعُوقُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَمُرَادِهِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَزِمَ الْاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا.

وَالْتَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ هِيَ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَى طَاعَتِهِ، فَإِذَا تَرَكَ الْوَاجِبَ فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنْهُ: أَنْ يَقُومَ بِهِ أَوْ يَبْدِلَهُ إِنْ لَمْ يُمَكِّنْ، وَإِذَا فَعَلَ الْمُحَرَّمَ فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنْهُ أَنْ يُقْلَعَ عَنْهُ، وَأَنْ يَعِزَّمَ أَلَّا يَعُودَ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا»، فَالنَّفْسُ تُصَنَّفُ:

١ - إِمَّا مُطْمَئِنَّةً، تَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَتَنْهَى عَنِ الشَّرِّ.

وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا<sup>(١)</sup>، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ<sup>(٢)</sup>،

٢- وَإِمَّا أَمَّارَةً، تَأْمُرُ بِالشَّرِّ وَتَنْهَى عَنِ الْحَيْرِ.

٣- وَنَفْسٌ لَوَّامَةٌ، قِيلَ: إِنَّهَا الْمُطْمِئِنَّةُ؛ لِأَنَّهَا تَلُومُ الْإِنْسَانَ إِذَا فَعَلَ الشَّرَّ، وَقِيلَ:  
إِنَّهَا الْأَمَّارَةُ؛ لِأَنَّهَا تَلُومُ الْإِنْسَانَ إِذَا فَاتَهُ الشَّرُّ، فَتَكُونُ اللَّوَّامَةُ وَصْفًا صَالِحًا لِلْمُطْمِئِنَّةِ  
وَلِلْأَمَّارَةِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا»، أَيُّ: نَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْ سَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ أَنْ  
نَعْمَلَهَا، أَوْ أَنْ نُعَاقَبَ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ نَتَائِجَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ نَتَائِجُ وَخِيمَةٌ، فَإِذَا أَعَاذَكَ اللَّهُ  
مِنْهَا حَصَلَ لَكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَزَالَ عَنْكَ شَرٌّ كَبِيرٌ.

[٢] قَوْلُهُ: «مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ...»، فَإِنَّهَا تَقْتَضِي تَفْوِضَ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْهَدَايَةِ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ تَكُونَ دَائِمًا سَائِلًا رَبَّكَ الْهَدَايَةَ مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ فِي  
هَذَا، وَلَا تَعْتَمِدَ عَلَى مَا لَدَيْكَ مِنَ الْهَدَايَةِ الْحَاضِرَةِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ قَدْ يَزِيغُ، فَعَلَيْكَ دَائِمًا  
أَنْ تَسْأَلَ اللَّهَ الْهَدَايَةَ.

واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يهدوك وقد أضلك الله، فإنهم لن يستطيعوا  
إلى ذلك سبيلاً، ولا أحد أعظم جاهاً من رسول الله ﷺ عند الله، ومع ذلك لم يستطع  
أن يهدي عمه أبا طالب في آخر لحظة من حياته<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ الهداية والإضلال بيد الله  
عَزَّوَجَلَّ.

(١) البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، رقم (١٢٩٤)، ومسلم:  
كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع، رقم (٢٤).

ولكن لا تيأس إذا كان قلبك طيباً، وتقول: أخشى أنني لم أهد. فإن القلب إذا صُلِحَ وفق للهداية؛ لأن الله قال في كتابه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، فَرَتَّبَ إِزَاغَةَ قُلُوبِهِمْ عَلَى زَيْغِهِمْ.

إذن: فَأَنَّ إِذَا أُضِلِلْتَ فَأَنْتَ السَّبَبُ؛ لأنَّ الله تعالى قد أعدك وأمدك، أعدك إعداداً صالحاً قابلاً للخير، كما قال الله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ أَلْفِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وأمدك بأن أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وهذا بمنزلة الغذاء للفطرة.

فهناك إعداد وإمداد، ولكن قد لا يكون في الإنسان استعداد لقبول هذه الإمدادات، بل تكون في حقه داء قاتلاً مع أنها لغيره دواء شافٍ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ آتَيْنَاكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

فتزول السورة صار لقوم شفاء، ولقوم داء بحسب استعدادهم لهذا الشيء وقبوله، لهذا يجب علينا أن نعتني بصلاح القلوب قبل كل شيء، فنزيل عنها الهوى المخالف للشرع، ونزيل الحقد والبغضاء للمؤمنين، ونزيل كراهة الحق، ونزيل عنها كل شيء يوجب انحرافاً، فإن معالجة القلب أشد من معالجة البدن؛ لأن معالجة البدن كل يستطيعها، فالكل يستطيع أن يقوم ويصلي خاشعاً لا يتحرك، ويقول الأذكار الواجبة والمستحبة، لكن صلاح القلب هو الصعب.

ولهذا نجد المنافقين يتبعون المتشابه بسبب فساد قلوبهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وقال في الآية الثانية:

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠]، فَرَّتْ عَلَى الْقَلْبِ.

وَقَدْ تَجَدَّدَ بَعْضُ النَّاسِ يُحَافِظُ مُحَافِظَةً كَبِيرَةً عَلَى الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، وَلَكِنْ فِي قَلْبِهِ حَقْدٌ؛ أَوْ كَرَاهِيَةٌ لِلْحَقِّ، أَوْ كَرَاهِيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أَوْ لِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالِدَّعْوَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ حَسَدًا أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ.

فَيَجِبُ أَنْ نَهْتَمَّ بِصَلَاحِ الْقَلْبِ، وَإِزَالَةِ الشَّوَابِ عَنْهُ، فَهُوَ إِذَا صَلَحَ صَلَحَ الْبَدَنُ كُلُّهُ<sup>(١)</sup>، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَجُلًا جِيءَ بِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَشْرِبُ الْخَمْرَ وَيُكْرِّرُ شُرْبَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَعَنَهُ اللَّهُ - أَوْ سَبَّهُ - مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَنَهَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: «إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»<sup>(٢)</sup>، لَكِنْ تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى فِعْلِ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ حُبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ سَبَبًا لِدَرْءِ السَّبِّ عَنْهُ؛ لِأَنَّهَا الْعُمْدَةُ عَلَى صَلَاحِ الْقَلْبِ.

وَلِهَذَا نَقُولُ: إِنَّكَ لَنْ تَضِلَّ عَنِ الْحَقِّ إِلَّا بِسَبَبٍ فَسَادٍ فِي قَلْبِكَ، وَإِذَا صَلَحَ الْقَلْبُ صَلَحَ كُلُّ شَيْءٍ.

وَقَدْ نَبَّهْتُ عَلَى هَذَا؛ لِأَنَّ بَعْضَ مَنْ يَحْرِصُونَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ ظَاهِرًا حَرَصًا تَامًا عَظِيمًا، نَسَمِعُ عَنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ فِي قُلُوبِهِمْ قَدْ يُفْسِدُ أَعْمَالَهُمْ، مِنْ كَرَاهِيَةِ أَهْلِ الْخَيْرِ، وَكَرَاهِيَةِ الْحَقِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَكْرَهُونَ الْحَقَّ إِذَا لَمْ يَأْتِ مِنْ قِبَلِهِمْ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُمْ لَا يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ، وَإِنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَالْإِنْسَانُ الْمُؤْمِنُ حَقًّا هُوَ

(١) البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (٥٢)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (١٥٩٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة، رقم (٦٣٩٨).



الَّذِي يُحِبُّ انْتِصَارَ الْحَقِّ، سَوَاءً عَلَى يَدَيْهِ، أَوْ عَلَى يَدِ غَيْرِهِ، وَيُحِبُّ مَنْ يَقُومُ بِالْحَقِّ.

صَحِيحٌ أَنَّ النَّفْسَ تُحِبُّ أَنْ تَقُومَ هِيَ بِالْحَقِّ، وَأَنْ تَنْشُرَ الْحَقَّ، وَتَسْبِقَ غَيْرَهَا، لَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ تَكْرَهُ غَيْرَكَ إِذَا سَبَقَكَ فِي خَيْرٍ؛ لِأَنَّ هَذَا حَسَدٌ، وَالْحَسَدُ مِنْ صِفَاتِ الْيَهُودِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وَقَالَ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

فَيَجِبُ أَنْ تُصَحِّحُوا مَا فِي قُلُوبِكُمْ، وَأَنْ تُحِبُّوا كُلَّ مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ مِنْ عَمَلٍ، أَوْ عَامِلٍ، أَوْ زَمَانٍ، أَوْ مَكَانٍ، حَتَّى تَكُونَ مُحِبِّتُكُمْ لِلَّهِ، وَكَرَاهَتُكُمْ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَأَسْبَابُ الْهَدَايَةِ كَثِيرَةٌ، لَكِنْ أَهْمُّهَا: صَلَاحُ الْقَلْبِ.

وَفِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ بَعْدَ أَنْ أَتْنِي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَفَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَعْلَنُ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ: أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ أَيِ: لَا إِلَهَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ، أَمَّا الْآلَهُةُ الْبَاطِلَةُ فَهِيَ مَوْجُودَةٌ لَكِنَّهَا بَاطِلَةٌ، فَهِيَ أَسْمَاءٌ بِلَا مُسَمِّيَاتٍ.

وَشَهِدَ بَعْدَ ذَلِكَ لِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالرَّسَالَةِ مَعَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ الرَّسُولُ، لَكِنْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَشْهَدَ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ عَنْهُ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ يَقُولُ: «أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>، فَهُوَ ﷺ مُكَلَّفٌ بِأَنْ يَشْهَدَ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأطعمة، باب الرطب والتمر، رقم (٥١٢٨).

أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ<sup>[١]</sup>، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ<sup>[٢]</sup>، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ<sup>[٣]</sup>، وَنَصَحَ  
الْأُمَّةَ<sup>[٤]</sup>، .....

وإِلَى هُنَا انْتَهَتْ الْخُطْبَةُ الَّتِي كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُهَا، وَهِيَ بَعْضُ مِمَّا كَانَ يَقُولُ.

[١] قَوْلُهُ: «أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ»، الْهُدَى هُوَ: الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَدِينُ الْحَقِّ  
هُوَ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

[٢] قَوْلُهُ: «فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ»، بَلَغَ الرِّسَالَةَ بِلَاغًا  
تَامًا، امْتِثَالًا لِأَمْرِ رَبِّهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَتَأْتِيَا الرَّسُولَ بِبَلْغٍ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]،  
وَلَمْ يَدْعُ شَيْئًا مِمَّا أُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ إِلَّا بَلَّغَهُ عَلَى أَتَمِّ وَجْهِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: ﴿الْيَوْمَ  
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

[٣] قَوْلُهُ: «أَدَّى الْأَمَانَةَ»، الْأَمَانَةُ هِيَ: الرِّسَالَةُ، أَدَّاها كَامِلَةً بِدُونِ نَقْصٍ،  
حَتَّى بَلَغَ الْأَمْرَ لِنَفْسِهِ وَأَدَّاهُ، أَلَمْ تَرَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ  
مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تُخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وَلَوْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ كَاتِمًا  
لشَيْءٍ مِمَّا أُرْسِلَ بِهِ؛ لَكَانَ يَكْتُمُ هَذِهِ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةَ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِالتَّقْوَى فِي أَوَّلِ  
السُّورَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطِغِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١]،  
وَلَوْ قِيلَ لِأَحَدِنَا: اتَّقِ اللَّهَ. لَانْتَفَخَ غَضَبًا، وَاشْتَاطَ غَيْظًا، وَخَاصَمَ مَنْ قَالَ لَهُ ذَلِكَ،  
وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِاتَّقَى النَّاسَ: ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، وَقَالَ: ﴿وَتُخْفِي فِي  
نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فَالرَّسُولُ يُخْفِي الشَّيْءَ وَاللَّهُ يُبْدِيهِ، ثُمَّ قَالَ:  
﴿وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تُخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

[٤] قَوْلُهُ: «وَنَصَحَ الْأُمَّةَ» نَصَحَ الْأُمَّةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فِي دِينِهَا وَدُنْيَاهَا حَتَّى إِنَّهُ ﷺ

وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ<sup>[١]</sup>، وَتَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَىٰ مَحَبَّةٍ بَيِّضَاءَ لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ<sup>[٢]</sup>، فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأُئِمَّةِ الْهُدَى مِنْ بَعْدِهِمْ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيَّنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ<sup>[٣]</sup> مِنْ وَحْيٍ رَبِّهِمْ.....

لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَوَجَدَهُمْ يُلْقِحُونَ النَّخْلَ قَالَ: «مَا أَرَىٰ ذَلِكَ يُغْنِي شَيْئًا»؛ فَتَرَكُوا التَّلْقِيحَ، فَفَسَدَ الثَّمَرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ»<sup>(١)</sup>، وَهَذَا مِنْ نُصْحِهِ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يَظُنُّ أَنَّ هَذَا التَّلْقِيحَ لَا يُغْنِي شَيْئًا، وَأَنَّهُ عَنَاءٌ وَتَعَبٌ وَمَشَقَّةٌ، وَلَمَّا رَأَاهُ يُغْنِي قَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ»، فَهَذَا مِنْ نُصْحِهِ، وَالْمَسَائِلُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ نُصْحِ الرَّسُولِ ﷺ كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَرُ.

[١] قَوْلُهُ: «وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ»، جَاهَدَ ﷺ بِنَوْعِي الْجِهَادِ:

١ - جِهَادِ الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ.

٢ - جِهَادِ السَّيْفِ وَالسَّنَانِ.

فَجَاهَدَ الْمَنَافِقِينَ بِالْعِلْمِ وَالْبَيَانِ، وَجَاهَدَ الْكُفَّارَ بِالسَّيْفِ وَالسَّنَانِ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَتَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَىٰ مَحَبَّةٍ بَيِّضَاءَ»، أَي: عَلَى طَرِيقِ بَيِّضَاءَ، «لَيْلُهَا

كَنَهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ...».

[٣] قَوْلُهُ: «بَيَّنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» هَذَا وَاضِحٌ، فَقَدْ عَلَّمَ النَّاسَ مَا يَحْتَاجُونَ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي، رقم (٢٣٦٣).

بَيَانًا كَامِلًا شَامِلًا فِي دَقِيقِ أُمُورِهِمْ وَجَلِيلِهَا وَظَاهِرِهَا وَخَفِيِّهَا، حَتَّى عَلَّمَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَأْكِلِهِمْ، وَمَشَارِبِهِمْ، وَمَنَاجِحِهِمْ، وَمَلَابِسِهِمْ، وَمَسَاكِينِهِمْ، فَعَلَّمَهُمْ آدَابَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَالتَّخَلِّي مِنْهُمَا، وَآدَابَ النِّكَاحِ وَاللَّبَاسِ وَدُخُولِ الْمَنْزِلِ وَالخُرُوجِ مِنْهُ، وَعَلَّمَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ كَالطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مُعَامَلَةِ الْخَلْقِ؛ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْجَوَارِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَتَعَامَلُونَ بَيْنَهُمْ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالرَّهْنِ وَالْإِزْتِهَانِ وَالتَّاجِيرِ وَالْإِسْتِجَارِ وَالْهَبَةِ وَالْإِثْمَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

إِلَيْهِ فِي مَأْكِلِهِمْ وَمَشَارِبِهِمْ، كَيْفِيَّةً وَكَمِيَّةً:

■ أَمَّا الْكَمِيَّةُ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

■ وَأَمَّا الْكَيْفِيَّةُ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْكُلُ بِثَلَاثَةِ أَصَابِعَ، وَلَا يَأْكُلُ مُتَكِنًا، وَيَشْرَبُ بِثَلَاثَةِ أَنْفَاسٍ.

وَكَذَلِكَ فِي الْمَنَاجِحِ فَقَدْ بَيَّنَّ مَتَى يَصِحُّ النِّكَاحُ، وَمَتَى لَا يَصِحُّ، وَبَيَّنَّ أَنَّ التَّخَلُّصَ مِنْهُ بِالطَّلَاقِ، وَعَلَّمَهُمْ كُلَّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ فِي الْمَلَابِسِ: مَاذَا يَلْبَسُونَ، وَمَا يَتَرَكُونَ، وَكَيْفَ يَلْبَسُونَ، وَمَاذَا يَقُولُونَ عِنْدَ اللُّبْسِ وَمَا أَشْبَهَ هَذَا، وَعَلَّمَهُمْ أَيْضًا آدَابَ الطَّعَامِ، مِنْهَا: تَنَاوُلُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ بِالْيَمِينِ، وَالتَّسْمِيَةُ عِنْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَحَمْدُ اللَّهِ إِذَا قَرَعَ، وَعَلَّمَهُمْ أَيْضًا آدَابَ التَّخَلِّي<sup>(١)</sup> مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ.

(١) تخلى: تفرغ وخرج إلى الخلاء لقضاء حاجته. المعجم الوسيط (خلى).

حَتَّى قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلَّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا»<sup>(١)</sup>، .....

[١] قَوْلُهُ: «لَقَدْ تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلَّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا»، وَلَيْسَ الْمَرَادُ عِلْمُ التَّشْرِيعِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَذَا الْعِلْمَ مَوْكُولٌ إِلَى التَّجَارِبِ، لَكِنْ عِلْمُهُمُ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَكَيْفَ يَحُلُّ؟ وَمَا أَشْبَهَ هَذَا.

أَمَّا عِلْمُ التَّشْرِيعِ فَلَمْ تَتَعَرَّضْ لَهُ الشَّرِيعَةُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرَادَ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَعْلَمُوا ذَلِكَ بِمُمَارَسَاتِهِمْ وَتَجَارِبِهِمْ حَتَّى يَتَرَقَّى الْعِلْمُ إِلَى مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ الْبَشَرُ، وَأَمَّا الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ فَإِنَّهُ إِلَى الشَّرْعِ.

وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي مَسْأَلَةِ التَّلْفِيحِ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ»<sup>(٢)</sup>، أَيُّ: بِمَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورِ الدُّنْيَا لَا بِأُمُورِ الشَّرْعِ، فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ التَّلْفِيحَ مِنْ حَيْثُ الشَّرْعُ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّ عَدَمَهُ إِضَاعَةٌ لِلْمَالِ، وَقَدْ نَهَى عَنْ إِضَاعَةِ الْمَالِ<sup>(٣)</sup>، لَكِنْ كَيْفِيَّةَ تَلْفِيحِ النَّخْلِ تَرْجِعُ إِلَى خِبْرَةِ النَّاسِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِلْمِ الصَّنَاعَةِ.

وَكَذَلِكَ نَعْلَمُ أَنَّ صِنْعَةَ النَّجَارَةِ - مِنْ حَيْثُ الشَّرْعُ - جَائِزَةٌ، لَكِنْ كَيْفِيَّةَ صُنْعِ الْخَشَبِ أَبْوَابًا يَرْجِعُ إِلَيْنَا؛ لِأَنَّهُ يَعُودُ إِلَى التَّجَارِبِ.

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٥٣/٥).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي، رقم (٢٣٦٣).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: «لَا يَتَعْلَمُونَ النَّاسَ إِلَّا حَقًّا» لا يسألون الناس إلحافا، رقم (١٤٠٧)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، رقم (٥٩٣).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ<sup>[١]</sup>: قَدْ عَلَّمَكُمُ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةِ! «قَالَ: أَجَلٌ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ» وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ<sup>(١)</sup>[٢].

هَذَا فَضْلًا عَنْ أُسُسِ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ<sup>[٢]</sup> وَالْأَخْلَاقِ وَالْمَعَامَلَاتِ، .....

[١] قَوْلُهُ: «عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ» الْقَائِلُ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ لَهُ: إِنَّ نَبِيَّكُمْ عَلَّمَكُمُ كُلَّ شَيْءٍ؟ قَالَ: «أَجَلٌ!». [٢] قَوْلُهُ: «حَتَّى الْخِرَاءَةِ»، الْمَعْنَى: أَنَّهُ عَلَّمَهُمْ آدَابَهَا، «فَقَالَ الرَّجُلُ: أَجَلٌ، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ».

فَإِذَا كَانَ الشَّرْعُ أَتَى بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الدَّقِيقَةِ، وَعَلَّمَ النَّاسَ كَيْفَ يَتَصَرَّفُونَ فِيهَا، فَمَا بَالُكَ بِالْأُمُورِ الْكَبِيرَةِ، وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَشْيَاءٌ دَقِيقَةٌ كَثِيرَةٌ مِثْلُ:

١- آدَابِ الْمَجَالِسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١].

٢- وَآدَابِ دُخُولِ الْمَنْزِلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]، وَغَيْرَهُمَا.

فَهَذِهِ الْمَسَائِلُ الدَّقِيقَةُ مَوْجُودَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَمُفَصَّلَةٌ فِي السُّنَّةِ، فَمَا بَالُكَ بِالْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ! لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مُبَيَّنًّا أَكْثَرَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الدَّقِيقَةِ.

[٣] قَوْلُهُ: «هَذَا فَضْلًا عَنْ أُسُسِ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ»، هَذَا مُبَيَّنٌّ بَيَانًا دَقِيقًا، وَأَكْثَرَ

وَهُوَ مَا يَعْتَقِدُهُ الْعِبَادُ فِي إِلَهِهِمْ وَمَعْبُودِهِمْ فِي ذَاتِهِ، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِهِ الْكُونِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى بَالِغِ الْحِكْمَةِ، وَغَايَةِ الرَّحْمَةِ، فَأَخَذَ عَنْهُ ذَلِكَ الصَّحَابَةُ مَعِينًا صَافِيًا نَقِيًّا مَبْنِيًّا عَلَى التَّوْحِيدِ الْكَامِلِ الْمُتَضَمِّنِ لِرُكْنَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ: نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ.

فَأَمَّا الْإِثْبَاتُ فَهُوَ: إِثْبَاتُ مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْأُلُوهِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَالْأَفْعَالِ.

وَأَمَّا النَّفْيُ فَهُوَ: نَفْيُ مُشَارَكَةِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا يَجِبُ لَهُ<sup>١</sup>.

مَا يَعْتَقِدُهُ الْعِبَادُ فِي إِلَهِهِمْ وَمَعْبُودِهِمْ فِي ذَاتِهِ، وَفِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَفِي أَفْعَالِهِ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ الْكُونِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ، كُلُّ هَذَا مُبَيَّنٌّ عَلَى حَسَبِ مَا تُدْرِكُهُ عُقُولُنَا. فِكَيْفِيَّةِ صِفَاتِ اللَّهِ لَمْ تُبَيَّنْ لَنَا، لَكِنْ بُيِّنَتْ لَنَا الصِّفَةُ وَمَعْنَاهَا الَّذِي تُدَلُّ عَلَيْهِ بِمُقْتَضَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَوْ الْحَقِيقَةِ الشَّرْعِيَّةِ، أَمَّا كَيْفِيَّةُ الصِّفَةِ فَلَمْ يُبَيِّنْهَا اللَّهُ لَنَا؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ إِدْرَاكَهَا؛ لِأَنَّ عُقُولَنَا نَعْجِزُ عَنْ إِدْرَاكَهَا، فَإِذَا كَانَ الْبَصَرُ -وَدِرَاكُهُ حِسِّيًّا- لَا يُدْرِكُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فَمَا بِأَلْكَ بِالْعَقْلِ وَالتَّصَوُّورِ؟!

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِدْرَاكَ الْحِسِّيَّ أَقْرَبُ مِنَ الْإِدْرَاكِ الْمَعْنَوِيِّ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فَإِذَا كَانَتْ الْأَبْصَارُ لَا تُدْرِكُ ذَاتَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِنْ كَانَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ لَا تُدْرِكُ كَيْفِيَّةَ صِفَاتِهِ، وَإِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ يَعْلَمُ مَعَانِيَ هَذِهِ الصِّفَاتِ.

[١] وَ«التَّوْحِيدُ الْكَامِلُ مُتَضَمِّنٌ لِأَمْرَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ»:

الْأَوَّلُ: النَّفْيُ، وَهُوَ نَفْيُ مُشَارَكَةِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا يَجِبُ لَهُ، وَكَأَنَّ قَوْلَهُ:

«فِيمَا يَجِبُ لَهُ» بِأَنَّ مُشَارَكَةَ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا لَا يَجِبُ لَهُ لَا بَأْسَ بِهَا، فَمَثَلًا: الْحَيَاةُ، هَلْ لِلَّهِ مُشَارَكٌ فِي الْحَيَاةِ؟ نَعَمْ، لَهُ مُشَارِكٌ، نَحْنُ أَحْيَاءُ، وَالنَّبَاتُ حَيٌّ، وَاللَّهُ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، لَكِنَّ الَّذِي يَجِبُ لِلَّهِ هُوَ الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ الَّتِي لَمْ تُسَبِّقْ بَعْدَمٍ، وَلَا يَلْحَقُهَا فَنَاءٌ وَلَا تَقْصُ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

فَتَبَّهَ لِكَلِمَةٍ: «فِيمَا يَجِبُ لَهُ»، فَأَمَّا الْمَشَارَكَةُ فِيهَا لَا يَجِبُ لَهُ فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا يُمَكِّنُ إِنكَارُهُ.

الثَّانِي: الْإِثْبَاتُ، وَهُوَ إِبْتِثَاتُ مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ (الرُّبُوبِيَّةِ)، بِحَيْثُ لَا نُشْرِكُ مَعَهُ أَحَدًا فِي رُبُوبِيَّتِهِ، فَلَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَلَا مُعِينَ لَهُ فِي ذَلِكَ، بَلْ هُوَ مُتَفَرِّدٌ بِهِ.

وَأَيْضًا إِبْتِثَاتُ مَا يَجِبُ لَهُ تَعَالَى مِنَ (الْأَلُوْهِيَّةِ)، وَذَلِكَ بِتَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَخَدَهُ، فَنَقُولُ بِالسُّنَنِ، مُعْتَقِدِينَ بِقُلُوبِنَا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، أَي: لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ.

وَكَذَلِكَ إِبْتِثَاتُ مَا يَجِبُ لَهُ تَعَالَى مِنَ (الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ)، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُثْبِتَ لِلَّهِ تَعَالَى كُلَّ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ أَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ وَلَا نَجْعَلَ لَهُ شَرِيكًا بِهَا.

فَلَا تَوْحِيدَ إِلَّا بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ؛ لِأَنَّ الْاِقْتِصَارَ عَلَى النَّفْيِ الْمَحْضِ تَعْطِيلٌ مُحْضٌ، وَالْاِقْتِصَارَ عَلَى الْإِثْبَاتِ الْمَحْضِ لَا يَمْنَعُ الْمَشَارَكَةَ.

و(التَّوْحِيدُ) لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ إِبْتِثَاتٍ مُضَادٍّ لِلتَّعْطِيلِ، وَنَفْيٍ مُضَادٍّ لِلْمُشَارَكَةِ.

فَلَوْ قُلْتَ: لَا قَائِمَ فِي الْبَيْتِ. فَهَذَا نَفْيٌ مُحْضٌ، إِذْ يَنْفِي أَنْ يُوجَدَ قَائِمٌ فِي الْبَيْتِ، إِذَنْ: هُوَ تَعْطِيلٌ، أَي: مَعْنَاهُ أَنَّا حَكَمْنَا بَعْدَمَ الْقِيَامِ بِهَذَا الْبَيْتِ، وَإِذَا قُلْتَ: فَلَانَّ قَائِمٌ فِي الْبَيْتِ. فَهَذَا إِبْتِثَاتٌ؛ لِوُجُودِ قَائِمٍ فِي الْبَيْتِ، لَكِنْ لَا يَمْنَعُ الْمَشَارَكَةَ، فَيُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ



وَمَضَى عَلَيْهِ التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ<sup>١</sup> مِمَّنْ أَدْرَكُوا زَمَنَ الصَّحَابَةِ أَوْ جَاؤُوا  
بَعْدَهُمْ مِنْ أُمَّةٍ اهْدَى الْمُسْتَحِقِّينَ لِرِضَا اللَّهِ عَزَّجَلَّ.....

فُلَانٌ آخَرُ قَائِمٌ فِي الْبَيْتِ، فَإِذَا قُلْتُ: لَا قَائِمٌ فِي الْبَيْتِ إِلَّا فُلَانٌ، فَلَا نَ وَحْدَتَ، أَيْ:  
جَعَلْتُ الْقَائِمَ وَاحِدًا، فَهَذَا فِيهِ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ.

وَلَوْ قُلْتُ: «اللَّهُ إِلَهٌ» لَمْ تَكُنْ مُوَحِّدًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَمْنَعُ الْمَشَارَكَةَ، فَلَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ  
هُنَاكَ إِلَهٌ آخَرُ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُكَزَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾  
[البقرة: ١٦٣].

لَوْ قُلْتُ: «لَا إِلَهَ» فَهَذَا تَعْطِيلٌ، وَإِذَا قُلْتُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فَهَذَا تَوْحِيدٌ،  
فَالْتَوْحِيدُ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ، وَهُمَا الرُّكْنَانِ الْأَسَاسَانِ.  
فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ كَيْفَ يَكُونُ تَوْحِيدًا، وَلَا يُوجَدُ  
فِيهِ نَفْيٌ؟

وَالْجَوَابُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ فِيهَا نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ؛ لِأَنَّ (إِنَّمَا) لِلْحَصْرِ،  
وَالْحَصْرُ هُوَ إِثْبَاتُ الْحُكْمِ فِي الْمَذْكُورِ وَنَفْيُهُ عَمَّا سِوَاهُ، وَالْحَصْرُ يَكُونُ بِ(لَا) النَّافِيَةِ  
أَوْ مَا جَرَى مَجْرَاهَا مِنْ صَيَغِ الْحَصْرِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَمَضَى عَلَيْهِ التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ».

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلِ التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَشْمَلُ الْقَرْنَ الثَّانِي فَقَطْ، أَمْ الثَّانِي  
وَمَا بَعْدَهُ؟ الْجَوَابُ: «التَّابِعُونَ» لَهَا مَعْنِيَانِ:

١ - مَعْنَى خَاصٍّ، وَهُوَ أَهْلُ الْقَرْنِ الثَّانِي، وَلِهَذَا يُقَالُ: الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ  
وَتَابِعُوهُمْ.

٢- وَلَهَا مَعْنَى عَامٌّ: وَتَشْمَلُ كُلَّ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَقْصُرُوا فِي مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَلَمْ يَزِيدُوا، فَمَنْ قَصَرَ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْ بِإِحْسَانٍ، وَمَنْ زَادَ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْ بِإِحْسَانٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي وَصْفِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»<sup>(١)</sup>، فَهَذِهِ الْمِثَالَةُ هِيَ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِهَا الْإِتِّبَاعُ بِإِحْسَانٍ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَإِنَّهُ اتِّبَاعٌ نَاقِصٌ.

مَسْأَلَةٌ: فَرَّقَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بَيْنَ الدَّاعِيَةِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَبَيْنَ الْمُقَلِّدِ، فَحَكَمُوا عَلَى الدَّاعَاةِ لِلْبِدْعِ - إِذَا كَانَتْ مُخْرِجَةً عَنِ الْإِسْلَامِ - بِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ، وَعَلَى الْمُقَلِّدَةِ بِأَنَّهُمْ غَيْرُ كُفَّارٍ؛ لِأَنَّهُمْ جَاهِلُونَ.

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى مَسَلِكِ هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ الْمُضِلِّينَ فِي النُّصُوصِ لَا يَخْرُجُ عَنْ أَحَدٍ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، إِنْ كَانَتِ النُّصُوصُ لَا يُمَكِّنُ تَكْذِيبُهَا؛ لِحُجُوءِهَا إِلَى التَّحْرِيفِ، مِثْلَ الْقُرْآنِ لَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يُكْذِبُوهُ، وَمَا تَوَاتَرَ مِنَ السُّنَّةِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُكْذِبُوهُ؛ فَإِنَّهُمْ يَلْجَأُونَ إِلَى التَّحْرِيفِ، وَيَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]: جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ. وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَقُولُوا: مَا جَاءَ اللَّهُ. لَوْ قَالُوا: لَمْ يَجِئِ اللَّهُ. كَفَرُوا؛ وَقَالُوا فِي رُؤْيَا اللَّهِ عَزَّجَلَّ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۖ (٢١) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ»<sup>(٢)</sup>، وَلَمَّا لَمْ يَسْتَطِيعُوا تَكْذِيبَ ذَلِكَ لِحُجُوءِهَا إِلَى التَّحْرِيفِ، وَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي يُرَى ثَوَابُ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ»

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الإيذان، باب ما جاء في افتراق الأمة، رقم (٢٦٤١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٥٤)، مسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم (٦٣٣).

حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّيْقُوتَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] <sup>(١)</sup>.

أي: سَتَرُونَ ثَوَابَ رَبِّكُمْ، وقالوا أيضًا في قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿[القيامة: ٢٢-٢٣]، أي: إِلَى ثَوَابِ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ!.

فالشَيْءُ الَّذِي لَا يُمَكِّنُهُمْ تَكْذِيبُهُ يَلْجَأُونَ فِيهِ إِلَى التَّحْرِيفِ، وَالشَّيْءُ الَّذِي يُمَكِّنُهُمْ تَكْذِيبُهُ يَقُولُونَ: هَذَا خَبَرُ آحَادٍ، وَلَا يُقْبَلُ فِي الْعَقَائِدِ. كَرَدَّ الْقَدَرِيَّةِ لِحَدِيثِ مُحَاجَّةِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَإِنَّ آدَمَ احْتَجَّ بِالْقَدَرِ <sup>(١)</sup>، قالوا: هَذَا كَذِبٌ، لَمْ يَصَحَّ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ؛ لَأَنَّهُ ضِدُّ مَا قَالُوا، فَهُمْ يُنْكِرُونَ الْقَدَرَ وَيَقُولُونَ: الْإِنْسَانُ مُسْتَقِلٌّ، وَلَا اخْتِجَاجَ بِالْقَدَرِ.

أَمَّا أَهْلُ الْحَقِّ فَإِنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ النُّصُوصَ إِذَا صَحَّتْ، وَيَقُولُونَ: سَمِعْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا. وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُحَرِّفُوهَا، بَلْ يُبْقَوْنَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْأَلْبَابُ.

[١] قوله: ﴿وَالسَّيْقُوتَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾. هَلْ (مِنْ) لِلتَّبَعِضِ أَمْ لَهَا مَعْنَى آخَرُ؟

(مِنْ) هُنَا لِلْبَيَانِ، أَيُّ: (مِنْ) بَيَانِيَّةٌ، تُبَيِّنُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ؛ لِأَنَّ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ لَا شَكَّ أَنَّهُمُ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، فَعَلَى هَذَا نَقُولُ: (مِنْ) بَيَانِيَّةٌ؛

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾، رقم (٤٣٦٩).

ثُمَّ خَلَفَ خُلُوفٌ عَمُوا عَنِ الْحَقِّ أَوْ تَعَامُوا عَنْهُ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا قُصُورًا  
أَوْ تَقْصِيرًا، أَوْ عُذْوَانًا وَظُلْمًا، فَأَحْدَثُوا فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَيْسَ مِنْهُ فِي الْعَقِيدَةِ،  
وَالْعِبَادَةِ وَالسُّلُوكِ، وَحَرَّفُوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نُصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَوْ كَذَّبُوهَا  
إِنْ أُمَكَّنَهُمْ ذَلِكَ<sup>[١]</sup>.

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾، فَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَعْدَ بَعْثَةِ  
الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا لَمْ يَتَّبِعُوهُ فَهُمْ كُفَّارٌ، وَالْمُشْرِكِينَ كُفَّارٌ، فَانْتَبَهُوا لِلْفَرْقِ بَيْنَ  
(مِنْ) الْبَيَانِيَّةِ الَّتِي تُوضِّحُ الْمَجْمَلَ فِيمَا سَبَقَ، وَ(مِنْ) التَّبَعِيَّةِ الَّتِي تَجْعَلُ مَا سَبَقَ  
قِسْمَيْنِ؛ قِسْمٌ مَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ (مِنْ)، وَقِسْمٌ آخَرُ مَا خَالَفَهُ.

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَلْحَسِنُ﴾، هَؤُلَاءِ تَابِعُونَ لِمَنْ قَبْلَهُمْ، لَكِنْ لَيْسَ مُجَرَّدُ الْإِتْبَاعِ،  
بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعُ بِإِحْسَانٍ، بِحَيْثُ يَحْذُونَ حَذْوَهُمْ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ،  
أَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّهُ مُتَّبِعٌ. وَلَكِنَّهُ ابْتَدَعَ فِي دِينِ اللَّهِ أَوْ أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ؛ فَهَذَا لَيْسَ مُتَّبِعًا،  
وَنَسَمِعَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَالتَّابِعِينَ»  
وَلَا يَقَيِّدُ بِإِحْسَانٍ، وَهَذَا نَقْصٌ فِي التَّعْبِيرِ:

أولاً: لَأَنَّهُ خِلَافُ الْقُرْآنِ.

الثاني: أَنَّ مُجَرَّدَ الْإِتْبَاعِ لَا يَكْفِي، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ اتِّبَاعًا بِإِحْسَانٍ.

[١] هَذَا صَحِيحٌ، فَكُلُّ الْمُبْتَدِعَةِ إِنْ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَرُدُّوا النُّصُوصَ فَعَلُوا، وَإِلَّا  
حَرَّفُوهَا، فَلَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَرُدُّوا الْقُرْآنَ، وَالْمُتَوَاتِرَ مِنَ السُّنَّةِ، وَلَكِنَّهُمْ رَدُّوا أَخْبَارَ الْآحَادِ،  
وَقَالُوا: إِنَّ الْعَقَائِدَ لَا تُثَبِّتُ بِأَخْبَارِ الْآحَادِ، وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ خَطَأٌ عَظِيمٌ، فَجَمِيعُ  
الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْعَمَلِيَّاتِ كُلُّهَا تُثَبِّتُ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ إِذَا صَحَّ النُّقْلُ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ عَامَّةَ الْبِدْعِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعُلُومِ وَالْعِبَادَاتِ إِنَّمَا وَقَعَ فِي الْأُمَّةِ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، حَيْثُ قَالَ: «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي»<sup>(١)</sup>.....

وَالْعَجَبُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ عَقِيدَةٌ، وَالْعَقِيدَةُ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ يَقِينٍ. وَنَقُولُ لَهُمْ: أَلَسْتُمْ تَوْجِبُونَ الْعَمَلَ بِأَخْبَارِ الْآحَادِ؟ تَوْجِبُونَ أَنْ يَتَعَبَّدَ الْإِنْسَانُ لِلَّهِ بِهَا، وَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَعَبَّدَ إِلَّا بِالْعَقِيدَةِ؟ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُصَلِّيَ صَلَاةَ الظُّهْرِ مَثَلًا إِلَّا وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مَفْرُوضَةٌ عَلَيْهِ، فَهُمْ مُتَنَاقِضُونَ، وَلَا بُدَّ -لِيَبَيِّنَ الْحَقَّ- أَنَّ كُلَّ مَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ فَإِنَّهُ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ.

إِذَنْ: سَبَبُ ضَلَالٍ هَؤُلَاءِ:

- إِمَّا الْقُصُور؛ لِأَنَّهُ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ.
- وَإِمَّا التَّقْصِيرَ فِي طَلَبِ الْحَقِّ؛ لِأَنَّ عِنْدَهُمْ قُدْرَةً وَاسْتِعْدَادًا لِلْعِلْمِ، لَكِنَّهُمْ مُقْصِرُونَ.
- وَإِمَّا مُعْتَدُونَ ظَالِمُونَ.

وَالَّذِينَ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا لَا يَخْرُجُونَ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ؛ فَائِمَّةُ الْبِدْعِ الَّذِينَ سَلَطُوا أَقْلَامَهُمْ وَأَلَسَّتْهُمْ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ وَأَهْلِ السُّنَّةِ، هَؤُلَاءِ يُوصَفُونَ

(١) أخرجه أحمد (١٢٦/٤)، رقم (١٧٢٧٥)، وأبو داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة رقم (٤٦٠٧)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه، كتاب الإيمان وفصائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٢).

-إِلَى أَنْ قَالَ- فَلَمَّا ذَهَبَتْ دَوْلَةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَصَارَ مُلْكًا، ظَهَرَ النِّقْصُ فِي الْأُمَرَاءِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ أَيْضًا فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ<sup>[١]</sup>.

بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَعَامَّتُهُمْ لَا يَخْرُجُونَ عَنِ الْقُصُورِ أَوْ التَّقْصِيرِ، فَهُمْ إِمَّا قَاصِرُونَ، أَوْ مُقْصِرُونَ، أَوْ جَامِعُونَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.

[١] قوله: «إِذَا ظَهَرَ النِّقْصُ فِي الْأُمَرَاءِ»، لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْأُمَرَاءِ أُمَرَاءَ الْمَنَاطِقِ، فَالْمَقْصُودُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ -الْخَلِيفَةُ الْعَامَّةُ أَوْ الْحَاكِمُ-؛ يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ: إِذَا ظَهَرَ النِّقْصُ فِي الْأُمَرَاءِ ظَهَرَ النِّقْصُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ؟ فَالْجَوَابُ: إِنَّ الْعُلَمَاءَ -فِيمَا نَرَى- ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: عَالِمُ دَوْلَةٍ: وَهُوَ الَّذِي يَنْظُرُ مَاذَا يُرِيدُ الْأَمِيرُ، فَإِذَا أَرَادَ شَيْئًا وَجَّهَ مِنْ أَجْلِهِ دَلَالَةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَوَّى أَعْنَاقَ النُّصُوصِ؛ لِتُؤَافِقَ هَوَى هَذَا الْأَمِيرِ.

الثَّانِي: عَالِمُ أُمَّةٍ: بِمَعْنَى أَنَّهُ يَرَى مَا يُلَايِمُ النَّاسَ وَمَا يَجْمَعُهُمْ حَوْلَهُ -بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِهِ صَوَابًا أَمْ خَطَأً-، فَمَثَلًا إِذَا رَأَى النَّاسَ مُتَّجِهِينَ إِلَى الْغِنَاءِ وَاللَّهُوِ؛ ذَهَبَ يَقُولُ: إِنَّ الْغِنَاءَ لَيْسَ حَرَامًا. وَإِذَا رَأَى النَّاسَ قَدْ ذَهَبُوا إِلَى الْمَعَامَلَاتِ الرَّبَوِيَّةِ؛ ذَهَبَ يَقُولُ: إِنَّ الرِّبَا لَيْسَ حَرَامًا إِلَّا إِذَا تَصَمَّنَ الظُّلْمُ، وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ، فَعَالِمُ الْأُمَّةِ يَنْظُرُ مَاذَا تُرِيدُ الْأُمَّةُ فَيَقْتِي بِهِ، وَيُجَرِّدُ مِنْ أَجْلِهِ مِنْ صَيَغِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الثَّالِثُ: عَالِمُ مِلَّةٍ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَقُومَ الْمِلَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ رِضَا الْحَاكِمِ أَوْ الشَّعْبِ، وَلَا يُهَمُّهُ إِلَّا أَنْ يُرِضِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُقِيمَ مِلَّةَ اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ الْعَالِمُ حَقًّا.

فالشَّاهِدُ مِنْ كَلَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَ النِّقْصُ فِي الْأُمَرَاءِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ».

وَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِذَا ظَهَرَ النِّقْصُ فِي الْأُمَرَاءِ، فَلِمَ إِذَا نَقُولُ: إِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ؟ وَلِمَ إِذَا لَا نَقُولُ: إِنَّ النِّقْصَ يَكُونُ فِي الْأُمَرَاءِ مَعَ اسْتِقَامَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ؟

الجواب: لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ هُوَ عَالِمٌ دَوْلَةً، وَلَيْسَ عَالِمٌ مِلَّةً، أَيْ: يَفْعَلُ مَا تُرِيدُ الدَّوْلَةُ، وَقَدْ يُحَرِّفُ نُصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَجْلِ إِرْضَاءِ الدَّوْلَةِ، فَإِذَا فَسَدَتْ الْأُمَرَاءُ (الْحُكَّامُ)، فَإِنَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَكُونُ تَبَعًا لَهُمْ؛ فَيُحَرِّفُ نُصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَجْلِ مُوَافَقَةِ أَهْوَاءِ هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءِ، لَكِنْ إِذَا صَلَحُوا لَمْ يَتِمَّكَّنْ أَحَدٌ مِنْ مُخَالَفَةِ طَرِيقَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا خَالَفَهُمْ فَسَيُنْزِلُونَ بِهِ الْعُقُوبَةَ.

وَلِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا ظَهَرَ النِّقْصُ فِي الْأُمَرَاءِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ أَيْضًا فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ»، فَذَكَرَ ظُهُورَ النِّقْصِ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَفِي أَهْلِ الدِّينِ أَيْضًا؛ لِأَنَّ الْأُمَرَاءَ إِذَا نَقَصُوا، وَصَارُوا لَا يَهْتَمُّونَ بِالْمُنْكَرَاتِ فَلَمْ يَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، ظَهَرَ النِّقْصُ أَيْضًا فِي الدِّينِ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وَمِنْ هَذِهِ النُّقْطَةِ نَعْرِفُ أَنَّ صَلَاحَ الْأُمَّةِ بِصَلَاحِ وُلائِهَا، فَإِذَا صَلَحَ الْوُلاَةُ صَلَحَتِ الْأُمَّةُ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «كَمَا تَكُونُونَ يُؤَلَّى عَلَيْكُمْ»<sup>(١)</sup>.

فَالنَّاسُ إِذَا ظَلَمُوا سُلِّطَتْ عَلَيْهِمُ الْوُلاَةُ، وَالْوُلاَةُ إِذَا نَقَصَ دِينُهُمْ ظَهَرَ ذَلِكَ النِّقْصُ فِي الْأُمَّةِ تَبَعًا.

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١ / ٣٣٦).

فَحَدَّثَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِذَعَتَا الْخَوَارِجِ وَالرَّافِضَةِ إِذْ هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ  
بِالْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ وَتَوَابِعَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ<sup>[١]</sup>.

وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْتُ؛ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْعِثُ الرَّسُولَ إِلَى أُمَّةٍ ضَالَّةٍ فَيَهْدِيهِمُ اللَّهُ عَلَى يَدِهِ  
بِصَلَاحِهِ، وَأَنَّهُ يَظْهَرُ قَائِدُ شَرِّرٍ فِي الْأُمَّةِ فَيَفْسُدُ عَلَى يَدَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَمِنْ ثَمَّ صَارَ  
«النَّاسُ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ»، وَصَارَ الْمُلُوكُ أَيْضًا يُسَلِّطُونَ بِحَسَبِ ظُلْمِ الرَّعِيَّةِ.

وَعَالِبُ الْحُكَّامِ سِلَاحُهُمُ الْعُلَمَاءُ، لِذَا فَالْوَاقِعُ أَنَّهُ يَظْهَرُ الْكَثِيرُ مِنْ عُلَمَاءِ الدَّوْلَةِ،  
لَكِنْ لَوْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَجْمَعُوا عَلَى الْحَقِّ؛ لَمَا اسْتَطَاعَ الْأَمْرَاءُ أَنْ يُخَالِفُوهُمْ، لَكِنْ نَجِدُ الْأَمْرَاءَ  
الَّذِينَ يُخَالِفُونَ الشَّرْعَ، عِنْدَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يُفْتِيهِمْ بِمَا يُوَافِقُ هَوَاهُمْ.

[١] قَوْلُهُ: «فَحَدَّثَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِذَعَتَا الْخَوَارِجِ وَالرَّافِضَةِ».

بِذَعَتَا الْخَوَارِجِ وَالرَّافِضَةِ بِذَعَتَانِ مُتَقَابِلَتَانِ؛ لِأَنَّ الْخَوَارِجَ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ بْنِ  
ي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَتَلُوهُ، وَالرَّوَافِضَ غَلَوْا فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَهْلُوهُ، حَتَّى قَالَ  
عِيْمُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَأٍ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنْتَ اللَّهُ حَقًّا)، وَلَكِنْ عَلِيٌّ بْنُ  
ي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انْتَقَمَ مِنْهُمْ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فَخُدَّتْ، ثُمَّ أُضْرِمَتْ بِهَا النَّارُ، ثُمَّ  
حَرَقَهُمْ بِهَا؛ لِعِظَمِ جُرْمِهِمْ.

فَإِنَّ قَوْمًا يُؤْهِنُونَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ مِنْ أَكْفَرِ أَهْلِ الْأَرْضِ.

إِذِنْ: انْقَسَمَ النَّاسُ فِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَيَاتِهِ إِلَى قِسْمَيْنِ:

١- غُلَاة.

٢- وَنَاقِصَةٌ.

فَالْخَوَارِجُ انْتَقَصُوا حَقَّهُ، وَالرَّوَافِضُ غَلَوْا فِيهِ.



وَهُمْ إِنَّمَا دَخَلُوا مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ - نَاحِيَةِ الْغُلُوِّ فِي آلِ الْبَيْتِ - مِنْ أَجْلِ إِفْسَادِ دِينِ النَّاسِ وَصَدَّهُمْ عَنِ التَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَعَلَّقَ بِالْمَخْلُوقِ وَعَظَّمَهُ وَعَلَا فِيهِ؛ انْصَرَفَ الْقَلْبُ عَنِ تَعْظِيمِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُحذِّرُ كَثِيرًا مِنَ الْغُلُوِّ وَيَقُولُ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ»<sup>(١)</sup>.

وَلِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الرَّوَافِضِ: «إِنَّهُمْ عَمَرُوا الْمَشَاهِدَ، وَخَرَّبُوا الْمَسَاجِدَ»<sup>(٢)</sup>، فَهُمْ يَرُونَ أَنَّ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ لَا تَجِبُ، وَأَنَّهَا لَا تُصَلَّى إِلَّا خَلْفَ مَعْصُومٍ.

فَبَدَعُوا (الرَّافِضِ) كَانَتْ مَبْنِيَّةً عَلَى الْغُلُوِّ فِي آلِ الْبَيْتِ؛ لَصُدُّ النَّاسِ عَنِ تَعْظِيمِ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ حَتَّى يَقَعُوا فِي الشُّرْكِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، هَذَا مِنْ وَجْهِ، وَمِنْ وَجْهِ آخَرَ حَتَّى يَتَوَصَّلُوا إِلَى الْقَذْحِ فِي أَفْضَلِ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلِهَذَا قَالُوا: «إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ كَانَا ظَالِمَيْنِ»، وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ.

حَتَّى إِنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ ذَكَرَ عَنِ الرَّافِضَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: «إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مَاتَا عَلَى النِّفَاقِ»، وَهُمَا أَفْضَلُ الْأُمَّةِ، بَلْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ.

وَإِذَا انْحَطَّ قَدْرُ هَؤُلَاءِ الزُّعَمَاءِ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، وَمَنْ سَلَطُوا عَلَيْهِ أَلَسْتَهُمْ بِالسُّوءِ، وَهُمْ بَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ إِلَّا نَفَرًا قَلِيلًا مِنْهُمْ، فَإِنَّ الثَّقَةَ بِالشَّرِيعَةِ كُلِّهَا سَوْفَ تَنْعَدِمُ؛ لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ جَاءَتْنا مِنْ قِبَلِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ نَقَلُوهَا إِلَيْنَا، فَإِذَا كَانُوا مُحِطًا بِالسَّبِّ وَالسَّتَمِ، فَمَنْ يَثِقُ بِنَقْلِهِمْ إِذَا كَانُوا فَسَقَةً، فَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ

(١) أخرجه النسائي: كتاب مناسك الحج، باب النقاط الحصى، رقم (٣٠٠٧)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، رقم (٣٠٢٩).

(٢) انظر: شرح اقتضاء الصراط المستقيم لفضيلة الشيخ الشارح رحمه الله تعالى (ص: ٦٢٨).

وَكَانَ مُلْكُ مُعَاوِيَةَ مُلْكًا وَرَحْمَةً، فَلَمَّا ذَهَبَ وَجَاءَتْ إِمَارَةُ يَزِيدَ وَجَرَتْ فِيهَا فِتْنَةٌ قَتَلَ الْحُسَيْنَ بِالْعِرَاقِ، وَفِتْنَةُ أَهْلِ الْحَرَّةِ بِالْمَدِينَةِ وَحَصَرُوا مَكَّةَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ. ثُمَّ مَاتَ يَزِيدُ وَتَفَرَّقَتِ الْأُمَّةُ: ابْنُ الزُّبَيْرِ بِالْحِجَازِ، وَبَنُو الْحَكَمِ بِالشَّامِ، .....

ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَتِيدِينَ ﴿٦٠﴾ [الحجرات: ٦٠].

فَإِذَا كُنَّا أَمْرًا بِالتَّوَقُّفِ بِخَيْرِ الْفَاسِقِ، وَحَكَمْنَا عَلَى الصَّحَابَةِ إِلَّا نَفَرًا قَلِيلًا بِالْفِسْقِ!! فَكُلُّ الشَّرِيعَةِ الْآنَ ذَهَبَتْ، فَأَبْطَلُوا الشَّرِيعَةَ الَّتِي هِيَ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ ﷺ، وَحَاوَلُوا إِبْطَالَ التَّوْحِيدِ بِتَأْلِيهِ مَنْ يَزْعُمُونَهُمْ أَوْلِيَاءَ، وَبِتَأْلِيهِ آلِ الْبَيْتِ.

وَبِدْعَةِ الْخَوَارِجِ جَاءَتْ ضِدَّ بِدْعَةِ الْغُلُوِّ فِي آلِ الْبَيْتِ، وَهُوَ خَطَأٌ أَيْضًا، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْخَوَارِجَ مُحْطِثُونَ، وَالرَّوَافِضَ مُحْطِثُونَ، وَلَا يُقْضَى عَلَى الْبِدْعَةِ بِبِدْعَةٍ أُخْرَى، وَلَكِنْ يُقْضَى عَلَيْهَا بِالسُّنَّةِ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ الْأُمَّةُ الْوَسْطُ هُمْ الَّذِينَ يُعْطُونَ آلَ الْبَيْتِ حَقَّهُمْ مِنْ قَرَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِذَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ، أَمَّا إِذَا كَانُوا كُفَّارًا فَلَنْ تَنْفَعَهُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فِي الدُّنْيَا.

وَلِهَذَا كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقْرَأَ سُورَةَ الْمَسَدِ وَفِيهَا غَايَةُ مَا يَكُونُ مِنَ السَّبِّ وَالْقَدَحِ فِي أَبِي لَهَبٍ، مَعَ أَنَّهُ عَمُّ الرَّسُولِ ﷺ، لَكِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ آلِ الرَّسُولِ لَهُمْ حَقُّ الْقَرَابَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ لَهُمْ حَقُّ الْغُلُوِّ، وَهُمْ يَتَبَرَّؤُونَ مِنَ الْغُلُوِّ فِيهِمْ.

إِذَنْ: مِنْ أَقْدَمَ مَا يَكُونُ مِنَ الْبِدْعِ -إِنْ لَمْ تَكُنْ أَقْدَمَ شَيْءٍ- بِدْعَةُ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ.

وَوَثَبَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ وَغَيْرُهُ بِالْعِرَاقِ، وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ بَقِيَ فِيهِمْ مِثْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ وَغَيْرِهِمْ، حَدَّثَتْ بِدْعَةُ الْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِيَّةِ، فَرَدَّهَا بَقَايَا الصَّحَابَةِ.. مَعَ مَا كَانُوا يُرَدُّونَهُ هُمْ وَغَيْرُهُمْ مِنْ بِدْعَةِ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ<sup>[١]</sup>.

[١] إِنَّ بِدْعَتِي الْخَوَارِجِ وَالرَّافِضَةِ لَيْسَ فِيهِمَا كَلَامٌ عَنِ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَإِنَّمَا كَانَ الْكَلَامُ فِيهِمَا عَنِ الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الْأَحْكَامِ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ جَاءَتْ فِتْنَةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْقَدَرَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْإِنْسَانَ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ، وَلَيْسَ اللَّهُ فِيهِ تَعَلُّقٌ، فَهُوَ يَفْعَلُ وَيَتْرَكُ بِإِرَادَتِهِ التَّامَّةِ، وَلَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي فِعْلِهِ إِرَادَةٌ؛ وَهَذَا يُسَمَّوْنَ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا لِلْحَوَادِثِ خَالِقِينَ:

١- الْحَوَادِثُ الْإِلَهِيَّةُ، خَلَقَهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِإِرَادَتِهِ.

٢- وَالْحَوَادِثُ الْبَشَرِيَّةُ، خَلَقَهَا الْإِنْسَانُ بِإِرَادَتِهِ.

فَالْقَدَرِيَّةُ هُمُ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْقَدَرَ بِالنِّسْبَةِ لِأَلِ الْبَشَرِ.

■ وَكَذَلِكَ فِتْنَةُ الْمُرْجِيَّةِ الَّذِينَ أَخْرَجُوا الْأَعْمَالَ عَنِ الْإِيمَانِ، وَقَالُوا: يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا كَامِلًا الْإِيمَانِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَفْسَقِ عِبَادِ اللَّهِ، أَيْ: وَإِنْ كَانَ يَزْنِي، وَيَفْسُقُ، وَيَشْرَبُ الْحَمْرَ، وَلَا يُصَلِّيَ مَعَ جَمَاعَةٍ، وَيَفْعَلُ كُلَّ الْمُنْكَرَاتِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ كَامِلٌ الْإِيمَانِ.

■ وَالْخَوَارِجُ عَلَى الْعَكْسِ، يَقُولُونَ: إِذَا فَعَلَ الْإِنْسَانُ كَبِيرَةً؛ خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ نَهَائِيًا، وَصَارَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ الْمَخْلُودِينَ فِيهَا.

وَعَامَّةُ مَا كَانَتْ الْقَدَرِيَّةُ إِذْ ذَاكَ يَتَكَلَّمُونَ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، كَمَا يَتَكَلَّمُ فِيهَا الْمُرْجِيَّةُ فَصَارَ كَلَامُهُمْ فِي الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَالْمُؤْمِنِ وَالْفَاسِقِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا بَعْدُ فِي رَبِّهِمْ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ إِلَّا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ صِغَارِ التَّابِعِينَ مِنْ حِينَ أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ حِينَ شَرَعَ الْقَرْنُ الثَّالِثُ تَابِعُوا التَّابِعِينَ يَنْقَرِضُ أَكْثَرُهُمْ.....

فَهَاتَانِ بَدْعَتَانِ مُتَقَابِلَتَانِ بَيْنَ الْحَوَارِجِ وَالْمُرْجِيَّةِ، وَبَدْعَتَانِ مُتَقَابِلَتَانِ بَيْنَ الرُّوَافِضِ وَالْحَوَارِجِ.

وَلَيْسَ فِي الطَّائِفَتَيْنِ (الْقَدَرِيَّةُ - الْمُرْجِيَّةُ) شَيْءٌ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى الصِّفَاتِ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِيهِمَا عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَالْأَحْكَامِ، هَلْ هُوَ مُسْلِمٌ أَوْ كَافِرٌ؟ أَوْ فِي مَنَزَلَةٍ بَيْنَ الْمَنَزَلَتَيْنِ؟ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

لأنَّ الْمُرْجِيَّةَ يَرَوْنَ أَنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ مُؤْمِنٌ كَامِلُ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْكَبِيرَةَ لَمْ تُنْقِصْ إِيْمَانُهُ، وَأَنَّ الْقَدَرِيَّةَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، يَقُولُونَ: إِنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ خَارِجٌ مِنَ الْإِيمَانِ، لَكِنْ لَيْسَ بِكَافِرٍ، بَلْ هُوَ فِي مَنَزَلَةٍ بَيْنَ الْمَنَزَلَتَيْنِ، وَالْحَوَارِجُ يَرَوْنَ أَنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ وَكَافِرٌ، فَصَارَ كَلَامُ الْمُرْجِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ لَا يَتَعَلَّقُ بِذَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ فِي مَسَائِلِ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ.

وَبَقِيََتِ الْبِدْعَةُ الثَّلَاثَةُ: وَهِيَ بَدْعَةُ الْحَوْضِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، يَقُولُ عَنْهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «إِنَّمَا حَدَّثَتْ فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ صِغَارِ التَّابِعِينَ، مِنْ حِينَ أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ حِينَ شَرَعَ الْقَرْنُ الثَّالِثُ، وَتَابِعُوا التَّابِعِينَ يَنْقَرِضُ أَكْثَرُهُمْ»، فَصَارَتْ هَذِهِ الْبِدْعَةُ مُتَأَخِّرَةً بِالنِّسْبَةِ لِلْكَلامِ عَلَى الْخِلَافَةِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ أَحْكَامِ وَأَعْمَالِ الْعِبَادِ وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ.

فَإِنَّ الْإِعْتِبَارَ بِالْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ بِجُمْهُورِ أَهْلِ الْقَرْنِ وَهُمْ وَسَطُهُ، وَجُمْهُورِ الصَّحَابَةِ انْقَرَضُوا بِانْقِرَاضِ خِلَافَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ بَدْرِ إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ<sup>(١)</sup>.

وَجُمْهُورُ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ انْقَرَضُوا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ أَصَاغِرِ الصَّحَابَةِ فِي إِمَارَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الْمَلِكِ، وَجُمْهُورُ تَابِعِي التَّابِعِينَ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَأَوَائِلِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَصَارَ فِي وِلَاةِ الْأُمُورِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعَاجِمِ، وَخَرَجَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ عَنْ وِلَايَةِ الْعَرَبِ، وَعَرَبَتْ بَعْضُ الْكُتُبِ الْعَجَمِيَّةِ مِنْ كُتُبِ الْفُرْسِ، وَالْهِنْدِ، وَالرُّومِ، وَظَهَرَ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، وَيَخْلِفَ وَلَا يُسْتَخْلَفُ»<sup>(١)</sup>.

وَفِي فَتْحِ الْبَارِي (٦/٧): أَنَّ آخِرَ الصَّحَابَةِ سَنَةَ ١٢٠، .....

[١] قَوْلُهُ: «فَإِنَّ الْإِعْتِبَارَ بِالْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ بِجُمْهُورِ أَهْلِ الْقَرْنِ وَهُمْ وَسَطُهُ»، يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: الْمُعْتَبَرُ بِالْقَرْنِ أَوْسَطُهُ، فَإِذَا انْقَرَضَ أَكْثَرُهُ، وَلَمْ يَبَقْ إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ؛ فَلَا يُعَدُّ هَذَا فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ؛ لِأَنَّهُ وَجَدَ فِي عَصْرِ التَّابِعِينَ الَّذِي هُوَ جُمْهُرُهُ عَصَرُ التَّابِعِينَ، وَجَدَ فِيهِ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ وَجَدَ لَكُنْهَمُ نَفَرٌ قَلِيلٌ، فَلَا عِتْبَارَ بِالْقَرْنِ بِجُمْهُورِ أَهْلِهِ، وَصَارَ فِي وِلَاةِ الْأُمُورِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعَاجِمِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأُمَرَاءِ صَارَ هُمْ وَزَرَاءُ مِنَ الْأَعَاجِمِ، وَفَسَدَتِ الدَّوْلَةُ؛ لِأَنَّ الْعَجَمَ لَيْسُوا كَالْعَرَبِ؛ فَلِذَلِكَ دَخَلَ نَقْصٌ كَبِيرٌ عَلَى الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِسَبَبِ مَنْ اسْتَوَزَرُوهُمْ مِنَ الْأَعَاجِمِ.

(١) رواه أحمد (١٨/١)، رقم (١١٤)، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة رقم (٢١٦٥)، وابن ماجه، كتاب الأحكام، باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد، رقم (٢٣٦٣).

وَأَخِرَ التَّابِعِينَ سَنَةَ ١٨٠، وَأَخِرَ تَابِعِ التَّابِعِينَ سَنَةَ ٢٢٠، قَالَ: «وَفِي هَذَا الْوَقْتِ ظَهَرَتْ الْبِدْعُ ظُهُورًا فَاشِيًا، وَأُطْلِقَتِ الْمُعْتَزَلَةُ أَلْسِنَتَهَا، وَرَفَعَتِ الْفَلَاسِفَةُ رُؤُوسَهَا، وَامْتَحَنَ أَهْلُ الْعِلْمِ؛ لِيَقُولُوا بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَتَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ تَغْيِيرًا شَدِيدًا». اهـ.

حَدَّثَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الرَّأْيُ، وَالْكَلَامُ، وَالتَّصَوُّفُ<sup>[١]</sup>.

وَحَدَّثَ التَّجَهُُّمُ وَهُوَ نَفْيُ الصِّفَاتِ، وَبِإِزَائِهِ التَّمَثِيلُ<sup>[٢]</sup> - إِلَى أَنْ قَالَ - فَإِنَّ مَعْرِفَةَ أَصُولِ الْأَشْيَاءِ وَمَبَادِيئِهَا وَمَعْرِفَةَ الدِّينِ وَأَصْلِهِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَحَدَّثَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الرَّأْيُ، وَالْكَلَامُ، وَالتَّصَوُّفُ».

«الرَّأْيُ»: فِي الْفِقْهِ، وَصَارُوا يَقْدُمُونَ الرَّأْيَ عَلَى النَّصِّ.

«وَالْكَلَامُ»: فِي الْعَقِيدَةِ، فَصَارُوا يَقْدُمُونَ مَا يَدْعُوْنُهُ عَقْلًا عَلَى النَّصِّ.

«وَالتَّصَوُّفُ»: فِي الْعِبَادَةِ وَالسُّلُوكِ.

هَذِهِ مَدَارُ الْبِدْعِ الَّتِي حَدَّثَتْ بِالْأُمَّةِ، رَأْيٌ فِي الْفِقْهِ يُقَابَلُ بِهِ النَّصُّ، وَكَلَامٌ فِي الْعَقِيدَةِ يُقَابَلُ بِهِ أَيْضًا النَّصُّ، وَتَّصَوُّفٌ يُقَابَلُ بِهِ النَّصُّ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَحَدَّثَ التَّجَهُُّمُ وَهُوَ نَفْيُ الصِّفَاتِ، وَبِإِزَائِهِ التَّمَثِيلُ».

التَّجَهُُّمُ: نَفْيُ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ مَذْهَبَ الْجَهْمِيَّةِ يَنْبَنِي عَلَى هَذَا، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِذَلِكَ هُوَ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ، حَيْثُ نَفَى الْكَلَامَ وَالْمَحَبَّةَ، وَحَدَّثَ بِدْعَةً مُقَابِلَةً لَهُؤُلَاءِ وَهِيَ بِدْعَةُ التَّمَثِيلِ، قَالُوا: تُقَابَلُ هَؤُلَاءِ الْمُعْطَلَّةُ بِإِثْبَاتِ نَعْلُو فِيهِ فَنُمَثِّلُ. وَسَبَقَ أَنْ قُلْنَا: إِنَّ الْبِدْعَةَ لَا تُقَابَلُ وَلَا تُقْتَلُ بِالْبِدْعَةِ، وَإِنَّمَا تُقْتَلُ بِالسُّنَّةِ.

وَأَصْلُ مَا تَوَلَّدَ فِيهِ مِنْ أَعْظَمِ الْعُلُومِ نَفْعًا، إِذِ الْمَرْءُ مَا لَمْ يُحِطْ عِلْمًا بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَخْتَاجُ إِلَيْهَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ حَسَكَةٌ<sup>(١)</sup>. اهـ<sup>(١)</sup>.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِدْعَةُ الْقَدَرِ أَذْرَكَتْ آخِرَ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، فَأَنْكَرَهَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ حَيًّا كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَمْثَالِهِمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ حَدَّثَتْ بِدْعَةُ الْإِرْجَاءِ بَعْدَ انْقِرَاضِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، فَتَكَلَّمَ فِيهَا كِبَارُ التَّابِعِينَ الَّذِينَ أَذْرَكُوها، ثُمَّ حَدَّثَتْ بِدْعَةُ التَّجَهُُّمِ بَعْدَ انْقِرَاضِ عَصْرِ التَّابِعِينَ وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهَا وَاسْتَطَارَ شَرُّهَا فِي زَمَنِ الْأَئِمَّةِ كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَذَوِيهِ، ثُمَّ حَدَّثَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِدْعَةُ الْحُلُولِ، وَظَهَرَ أَمْرُهَا فِي زَمَنِ الْحُسَيْنِ الْحَلَّاجِ<sup>(٢)</sup>، وَكُلَّمَا أَظْهَرَ الشَّيْطَانُ بِدْعَةً مِنْ هَذِهِ الْبِدَعِ وَغَيْرِهَا أَقَامَ اللَّهُ لَهَا مِنْ حِزْبِهِ وَجُنْدِهِ مَنْ يَرُدُّهَا وَيَحْذَرُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا نَصِيحَةً لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَهْلِ الْإِسْلَامِ». اهـ<sup>(٣)</sup>.

وَهَاتَانِ الْبِدْعَتَانِ مُتَقَابِلَتَانِ: (النَّفْيُ، وَالتَّنْزِيهِ)، فَالْنَّفَاةُ غَلَوَا فِي التَّنْزِيهِ، وَالْمِثْلَةُ غَلَوَا فِي الْإِثْبَاتِ، فَهَنَّاكَ مَنْ نَفَى مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، وَقَالَ: لَيْسَ لِلَّهِ وَجْهٌ، وَلَا يَدٌ، وَلَا عَيْنٌ، وَلَا قَدَمٌ... وَأَنْكَرَ الصِّفَاتِ، وَهُنَّاكَ مَنْ أَثْبَتُوا هَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَى وَجْهِ التَّمْثِيلِ.

[١] قَوْلُهُ: «حَسَكَةٌ»؛ أَيُّ شَيْءٍ مِنَ التَّرَدُّدِ وَالْقَلْقِ، فَيَنْبَغِي عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ أَصْلَ الدِّينِ وَمَا جَرَى عَلَيْهِ مِنَ الْبِدَعِ، وَأُصُولَ الْبِدَعِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ تَذَنُّبٌ

(١) راجع مجموع الفتاوى (١٠/٣٥٤ - ٣٦٨). (الشارح)

(٢) هُوَ: الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورِ الْفَارِسِيِّ، نَشَأَ بِتُسْتَرٍ، تَبَرَّأَ مِنْهُ سَائِرُ الصُّوفِيَّةِ وَالْمَشَايخِ وَالْعُلَمَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَسَبَهُ إِلَى الْحُلُولِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَسَبَهُ إِلَى الزَّنْدَقَةِ. انظر سير أعلام النبلاء ١٤/٣١٣.

(٣) تهذيب سنن أبي داود (٦١/٧). (الشارح)

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيِّ: «فِيمَا حَدَّثَ تَدْوِينُ الْحَدِيثِ، ثُمَّ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ، ثُمَّ تَدْوِينُ الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ الْمَوْلَدَةِ مِنَ الرَّأْيِ الْمَحْضِ، ثُمَّ تَدْوِينُ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَعْمَالِ الْقُلُوبِ».

فَأَمَّا الْأَوَّلُ: فَأَنْكَرَهُ عُمَرُ وَأَبُو مُوسَى وَطَائِفَةٌ، وَرَخَّصَ فِيهِ الْأَكْثَرُونَ<sup>[١]</sup>.  
وَأَمَّا الثَّانِي: فَأَنْكَرَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ كَالشَّعْبِيِّ<sup>[٢]</sup>.

وَتَرَدَّدَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا عَرَفَ الْأَصْلَ وَعَرَفَ مَا طَرَأَ عَلَيْهِ؛ أَمْكَنَهُ أَنْ يُزِيلَ هَذَا الطَّارِئَ، وَيَرْجِعَ إِلَى الْأَصْلِ.

[١] الْأَوَّلُ: تَدْوِينُ السُّنَّةِ، أَنْكَرَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَبُو مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَطَائِفَةٌ، وَحُجَّتُهُمْ؛ لِأَنَّهُ يَشْتَبِهُ الْقُرْآنُ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّ الصَّوَابَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُنْكَرِ؛ لِأَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «اكْتُبُوا لِأَيِّ شَأْنٍ»<sup>(١)</sup>، وَثَبَتَ أَيْضًا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ- كَانَ يَكْتُبُ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ<sup>(٢)</sup>.

[٢] الثَّانِي: التَّفْسِيرُ، أَنْكَرَهُ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: لِأَنَّ التَّفْسِيرَ يَكُونُ إِلَى جَنْبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَيُخْشَى أَنْ يَخْتَلَفَ هَذَا بِهَذَا فَيَشْتَبِهَ بِهِ، وَلَكِنْ دَرَجَتِ الْأُمَّةُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ التَّفْسِيرَ يُكْتَبُ بِجَانِبِ الْقُرْآنِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب اللقطة، باب كيف تعرف لقطة أهل مكة، رقم (٢٣٠٢)، ومسلم: كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلوها وشرها ولقطةها إلا لمنشد على الدوام، رقم (١٣٥٥).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٢٦٢).



وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَنكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَطَائِفَةٌ يَسِيرَةٌ، وَكَذَا اشْتَدَّ إنْكَارُ أَحْمَدَ لِلَّذِي بَعْدَهُ<sup>١</sup>.

وَمِمَّا حَدَّثَ أَيْضًا تَدْوِينُ الْقَوْلِ فِي أُصُولِ الدِّيَانَاتِ، فَتَصَدَّى لَهَا الْمُثَبِّتَةُ وَالنُّفَاةُ، فَبَالَغَ الْأَوَّلُ حَتَّى شَبَّهَ، وَبَالَغَ الثَّانِي حَتَّى عَطَّلَ، وَاشْتَدَّ إنْكَارُ السَّلَفِ لِذَلِكَ كَأَبِي حَنِيفَةَ، وَأَبِي يُوسُفَ، وَالشَّافِعِيَّ، وَكَلَامُهُمْ فِي ذَمِّ أَهْلِ الْكَلَامِ مَشْهُورٌ.

وَسَبَبُهُ أَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا فِيهَا سَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَثَبَتَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ شَيْءٌ مِنَ الْأَهْوَاءِ، يَعْنِي: بِدْعَ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْقَدَرِيَّةِ، وَقَدْ تَوَسَّعَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنِ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْفَاضِلَةِ فِي غَالِبِ الْأُمُورِ الَّتِي أَنْكَرَهَا أَيْمَةُ التَّابِعِينَ وَاتَّبَاعُهُمْ، وَلَمْ يَقْتَنِعُوا بِذَلِكَ حَتَّى مَزَجُوا مَسَائِلَ الدِّيَانَةِ بِكَلَامِ الْيُونَانِ وَجَعَلُوا كَلَامَ الْفَلَسِيفَةِ أَصْلًا يَرُدُّونَ إِلَيْهِ مَا خَالَفَهُ مِنَ الْأَثَارِ بِالتَّأْوِيلِ وَلَوْ مُسْتَكْرَهًا، .....  
.....

[١] الثَّالِثُ: تَدْوِينُ الْمَسَائِلِ الْفِقْهِيَّةِ الْمَوْلَدَةِ مِنَ الرَّأْيِ الْمُخَصِّصِ، هَذَا أَيْضًا عَكْسُ مَا قَامَ بِهِ الْحَنْفِيَّةُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛ وَلِهَذَا تَجِدُونَ لِقَبْهِمْ فِي كُتُبِ الْخِلَافِ يَقُولُونَ: «وَقَالَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ...»، وَيَعْنُونَ بِذَلِكَ: الْحَنْفِيَّةَ، وَلِذَلِكَ قُلَّ أَنْ تَجِدَ فِي كُتُبِهِمْ اسْتِدْلَالًا بِالْحَدِيثِ أَوْ السُّنَّةِ، بَلْ أَكْثَرُ مَا يَسْتَدِلُّونَ بِهِ أَنْ يُعْلَلُوا الْمَسْأَلَةَ نَظَرِيًّا، وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الرَّأْيِ.

وهذا الْقِسْمُ أَنْكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَجَمَاعَةٌ، وَقَالُوا: حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ لَمْ يَكْتَفُوا بِذَلِكَ حَتَّى زَعَمُوا أَنَّ الَّذِي رَتَّبُوهُ هُوَ أَشْرَفُ الْعُلُومِ<sup>(١)</sup> وَأَوَّلَاهَا بِالتَّحْصِيلِ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ مَا اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ فَهُوَ عَامِّيٌّ جَاهِلٌ.

[١] قَوْلُهُ: «حَتَّى زَعَمُوا أَنَّ الَّذِي رَتَّبُوهُ هُوَ أَشْرَفُ الْعُلُومِ».

يُشِيرُ إِلَى أَهْلِ الْمَنْطِقِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ مَنْ لَمْ يُحِطْ بِالْمَنْطِقِ عِلْمًا فَهُوَ جَاهِلٌ، وَلَيْسَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِ.

وَهَذَا الْمَنْطِقُ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ مَرْتَبَتُهُ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِيهِ: «كُنْتُ أَعْلَمُ دَائِمًا أَنَّ الْمَنْطِقَ الْيُونَانِيَّ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الذَّكِيُّ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْبَلِيدُ»<sup>(١)</sup>.

إِذَنْ: فَلَا خَيْرَ فِيهِ، وَقَدْ صَارَ عِلْمًا صَارًا لَا يَنْبَغِي أَنْ تُصَرَفَ فِيهِ الْأَوْقَاتُ، وَيَقُولُ الْفَلَاسِفَةُ وَأَهْلُ الْمَنْطِقِ: إِنَّ مَنْ لَمْ يُحِطْ بِعِلْمًا بِالْمَنْطِقِ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْلِ عِلْمًا. وَلَكِنَّ هَذَا كَذِبٌ بِلا شَكٍّ، فِي الصَّحَابَةِ عُلَمَاءُ وَلَمْ يَتَعَلَّمُوا عِلْمَ الْمَنْطِقِ.

وَلِلْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي تَعَلُّمِ الْمَنْطِقِ أَقْوَالٌ:

١- حَرَّمَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ تَعَلُّمَ الْمَنْطِقِ.

٢- وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: بَلْ هُوَ جَائِزٌ.

٣- وَفَصَّلَ بَعْضُهُمْ، وَقَالَ: إِنَّ اخْتِاجَ الْإِنْسَانِ إِلَيْهِ لِيُرَدَّ بِهِ عَلَى أَصْحَابِهِ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ، فَيَكُونُ تَعَلُّمُهُ مِنْ بَابِ الْوَسَائِلِ لَا مِنْ بَابِ الْمَقَاصِدِ، وَهَذَا التَّفْصِيلُ قَدْ يَكُونُ أَقْرَبَ الْأَقْوَالِ لِلصَّوَابِ.

(١) الرد على المنطقيين (ص: ٣).

فَالسَّعِيدُ مَنْ تَمَسَّكَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ، وَاجْتَنَبَ مَا أَخَذَتْهُ الْخَلْفُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بُدٌّ فَلْيَكْتَفِ مِنْهُ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، وَيَجْعَلِ الْأَوَّلَ الْمَقْصُودَ بِالْأَصَالَةِ». اهـ<sup>(١)</sup>

[١] هَذَا كَلَامُ ابْنِ حَجَرٍ، وَبِهِ نَعْرِفُ أَنَّ الرَّجُلَ يَرُومُ مَذْهَبَ السَّلَفِ وَيَطْلُبُهُ، لَكِنَّهُ قَدْ يُخْطِئُ أَحْيَانًا، وَالَّذِي يَظْهَرُ لِلْمُتَأَمِّلِ مِنْ حَالِ ابْنِ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ رَجُلٌ مُتَذَبَذِبٌ بَعْضَ الشَّيْءِ، أَحْيَانًا تَجِدُهُ يَمِيلُ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، وَأَحْيَانًا يَمِيلُ إِلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ، لَكِنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ سَلَفِيٌّ مُحْضٌ، وَأَنَّهُ يَتَمَسَّكُ بِمَذْهَبِ السَّلَفِ.

وَبِهِ نَعْرِفُ ضَلَالَةَ مَنْ انتَقَدَهُ انتِقَادًا مُطْلَقًا، حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: يَجِبُ أَنْ يُحْرَقَ فَتْحُ الْبَارِي فِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ. وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى الْعُلَمَاءِ، فَالْخُرُوجُ لَيْسَ بِالسَّيْفِ، بَلْ يَكُونُ بِالْقَوْلِ، وَيَكُونُ بِالْكَلَامِ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَلَ بِهِمُ الْحَدُّ إِلَى أَنْ قَالُوا مَا قَالُوا، لَا شَكَّ أَنَّ فِيهِمْ نَزْعَةً مِنْ نَزْعَةِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ يُضِلُّونَ النَّاسَ وَيُكْفِرُونَهُمْ، وَيَسْتَبِيحُونَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ لِثَلِ هَذَا الْكَلَامِ.

وَإِبْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ كِبَارِ أَتْبَاعِ الْأَيْمَةِ الَّذِينَ يُعْتَبَرُ قَوْلُهُمْ قَوْلًا سَدِيدًا، وَلَا أَحَدَ يَسْلَمُ مِنَ الْخَطَا، كَمَا أَنَّ النَّوَوِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِثْلُهُ، يُقَالُ فِيهِ مَا يُقَالُ، وَإِنْ كَانَ النَّوَوِيُّ يَمِيلُ إِلَى التَّأْوِيلِ أَكْثَرَ مِنْ ابْنِ حَجَرٍ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ بِالتَّأْوِيلِ فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ، لَكِنَّ الرَّجُلَ لَهُ نِيَّةٌ خَالِصَةٌ طَيِّبَةٌ، فَهُوَ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ الَّذِينَ إِذَا أَخْطَوْا فَلَهُمْ أَجْرٌ، وَإِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِكِتَابِهِ قَبُولًا.

وَلَمَّا كَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ الْبَالِغَةِ أَنْ يَجْعَلَ لِلْحَقِّ مُعَارِضِينَ يَتَبَيَّنُ  
بِمُعَارَضَتِهِمْ صَوَابُ الْحَقِّ وَظُهُورُهُ عَلَى الْبَاطِلِ<sup>(١)</sup>، .....

فالنَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَرَجِعٌ فِي اللُّغَةِ كَمَا فِي (تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ)، وَمَرَجِعٌ فِي  
الْفَقْهِ كَمَا فِي (شَرْحِ الْمُهَذَّبِ)، وَمَرَجِعٌ فِي الْحَدِيثِ كَمَا فِي (شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ)، وَقَوْلُهُ  
مُتَّبِعٌ وَمَقْبُولٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، انْظُرْ إِلَى كِتَابِهِ (رِيَاضُ الصَّالِحِينَ) لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْهُ  
مَسْجِدٌ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ الْعَامُّ وَالْخَاصُّ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى قَبُولِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا  
قَبِلَ شَخْصًا جَعَلَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مَحَبَّةً لَهُ وَقَبُولًا لَهُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ<sup>(٢)</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «وَلَمَّا كَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ الْبَالِغَةِ أَنْ يَجْعَلَ لِلْحَقِّ مُعَارِضِينَ».

هَذِهِ الْجُمْلَةُ قَدْ دَلَّ عَلَيْهَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا  
مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِلْحَقِّ مَنْ  
يُقَاوِمُهُ وَيُعَارِضُهُ، سَوَاءً كَانَ عَلَى يَدِ الرُّسُلِ، أَوْ كَانَ عَلَى يَدِ أَتْبَاعِهِمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَالَ:  
﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، هَادِيًا يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، عَلَى  
خِلَافِ مَا يُرِيدُهُ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ، وَنَصِيرًا يَنْصُرُ مَنْ هَدَاهُ وَاتَّبَعَ هُدَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَنْ كَانَ اللَّهُ هَادِيَهُ وَنَاصِرَهُ فَإِنَّهُ لَنْ يُغْلَبَ، وَلَنْ يُضَلَّهُ أَحَدٌ، كَمَا  
فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ»<sup>(٣)</sup>، وَهَذِهِ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ  
الْحَقَّ لَا يَتَبَيَّنُ تَمَامًا إِلَّا بِوُجُودِ الْمَعَارِضِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ جَبْرِيلَ وَنِدَاءِ اللَّهِ الْمَلَائِكَةَ، رَقْمُ (٧٠٤٧)،

وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَبَبَهُ إِلَى عِبَادِهِ، رَقْمُ (٢٦٣٧).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ، رَقْمُ (٨٦٧).

فَإِنَّ خَالِصَ الذَّهَبِ لَا يَظْهَرُ إِلَّا بِعَرَضِهِ عَلَى النَّارِ، قَيَّضَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِقُدْرَتِهِ  
التَّامَّةِ وَلُطْفِهِ الْوَاسِعِ وَقَهْرِهِ الْغَالِبِ مَنْ يَذْخُصْ حُجَجَ هَؤُلَاءِ الْمَعَارِضِينَ وَيَبَيِّنُ  
زَيْفَ شُبْهِهِمْ وَأَنَّهَا كَمَا قِيلَ:

حُجَجٌ تَهَافَّتْ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ<sup>(١)</sup>

مِثَالٌ: أَنْتُمْ عَلَى عَقِيدَةٍ سَلِيمَةٍ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ-، وَلَيْسَ فِي قُلُوبِكُمْ شَكٌّ وَلَا شُبُهَاتٌ،  
وَلَوْ أَنَّكُمْ شَخْصٌ آخَرُ عَلَى خِلَافِ الْعَقِيدَةِ السَّلِيمَةِ، وَأُورِدَ عَلَيْكُمْ شُبُهَاتٌ، قَدْ لَا  
تَسْتَطِيعُونَ الْجَوَابَ عَنْ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ أَنْ عَارَضَكُمْ أَحَدٌ وَنَاطَرَكُمْ، فَإِذَا  
وُجِدَ مَنْ يَنَاطِرُ وَيَجَادِلُ بِالْبَاطِلِ؛ فَإِنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ سَوْفَ يَعْرِفُ هَذِهِ الشُّبُهَةَ، ثُمَّ  
يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا وَيَذْخُصْ أَصْحَابَهَا؛ لِهَذَا كَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ أَنْ يُوجَدَ  
مُعَارِضُونَ لِلْحَقِّ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الْحَقُّ تَمَامًا، وَكَمَا قِيلَ: خَالِصُ الذَّهَبِ لَا يَظْهَرُ إِلَّا بِعَرَضِهِ  
عَلَى النَّارِ. فَإِنَّ الذَّهَبَ الصَّافِيَ يَبْقَى صَافِيًا، وَمَا شَابَهُ مِنَ الْكَدَرِ يَكُونُ طَافِيًا عَلَى أَعْلَاهُ،  
كَمَا يَطْفُو الطُّحْلُبُ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ، فَمُنْذُ بُعِثَ الرَّسُلُ وَلِلْحَقِّ مَنْ يُعَارِضُهُ.

[١] وَشُبْهُ هَؤُلَاءِ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

«حُجَجٌ تَهَافَّتْ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ»

«حَقًّا»؛ أَي: تَظُنُّهَا حَقًّا، «وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ»: الزُّجَاجُ إِذَا ضَرَبْتَ بَعْضَهُ  
بِبَعْضٍ انْكَسَرَ، وَلَكِنْ أُيِّمَ الَّذِي كَسَرَ الْآخَرَ، لَا يُعْرِفُ، فَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ.  
وَهَذِهِ الشُّبُهَةُ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يُدْبِلُ بِحُجَّةٍ وَالْآخَرُ يَنْقُضُهَا، فَتَجِدُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
يَكْسِرُ الْآخَرَ، وَلَكِنْ لَا يَبْقَى إِلَّا الْحَقُّ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي خُطْبَةٍ كِتَابِ (الرَّدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ) <sup>[١]</sup>: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانٍ فِتْرَةً مِنَ الرُّسُلِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى، وَيُضَيِّرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى، يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ الْمَوْتَى، وَيُبْصِرُونَ بِنُورِ اللَّهِ أَهْلَ الْعَمَى، فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَأَيَّهَ هَدَوْهُ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى النَّاسِ! وَمَا أَقْبَحَ أَثَرِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ! يَنْفُونَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ الَّذِينَ عَقَدُوا أَلْوِيَّةَ الْبِدْعَةِ، وَأَطْلَقُوا عِنَانَ الْفِتْنَةِ، فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ، مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ <sup>[٢]</sup>، مُجْمِعُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ الْكِتَابِ <sup>[٣]</sup>، .....

فَاللهُ جَعَلَ لِلْحَقِّ مُعَارِضِينَ لِيَتَبَيَّنَ الْحَقُّ؛ لِأَنَّ الْمَعَارِضَ سَيَجِدُ لَهُ مَنْ يَرُدُّ قَوْلَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾، كُلُّ نَبِيٍّ، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾، إِنْ أَرَادُوا الْإِضْلَالَ فَكَفَى بِاللَّهِ هَادِيًا، وَإِنْ أَرَادُوا الْغَلْبَةَ فَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا.

[١] قَوْلُهُ: «وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ...» إلخ، هَذَا كَلَامٌ جَيِّدٌ وَوَاضِحٌ لَا يَحْتَاجُ

إِلَى شَرْحٍ.

[٢] يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ» أَيُّ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَهُ قَوْلٌ، «مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ»؛ أَيُّ: مُخَالِفُونَ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ مِنْ وَجُوبِ اتِّبَاعِ الْهُدَى وَالاجْتِنَاءِ عَلَيْهِ.

[٣] قَوْلُهُ: «مُجْمِعُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ الْكِتَابِ»، فَلَدَيْهِمُ الْآنَ اخْتِلَافٌ وَمُخَالَفَةٌ

وِاجِمَاعٌ، فَهُمْ مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ كَذَا، أَوْ أَوْجَبَ كَذَا، أَوْ أَرَادَ كَذَا.

يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ وَفِي اللَّهِ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ<sup>[١]</sup>، يَتَكَلَّمُونَ بِالْمِثَابَةِ مِنَ الْكَلَامِ، وَيُخَدِّعُونَ الْجَهَّالَ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتَنِ الْمُضِلِّينَ». اهـ<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ قَيَّضَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِنُصْرَةِ دِينِهِ وَالذَّبِّ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَالْبَنَانِ وَالسَّنَانِ<sup>[٢]</sup> شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ، ابْنُ تَيْمِيَّةَ، الْمَوْلُودُ فِي حَرَّانَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، الْمُتَوَفَّى مَحْبُوسًا ظُلْمًا فِي قَلْعَةِ دِمَشْقَ لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ الْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ فِي الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ وَلَمْ يَتِمَّ دَفْنُهُ -لِكَثْرَةِ الزَّحَامِ- إِلَّا قَبْلَ الْعَصْرِ بَيْسِيرٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَجَمَعَنَا بِهِ مَعَ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

[١] قَوْلُهُ: «يَقُولُونَ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ»، يَعْنِي: بِمَا يَتَعَلَّقُ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، فَيَقُولُونَ فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، يَقُولُونَ: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ اسْتِوَاءٌ حَقِيقِيٌّ، وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ حَقِيقِيٌّ. وَمَا أَشَبَّهَ ذَلِكَ، وَيَقُولُونَ أَيْضًا «فِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» أَيُّ: يَتَخَبَّطُونَ فِي مَعْنَى الْقُرْآنِ، فَيَقُولُونَ فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَهَمْ يَقُولُونَ «عَلَى اللَّهِ» بِاعْتِبَارِ مُرَادِهِ، يَقُولُونَ: أَرَادَ اللَّهُ كَذَا. يَعْنِي: الْأَحْكَامَ، فَيَقُولُونَ: أَحَلَّ هَذَا أَوْ حَرَّمَ هَذَا. وَيَقُولُونَ «فِي اللَّهِ» فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيَقُولُونَ «فِي كِتَابِ اللَّهِ»، فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَالذَّبُّ عَنْهُ بِاللِّسَانِ، وَالْبَنَانِ، وَالسَّنَانِ».

اللِّسَانُ: هَذَا هُوَ الْقَوْلُ.

الْبَنَانُ: الْكِتَابَةُ.

السَّنَانُ: السَّيْفُ.

فَشَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ مُجَاهِدٌ بِلِسَانِهِ وَبِنَانِهِ وَبِسَنَانِهِ، وَيَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ قَرَأَ حَيَاتَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَعَرَفَ كَيْفَ كَانَ مُجَاهِدًا فِي اللَّهِ جِهَادًا نَفَعَ اللَّهُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

وهو لم يَتَزَوَّجْ، لَكِنَّ كُنْيَتَهُ (أَبُو الْعَبَّاسِ)، وَالْكُنْيَةُ لَا يَلْزَمُ مِنْهَا وُجُودُ مَكْنِيٍّ؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُبَارِحُ صَبِيًّا صَغِيرًا كَانَ مَعَهُ طَائِرٌ يُسَمَّى النُّغَيْرَ، وَكَانَ هَذَا الصَّبِيُّ يَلْعَبُ بِهَذَا الطَّائِرِ، فَمَاتَ الطَّائِرُ، فَاعْتَمَ الصَّبِيُّ لِذَلِكَ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لَهُ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»<sup>(١)</sup>.

وَأَمَّا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّهُ: (بَحْرٌ مُحِيطٌ فِي سَائِرِ الْخُلُجَانِ) فَهَذِهِ يَعْرِفُهَا مَنْ قَرَأَ كُتُبَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَيَعْرِفُ سَعَةَ عِلْمِهِ لِمَا يَنْقُلُهُ عَنِ الْكُتُبِ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ كُتُبًا كَثِيرَةً لَشَيْخِ الْإِسْلَامِ لَكِنَّهُ أَثْنَى عَلَى هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ:

١- كِتَابُ (العقل والنقل)، الْمُسَمَّى: (دَرْءُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ)، وَهُوَ كِتَابٌ عَظِيمٌ يَقُولُ: «مَا فِي الْوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانِي» يَعْنِي: فِي الرَّدِّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْفَلَاسِفَةِ، لَا عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ.

وَهَذَا الْكِتَابُ كِتَابٌ عَظِيمٌ، وَلَكِنْ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ إِلَّا مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ بِهَذَا الْفَنِّ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، رقم (٥٧٧٨)، ومسلم: كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، رقم (٢١٥٠).



ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ: «إِنِّي أَلْتَزِمُ بِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مُبْطِلٌ اسْتَدَلَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَجْعَلَ دَلِيلَهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>، وَهَذَا فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنْ قُوَّةِ الْمُصَادَرَةِ؛ أَنْ تُصَادَرَ الْمُسْتَدِلُّ بِدَلِيلِهِ، وَتَجْعَلَ دَلِيلَهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ، وَكِتَابُ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ لَهُ اسْمٌ آخَرُ، وَهُوَ: (مُوَافَقَةُ صَرِيحِ الْمَعْقُولِ لِصَحِيحِ الْمَقُولِ)، وَهُوَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - مَطْبُوعٌ وَمُحَقَّقٌ.

٢- كِتَابُ (مِنْهَاجِ السُّنَّةِ)، وَهَذَا الْكِتَابُ رَدٌّ بِهِ عَلَى كِتَابِ الرَّافِضِيِّ ابْنِ الْمُطَهَّرِ الَّذِي سَمَّاهُ (مِنْهَاجِ الْكِرَامَةِ فِي إِثْبَاتِ الْإِمَامَةِ)، وَسَمَّاهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ (مِنْهَاجِ النَّدَامَةِ).

وَكِتَابُ (مِنْهَاجِ السُّنَّةِ) كِتَابٌ عَظِيمٌ، فَضَحَ فِيهِ مَا بَطَنَ مِنْ عَوَارِجِ الرَّافِضَةِ، وَبَيَّنَ بِالْحَقِّ بِالْأَدْلَى وَالْعَقْلِيِّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبِدْعَةِ الْعَظِيمَةِ وَالْكَلامِ الْبَاطِلِ؛ وَهَذَا يَقُولُ فِي رَدِّهِ: «قَوْلُ الرَّوَافِضِ...»، وَسَمَّاهُمْ ابْنُ الْقَيْمِ: «شِيعَةَ الشَّيْطَانِ»، وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الرَّوَافِضَ يَدْعُونَ إِلَى الشَّرِّ، لَكِنَّهُ شَرُّ مُبْطِنٍّ، وَذَلِكَ بِالْغُلُوِّ فِي أَوْلِيَائِهِمْ وَأَيْمَتِهِمْ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا غَلَا فِي شَيْءٍ فَإِنَّ قَلْبَهُ يَمْتَلِئُ بِهِ، وَيَضِيقُ عَنْ غَيْرِهِ، وَهُمْ إِذَا ابْتُلُوا بِهَذِهِ الْبَلْوَى بِالْغُلُوِّ بِالْأَيْمَةِ وَمَنْ يَزْعُمُونَهُمْ أَوْلِيَاءَ؛ فَإِنَّهُمْ سَوْفَ يَنْسَوْنَ اللَّهَ عَزَّجَلَّ وَيُشْرِكُونَ بِهِ، وَيَعْظُمُونَ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةَ أَكْثَرَ مِنْ تَعْظِيمِ الرُّسُلِ؛ وَهَذَا يُصَرِّحُونَ فِي كُتُبِهِمْ بِأَنَّ لِأَيْمَتِهِمْ مَرْتَبَةً لَا يَنَالُهَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَأَنَّ أَيْمَتَهُمْ يَتَصَرَّفُونَ فِي الْكَوْنِ، مَا مِنْ ذَرَّةٍ فِي الْكَوْنِ إِلَّا وَتَصَدَّرُ عَنْ أَيْمَتِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الشَّرُّ الْأَكْبَرُ.

(١) وانظر أيضًا: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، (١/ ٣٥١-٣٥٢).

وَلِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيهِمْ: «إِنَّهُمْ خَرَبُوا الْمَسَاجِدَ وَعَمَرُوا الْمَشَاهِدَ»<sup>(١)</sup>؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي جَمَاعَةٍ، (وَعَمَرُوا الْمَشَاهِدَ)، أَي: الْقُبُورَ وَالْبِنَاءَ عَلَيْهَا؛ وَلِهَذَا نَجِدُهُمْ يَطُوفُونَ بِالْقُبُورِ وَيُعَظِّمُونَهَا أَكْثَرَ مِمَّا يُعَظِّمُونَ الْكَعْبَةَ.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ وَصْفَ ابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَهُمْ بِشِيعَةِ الشَّيْطَانِ وَصَفٌ مُطَابِقٌ تَمَامًا؛ فَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَايَعَ أَبَا بَكْرٍ، وَبَايَعَ عُمَرَ، وَأَعْلَنَ وَهُوَ فِي الْكُوفَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَهَذَا مُتَوَاتِرٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(٢)</sup>، فَهُمْ يَقُولُونَ لِعَلِيٍّ: كَذَبْتَ، خَيْرُهُمْ أَنْتَ، بَلْ خَيْرُ الْعَالَمِ أَنْتَ. وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ أَيْمَتَهُمْ فَوْقَ الْعَالَمِ، وَالْحَمْنِيُّ لَهُ كِتَابُ اسْمِهِ (الْحُكُومَةُ)، يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أُصُولِ مُعْتَقِدِنَا أَنَّ فِي أَيْمَتِنَا مَنْ هُوَ فِي مَنْزِلَةِ لَا يَنَالُهَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ»، فَأَيْمَتُهُمْ عَلَى هَذَا أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَأَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ أَيْمَةَ آلِ الْبَيْتِ بَرِيثُونَ مِنْ هَذَا الْمَذْهَبِ بَرَاءَةَ الذُّبِّ مِنْ دَمِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَإِنَّ شِيعَةَ الرَّحْمَنِ هُمُ الَّذِينَ يَذُبُّونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، الْمَطْهَرُ مِنَ الشَّرِكِ صَغِيرِهِ وَكَبِيرِهِ، ظَاهِرِهِ وَخَفِيِّهِ، وَمَنْ كَانَ عَلَى ضِدِّ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا حِزْبَانِ:

١- حِزْبُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

٢- وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ.

(١) انظر: شرح اقتضاء الصراط المستقيم لفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الشَّارِحِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (ص: ٦٢٨).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ١١٠ رَقْم ٨٨٠).

وَلَقَدْ كَانَ لَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي مُجَادَلَةِ أَهْلِ الْبِدْعِ وَمُجَادَلَةِ  
أَفْكَارِهِمْ مَا بَيْنَ مُطَوَّلَةٍ وَمُتَوَسِّطَةٍ وَقَلِيلَةٍ، وَحَصَلَ بِذَلِكَ نَفْعٌ كَبِيرٌ أَشَارَ ابْنُ  
الْقَيْمِ رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَيْ شَيْءٍ مِنْهَا فِي النُّوْبَةِ حَيْثُ قَالَ:

وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى مَصَارِعَ مَنْ خَلَا مِنْ أُمَّةِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ  
إِلَى أَنْ قَالَ:

فَافْرَأْ تَصَانِيفَ الْإِمَامِ حَقِيقَةً شَيْخِ الْوُجُودِ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي  
أَعْنِي أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ ذَلِكَ الـ بَحْرَ الْمَحِيطِ بِسَائِرِ الْخُلُجَانِ

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿لَا غَلَبَ لَنَا أَنَا وَرُسُلُنَا﴾ [المجادلة: ٢١].

ولو أن أهل السنة على الجادة السليمة المستقيمة ما قاومهم أحدٌ، لا من الشيعة  
ولا من غيرهم، لكن للخلل الذي حصل في أهل السنة، واتباع الشهوات، ورُكُوبِ  
النِّزَوَاتِ، اسْتَطَالَ عَلَيْهِمْ مَنْ اسْتَطَالَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ مِنَ الرُّوَافِضِ وَغَيْرِهِمْ.

ولهذا يَجِبُ عَلَيْنَا - قَبْلَ أَنْ نُصَحِّحَ مَسِيرَةَ غَيْرِنَا - أَنْ نُصَحِّحَ مَسِيرَةَ أَنْفُسِنَا قَبْلَ  
كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى نَكُونَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ حَقًّا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذِهِ  
الآيَةِ مِنَ التَّوَكِيدِ، (أَلَا): هَذِهِ أَدَاةُ اسْتِفْتَاكِ تُفِيدُ التَّوَكِيدَ، وَ(إِنَّ): تُفِيدُ أَيْضًا التَّوَكِيدَ،  
وَ(هُمُ): ضَمِيرُ فَصْلٍ يُفِيدُ أَيْضًا التَّوَكِيدَ، وَاخْتِصَاصُ الْغَلْبَةِ لَهُوَ لِأَيِّ الْحِزْبِ، لَكِنْ أَيْنَ  
حِزْبُ اللَّهِ حَقِيقَةً؟ نَحْتَاجُ إِلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الْحِزْبِيَّةِ حَتَّى نَقْهَرَ كُلَّ مَنْ نَاوَأَ هَذِهِ الْحِزْبِيَّةَ،  
نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحَقِّقَ ذَلِكَ.

وَاقْرَأْ كِتَابَ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ الَّذِي      مَا فِي الْوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانِي  
وَكَذَلِكَ مِنْهُاجٌ لَهُ فِي رَدِّهِ      قَوْلَ الرَّوَافِضِ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ  
ثُمَّ ذَكَرَ عِدَّةً مِنْ كُتُبِهِ وَرَسَائِلِهِ وَقَالَ:  
هِيَ فِي الْوَرَى مَبْنُوءَةٌ مَعْلُومَةٌ      تُبْتَاعُ بِالْغَالِي مِنَ الْأَثْمَانِ<sup>[١]</sup>  
إِلَى أَنْ قَالَ:

وَلَهُ الْمَقَامَاتُ الشَّهِيرَةُ فِي الْوَرَى      قَدْ قَامَهَا اللَّهُ غَيْرَ جَبَانٍ  
نَصَرَ الْإِلَهَ وَدِينَهُ وَكِتَابَهُ      وَرَسُولَهُ بِالسَّيْفِ وَالْبُرْهَانِ<sup>[٢]</sup>  
أَبَدَى فَضَائِحَهُمْ وَبَيَّنَ جَهْلَهُمْ      وَأَرَى تَنَاقُضَهُمْ بِكُلِّ زَمَانٍ

[١] قَوْلُهُ:

«هِيَ فِي الْوَرَى مَبْنُوءَةٌ مَعْلُومَةٌ      تُبْتَاعُ بِالْغَالِي مِنَ الْأَثْمَانِ»

هَذَا الْجِهَادُ بِالْبَنَانِ.

[٢] قَوْلُهُ: «إِلَى أَنْ قَالَ:

وَلَهُ الْمَقَامَاتُ الشَّهِيرَةُ فِي الْوَرَى      قَدْ قَامَهَا اللَّهُ غَيْرَ جَبَانٍ».  
قَوْلُهُ:

«نَصَرَ الْإِلَهَ وَدِينَهُ وَكِتَابَهُ      وَرَسُولَهُ بِالسَّيْفِ وَالْبُرْهَانِ».

هَذَا الْجِهَادُ بِاللِّسَانِ وَاللِّسَانِ؛ لِأَنَّ لَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ مَقَامَاتٍ شَهِيرَةً فِي مُجَالِدَةِ أَهْلِ

الْبَاطِلِ.

إِلَى أَنْ قَالَ:

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ بِسِلَاحِهِمْ      أَرَدَاهُمْ تَحْتَ الْحَضِيضِ الدَّانِي<sup>[١]</sup>  
كَانَتْ نَوَاصِينَا بِأَيْدِيهِمْ فَمَا      مَنَّا لَهُمْ إِلَّا أَسِيرٌ عَانِي<sup>[٢]</sup>  
فَعَدْتُ نَوَاصِيَهُمْ بِأَيْدِينَا فَمَا      يَلْقَوْنَنَا إِلَّا بِحَبْلٍ أَمَانٍ  
وَعَدْتُ مُلُوكَهُمْ مَمَالِكًا لِأَنَّهُ      صَارَ الرَّسُولُ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ<sup>(١)</sup>

[١] قَوْلُهُ:

«أَبَدَى فَضَائِحَهُمْ وَبَيَّنَ جَهْلَهُمْ      وَأَرَى تَنَاقُضَهُمْ بِكُلِّ زَمَانٍ  
إِلَى أَنْ قَالَ:

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ بِسِلَاحِهِمْ      أَرَدَاهُمْ تَحْتَ الْحَضِيضِ الدَّانِي».

قَوْلُهُ: «أَنَّهُ بِسِلَاحِهِمْ أَرَدَاهُمْ»؛ أَي: أَهْلَكَهُمْ وَقَتَلَهُمْ بِسِلَاحِهِمْ الَّذِي يُرِيدُونَ أَنْ يَقْتُلُوا بِهِ غَيْرَهُمْ، وَهَذَا لَا شَكَّ مِنَ الْعَجَائِبِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

[٢] قَوْلُهُ: «كَانَتْ نَوَاصِينَا بِأَيْدِيهِمْ فَمَا مَنَّا لَهُمْ إِلَّا...».

فَبِمَا يَسَّرَ اللَّهُ مِنْ قِيَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ صَارَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ، فَقَدْ كَانَتْ نَوَاصِي أَهْلِ السُّنَّةِ بِأَيْدِي هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ، اسْتَطَالُوا عَلَيْهِمْ ثُمَّ صَارَتْ نَوَاصِيَهُمْ بِأَيْدِي أَهْلِ السُّنَّةِ، وَغَدَتْ مُلُوكُهُمْ -وَلَيْسَ الْمُرَادُ مُلُوكَ السُّلْطَةِ، بَلْ مُلُوكُ الْقَوْلِ بِالْعِلْمِ وَالشُّبُهَاتِ الَّتِي يَدَّعُونَهَا- مَمَالِكٍ لِأَنْصَارِ الرَّسُولِ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ.

وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ رَسَائِلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ رِسَالَةً (تَحْقِيقِ الْإِثْبَاتِ لِلْأَسْمَاءِ  
وَالصِّفَاتِ وَحَقِيقَةِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْقَدَرِ وَالشَّرْعِ) الْمَعْرُوفَةُ بِاسْمِ: (التَّدْمُرِيَّةِ).  
وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ ضَمَّنَ أَجْوِيَّةُ أَجَابَ بِهَا الشَّيْخُ أَهْلَ تَدْمُرَ<sup>(١)</sup>،  
وَكَانَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ مِنْ أَحْسَنِ وَأَجْمَعَ مَا كَتَبَهُ فِي مَوْضُوعِهَا عَلَى اخْتِصَارِهَا.  
وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَإِنِّي أَسْتَعِينُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فِي لَمْ شَعْنِهَا، وَجَمَعَ شَمْلِهَا، وَتَقْرِبِ  
مَعَانِيهَا لِقَارِئِهَا، مَعَ زِيَادَةِ مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، وَحَذْفِ مَا يُمَكِّنُ الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْهُ  
عَلَى وَجْهِ لَا يُحِلُّ بِالْمَقْصُودِ<sup>(٢)</sup>، وَسَمَّيْتُهُ (تَقْرِبَ التَّدْمُرِيَّةِ).  
وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ عَمَلِي خَالِصًا لَوَجْهِهِ، مُوَافِقًا لِمَرْضَاتِهِ، نَافِعًا  
لِعِبَادِهِ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

[١] قَوْلُهُ: «فَإِنِّي أَسْتَعِينُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فِي لَمْ شَعْنِهَا، وَجَمَعَ شَمْلِهَا...» طَرِيقَتِي  
فِي هَذَا أَنِّي أَلَمْ شَعْنِهَا، وَأَجْمَعُ شَمْلِهَا؛ لِأَنَّ الشَّيْخَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ إِذَا كَتَبُوا لَمْ  
يَرْجِعُوا إِلَى مَا كَتَبُوا فِي الْغَالِبِ، وَهُوَ بَحْرٌ زَاخِرٌ، أَمَوَاجُهُ مُتَلَاطِمَةٌ، تَحْدُهُ رَبِّمَا يَسْتَطِرِدُّ  
فِي الْقَوْلِ، وَيَأْتِي بِأَشْيَاءَ يَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ طَلَبَةِ الْعِلْمِ مُنَاسِبَتُهَا، فَأَنَا جَمَعْتُ بَعْضَهَا  
إِلَى بَعْضٍ فِي أَشْيَاءَ مُتَنَاسِبَةٍ، وَكَذَلِكَ زِدْتُ مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، وَحَذَفْتُ مَا يُمَكِّنُ  
الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْهُ.

(وَمِمَّا حَذَفْتُهُ الْقَاعِدَةُ السَّابِعَةُ)؛ لِأَنَّ الْقَاعِدَةَ السَّابِعَةَ فِي الْوَاقِعِ لَا تَخْرُجُ عَنِ

(١) مدينة قديمة بوسط سورية، انظر الموسوعة العربية الميسرة ص (٥٠٠). (الشارح)

(٢) ومما حذفت القاعدة السابعة لأنها غير موجودة في بعض النسخ، ويغني عنها ما سبقها من  
القواعد. (الشارح)

.....

القَوَاعِدِ السَّتِّ الَّتِي سَبَقَتْهَا، وَيَظْهَرُ لِي أَنَّ فِيهَا سَقْطًا؛ لِأَنَّهُ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ مَا لَا يَتَلَاءَمُ  
مَعَ بَعْضِهِ، وَقَدْ حَذَفَهَا الشَّيْخُ فَالْحُ بْنُ مَهْدِي<sup>(١)</sup> رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِهِ، وَهِيَ أَيْضًا لَا تُوجَدُ  
فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّسخِ وَهَذِهِ الْمَقْدَمَةُ لَا شَكَّ أَنَّهَا تُنِيرُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَيَعْرِفُ كَيْفَ نَشَأَتِ  
الْبِدْعُ، وَكَيْفَ تَرْتِيبُهَا.




---

(١) ولد الشيخ فالح في الأفلاج، عام ١٣٥٢ هـ، رحل في صباه إلى الرياض ثم التحق بكلية الشريعة،  
ثم درّس بالمعهد العلمي بالرياض، ثم في كلية الشريعة، وتوفي بمدينة الرياض سنة ١٣٩٢ هـ.  
انظر: مشاهير علماء نجد (ص ٤٢٨)، علماء نجد للبسام (٥ / ٣٧٠).

## بَيَانُ سَبَبِ تَأْلِيفِ هَذِهِ الرَّسَالَةِ<sup>[١]</sup>

بَيَّنَ الْمُؤَلِّفُ سَبَبَ تَأْلِيفِ هَذِهِ الرَّسَالَةِ بِقَوْلِهِ:

أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ سَأَلَنِي مَنْ تَعَيَّنَتْ إِجَابَتُهُمْ<sup>[٢]</sup> أَنْ أَكْتُبَ لَهُمْ مَضْمُونَ مَا سَمِعُوهُ مِنِّي فِي بَعْضِ الْمَجَالِسِ مِنَ الْكَلَامِ فِي التَّوْحِيدِ وَالصِّفَاتِ، وَفِي الشَّرْعِ وَالْقَدْرِ.

[١] ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ سَبَبَ تَأْلِيفِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ، وَأَنَّهَا فِي سُؤَالٍ مِمَّنْ تَتَعَيَّنُ إِجَابَتُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ وَجْهَ تَعْيِينِ الْإِجَابَةِ بِأَنَّ هَذَا يَمَّا تَدْعُو الضَّرُورَةُ إِلَيْهِ: أَوَّلًا: أَنَّ النَّاسَ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْبَيَانِ.

ثَانِيًا: أَنَّ النَّاسَ اضْطَرُّوا اضْطِرَابًا كَثِيرًا، فَاحْتِيجَ إِلَى بَيَانِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالضَّلَالِ مِنَ الْهُدَى؛ لِيَكُونَ الْإِنْسَانُ عَلَى بَصِيرَةٍ.

فَهَذَا بَيَانُ سَبَبِ تَأْلِيفِ الْعَقِيدَةِ التَّدْمَرِيَّةِ، وَبَيَانُ وَجُوبِ إِجَابَةِ مَنْ سَأَلَ.

[٢] قَوْلُهُ: «تَعَيَّنَتْ إِجَابَتُهُمْ» يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمَرَادَ صَارَتْ إِجَابَتُهُمْ عَيْنًا وَاجِبَةً، فَاسْبَاطُهَا:

١. إِمَّا وَلَايَةُ أَمْرٍ؛ لِكُونِهِمْ مِنَ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَتِهِمْ.
٢. وَإِمَّا وَجَاهَةً؛ لِكُونِهِمْ مِنَ الْوُجَهَاءِ الَّذِينَ يَرْجُو شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِإِجَابَتِهِمْ مَصْلَحَةً كَبِيرَةً.
٣. وَإِمَّا ضَرُورَةً، وَهُوَ الَّذِي عَلَّلَ بِهِ.



ثُمَّ عَلَّلَ وَجُوبَ إِجَابَتِهِمْ بِأَمْرَيْنِ<sup>[١]</sup>:

أَحَدُهُمَا: مَسِيسُ الْحَاجَةِ إِلَى تَحْقِيقِ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَخْطُرَ عَلَى الْقَلْبِ فِي هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ مَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى بَيَانِ الْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ، وَالْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ.

الثَّانِي: كَثَرَةُ اضْطِرَابِ أَقْوَالِ النَّاسِ فِيهِمَا، وَالْحَوْضِ فِيهِمَا بِالْحَقِّ تَارَةً وَبِالْبَاطِلِ تَارَاتٍ، فَيَلْتَبِسُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْ ثَمَّ احتِيجَ إِلَى الْبَيَانِ.

وَالْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْعَقِيدَةِ كُلُّهَا فِي مَوْضُوعَيْنِ:

١. فِي التَّوْحِيدِ وَالصِّفَاتِ.

٢. فِي الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ.

[١] قَوْلُهُ: «ثُمَّ عَلَّلَ وَجُوبَ إِجَابَتِهِمْ بِأَمْرَيْنِ...» الْوُجُوبُ سَبَبُهُ أَمْرَانِ:

السَّبَبُ الْأَوَّلُ: مَسِيسُ الْحَاجَةِ إِلَى تَحْقِيقِ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ، وَهُمَا: (الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ)، وَ(الشَّرْعُ وَالْقَدَرُ)؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ مَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى الْبَيَانِ.

فَفِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، نَجِدُ أَنَّ هُنَاكَ شُبُهَاتٍ كَثِيرَةً تَعْرِضُ لِلْقَلْبِ، مِنْهَا شُبُهَاتٌ مَنْ يَدَّعُونَ أَنْفُسَهُمُ الْعُقَلَاءَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تُنْثَبَ لِلَّهِ صِفَةٌ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا هَذِهِ مَجَازَاتٌ عَنْ مَعَانٍ أُخْرَى لَمْ تُبَيَّنْ لَنَا، أَرَادَ الشَّارِعَ مِنَّا أَنْ نَسْتَبِينَهَا فِي عُقُولِنَا، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمَعْطَلَّةُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمَعْتَزَلَةُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ وَغَيْرِهِمْ.

وَيَرِدُ كَذَلِكَ عَلَى الْقَلْبِ شُبَّةٌ أُخْرَى وَهِيَ: التَّمثِيلُ، فيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ أَثَبَّتَ لَهُ وَجْهًا وَعَيْنًا وَيَدًا... وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ، فَيَرِدُ عَلَى الْقَلْبِ اعْتِقَادُ التَّمثِيلِ، أَنَّ اللَّهَ مُمَثِّلٌ لِلخَلْقِ فِي هَذَا؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي لَكَ وَيَقُولُ: هَلْ تَعْقِلُ وَجْهًا إِلَّا مِثْلَ وَجْهِ المَخْلُوقِ؟ هَلْ تَعْقِلُ يَدًا إِلَّا مِثْلَ يَدِ المَخْلُوقِ؟ هَلْ تَعْقِلُ عَيْنًا إِلَّا مِثْلَ عَيْنِ المَخْلُوقِ؟ وَهَكَذَا.

فَيَرِدُ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ شُبَّةُ التَّمثِيلِ، فَصَارَ الْقَلْبُ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَبَيْنَ التَّمثِيلِ، فَتَجِدُهُ أحيانًا يَمِيلُ إِلَى التَّعْطِيلِ؛ لَيْسَلَمَ مِنْ اعْتِقَادِ التَّمثِيلِ، وَأحيانًا يَمِيلُ إِلَى التَّمثِيلِ؛ لَيْسَلَمَ مِنْ اعْتِقَادِ التَّعْطِيلِ، وَهَذِهِ شُبَّةٌ عَظِيمَةٌ.

وَتَرِدُ هَذِهِ الشُّبَّةُ فِي الْوَاقِعِ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ، وَرَبِّمَا لَا تَرِدُ عَلَى ذِهْنِ الْعَامِّيِّ أَبَدًا، فَالْعَامِّيُّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَسْمَعُ الْأَحَادِيثَ، لَكِنْ لَا يَرِدُ عَلَى قَلْبِهِ لَا تَمَثِيلٌ وَلَا تَعْطِيلٌ، بَلْ رَبُّهُ عَزَّجَلَّ فِي نَفْسِهِ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَكَفَى، لَكِنَّ الشُّبُهَاتِ الدَّقِيقَةَ هَذِهِ تَعْرِضُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ وَعَلَى كَامِلِ الْإِيمَانِ.

وَلِهَذَا لَمَّا شَكَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ مَا يَجِدُونَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، قَالَ: «أَوْجَدْتُمْ ذَلِكَ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>، فَجَعَلَ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ صَرِيحَ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ لَا تَرِدُ عَلَى قَلْبٍ مُمْتَلِئٍ بِالشُّبُهَاتِ، إِنَّمَا تَرِدُ عَلَى قَلْبٍ خَالِصٍ؛ لِيُفْسَدَ بِهَا، وَالشَّيْطَانُ لَا يَأْتِي لِإِنْسَانٍ كُلِّ قَلْبِهِ زَائِعٌ مُنْغَمَسٌ فِي الشُّبُهَاتِ، لَا يَأْتِي إِلَيْهِ وَيُورِدُ عَلَيْهِ شُبُهَاتٍ؛ لِأَنَّهُ قَدْ كُفِيَ الْمُؤُونَةَ، إِنَّمَا يَأْتِي الشَّيْطَانُ إِلَى قَلْبٍ خَالِصٍ سَلِيمٍ لِيُفْسِدَهُ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم (١٣٢).

وَيُذَكِّرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: إِنَّ الْيَهُودَ يَقُولُونَ: نَحْنُ لَا نُؤَسُّوسُ فِي صَلَاتِنَا. أَيْ: لَا نُفَكِّرُ وَلَا نَهْجِسُ فِي صَلَاتِنَا، فَقَالَ: وَمَا يَصْنَعُ الشَّيْطَانُ بِقَلْبِ خَرَابٍ؟! إِنَّمَا يَتَسَلَّطُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَلْبِ عَامِرٍ لِيُخَرِّبَهُ وَيُدْمِرَهُ<sup>(١)</sup>.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ تَرُدُّ عَلَى الْقَلْبِ بِلَا شَكٍّ، فَيَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى بَيَانِ الْحَقِّ فِيهَا، فَهَذَا أَحَدُ السَّبَبِينَ الْمُقْتَضِينَ لِإِجَابَةِ طَلَبِ السَّائِلِ.

السبب الثاني: كَثْرَةُ اضْطِرَابِ أَقْوَالِ النَّاسِ فِيهَا، وَلَا يَعْرِفُ هَذِهِ الْأَقْوَالَ وَالاضْطِرَابَاتِ إِلَّا مَنْ قَرَأَ كُتُبَ الْخِلَافِ، أَمَّا مَنْ قَرَأَ الْعَقِيدَةَ الْوَاسِطِيَّةَ وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ خِلَافُ أَحَدٍ فَهَذَا لَا يَعْلَمُ، لَكِنْ طَالَعَ الْكُتُبَ الْأُخْرَى الَّتِي تُعْنَى بِذِكْرِ الْخِلَافِ وَالْمُنَاقَشَاتِ؛ تَجِدُ الْعَجَبَ الْعُجَابَ.

وَهَذَا الْاضْطِرَابُ وَالْحَوْضُ بِالْحَقِّ تَارَةً وَبِالْبَاطِلِ تَارَاتٍ؛ يَحْتَاجُ إِلَى كِتَابٍ يُبَيِّنُ الْحَقَّ؛ لِيَكُونَ بَيْنَ النَّاسِ فِيهَا اخْتِلَافٌ فِيهِ؛ فَلِهَذَا رَأَى شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِجَابَةَ هَذَا السَّائِلِ مُتَعَيِّنَةً لِهَذَيْنِ السَّبَبَيْنِ.



(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (٢٥).

## الكَلَامُ فِي التَّوْحِيدِ وَالصِّفَاتِ وَفِي الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ

الْكَلَامُ فِي التَّوْحِيدِ وَالصِّفَاتِ مِنْ بَابِ الْخَيْرِ<sup>١١</sup> الدَّائِرِ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ مِنْ قِبَلِ الْمُتَكَلِّمِ، الْمُقَابِلِ بِالتَّصْدِيقِ أَوْ التَّكْذِيبِ مِنْ قِبَلِ الْمُخَاطَبِ؛ لِأَنَّهُ خَيْرٌ عَمَّا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ التَّوْحِيدِ وَكَمَالِ الصِّفَاتِ وَعَمَّا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرْكِ وَالنَّقْصِ وَمُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ.

[١] قَالَ الْبَلَاغِيُونَ فِي تَعْرِيفِ الْخَيْرِ: إِنَّهُ مَا صَحَّ أَنْ يُقَالَ لِقَائِلِهِ: صَدَقْتَ، أَوْ كَذَبْتَ. هَذَا مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ، وَالْأَفْقَدُ يَمْتَنِعُ التَّصْدِيقُ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ ادَّعَى الرِّسَالَةَ مَثَلًا، وَيَمْتَنِعُ التَّكْذِيبُ لَخَيْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ لَكِنْ نَتَكَلَّمُ عَنِ الْخَيْرِ مِنْ حَيْثُ هُوَ خَيْرٌ. مِثَالُ: تَقُولُ: (قَامَ زَيْدٌ)، أَوْ (لَمْ يَقُمْ زَيْدٌ)، إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْخَيْرُ: صَدَقْتَ أَوْ كَذَبْتَ. وَكُلُّ مَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي التَّوْحِيدِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْخَيْرِ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَأَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَسْمَاءٍ، وَأَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِصِفَاتٍ، وَمَوْقِفُنَا نَجَاهُ هَذَا الْخَيْرِ التَّصْدِيقُ.

وَمُسَيِّلَمَةُ ادَّعَى أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، مَوْقِفُنَا مِنْ هَذَا الْخَيْرِ التَّكْذِيبُ.

إِذَنْ: فَمَوْقِفُ الْمُخَاطَبِ بِالنِّسْبَةِ لِلْخَيْرِ: إِمَّا تَصْدِيقٌ، وَإِمَّا تَكْذِيبٌ؛ إِمَّا إِثْبَاتٌ، وَإِمَّا نَفْيٌ.

إِذَنْ: كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ أَوْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ بَابِ الْخَيْرِ، وَلَيْسَ مِنْ بَابِ الطَّلَبِ.

مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إِبْثَابُ التَّوْحِيدِ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إِبْثَابُ كَمَالِ الصِّفَاتِ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ نَفْيُ النَّقَائِصِ عَنِ اللَّهِ الْمُتَضَمِّنِ لِإِبْثَابِ الْكَمَالَاتِ<sup>١</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾»: هَذِهِ الْجُمْلَةُ خَبَرِيَّةٌ، فِيهَا إِبْثَابٌ وَفِيهَا نَفْيٌ، إِبْثَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وَنَفْيٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ مَوْقِفْنَا مِنْ هَذَا التَّصَدِيقِ فِي الْإِبْثَابِ وَالنَّفْيِ.

إِذْنِ: الْكَلَامُ فِي التَّوْحِيدِ مِنْ بَابِ الْخَبَرِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ جَمِيعَ كَلَامِ النَّاسِ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: خَبَرٌ، وَطَلَبٌ.

ثُمَّ التَّكْذِيبُ قَدْ يَكُونُ بِالْإِنْكَارِ، وَقَدْ يَكُونُ بِالتَّحْرِيفِ، أَيْ: لِكَيْ تَعْرِفَ الْحُكْمَ فِيمَنْ كَذَبَ وَأَنْكَرَ:

١ - إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالْإِنْكَارِ.

٢ - وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالتَّحْرِيفِ.

فَمَثَلًا: نَحْنُ نُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ يَدًا حَقِيقَةً بِهَا يَأْخُذُ، وَيَسْتَطِيعُ رَجُلٌ آخَرُ أَنْ يَقُولَ: لَيْسَ لِلَّهِ يَدٌ. وَلَكِنْ هَذَا قَابِلُ الْخَبَرِ بِالتَّكْذِيبِ، وَقَالَ آخَرُ: اللَّهُ يَدٌ، لَكِنْ بِمَعْنَى الْقُوَّةِ. هَذَا كَذَبٌ مِنْ وَجْهِ وَأَكَّدَ مِنْ وَجْهِ، فَكَذَّبَ أَنْ تَكُونَ يَدًا حَقِيقَةً، وَأَثَبَتْ أَنَّ لَهَا مَعْنَى وَهُوَ الْقُوَّةُ، وَهَذَا يُنْظَرُ إِذَا كَانَ تَأْوِيلُهُ سَائِعًا فَلَا يُكْفَرُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ سَائِعٍ يُكْفَرُ، أَمَّا مَنْ يَقُولُ: لَيْسَ لِلَّهِ يَدٌ. فَهَذَا كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ.

وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ فَهُوَ مِنْ بَابِ الطَّلَبِ<sup>[١]</sup> الدَّائِرِ بَيْنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مِنْ قِبَلِ الْمُتَكَلِّمِ، الْمُقَابِلِ بِالطَّاعَةِ أَوْ الْمَعْصِيَةِ مِنْ قِبَلِ الْمُخَاطَبِ؛ لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ إِذَا مَحْبُوبٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فَيَكُونُ مَأْمُورًا بِهِ، وَإِمَّا مَكْرُوهٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فَيَكُونُ مَنْهِيًّا عَنْهُ.

مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، فِيهِ قَوْلُهُ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ الْأَمْرُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ النَّهْيُ عَنِ الْإِشْرَاقِ بِهِ<sup>[٢]</sup>.

[١] الطَّلَبُ هُوَ الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ أَقْسَامِ الْكَلَامِ، وَيَدُورُ بَيْنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مِنْ قِبَلِ الْمُتَكَلِّمِ، وَبَيْنَ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ مِنْ قِبَلِ الْمُخَاطَبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، هَذَا طَلَبٌ، فِيهِ أَمْرٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَعْبُدُوا﴾، وَفِيهِ نَهْيٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾، يُقَابَلُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُخَاطَبِ إِذَا بِالْمَعْصِيَةِ أَوْ بِالطَّاعَةِ، فَإِذَا عَبْدَ اللَّهُ خَلَصًا بَدُونَ إِشْرَاقٍ فَهُوَ مُطِيعٌ، وَإِذَا لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ أَوْ عَبْدَهُ بِإِشْرَاقٍ فَهُوَ عَاصٍ.

فَتَرَى الْكَلَامَ فِي التَّوْحِيدِ وَعَلَى الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنْ بَابِ الْحَبَرِ، وَفِي الْقَدَرِ وَالشَّرْعِ مِنْ بَابِ الطَّلَبِ.

ف(الْحَبَرُ) دَائِرَتَانِ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ مِنْ قِبَلِ الْمُتَكَلِّمِ، وَبَيْنَ التَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ مِنْ قِبَلِ الْمُخَاطَبِ.

و(الطَّلَبُ) دَائِرَتَانِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مِنْ قِبَلِ الْمُتَكَلِّمِ، وَمُقَابِلٌ بِالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ مِنْ قِبَلِ الْمُخَاطَبِ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ فَهُوَ مِنْ بَابِ الطَّلَبِ»؛ لِأَنَّ كَلَامَنَا فِي (الطَّلَبِ) مِنْ حَيْثُ هُوَ لَيْسَ بِإِعْتِبَارِهِ مِنَ اللَّهِ؛ وَلِهَذَا نَقُولُ: الْمَطْلُوبُ مَحْبُوبٌ لِلطَّلَّابِ؛

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْخَبَرِ وَالطَّلَبِ فِي حَقِيقَتَيْهِمَا وَحُكْمَيْهِمَا مَعْلُومٌ لِكُلِّ أَحَدٍ<sup>[١]</sup>،  
فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعِبَادِ إِزَاءَ خَبَرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ التَّصَدِيقُ وَالْإِيمَانُ بِهِ عَلَى مَا أَرَادَ اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ تَصَدِيقًا لَا تَكْذِيبَ مَعَهُ، وَإِيمَانًا لَا كُفْرَ مَعَهُ، وَيَقِينًا لَا شَكَّ مَعَهُ؛ .....

سواءً كَانَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، أَوْ مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ، أَوْ مِنْ قِبَلِ أَحَدٍ آخَرَ.

إِذَنْ: الْكَلَامُ فِي الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ مِنْ بَابِ الطَّلَبِ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ أَحْكَامٌ يُطْلَبُ  
فِعْلُهَا أَوْ تَرْكُهَا، فَهِيَ إِذَنْ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُتَكَلِّمِ مِنْ بَابِ الطَّلَبِ، أَي: يُطْلَبُ مِنَّا أَنْ نَفْعَلَ  
أَوْ يُطْلَبُ أَنْ نَتْرَكَ، وَمُقَابِلٌ -بِالنِّسْبَةِ لِلْمُخَاطَبِ- بِالطَّاعَةِ أَوْ الْمَعْصِيَةِ، لَا بِالتَّصَدِيقِ  
أَوْ التَّكْذِيبِ.

فَمَثَلًا: إِذَا قَالَ لَكَ قَائِلٌ: قُمْ. فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَقُولَ: صَدَقْتَ. أَوْ تَقُولَ: كَذَبْتَ.  
وَلَكِنْ إِمَّا أَنْ تَمْتَثِلَ وَتَقُومَ، وَإِمَّا أَنْ تَمْتَنِعَ وَلَا تَقُومَ، فَإِنْ قُمْتَ فَأَنْتَ مُطِيعٌ، وَإِنْ لَمْ تَقُمْ  
فَأَنْتَ عَاصٍ.

إِذَنْ: يُقَابَلُ الطَّلَبُ بِالطَّاعَةِ أَوْ الْمَعْصِيَةِ، فَمَوْقِفُنَا أَمَامَ الطَّلَبِ فِي الْكِتَابِ  
وَالسُّنَّةِ إِمَّا طَاعَةً أَوْ مَعْصِيَةً، لَا نَقُولُ: إِمَّا تَصَدِيقٌ أَوْ تَكْذِيبٌ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الطَّلَبِ  
هُوَ الْإِمْتِثَالُ، فِعْلُ الْمَأْمُورِ، وَتَرْكُ الْمَحْظُورِ، وَضِدُّهُ تَرْكُ الْإِمْتِثَالِ وَهُوَ الْمَعْصِيَةُ.

وَالشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَتَى بِالْقَدَرِ تَبَعًا لِلشَّرْعِ، وَإِلَّا فَالْقَدَرُ خَبَرٌ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ بَعْضُ  
النَّاسِ يَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ عَلَى الشَّرْعِ دَجَّهَ جَمِيعًا.

[١] قَوْلُهُ: «وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْخَبَرِ وَالطَّلَبِ فِي حَقِيقَتَيْهِمَا وَحُكْمَيْهِمَا مَعْلُومٌ».

فَهُوَ مَعْلُومٌ لِكُلِّ أَحَدٍ حَتَّى الصَّبْيَانِ، فَلَوْ قُلْتَ لِلصَّبِيِّ: اذْهَبْ وَأَحْضِرْ كَذَا  
وَكَذَا. امْتَثِلْ أَوْ امْتَنِعْ، لَكِنْ لَوْ قُلْتَ: جَاءَتْ أُمُّكَ أَوْ أَبُوكَ. فَإِنَّهُ يَفْرَحُ وَيَسْتَبْشِرُ،

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ<sup>١١</sup> وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿[النساء: ١٣٦].

فَيَعْرِفُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالطَّلَبِ.

وقوله: «فِي حَقِيقَتَيْهِمَا» وَاضِحٌ، فَالْخَبْرُ هُوَ مَا صَحَّ أَنْ يُقَالَ فِيهِ: صَدَقْتَ أَوْ كَذَبْتَ. وَأَمَّا الطَّلَبُ فَيُقَالُ فِيهِ: أَطَعْتَ أَوْ عَصَيْتَ.

أَمَّا «حُكْمُهُمَا» فَمَعْلُومٌ يُقَابَلُ الْخَبْرُ بِالتَّصْدِيقِ أَوْ التَّكْذِيبِ، وَيُقَابَلُ الطَّلَبُ بِالطَّاعَةِ أَوْ الْمَعْصِيَةِ.

إِذَنْ: الْوَاجِبُ عَلَيْنَا مِنْ جِهَةِ الْحَقِّ هُوَ الْإِيمَانُ وَالتَّصْدِيقُ، إِيْمَانٌ لَا كُفْرَ مَعَهُ، وَتَصْدِيقٌ لَا تَكْذِيبَ مَعَهُ، وَيَقِينٌ لَا شَكَّ مَعَهُ، وَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا، فَإِذَا وَجَدْتَ فِي قَلْبِكَ مَا يُخَالِفُ هَذَا، فَصَحَّحْ إِيْمَانَكَ، إِذْ لَا بُدَّ مِنَ التَّصْدِيقِ تَصْدِيقًا كَامِلًا، فَتُؤْمِنَ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ.

[١] وَقَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

إِذَا قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يُحَاطَبُهُم بِالْإِيمَانِ وَيَقُولُ: آمَنُوا؟ لَأَنَّهُ لَا يُؤْمَرُ بِالْإِيمَانِ إِلَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا؟

فَالْجَوَابُ أَنْ نَقُولَ: إِمَّا أَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ تَفْصِيلٌ لِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، فَيَكُونُ أَمْرٌ أَوَّلًا بِالْإِيمَانِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ، ثُمَّ أَمْرُهُمْ بِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ، أَوْ يَكُونُ الْمَعْنَى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾؛ أَيِ: اثْبُتُوا عَلَى هَذَا، فَيَكُونُ الْأَمْرُ بِالْإِيمَانِ أَمْرًا بِالثَّبَاتِ عَلَيْهِ.



وَالْوَاجِبُ عَلَى الْعِبَادِ إِزَاءَ الطَّلَبِ: امْتِثَالُهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ غُلُوٍّ وَلَا تَقْصِيرٍ، فَيَقُومُونَ بِالْمَأْمُورِ وَيَجْتَنِبُونَ الْمَحْظُورَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ \* إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٠-٢٣] <sup>[١]</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعِبَادِ إِزَاءَ الطَّلَبِ: امْتِثَالُهُ عَلَى الْوَجْهِ...».

الوَاجِبُ عَلَيْنَا إِزَاءَ خَيْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ التَّصَدِيقُ وَالْإِيمَانُ، لَا يَكْفِي مُجَرَّدُ التَّصَدِيقِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ يَقْتَضِي الْقَبُولَ وَالْإِذْعَانَ، أَمَّا مُجَرَّدُ التَّصَدِيقِ فَلَيْسَ بِكَافٍ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَنْفَعِ أَبَا طَالِبٍ أَنْ صَدَّقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ صَدَّقَ الرَّسُولَ تَصَدِيقًا وَاضِحًا، حَتَّى كَانَ يُدَافِعُ عَنْهُ وَيَقُولُ فِي اللَّامِيَةِ الْمَشْهُورَةِ:

لَقَدْ عَلِمُوا أَنْ ابْنَنَا لَا مُكَذَّبٌ      لَدَيْنَا وَلَا يُعْنَى بِقَوْلِ الْبَاطِلِ <sup>(١)</sup>  
ويقول:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ دِينَ مُحَمَّدٍ      مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الرِّيَّةِ دِينَا  
لَكِنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ فَقَالَ:

لَوْ لَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسِيبَةٍ      لَرَأَيْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُيِّنَا <sup>(٢)</sup>

(١) ديوان أبي طالب (ص: ٨٤)، وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٠).

(٢) ديوان أبي طالب (ص: ٨٧، ١٨٩)، انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ١١١)، وخزانة الأدب (٢/ ٧٦).

فَهَذَا الرَّجُلُ مُصَدِّقٌ، لَكِنْ لَمْ يُؤْمِنْ، فَلَا بُدَّ مِنَ التَّصْدِيقِ وَالْإِيمَانِ، أَيْ: الْاطْمِئْنَانِ لَهُ، وَالْإِقْرَارِ بِهِ، وَقَبُولِهِ وَالِإِذْعَانِ لَهُ، وَإِلَّا فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]، الْكِتَابُ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ هُوَ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَالَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ: الْكُتُبُ السَّابِقَةُ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، مِثْلُ: التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ.

وَعَبَّرَ بـ«نَزَلَ» بِالنِّسْبَةِ لِلْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ جُمْلَةً وَاحِدَةً، بَلْ نَزَلَ مُفْرَقًا، وَعَبَّرَ بـ«أَنْزَلَ» بِالنِّسْبَةِ لِلْكِتَابِ الْأُخْرَى؛ لِأَنَّهُا تَنْزِلُ جُمْلَةً وَاحِدَةً؛ وَهَذَا اعْتَرَضَ الْمَشْرِكُونَ عَلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِكَوْنِ الْقُرْآنِ نَزَلَ عَلَيْهِ عَلَى غَيْرِ مَا نَزَلَتْ الْكُتُبُ السَّابِقَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْرٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الاسراء: ١٠٦]. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ الْقَدَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، إِمَّا لِأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، أَوْ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: يُغْلَبُ فِيهِ جَانِبُ الطَّلَبِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْعِبَادِ إِزَاءَ خَيْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالتَّصْدِيقِ وَالْإِيمَانِ؛ ذَكَرَ الْوَاجِبَ عَلَى الْعِبَادِ إِزَاءَ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، بَأَنَّهُ الْامْتِثَالُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ غُلُوٍّ وَلَا تَقْصِيرٍ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْآيَةَ وَاسْتَدَلَّ بِهَا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ [الأنفال: ٢٠-٢١]، وَالْآيَةُ

الَّتِي فِي الْخَبَرِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، أَمَّا هُنَا فَقَالَ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ❶ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا ﴿[الأنفال: ٢٠-٢١]، يَعْنِي: بِأَذَانِهِمْ ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١] بِقُلُوبِهِمْ، فَإِثْبَاتُ السَّمْعِ أَوَّلًا وَنَفْيُهُ ثَانِيًا لَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ؛ لِأَنَّ السَّمْعَ فِي الْأَوَّلِ سَمْعُ الْأَذَانِ، وَفِي الثَّانِي سَمْعُ الْقُلُوبِ، يَعْنِي أَنَّهُمْ قَالُوا: سَمِعْنَا. لَكِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا، فَالسَّمْعُ الثَّانِي غَيْرُ السَّمْعِ الْأَوَّلِ، وَمَحَلُّهُ غَيْرُ مَحَلِّ الْأَوَّلِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]، يَعْنِي بِهِمْ مَنْ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَهُمْ مُعْرِضُونَ. فَإِذَا سَأَلَ سَائِلٌ: مَنْ هُمُ الصُّمُّ الْبُكْمُ؟ الْجَوَابُ: الْكَافِرُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

فَالْكَافِرُ: هُوَ الْأَصَمُّ الْأَبْكَمُ الْأَعْمَى؛ أَصَمُّ عَنِ سَمَاعِ الْحَقِّ، وَأَبْكَمُ عَنِ النُّطْقِ بِهِ، وَأَعْمَى عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ، فَهَؤُلَاءِ شَرُّ الدَّوَابِّ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ يُضِلُّهُ اللَّهُ عَرَّجَلٌ لَا يُضِلُّهُ ظَالِمًا لَهُ؛ وَإِنَّمَا يُضِلُّهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَهْلًا لِلْهُدَايَةِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾، لَكِنَّهُمْ لَيْسَ فِيهِمْ خَيْرٌ؛ لِفَسَادِ قُلُوبِهِمْ، فَلَمْ يُسْمِعَهُمُ اللَّهُ عَرَّجَلٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

فَصَارَ أَصْلُ الْبَلَاءِ لِلإِضْلَالِ مِنَ الشَّخْصِ نَفْسِهِ، أَمَّا اللَّهُ عَرَّجَلٌ فَإِنَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ، لَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ صَدَقَ فِي اتِّجَاهِهِ إِلَى رَبِّهِ لَشَكَرَ اللَّهَ لَهُ؛ وَلَزَادَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى.

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

إِذْنِ: الْكُفَّارُ شَرُّ مِنَ الْخَنَازِيرِ وَالْكَلابِ وَكُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ، حَتَّى وَإِنْ قَالُوا: إِنَّا عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ. لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا فَصَارُوا شَرَّ الْمَخْلُوقَاتِ: ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، فَالْكُفَّارُ شَرُّ الْبَرِيَّةِ، وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ.

وَقَدْ يَتَبَادَرُ لِلإِنْسَانِ إِذَا قُلْنَا: إِنَّ الْكَلَامَ فِي التَّوْحِيدِ مِنْ بَابِ الْخَبَرِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ الطَّلَبِ. أَنَّهُ خَبَرٌ مُحْضٌ لَا يَتَضَمَّنُ طَلَبًا، وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْنَا: إِنَّهُ طَلَبٌ مُحْضٌ لَا يَتَضَمَّنُ خَبَرًا. وَالْأَمْرُ لَيْسَ كَذَلِكَ! فَإِنَّ خَبَرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ طَلَبٌ مِنْ وَجْهِ آخَرَ؛ لِأَنَّا مَأْمُورُونَ بِأَنْ نَعْتَقِدَ مَذْلُولَ هَذَا الْخَبَرِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، فَأَمَرْنَا بِأَنْ نُؤْمِنَ بِهِ، فَيَكُونُ هَذَا الْخَبَرُ مِنْ بَابِ الطَّلَبِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، هَذَا خَبَرٌ. وَقَوْلُهُ: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، هَذَا طَلَبٌ؛ إِذْنِ: فَهَذَا خَبَرٌ مُتَضَمِّنٌ لِلطَّلَبِ.

وَكَذَلِكَ الْكَلَامُ فِي الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ وَإِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ طَلَبٌ. فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ خَبَرًا، فَالصَّلَاةُ مَثَلًا مَفْرُوضَةٌ - أَمَرْنَا بِهَا - : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهَا كِتَابٌ مَفْرُوضٌ، فَوَجِبَ عَلَيْنَا اعْتِقَادُ أَنَّهَا فَرَضٌ مُؤَقَّتٌ.

وَهَذَا التَّنْبِيهُ حَتَّى لَا يَظُنَّ الْمَكْلَفُ أَنَّ الطَّلَبَ طَلَبٌ مُتَمَحِّضٌ، وَأَنَّ الْخَبَرَ خَبَرٌ مُتَمَحِّضٌ لَا يَتَضَمَّنُ طَلَبًا.

فصل<sup>[١]</sup>

إِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَهَذَا هُنَا أَضْلَانِ:

الأصل الأول في توحيد الصفات وهو: أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَتْهُ بِهِ رُسُلُهُ: إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، كما جمع الله تعالى بينهما في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]<sup>[٢]</sup>.

[١] إِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الْأَصْلُ فِي الصِّفَاتِ؟

الجواب: الأصل أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَتْهُ بِهِ رُسُلُهُ، هَذَا أَصْلٌ، (إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل)، كَأَنْ تُثَبَّتَ بِدُونِ تَمَثِيلٍ، وَتُنَزَّهَ بِدُونِ تَعْطِيلٍ.

[٢] مِنَ الْآيَاتِ الْمَشْكِلَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فَهِيَ تُثَبَّتُ أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا، وَتَنْفِي عَنْهُ الْمِثَالَةَ.

وَكَوْنُهَا مِنَ الْآيَاتِ الْمَشْكِلَةِ؛ لِأَنَّ الْكَافَ لِلتَّشْبِيهِ، وَهِيَ دَاخِلَةٌ عَلَى كَلِمَةِ (مِثْلٍ)، فَإِذَا أَخَذْنَا بِالْآيَةِ عَلَى ظَاهِرِهَا فَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: إِنَّ ظَاهِرَهَا أَنَّ لِلَّهِ مِثْلًا، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. وَهَذَا مُشْكِلٌ.

وَمِنْ ثَمَّ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي مَعْنَاهَا، فَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: أَي لَيْسَ كَصِفَتِهِ شَيْءٌ. وَقَالَ: إِنَّ الْمِثْلَ وَالْمَثْلَ يَأْتِي بِمَعْنَى الصِّفَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [حمد: ١٥]، ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ يَعْنِي: صِفَةُ الْجَنَّةِ الَّتِي

وَعِدَ الْمُتَّقُونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ (الْكَافَ) هُنَا زَائِدَةٌ كَمَا تَزَادُ (مِنْ) وَالْبَاءُ وَغَيْرُهُمَا مِنْ حُرُوفِ الْجُرْ، وَأَنَّ أَصْلَ الْكَلَامِ: (لَيْسَ مِثْلَهُ شَيْءٌ).

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ ﴿مَثَلُ﴾ زَائِدَةٌ، وَإِنَّ الْأَصْلَ (لَيْسَ كَهُو شَيْءٌ).

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: بَلْ إِنَّ الْكَافَ دَالَّةٌ عَلَى التَّشْبِيهِ، وَ(مِثْلُ) دَالَّةٌ عَلَى التَّشْبِيهِ، وَيَكُونُ هَذَا مِنْ بَابِ التَّوَكِيدِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ إِذَا دَخَلَ عَلَى النَّفْيِ زَادَهُ تَوَكِيدًا، فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا مِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ؛ لِأَنَّهُ جَرَتْ الْعَادَةُ فِي الْأُسْلُوبِ الْعَرَبِيِّ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَمْدَحُوا شَخْصًا قَالُوا: مِثْلُكَ لَا يَبْخُلُ. أَيْ: أَنَّكَ أَنْتَ لَا تَبْخُلُ، أَوْ يَعْنِي مَنْ بَابِ الْمُبَالَغَةِ، إِذَا كَانَ مِثْلُكَ لَا يَبْخُلُ وَهُوَ مُلْحَقٌ بِكَ إِلْحَاقًا؛ فَأَنْتَ مِنْ بَابٍ أَوَّلٍ، وَهَذَا الْأَخِيرُ هُوَ أَحْسَنُهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ ظَاهِرُ اللَّفْظِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يَعْنِي أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْمُبَالَغَةِ فِي نَفْيِ مُمَثَّلَةِ شَيْءٍ لِّلَّهِ قَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ثُمَّ إِنَّهُ فِي الْوَاقِعِ إِذَا قُلْنَا: إِنَّ مِثْلَهُ لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ، لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ نَفْيُ الْمِثْلِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لِلْمِثْلِ مِثْلٌ؛ صَارَ مَدْلُولُ الْآيَةِ لَيْسَ بِصَحِيحٍ.

فَالْآيَةُ مَعْنَاهَا وَاضِحٌ، لَكِنْ كَيْفَ صَحَّ تَرْكِيبُ الْآيَةِ؟

نَقُولُ: هَذَا مِنْ بَابِ الْمُبَالَغَةِ، وَهُوَ أُسْلُوبٌ عَرَبِيٌّ، أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فَهِيَ إِبْتِاثٌ.

وَسَمِعَ اللَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

■ سَمِعَ بِمَعْنَى الِاسْتِجَابَةِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٣٩].

فَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ نَفْيٌ مُتَضَمِّنٌ لِكَمَالِ صِفَاتِهِ، مُبْطِلٌ لِمَنْهَجِ أَهْلِ التَّمْثِيلِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ إِبْثَاتٌ لِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَإِبْطَالٌ لِمَنْهَجِ أَهْلِ التَّحْرِيفِ<sup>[١]</sup> وَالتَّعْطِيلِ<sup>[٢]</sup>، .....

■ وَسَمِعُ بِمَعْنَى إِدْرَاكِ الْمُسْمُوعِ، مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُمَا﴾ [المجادلة: ١].

[١] التَّحْرِيفُ: فِي اللُّغَةِ: التَّغْيِيرُ، وَمِنْهُ حَرَفْتُ الدَّابَّةَ، أَي: غَيَّرْتُ اتِّجَاهَهَا.

وَأَمَّا فِي الاصْطِلَاحِ: فَهُوَ تَغْيِيرُ لَفْظِ النَّصِّ أَوْ مَعْنَاهُ، سَوَاءً عَنْ قَصْدٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ، وَمَعْنَاهُ التَّغْيِيرُ، إِمَّا تَغْيِيرُ اللَّفْظِ، وَإِمَّا تَغْيِيرُ الْمَعْنَى.

فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ مَنْ قَامَ بِتَغْيِيرِ الْحَرَكَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ، وَجَعَلَ مُوسَى هُوَ الْفَاعِلَ، هَذَا مُحَرَّفٌ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَالَّذِي قَالَ: الْمُرَادُ بِيَدِ اللَّهِ: قَدْرَتُهُ، أَوْ نِعْمَتُهُ. هَذَا مُحَرَّفٌ مَعْنَى، وَالسَّلَفُ يُنَزَّهُونَ اعْتِقَادَهُمْ عَنِ التَّحْرِيفِ اللَّفْظِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ.

[٢] التَّعْطِيلُ: فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَعْنَى التَّخْلِيَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُزِيلُ مَعْطَلَةً﴾ [الحج: ٤٥]، أَي: مُخْلَاةٌ لَا يَرُدُّهَا أَحَدٌ.

وَأَمَّا فِي الاصْطِلَاحِ: فَهُوَ إِنكَارُ مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الْأَسْمَاءِ أَوْ الصِّفَاتِ، سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ الْإِنكَارُ كُلِّيًّا أَمْ جُزْئِيًّا؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَنْكَرَ فَقَدْ عَطَّلَ.

وَهُوَ أَيْضًا تَخْلِيَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَتَخْلِيَةُ النَّصِّ أَيْضًا مِنْ مَعْنَاهُ الْمُرَادِ بِهِ، فَالتَّعْطِيلُ يَنْصَبُ عَلَى الصِّفَةِ وَعَلَى دَلِيلِهَا، فَهُمْ يُعْطِلُونَ اللَّهَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَيُخْلَوْنَهُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَهُمْ كَذَلِكَ يُعْطِلُونَ النُّصُوصَ عَنْ مَدْلُولِهَا الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ، فَصَارَ مَوْضِعُ التَّعْطِيلِ الصِّفَاتِ وَأَدِلَّتْهَا.

فَنَبِّتُ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، وَنَنْفِي مَا نَفَى اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ،  
وَمَنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ<sup>[١]</sup> وَلَا تَمْيِيلٍ<sup>[٢]</sup>، وَهَذَا هُوَ الْمَنْهَجُ السَّلِيمُ الْوَاجِبُ الْمَبْنِي عَلَى  
الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالسَّدَادِ فِي الْقَوْلِ وَالْإِعْتِقَادِ.

[١] التَّكْيِيفُ: مَعْنَاهُ إِثْبَاتُ كَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ قَوْلًا أَوْ عَقْدًا.

ف(قَوْلًا): بَأَن يَقُولَ: كَيْفِيَّةُ اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ كَذَا وَكَذَا.

و(عَقْدًا): بَأَن يَعْتَقِدَ أَنَّ كَيْفِيَّةَ اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ كَذَا وَكَذَا.

وَيَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ قَالُوا: مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ. وَلَمْ يَقُولُوا: مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ.  
وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ؛ لِأَنَّ الْمَنْعُوعَ أَنْ تُكَيَّفَ، لَا أَنْ تَعْتَقَدَ أَنَّ لَهُ كَيْفِيَّةً؛ لِأَنَّ اعْتِقَادَ أَنَّ لَهُ كَيْفِيَّةً  
أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ، كُلُّ شَيْءٍ مَوْجُودٍ فَلَهُ كَيْفِيَّةٌ، وَلَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، فَاسْتِوَاءُ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ  
لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى كَيْفِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، لَكِنْ لَا يَجُوزُ لِي أَنْ أُكَيَّفَ، وَنُزُولُ اللَّهِ إِلَى السَّمَاءِ  
الدُّنْيَا أَيْضًا لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى كَيْفِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، لَكِنْ لَا يَجُوزُ لِي أَنْ أُكَيَّفَهُ، وَيَدُ اللَّهِ لَا بُدَّ  
أَنْ لَهَا كَيْفِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ لَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ أُكَيَّفَهَا.

وَهَذَا كَانَتْ الْعِبَارَةُ: «مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ». فَإِذَا ذَكَرَ كَيْفِيَّةَ الصِّفَةِ، وَقَالَ مَثَلًا:

كَيْفِيَّةُ وَجْهِ اللَّهِ كَذَا وَكَذَا... وَيَصِفُ، أَوْ يَقُولُ: كَيْفِيَّةُ اسْتِوَاءِهِ عَلَى الْعَرْشِ كَذَا  
وَكَذَا... وَيَصِفُ، فَهَذَا تَكْيِيفٌ بِدُونِ أَنْ يَقُولَ: مِثْلَ كَذَا.

[٢] التَّمْيِيلُ: ذِكْرُ الْكَيْفِيَّةِ مَقِيدَةً بِمُمَاطِلٍ، فَيَقُولُ: وَجْهُ اللَّهِ مِثْلُ وَجْهِ الْإِنْسَانِ.

وَيَقُولُ: اسْتِوَاءُ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ مِثْلُ اسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى السَّرِيرِ. وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ،  
حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ وَقَفَ قَائِمًا يُخَطِّبُ يَقُولُ: سَلُونِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَأَصِفْهُ لَكُمْ. وَقَالَ:  
وَاعْفُونِي عَنْ ذِكْرِ الْفَرْجِ وَاللَّحْيَةِ. -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ-، وَالْبَاقِي يَصِفُهُ مُمَثِّلًا رَبَّهُ بِالْخَلْقِ.



وَلَهُ دَلِيلَانِ: أَثَرِيٌّ وَنَظَرِيٌّ، وَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ: سَمْعِيٌّ وَعَقْلِيٌّ<sup>[١]</sup>.

والتَّمثِيلُ أَخْصَصُ مِنَ التَّكْيِيفِ، فَيَصِحُّ أَنْ نَقُولَ: كُلُّ مُثْمَلٍ مُكَيَّفٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مُكَيَّفٍ مُثْمَلًا، والتَّعْبِيرُ بِنَفِي التَّمثِيلِ أَوَّلَى مِنَ التَّعْبِيرِ بِنَفِي التَّشْبِيهِ؛ لُوجُوه:

١ - أَنَّهُ اللَّفْظُ الَّذِي وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَكَلِمًا حَافِظَ الْإِنْسَانَ عَلَى التَّعْبِيرِ بِالنَّصِّ كَانَ أَوَّلَى؛ لِأَنَّ النَّصَّ مُحْكَمٌ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ، وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: «كَشَبِهِ شَيْءٌ».

٢ - أَنَّ نَفْيَ التَّشْبِيهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ مَا مِنْ شَيْئَيْنِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا تَشَابُهُ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، وَإِنْ تَمَيَّزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ.

٣ - أَنَّ التَّشْبِيهَ صَارَ اسْمًا لِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ؛ وَلِهَذَا تَجَدُّ الَّذِينَ يُعْطِلُونَ إِذَا قَالُوا: مُشَبَّهَةٌ. فَيَعْنُونَ بِهِمْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْمُشْتَبِهِينَ لِلصِّفَاتِ، فَإِذَا سَمِعَهُ مَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْاضْطِلَاحُ؛ ظَنَّ أَنَّ مَعْنَى (مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ)، أَيِ: مِنْ غَيْرِ إِثْبَاتِ صِفَةٍ.

إِذَنْ: نَفْيُ الْمَاهِلَةِ مُبْطِلٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّمثِيلِ، وَإِثْبَاتُ سَمْعٍ وَبَصَرٍ مُبْطِلٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ.

[١] الدَّلِيلُ الْأَثَرِيُّ بِإِزَاءِ السَّمْعِيِّ، وَأَنَّ النَّظَرِيَّ بِإِزَاءِ الْعَقْلِيِّ؛ لِأَنَّ الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ يُعْرِفُ بِالنَّظَرِ وَالتَّدْبِيرِ، وَالدَّلِيلُ الْأَثَرِيُّ يُعْرِفُ بِالسَّمْعِ يَتَلَقَّاهُ النَّاسُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

وَهَذَا الْمَنْهَجُ هُوَ الْمَنْهَجُ السَّلِيمُ بِلَا شَكٍّ، فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ:

■ أَمَّا كَوْنُهُ مَبْنِيًّا عَلَى الْعِلْمِ؛ فَلِأَنَّهُ مُتَلَقَّى مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

أَمَّا الْأَثَرِيُّ السَّمْعِيُّ فَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] <sup>[١]</sup>.

■ وَأَمَّا كَوْنُهُ مُبَيَّنًّا عَلَى الْحِكْمَةِ؛ فَلَأَنَّ الْإِنْسَانَ اسْتَعْمَلَ هَذِهِ النُّصُوصَ فِي مَوَاضِعِهَا، وَهَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ.

[١] فِي هَذِهِ الْآيَةِ خَبْرٌ وَأَمْرٌ، فَالْخَبْرُ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وَدُعَاؤُهُ بِهَا يَسْتَلْزِمُ إِبْنَاتَهَا، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يُوجَدُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ إِلَّا وَلَهُ مَعْنَى، وَلَيْسَ مَعْنَى فَقَطْ، بَلْ هُوَ أَحْسَنُ الْمَعَانِي.

وَبِهَذَا نَعْرِفُ بُطْلَانَ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ (الدَّهْرَ)؛ لِأَنَّ الدَّهْرَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ لَيْسَ لَهُ مَعْنَى، إِذِنَّ الدَّهْرُ هُوَ الزَّمَنُ الَّذِي يَمُرُّ.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا إِبْطَالُ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ (الْقَدِيمَ)؛ لِأَنَّ الْقَدِيمَ لَيْسَ وَصْفًا أَعْلَى، إِذِنَّهُ يُوصَفُ بِهِ الشَّيْءُ الْمَخْلُوقُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾.

الثَّانِي: يَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ دُعَاؤُهُ بِهَا لَهُ مَعْنِيَانِ:

الْمَعْنَى الْأَوَّلُ: دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ، وَهُوَ أَنْ تَقْرِنَ الْمَسْأَلَةَ بِمَا تَطْلُبُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَتَقُولَ إِذَا أَرَدْتَ سُؤَالَ الْمَغْفِرَةِ: اللَّهُمَّ يَا غَفُورٌ فَاغْفِرْ لِي. وَإِذَا أَرَدْتَ الرِّزْقَ قُلِ: اللَّهُمَّ يَا رَزَّاقُ ارْزُقْنِي. وَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ تَقُولَ: يَا غَفُورُ ارْزُقْنِي. لِأَنَّ الدُّعَاءَ بِاسْمٍ يَكُونُ مُنَاسِبًا لِلْمَطْلُوبِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

وَالْمَعْنَى الثَّانِي: دُعَاءُ الْعِبَادَةِ، وَهُوَ أَنْ تَتَعَبَّدَ لِلَّهِ تَعَالَى بِمُقْتَضَاهَا، فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ غَفُورٌ تَعَرَّضْتَ لِلْمَغْفِرَةِ وَأَسْأَلَهَا، وَإِذَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ سَمِيعٌ خِفْتَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْكَ

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]<sup>[١]</sup>.

مَا يَكْرَهُهُ، وَإِذَا عَلِمْتَ بَأَنَّهُ بَصِيرٌ؛ خِفْتَ مِنْهُ أَنْ يَرَاكَ عَلَى وَجْهِ لَا يَرْضَاهُ.  
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِهِ﴾، هَذَا الْأَمْرُ لِلتَّهْدِيدِ؛ أَيِ:  
اتْرَكُوهُمْ فَجَزَاؤُهُمْ عَلَيْنَا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.  
[١] وَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ  
أَنَّ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، وَأَمَرَ بِدُعَائِهِ بِهَا، وَحَذَرَ مَنْ خَالَفَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ  
يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وَمِنْ أَنْوَاعِ الْإِلْحَادِ إِلَّا نُثِبَتِ لِلَّهِ هَذِهِ  
الْأَسْمَاءُ، أَوْ إِلَّا نَدَعُوهُ بِهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ وَأَمَرَ.  
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ هَذَا نَهْيٌ عَنِ التَّمثِيلِ.  
فَالْآيَةُ الْأُولَى فِيهَا الْأَمْرُ بِالْإِثْبَاتِ، وَالنَّهْيُ عَنِ التَّعْطِيلِ، وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ فِيهَا  
النَّهْيُ عَنِ التَّمثِيلِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ هَذِهِ الْآيَةُ تَتَضَمَّنُ النَّهْيَ عَنِ  
التَّكْيِيفِ؛ لِأَنَّ الْمَكْيِّفَ قَالَ مَا لَا يَعْلَمُ.

ولهذا: لَمَّا سُئِلَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ  
أَسْتَوَى﴾ كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ<sup>(١)</sup>. وَلَمْ يَرِدْ بِهِ السَّمْعُ فَيَكُونُ مَجْهُولًا

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة رقم (٦٦٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات رقم (٨٦٧)،

لَنَا، فَإِذَا كَيْفَ الْإِنْسَانُ، فَقَدْ قَفَا مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ، فَهَذِهِ الْآيَاتُ الثَّلَاثُ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى مَا انْتَهَجَهُ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَقَمَّتُهَا.

إِذَنْ: فَهَذِهِ الْآيَةُ اجْعَلْهَا نِبْرَاسًا تَهْتَدِي بِهِ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أَيِ: ائْتِرْكَ مَا لَا تَعْلَمُهُ؛ لِأَنَّكَ مَسْئُولٌ: ﴿وَإِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

وَإِذَا قُلْنَا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، فَهَلْ يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ أَوْ أَعْمٌ؟

فَمَنْ قَالَ: هَذَا حَرَامٌ. وَهُوَ لَا يَدْرِي فَقَدْ ارْتَكَبَ النَّهْيَ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ وَاجِبٌ. وَهُوَ لَا يَدْرِي فَقَدْ ارْتَكَبَ النَّهْيَ، وَمَنْ قَالَ عَنْ شَخْصٍ مَا لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْهُ؛ فَقَدْ ارْتَكَبَ النَّهْيَ، إِلَّا إِذَا ثَبَتَ عَنْهُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ.

أَمَّا مَا تَشْكُ فِيهِ فَلَا تَأْخُذْ بِهِ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، وَالشَّكُّ لَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ، وَاعْمَلْ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ تَكُنْ مُطِيعًا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَتَكُنْ مُسْتَرِيحًا؛ لِأَنَّكَ لَا تَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنْهُ.

وَمَا أَكْثَرَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ هَذِهِ الْآيَةَ، فَتَجِدُهُ يَتَسَرَّعُ فَيَقُولُ: هَذَا حَلَالٌ أَوْ هَذَا حَرَامٌ. وَتَجِدُهُ يَتَسَرَّعُ فِي النَّقْلِ عَنْ شَخْصٍ وَهُوَ لَا يَدْرِي عَنْهُ، وَقَدْ تَجِدُهُ يَتَسَرَّعُ فِي الظَّنِّ عَلَى غَيْرِ أَصْلِ.

وَأَمَّا النَّظَرِيُّ الْعَقْلِيُّ فَلَأَنَّ الْقَوْلَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ مِنْ بَابِ الْحَبْرِ  
الْمَحْضِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ لِلْعَقْلِ إِدْرَاكَ تَفَاصِيلِهِ، فَوَجَبَ الْوُقُوفُ فِيهِ عَلَى مَا جَاءَ  
بِهِ السَّمْعُ<sup>(١)</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «وَأَمَّا النَّظَرِيُّ الْعَقْلِيُّ فَلَأَنَّ الْقَوْلَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ...»: الْكَلَامُ فِي  
الصِّفَاتِ وَفِي الْأَسْمَاءِ مِنْ بَابِ الْحَبْرِ، فَتَحْنُ لَا نَعْرِفُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ إِلَّا مَا أَعْلَمْنَا بِهِ،  
وَلَا نَعْلَمُ مِنْ صِفَاتِهِ إِلَّا مَا أَعْلَمْنَا بِهِ، فَإِذَا كَانَ مَرْجِعُ ذَلِكَ السَّمْعِ فَإِنَّ الْوَاجِبَ  
الْوُقُوفُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ السَّمْعُ؛ إِبْتِثَاتًا فِي الْإِثْبَاتِ، وَنَقْيًا فِي النَّقْيِ، وَالْعَقْلُ لَا يُمَكِّنُهُ  
إِدْرَاكَ تَفَاصِيلِ ذَلِكَ.

وَفِيهِمْ مِنْ قَوْلِنَا: (تَفَاصِيلُ ذَلِكَ) أَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَعْرِفَهُ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ،  
فَالْعَقْلُ يَعْلَمُ أَنَّ الرَّبَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ كَامِلَ الصِّفَاتِ، لَكِنَّ كَمَالَ الصِّفَاتِ بِمَا أَخْبَرَ  
بِهِ.

وَلِهَذَا اسْتَدَلَّ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَبِيهِ بِدَلِيلٍ عَقْلِيِّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ لِمَ  
تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢].

إِذِنْ: الْعَقْلُ يَعْلَمُ بِأَنَّ الرَّبَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا عَالِمًا قَادِرًا، لَكِنَّ  
تَفَاصِيلَ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُهُ، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَنَا أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا عَلِمْنَا  
بِذَلِكَ، وَلَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخْبَرَنَا بِأَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى  
ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ مَا عَلِمْنَا ذَلِكَ<sup>(١)</sup>، وَلَوْلَا أَنَّ نَبِيَّهَ أَخْبَرَنَا بِأَنَّهُ يَضْحَكُ إِلَى رَجُلَيْنِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: أَبْوَابُ التَّهَجُّدِ، بَابُ الدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، رَقْمُ (١٠٩٤)، وَمُسْلِمٌ:  
كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرُهَا، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالْإِجَابَةِ فِيهِ،  
رَقْمُ (٧٥٨).

يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ مَا عَلِمْنَا بِذَلِكَ<sup>(١)</sup>.  
 فَاللَّهُ تَعَالَى مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَامِلًا لَمْ يَصِحَّ أَنْ يَكُونَ  
 رَبًّا.

وَلَكِنْ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ: لَا يُدْرِكُ الْعَقْلُ هَذَا؛ فَوَجَبَ الْوُقُوفُ فِيهِ عَلَى مَا  
 جَاءَ بِهِ السَّمْعُ.

وَلِهَذَا: لَوْ سَأَلْنَا سَائِلٌ: هَلْ أَسَاءَ اللَّهُ تَوْقِيفِيَّةً أَمْ قِيَاسِيَّةً؟  
 الْجَوَابُ: إِنَّهَا تَوْقِيفِيَّةٌ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل،  
 رقم (٢٦٧١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة،  
 رقم (١٨٩٠).

## فصل

وَالْجَمْعُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فِي بَابِ الصِّفَاتِ هُوَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ فِيهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ مَصْدَرٌ وَحَدٌّ يُوَحِّدُ، وَلَا يُمَكِّنُ صِدْقَ حَقِيقَتِهِ إِلَّا بِنَفْيِ وَإِثْبَاتِ؛ لِأَنَّ الْإِقْتِصَارَ عَلَى النَّفْيِ الْمَحْضِ تَعْطِيلٌ مَحْضٌ، وَالْإِقْتِصَارَ عَلَى الْإِثْبَاتِ الْمَحْضِ لَا يَمْنَعُ الْمُشَارَكَةَ<sup>[١]</sup>.

[١] أي: لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُوَحِّدًا تَوْحِيدَ أُلُوْهِيَّةٍ، وَفِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَكَذَلِكَ فِي بَابِ الصِّفَاتِ إِلَّا إِذَا جَمَعَ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، فَأَثْبَتْنَا مَا أَثْبَتَهُ الشَّارِعُ، وَنَفَيْنَا مَا نَفَاهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمَثِيلٍ، وَلَا يُمَكِّنُ صِدْقَ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ إِلَّا بِالْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ.

فَإِذَا سَأَلَ سَائِلٌ: هَلْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ إِثْبَاتٌ وَنَفْيٌ؟  
الْجَوَابُ: نَعَمْ، فَ(إِنَّمَا) أَدَاهُ حَضَرٌ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْحَضَرَ هُوَ إِثْبَاتُ الْحُكْمِ فِي الْمَذْكُورِ وَنَفْيُهُ عَمَّا سِوَاهِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، فِي مَنْزِلَةِ قَوْلِهِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» تَمَامًا، كَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

وَالْمِثَالُ يَتَبَيَّنُ فِيهِ مَا كَرَّرْنَاهُ، مِنْ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ إِثْبَاتٍ وَنَفْيٍ، وَكَلِمَةُ تَوْحِيدٍ مَصْدَرٌ (فَعْلٌ)، وَحَدٌّ يُوَحِّدُ تَوْحِيدًا، وَلَا يُمَكِّنُ تَوْحِيدَ الشَّيْءِ إِلَّا بِإِثْبَاتِ الْمَعْنَى لَهُ وَنَفْيِهِ عَمَّا سِوَاهُ، يَقُولُ: «لَأَنَّ الْإِقْتِصَارَ عَلَى النَّفْيِ الْمَحْضِ تَعْطِيلٌ مَحْضٌ وَعَدَمٌ، وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى الْإِثْبَاتِ الْمَحْضِ لَا يَمْنَعُ الْمُشَارَكَةَ»، وَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نُوَحِّدَ فَتَثْبُتُ بِدُونِ مُشَارَكَةٍ.

مِثَالُ ذَلِكَ: لَوْ قُلْتَ: مَا زَيْدٌ بِشَجَاعٍ، فَقَدْ نَفَيْتَ عَنْهُ صِفَةَ الشَّجَاعَةِ وَعَظَلْتَهُ مِنْهَا<sup>[١]</sup>.

وَلَوْ قُلْتَ: زَيْدٌ شَجَاعٌ، فَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ صِفَةَ الشَّجَاعَةِ، لَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ شَجَاعًا أَيْضًا<sup>[٢]</sup>.

وَلَوْ قُلْتَ: لَا شَجَاعَ إِلَّا زَيْدٌ، فَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ صِفَةَ الشَّجَاعَةِ، وَنَفَيْتَ أَنْ يُشَارِكَهُ غَيْرُهُ فِيهَا، فَكُنْتَ مُوَحِّدًا لَهُ فِي صِفَةِ الشَّجَاعَةِ.

إِذَنْ لَا يُمَكِّنُ تَوْحِيدُ أَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلَّا بِالْجَمْعِ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الصِّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةَ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ كُلُّهَا صِفَاتٌ كَمَالِ<sup>[٣]</sup>,

[١] قَوْلُهُ: «مِثَالُ ذَلِكَ: لَوْ قُلْتَ: مَا زَيْدٌ بِشَجَاعٍ. فَقَدْ نَفَيْتَ عَنْهُ صِفَةَ الشَّجَاعَةِ وَعَظَلْتَهُ مِنْهَا»: إِذَا قُلْنَا: «مَا زَيْدٌ بِشَجَاعٍ» فَقَدْ نَفَيْنَا عَنْهُ الشَّجَاعَةَ وَعَظَلْنَاهُ، فَالشَّجَاعَةُ فِي حَقِّهِ مَعْدُومَةٌ، فَهَذَا نَفْيٌ مُحْضٌ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَلَوْ قُلْتَ: زَيْدٌ شَجَاعٌ. فَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ صِفَةَ الشَّجَاعَةِ، لَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ شَجَاعًا أَيْضًا».

فَهَلْ إِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ شَجَاعٌ. وَحَدَّثَهُ بِالشَّجَاعَةِ؟

الْجَوَابُ: لَا؛ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ شَجَاعًا أَوْ أَشْجَعَ مِنْهُ، فَإِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ شَجَاعٌ. أَثْبَتَ الشَّجَاعَةَ، لَكِنَّكَ لَمْ تَنْفِهَا عَنْ غَيْرِهِ، فَالْإِثْبَاتُ الْمُحْضُ لَا يَمْنَعُ الْمَشَارَكَةَ.

[٣] قَوْلُهُ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الصِّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةَ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ كُلُّهَا صِفَاتٌ كَمَالٍ...»: كُلُّ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ إِمَّا إِثْبَاتٌ وَإِمَّا نَفْيٌ، فَكُلُّ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ فَهُوَ



وَالْغَالِبُ فِيهَا التَّفْصِيلُ؛ لِأَنَّهُ كُتِبَ الْإِخْبَارُ عَنْهَا وَتَنَوَّعَتْ دَلَالَتُهَا ظَهَرَ مِنْ كَمَالِ الْمُوصُوفِ بِهَا مَا لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا مِنْ قَبْلُ؛ وَهَذَا كَانَتْ الصِّفَاتُ الثُّبُوتِيَّةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ أَكْثَرَ مِنَ الصِّفَاتِ الْمُنْفِيَّةِ الَّتِي نَفَاهَا اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ.

وَأَمَّا الصِّفَاتُ الْمُنْفِيَّةُ الَّتِي نَفَاهَا اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَكُلُّهَا صِفَاتٌ نَقَصٍ<sup>[١]</sup> وَلَا تَلِيْقُ بِهِ، كَالْعَجْزِ، وَالتَّعَبِ، وَالظُّلْمِ، وَمِثَالَةِ الْمَخْلُوقِينَ، وَالْغَالِبُ فِيهَا الْإِجْمَالُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَبْلَغُ فِي تَعْظِيمِ الْمُوصُوفِ وَأَكْمَلُ فِي التَّنْزِيهِ، فَإِنَّ تَفْصِيلَهَا لِغَيْرِ سَبَبٍ يَقْتَضِيهِ فِيهِ سُخْرِيَّةٌ وَتَنْقُصٌ لِلْمَوْصُوفِ.

صِفَةُ كَمَالٍ، وَإِذَا كَانَ الْإِثْبَاتُ صِفَةً كَمَالٍ فَإِنَّهُ كُتِبَ ذِكْرُ الصِّفَاتِ الثُّبُوتِيَّةِ وَالْإِخْبَارُ عَنْهَا ظَهَرَ مِنْ كَمَالِ الْمُوصُوفِ بِهَا مَا هُوَ أَكْثَرُ.

فَلَوْ قُلْتُ لَكَ: فُلَانٌ ذَكِيٌّ. فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ ذَكِيٌّ، ثُمَّ قُلْتُ: وَعَاقِلٌ. ظَهَرَ لَكَ فِيهِ كَمَالٌ آخَرٌ وَهُوَ الْعَقْلُ، ثُمَّ قُلْتُ: وَعَالِمٌ. ظَهَرَ لَكَ كَمَالٌ أَكْثَرُ، ثُمَّ قُلْتُ: وَشَجَاعٌ. ثُمَّ قُلْتُ: وَكَرِيمٌ. ظَهَرَ لَكَ كَمَالٌ أَكْثَرُ، فَكُلَّمَا ذَكَرْتُ الصِّفَاتِ الثُّبُوتِيَّةَ ظَهَرَ مِنْ كَمَالِ الْمُوصُوفِ مَا هُوَ أَكْثَرُ.

وَلِهَذَا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيَّنَّ مِنَ الصِّفَاتِ الثُّبُوتِيَّةِ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً؛ لِأَنَّهُ كُتِبَ ذِكْرُ الصِّفَةِ الثُّبُوتِيَّةِ ظَهَرَ مِنْ كَمَالِ الْمَمْدُوحِ مَا لَيْسَ ظَاهِرًا مِنْ قَبْلُ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ الْعُلَمَاءُ فِي التَّفْصِيلِ: التَّفْصِيلُ غَالِبٌ فِي الْإِثْبَاتِ، وَأَمَّا الْإِجْمَالُ فَغَالِبٌ فِي النِّفْيِ، وَسَيَأْتِي -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- بَيَانُ ذَلِكَ.

[١] قوله: «أَمَّا الصِّفَاتُ الْمُنْفِيَّةُ الَّتِي نَفَاهَا اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَكُلُّهَا صِفَاتٌ نَقَصٍ»:

فِي حَقِّ اللَّهِ «لَا تَلِيْقُ بِهِ» مِثْلُ: الْجَهْلِ، وَالسَّنَةِ، وَالنَّوْمِ، وَالْمَوْتِ، وَمَا أَشْبَهَهَا، كُلُّهَا

صِفَاتُ نَقْصٍ لَا تَلِيْقُ بِاللّٰهِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ صِفَةُ النَّقْصِ نَقْصًا فِي ذَاتِهَا أَوْ نَقْصًا فِي كَمَالِهِ:

الأول: قَدْ تَكُونُ الصِّفَةُ صِفَةً كَمَالٍ؛ فَيُنْفَى عَنْهَا النَّقْصُ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَعْتَرِيَهَا بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، وَاللُّغُوبُ، أَي: التَّعَبُّ وَالْإِعْيَاءُ.

فَهُنَا لَمَّا ذَكَرَ خَلْقَهُ لِهَذِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْوَجِيزَةِ، وَكَانَ مِنَ الْمَتَوَقَّعِ أَنَّ الْمَخْلُوقَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا كَبِيرًا أَنَّهُ يَتَعَبُ؛ فَنفَى اللهُ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، فَهَذَا نفَى نَقْصٍ فِي كَمَالِهِ، فَالْخَلْقُ صِفَةُ كَمَالٍ، لَكِنْ قَدْ يَعْتَرِيهِ تَعَبٌ وَإِعْيَاءٌ، وَهَذَا لِغَيْرِ اللهِ، فَنفَى اللهُ عَنْ نَفْسِهِ هَذَا النَّقْصَ الَّذِي هُوَ نَقْصٌ فِي الْكَمَالِ.

الثاني: النَّقْصُ فِي مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ، بِأَنْ تَقُولَ: عَلِمُ اللهُ كَعِلْمِي، هَذَا تَنَقُّصٌ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِنَّ الْخَاقَ الْكَامِلَ بِالنَّاقِصِ يَجْعَلُهُ نَاقِصًا؛ وَهَذَا لَوْ قُلْتَ: فَلَانُ كَفُلَانٍ فِي الْكَرَمِ. وَكَانَ الْمُشَبَّهُ بِهِ كَرِيمًا كَرَمًا وَاضِحًا، وَالثَّانِي كَرَمُهُ دُونَ ذَلِكَ؛ لَنَقْصَ قَدَرِ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ هَذَا النَّاقِصَ الْحَقُّ بِهِ، بَلْ قَدْ قِيلَ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ إِذَا قِيلَ: إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا<sup>(١)</sup>

فَصَارَ الَّذِي يَنْفِي عَنِ اللهِ النَّقْصَ:

١ - إِمَّا لَكُونِ الصِّفَةِ نَقْصًا فِي ذَاتِهَا أَوْ فِي جِنْسِهَا، أَوْ نَقْصًا فِي كَمَالِهَا.

أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ مَدَحْتَ مَلِكًا فَقُلْتَ لَهُ: أَنْتَ كَرِيمٌ، شَجَاعٌ مُحَنِّكٌ، قَوِيُّ الْحُكْمِ، قَاهِرٌ لِأَعْدَائِكَ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمَدْحِ، لَكَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِيهِ مِنْ زِيَادَةِ مَدْحِهِ وَإِظْهَارِ مَحَاسِنِهِ مَا يَجْعَلُهُ مُحِبُّوًا مُحْتَرَمًا؛ لِأَنَّكَ فَصَّلْتَ فِي الْإِثْبَاتِ.

وَلَوْ قُلْتَ: أَنْتَ مَلِكٌ لَا يُسَامِيكَ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا فِي عَصْرِكَ، لَكَانَ ذَلِكَ مَدْحًا بَالِغًا؛ لِأَنَّكَ أَجْمَلْتَ فِي النَّفْيِ<sup>[١]</sup>.

٢- أَوْ مُشَابَهَةً لِلْمَخْلُوقِ.

وَالْغَالِبُ فِي الْإِثْبَاتِ التَّفْصِيلُ، وَذَكَرْنَا تَعْلِيلَهُ، وَالْغَالِبُ فِي النَّفْيِ الْإِجْمَالُ، وَهَذَا تَعْلِيلُهُ، بِقَوْلِهِ: «لِأَنَّهُ أَكْمَلُ فِي التَّنْزِيهِ وَأَعْظَمُ فِي تَعْظِيمِ الْمُوصُوفِ».

فَإِذَا قَالَ لَكَ قَائِلٌ: أَنْتَ لَيْسَ بِكَ عَيْبٌ. هَذَا أَبْلَغُ مِمَّا لَوْ قَالَ لَكَ: لَيْسَ بِكَ عَجْزٌ، وَلَيْسَ بِكَ جَهْلٌ... إلخ.

وَأَكْمَلُ أَيْضًا فِي التَّنْزِيهِ؛ لِأَنَّكَ لَوْ نَفَيْتَ صِفَةً ذَمًّا وَاحِدَةً لَأَوْهَمَ جَوَازَ الصِّفَةِ الْأُخْرَى، فَإِذَا نَفَيْتَ نَفْيًا مُجْمَلًا كَانَ أَبْلَغُ فِي التَّنْزِيهِ.

إِذَنْ: الْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَمْرَيْنِ:

١- أَنْ ذَلِكَ أَبْلَغُ فِي تَعْظِيمِ الْمُوصُوفِ.

٢- وَلِأَنَّ ذَلِكَ أَكْمَلُ فِي التَّنْزِيهِ.

[١] قَوْلُهُ: «أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ مَدَحْتَ مَلِكًا فَقُلْتَ: أَنْتَ كَرِيمٌ شَجَاعٌ...».

فَالأَوَّلُ: ذَكَرْتَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ مَا يَزِدُّ دَاوِدَ رِفْعَةً عِنْدَ النَّاسِ وَحُبَّةً وَاحْتِرَامًا.

وَلَوْ قُلْتَ: أَنْتَ مَلِكٌ غَيْرُ بَخِيلٍ، وَلَا جَبَانٍ، وَلَا فَقِيرٍ، وَلَا بَقَالٍ، وَلَا كَنَاسٍ،  
وَلَا بَيْطَارٍ، وَلَا حَجَّامٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ التَّفْصِيلِ فِي نَفْيِ الْعُيُوبِ الَّتِي لَا تَلِيقُ  
بِهِ، لَعَدَّ ذَلِكَ اسْتِهْزَاءً بِهِ وَتَنْقُصًا لِحَقِّهِ<sup>[١]</sup>.

وَالثَّانِي: ذَكَرْتَ نَفْيًا مُجْمَلًا، قُلْتَ: هَذَا مَلِكٌ لَا يُسَامِيهِ الْيَوْمَ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ.  
هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَدَحِ؛ لِأَنَّهُ إِجْمَالٌ فِي النَّفْيِ، وَالْأَوَّلُ تَفْصِيلٌ فِي الْإِثْبَاتِ.

[١] وَلَوْ وَقَفَ وَاحِدٌ أَمَامَ الْمَلِكِ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْتَ لَسْتَ بَخِيلًا، وَلَا جَبَانًا،  
وَلَا فَقِيرًا... إلخ. لَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَسْخَرُ بِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا شَيْءٌ لَا يُحْتَاجُ أَنْ يُقَالَ، وَالْوَاقِعُ أَنَّهُ  
يُنْزَلُ مِنْ قِيَمَتِهِ عِنْدَ النَّاسِ.

فَالْتَفْصِيلُ فِي الْعُيُوبِ هَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ قَدْحٌ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ نَفْيًا لِلْعُيُوبِ.

فَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ التَّفْصِيلَ فِي النَّفْيِ بِذِكْرِ الْعُيُوبِ يَكُونُ سُخْرِيَّةً بِالْإِنْسَانِ،  
وَتَنْقُصًا لَهُ، إِلَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ سَبَبٌ فَلَا بَأْسَ بِالتَّفْصِيلِ، حَتَّى إِنَّهُ فِي مَقَامِ الْخُصُومَةِ  
لَوْ قَالَ لَهُ: أَنْتَ لَسْتَ بِجَاهِلٍ! لَعَدَّ ذَلِكَ وَصْفًا لَهُ بِالْجَهْلِ، يَعْنِي أَنَّ فِعْلَكَ هَذَا فِعْلُ  
أَهْلِ الْجَهْلِ؛ فَيَكُونُ هَذَا تَنْقُصًا لَهُ وَعَيْبًا.

إِذَنْ: لَيْسَ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى نَفْيٌ إِلَّا وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِلْكَمَالِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ:  
﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، فَلَوْ لَا أَنَّهُ مُتَضَمِّنٌ لِلْكَمَالِ لَمْ يَكُنْ مَثَلًا أَعْلَى، وَلَا يَكُونُ  
مَثَلًا أَعْلَى إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَ الْكَمَالَ.

وَهَذِهِ الْقِطْعَةُ مِنَ الْمَثَنِ يُعْنَوْنَ عَنْهَا بِأَنَّ «طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ التَّفْصِيلُ فِي الْإِثْبَاتِ،  
وَالْإِجْمَالُ فِي النَّفْيِ»؛ لِأَنَّ صِفَاتِ الْإِثْبَاتِ كُلَّهَا كَمَالٌ، فَإِذَا تَعَدَّدَتْ وَتَنَوَّعَتْ دَلَّالَتُهَا؛  
ظَهَرَ مِنْ كَمَالِ الْمَوْصُوفِ مَا لَمْ يَكُنْ ظَاهِرًا مِنْ قَبْلُ.

وَقَدْ يَأْتِي الْإِجْمَالُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ الثُّبُوتِيَّةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْأَسْمَاءِ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وَقَوْلِهِ فِي الصِّفَاتِ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، أَيِ: الْوَصْفُ الْأَعْلَىٰ<sup>١</sup>.

أَمَّا النَّفْيُ، فَالِإِجْمَالُ فِيهِ أَبْلَغُ؛ لِأَنَّهُ أَدْلُ عَلَى الْكَمَالِ.  
إِذَنْ: طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ:

الْأَوَّلُ: التَّفْصِيلُ فِي الْإِثْبَاتِ.

وَالثَّانِي: الْإِجْمَالُ فِي النَّفْيِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَقَدْ يَأْتِي الْإِجْمَالُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ...»: وَلَمْ يَفْصَلْ فِي الْأَسْمَاءِ، وَإِنَّمَا أَجْمَلَ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾، وَلَمْ يَقُلِ: الْعَزِيزُ، الْحَكِيمُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ... إِلَى آخِرِهِ، بَلْ أَجْمَلَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وَإِنَّمَا أَجْمَلَ لِيَدْعُو الْإِنْسَانُ رَبَّهُ بِكُلِّ اسْمٍ يُنَاسِبُ مَطْلُوبَهُ، فَإِذَا أَرَدْتَ سُؤَالَ الرَّزْقِ تَقُولُ: يَا رَزَاقُ ارْزُقْنِي. وَإِذَا أَرَدْتَ الْعِلْمَ تَقُولُ: يَا عَلِيمُ عَلِّمْنِي.

وَكَذَلِكَ قَدْ يُجْمَلُ فِي الصِّفَاتِ وَلَا يُفْصَلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ مَا قَالَ: لَهُ الْقُوَّةُ وَالْعِزَّةُ وَالْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ... إلخ.

وَالْمَثَلُ هُوَ الْوَصْفُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ أَيِ: وَصْفُهَا كَذَا وَكَذَا، هَذَا إِجْمَالٌ فِي الْأَسْمَاءِ وَفِي الصِّفَاتِ، فِي الْأَسْمَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾، وَفِي الصِّفَاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾؛ لِأَنَّ هَذَا مُقَابِلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾.

وَقَدْ يَأْتِي التَّفْصِيلُ فِي الصِّفَاتِ الْمُنْفِيَةِ لِأَسْبَابٍ مِنْهَا<sup>[١]</sup>:

١- نَفْيُ مَا ادَّعَاهُ فِي حَقِّهِ الْكَاذِبُونَ الْمُفْتَرُونَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ

مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

٢- دَفْعُ تَوَهُّمِ نَقْصِ كَمَالِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]<sup>[٢]</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «وَقَدْ يَأْتِي التَّفْصِيلُ فِي الصِّفَاتِ الْمُنْفِيَةِ...»:

إِذْنِ: التَّفْصِيلُ فِي النَّفْيِ لَا يَأْتِي إِلَّا لِسَبَبٍ يَقْتَضِيهِ، فَمِنْ الْأَسْبَابِ أَنْ يَكُونَ «نَفْيًا لِمَا ادَّعَاهُ الْكَاذِبُونَ الْمُفْتَرُونَ فِي حَقِّهِ»، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾، ﴿مَا﴾ نَفْيٌ عَامٌّ، فَنَفَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اتِّخَاذَ وَلَدٍ؛ لِأَنَّ الْمُفْتَرِينَ قَالُوا: ﴿أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، فَنَفَى ذَلِكَ: ﴿وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾؛ لِأَنَّ الْمُفْتَرِينَ قَالُوا: إِنَّ مَعَهُ إِلَهًا. فَأَرَادَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُكَذِّبَهُمْ فِيمَا ادَّعَوْهُ، فَالتَّفْصِيلُ إِذْنٌ لِسَبَبٍ، وَهُوَ: نَفْيُ مَا ادَّعَاهُ الْكَاذِبُونَ الْمُفْتَرُونَ.

فَالْمُشْرِكُونَ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ. وَالْيَهُودُ قَالُوا: عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ. وَالنَّصَارَى قَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. فَنَفَى اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ هَذِهِ الصِّفَةَ الَّتِي ادَّعَاهَا هَؤُلَاءِ الْكَاذِبُونَ الْمُفْتَرُونَ، وَقَالَ: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾.

وَقَالُوا: إِنَّ الْإِلَهَ مُتَعَدِّدٌ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾، وَهَذَا سَبَبٌ يَقْتَضِي أَنْ يُنْفَى؛ لِأَنَّ هَذَا الَّذِي أَثْبَتَهُ الْمُفْتَرُونَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَا بُدَّ أَنْ يُنْفَى عَنِ اللَّهِ؛ لِأَنَّا نَخَاطِبُ خَصْمًا فِي الْوَاقِعِ، فَلَا بُدَّ أَنْ نُبْطِلَ مَا يَدَّعِيهِ.

[٢] أَمَّا السَّبَبُ الثَّانِي: فَهُوَ «دَفْعُ تَوَهُّمِ نَقْصِ الْكَمَالِ»، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ

خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، فَإِنَّهُ قَدْ

يَتَوَهَّمُ الْمُتَوَهَّمُ، بِأَنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةَ، وَالتِّي تَمَّ خَلْقُهَا فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْيَسِيرَةِ، تُلْحِقُ الْخَالِقَ التَّعَبَ وَالْإِعْيَاءَ، كَمَا ادَّعَتِ الْيَهُودُ، حَيْثُ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْمَلَ الْخَلْقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَاسْتَرَّاحَ يَوْمَ السَّبْتِ!! فَهَذَا نَفَى اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ دَفْعًا لِهَذَا التَّوَهَّمِ الَّذِي قَدْ يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ، مِنْ تَوَهُّمِ التَّعَبِ وَاللُّغُوبِ فِي خَلْقِ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ، فَنَفَى اللَّهُ عَزَّجَلَّ أَنَّ يَكُونَ لِحَقِّهِ لُغُوبٌ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْيَسِيرَةِ.

فَإِذَا سَأَلَ سَائِلٌ: هَلْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، مِنَ التَّفْصِيلِ أَوْ مِنَ الْإِجْمَالِ؟

وَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا مِنَ الْإِجْمَالِ، فَلَمْ يَقُلْ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي كَذَا وَكَذَا وَكَذَا. فَقَدْ أَجْمَلَ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنَ الصِّفَاتِ الْمُنْفِيَّةِ.

خُلَاصَةُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ مَا يَلِي:

١. صِفَاتُ اللَّهِ: إِمَّا ثُبُوتِيَّةٌ، وَإِمَّا مُنْفِيَّةٌ.
٢. الصِّفَاتُ الثُّبُوتِيَّةُ كُلُّهَا صِفَاتُ كَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهَا.
٣. الصِّفَاتُ الْمُنْفِيَّةُ كُلُّهَا صِفَاتُ نَقْصٍ، لَكِنَّهَا تَتَضَمَّنُ كَمَالًا، وَهُوَ إِثْبَاتُ كَمَالٍ ضِدِّهَا.

٤. الْغَالِبُ فِي الصِّفَاتِ الثُّبُوتِيَّةِ التَّفْصِيلُ وَفِي الْمُنْفِيَّةِ الْإِجْمَالُ.

٥. قَدْ يَأْتِي الْإِجْمَالُ فِي الصِّفَاتِ الثُّبُوتِيَّةِ، وَقَدْ يَأْتِي التَّفْصِيلُ فِي الْمُنْفِيَّةِ.

أُمْتِلَةُ التَّفْصِيلِ فِي الْإِثْبَاتِ وَالْإِجْمَالِ فِي النَّفْيِ:

الْأُمْتِلَةُ عَلَى التَّفْصِيلِ فِي الْإِثْبَاتِ كَثِيرَةٌ جِدًّا؛ فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَشْرِ، [الآية: ٢٢]: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَ اسْمًا، وَكُلُّ اسْمٍ مِنْهَا قَدْ تَضَمَّنَ صِفَةً أَوْ صِفَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ<sup>[١]</sup>.

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجِّ: ﴿لِيَدْخُلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ، وَلِإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فَهَذِهِ سَبْعُ آيَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ خُتِمَتْ كُلُّ آيَةٍ مِنْهَا بِاسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ. وَكُلُّ اسْمٍ مِنْهَا مُتَضَمِّنٌ لِصِفَةٍ أَوْ صِفَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ<sup>[٢]</sup>.

[١] وَلَا يُوجَدُ لِهَذَا نَظِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، أَيُّ: لَا يُوجَدُ سَبْعُ آيَاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ، فَكُلُّ آيَةٍ خُتِمَتْ بِاسْمَيْنِ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَيَقُولُ: «كُلُّ اسْمٍ مِنْهَا مُتَضَمِّنٌ لِصِفَةٍ»، فَهَذِهِ قَاعِدَةٌ، وَتَعْنِي أَنَّ (اللَّهِ) مُتَضَمِّنٌ لِصِفَةِ الْأُلُوْهِيَّةِ، (وَالرَّحْمَنُ) صِفَةُ الرَّحْمَةِ وَهَكَذَا، كُلُّ اسْمٍ مُتَضَمِّنٌ لِصِفَةٍ، وَقَدْ يَتَضَمَّنُ صِفَتَيْنِ، وَقَدْ يَتَضَمَّنُ أَكْثَرَ، فَمَثَلًا: (الْخَالِقُ) فِي (سُورَةِ الْحَشْرِ) يَتَضَمَّنُ صِفَةَ الْخَالِقِ، وَيَتَضَمَّنُ صِفَةَ الْعِلْمِ، وَيَتَضَمَّنُ صِفَةَ الْقُدْرَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا خَلْقَ إِلَّا بِعِلْمٍ، وَلَا خَلْقَ إِلَّا بِقُدْرَةٍ، وَيَتَضَمَّنُ أَيْضًا صِفَةَ الْإِرَادَةِ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجِّ...» إلخ؛ إِذَا كَانَ سَبْعُ آيَاتٍ، كُلُّ آيَةٍ مَخْتومة بِاسْمَيْنِ؛ صَارَتْ الْأَسْمَاءُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ اسْمًا، «وَلَا يُوجَدُ لَهَا نَظِيرٌ فِي الْقُرْآنِ» أَيُّ: لَا يُوجَدُ آيَاتٌ فِي الْقُرْآنِ مُتَوَالِيَةٌ «خُتِمَتْ بِاسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ» بِهَذَا الْعَدَدِ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.



وَأَمَّا أَمْثَلُهُ الْإِجْمَالُ فِي النَّفْيِ فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] <sup>١١</sup>، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ <sup>١٢</sup>، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ <sup>١٣</sup>.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الْمُنْفِيَّةِ نَفْيٌ مُحْضٌ لَا يَتَضَمَّنُ ثُبُوتَ كَمَالٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّفْيَ الْمُحْضَ عَدَمٌ مُحْضٌ، وَالْعَدَمُ الْمُحْضُ لَيْسَ بِشَيْءٍ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ كَمَالًا؛ .....

[١] قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أي: فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ، فَهَذَا إِجْمَالٌ.

[٢] قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾: هَذَا نَفْيٌ؛ لِأَنَّ (هَلْ) اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى النَّفْيِ، وَالِاسْتِفْهَامُ يَأْتِي كَثِيرًا بِمَعْنَى النَّفْيِ.

فَإِذَا سَأَلَ سَائِلٌ: مَا السِّرُّ فِي كَوْنِ الْاسْتِفْهَامِ يَأْتِي بِمَعْنَى النَّفْيِ؟

وَالْجَوَابُ: السِّرُّ فِي هَذَا أَنَّهُ إِذَا أَتَى الْاسْتِفْهَامُ بِمَعْنَى النَّفْيِ كَانَ تَحْدِيثًا لِلْمُخَاطَبِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا فَأْتِنِي بِهِ. وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ فِي كُلِّ اسْتِفْهَامٍ بِمَعْنَى النَّفْيِ أَنَّهُ لِلتَّحْدِيثِ، وَالتَّحْدِيثُ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى النَّفْيِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا نَفَيْتَ فَقَدْ أَخْبَرْتَ، وَإِذَا تَحْدِيثَ فَقَدْ طَلَبْتَ.

فَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ نَظِيرًا، وَذَلِكَ لِكَمَالِ صِفَاتِهِ، كَأَنَّهُ يُقَالُ: لَيْسَ لَهُ سَمِيٌّ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فَأْتِ بِهِ.

[٣] قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: لَا أَحَدٌ يُكَافِئُهُ، هَذَا

إِجْمَالٌ، يَعْنِي: فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ لَهُ سَمِيٌّ؛ لِكَمَالِ صِفَاتِهِ لَا يُسَامِيهِ أَحَدٌ، فَيَكُونُ هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وَلِأَنَّ النَّفْيَ إِنْ لَمْ يَتَّصَمَنَّ ثُبُوتَ كَمَالٍ فَقَدْ يَكُونُ لِعَدَمِ قَابِلِيَّةِ الْمُوصُوفِ لَهُ، فَلَا يَكُونُ نَفْيُهُ عَنْهُ كَمَا لَا؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ قَابِلٍ لَهُ أَصْلًا، وَقَدْ يَكُونُ لِعَجْزِ الْمُوصُوفِ عَنْهُ، فَيَكُونُ نَفْيُهُ عَنْهُ مُوجِبًا لِنَقْصِهِ.

الْمِثَالُ الْأَوَّلُ: أَنْ يُقَالَ: الْجِدَارُ لَا يَظْلِمُ. فَتَنَفِّي الظُّلْمِ عَنِ الْجِدَارِ لَا يُعَدُّ كَمَا لَا فِي الْجِدَارِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا نَفَى عَنْهُ الظُّلْمَ؛ لِعَدَمِ قَابِلِيَّتِهِ لَهُ، لَا لِكَمَالِ عَدْلِهِ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ<sup>(١)</sup>.

وَالْمِثَالُ الثَّانِي: أَنْ يُقَالَ عَنْ شَخْصٍ عَاجِزٍ: فَلَانٌ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ. فَتَنَفِّي الظُّلْمِ عَنْ هَذَا الْعَاجِزِ لَيْسَ بِكَمَالٍ، بَلْ هُوَ نَقْصٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

[١] وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ جِدًّا: «لَا يُوجَدُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ الْمُنْفِيَةِ نَفْيٌ مُحْضٌ لَا يَتَّصَمَنَّ ثُبُوتَ كَمَالٍ»، بَلْ كُلُّ مَا جَاءَ مِنَ النَّفْيِ بِصِفَاتِ اللَّهِ فَهُوَ مُتَّصَمَنَّ لِثُبُوتِ كَمَالٍ، فَهُوَ عَدْلٌ لَا يَظْلِمُ، قَوِيٌّ لَا يَتَعَبُ، عَالِمٌ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ... وَهَكَذَا. فِكُلُّ نَفْيٍ فِي صِفَاتِ اللَّهِ فَهُوَ مُتَّصَمَنَّ لِثُبُوتِ كَمَالٍ:

أَوَّلًا: لِأَنَّ النَّفْيَ الْمَحْضَ عَدَمٌ مُحْضٌ، وَالْعَدَمُ لَا يَكُونُ ثَنَاءً؛ لِأَنَّ الْعَدَمَ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَمَا لَيْسَ بِشَيْءٍ فَهُوَ عَلَى اسْمِهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ كَمَا لَا؟!

وَتَانِيًا: لِأَنَّ النَّفْيَ الْمُتَّصَمَنَّ ثُبُوتِ كَمَالٍ، فَقَدْ يَكُونُ لِعَدَمِ الْقَابِلِيَّةِ لِلْمُوصُوفِ لَهُ، إِذَا نَفَيْتَ شَيْئًا عَنْ شَيْءٍ وَلَمْ تَقْصِدْ ثُبُوتَ الْكَمَالِ، فَهَذَا رُبَّمَا يَكُونُ؛ لِأَنَّ هَذَا الشَّيْءَ الَّذِي نَفَيْتَهُ عَنْهُ لَيْسَ قَابِلًا لَهُ، يَعْنِي: لَا يَقْبَلُ أَنْ يُوصَفَ بِهِ، وَإِذَا نَفَيْتَهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ أَنْ يُوصَفَ بِهِ، لَمْ يَكُنْ نَفْيُكَ عَنْهُ كَمَا لَا، وَقَدْ يَكُونُ نَفْيُهُ عَنْهُ لِعَجْزِهِ عَنْهُ، فَيَكُونُ نَفْيُهُ نَقْصًا، تَارَةً يَكُونُ نَفْيُ كَمَالٍ، وَتَارَةً يَكُونُ نَقْصًا، وَتَارَةً لَا كَمَا لَا وَلَا نَقْصًا.

قُبَيْلَةً لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ<sup>(١)</sup>

إِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَإِنَّ مِمَّا نَفَى اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ الظُّلْمَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وَذَلِكَ لِكَمَالِ عَدْلِهِ، وَنَفَى عَنْ نَفْسِهِ التَّعَبَ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾؛ لِكَمَالِ قُوَّتِهِ<sup>(٢)</sup>.

[١] إِذَا قَرَأْتَ: «لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ» يَعْنِي: أَنَّهُمْ يُوفُونَ.

«وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ» يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَعْدِلُونَ، لِكِنَّةِ لَا يُرِيدُ الشَّاعِرُ ذَلِكَ، يُرِيدُ أَنْ يَنْتَقِصَهُمْ.

يَقُولُ: «قُبَيْلَةً»: تَصْغِيرٌ يَدُلُّ عَلَى التَّخْفِيرِ.

«لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ»: لَا أَنَّهُمْ لَا يَغْدِرُونَ أَنْ يُخْلِفُوا الْوَعْدَ، يَخَافُونَ أَنْ الْمَوْعُودَ يَفْتِكُ بِهِمْ.

«وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ»: يَخَافُونَ أَنَّهُمْ إِذَا ظَلَمُوا ظَلَمُوا بِأَضْعَافِ ذَلِكَ.

فَلِهَذَا نَقُولُ: بِأَنَّ هَذَا النَّفْيَ فِي الْوَاقِعِ لَيْسَ بِكَمَالٍ هُمْ، بَلْ هُوَ نَقْصٌ؛ لِأَنَّ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُمْ لِلْعَكْسِ لَيْسَ بِكَمَالٍ؛ لِأَنَّهُ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ لَوْ قَدَرُوا عَلَى الظُّلْمِ لَظَلَمُوا.

[٢] مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ الْيَهُودَ يَصِفُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِصِفَاتِ الْعَيْبِ، فَقَالُوا فِي جَانِبِ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ اسْتَرَاحَ لِتَعَبِهِ فَلَمْ يَخْلُقْ

(١) البيت للنجاشي أحد بني الحارث بن كعب. انظر الحماسة الشجرية (ص: ٤٥٢)، والشعر والشعراء لابن قتيبة (ص: ٣٣٠، ٣٣١).

شَيْئًا فِي يَوْمِ السَّبْتِ، وَهَذَا لَيْسَ بِغَرِيبٍ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ هُمْ وَصَفُوا اللَّهَ تَعَالَى بِالْعَجْزِ وَالتَّعَبِ، وَوَصَفُوهُ أَيْضًا بِالْفَقْرِ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨١]، لَمَّا قَالَ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ افْتَقَرَ؛ وَهَذَا يَطْلُبُ مِنَّا الْقَرْضَ.

وَقَدْ وَصَفُوا اللَّهَ تَعَالَى بِالْعُيُوبِ، وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ فَعَبَدُوا شَيْئًا صَنَعُوهُ مِنْ الذَّهَبِ عَلَى صِفَةِ الْعِجَلِ، وَصَارَ لَهُ خُورًا؛ أَي: صَوْتُ، فَقَالُوا: (إِنَّ هَذَا إِلَهَكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى)، لِأَنَّ اللَّهَ وَاعَدَ مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، فَأَتَمَّهَا بِعَشْرِ فَصَارَتْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَقَالُوا: زَادَتْ الْمُدَّةُ؛ لِأَنَّ مُوسَى ضَاعَ وَهُوَ يَطْلُبُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ وَلَمْ يَجِدْهُ، وَهَذَا هُوَ اللَّهُ. فَعَبَدُوا الْعِجْلَ -والعياذ بالله- الَّذِي صَنَعُوهُ!

وَمَعَ أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِالْعَجْزِ وَالْفَقْرِ، فَهَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ فِيهَا إِبْطَالٌ لَمَّا قَالَهُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ، مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، تَعَبَ وَعَجَزَ فَاسْتَرَاحَ.



## فصل

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْإِشْتِرَاكَ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لَا يَسْتَلْزِمُ تَمَثُّلَ الْمُسَمَّيَاتِ  
وَالْمَوْصُوفَاتِ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ السَّمْعُ وَالْعَقْلُ وَالْحِسُّ<sup>١١</sup>.

[ ١ ] هَذِهِ قَاعِدَةٌ مِنْ أَفْضَلِ الْقَوَاعِدِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: «اِشْتِرَاكُ الْأَشْيَاءِ فِي  
الاسْمِ أَوْ فِي الصِّفَةِ، لَا يَسْتَلْزِمُ تَمَثُّلَ الْمُسَمَّيَاتِ أَوْ تَمَثُّلَ الصِّفَاتِ».

هَذِهِ قَاعِدَةٌ تَنْفَعُكَ فِي مُجَادَلَةِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ، إِذَا قَالُوا: إِذَا أُثْبِتَ لِلَّهِ  
كَذَا صِفَةٌ. فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمُشَابِهَ لِلْمَخْلُوقِ. ثُمَّ تَقُولُ: لَا يُلْزِمُنَا الِاتِّفَاقُ فِي الصِّفَةِ؛  
الِإِشْتِرَاكُ فِي الصِّفَةِ أَنْ تَتَسَاوَى الْمَوْصُوفَاتُ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا السَّمْعُ وَالْعَقْلُ وَالْحِسُّ.  
إِذَنْ: فَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ أَنَّ الْمَعَانِيَ تَكُونُ بِحَسَبِ الْإِضَافَاتِ،  
قَدْ يُضَافُ الشَّيْءُ إِلَى شَيْءٍ فَيَكُونُ لَهُ مَعْنَى، وَيُضَافُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ فَيَكُونُ لَهُ مَعْنَى،  
فَإِذَا قُلْتَ: ثَوْبُ الْمَلِكِ، وَثَوْبُ الْكَنَّاسِ. يَعْرِفُ السَّامِعُ أَنَّ بَيْنَهُمَا فَرْقًا، مَعَ أَنَّ كَلِمَةَ  
(ثَوْب) وَاحِدَةٌ.

وَقَدْ ضَرَبْتُ هَذَا الْمَثَلَ الْمَحْسُوسَ؛ لِأُبَيِّنَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَكُونُ مَذْلُولَاتِهَا بِحَسَبِ  
مَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ.

وَبِنَاءً عَلَى هَذَا: فَإِذَا أَضَافَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ صِفَةً يَتَّصِفُ بِهَا الْإِنْسَانُ، فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ  
هَذِهِ الصِّفَةَ الْمُضَافَةَ إِلَى اللَّهِ، لَا تَمَثِّلُ الصِّفَةَ الْمُضَافَةَ إِلَى الْمَخْلُوقِ.

فَمَثَلًا: عِلْمُ اللَّهِ، وَعِلْمُ الْمَخْلُوقِ، كِلَاهُمَا عِلْمٌ، لَكِنَّ بَيْنَهُمَا فَرْقًا، فَالْعِلْمُ الْمُضَافُ  
إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ يَلِيْقُ بِهِ، وَالْعِلْمُ الْمُضَافُ إِلَى الْمَخْلُوقِ يَلِيْقُ بِهِ.

أَمَّا السَّمْعُ: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وَقَالَ عَنِ الْإِنْسَانِ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وَنَقَى أَنْ يَكُونَ السَّمِيعُ كَالسَّمِيعِ وَالْبَصِيرُ كَالْبَصِيرِ فَقَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]<sup>١١</sup>.

وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ تَنْجَلِي عَنْكَ بِهَا إِشْكَالَاتٌ كَثِيرَةٌ، مِمَّا أَوْرَدَهُ أَهْلُ الْبَدَعِ وَأَهْلُ التَّحْرِيفِ وَالتَّعْطِيلِ، الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّ اتِّفَاقَ الْأَشْيَاءِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ اتِّفَاقَهَا فِي الْحَقِيقَةِ، وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ ظَنٌّ خَاطِئٌ، وَأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ حَتَّى الْعَامِّيَّ أَنْ يَفْهَمَ مِنَ الْأَلْفَاظِ هَذَا الْفَهْمَ.

وَأَنَا ضَرَبْتُ مَثَلًا مُحْسُوسًا بِلُبْسِ الثَّوبِ، وَكَذَلِكَ السَّيَّارَةُ فَمَثَلًا: لَوْ قَالَ لَكَ قَائِلٌ: سَيَّارَةُ الْمَلِكِ، وَسَيَّارَةُ الْحِمَالِ. فَيَبْنِيهِمَا فَرْقٌ. اخْتَلَفَ الْمَعْنَى بِحَسَبِ مَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ.

[١] قَوْلُهُ: «أَمَّا السَّمْعُ: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾»:

الْمَثَلُ الْأَوَّلُ: لِلْأَسْمَاءِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، وَالسَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ مِنْ أَسْمَائِهِ.

الْمَثَلُ الثَّانِي: لِلصِّفَةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا اسْمٌ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾، وَ(عَلِمَ) لَيْسَتْ اسْمًا، وَلَكِنَّهَا فِعْلٌ يَدُلُّ عَلَى صِفَةٍ وَهِيَ: الْعِلْمُ، وَعِلْمُ الْإِنْسَانِ فِي الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ فَإِنَّ التَّاءَ هُنَا فَاعِلٌ، فَصَارَ الْعِلْمُ لَيْسَ كَالْعِلْمِ، فَإِنَّ عِلْمَ مَنْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا لَيْسَ كَعِلْمِ مَنْ لَمْ يُؤْتِ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا.

وَأَثَبَتْ لِنَفْسِهِ عِلْمًا وَلِلْإِنْسَانِ عِلْمًا، فَقَالَ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وَقَالَ عَنِ الْإِنْسَانِ: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنِينَ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وَلَيْسَ عِلْمُ الْإِنْسَانِ كَعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَنْ عِلْمِهِ: ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، .....

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعْظَمُ بِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا، فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَأَمْثَالِهَا إِشْكَالٌ، وَهُوَ التَّعْبِيرُ بـ(كَانَ) حَيْثُ تُوْهِمُ أَنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ ثُمَّ زَالَ؛ لِأَنَّ (كَانَ) تَدُلُّ عَلَى الْمَاضِي، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ (كَانَ) لَيْسَتْ تَدُلُّ عَلَى الْمَاضِي الَّذِي يَنْقُضِي، بَلْ تَدُلُّ عَلَى تَحَقُّقِ الشَّيْءِ وَثُبُوتِهِ، فَإِذَا قُلْتَ: كَانَ الرَّجُلُ حَازِمًا. صَارَ أَبْلَغَ فِي الثُّبُوتِ وَالتَّوَكُّيدِ، مِنْ قَوْلِهِ: هَذَا الرَّجُلُ حَازِمٌ. كَأَنَّكَ جَعَلْتَ الْحَزَمَ مِنْ طَبِيعَتِهِ وَسَجِيَّتِهِ، وَهِيَ هُنَا مَسْلُوبَةُ الدَّلَالَةِ عَنِ الزَّمَنِ.

فَنَقُولُ: «كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا»، «كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا»، «كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا»، الْمُرَادُ تَأْكِيدُ ثُبُوتِ هَذِهِ الصِّفَةِ لَهُ، وَيَكُونُ فَائِدَةُ ذَلِكَ تَحَقُّقُ هَذِهِ الصِّفَةِ فِي حَقِّهِ.

وَلَمَّا وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَوَصَفَ الْإِنْسَانَ بِأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؛ هَلْ يُلْزَمُ بِوَصْفِ الْإِنْسَانِ بِالسَّمِيعِ أَنْ يَكُونَ كَسَمْعِ اللَّهِ؟ وَالبَصِيرُ: هَلْ يُلْزَمُ كَوْنُ الْإِنْسَانِ بَصِيرًا أَنْ يَكُونَ بَصَرُهُ كَبَصَرِ اللَّهِ؟!

الجواب: لا؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فَتَنَى النَّدِيَّةَ مَعَ إِثْبَاتِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِلْإِنْسَانِ وَلِلرَّبِّ.

وَقَالَ عَنْ عِلْمِ الْإِنْسَانِ: ﴿وَمَا أُوتِيَتْهُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] <sup>[١]</sup>.

وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَمِنَ الْمَعْلُومِ بِالْعَقْلِ أَنَّ الْمَعَانِيَ وَالْأَوْصَافَ تَتَقَيَّدُ وَتَتَمَيَّزُ بِحَسَبِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ، فَكَمَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٌ فِي ذَوَاتِهَا فَإِنَّهَا كَذَلِكَ مُخْتَلِفَةٌ فِي صِفَاتِهَا، وَفِي الْمَعَانِيَ الْمُضَافَةِ إِلَيْهَا، فَإِنَّ صِفَةَ كُلِّ مَوْصُوفٍ تُنَاسِبُهُ لَا يُفْهَمُ مِنْهَا مَا يَقْصُرُ عَنْ مَوْصُوفِهَا أَوْ يَتَجَاوَزُهُ <sup>[٢]</sup>؛ .....

[١] إِذَنْ: هَلِ عِلْمُ الْإِنْسَانِ كَعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى؟

الْجَوَابُ: لَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

إِذَنْ: فَعِلْمُهُ وَاسِعٌ كَثِيرٌ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَمَّا عِلْمُ الْإِنْسَانِ فَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُوتِيَتْهُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فَأَثْبَتَ لِلْإِنْسَانِ عِلْمًا، وَنَفَى أَنْ يَكُونَ كَعِلْمِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ: ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ قَلِيلًا.

[٢] قَوْلُهُ: «إِنَّ صِفَةَ كُلِّ مَوْصُوفٍ تُنَاسِبُهُ لَا يُفْهَمُ مِنْهَا مَا يَقْصُرُ عَنْ مَوْصُوفِهَا أَوْ يَتَجَاوَزُهُ» هَذَا دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ، وَهُوَ أَنَّ الْمَعَانِيَ وَالْأَوْصَافَ تَتَقَيَّدُ حَسَبَ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ، فَكَمَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٌ فِي ذَوَاتِهَا كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ، فَلَيْسَ الْإِنْسَانُ كَالْحَيَوَانِ، وَلَيْسَتِ السَّمَاءُ كَالْأَرْضِ، فَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ فِي ذَوَاتِهَا، كَذَلِكَ مُخْتَلِفَةٌ فِي صِفَاتِهَا، وَالْمَعَانِيَ الْمُضَافَةِ إِلَيْهَا.

فَأَنَّا مَثَلًا لَا أَفْهَمُ مِنْ عِلْمِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ كَعِلْمِ الْبَهِيمَةِ، فَلَوْ فَهِمْتُ مِنْ عِلْمِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ كَعِلْمِ الْبَهِيمَةِ لَقَصُرْتُ، وَكَذَلِكَ لَا أَفْهَمُ مِنْ عِلْمِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ كَعِلْمِ اللَّهِ،



وَلِهَذَا نَصِفُ الْإِنْسَانَ بِاللِّينِ، وَالْحَدِيدَ الْمُنْصَهَرَ بِاللِّينِ، وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّيْنَ مُتَفَاوِتُ الْمَعْنَى بِحَسَبِ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ<sup>[١]</sup>.

وَلَوْ فَهِمْتُ أَنَّهُ كَعِلْمِ اللَّهِ لَتَجَاوَزْتُ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ لَا يَفْهَمُ مِنَ الصِّفَةِ إِلَّا مَا يَلِيقُ بِمَوْصُوفِهَا، مِنْ غَيْرِ مُجَاوِزَةٍ وَلَا نَقْصٍ، إِنْ فِيهِمْ أَنْقَصَ قِيلَ: فَهَمْكَ قَاصِرٌ. وَإِنْ فِيهِمْ أَكْثَرَ قِيلَ: فَهَمْكَ مُتَجَاوِزٌ.

وَلَوْ قُلْتُ: فَلَانٌ عَالِمٌ. وَهُوَ مِنَ الْعَامَّةِ. وَقُلْتُ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ كَشَيْخِ الْإِسْلَامِ مَثَلًا: عَالِمٌ. كُلُّ يَفْهَمُ الْفَرْقَ بَيْنَ (عَالِمٍ) الْأُولَى، وَ(عَالِمٍ) الثَّانِيَةِ، مَعَ أَنَّ الْجَمِيعَ بَشَرٌ، لَكِنْ صِفَةُ كُلِّ مَوْصُوفٍ تَنَاسِبُهُ، وَحَتَّى الْأَفْعَالُ أَيْضًا، لَوْ قُلْتُ عَنْ طِفْلِ صَغِيرٍ: إِنَّهُ حَمَلَ حَجْرًا بِمَشَقَّةٍ. وَقُلْتُ عَنْ شَابٍّ قَوِيٍّ: إِنَّهُ حَمَلَ حَجْرًا بِمَشَقَّةٍ. فَلَا يَفْهَمُ مِنَ الْحَجَرَيْنِ أَنَّهُمَا سَوَاءٌ، مَعَ أَنَّ الْفِعْلَ وَاحِدٌ، لَكِنْ لَمَّا اخْتَلَفَ الْفَاعِلُ صَارَ الْمَفْعُولُ مُخْتَلِفًا.

فَالْأَفْعَالُ وَالصِّفَاتُ كُلُّهَا تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْقُولٌ لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا مُكَابِرٌ.

إِذَنْ: إِذَا أُضِيفَتِ الصِّفَةُ إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ كَالصِّفَةِ الْمُضَافَةِ إِلَى الْمَخْلُوقِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَلِهَذَا نَصِفُ الْإِنْسَانَ بِاللِّينِ...» إلخ؛ فَتَقُولُ: فَلَانٌ لَيْنٌ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وَنَصِفُ الْحَدِيدَ الْمُنْصَهَرَ بِاللِّينِ، كَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبا: ١٠]، فَتَقُولُ: هَذَا الْحَدِيدُ -بَعْدَ مَا نَصَهَرَهُ عَلَى النَّارِ- لَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ ظَاهِرٌ مَعَ اتِّحَادِ اللَّفْظِ.

وَأَمَّا الْحِسُّ: فَإِنَّا نُشَاهِدُ لِلْفِيلِ جِسْمًا وَقَدَمًا وَقُوَّةً، وَلِلْبَعُوضَةِ جِسْمًا وَقَدَمًا وَقُوَّةً، وَنَعْلَمُ الْفَرْقَ بَيْنَ جِسْمَيْهِمَا، وَقَدَمَيْهِمَا، وَقُوَّتَيْهِمَا<sup>[١]</sup>.

فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ الْإِشْتِرَاكَ فِي الْإِسْمِ وَالصِّفَةِ فِي الْمَخْلُوقَاتِ لَا يَسْتَلْزِمُ التَّمَثُّلَ فِي الْحَقِيقَةِ مَعَ كَوْنِ كُلِّ مِنْهَا مَخْلُوقًا مُمَكِّنًا، فَانْتِفَاءُ التَّلَازُمِ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ أَوَّلَى وَأَجْلَى، بَلِ التَّمَثُّلُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مُمْتَنِعٌ غَايَةً الْإِمْتِنَاعُ<sup>[٢]</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «وَأَمَّا الْحِسُّ، فَإِنَّا نُشَاهِدُ لِلْفِيلِ جِسْمًا وَقَدَمًا وَقُوَّةً، وَلِلْبَعُوضَةِ جِسْمًا وَقَدَمًا وَقُوَّةً، وَنُشَاهِدُ الْفَرْقَ بَيْنَ جِسْمَيْهِمَا وَقَدَمَيْهِمَا وَقُوَّتَيْهِمَا». فَاشْتِرَاكُهُمَا فِي هَذَا لَا يَسْتَلْزِمُ تَمَثُّلَهُمَا، فَالْكُلُّ يَعْرِفُ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا، وَهَذَا فَارِقٌ حِسِّيٌّ يَعْرِفُهُ الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ.

إِذَنْ: أَنْوَاعُ الْأَدِلَّةِ عَلَى مُبَايَنَةِ الْخَالِقِ لِلْمَخْلُوقِ فِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ثَلَاثَةٌ:

١- السَّمْعُ. ٢- الْعَقْلُ. ٣- الْحِسُّ.

[٢] هَذِهِ الْقَاعِدَةُ مُفِيدَةٌ جِدًّا: «إِنَّهُ لَا يَلْزِمُ مِنَ الْإِشْتِرَاكِ فِي الْإِسْمِ وَالصِّفَةِ أَنْ يَتِمَّ ثَلَاثُ الْمُسَمَّى وَالْمَوْصُوفِ».

وَدَلِيلُ ذَلِكَ سَمْعِيٌّ وَعَقْلِيٌّ وَحِسِّيٌّ.

بَدَأْنَا بِالسَّمْعِ: لِأَنَّ السَّمْعَ هُوَ الْأَصْلُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[الأحزاب: ٣٦].

وثنَيْنَا بِالْعَقْلِ: لَأَنَّ الْعَقْلَ يُبَاشِرُ الرُّوحَ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الطَّلَبِ يَمِينًا وَشِمَالًا، إِذْ إِنَّهُ فِي الْإِنْسَانِ؛ وَالْحِسُّ يَحْتَاجُ إِلَى السَّيْرِ فِي الْأَرْضِ، وَالنَّظَرِ: هَلْ تَتَفَاوَتُ الْأَشْيَاءُ؟ فَالَّذِي لَا يَعْرِفُ الْفِيلَ لَا يَدْرِي هَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَعُوضَةِ تَفَاوُتٌ!.

ثُمَّ ثَلَّثْنَا بِالْحِسِّ: وَإِنْ كَانَ لَوْ قَدَّمْنَا الْحِسَّ عَلَى الْعَقْلِ لَكَانَ لَهُ وَجْهٌ أَيْضًا؛ لَأَنَّ الْحِسَّ لَا يُمَكِّنُ انْكَارَهُ، وَالْعَقْلَ يُمَكِّنُ الْمَكَابَرَةَ فِيهِ؛ فَلِذَلِكَ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْأُمُورِ الْعَقْلِيَّةِ الْقِيَاسِيَّةِ اخْتِلَافًا كَبِيرًا.



## فصل

فِي الزَّائِغِينَ عَنْ سَبِيلِ الرُّسُلِ وَاتَّبَاعِهِمْ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ:

الزَّائِغُونَ عَنْ سَبِيلِ الرُّسُلِ وَاتَّبَاعِهِمْ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ قِسْمَانِ: مُثَلَّةٌ، وَمُعْطَلَّةٌ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا غَلَا فِي جَانِبٍ، وَقَصَّرَ فِي جَانِبٍ.

فَالْمُثَلَّةُ غَلَا فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ، وَقَصَّرَ فِي جَانِبِ النَّفْيِ، وَالْمُعْطَلَّةُ غَلَا فِي جَانِبِ النَّفْيِ وَقَصَّرَ فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ، فَخَرَجَ كُلُّ مِنْهُمَا عَنِ الْإِعْتِدَالِ فِي الْجَانِبَيْنِ.

فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ: الْمُثَلَّةُ، وَطَرِيقَتُهُمْ أَنَّهُمْ أَثْبَتُوا لِلَّهِ الصِّفَاتِ عَلَى وَجْهِ يُمَازِلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَقَالُوا: لِلَّهِ وَجْهٌ وَيَدَانِ وَعَيْنَانِ، كَوُجُوهِنَا وَأَيْدِينَا وَأَعْيُنُنَا، وَنَحْوُ ذَلِكَ<sup>[١]</sup>.

[١] هَؤُلَاءِ الْمُثَلَّةُ وَهُمْ قَلِيلُونَ فِي الْوَاقِعِ بِالنِّسْبَةِ لِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَثْبُتَ قَدَمٌ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، فَلَا يُمَكِّنُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ عِنْدَهُ أَدْنَى عَقْلِ أَنْ يَقُولَ: عَيْنُ اللَّهِ كَأَعْيُنِنَا، وَوَجْهُ اللَّهِ كَوُجُوهِنَا، وَمَا أَشَبَّ ذَلِكَ. وَلَكِنْ مَعَ هَذَا وَجِدَ مَنْ يَقُولُ بِذَلِكَ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ يَخْطُبُ وَيَقُولُ: اسْأَلُونِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَأَصِفْهُ لَكُمْ. فَإِنْ سَأَلُوهُ عَنْ وَجْهِ اللَّهِ، قَالَ: مِثْلُ وَجْهِ أَحْسَنِ إِنْسَانٍ. وَالْعَيْنُ كَذَلِكَ.

وَفِي بَقِيَّةِ الصِّفَاتِ قَالُوا: إِنَّهُ عَلَى صُورَةِ أَجَلٍ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ. وَهُمْ -فِي الْحَقِيقَةِ- مَا خَرَجُوا عَنِ التَّنْفِيسِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا شَبَّهْتَ هَذَا الْوَاجِبَ الْوُجُودَ عَزَّجَلَّ

وَشُبِّهَتْهُمْ فِي ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطِبُنَا فِي الْقُرْآنِ بِمَا نَفْهَمُ وَنَعْقِلُ، قَالُوا:  
وَنَحْنُ لَا نَفْهَمُ وَلَا نَعْقِلُ إِلَّا مَا كَانَ مُشَاهِدًا، فَإِذَا خَاطَبَنَا عَنِ الْغَائِبِ بِشَيْءٍ  
وَجَبَّ حَمْلُهُ عَلَى الْمَعْلُومِ فِي الشَّاهِدِ<sup>(١)</sup>.

-الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَوْجُودًا- بِشَيْءٍ حَادِثٍ فَإِنْ، فَمَهْمَا بِالْغَتِ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ  
لَهُ إِذَا شَبَّهَتْهُ بِهَذَا الْحَادِثِ الْفَائِي فَأَنْتَ مُتَنَقِّصٌ لَهُ.

عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «حِجَابُهُ  
النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»<sup>(١)</sup> أي:  
لَأَحْرَقَتْ كُلَّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّ بَصَرَ اللَّهِ يَنْتَهِي إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَمَنْ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ يَكُونُ بِهَاؤُهُ  
وَنُورُهُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ؟!

فَكَيْفَ يَثْبُتُ لَهُمْ قَدَمٌ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ: أَنْ يُمَثِّلُوا اللَّهَ بِأَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ،  
وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ انْدَرَسُوا؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسَبَّهَةِ لَجُّوا إِلَى الْاِعْتِرَالِ فِيمَا بَعْدُ، وَهُوَ نَفْيُ  
الصِّفَاتِ، فَأَوَّلُ مَنْ قِيلَ عَنْهُ التَّشْبِيهِ: هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ مِنَ الرَّوَافِضِ، لَكِنَّ الرَّاغِبَةَ  
فِيمَا بَعْدُ ذَهَبُوا إِلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ، وَصَارُوا مُعْتَزِلَةً فِي بَابِ الصِّفَاتِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَشُبِّهَتْهُمْ فِي ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطِبُنَا فِي الْقُرْآنِ بِمَا نَفْهَمُ...»: هُمْ  
يَرَوْنَهَا حُجَّةً، لَكِنْ نَحْنُ نَقُولُ: شُبَّهَتْ؛ لِأَنَّ الْحُجَّةَ مَا قَامَ بِهِ الشَّيْءُ، وَهَذِهِ الشُّبْهَةُ  
لَا يَقُومُ بِهَا شَيْءٌ.

وَشُبِّهَتْهُمْ الَّتِي يَعْتَدُونَ بِهَا يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ خَاطِبُنَا فِي الْقُرْآنِ بِمَا نَعْقِلُ وَنَفْهَمُ،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «إن الله لا ينام»، وفي قوله: «حجابه النور»، رقم  
(١٧٩).

هَذِهِ الْحُجَّةُ صَحِيحَةٌ؛ وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ شَيْءٌ فِي الْقُرْآنِ غَيْرُ مَعْلُومٍ لِكُلِّ النَّاسِ - وَإِنْ كَانَ يَخْفَى عَلَى بَعْضِ النَّاسِ؛ لِقُصُورٍ أَوْ تَقْصِيرٍ - لَكِنْ بِالنَّسْبَةِ لِكُلِّ النَّاسِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوجَدَ فِي الْقُرْآنِ مَا يَخْفَى عَلَى النَّاسِ أَبَدًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، وَالْحَقَّاءُ لَيْسَ فِيهِ بَيَانٌ.

وَلِهَذَا كَانَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ فِي الْحُرُوفِ الْهَجَائِيَّةِ الَّتِي فِي أَوَائِلِ السُّورِ أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا مَعْنَى، وَأَنْ نَجْزِمَ بِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لَهَا، وَلَا نَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ فَقَطْ، أَوْ نَقُولَ: إِنَّهَا رُمُوزٌ لِأَشْيَاءٍ. بَلْ نَقُولَ: لَيْسَ لَهَا مَعْنَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ عَنِ الْقُرْآنِ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٣٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، وَاللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ الْمُبِينُ لَيْسَ فِيهِ مَعْنَى لِهَذِهِ الْحُرُوفِ الْهَجَائِيَّةِ، وَهَذَا الْقَوْلُ قَوْلُ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ إِمَامِ الْمُفَسِّرِينَ فِي زَمَانِهِ.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ كَلَامَهُمْ هَذَا صَحِيحٌ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَنَا فِي الْقُرْآنِ بِمَا نَفْهَمُ وَنَعْقِلُ.

وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَعْقِلَ إِلَّا مَا كَانَ مُشَاهِدًا مُحْسُوسًا نَرَاهُ بِأَعْيُنِنَا، فَإِذَا خَاطَبَنَا اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ وَجَبَ أَنْ نَحْمِلَهُ عَلَى مَا نَشَاهِدُ، فَنَقُولَ: الْيَدُ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ مِثْلَ الْيَدِ الَّتِي لِلْمَخْلُوقِينَ، وَالْعَيْنُ وَالْوَجْهَ كَذَلِكَ، الْمُهْمُ أَنْ هَذِهِ هِيَ شُبْهَتُهُمْ وَسَرَدُ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

أَمَّا نَحْنُ فَنَقُولُ: نُبَيِّنُ لِلَّهِ مِنَ الصِّفَاتِ مَا يَلِيقُ بِهِ وَلَا يُمَاتِلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَمَذْهَبُهُمْ بَاطِلٌ مَرْدُودٌ بِالسَّمْعِ، وَالْعَقْلِ، وَالْحِسِّ:

أَمَّا السَّمْعُ: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَالَ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، فِيهِ الْآيَةُ الْأُولَى نَفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مُمَازِلٌ مَعَ إِثْبَاتِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لَهُ، وَفِي الثَّانِيَةِ نَهَى أَنْ تُضْرَبَ لَهُ الْأَمْثَالُ، فَجَمَعَ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بَيْنَ النَّفْيِ وَالنَّهْيِ<sup>[١]</sup>.

وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَدَلَّالَتُهُ عَلَى بُطْلَانِ التَّمَثِيلِ مِنْ وَجْهِ:

الْأَوَّلُ: التَّبَايُنُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فِي الذَّاتِ وَالْوُجُودِ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ التَّبَايُنَ فِي الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ صِفَةَ كُلِّ مَوْصُوفٍ تَلِيْقُ بِهِ، فَالْمَعَانِي وَالْأَوْصَافُ تَتَقَيَّدُ وَتَتَمَيَّزُ بِحَسَبِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ<sup>[٢]</sup>.

[١] قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَقَالَ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ أَيُّ: لَا تَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ مِثْلُ كَذَا. فَجَمَعَ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بَيْنَ النَّفْيِ وَالنَّهْيِ.

[٢] هَذَا دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ، نَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الْمُمَثِّلَةِ: هَلْ تَرَوْنَ ذَاتَ الْخَالِقِ كَذَاتِ الْمَخْلُوقِ؟ سَيَقُولُونَ: لَا! لِأَنَّهُمْ مَا هُمْ مُمَازِلُونَ فِي الصِّفَاتِ. وَنَقُولُ أَيْضًا: هَلْ تَعْتَقِدُونَ وُجُودَ الْمَخْلُوقِ كَوُجُودِ الْخَالِقِ؟ سَيَقُولُونَ: نَعَمْ. نَقُولُ لَهُمْ: لَا؛ لِأَنَّ وُجُودَ الْخَالِقِ وَاجِبٌ يَسْتَحِيلُ عَدَمُهُ، وَوُجُودُ الْمَخْلُوقِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُمَكِّنَةِ الَّتِي قَدْ تَكُونُ وَقَدْ لَا تَكُونُ.

وَقَوْلُهُ: «الْأَوَّلُ: التَّبَايُنُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فِي الذَّاتِ وَالْوُجُودِ...»: أَمَّا التَّبَايُنُ فِي الذَّاتِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، قَبْضَتُهُ أَيُّ: بِيَدِهِ، فَمَنْ مِنَ الْمَخْلُوقاتِ تَكُونُ لَهُ ذَاتٌ كَهَذِهِ

10A

الثَّانِي: أَنَّ الْقَوْلَ بِالْمِثَالَةِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ يَسْتَلْزِمُ نَقْصَ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّ تَمَثُّلَ الْكَامِلِ بِالنَّاقِصِ يَجْعَلُهُ نَاقِصًا<sup>[١]</sup>.

الذَّاتِ؟! الَّتِي تَكُونُ السَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ؟! وَتَكُونُ  
الْأَرْضُ كُلُّهَا قَبْضَتُهُ، بِمَنْزِلَةِ مَا يَقْبِضُهُ الْإِنْسَانُ بِيَدِهِ، فَمَنْ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ يَكُونُ  
هَكَذَا؟!

كَذَلِكَ التَّبَإُ فِي الْوُجُودِ، فَالرَّبُّ عَزَّجَلَّ وَاجِبُ الْوُجُودِ وَالْبَقَاءِ، وَالْمَخْلُوقُ جَائِزُ الْوُجُودِ وَالْبَقَاءِ، فَهُوَ حَدِيثٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا أَنَا عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، وَهُوَ فَإِنْ بَعْدَ كَوْنِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنَ عَلَيْهَا فَإِنْ ۝ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]؛ وَلِهَذَا لَا يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقُولَ: ﴿كُلُّ مَنَ عَلَيْهَا فَإِنْ ۝ وَتَسَكَّتَ، بَلْ تَقُولَ: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾؛ لِأَنَّكَ إِذَا ذَكَرْتَ نَقْصَ الْمَخْلُوقِ تَذَكُّرُ كَمَالِ الْخَالِقِ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ رَأْسَ آيَةٍ، فَلَا نَقُولَ: يَمْتَنِعُ الْوُقُوفُ. الْوُقُوفُ جَائِزٌ لَكِنْ إِذَا وَصَلْتَ الثَّانِيَةَ بِهَا صَارَ أَظْهَرَ فِي كَمَالِ الْخَالِقِ عَزَّجَلَّ.

فَهُمْ لَا يَقُولُونَ بِالتَّائِلِ فِي الْوُجُودِ، وَلَا بِالتَّائِلِ فِي الذَّاتِ، إِذِ التَّائِلُ عِنْدَهُمْ إِنَّمَا هُوَ فِي الصِّفَاتِ، فَنَقُولُ: إِذَا أَثَبْتُمْ تَبَايُنَ الْمَخْلُوقِ وَالْحَاقِقِ فِي الذَّاتِ وَالْوُجُودِ؛ لَزِمَكُمْ أَنْ تَقُولُوا بِالتَّبَايُنِ بَيْنَهُمَا فِي الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ يَقْتَضِي أَنَّ صِفَةً كُلِّ مَوْصُوفٍ تَلِيْقُ بِهِ.

[١] قَوْلُهُ: «الثَّانِي: أَنَّ الْقَوْلَ بِالْمُثَاقَةِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ يَسْتَلْزِمُ نَقْصَ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ»: هَذَا الْوَجْهُ ظَاهِرٌ، وَهُوَ أَنَّكَ إِذَا جَعَلْتَ الْخَالِقَ كَالْمَخْلُوقِ؛ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ تَنْقُصُ الْخَالِقِ؛ لِأَنَّ تَشْبِيهَ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ كُلُّ مِثْلِهِمَا مُسَاوِيًا لِلْآخَرِ،



الثَّالِثُ: أَنَّ الْقَوْلَ بِمُثَالَّةِ الْخَالِقِ لِلْمَخْلُوقِ يَقْتَضِي بُطْلَانَ الْعُبُودِيَّةِ الْحَقِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْضَعُ عَاقِلٌ لِأَحَدٍ وَيَذِلُّ لَهُ عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ الْمُطْلَقِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَعْلَى مِنْهُ<sup>(١)</sup>.

أَوْ مُقَابِلًا لَهُ، وَهَذَا نَقْصٌ، فَلَوْ قُلْتَ مَثَلًا: هُنَاكَ إِنْسَانٌ أَبْلَهُ، وَإِنْسَانٌ عَاقِلٌ ذَكِيٌّ مَعْرُوفٌ. فَقُلْتَ: فَلَانُ الْأَبْلَهُ كَفُلَانِ الْعَاقِلِ الذَّكِيِّ؛ فَذَلِكَ يَقْتَضِي بِالنِّسْبَةِ لِلْعَاقِلِ الذَّكِيِّ التَّنْقِصَ؛ وَلِهَذَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ إِذَا قِيلَ: إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا

فَكَيْفَ إِذَا قِيلَ: إِنَّ السَّيْفَ مِثْلَ الْعَصَا، يَكُونُ أَشَدَّ نَقْصًا؛ فَالْخَالِقُ بِالْمَخْلُوقِ لَا شَكَّ أَنَّهُ نَقْصٌ يُنَافِي كَمَالَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَهَذَا نَرُدُّ بِهِ عَلَيْهِمْ وَنَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُثَبَّتَ لِنَفْسِهِ صِفَاتٍ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ نَاقِصًا، فَإِذَا قُلْتُمْ: إِنَّهُ مُمَازِلٌ لِلْمَخْلُوقِ. لَزِمَ أَنْ يَكُونَ نَاقِصًا، فَيَلْزِمُ عَلَى كَلَامِكُمْ أَنَّ اللَّهَ أَثَبَّتَ لِنَفْسِهِ صِفَاتٍ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ نَاقِصًا! وَهَذَا شَيْءٌ مُحَالٌ؛ لِأَنَّ نَقْصَ الْخَالِقِ ضَلَالٌ مُبِينٌ، وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَهْدِيَنَا إِلَى الضَّلَالِ، بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَهْدِيَنَا مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ، فَنَقُولُ لَهُمْ: أَنْتُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ الْخَالِقَ بِالْمَخْلُوقِ؛ لَزِمَكُمْ أَنْ تَتَنَقَّصُوا رَبَّكُمْ عَزَّوَجَلَّ.

[١] يَعْنِي لَوْ قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُمَازِلٌ لِلْمَخْلُوقِ بَطَلَتِ الْعُبُودِيَّةُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَذِلَّ لِأَحَدٍ عَلَى وَجْهِ الذَّلِّ الْمُطْلَقِ، إِلَّا لِمَنْ يَرَى أَنَّهُ فَوْقَهُ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّحْوِيُّونَ وَالبَلَاغِيُّونَ: «إِنَّ أَمْرَ الْإِنْسَانِ لِشَخْصٍ مُسَاوٍ لَهُ لَا يُسَمَّى أَمْرًا، وَإِنَّمَا يُسَمَّى التَّيَاسًا»، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْبُدَ الْإِنْسَانُ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ فَوْقَهُ، فَإِذَا قُلْنَا: إِنَّ الْخَالِقَ مِثْلَ الْمَخْلُوقِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَخْطُرَ بِيَالِكَ، وَهَذَا اللَّازِمُ بَاطِلٌ فَيَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِ الْمَلْزُومِ.

وَأَمَّا الْحِسُّ: فَإِنَّا نَشَاهِدُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا تَشْتَرِكُ أَسْمَاؤُهُ أَوْ صِفَاتُهُ فِي اللَّفْظِ وَتَبَّائِنُ فِي الْحَقِيقَةِ، فَلِلْفِيلِ جِسْمٌ وَقُوَّةٌ، وَلِلْبَعُوضَةِ جِسْمٌ وَقُوَّةٌ، وَالتَّبَّائِنُ بَيْنَ جِسْمَيْهِمَا وَقُوَّتَيْهِمَا مَعْلُومٌ، فَإِذَا جَازَ هَذَا التَّبَّائِنُ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ كَانَ جَوَازُهُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مِنْ بَابِ أَوَّلَى، بَلِ التَّبَّائِنُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ وَاجِبٌ، وَالتَّمَثُّلُ مُتَمَتِّعٌ غَايَةُ الْإِمْتِنَاعِ<sup>[١]</sup>.

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَنَا فِي الْقُرْآنِ بِمَا نَعْقِلُ وَنَفْهَمُ».  
فَصَحِيحٌ؛ .....

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ الدُّلُّ الْمَطْلُوقُ لِلْمَعْبُودِ، لَيْسَ الدُّلُّ الْجُزْئِيَّ، فَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ دُلٌّ جُزْئِيٌّ لِبَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ مَعَ بَعْضٍ، لَكِنَّ الدُّلَّ الْمَطْلُوقَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَخْلُوقٍ، فَإِذَا فَرَضْنَا أَنَّ الْخَالِقَ مُثَائِلٌ لِلْمَخْلُوقِ بَطَلَتِ الْعُبُودِيَّةُ، وَلَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوقِ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مُثَائِلٌ لِلْخَلْقِ.

إِذَنْ قَوْلُهُمْ: «يُفْضِي إِلَى إِبْطَالِ الْعُبُودِيَّةِ»: قَوْلٌ بَاطِلٌ بِلَا شَكٍّ، لَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَقْهَمُونَ اللَّازِمَ الَّذِي يَلْزَمُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ، وَرُبَّمَا لَوْ فَهَمُوا هَذَا اللَّازِمَ لَرَجَعُوا، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ مِمَّا نَرُدُّ بِهِ عَلَى أَهْلِ التَّمَثُّلِ.

[١] لَا يُمَكِّنُ أَبَدًا أَنْ تُوجَدَ فِي الْقُرْآنِ كَلِمَةٌ أَوْ آيَةٌ لَا يُفْهَمُ مَعْنَاهَا لِكُلِّ أَحَدٍ، صَحِيحٌ أَنَّهَا تَخْفَى عَلَى بَعْضِ النَّاسِ إِمَّا لِقُصُورِهِ أَوْ لِنَقْصِيرِهِ، لَكِنَّ تَخْفَى عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ؟ هَذَا شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ؛ لِأَنَّا لَوْ فَرَضْنَا هَذَا الْفَرَضَ لَكَانَ مُنَافِيًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، أَي: لَكَانَ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا يُعْقَلُ، وَهَذَا شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ.

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]<sup>[١]</sup>، وَقَالَ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩٠]<sup>[٢]</sup>.

[١] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أَي: صَيَّرْنَاهُ بِلُغَةِ الْعَرَبِ يُنْطَلُ قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَرِلَةِ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ. لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ لِلْيَاسَاءِ﴾، فَيَكُونُ مَخْلُوقًا، فَيُقَالُ: اجْعَلْ هُنَا بِمَعْنَى التَّرْتِيلِ، وَهُوَ عَائِدٌ عَلَى كَوْنِهِ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَأَصْلُ الْكَلَامِ: فَجَعَلَهُ اللَّهُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَفْهَمَ الْعَرَبُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: (لَعَلَّ) لِلتَّعْلِيلِ، وَالْمَرَادُ بِالْعَقْلِ هُنَا: الْفَهْمُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ خُوِطِبَ الْعَرَبُ بِغَيْرِ لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مَا فَهَمُوا، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

[٢] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيَدَّبَّرُوا﴾ لِلتَّعْلِيلِ، وَمَعْنَى تَدَبُّرِ الْآيَاتِ أَي: التَّفَكُّرِ فِيهَا، يَأْخُذُهَا إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا فِي ذَهْنِهِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الْمَعْنَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿مُبَارَكٌ﴾: بَرَكَةُ الْقُرْآنِ فِي ثَوَابِهِ؛ لِأَنَّ الْحَرْفَ بِحَسَنَةٍ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا.

وَهُوَ مُبَارَكٌ فِي أَثَرِهِ، فَقَدْ فُتِحَتْ بِهِ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَفْتَحُوا الْبِلَادَ بِمُجَرَّدِ السَّيْفِ، بَلْ فَتَحُوهُ بِالْقُرْآنِ.

فَالْقُرْآنُ يُؤَثِّرُ عَلَى الْقَلْبِ الْحَيِّ تَأْثِيرًا بَالِغًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

إِذْنُ: هُوَ (مُبَارَك) فِي ثَوَابِهِ، (مُبَارَك) فِي أَثَرِهِ، (مُبَارَك) فِي تَأْثِيرِهِ.

والحكمة أَنْ يَدَّبَّرَ الْإِنْسَانُ آيَاتِهِ. هَذَا وَاحِدٌ، وَالثَّانِي: وَلَيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ، وَاَنْظُرْ كَيْفَ قَالَ: ﴿لَيَتَذَكَّرُوا أَيْنَهُمْ﴾؛ لِأَنَّ التَّدَبُّرَ يَكُونُ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ وَمَنْ لَيْسُوا كَذَلِكَ، بَلْ حَتَّى الْكَافِرُ يُمَكِّنُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَبَّرَهُ، وَيَفْهَمَ مِنْهُ مِنَ الْمَعَانِي مَا لَا يَفْهَمُهُ الْآخَرُ، أَمَّا الْإِنْعَاطُ بِهِ فَلَيَتَذَكَّرُ مَنْ يَتَعَطَّ بِهِ وَهُمْ: ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أَي: أَصْحَابُ الْعُقُولِ.

فقد نزل القرآن الكريم لتدبره، وَأَنْ نَتَذَكَّرَ بِهِ، وَالسُّؤَالُ: هَلْ مِنَّا أَحَدٌ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ يَتَدَبَّرُهُ؟

وَالْجَوَابُ: إِنَّ تِلَاوَتَنَا لِلْقُرْآنِ قِسْمَانِ:

■ قِسْمٌ نَقْصِدُ بِهَا التَّلَاوَةَ وَالْأَجْرَ، وَهَذَا رُبَّمَا لَا يَتَدَبَّرُ فِيهِ الْإِنْسَانُ.

■ قِسْمٌ آخَرُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لِيَعْرِفَ مَعْنَاهُ، فَهَذَا يَتَدَبَّرُهُ بِلَا شَكٍّ، سَوَاءً قَطَعَ مَرَحَلَةً كَبِيرَةً فِي الْفِقْهِ أَوْ فِي التَّلَاوَةِ أَوْ لَمْ يَقْطَعْ، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَدَبَّرَ الْآيَةَ بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَعْرِضَ ذَلِكَ عَلَى كُتُبِ التَّفْسِيرِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا عَرَضَ ذَلِكَ عَلَى كُتُبِ التَّفْسِيرِ مُبَاشَرَةً تَبَلَّدَ ذِهْنُهُ، وَصَارَ إِمَاعَةً لَا يَقُولُ إِلَّا مَا قَالَهُ غَيْرُهُ.

فَالطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى أَنْ تَتَدَبَّرَ الْآيَةَ أَنْتَ بِنَفْسِكَ، ثُمَّ إِذَا تَكَوَّنَ عِنْدَكَ فِقْهُ بِقِنَاعَةٍ فَحِينَئِذٍ رَاجِعْ كُتُبَ الْمُفَسِّرِينَ؛ لِئَلَّا تَكُونَ قَدْ زِغْتَ عَنْ فَهْمِ الْآيَةِ، وَكَثِيرًا مَا يَتَأَمَّلُ الْإِنْسَانُ فَيَجِدُ فِي الْآيَةِ مَا لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ مِنْ سَبْقِهِ.

وَهَذِهِ خُطَّةٌ جَامِعَةٌ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، فِيمَا بَعْدَ الْمَرَحَلَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي هِيَ الثَّمَرَةُ

وَهِيَ: ﴿وَلَسْتَ ذَكَرَ أَوَّلُوا الْأَلْبَبِ﴾، فَهَلْ نَحْنُ تَذَكَّرْنَا وَاتَّعَظْنَا؟ هَذِهِ هِيَ الْقَاعِدَةُ وَالْعَقَبَةُ الْكَوْودُ إِلَّا لِمَنْ يَسِرُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ تَحْتَاجُ إِلَى عِنَايَةِ وَصِيرٍ، وَأَنْ تُحَدِّثَ نَفْسَكَ بِأَنَّكَ إِنْ لَمْ تَعْمَلْ بِالْقُرْآنِ صَارَ حُجَّةً عَلَيْكَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَسَمَ الْقُرْآنَ إِلَى قِسْمَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهُمَا، قَالَ: «الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»<sup>(١)</sup>، إِمَّا لَكَ إِنْ عَمِلْتَ بِهِ، وَإِمَّا عَلَيْكَ إِنْ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ.

وَلِهَذَا تَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَوَّلُوا الْأَلْبَبِ﴾ فَالْلُبُّ هُوَ: الْعَقْلُ؛ لِأَنَّ جَسَدًا بِلَا عَقْلٍ لَيْسَ بِشَيْءٍ، فَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَتَعَبَّزُ بِالْقُرْآنِ، وَيَعْمَلُ بِأَمْرِهِ فَيَفْعَلُهَا، وَيَنْوَاهِيهِ فَيَجْتَنِبُهَا، وَبِأَخْبَارِهِ فَيَصُدِّقُهَا، وَلَا يَبْقَى عِنْدَ رَأْيٍ.

وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وَمَا كَانَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ خَافِيًا عَلَى كُلِّ النَّاسِ.

وَالْقَوْلُ الْمَتَعَيَّنُ فِي الْحُرُوفِ الْهِجَائِيَّةِ الَّتِي فِي أَوَائِلِ السُّورِ أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا مَعْنَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَزَّلَهُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ، وَاللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ لَا يُدْرِكُ هَذِهِ الْحُرُوفُ الْهِجَائِيَّةَ مَعْنَى فِيهِ، لَكِنْ لَهَا مَغْزَى كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي أَعْجَزَ الْعَرَبَ، وَيَعْجِزُ غَيْرَهُمْ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ بِحُرُوفٍ جَدِيدَةٍ غَيْرِ مَفْهُومَةٍ وَغَيْرِ مُسْتَعْمَلَةٍ، بَلْ أَتَى بِالْحُرُوفِ الَّتِي يَسْتَعْمِلُونَهَا وَيُرَكِّبُونَ مِنْهَا كَلِمَاتِهِمْ وَكَلَامَهُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ أَعْجَزَهُمْ.

وَيَدُلُّ لِهَذَا الْمَغْزَى، أَنَّكَ لَا تَكَادُ تَجِدُ سُورَةً بَدَأَتْ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ إِلَّا وَبَعْدَهَا ذَكَرَ الْقُرْآنَ، وَهَذَا الْقَوْلُ أَشَارَ إِلَيْهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَغَيْرُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَهُوَ قَوْلُ ظَاهِرٍ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم (٢٢٣)، من حديث أبي مالك الأشعري.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾  
 [إبراهيم: ٤]، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ عَقْلَ وَفَهْمَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسُلُ لَكَانَ  
 لِسَانُ قَوْمِهِ وَلِسَانُ غَيْرِهِمْ سَوَاءً، وَلَمَّا حَصَلَ الْبَيَانُ الَّذِي تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَى  
 الْخَلْقِ<sup>[١]</sup>.

[١] أُرْسِلَ الرَّسُلُ السَّابِقُونَ كُلُّ بِلُغَتِهِ.

يَقُولُونَ: التَّوْرَةُ بِاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ، وَالْإِنْجِيلُ بِاللُّغَةِ السَّرْيَانِيَّةِ، وَالْقُرْآنُ بِاللُّغَةِ  
 الْعَرَبِيَّةِ.

فَإِذَا سَأَلَ سَائِلٌ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ  
 ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣]، وَهَذَا كَلَامٌ عَرَبِيٌّ، فَكَيْفَ تَقُولُ: إِنَّ  
 فِرْعَوْنَ لُغَتُهُ قِبْطِيَّةٌ مَثَلًا؟

الْجَوَابُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَكَى ذَلِكَ عَنْهُمْ بِالْمَعْنَى، وَمَنْ ثُمَّ أَخَذَ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ  
 جَوَازَ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ بِالْمَعْنَى عِنْدَمَا يُعْرَفُ الْمَعْنَى، بِشَرْطِ أَلَّا يَحْذِفَ مِنَ الْحَدِيثِ مَا  
 يَتَعَلَّقُ بِالْمَنْقُولِ.

وَاللَّهُ عَزَّجَلَّ أَضَافَ الْقَوْلَ إِلَى فِرْعَوْنَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، لَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّ فِرْعَوْنَ  
 لَمْ يَنْطِقْ بِهَذَا اللَّفْظِ وَإِنَّمَا بِالْمَعْنَى؛ وَلِذَلِكَ تَجِدُونَ قِصَصًا فِي الْقُرْآنِ أَحْيَانًا تَخْتَلِفُ فِي  
 اللَّفْظِ مَرَّةً قَالَ: ﴿ءَأَمَنْتُمْ بِهِ﴾، وَمَرَّةً قَالَ: ﴿ءَأَمَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: ٧١]؛ لِأَنَّهُ  
 يُنْقَلُ بِالْمَعْنَى، وَيُفَسَّرُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

وَلَوْ كَانَ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا يُفْهَمُ؛ لَكَانَ اللَّسَانُ الْعَرَبِيُّ وَغَيْرُ الْعَرَبِيِّ سَوَاءً، وَلَمَّا  
 اسْتَفَدْنَا مِنْ كَوْنِ الرَّسُولِ ﷺ عَرَبِيًّا، وَالْقُرْآنَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ.

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: إِذَا خَاطَبَنَا عَنِ الْغَائِبِ شَيْءٍ وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَى الْمَعْلُومِ فِي الشَّاهِدِ فَجَوَابُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّمَا أَخْبَرَ بِهِ مُضَافًا إِلَى نَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ، فَيَكُونُ لَاثِقًا بِهِ لَا مُمَاطِلًا لِخُلُوقَاتِهِ، وَلَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَفْهَمَ مِنْهُ الْمُثَالَّةَ إِلَّا مَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْ مَذْلُولَ الْخِطَابِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ<sup>[١]</sup>.

أَمَّا الْمُنْكَرُ فَهَذَا الَّذِي صَغْنَاهُ بِصِغَةِ الاسْتِفْهَامِ: هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ نَفْهَمَ مِمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ هُوَ التَّمْثِيلُ، أَوْ أَنْ يَكُونَ هُوَ مُرَادُ اللَّهِ؟

وَالْجَوَابُ: لَا يُمَكِّنُ أَبَدًا أَنْ يَكُونَ هُوَ التَّمْثِيلُ بِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هُوَ مُرَادًا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لِأَنَّ التَّمْثِيلَ بَاطِلٌ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مَذْلُولُ كَلَامِ اللَّهِ بَاطِلًا، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِكَلَامِهِ بَاطِلًا، وَهَذِهِ هِيَ نَقْطَةُ الْخِلَافِ مَعَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ.

[١] قَوْلُهُ: «أَحَدُهُمَا: أَنَّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّمَا أَخْبَرَ بِهِ مُضَافًا إِلَى نَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ...» إلخ:

الْأَوَّلُ: امْتِنَاعُ أَنْ يَكُونَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ هُوَ التَّمْثِيلُ؛ لِأَنَّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّمَا أَخْبَرَ بِهِ مُضَافًا إِلَى نَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ لَا مُطْلَقًا، بَلْ مُضَافًا إِلَى نَفْسِهِ، وَمَا كَانَ مُضَافًا إِلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَاثِقًا بِهِ، كَمَا سَبَقَ فِي الْقَاعِدَةِ: «أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ تَلِيْقُ بِمَوْصُوفِهَا».

وَلَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَفْهَمَ مِمَّا أَضَافَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ التَّمْثِيلَ، إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ

عَزَّجَلْ، وَأَمَّا مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَقَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَعَلِمَ مُبَايَتَهُ لِلْمَخْلُوقَاتِ، وَأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ  
أَنْ يُبَايِلَ الْمَخْلُوقَاتِ وَلَا تُثَابِلُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَبَدًا أَنْ يَفْهَمَ الْمُهَابِلَةَ.

وَالشَّرْعُ أَبَعَدَ هَذَا الْأَمْرَ، فَلَمَّا قَالَ رَجُلٌ لِلرَّسُولِ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ؛ قَالَ:  
«أَجْعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدَاءً؟»<sup>(١)</sup>، فَحَتَّى فِي اللَّفْظِ أَبَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُهَابِلَةَ وَالْمُشَارَكَةَ.

وَبِهَذَا تَعْرِفُ خَطَأَ مَنْ يُعَلِّقُونَ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِينِ وَالْمَسَاجِدِ لَوْحَةً مَكْتُوبٌ فِيهَا  
لَفْظُ الْجَلَالَةِ: (اللَّهُ)، وَبِجَانِبِهَا: (مُحَمَّدٌ)، فَإِنَّ هَذَا نَوْعٌ مِنَ الشُّرْكِ، لَكِنَّ النَّاسَ الَّذِينَ  
يَفْعَلُونَهُ نَاسٌ هَمَجٌ لَا يَعْرِفُونَ، أَوْ رُبَّمَا يَكُونُ تَعْظِيمُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي  
قُلُوبِهِمْ كَتَعْظِيمِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ جَاءَ إِنْسَانٌ لَا يَعْرِفُ وَرَأَى كِتَابَةً: (اللَّهُ = مُحَمَّدٌ)، رُبَّمَا  
يَعْتَقِدُ أَنَّهَا سَوَاءٌ، مِثْلَ: (أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ)، أَوْ (زَيْدٌ وَعَمْرُو)، وَلَا يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
إِلَهٌ مُبَايِنٌ غَايَةَ الْمُبَايَنَةِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ.

وَلِذَلِكَ يَجِبُ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ إِذَا رَأَوْا مِثْلَ هَذَا أَنْ يُغَيِّرُوهُ، لَكِنْ لَا يُغَيِّرُوهُ  
بِالْقُوَّةِ، بَلْ يَتَكَلَّمُ مَعَ الْإِمَامِ أَوَّلًا، فَإِذَا تَعَذَّرَتِ الْحِيلَةُ تَكَلَّمَ مَعَ زَعِيمِ الْحَيِّ - إِذَا كَانَ  
لَهُ زَعِيمٌ -، وَإِذَا لَمْ يُمَكِّنْ تَكَلَّمَ مَعَ أَنَاسٍ لَهُمْ قَوْلٌ، كَالْقَاضِي، أَوْ رَئِيسِ هَيْئَةِ الْأَمْرِ  
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِذَا تَعَذَّرَ كُلُّ هَذَا فَبِمَكَانِهِ أَنْ يُزِيلَ هَذَا وَلَوْ خَفَاءً؛  
لَأَنَّ هَذَا مُنْكَرٌ.

إِذَنْ: مَا أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ مَا أُضِيفَ إِلَى الْمَخْلُوقِ، وَلَا يُمَكِّنُ

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٩٣/٥)، وابن ماجه: كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت، رقم (٢١١٨)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



الثَّانِي: فَلِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ، لِأَنَّ الْمِثَالَةَ تَسْتَلْزِمُ نَقْصَ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا، وَاعْتِقَادُ نَقْصِ الْخَالِقِ كُفْرٌ وَضَلَالٌ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِكَلَامِهِ الْكُفْرُ وَالضَّلَالُ، كَيْفَ وَقَدْ قَالَ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، وَقَالَ: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] <sup>[١]</sup>.

لَا حِدَ أَنْ يَعْقِلَ أَنَّهُ مِثْلُ مَا يُصَافُ لِلْمَخْلُوقِ إِلَّا مَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ تَعَالَى، وَمَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ.

فَمَثَلًا: «يَدُ اللَّهِ» أَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّهَا كَأَيْدِينَا. لِأَنَّهُ لَمْ يُطْلَقِ الْيَدَ، بَلْ أَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ، فَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ خَاصَّةً بِهِ.

[١] الثَّانِي: لَوْ جَعَلْنَا مُرَادَ اللَّهِ تَعَالَى: أَنْ نَعْتَقِدَ التَّمْثِيلَ، لَكَانَ هَذَا تَنْقُصًا لِلْخَالِقِ، وَتَنْقُصُ الْخَالِقِ كُفْرٌ وَضَلَالٌ، كَمَا أَنَّ الاسْتِهْزَاءَ بِاللَّهِ كُفْرٌ وَضَلَالٌ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُ اللَّهِ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكُفْرَ وَالضَّلَالَ، بَلِ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾؛ أَيُّ: لِثَلَا تَضِلُّوا، فَكَيْفَ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَرَادَ بِكَلَامِهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ مَا هُوَ كُفْرٌ وَضَلَالٌ؟ هُمْ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ خَاطَبَنَا فِي الْقُرْآنِ بِمَا نَعْقِلُ وَنَفْهَمُ، فَنَقُولُ لَهُمْ: صَدَقْتُمْ، لَكِنْ قَالُوا: وَإِذَا خَاطَبْنَا عَلَى شَيْءٍ غَائِبٍ وَجَبَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الشَّاهِدِ، قُلْنَا: هَذَا غَلَطٌ، وَذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ ذَكَرَهُمَا الْمُؤَلِّفُ.

وَنُشَاهِدُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا يَتَّفِقُ فِي اللَّفْظِ وَيَخْتَلِفُ فِي الْحَقِيقَةِ، فِي الذَّوَاتِ وَالصِّفَاتِ، مَعَ أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ مُشْتَرَكَةٌ فِيمَا بَيْنَهَا فِي الْحُدُوثِ وَلُزُومِ النِّقْصِ، فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ نَجْعَلَ الْإِشْتِرَاكَ فِي اللَّفْظِ مُقْتَضِيًا لِلتَّمَاثُلِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، مَعَ ظُهُورِ التَّبَايُنِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فِي الذَّاتِ وَالْحُدُوثِ، هَذَا شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ، فَهَذِهِ أَدِلَّةٌ عَقْلِيَّةٌ عَلَى إِبْطَالِ قَوْلِ أَهْلِ التَّمْثِيلِ.

فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَخَيَّلَ الْإِنْسَانُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُمَاتِلٌ لِلْمَخْلُوقِ، فَمَثَلًا نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ وَجْهًا، فَلَا يَجُوزُ أَنْ نَتَخَيَّلَ أَنَّ هَذَا الْوَجْهَ كَوَجْهِ الْمَخْلُوقَاتِ، حَتَّى لَوْ جَاءَ الشَّيْطَانُ إِلَيْكَ وَأَرَادَ أَنْ يُصَوِّرَ لَكَ وَجْهَ اللَّهِ كَصُورَةِ وَجْهِ الْإِنْسَانِ، فَيَجِبُ أَنْ تُعْرِضَ عَنْ هَذَا؛ لِأَنَّكَ مَهْمَا قَدَّرْتَ مِنْ وَصْفِ اللَّهِ، فَاللَّهُ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُحِيطَ بِاللَّهِ وَصْفًا، كَمَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُحِيطَ بِهِ رُؤْيَةً، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَةَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، مَعَ أَنَّ الْإِدْرَاكَ بِالْبَصَرِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُخْشُوسَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يُدْرِكَهَا الْإِنْسَانُ، فَكَيْفَ بِالْأُمُورِ الْمُعْقُولَةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُدْرِكَهَا.

فَذِيقُ قَائِلٍ: لَا يُمَكِّنُ أَنْ أُثْبِتَ الشَّيْءَ عَلَى حَقِيقَتِهِ إِلَّا بِهَذَا التَّصَوُّرِ؟

فَنَقُولُ: هَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، فَإِنَّكَ تُدْرِكُ مَثَلًا بِأَنَّ لِلْحَيَوَانَ -الَّذِي لَا يُوجَدُ فِي بَيْتِكَ- قَدَمًا، وَلَكِنْ هَلْ تُدْرِكُ صِفَةَ هَذَا الْقَدَمِ، وَأَنْتَ لَا تَرَى هَذَا الْحَيَوَانَ فِي بَيْتِكَ وَلَمْ يُصَوِّرْ لَكَ؟

الْجَوَابُ: لَا يُمَكِّنُ، لَكِنْ نُؤْمِنُ بِأَنَّ لَهُ قَدَمًا بِلَا شَكٍّ، أَمَّا أَنْ تَتَصَوَّرَ كَيْفَ هَذَا الْقَدَمُ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَصَوَّرَهُ؛ لِأَنَّكَ لَمْ تُشَاهِدْهُ، وَلَمْ تُشَاهِدْ لَهُ نَظِيرًا.

وَهَكَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ بَلْ أَعْظَمُ، وَأَعْظَمُ أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّهُ لَهُ يَدٌ، لَكِنْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَتَخَيَّلَهَا أَوْ أَنْ تَتَصَوَّرَهَا، وَلَوْ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ هَذَا الْأَمْرَ فَيَجِبُ أَنْ يَقُولَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. وَيُعْرِضُ عَنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُ لَوْ رَكَنَ إِلَى هَذَا التَّصَوُّرِ لَزِمَهُ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ: إمَّا التَّمَثِيلُ، وَإِمَّا التَّعْطِيلُ، فِيمَا أَنْ يُمَثَّلَ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّهُ مُمَاتِلٌ لِلْمَخْلُوقِ، أَوْ يَقُولُ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصِيرَ مِثْلَ الْمَخْلُوقِ.

إِذَنْ: يَجِبُ أَنْ تُحْمَلَ هَذِهِ النُّصُوصُ عَلَى مَعْنَى آخَرَ غَيْرَ حَقِيقَةِ الْقَدَمِ، وَغَيْرَ حَقِيقَةِ الْيَدِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ النُّصُوصَ عَلَى حَقِيقَتِهَا قَدْ يَلْعَبُ بِهِمُ الشَّيْطَانُ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ، وَهَذَا شَيْءٌ مُنْكَرٌ وَمُحَرَّمٌ.

مَسْأَلَةٌ: هَلْ يُوجَدُ الْآنَ مُثَلَّةٌ؟ أَوْ أَتَمَّ أَنْقَرَضُوا؟

الجواب: لَا شَكَّ أَنََّّهُمْ قَلِيلُونَ، وَلَا أَدْرِي هَلْ هُمْ مَوْجُودُونَ إِلَى الْآنَ، لَكِنَّ الْأَصْلَ أَنََّّهُمْ مَوْجُودُونَ، وَكَانَتِ الرَّافِضَةُ أَوَّلَ مَنْ قَالَتْ بِالتَّمْثِيلِ، فَهَشَامُ بْنُ الْحَكَمِ الرَّافِضِيُّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بِالتَّمْثِيلِ، لَكِنَّ مُتَأَخِّرِيهِمْ سَلَكَوْا مَسْلَكَ التَّعْطِيلِ، وَمَسْلَكَ الْحُلُولِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى؛ لِأَنََّّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَنَاطَرُونَا عَلَى ذَلِكَ مَرَّةً فِي مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ: فِي الْمَسْجِدِ، وَفِي السُّوقِ، وَفِي الْقَصْرِ، فِي أَيِّ مَكَانٍ تَكُونُ فِيهِ أَنْتَ فَاللَّهُ تَعَالَى مَعَكَ بِذَاتِهِ، فَهُمْ فِي الْأَوَّلِ مُشَبَّهَةٌ، لَكِنَّ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ صَارُوا مُعْتَزِلَةً يُنْكِرُونَ حَقِيقَةَ الصِّفَاتِ.

إِنَّمَا الَّذِي يَظْهَرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْقَائِلِينَ بِالتَّمْثِيلِ فِي الْعَهْدِ الْحَاضِرِ قَلِيلُونَ إِنْ وَجِدُوا، لَكِنَّهُ شَيْءٌ قَلِيلٌ وَشَيْءٌ يُورِدُهُ الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ.

مَسْأَلَةٌ: لَوْ قَالَ قَائِلٌ: مَا الْفَائِدَةُ مِنْ دِرَاسَةِ قَوْلِ الْقَائِلِينَ بِالتَّمْثِيلِ وَهُمْ أَنْقَرَضُوا

أَوْ كَادُوا؟

الجواب أن نقول: لكن هذا يرد على القلوب، فكل إنسان يثبت الحقيقة لا بد أن يرد على قلبه شبهة التمثيل.



## فصل

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: الْمُعْطَلَّةُ، وَهُمْ الَّذِينَ أَنْكَرُوا مَا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ إِنْكَارًا كُلِّيًّا أَوْ جُزْئِيًّا، وَحَرَّفُوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نُصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَهُمْ مُحَرَّفُونَ لِلنُّصُوصِ، مُعْطَلُونَ لِلصِّفَاتِ، وَقَدْ انْقَسَمَ هَؤُلَاءِ إِلَى أَرْبَعِ طَوَائِفٍ<sup>[١]</sup>:

الطَّائِفَةُ الْأُولَى: الْأَشَاعِرَةُ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ مِنَ الْمَأْتَرِيْدِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ<sup>[٢]</sup>.

[١] الَّذِينَ أَنْكَرُوا مَا سَمَّى وَوَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ: إِمَّا إِنْكَارًا كُلِّيًّا، وَإِمَّا جُزْئِيًّا. وَسَيَبَيِّنُ هَذَا مِنْ ذِكْرِ فَوَائِدِهِ، لَمَّا أَنْكَرُوا هَذَا لَزِمَهُمْ أَنْ يُحَرَّفُوا نُصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لِيُوَافِقَ رَأْيَهُمْ، فَقَالُوا مَثَلًا: لَيْسَ لِلَّهِ يَدٌ، وَهُوَ أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ يَدَيْنِ، قَالُوا: الْمُرَادُ بِالْيَدِ: الْقُوَّةُ أَوْ الْقُدْرَةُ. فَعَطَّلُوا النُّصُوصَ وَحَرَّفُوهَا، وَأَنْكَرُوا مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الصِّفَاتِ.

[٢] أَوَّلًا: الْأَشْبَاهُ، مِنَ الْأَشَاعِرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ، مِنْ قَوْمِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، يَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ فَسَمُّوا أَشْعَرِيَّةً.

فَإِنْ قِيلَ: هَلْ هَذِهِ النِّسْبَةُ صَحِيحَةٌ أَمْ لَا؟

قُلْنَا: هَذِهِ النِّسْبَةُ لَيْسَتْ صَحِيحَةً؛ لِأَنَّ أَبَا الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ رَجَعَ إِلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَهُوَ إِبْطَاتُ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، أَوْ مَا أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ، لَكِنْ صَحَبَهُ أَقْوَامٌ فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِ، وَصَارُوا فَطَاحِلَ أَقْوِيَاءَ أَذْكِيَاءَ، فَنَشَرُوا الْمَذْهَبَ، يَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ مَرَاحِلَ:

المرحلة الأولى: أنه سلك مذهب المعتزلة، وبقي على ذلك أربعين سنة، وهو على مذهب المعتزلة.

المرحلة الثانية: انتقل إلى مذهب الكلابية حيث صحب ابن كلاب وتأثر به، وهم أقرب إلى السنة من المعتزلة بلا شك.

المرحلة الثالثة: انتقل إلى مذهب السلف، وقد صرح بذلك في الرسالة التي تسمى: (الإبانة عن أصول الديانة).

وهذه الرسالة تُصرِّح بأنه رجع إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل - إمام أهل السنة -، ومذهبه الموجود الآن على الطريق الوسطى الذي كان في أثناء حياته؛ لأنه مخالف للمعتزلة، ومذهب الإنسان ما مات عليه، وهو قد مات على مذهب السلف. ولذلك نقول هؤلاء الذين يتسبون إليه: إنكم أخطأتم، والواجب أن تذهبوا مذهب السلف؛ لأن إمامكم رجع إلى ذلك، وحقيقة الاتباع أن يتبع الإنسان إمامه في آخر ما كان عليه، لا سيما مثل هذا الأمر الذي يُصرِّح فيه بأن مذهبهُ هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويسوق الأدلة المثبتة.

والأشاعرة شاع مذهبهم وانتشر بين المسلمين، ولا يزال كذلك في أكثر أقطار المعمورة؛ لأنه صار يأخذه الآخر عن الأول، والصغير عن الكبير.

وأما الماتريديَّة: فهم يُشبهون الأشاعرة تمامًا، وهم أتباع أبي منصور الماتريدي، ولا تكاد تجد فرقًا بين مذهبيهما إلا أنه قيل: إن الماتريديَّة يُثبتون صفة ثامنة وهي صفة الخلق، وأمَّا الأشعرية فينفون الخلق، ويُفسرون الخلق بالخلق، ولا يُثبتون لله

وَطَرِيقَتُهُمْ أَنَّهُمْ اثْبَتُوا لِلَّهِ الْأَسْمَاءَ وَبَعْضَ الصِّفَاتِ، وَنَفَوْا حَقَائِقَ أَكْثَرِهَا، وَرَدُّوا مَا يُمَكِّنُهُمْ رَدُّهُ مِنَ النُّصُوصِ، وَحَرَفُوا مَا لَا يُمَكِّنُهُمْ رَدُّهُ، وَسَمَّوْا ذَلِكَ التَّحْرِيفَ (تَأْوِيلًا) [١].

فَاثْبَتُوا لِلَّهِ مِنَ الصِّفَاتِ سَبْعَ صِفَاتٍ: الْحَيَاةَ، وَالْعِلْمَ، وَالْقُدْرَةَ، وَالْإِرَادَةَ، وَالْكَلَامَ، وَالسَّمْعَ، وَالْبَصَرَ، عَلَى خِلَافٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّلَفِ فِي كَيْفِيَّةِ إِثْبَاتِ بَعْضِ هَذِهِ الصِّفَاتِ [٢].

تَعَالَى خَلْقًا هُوَ صِفَتُهُ وَإِنْ كَانُوا يُثْبِتُونَ مَخْلُوقًا.

وَلَكِنْ كِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ سَيِّئِينَ بَطْلَانُ مَذْهَبِهِمْ، وَأَنَّهُمْ مُتَنَاقِضُونَ.

[١] الْأَسْمَاءُ اثْبَتُوهَا، وَأَمَّا الصِّفَاتُ فَلَمْ يُثْبِتُوهَا كُلَّهَا، بَلْ اثْبَتُوا بَعْضَ الصِّفَاتِ، وَالْبَعْضُ الْآخَرُ أَنْكَرُوا حَقَائِقَ الصِّفَاتِ فِيهِ، وَلَمْ يُنْكِرُوا الصِّفَةَ.

مَثَلًا: هُمْ لَمْ يَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ يَدٌ. لَوْ قَالُوا هَذَا كَفَرُوا؛ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا اللَّهَ، لَكِنْ قَالُوا: لَهُ يَدٌ، وَالْمُرَادُ بِالْيَدِ كَذَا. وَفَرَّقَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، وَلِذَلِكَ قَالَ الْمُؤَلِّفُ: «فَنَفَوْا حَقَائِقَ أَكْثَرِهَا» بِأَنْ نَفَوْا الْحَقِيقَةَ وَلَمْ يُنْفُوا اللَّفْظَ.

وَرَدُّوا مَا يُمَكِّنُهُمْ رَدُّهُ مِنَ النُّصُوصِ، وَلِذَلِكَ الْقَاعِدَةُ الْبَاطِلَةُ: أَنَّ أَخْبَارَ الْآحَادِ لَا تَثْبِتُ بِهَا الصِّفَاتِ. وَيَقُولُونَ: أَخْبَارُ الْآحَادِ لَا تَثْبِتُ بِهَا الصِّفَاتِ، وَأَخْبَارُ الْآحَادِ مَا عَدَا الْمُتَوَاتِرَةَ، فَالْمُتَوَاتِرُ وَالْقُرْآنُ لَا يُمَكِّنُهُمْ رَدُّهُ فَتَأْوَلُوهُ، وَسَمَّوْا هَذَا تَأْوِيلًا، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ تَحْرِيفٌ. إِذَنْ: فَالْأَشَاعِرَةُ أَهْوَنُ الْمَعْطَلَّةِ.

[٢] الْحَيَاةُ، وَالْعِلْمُ، وَالْقُدْرَةُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْكَلَامُ، وَالسَّمْعُ، وَالْبَصَرُ؛ هَذِهِ سَبْعُ

أَشْيَاءٍ يُحَالِفُونَ فِيهَا السَّلَفَ فِي كَيْفِيَّةِ إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَاتِ.

وَسُبَّهَتْهُمْ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ أَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا فِيمَا نَفَوْهُ أَنَّ إِثْبَاتَهُ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ  
أَيَّ التَّمثِيلِ. وَقَالُوا فِيمَا أَثْبَتُوهُ: إِنَّ الْعَقْلَ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ، فَإِنَّ إِيجَادَ الْمَخْلُوقَاتِ يَدُلُّ  
عَلَى الْقُدْرَةِ<sup>(١)</sup>.....

فَمَثَلًا: الْكَلَامُ عِنْدَ السَّلَفِ هُوَ اللَّفْظُ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى حَرْفٍ وَصَوْتٍ، وَهُمْ  
يَقُولُونَ: الْكَلَامُ لَيْسَ اللَّفْظُ. وَإِنَّمَا الْكَلَامُ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِنَفْسِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، الْمَعْبَرُ  
عَنْهُ بِحُرُوفٍ وَأَصْوَاتٍ يَخْلُقُهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ. فَجَعَلُوا الْكَلَامَ مَا قَامَ فِي النَّفْسِ.

وَأَمَّا مَا سَمِعَهُ جِبْرِيلُ، وَنَزَلَ بِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فَلَيْسَ كَذَلِكَ، قَالُوا: هَذِهِ أَصْوَاتٌ  
خَلَقَهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْجَوِّ؛ لِتُعَبَّرَ عَمَّا فِي نَفْسِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ. لَكِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ  
يَقُولُونَ: إِنَّ الْكَلَامَ هُوَ اللَّفْظُ الْمَسْمُوعُ. فَكَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لَفْظٌ مَسْمُوعٌ، سَمِعَهُ جِبْرِيلُ  
وَنَزَلَ بِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَتَقَرِيرُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ كَمَا يَلِي: فَإِنَّ إِيجَادَ الْمَخْلُوقَاتِ يَدُلُّ عَلَى  
الْقُدْرَةِ... إلخ»: «ذَلِكَ» الْمَشَارُ إِلَيْهِ دَلَالَةُ الْعَقْلِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ، إِيجَادُ  
الْمَخْلُوقَاتِ يَدُلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ، وَوُجُودُ الْمَخْلُوقَاتِ ثَابِتٌ بِالْعَقْلِ وَالْمَشَاهِدَةِ، فَإِنَّا نُدْرِكُ  
بِعُقُولِنَا أَنَّ الْخَلْقَ لَيْسَ بِقَدِيمٍ بَلْ هُوَ حَادِثٌ، وَنُشَاهِدُ أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ تَتَجَدَّدُ، فَيُولَدُ  
هَذَا، وَتُنَبْتُ الشَّجَرَةُ، وَيَخْضُلُ الْمَطَرُ، وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ؛ وَكُلُّ هَذَا حُدُوثٌ وَتَجَدُّدٌ.

فَيَقُولُونَ: إِيجَادُ الْمَخْلُوقَاتِ يَدُلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ؛ لِأَنَّ غَيْرَ الْقَادِرِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ  
يُوجِدَ، فَنُشِبْتُ لِلَّهِ الْقُدْرَةُ بِدَلَالَةِ الْعَقْلِ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ، أَنَّ إِيجَادَ الْمَخْلُوقَاتِ دَلِيلٌ عَلَى  
قُدْرَةِ الْمَوْجِدِ. وَنَحْنُ نُوَافِقُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَكُلُّ يَدْرِكُ بِأَنَّ إِيجَادَ الْمَخْلُوقَاتِ دَلِيلٌ عَلَى  
قُدْرَةِ الْخَالِقِ.

وَتَخْصِيصَ بَعْضِهَا بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ يَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ<sup>[١]</sup>.....

فَهَذَا وَجْهٌ إِثْبَاتِهِمْ لِهَذِهِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ، فَإِنَّهُمْ يَعْتَمِدُونَ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ وَنَفْيِهَا عَلَى الْعَقْلِ، فَمَا أَثْبَتَهُ الْعَقْلُ أَثْبَتُوهُ، وَمَا نَفَاهُ نَفَوْهُ، وَمَا لَمْ يَدُلَّ عَلَى إِثْبَاتِهِ أَكْثَرُهُمْ نَفَاهُ، وَبَعْضُهُمْ تَوَقَّفُوا. وَقَالُوا: إِيجَادِ الْمَخْلُوقَاتِ يَدُلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ، وَالْمَخْلُوقَاتُ مَوْجُودَةٌ، وَإِيجَادُهَا يَدُلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ؛ لِأَنَّ الْعَاجِزَ لَا يَخْلُقُ، فَثَبَتِ الْقُدْرَةُ عَقْلًا، وَذَلِكَ بِإِيجَادِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ لِأَنَّ الْإِيجَادَ يَدُلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ، فَتَخْصِيصُ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ يَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَتَخْصِيصُ بَعْضِهَا بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ يَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ..» إلخ: فَالتَّخْصِيصُ يَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ، وَمَعْنَى التَّخْصِيصِ أَنَّ كَوْنَ هَذِهِ سَمَاءً، وَهَذِهِ أَرْضٌ، وَهَذِهِ شَمْسٌ، وَهَذَا قَمَرٌ، وَهَذَا إِنْسَانٌ، وَهَذَا حَيَوَانٌ؛ يَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ السَّمَاءُ سَمَاءً فَكَانَتْ، وَأَرَادَ أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ أَرْضًا فَكَانَتْ، وَهَكَذَا.

فَالْتَّخْصِيصُ يَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ الْمُخْصِصِ، وَأَنَّهَا لَنْ تَكُونَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَهَذَا صَحِيحٌ.

إِذَنْ: فَمَعْنَى تَخْصِيصِ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ: أَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ اخْتَصَّ بِمَا خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، السَّمَاوَاتُ لَهَا شَكْلٌ، وَالْأَرْضُ لَهَا شَكْلٌ، وَالْآدَمِيُّ لَهُ شَكْلٌ، وَالْحَيَوَانُ لَهُ شَكْلٌ، فَكَوْنُهُ عَلَى هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَكُلُّ مَخْلُوقٍ مُبَيَّنٌ لِمَا خُلِقَ عَلَيْهِ يَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَا الْإِرَادَةُ مَا تَمَيَّزَتِ الْمَخْلُوقَاتُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَلَكَانَتْ كُلُّهَا كُتْلَةً وَاحِدَةً أَوْ كُتْلًا مُتَسَاوِيَةً.

فَاخْتِلَافُهَا يَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ، فَثَبَتِ اثْنَتَانِ: الْقُدْرَةُ، وَالْإِرَادَةُ.



وإِحْكَامَهَا يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ<sup>[١]</sup>، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ - الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالْعِلْمُ - تَدُلُّ عَلَى الْحَيَاةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَيٍّ<sup>[٢]</sup>، .....

[١] قَوْلُهُ: «وإِحْكَامَهَا يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ»: إِحْكَامُهَا: أَيُّ إِتْقَانُهَا، وَكَوْنُهَا عَلَى نِظَامٍ بَدِيعٍ مُنْضَبِطٍ يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْجَاهِلَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْكُمَ الشَّيْءَ، وَإِنْ قُدِّرَ أَنَّ الشَّيْءَ صَارَ مُحْكَمًا، فَإِنَّمَا وَقَعَ عَلَى سَبِيلِ الْمُضَادَّةِ، لَا عَلَى سَبِيلِ الْإِرَادَةِ، فَالْإِحْكَامُ بِلَا شَكٍّ دَلِيلٌ عَلَى الْعِلْمِ، وَلِذَلِكَ لَوْ رَأَيْنَا شَيْئًا مَصْنُوعًا مِنَ الْآلَاتِ، وَوَجَدْنَا أَنَّهُ مُحْكَمٌ مُتَقَنٌّ، عَرَفْنَا أَنَّ هَذَا الصَّانِعَ لَهُ مَاهِرٌ وَعَالِمٌ، وَلَوْ لَا عِلْمُهُ لَمْ يَتِمَّ كُنْ مِنْ إِتْقَانِهِ، فَإِحْكَامُ الْمَخْلُوقَاتِ وَإِتْقَانُهَا دَلِيلٌ عَلَى عِلْمِ الْخَالِقِ؛ لِأَنَّ الْجَاهِلَ يُرْكَبُ عَشَوَائِيًّا لَا يَعْرِفُ أَنْ يُرْتَّبَ، فَالْأَدْمِيِّ مَثَلًا: لَوْ سَأَلْتَ الْأَطِبَّاءَ عَمَّا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ هَذَا الْجَسَدُ، وَعَمَّا أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْحِكْمِ لَأَنْبَهَرْتَ، وَهَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

فَكَوْنُ الْبَدَنِ الْبَشَرِيِّ مُحْكَمٌ هَذَا الْإِحْكَامُ؛ يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ، كَيْفَ وَضَعَ الرَّأْسَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ؟ وَكَيْفَ وَضَعَ الْمَخَّ فِي هَذِهِ الْجُمُجْمَةِ حَتَّى تَقِيَهُ مِنْ أَيِّ خَدَشٍ؟ وَكَيْفَ وَضَعَ الْبَصَرَ؟ وَكَيْفَ وَضَعَ الْأَنْفَ؟ وَهَكَذَا، نَجِدُ أَنَّ هَذَا الْإِحْكَامَ صَادِرٌ عَنِ عِلْمٍ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَهَذِهِ الصِّفَاتُ: الْقُدْرَةُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْعِلْمُ...»: هَذِهِ الصِّفَاتُ الثَّلَاثُ: الْقُدْرَةُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْعِلْمُ، تَدُلُّ عَلَى الْحَيَاةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَيٍّ، أَمَّا الْقُوَّةُ فَقَدْ تَقُومُ بِالْحَيِّ وَغَيْرِهِ، لَكِنَّ الْقُدْرَةَ لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَيٍّ، فَلَا يُقَالُ: هَذِهِ الْحِجَارَةُ قَادِرَةٌ، بَلْ يُقَالُ: هَذِهِ الْحِجَارَةُ قَوِيَّةٌ، فَالْقُدْرَةُ، وَالْعِلْمُ، وَالْإِرَادَةُ لَا تَقُومُ أَبَدًا إِلَّا بِحَيٍّ.

إِذَنْ: ثُبُتِ الْحَيَاةُ بِدَلَالَةِ الْمُلَازِمَةِ.

فائدة: الْفَرْقُ بَيْنَ دَلَالَةِ الْمُلَازِمَةِ وَدَلَالَةِ الْمُطَابَقَةِ:

■ دَلَالَةُ الْمُطَابَقَةِ وَالتَّصْمُنُ تَكُونُ الدَّلَالَةُ فِيهِمَا مَأْخُودَةً مِنْ لَفْظِ الدَّالِّ، أَي: مِنْ لَفْظِ الدَّلِيلِ.

■ دَلَالَةُ الْإِلْتِزَامِ مَأْخُودَةٌ مِنْ أَمْرٍ خَارِجٍ، لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ لَكِنْ يُلْزَمُ مِنْهُ<sup>(١)</sup>.

فَدَلَالَةُ الْإِرَادَةِ عَلَى الْإِرَادَةِ نَفْسُهَا مِثْلُ: «أَرَادَ» تَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ، وَهَذِهِ مُطَابَقَةٌ.

إِذَنْ: فَهَذِهِ ثَلَاثُ صِفَاتٍ: الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالْعِلْمُ، كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى الْحَيَاةِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِحَيٍّ، أَمَّا الْمَيِّتُ فَلَيْسَ عِنْدَهُ قُدْرَةٌ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ إِرَادَةٌ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ، فَثُبَّتَ بِذَلِكَ أَرْبَعُ صِفَاتٍ.

أَمَّا الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ فَكَانَتْ بِاللَّازِمِ، وَهِيَ: أَنْ يَكُونَ حَيًّا، فَالْحَيُّ يَقُولُ عَنْهُ الْمُؤَلَّفُ:

إِمَّا أَنْ يَتَّصِفَ بِالْكَلَامِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَهَذِهِ صِفَاتُ كَمَالٍ، أَوْ بِضِدِّهَا، وَهُوَ: الْخَرَسُ الْمُقَابِلُ لِلْكَلَامِ، وَالصَّمَمُ الْمُقَابِلُ لِلسَّمْعِ، وَالْعَمَى الْمُقَابِلُ لِلْبَصَرِ، وَهَذِهِ صِفَاتُ نَقْصٍ مُتَمَنِّعَةٌ عَلَى اللَّهِ فَوَجَبَ ثُبُوتُ الْكَلَامِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ.

قَالُوا: الْحَيُّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا مُتَكَلِّمًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ أَصَمَّ أَعْمَى أَخْرَسَ،

وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِالْعَمَى وَالصَّمَمِ وَالْخَرَسِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ صِفَاتُ نَقْصٍ، إِذَنْ:

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَكَلِّمًا سَمِيعًا بَصِيرًا، فَهَذِهِ الصِّفَاتُ ثَابِتَةٌ بِالْعَقْلِ، وَكَيْفِيَّةُ إِثْبَاتِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُ.

(١) انظر: شرح مختصر التحرير لفضيلة الشيخ الشارح رحمه الله تعالى (ص: ١٠٨-١٠٩).

وَنَحْنُ نُعَبِّرُ عَنْ حُجَّةٍ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهَا حُجَّةٌ بِشُبْهَةٍ؛ لِأَنَّ (الْحُجَّةَ) مَا ثَبَتَ بِهَا الْحُكْمُ، وَ(الشُّبْهَةُ) مَا لَا يَثْبُتُ بِهِ الْحُكْمُ، وَالْوَاقِعُ أَنَّ مَا يَحْتَجُّونَ بِهِ لَا يَثْبُتُ بِهِ الْحُكْمَ الَّذِي احْتَجُّوا بِهِ لَهُ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَا احْتَجُّوا بِهِ شُبْهَةً لَا حُجَّةً.

فَهَذِهِ شُبْهَتُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْتَمِدُونَ عَلَى الْعَقْلِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْاِعْتِمَادَ عَلَى الْعَقْلِ بَاطِلٌ، لَكِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي زَيَّنَ لَهُمْ: أَنَّ يَعْتَمِدُوا عَلَى الْعَقْلِ، فَقَالُوا: مَا أَثْبَتَهُ الْعَقْلُ وَجَبَ عَلَيْنَا إِثْبَاتُهُ، بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ ثُبُوتِهِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا اقْتَضَى الْعَقْلُ نَفْيَهُ وَجَبَ عَلَيْنَا نَفْيَهُ، ثُمَّ إِنَّ وَرَدَ فِي النُّصُوصِ مَا يُخَالِفُهُ فَإِنْ كَانَ يُمَكِّنُ رَدَّهُ رَدَدْنَاهُ. مِثْلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ فَيَدَّعُونَ أَنَّهُ ضَعِيفٌ كَمَا قَالُوا: إِنَّ أَخْبَارَ الْآحَادِ لَا تَثْبُتُ بِهَا الْعَقَائِدُ، وَصَارَ كُلَّمَا جَاءَهُمْ خَبَرُ آحَادٍ يُثْبِتُ بَعْضَ الصِّفَاتِ، قَالُوا: هَذَا خَبَرُ آحَادٍ لَا يُفِيدُ الْيَقِينَ، وَهُوَ مُخَالِفٌ لِلْعَقْلِ، فَيَجِبُ رَدُّهُ وَإِنْكَارُهُ. وَإِذَا كَانَ لَمْ يُمَكِّنْهُمْ رَدُّهُ كَالآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ ذَهَبُوا فِيهِ مَذْهَبَ التَّحْرِيفِ الَّذِي سَمَوْهُ تَأْوِيلًا، فَصَارَتْ شُبْهَتُهُمْ أَنَّهُمْ يَعْتَمِدُونَ عَلَى الْعَقْلِ.

فَالْقَاعِدَةُ عِنْدَهُمْ كَمَا يَلِي: «مَا أَثْبَتَهُ الْعَقْلُ وَجَبَ إِثْبَاتُهُ، وَمَا نَفَاهُ وَجَبَ نَفْيُهُ، وَمَا لَمْ يَثْبُتْ وَلَمْ يَنْفَ تَوَقَّفَ فِيهِ بَعْضُهُمْ»، وَبَعْضُهُمْ قَالَ: يَرُدُّ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ فَلَا يَجُوزُ إِثْبَاتُهُ.

فَصَارُوا فَرِيقَيْنِ فِيمَا لَا يَقْتَضِي الْعَقْلُ إِثْبَاتَهُ وَلَا نَفْيَهُ:

- فَرِيقٌ مِنْهُمْ -وَهُم الْأَكْثَرُ- كَمَا قَالَ عَنْهُمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي مَثَنِ الْحَمَوِيَّةِ -يَرُدُّونَهُ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ مِنَ الْعَقْلِ عَلَى إِثْبَاتِهِ.
- وَفَرِيقٌ مِنْهُمْ يَقُولُونَ: نَتَوَقَّفُ فِيهِ مَا دَامَ لَمْ يَثْبُتْ وَلَمْ يَنْفَ فَتَتَوَقَّفُ.

وَالْحَيُّ إِمَّا أَنْ يَتَّصِفَ بِالْكَلَامِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَهَذِهِ صِفَاتُ كَمَالٍ، أَوْ بِضِدِّهَا وَهُوَ الْخَرَسُ وَالصَّمَمُ وَالْعَمَى، وَهَذِهِ صِفَاتُ نَقْصٍ مُتَمَتِّعَةٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَوَجَبَ ثُبُوتُ الْكَلَامِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ<sup>[١]</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «وَالْحَيُّ إِمَّا أَنْ يَتَّصِفَ بِالْكَلَامِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ...»: فَكُلُّ حَيٍّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا مُتَكَلِّمًا، أَوْ يَكُونَ أَصَمًّا أَعْمَى أَخْرَسَ، هَذَا مَعْنَى كَلَامِهِمْ. وَالْعَمَى وَالصَّمَمُ وَالْخَرَسُ صِفَاتُ نَقْصٍ، وَالنَّقْصُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَّصِفَ بِهِ الْخَالِقُ، فَوَجَبَ لَهُ ثُبُوتُ ضِدِّهَا، وَهُوَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ.

فَصَارَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ السَّبْعُ هِيَ الَّتِي تَثْبُتُ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ دَلَّ عَلَيْهَا، وَمَا عَدَا ذَلِكَ لَا يَثْبُتُ، فَجَمِيعُ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَثْبُتُ عِنْدَهُمْ: كَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، وَالنُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَالضَّحِكِ، وَالْغَضَبِ. وَكُلُّ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَإِنَّهُ لَا يَثْبُتُ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْعَقْلَ لَمْ يُثْبِتْهُ.

لَكِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ السَّبْعَ، يَقُولُونَ: الْعَقْلُ يَدُلُّ عَلَيْهَا فَوَجَبَ إِثْبَاتُهَا. عَلَى أَنَّهُمْ لَا يُثْبِتُونَهَا كَمَا يُثْبِتُهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَالْكَلَامُ مَثَلًا عِنْدَهُمْ لَيْسَ هُوَ الْكَلَامُ الْمَسْمُوعُ، فَالْكَلَامُ الْمَسْمُوعُ مَخْلُوقٌ، وَالْكَلَامُ عِنْدَهُمْ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِنَفْسِ اللَّهِ، وَلَيْسَ هُوَ الَّذِي سَمِعَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ عُرِجَ بِهِ، وَلَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ نُودِيَ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَإِنَّمَا هَذَا الْمَسْمُوعُ مَخْلُوقٌ، خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَعْبِيرًا عَمَّا فِي نَفْسِهِ، كَالْمِرَاةِ الَّتِي تَضَعُهَا أَمَامَ الْوَرَقَةِ فَتَقْرَأَ الْحُرُوفَ بِالْمِرَاةِ، فَخَلَقَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَصْوَاتَ لِتَعَكَّسَ مَا فِي نَفْسِ اللَّهِ. وَأَمَّا الْكَلَامُ فَهُوَ الْكَلَامُ النَّفْسِيُّ، أَمَّا اللَّهُ فَلَا يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ يُسْمَعُ إِطْلَاقًا.

فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَا الَّذِي سَمِعَهُ مُحَمَّدٌ وَمُوسَى وَآدَمَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الرُّجُوعَ إِلَى الْعَقْلِ فِي هَذَا الْبَابِ مُخَالَفٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَأُئِمَّةِ الْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ رَجَعَ إِلَى الْعَقْلِ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَرْجِعُونَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَيُثَبِّتُونَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، أَوْ أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ إِثْبَاتًا بِلَا تَمْثِيلٍ وَتَنْزِيهَا بِلَا تَعْطِيلٍ.

قَالَ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «نَصِفُ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا نَتَعَدَّى الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ»<sup>(١)</sup>.

قَالُوا: إِنَّمَا سَمِعُوا شَيْئًا مَخْلُوقًا عَبَّرَ اللَّهُ بِهِ عَمَّا فِي نَفْسِهِ. وَلِهَذَا يَقُولُونَ: هَذَا الْكَلَامُ الْمَسْمُوعُ عِبَارَةٌ عَنِ كَلَامِ اللَّهِ وَلَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ، وَالْوَاقِعُ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْكُلَّ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَا يُسَمَّعُ مَخْلُوقٌ، لَكِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ وَالْجَهْمِيَّةَ قَالُوا: كُلُّ الْكَلَامِ مَخْلُوقٌ. وَلِهَذَا يَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ فِي الْقُرْآنِ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ. وَالْأَشَاعِرَةُ يَقُولُونَ: مَخْلُوقٌ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ كَلَامِ اللَّهِ وَلَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ. فَصَارَ الْمُعْتَزِلَةُ أَصْدَقَ مِنْهُمْ مِنْ وَجْهِ، حَيْثُ قَالُوا: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَيْسَ كَلَامُ اللَّهِ، بَلْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ كَلَامِ اللَّهِ.

الْخُلَاصَةُ: أَنَّ إِثْبَاتَهُمُ لِلصِّفَاتِ السَّبْعِ: يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ كَاتِبَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، بَلْ هُوَ إِثْبَاتٌ فِيهِ انْحِرَافٌ، وَسَيَأْتِي -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- بَيَانُ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ.

[١] لَا يُوجَدُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَوْ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنَ الْأُئِمَّةِ، رَجَعُوا إِلَى الْعَقْلِ فِي بَابِ إِثْبَاتِ صِفَاتِ اللَّهِ أَوْ نَفْيِهَا، وَإِذَا ذَكَرُوا صِفَةً اسْتَدَلُّوا عَلَيْهَا بِالْقُرْآنِ

أَوِ بِالسُّنَّةِ، وَلَا عَلِمْنَا أَحَدًا مِنْهُمْ عَارِضَ فِي إِثْبَاتِ أَيِّ صِفَةٍ؛ لِأَنَّ عَقْلَهُ لَمْ يَتَحَمَّلَهَا، بَلْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ أَدْبًا.

فَقَدْ كَانُوا يَقْبَلُونَ أَحَادِيثَ الرَّسُولِ ﷺ بِلا مُنَازَعَةٍ وَبِلا أَسْئَلَةٍ، فَإِذَا حَدَّثَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ بِأَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، لَمْ يَقُولُوا: كَيْفَ يَنْزِلُ؟ وَلَمَّا حَدَّثَهُمُ أَنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، لَمْ يَقُولُوا: كَيْفَ اسْتَوَى؟ لِأَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ مِنَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَيْسَ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ.

وَهَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرُونَ الْمُحَدِّثُونَ تَحِدُّ عَنْهُمْ مِنَ الْإِيرَادَاتِ عَلَى صِفَاتِ اللَّهِ مَا لَا يُورَدُونَ عَلَى صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، فَلَوْ قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ رَكِبَ سَيَّارَتَهُ وَانْطَلَقَ إِلَى قَصْرِهِ. هَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: كَيْفَ رَكِبَ؟ هَلْ فِي الْمَرْكَبَةِ الْأُولَى أَمِ الثَّانِيَّةِ؟ هَلْ مَدَدَ رِجْلَيْهِ أَمْ كَفَّهُمَا؟ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ! لَا أَحَدٌ يَسْأَلُ، لَكِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى -مَعَ الْأَسَفِ- بَدَأَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَسْأَلُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ السُّؤَالَ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِذَعَةٍ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(١)</sup>.

فَأَنْتَ عَلَيْكَ أَنْ تَسْمَعَ وَتَقْبَلَ، أَمَّا أَنْ تَسْأَلَ (كَيْفَ) وَ(لِمَ؟) فَتَقُولُ: كَيْفَ وَجْهُهُ، وَكَيْفَ عَيْنُهُ؟ وَكَيْفَ يَنْزِلُ وَثُلُثُ اللَّيْلِ دَائِمٌ فِي الْأَرْضِ، فَكَيْفَ اللَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا دَائِمًا؟ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْإِيرَادَاتِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي يُلْقِيهَا الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِهِ؛ لِيُوَصِّلَهُ إِلَى إِنْكَارِ هَذِهِ الصِّفَةِ وَتَكْذِيبِهَا، أَوْ الذَّهَابِ مَعَ الْمُحَرِّفِينَ.

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة رقم (٦٦٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات رقم (٨٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥)، والدارمي في الرد على الجهمية رقم (١٠٤).

الثاني: أَنَّ الرُّجُوعَ إِلَى الْعَقْلِ فِي هَذَا الْبَابِ مُخَالِفٌ لِلْعَقْلِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْبَابَ مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي لَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيهَا مَجَالٌ، وَإِنَّمَا تُتَلَقَّى مِنَ السَّمْعِ، فَإِنَّ الْعَقْلَ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يُدْرِكَ بِالتَّفْصِيلِ مَا يَجِبُ وَيَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَكُونُ تَحْكِيمُ الْعَقْلِ فِي ذَلِكَ مُخَالِفًا لِلْعَقْلِ<sup>[١]</sup>.

فَيَجِبُ أَلَّا تَتَعَرَّضَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ؛ لِأَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُحِيطَ بِهَا عُقُولُنَا، وَيَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَلْتَزِمَ مَا التَزَمَهُ السَّلَفُ، وَقَدْ وَقَعَ الضَّرَرُ عَلَى النَّاسِ وَجَعَلَهُمْ يَدْعُونَ النُّصُوصَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِلَّا مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَصَارَ الشَّيْطَانُ يُورِدُ فِي نَفْسِهِمْ هَذِهِ التَّسَاوُلَاتِ حَتَّى أَدَّى بِطَائِفَةٍ مِنْهُمْ إِلَى الْإِنْكَارِ، وَأَدَّى بِطَائِفَةٍ أُخْرَى إِلَى التَّمْثِيلِ.

وَالرُّجُوعُ إِلَى الْعَقْلِ فِي هَذَا الْبَابِ مُخَالِفٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ، وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لِمَا عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ فَلَا خَيْرَ مِنْهُ، بَلْ هُوَ شَرٌّ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»<sup>(١)</sup>، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ أَحْرَصُ مِنَّا عَلَى الْخَيْرِ، وَأَقْوَى مِنَّا إِيْمَانًا وَيَقِينًا.

[١] قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: إِذَا قَالَ لَكَ الْجُهْمِيُّ: كَيْفَ صِفَاتُهُ؟ فَقُلْ: كَيْفَ ذَاتُهُ؟ إِذْ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يُكَيِّفَ، فَإِذَا لَمْ يُمَكِّنَا تَكْيِيفُ الذَّاتِ فَإِنَّ الصِّفَاتِ تَابِعَةٌ لِلذَّاتِ، وَلَا يُمَكِّنُنَا أَبَدًا أَنْ نُكَيِّفَ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ تَابِعَةٌ لِلْمَوْصُوفِ، فَمَا لَا يُدْرِكُ كُنْهَ ذَاتِهِ؛ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُدْرِكَ كُنْهَ صِفَاتِهِ، وَهَذَا شَيْءٌ مَعْلُومٌ بِالْعَقْلِ وَالْحِسِّ، وَهُوَ أَيْضًا

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، رقم (٢٥٠٩)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣).

الثالث: أَنَّ الرُّجُوعَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْعَقْلِ مُسْتَلَزِمٌ لِلاِخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ، فَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَقْلًا يَرَى وَجُوبَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ فِي هَؤُلَاءِ، فَتَجِدُ أَحَدَهُمْ يُثَبِّتُ مَا يَنْفِيهِ الْآخَرُ، وَرَبِّمَا يَتَنَاقُضُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ فَيُثَبِّتُ فِي مَكَانٍ مَا يَنْفِيهِ، أَوْ يَنْفِي نَظِيرَهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ، فَلَيْسَ لَهُمْ قَانُونٌ مُسْتَقِيمٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْفَتَاوَى الْحَمَوِيَّةِ: «فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ عَقْلٍ يُوزَنُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ حَيْثُ قَالَ: .....

مُخَالَفٌ لِلْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ، كَيْفَ تَتَكَلَّمُ فِي اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِيمَا لَا تَدْرِي عَنْهُ، ثُمَّ تُبْطِلُ كَلَامَ اللَّهِ لِأَنَّ عَقْلَكَ لَا يُثَبِّتُهُ، أَوْ تُثَبِّتُ مَا لَمْ يُثَبِّتْهُ اللَّهُ لِأَنَّ عَقْلَكَ أَثَبَّتَهُ، وَهَلْ هَذَا إِلَّا التَّقْدِيمُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَانْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ①﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿[الحجرات: ١-٢].

فَقَدْ نُهِنَا أَنْ نَرْفَعَ أَصْوَاتَنَا، وَهُوَ رَفَعٌ حَسِيٌّ، وَلَا نَجْهَرُ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِنَا لِبَعْضٍ، حَتَّى لَا تَحْبَطَ أَعْمَالُنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

فَكَيْفَ نَرْفَعُ أَصْوَاتَنَا فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ رَفْعًا مَعْنَوِيًّا بِحَيْثُ نَرُدُّ قَوْلَهُ بِقَوْلِنَا؛ لِأَنَّ عُقُولَنَا لَا تُثَبِّتُ مَا قَالَهُ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْأَمْرَ خَطِيرٌ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَهَبُوا هَذَا الْمَذْهَبَ، لَوْ لَا أَنَّ بَعْضَهُمْ عُرِفَ بِالنُّصْحِ لِلْأُمَّةِ لَكَانُوا عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ، لَكِنْ هُمْ مُجْتَهِدُونَ مُتَأَوِّلُونَ، نَسَّأَلُ اللَّهَ لَنَا وَهُمْ الْعَفْوُ.



أَوْ كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جَبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لِحَدَلِ هَؤُلَاءِ»<sup>(١)</sup>، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ تَنَاقُضَ الْأَقْوَالِ دَلِيلٌ عَلَى فَسَادِهَا<sup>(١)</sup>.

[١] الرُّجُوعُ إِلَى الْعَقْلِ فِي هَذَا الْبَابِ سَبَبٌ إِلَى الْاِخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ لَهُ عَقْلٌ يَرَى أَنَّهُ يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ، فَتَجِدُهُمْ مُتَنَاقِضِينَ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ: هَذَا وَاجِبٌ لِلَّهِ. وَالثَّانِي يَقُولُ: هَذَا مُمْتَنِعٌ عَلَى اللَّهِ.

إِذَنْ: تَنَاقُضُ، بَلْ إِنْ بَعْضُهُمْ تَجِدُهُ فِي الْمَوْلَفَاتِ يَتَنَاقُضُ، فَيَكْتُبُ فِي حَالٍ: يَرَى أَنَّ الْعَقْلَ دَلٌّ عَلَى كَذَا، وَيَقُولُ: الْعَقْلُ دَلٌّ عَلَيْهِ. وَيَكْتُبُ بَعْدَ زَمَنِ فِي حَالٍ يَرَى أَنَّ الْعَقْلَ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ بَلْ يَمْنَعُهُ فَيَقُولُ: الْعَقْلُ يَمْنَعُ هَذَا. فَهَلْ نَرْجِعُ فِي عَقِيدَتِنَا الَّتِي عَلَيْهَا مَبْنَى إِيْمَانِنَا إِلَى آراءِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ مَعَ تَنَاقُضِهَا؟! هَذَا لَا يُمَكِّنُ.

وَنَقُولُ: إِذَا تَنَاقَضْتُمْ وَاخْتَلَفْتُمْ فَبِأَيِّ شَيْءٍ نَزَنُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، هَلْ هُوَ بِعَقْلِ فُلَانٍ أَوْ بِعَقْلِ فُلَانٍ، وَحِينَئِذٍ نَبْقَى حَائِرِينَ، وَكَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ - رَحِمَهُ اللَّهُ: بِأَيِّ عَقْلِ يُوزَنُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؟!

وَكََمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَوْ كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ؛ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جَبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لِحَدَلِ هَؤُلَاءِ؟!

فَالْقَوْلُ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْعَقْلِ يَسْتَلْزِمُ التَّنَاقُضَ وَالْاِخْتِلَافَ وَالْاضْطِرَابَ، وَالْأَلَا يَبْنِي الْإِنْسَانُ عَقِيدَتَهُ عَلَى أَاسَاسِهِ، وَأَنْ يَبْقَى الْعَامَّةُ مُتَارِجُونَ بَيْنَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَالتَّنَاقُضُ دَلِيلٌ عَلَى الْفَسَادِ؛ لِأَنَّ تَنَاقُضَ الْأَقْوَالِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا أَاسَاسٌ تَنْبِيئِي عَلَيْهِ، فَتَكُونُ بَاطِلَةً، وَاطَّرَادُ الْأَقْوَالِ دَلِيلٌ عَلَى سَلَامَتِهَا وَصِحَّتِهَا.

(١) راجع مجموع الفتاوى (٢٩/٥). (الشارح)

الرَّابِعُ: أَنَّهُمْ إِذَا صَرَفُوا النُّصُوصَ عَنْ ظَاهِرِهَا إِلَى مَعْنَى زَعَمُوا أَنَّ الْعَقْلَ يُوجِبُهُ، فَإِنَّهُ يَلْزِمُهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى نَظِيرُ مَا يَلْزِمُهُمْ فِي الْمَعْنَى الَّذِي نَفَوْهُ، مَعَ ارْتِكَابِهِمْ تَحْرِيفَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالُوا الْمُرَادُ بِيَدِي اللَّهِ عَزَّجَلَّ الْقُوَّةُ دُونَ حَقِيقَةِ الْيَدِ؛ لِأَنَّ إِبْثَاتَ حَقِيقَةِ الْيَدِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ بِالْمَخْلُوقِ الَّذِي لَهُ يَدٌ.

فَنَقُولُ لَهُمْ: يَلْزِمُكُمْ فِي إِبْثَاتِ الْقُوَّةِ نَظِيرُ مَا يَلْزِمُكُمْ فِي إِبْثَاتِ الْيَدِ الْحَقِيقِيَّةِ، لِأَنَّ لِلْمَخْلُوقِ قُوَّةً، فَلِإِبْثَاتِ الْقُوَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ عَلَى قَاعِدَتِكُمْ<sup>[١]</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «الرَّابِعُ: أَنَّهُمْ إِذَا صَرَفُوا النُّصُوصَ عَنْ ظَاهِرِهَا إِلَى مَعْنَى زَعَمُوا أَنَّ الْعَقْلَ يُوجِبُهُ...» إلخ:

فَإِنَّهُ يَلْزِمُهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي صَرَفُوا النُّصُوصَ إِلَيْهِ، نَظِيرُ مَا يَلْزِمُهُمْ فِي الْمَعْنَى الَّذِي صَرَفُوهُ عَنْهُ، مَعَ زِيَادَةِ الْجِنَايَةِ عَلَى النُّصُوصِ وَتَحْرِيفِهَا، وَتَعْطِيلِ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَا، وَإِبْثَاتِ مَا لَمْ يُرِدْهُ، فَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذَا الصَّرْفَ فِيهِ هَذِهِ الْمَحَاضِيرُ:

الْمَحْذُورُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ يَلْزِمُهُمْ فِيمَا أَثْبَتُوهُ نَظِيرُ مَا يَلْزِمُهُمْ فِيمَا نَفَوْهُ، وَحِينَئِذٍ لَمْ يَسْلَمُوا مِنَ التَّشْبِيهِ عَلَى زَعْمِهِمْ.

الْمَحْذُورُ الثَّانِي: أَنَّ فِي ذَلِكَ جِنَايَةً عَلَى النُّصُوصِ، وَلَيَّا لَأَعْنَاقِهَا عَمَّا أُرِيدُ بِهَا إِلَى مَعْنَى آخَرَ، وَهَذِهِ الْجِنَايَةُ تَتِمُّلُ بِأَمْرَيْنِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: صَرَفُهَا عَنِ الْمُرَادِ بِهَا.

الْأَمْرُ الثَّانِي: إِبْتَاتُ مَعْنَى لَمْ يُرَدِّ بِهَا.

وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ عُذْوَانٌ عَلَى النُّصُوصِ، بَلِ الْعُدْوَانُ فِي حَقِّ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لِأَنَّ لَازِمَ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُبَيِّنْ لِعِبَادِهِ مَا أَرَادَ بِكَلَامِهِ، حَيْثُ خَاطَبَهُمْ بِشَيْءٍ ظَاهِرِهِ خِلَافُ مَا أَرَادَ، وَهَذَا اللَّازِمُ بَاطِلٌ، وَلَوْ التَّزَمُوهُ لَكَانُوا عَلَى شَفَى حُفْرَةٍ مِنَ الْكُفْرِ، لَكِنَّ قَدْ لَا يَلْتَزِمُونَهُ وَهُوَ لَا زِمٌ لَهُمْ لَا مُحَالَةٌ.

وَهَذَا الْمِثَالُ الَّذِي ذَكَرْنَا فِي الْمَتْنِ إِذَا قَالُوا: الْمُرَادُ بِالْيَدِ: الْقُوَّةُ، وَلَا تُثَبَّتِ الْيَدُ الْحَقِيقِيَّةُ، قَالُوا: لِأَنَّ لِلْمَخْلُوقِ يَدًا حَقِيقِيَّةً، فَإِذَا أَثْبَتْنَا لِلَّهِ يَدًا حَقِيقِيَّةً لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُشَابِهًا لِلْمَخْلُوقِ، نَقُولُ لَهُمْ: مَاذَا يُرِيدُ بِالْيَدِ؟ قَالُوا: يُرَادُ بِهَا الْقُوَّةُ.

فَالْجَوَابُ أَنْ نَقُولَ: وَلِلْمَخْلُوقِ قُوَّةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]، فَاَلْمَخْلُوقُ لَهُ قُوَّةٌ، فَانْتُمُ عَلَى قَاعِدَتِكُمْ شَبَّهْتُمْ اللَّهَ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُونَ، فَاَلْمَخْلُوقُ لَهُ قُوَّةٌ، وَالْخَالِقُ لَهُ قُوَّةٌ، وَإِذَا كَانَ اتِّفَاقُهُمَا فِي الْأَسْمِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، فَإِنَّ هَذَا عَلَى قَاعِدَتِكُمْ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، فَقَدْ وَقَعْتُمْ فِي نَظِيرِ مَا فَرَرْتُمْ مِنْهُ، مَعَ الْجِنَايَةِ عَلَى النُّصُوصِ، وَالْإِعْتِدَاءِ فِي حَقِّ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَنَقُولُ: إِذَا قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ يَدَانِ حِسِّيَّتَانِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِالْيَدِ: يَدُ الْمَعْنَى، وَهِيَ: الْقُوَّةُ وَالنَّعْمَةُ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: مَا لِدَفْعِ هَذَا الْبَلَاءِ يَدَانِ، أَوْ مَا بَدَفِعِ لِهَذَا الْبَلَاءِ يَدَانِ. وَالْمَعْنَى: مَا لِقَوِيٍّ.

وَالنَّعْمَةُ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ: لِفُلَانٍ عَلَيَّ يَدٌ لَمْ أَجَازِهِ بِهَا. هَذِهِ بِمَعْنَى النَّعْمَةِ: وَيَقُولُ

وَمِثَالٌ آخَرُ: إِذَا قَالُوا الْمُرَادُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى إِرَادَةُ ثَوَابِ الْمَحْبُوبِ أَوْ الثَّوَابِ  
نَفْسُهُ دُونَ حَقِيقَةِ الْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّ إِثْبَاتَ حَقِيقَةِ الْمَحَبَّةِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ<sup>[١]</sup>.

الْمُتَنَبِّي يُحَاطَبُ مَمْدُوحُهُ:

وَكَمْ لِظْلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تُخْبِرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

لَأَنَّ الْمَانَوِيَّةَ يَقُولُونَ: اللَّيْلُ مَا فِيهِ إِلَّا شَرٌّ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ: بِ(يَدِ) الْقُوَّةِ.

إِذَنْ: لِمَاذَا أَخْرَجْتُمُ الْيَدَ عَنْ مَعْنَاهَا الْحَقِيقِيَّةِ؟ يَقُولُونَ: لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَهُ يَدٌ،  
فَإِثْبَاتُ الْيَدِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ.

فَنَقُولُ أَيْضًا: إِثْبَاتُ الْقُوَّةِ عَلَى قَاعِدَتِكُمْ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَهُ  
قُوَّةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠].  
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥]. إِذَنْ: سَقَطُوا فِيمَا خَافُوا مِنْهُ، وَإِلَّا فَهُمْ  
مُتَنَاقِضُونَ.

[١] وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْأَشَاعِرَةُ؛ لِأَنَّهُ سَبَقَ أَنَّهُمْ يُبْشِرُونَ الْإِرَادَةَ، وَأَمَّا الثَّوَابُ فَهُوَ  
مُنْفَصِلٌ لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، فَيَقُولُونَ: إِنْ اللَّهَ إِذَا قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾،  
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، فَالْمَعْنَى يُرِيدُ ثَوَابَهُمْ، أَوِ الْمَعْنَى يُشَبِّهُهُمْ، أَمَّا أَنَّهُ يُحِبُّ فَهَذَا  
مُسْتَحِيلٌ!

فَنَقُولُ لَهُمْ: هَذَا جَوَابُكُمْ: «إِذَا فَسَّرْتُمُ الْمَحَبَّةَ بِالْإِرَادَةِ لَزِمَكُمْ فِي إِثْبَاتِ الْإِرَادَةِ  
نَظِيرٌ مَا يَلْزِمُكُمْ فِي إِثْبَاتِ الْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّ لِلْمَخْلُوقِ إِرَادَةً، فَإِثْبَاتُ الْإِرَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى  
يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ عَلَى قَاعِدَتِكُمْ».

فَقُولْ لَهُمْ: إِذَا فَسَّرْتُمْ الْمَحَبَّةَ بِالْإِرَادَةِ لَزِمَكُمْ فِي إِثْبَاتِ الْإِرَادَةِ نَظِيرُ مَا يَلْزِمُكُمْ فِي إِثْبَاتِ الْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّ لِلْمَخْلُوقِ إِرَادَةً، فَإِثْبَاتُ الْإِرَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ عَلَى قَاعِدَتِكُمْ<sup>(١)</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «فَقُولْ لَهُمْ: إِذَا فَسَّرْتُمْ الْمَحَبَّةَ بِالْإِرَادَةِ...» نَقُولُ: إِذَا فَسَّرْتُمْ الْمَحَبَّةَ بِإِرَادَةِ الثَّوَابِ؛ فَأَنْتُمْ أَثْبَتُمُ الْإِرَادَةَ، وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ الْمَخْلُوقَ لَهُ إِرَادَةٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

وَإِثْبَاتُ الْإِرَادَةِ لِلْإِنْسَانِ أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالسَّمْعِ وَالْعَقْلِ وَالْوَاقِعِ، فَأَنْتُمْ إِذَا أَثْبَتُمُ اللَّهَ إِرَادَةً؛ لَزِمَ عَلَى قَاعِدَتِكُمْ التَّشْبِيهَ؛ لِأَنَّكُمْ يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ يَثْبُتُ لِلْمَخْلُوقِ إِذَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ فَهُوَ تَشْبِيهٌ. فَلَمْ يَسْلَمُوا مِنَ التَّشْبِيهِ عَلَى قَاعِدَتِهِمْ؛ لِأَنَّكُمْ أَثْبَتُوا الْإِرَادَةَ، وَالْمَخْلُوقَ لَهُ إِرَادَةٌ، فَقَدْ وَقَعْتُمْ فِي التَّشْبِيهِ.

وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَأَمَّلَ هَذِهِ الْمَسَائِلَ، وَأَحْوَالَ النَّاسِ، فَإِنَّهُ يَسْأَلُ اللَّهَ دَائِمًا التَّثْبِيتَ؛ لِأَنَّ الْقُلُوبَ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَالَّذِي صَرَفَ مَنْ صَرَفَ عَنِ الْحَقِّ مَعَ وُضُوحِهِ وَبَيَانِهِ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَصْرِفَ قَلْبَكَ أَنْتَ، فَلِتَحْمَدِ اللَّهَ أَنْ لَمْ يَجْعَلْكَ مِثْلَهُمْ، وَتَسْأَلِ اللَّهَ الثَّبَاتَ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي النُّونِيَّةِ:

لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ أَيْضًا مِثْلَهُمْ      فَاَلْقَلْبُ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ<sup>(١)</sup>

فَاَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى الْهِدَايَةِ، وَأَسْأَلُهُ التَّثْبِيتَ.

(١) نونية ابن القيم (ص: ٢٠).

وَإِذَا فَسَّرْتُمُوهَا بِالثَّوَابِ فَالثَّوَابُ مَخْلُوقٌ مَفْعُولٌ لَا يَقُومُ إِلَّا بِخَالِقٍ فَاعِلٍ،  
وَالْفَاعِلُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ إِرَادَةِ الْفِعْلِ، وَإِثْبَاتُ الْإِرَادَةِ مُسْتَلْزِمٌ لِلتَّشْبِيهِ عَلَى  
قَاعِدَتِكُمْ<sup>[١]</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «وَإِذَا فَسَّرْتُمُوهَا بِالثَّوَابِ فَالثَّوَابُ مَخْلُوقٌ مَفْعُولٌ...»:

هَذَا أَيْضًا رَدٌّ عَلَى مَنْ فَسَّرَهَا بِالثَّوَابِ، فنَقُولُ: أَنْتُمْ فَسَّرْتُمُوهَا إِمَّا بِإِرَادَةِ الثَّوَابِ،  
وَإِمَّا بِالثَّوَابِ نَفْسِهِ، وَهَذَا عَرَفْنَا أَنَّكُمْ تَقْعُونَ فِي التَّشْبِيهِ.

فَالثَّوَابُ مَخْلُوقٌ مَفْعُولٌ، وَالْجَنَّةُ مَخْلُوقَةٌ وَهِيَ ثَوَابٌ الطَّائِعِينَ، فَإِذَا قَالَ:  
مَعْنَى: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾، أَيْ: يُشَبِّهُهُمْ الْجَنَّةَ، قَالَ: «الْجَنَّةُ» مَخْلُوقٌ مَفْعُولٌ، وَالْمَخْلُوقُ الْمَفْعُولُ  
لَا بُدَّ لَهُ مِنْ خَالِقٍ فَاعِلٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ مُحَدَّثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحَدِّثٍ، وَالْخَالِقُ الْفَاعِلُ لَا بُدَّ أَنْ  
يَكُونَ مُرِيدًا؛ لِأَنَّهُ بِلَا إِرَادَةٍ لَا يَخْلُقُ، وَحِينَئِذٍ يُلْزَمُكُمْ إِذَا أَثَبْتُمْ الثَّوَابَ أَنْ تُثَبِّتُوا  
الْإِرَادَةَ، وَإِذَا أَثَبْتُمْ الْإِرَادَةَ وَقَعْتُمْ فِي التَّشْبِيهِ عَلَى قَاعِدَتِكُمْ؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَهُ إِرَادَةٌ،  
فَالْمُتَكَلِّمُونَ أَحَدُثُوا أَشْيَاءَ لَا بُدَّ أَنْ نُخَاطِبَهُمْ فِيهَا بِمَثَلٍ مَا أَحَدُثُوا، وَإِلَّا لَا حَاجَةَ  
لِلتَّكْلِيفِ.

فنقول في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿مَحَبَّةٌ تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ، وَيَنْتَهِي  
الْمَوْضُوعُ، لَكِنْ لَمَّا أَلْجَؤُوا أَهْلَ السُّنَّةِ إِلَى أَنْ يَخُوضُوا فِي مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ صَارَ لَا بُدَّ أَنْ  
يَتَكَلَّمَ أَهْلُ السُّنَّةِ، وَأَلَّا يَدْعُوا الْمَيْدَانَ لَهُؤُلَاءِ يَتَصَرَّفُونَ كَمَا شَاؤُوا.

وَلِذَلِكَ لَوْ سَأَلْتَ الْعَامَّةَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، مَا مَعْنَى الْمَحَبَّةِ؟

قَالَ: الْمَحَبَّةُ مِثْلُ مَا نَحُبُّ الشَّيْءَ، لَكِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَا تُشَبَّهُ مَحَبَّتَنَا؛ لِأَنَّ لَهُ  
مَحَبَّةً تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ.

ثُمَّ نَقُولُ: إِبْتَاتُكُمْ إِرَادَةَ الثَّوَابِ<sup>[١]</sup> أَوِ الثَّوَابَ نَفْسَهُ<sup>[٢]</sup> مُسْتَلَزِمٌ لِحَبَّةِ الْعَمَلِ  
الْمُثَابِ عَلَيْهِ<sup>[٣]</sup>، وَلَوْلَا حَبَّةُ الْعَمَلِ مَا أُثِيبَ فَاعِلُهُ، فَصَارَ تَأْوِيلُكُمْ مُسْتَلَزِمًا لِمَا نَفَيْتُمْ،  
فَإِنْ أَثَبْتُمُوهُ عَلَى الْوَجْهِ الْمُمَاطِلِ لِلْمَخْلُوقِ فِيهِ التَّمْثِيلِ وَقَعْتُمْ<sup>[٤]</sup>، .....

[١] قوله: «ثُمَّ نَقُولُ: إِبْتَاتُكُمْ إِرَادَةَ الثَّوَابِ»: هَذَا نُخَاطِبُ بِهِ مَنْ يُفَسِّرُ الْمَحَبَّةَ  
بِإِرَادَةِ الثَّوَابِ.

[٢] قوله: «أَوِ الثَّوَابَ نَفْسَهُ»: هَذَا نُخَاطِبُ بِهِ مَنْ يُفَسِّرُ الْمَحَبَّةَ بِالثَّوَابِ.

[٣] وقوله: «مُسْتَلَزِمٌ لِحَبَّةِ الْعَمَلِ الْمُثَابِ عَلَيْهِ»: أَي لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُثِيبَ اللَّهُ  
إِنْسَانًا عَلَى عَمَلٍ وَهُوَ لَا يُحِبُّهُ، كَمَا لَا يُعَاقِبُ إِنْسَانًا عَلَى عَمَلٍ وَهُوَ لَا يَكْرَهُهُ.  
إِذَنْ: لَا ثَوَابَ إِلَّا بَعْدَ حَبَّةِ الْعَامِلِ، وَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ: يُحِبُّ ثَوَابَ الْعَمَلِ.

لَكِنَّهُمْ قَدْ يُكَابِرُونَ وَيَقُولُونَ: قَدْ يُثِيبُ بِدُونِ أَنْ يُحِبَّ، فَيَقَالُ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ  
لَا مُكْرَهَ لَهُ، فَمَنِ الَّذِي يُكْرَهُهُ عَلَى أَنْ يُثِيبَ بِلَا حَبَّةٍ؟ فَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْعَدْلَ، فَإِذَا  
أَمَرَ بِأَمْرٍ وَرَتَّبَ عَلَيْهِ ثَوَابًا ثُمَّ فَعَلَهُ الْفَاعِلُ، فَإِنَّا نَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ  
يُثِيبَهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا مُكْرَهَ لَهُ، وَلَآنَ ذَلِكَ مِنَ الْعَدْلِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَأْمُرُ بِهِ، قَالَ اللَّهُ  
تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، فَصَارَتْ إِثَابَةُ الْمَحْبُوبِ دَلِيلًا  
عَلَى حُبِّهِ تَعَالَى لِهَذَا الْعَامِلِ، وَلَوْلَا الْمَحَبَّةُ مَا أَثَابَ.

[٤] قوله: «فَصَارَ تَأْوِيلُكُمْ مُسْتَلَزِمًا لِمَا نَفَيْتُمْ، فَإِنْ أَثَبْتُمُوهُ عَلَى الْوَجْهِ الْمُمَاطِلِ  
لِلْمَخْلُوقِ فِيهِ التَّمْثِيلِ وَقَعْتُمْ»: أَي إِذَا أَثَبْتُمُوهُ الْإِرَادَةَ عَلَى الْوَجْهِ الْمُمَاطِلِ لِلْمَخْلُوقِ  
فَقَدْ وَقَعُوا فِي التَّمْثِيلِ.

وإِنْ أَثْبَتُّوهُ عَلَى الْوَجْهِ الْمُخْتَصِّ بِاللَّهِ وَاللَّائِقِ بِهِ أَصَبْتُمْ وَلَزِمَكُمْ إِثْبَاتُ جَمِيعِ الصِّفَاتِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ<sup>[١]</sup>.

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنَّ قَوْلَهُمْ فِيمَا نَقَوْهُ: إِنَّ إِثْبَاتَهُ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ. مَمْنُوعٌ، لِأَنَّ الْإِشْتِرَاكَ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لَا يَسْتَلْزِمُ تَمَاثُلَ الْمُسَمَّيَاتِ وَالْمَوْصُوفَاتِ كَمَا تَقَرَّرَ سَابِقًا، ثُمَّ إِنَّهُ مَنقُوضٌ بِمَا أَثْبَتُوهُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ تَعَالَى الْحَيَاةَ، وَالْعِلْمَ، وَالْقُدْرَةَ، وَالْإِرَادَةَ، وَالْكَلَامَ، وَالسَّمْعَ، وَالْبَصَرَ، مَعَ أَنَّ الْمَخْلُوقَ مُتَّصِفٌ بِذَلِكَ، فَإِثْبَاتُهُمْ هَذِهِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ تَعَالَى مَعَ اتِّصَافِ الْمَخْلُوقِ بِهَا مُسْتَلْزِمٌ لِلتَّشْبِيهِ عَلَى قَاعِدَتِهِمْ<sup>[٢]</sup>.

فَإِنْ قَالُوا: إِنَّا نُثْبِتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ يَخْتَصُّ بِهِ وَلَا يُشَبِّهُ مَا ثَبَتَ لِلْمَخْلُوقِ مِنْهَا.

[١] قَوْلُهُ: «وإِنْ أَثْبَتُّوهُ عَلَى الْوَجْهِ الْمُخْتَصِّ بِاللَّهِ وَاللَّائِقِ بِهِ أَصَبْتُمْ»: أَيِ إِذَا قَالُوا: الْإِرَادَةُ الْمُضَافَةُ لِلَّهِ تَخْتَصُّ بِهِ. نَقُولُ: إِذَنْ: أَصَبْتُمْ فِي هَذَا، وَلَكِنْ يَلْزِمُكُمْ إِثْبَاتُ جَمِيعِ الصِّفَاتِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، وَقُولُوا: إِنَّهُ عَلَى وَجْهِ يَخْتَصُّ بِهِ وَيَلِيْقُ بِهِ، وَلَا يُمَازِلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، حَتَّى تَسْلُمُوا مِنَ التَّنَاقُضِ وَمِنَ التَّحْرِيفِ لِلنَّصُوصِ، وَمِنَ الْعُدْوَانِ عَلَى حَقِّ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

[٢] أَوَّلًا: مَمْنُوعٌ؛ لِأَنَّ إِثْبَاتَ هَذَا لَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، فَإِنَّ كُلَّ مُضَافٍ يَخْتَصُّ بِمَنْ يُضَافُ إِلَيْهِ، كَمَا سَبَقَ.

ثَانِيًا: مَنقُوضٌ: أَيِ أَتَاهُمْ فَعَلُوا مَا يُنَاقِضُ كَلَامَهُمْ، فنَقُولُ: أَنْتُمْ قُلْتُمْ كَذَا فَتَنَاقَضْتُمْ.



قُلْنَا: هَذَا جَوَابٌ حَسَنٌ سَدِيدٌ، فَلِمَ إِذَا لَا تَقُولُونَ بِهِ فِيمَا نَفَيْتُمُوهُ، فَتُبْتُونَهُ  
لِلَّهِ عَلَى وَجْهِ يَخْتَصُّ بِهِ، وَلَا يُشَبِّهُ مَا ثَبَتَ لِلْمَخْلُوقِ مِنْهُ؟  
فَإِنْ قَالُوا: مَا أَثْبَتْنَاهُ فَقَدْ دَلَّ الْعَقْلُ عَلَى ثُبُوتِهِ فَلَزِمَ إِبْتِنَاهُ<sup>١</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «فَإِنْ قَالُوا: إِنَّا ثَبَتْنَا هَذِهِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ يَخْتَصُّ بِهِ،  
وَلَا يُشَبِّهُ مَا ثَبَتَ لِلْمَخْلُوقِ مِنْهَا...» نَقُولُ لَهُمْ: هَذَا الَّذِي نَفَيْتُمْ وَادَّعَيْتُمْ أَنَّ إِبْتِنَاهُ  
يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، نَحْنُ نَمْنَعُ هَذَا وَنَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَلْزِمُ مِنْ اتِّفَاقِ الشَّيْئَيْنِ فِي الْأِسْمِ  
وَالصِّفَةِ أَنْ يَكُونَا مُتَمَاثِلَيْنِ فِي الْحَقِيقَةِ.

ثُمَّ نَقُولُ: هَذَا مَنْقُوضٌ بِمَا أَثْبَتْنَاهُ مِنَ صِفَاتِ اللَّهِ، فَأَنْتُمْ أَثْبَتْتُمْ لِلَّهِ الصِّفَاتِ  
السَّبْعَ: الْحَيَاةَ، وَالْعِلْمَ، وَالْقُدْرَةَ، وَالسَّمْعَ، وَالْبَصَرَ، وَالْإِرَادَةَ، وَالْكَلَامَ، وَلِلْمَخْلُوقِ  
نَفْسٌ هَذِهِ الصِّفَاتِ، فَلِلْمَخْلُوقِ: حَيَاةٌ وَعِلْمٌ وَإِرَادَةٌ وَقُدْرَةٌ وَسَمْعٌ وَبَصَرٌ وَكَلَامٌ،  
فَيَلْزِمُ عَلَى قَاعِدَتِكُمْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى مُشَابِهًا لِلْمَخْلُوقِ.

فَإِذَا قَالُوا: نَحْنُ ثَبَتْنَا هَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَى وَجْهِ يَلِيْقُ بِاللَّهِ، وَيَخْتَصُّ بِهِ بِدُونِ  
تَشْبِيهِ.

فَالْجَوَابُ: هَذَا جَوَابٌ حَسَنٌ وَسَدِيدٌ، وَلَكِنْ لِمَ إِذَا لَا تَقُولُونَ بِهِ فِيمَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ  
لِنَفْسِهِ وَنَفَيْتُمُوهُ؟ وَلِمَ إِذَا لَا تَقُولُونَ بِإِبْتِنَاتِ جَمِيعِ الصِّفَاتِ عَلَى وَجْهِ يَخْتَصُّ بِاللَّهِ وَيَلِيْقُ  
بِهِ وَلَا يُمَآثِلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؟

يَقُولُونَ: نَحْنُ أَثْبَتْنَا هَذِهِ الصِّفَاتِ السَّبْعَ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ دَلَّ عَلَيْهَا، وَلَمْ تُثَبِّتْ  
الْبَاقِي؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا.

فَالْجَوَابُ عَلَى هَذَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَجُوبَةٍ سَتَأْتِي.

قُلْنَا: عَنْ هَذَا ثَلَاثَةُ أَجَوِبَةٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِعْتِمَادُ عَلَى الْعَقْلِ فِي هَذَا الْبَابِ كَمَا سَبَقَ.

الثَّانِي: أَنَّهُ يُمَكِّنُ إِبْطَاتُ مَا نَفَيْتُمُوهُ بِدَلِيلٍ عَقْلِيٍّ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أَوْضَحَ مِنْ أُدْلِتِكُمْ فِيهَا أَتَبْتُمُوهُ<sup>[١]</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «الثَّانِي: أَنَّهُ يُمَكِّنُ إِبْطَاتُ مَا نَفَيْتُمُوهُ بِدَلِيلٍ عَقْلِيٍّ، يَكُونُ فِي بَعْضِ

الْمَوَاضِعِ أَوْضَحَ مِنْ أُدْلِتِكُمْ فِيهَا أَتَبْتُمُوهُ»: هَذَا الْجَوَابُ الثَّانِي، وَهُوَ أَنَّ تَسْلُكَ كَمَا سَلَكَوا - وَهُوَ إِبْطَاتُ الصِّفَاتِ عَنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ -.

وَدَلَالَةُ الْعَقْلِ عَلَى ثُبُوتِ الْإِرَادَةِ لِلَّهِ هِيَ التَّخْصِصُ؛ فَالسَّمَاءُ جَعَلَهَا سَمَاءً بِإِرَادَتِهِ، وَالْأَرْضُ جَعَلَهَا أَرْضًا بِإِرَادَتِهِ، وَالشَّمْسُ جَعَلَهَا شَمْسًا بِإِرَادَتِهِ وَهَكَذَا، فَهَذِهِ الدَّلَالَةُ حَقِيقَةٌ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا طَالِبُ عِلْمٍ مُتَمَكِّنٌ.

فَنَقُولُ: يُمَكِّنُ أَنْ تُثَبَّتَ مَا نَفَيْتُمُوهُ بِالْعَقْلِ، وَيَكُونُ الْعَقْلُ دَالًّا عَلَيْهِ، وَفِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ تَكُونُ دَلَالَتُهُ عَلَى الصِّفَةِ أَوْضَحَ مِنْ بَعْضِ الدَّلَالَاتِ فِيهَا أَتَبْتُمْ.

مِثَالُ ذَلِكَ: الرَّحْمَةُ، أَثَبَّتَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ عَلَى وَجْهِ الصِّفَةِ، وَعَلَى وَجْهِ الْاسْمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]؛ أَيْ: صَاحِبُ الرَّحْمَةِ، هَلْ هِيَ صِفَةٌ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧] أَثَبَّتْنَا الصِّفَةَ عَنْ طَرِيقِ الْاسْمِ.

وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا تُوجَدُ رَحْمَةٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَالْمُرَادُ بِالرَّحْمَةِ - عِنْدَهُمْ -: إِرَادَةُ الثَّوَابِ أَوْ نَفْيُ الثَّوَابِ، وَمِثْلُهَا الْمَحَبَّةُ الْمُرَادُ بِهَا - عِنْدَهُمْ -: إِرَادَةُ الثَّوَابِ أَوْ نَفْيُ الثَّوَابِ.

وَلِهَذَا نَجِدُهُمْ إِذَا فَسَّرُوا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قَالُوا: الرَّحْمَنُ: الْمُنْعِمُ أَوْ مُرِيدُ الْإِنْعَامِ. فَلَا يُثَبَّتُونَ الرَّحْمَةَ لِلَّهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الْإِنْسَانُ لَهُ رَحْمَةٌ، قَالَ الرَّسُولُ ﷺ:

مِثَالُ ذَلِكَ: الرَّحْمَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ دُو  
الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف: ٨]، فَإِنَّهُ يُمَكِّنُ  
إِثْبَاتَهَا بِالْعَقْلِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهَا السَّمْعُ<sup>(١)</sup>.

فَيَقَالُ: الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ بِمَا يَنْفَعُهُمْ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ الضَّرَرَ يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ،  
كَدَلَالَةِ التَّخْصِصِ عَلَى الْإِرَادَةِ، بَلْ هُوَ أَبَيْنُ وَأَوْضَحُ لظُهُورِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ.

«إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ»<sup>(١)</sup>.

وَالرَّحْمَةُ فِيهَا رِقَّةٌ وَلِينٌ، وَاللَّهُ عَزَّجَلَّ قَوِيٌّ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ وَاللِّينِ، وَنَحْنُ  
نَقُولُ: إِنَّهُ يُمَكِّنُ إِثْبَاتَ الرَّحْمَةِ بِالْعَقْلِ كَمَا أَثْبَتْنَا أَنْتُمْ الْإِرَادَةَ بِالْعَقْلِ.

فَالْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ بِجَمِيعِ الْأَنْوَاعِ وَالنِّعَمِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَدَفْعُ  
النِّقَمِ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ آثَارِ الرَّحْمَةِ، فَإِذَا ثَبَتَ هَذَا الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ لَزِمَ ثُبُوتُ الرَّحْمَةِ؛  
لَأَنَّ هَذَا لَا يَقَعُ إِلَّا مِنْ ذِي رَحْمَةٍ، وَدَلَالَةُ هَذِهِ الْأُمُورِ عَلَى الرَّحْمَةِ أَوْضَحُ مِنْ دَلَالَةِ  
التَّخْصِصِ عَلَى الْإِرَادَةِ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا يَرْجِعُونَ إِلَى أَهْوَائِهِمْ لَا إِلَى عُقُولِهِمْ؛  
لِأَنَّهُمْ لَوْ رَجَعُوا لِلْعَقْلِ لَكَانَتْ دَلَالَةُ الْإِحْسَانِ وَدَفْعِ النَّقَمِ عَلَى الرَّحْمَةِ أَقْوَى مِنْ  
دَلَالَةِ التَّخْصِصِ عَلَى الْإِرَادَةِ.

[١] قَوْلُهُ: «فَإِنَّهُ يُمَكِّنُ إِثْبَاتَهَا بِالْعَقْلِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهَا السَّمْعُ...»: هَلْ يَدُلُّ الْعَقْلُ  
عَلَى ثُبُوتِ الرَّحْمَةِ؟

الْجَوَابُ: نَعَمْ، فَالْإِحْسَانُ الْمُتَوَاصِلُ إِلَى الْخَلْقِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ إِحْصَاؤُهُ، وَدَفْعُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه»،  
رقم (١٢٢٤)، ومسلم: كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، رقم (٩٢٣).

الثالث: أَنْ نَقُولَ: عَلَى فَرَضِ أَنَّ الْعَقْلَ لَا يَدُلُّ عَلَى مَا نَفَيْتُمُوهُ فَإِنَّ عَدَمَ دَلَالَتِهِ عَلَيْهِ لَا يَسْتَلْزِمُ انْتِفَاءَهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ<sup>[١]</sup>؛ لِأَنَّ انْتِفَاءَ الدَّلِيلِ الْمُعَيَّنِ لَا يَسْتَلْزِمُ انْتِفَاءَ الْمَذْهُوبِ<sup>[٢]</sup>، .....

الضَّرَرُ الَّذِي انْعَقَدَتْ أَسْبَابُهُ عَلَى وَجْهِ لَا يُحْصَرُ، فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ، وَدَلَالَتُهُ عَلَى الرَّحْمَةِ أَوْضَحُ وَأَبْيَنُ مِنْ دَلَالَةِ التَّخْصِصِ عَلَى الْإِرَادَةِ؛ لِأَنَّ دَلَالََةَ هَذِهِ الْأُمُورِ عَلَى الرَّحْمَةِ دَلَالَةٌ يَسْتَوِي فِيهَا الْعَالِمُ وَالْعَامِّيُّ، حَتَّى الْعَامِّيُّ إِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ وَأَنْبَتَتِ الْأَرْضُ؛ يَقُولُ: هَذِهِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

فَالْمُهْمُ: أَنَّ جَلْبَ النَّفْعِ وَالْخَيْرِ لِلخَلْقِ لَا شَكَّ أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ أَكْثَرَ مِنْ دَلَالَةِ التَّخْصِصِ عَلَى الْإِرَادَةِ؛ لِأَنَّ دَلَالََةَ التَّخْصِصِ عَلَى الْإِرَادَةِ لَا يَفْهَمُهَا إِلَّا طَالِبُ الْعِلْمِ، حَتَّى إِنْ بَعْضُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ هَذَا الاسْتِدْلَالُ، فَهُوَ اسْتِدْلَالٌ خَفِيٌّ يَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى عَلَى بَعْضِ طَلَبَةِ الْعِلْمِ.

[١] قَوْلُهُ: «الثالث: أَنْ نَقُولَ عَلَى فَرَضِ أَنَّ الْعَقْلَ لَا يَدُلُّ عَلَى مَا نَفَيْتُمُوهُ..»  
إِلخ؛ لَوْ فَرَضْنَا وَتَنَزَّلْنَا مَعَكُمْ وَقُلْنَا: إِنَّ الْعَقْلَ لَا يَدُلُّ عَلَى مَا نَفَيْتُمْ -وَلْيَكُنِ الْمَثَلُ الرَّحْمَةَ- إِذَا قَالُوا: إِنَّ الْعَقْلَ لَا يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِهَا. أَوْ قَالُوا: إِنَّ الْعَقْلَ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَائِهَا.

نَقُولُ: هَبْ أَنْ الْأَمْرَ كَمَا قُلْتُمْ، وَسَلَّمْنَا جَدَلًا أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ الرَّحْمَةِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِنَّ عَدَمَ دَلَالَةِ الْعَقْلِ عَلَى ذَلِكَ لَا يَسْتَلْزِمُ انْتِفَاءَهَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّهَا قَدْ يَدُلُّ عَلَيْهَا دَلِيلٌ آخَرُ غَيْرُ الْعَقْلِ، فَإِنَّ الْأَدِلَّةَ قَدْ تَعَدَّدُ وَالْمَذْهُوبُ شَيْءٌ وَاحِدٌ.

[٢] ثُمَّ ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ قَاعِدَةً مُفِيدَةً، وَهِيَ قَوْلُهُ: «لَأَنَّ انْتِفَاءَ الدَّلِيلِ الْمُعَيَّنِ لَا يَسْتَلْزِمُ انْتِفَاءَ الْمَذْهُوبِ».

وهذه قاعدة مهمة في الجدَلِ والمناظر، وقيدَها المؤلفُ بِـ (المعيّن) اختِرازًا من الدليلِ المطلق، يعني: إذا انتفتت الأدلة مطلقًا؛ لزم انتفاء المدلول، لكنّ الدليل المعين قد يتنفي ويكون هناك دليل آخر يثبت به المدلول، ولهذا قال: إذ قد يثبت بدليل آخر.

وإذا قدرنا أنّ العقل لا يدُلُّ على ثبوت الرحمة لله، فإنّ السَّمْعَ قد دَلَّ عليها، فلتثبت بالسَّمْعِ؛ لأنّ السَّمْعَ دليل قائم سالم عن معارضي مقاوم، هذا في المعقولات.

ونظير ذلك في المحسوسات، لو أنّه قيل لك: إنّ هذا الطريق إلى مكة مسدود، تقول: أصِلْ إلى مكة من طريق آخر.

وأضرب لكم مثلاً آخر: إذا استدللنا على شخصٍ بأنّ الله تعالى فوق الخلق، وقُلنا: إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، قال: هذا ليس بدليل؛ لأنّ المراد بالفوقية هنا فوقية القهر لا فوقية الذات.

قُلنا: هب أنّ هذا لا يدُلُّ على الفوقية في الذات، فعندنا دليل آخر، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

إذن: كأنّ الأشياء تصعد إليه فوق! فانتفاء الدليل المعين وهو قوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ -الذي سلمناه جدلاً- لا يستلزم انتفاء المدلول الذي هو علو الله بذاته؛ لأنّه قد يثبت بدليل آخر، والدليل الآخر هو: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، فلا صعود إلا إلى شيء فوق.

إِذَا قَدْ يَثْبُتُ بِدَلِيلٍ آخَرَ، فَإِذَا قَدَرْنَا أَنَّ الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ لَا يُثْبِتُهُ، فَإِنَّ الدَّلِيلَ السَّمْعِيَّ قَدْ أَثْبَتَهُ<sup>[١]</sup>، وَحِينَئِذٍ يَجِبُ إِبْتَاثُهُ بِالْأَدْلَى الْقَائِمِ، السَّالِمِ عَنِ الْمَعَارِضِ الْمُقَاوِمِ<sup>[٢]</sup>.

فَإِنْ قَالُوا: بَلِ الْعَقْلُ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ إِبْتَاثَهُ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، وَالْعَقْلُ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ التَّشْبِيهِ.

قُلْنَا: إِنْ كَانَ إِبْتَاثُهُ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ فَإِنَّ إِبْتَاثَ مَا أَثْبَتْنَاهُ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ -أَيْضًا-، فَإِنْ مَنَعْتُمْ ذَلِكَ لَزِمَكُمْ مَنَعُهُ فِيمَا تَفَيُّتْنَاهُ إِذْ لَا فَرْقَ، وَحِينَئِذٍ إِمَّا أَنْ تَقُولُوا بِالْإِبْتَاثِ فِي الْجَمِيعِ فَتَوَافَقُوا السَّلَفَ، وَإِمَّا أَنْ تَقُولُوا بِالنَّفْيِ فِي الْجَمِيعِ فَتَوَافَقُوا الْمُعْتَزِلَةَ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ، وَأَمَّا التَّفْرِيقُ فَتَنَاقُضُ ظَاهِرٌ<sup>[٣]</sup>.

فَهَذِهِ قَاعِدَةٌ نَافِعَةٌ: «إِذَا قَدَرْنَا جَدَلًا أَنَّ الْعَقْلَ لَا يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ الرَّحْمَةِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِنَّهَا قَدْ ثَبَتَتْ بِدَلِيلٍ آخَرَ وَهُوَ: السَّمْعُ»؛ لِأَنَّ هُنَاكَ قَاعِدَةٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا بَيْنَ الْعُقَلَاءِ وَهِيَ: «أَنَّ انْتِفَاءَ الدَّلِيلِ الْمَعْيَنِ لَا يَسْتَلْزِمُ انْتِفَاءَ الْمَذْهُولِ». وَكَمْ مِنْ مَسْأَلَةٍ فِي الْفِقْهِ وَغَيْرِ الْفِقْهِ لَهَا عِدَّةُ أَدْلَةٍ.

[١] إِذَا قَدَرْنَا أَنَّ الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ لَا يُثْبِتُهُ فَلَدَيْنَا دَلِيلَ سَمْعِيٍّ يُثْبِتُهُ، وَإِذَا كَانَ هُنَاكَ دَلِيلَ سَمْعِيٍّ يُثْبِتُهُ وَجَبَ إِبْتَاثُهُ: «بِالدَّلِيلِ الْقَائِمِ، السَّالِمِ عَنِ الْمَعَارِضِ الْمُقَاوِمِ».

[٢] قَوْلُهُ: «بِالدَّلِيلِ الْقَائِمِ»: وَهُوَ الدَّلِيلُ السَّمْعِيُّ، «السَّالِمِ عَنِ الْمَعَارِضِ الْمُقَاوِمِ»: لَيْسَ الْمَعَارِضُ فَقَطْ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَأْتِي وَاحِدٌ وَيُعَارِضُ، لَكِنَّ الْمَعَارِضَةَ لَا تُعْتَبَرُ صَحِيحَةً إِلَّا إِذَا كَانَتْ مُقَاوِمَةً، أَيْ بِمَعْنَى أَنَّهَا مُعَارِضَةٌ قَوِيَّةٌ تُبْطِلُ مَا عُورِضَتْ بِهِ.

[٣] قَوْلُهُ: «فَإِنْ قَالُوا: بَلِ الْعَقْلُ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ ذَلِكَ...»: إِذَا قَالُوا: إِنَّ هَذَا الدَّلِيلَ السَّمْعِيَّ الْقَائِمَ مُعَارِضٌ بِمُعَارِضٍ مُقَاوِمٍ وَهُوَ الْعَقْلُ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَنْفِي ذَلِكَ،

أَي: يَنْفِي الصِّفَاتِ الَّتِي نَفَوْهَا؛ كَالرَّحْمَةِ وَالْغَضَبِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. فَيَقُولُونَ: الْعَقْلُ يَدُلُّ عَلَى إِبْثَاتِ الْإِرَادَةِ، وَيَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الرَّحْمَةِ، وَالسَّمْعُ يَدُلُّ عَلَى إِبْثَاتِ الْإِرَادَةِ وَيَدُلُّ عَلَى إِبْثَاتِ الرَّحْمَةِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: دَلَالَةُ السَّمْعِ عَلَى إِبْثَاتِ الْإِرَادَةِ مَقْبُولَةٌ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُعَارِضُهُ، وَدَلَالَةُ السَّمْعِ عَلَى إِبْثَاتِ الرَّحْمَةِ مَرْدُودَةٌ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ يُعَارِضُهُ.

إِذَنْ: إِذَا قَالُوا: بَلِ الْعَقْلُ يَنْفِي ذَلِكَ فَهُوَ مُعَارِضٌ مُقَاوِمٌ؛ لِأَنَّ إِبْثَاتَهَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ وَالْعَقْلُ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ التَّشْبِيهِ. وَهَذِهِ عَلَةٌ مُرَكَّبَةٌ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَنَتِيجَةٍ، وَيَأْتِي الرَّدُّ عَلَيْهِمْ.

وَقَوْلُهُمْ: «الْعَقْلُ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ التَّشْبِيهِ»: هَذَا صَحِيحٌ، أَيْ أَنَّنَا لَا نُمَثِّلُ اللَّهَ بِخَلْقِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: «إِبْثَاتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ»: فَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، فَهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّ إِبْثَاتَ هَذِهِ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْعَقْلَ يَقْضِي انْتِفَاءَ التَّشْبِيهِ.

وَنَقُولُ لَهُمْ: إِنْ كَانَ إِبْثَاتُ مَا نَفَيْتُمُوهُ مِنَ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ؛ فَإِنَّ إِبْثَاتَ مَا أَثْبَتْتُمُوهُ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ أَيْضًا.

وَنَقُولُ: أَنْتُمْ نَفَيْتُمُ الْغَضَبَ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، فَإِنْ كَانَ إِبْثَاتُهُ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ؛ فَإِبْثَاتُ الْكَلَامِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، وَأَنْتُمْ تُثْبِتُونَهُ، وَكَذَلِكَ إِبْثَاتُ الْإِرَادَةِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، وَأَنْتُمْ تُثْبِتُونَهَا، فَأَنْتُمْ إِنْ ادَّعَيْتُمْ مَا نَفَيْتُمُوهُ مِنَ الصِّفَاتِ مُسْتَلْزِمٌ لِلتَّشْبِيهِ؛ فَإِنَّا نَقُولُ: وَأَنْتُمْ أَيْضًا مُشَبَّهَةٌ؛ لِأَنَّ إِبْثَاتَ مَا أَثْبَتْتُمُوهُ عَلَى قَاعِدَتِكُمْ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ.

وَهُمْ أَجَابُوا عَنْ هَذَا، قَالُوا: نَحْنُ نُبْتِهَا عَلَى وَجْهِ لَا يُبَاطِلُ صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ.  
فَنَقُولُ: حِينَئِذٍ إِنْ فَرَّقْتُمْ بَيْنَ البَاطِنِ، فَأَبْثَمْتُمْ شَيْئًا، وَنَفَيْتُمْ شَيْئًا، وَقَعْتُمْ فِي  
التَّنَاقُضِ، وَالتَّنَاقُضُ يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ القَوْلِ.

وَإِنْ سَوَّيْتُمْ بَيْنَهَا صَارَ قَوْلُكُمْ مُطَرِّدًا، أَيْ لَا تَنَاقُضُ فِيهِ، التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُمَا إِمَّا أَنْ  
تَقُولُوا بِإِبْثَابِ الْجَمِيعِ، أَوْ تَقُولُوا بِإِنْفَاءِ الْجَمِيعِ، وَإِنْ قَالُوا بِإِبْثَابِ الْجَمِيعِ وَافَقُوا  
السَّلَفَ، وَإِنْ قَالُوا بِنَفْيِ جَمِيعِ الصِّفَاتِ؛ وَافَقُوا الْمُعْتَزِلَةَ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ.

وَهُمْ يَتَّبِعُحُونَ بِأَنَّهُ لَمْ يُوْجَدْ أَحَدٌ يَرُدُّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ بِطَرِيقِ قَوِيمٍ إِلَّا هُمْ،  
وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ هُمُ الَّذِينَ أَفْحَمُوا الْأَشَاعِرَةَ فَقَالُوا: إِنَّ قَوْلَكُمْ ظَاهِرُ الْبُطْلَانِ  
لِأَنَّهُ مُتَنَاقِضٌ، أَمَّا نَحْنُ فَقَوْلُنَا مُطَرِّدٌ، نَقُولُ: إِنَّ الْعَقْلَ لَا يَدُلُّ عَلَى إِبْثَابِ كُلِّ  
الصِّفَاتِ.

فَالْحَاصِلُ: أَنْ نَقُولَ لِلْأَشَاعِرَةِ: إِذَا كَانَ إِبْثَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ لَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهِ؛  
فإِبْثَابُ مَا نَفَيْتُمُوهُ لَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهِ، أَوْ يُقَالُ: إِنْ كَانَ إِبْثَابُ مَا نَفَيْتُمُوهُ يَسْتَلْزِمُ  
التَّشْبِيهِ؛ فَإِبْثَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهِ، فَإِمَّا أَنْ تَنْفُوا الْجَمِيعَ أَوْ تُبْثُوا الْجَمِيعَ،  
وَالْأَوَّلُ وَقَعْتُمْ فِي التَّنَاقُضِ.

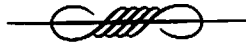
وَلَا شَكَّ أَنَّ الْحَيَرَ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ أَنْ يُبْثُوا الْجَمِيعَ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ السَّمْعُ وَالْعَقْلُ،  
وَالْأَشَاعِرَةُ هُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْمَعْقُولِ.

فَائِدَةٌ: لَا تَحْقِرَنَّ أَنَّ الْعَقْلَ فِي مُجَادَلَةِ مَنْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْعَقْلِ، وَلِذَلِكَ نَحْجِدُ  
اللَّهَ عَزَّجَلَّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَوْعًا فِي بَيَانِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَنَوْعَ الْأَدِلَّةِ،



.....

مَرَّةً يَضْرِبُ مَثَلًا بِالْأَرْضِ الْمَيِّتَةِ يَنْزِلُ عَلَيْهَا الْمَطَرُ فَتَحْيَا، وَمَرَّةً يَضْرِبُ الْمَثَلَ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ  
 مَخْلُوقٌ مِنَ الْعَدَمِ، وَإِذَا خُلِقَ مِنَ الْعَدَمِ فَأِعَادَتْهُ إِلَى الْوُجُودِ بَعْدَ الْعَدَمِ مِنْ بَابِ أَوَّلَى،  
 كَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]،  
 فَالْقُرْآنُ يَسْتَعْمِلُ الْعَقْلَ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْأَشْيَاءِ كَمَا يَسْتَعْمِلُ الْأَشْيَاءَ الْحَسِّيَّةَ، فَانْتَبَهُوا  
 لِهَذِهِ الْفَائِدَةِ.



## فصل

الطائفة الثانية: المعتزلة ومن تبعهم من أهل الكلام وغيرهم<sup>[١]</sup>.

[١] المعتزلة فرقة يتزعمهم عمرو بن عبّيد، وواصل بن عطاء، فسّموا بذلك لأنهم اعتزلوا مجلس التابعي المشهور الحسن البصري رحمه الله، حين سُئِلَ عَنْ أَصْحَابِ الْكِبَائِرِ؛ فَقَالَ: إِنَّهُمْ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ. وَكَانَ قَدْ شَاعَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَذْهَبُ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ. فَقَامَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ وَقَالَ: إِنَّهُمْ لَيَسُوا مُؤْمِنِينَ وَلَا كَافِرِينَ، وَإِنَّهُمْ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ، وَهُمْ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَسَمُّوا مُعْتَزِلَةً.

وَهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى انْكَارِ الصِّفَاتِ، وَهَذَا يَظْهَرُ فِي مَذْهَبِهِمِ الْمَشْهُورِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ قَدْ ثَبَّتَ الْحَيَاةَ وَالْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْإِلَهِ مِنْهَا، يَغْنِي لَيْسَ كُلُّ الْمُعْتَزِلَةِ يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ نِهَائِيًّا، بَلْ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: يَجِبُ اثْبَاتُ (حَيٍّ وَعَلِيمٍ وَقَادِرٍ)؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ لِلرَّبِّ أَنْ يَخْلُقَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثِ، لَكِنَّ عَامَّتَهُمُ وَالَّذِي يُنسَبُ إِلَيْهِمْ مَذْهَبُهُمْ يُنْكِرُونَ جَمِيعَ الصِّفَاتِ.

وهذه الأسماء هي: السَّمِيعُ، وَالْعَلِيمُ، وَالْبَصِيرُ، وَالْغَفُورُ، وَالرَّحِيمُ، انْقَسَمُوا

فِيهَا إِلَى قِسْمَيْنِ:

١ - قِسْمٌ قَالَ: إِنَّهَا أَعْلَامٌ مُحَضَّةٌ مُتْرَدِفَةٌ، وَالْمُتْرَادِفُ هُوَ مَا تَعَدَّدَ لَفْظُهُ وَاتَّحَدَ مَعْنَاهُ،

كَالْبُرِّ وَالْقَمَحِ، فَيَقُولُونَ: هَذِهِ أَعْلَامٌ مُحَضَّةٌ، كَمَا تُسَمَّى ابْنُكَ (خَالِدًا)، وَهُوَ لَنْ يُخَلَّدَ،

وَطَرِيقَتُهُمْ أَنَّهُمْ يُشْبِتُونَ لِلَّهِ تَعَالَى الْأَسْمَاءَ دُونَ الصِّفَاتِ، وَيَجْعَلُونَ الْأَسْمَاءَ  
أَعْلَامًا مَحْضَةً، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهَا مُتَرَادِفَةٌ؛ فَالْعَلِيمُ، وَالْقَدِيرُ، وَالسَّمِيعُ،  
وَالْبَصِيرُ، شَيْءٌ وَاحِدٌ، .....

وَتُسَمِّيهِ (عَبْدَ اللَّهِ) وَرَبِّمَا يَكُونُ مِنْ أَفْجَرِ النَّاسِ وَأَكْفَرِهِمْ بِاللَّهِ، يَغْنِي: إِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ  
لَا تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى، وَإِنَّمَا هِيَ أَعْلَامٌ مَحْضَةٌ فَقَطْ، وَيَجْعَلُونَ أَسْمَاءَهُ مُتَرَادِفَةً، أَيِ:  
السَّمِيعِ وَالْعَلِيمِ وَالْبَصِيرِ كُلِّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

٢- وَقَسَمَ يَقُولُ: السَّمِيعُ غَيْرُ الْعَلِيمِ، وَالْعَلِيمُ غَيْرُ الْقَدِيرِ، وَلَكِنْ سَمِيعٌ بِلَا  
سَمْعٍ، وَبَصِيرٌ بِلَا بَصَرٍ. وَكُلُّ الْأَسْمَاءِ مَسْلُوبَةُ الصِّفَاتِ، وَهَؤُلَاءِ أَعْقِلُ مِنَ الْأَوَّلِينَ،  
حَيْثُ فَرَّقُوا بَيْنَ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَقَالُوا: لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْقَلَ أَنْ يَكُونَ السَّمِيعُ وَالْعَلِيمُ  
بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَأَنَّهَا أَعْلَامٌ مُتَرَادِفَةٌ.

(تَنْبِيْهٌ):

الْمُعْطَلَةُ يَرَوْنَ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هُوَ التَّفْوِيضُ، أَيِ تَفْوِيضِ  
الْمَعْنَى، وَأَنَّهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ مَعْنَى لِلنُّصُوصِ أَبَدًا، أَيِ أَنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ وَاحِدًا مِنْهُمْ:  
مَا مَعْنَى: (اسْتَوَى اللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ). قَالَ: لَا أَدْرِي. وَمَا مَعْنَى أَنَّهُ يَعْجَبُ؟ قَالَ:  
لَا أَدْرِي. هَذَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ عِنْدَهُمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْمَذْهَبَ كَمَا يَقُولُ عَنْهُ  
شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «أَنَّهُ مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْإِلْحَادِ»<sup>(١)</sup>، وَهَذَا صَحِيحٌ؛  
أَنَّ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ فِي أَهَمِّ مَا يَكُونُ مِنْ مَوْضُوعَاتِهِ مَسْلُوبَ الْمَعْنَى، لَا يَعْرِفُ  
مَعْنَاهُ أَحَدٌ!!.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهَا مُتَبَايِنَةٌ؛ لَكِنَّهُ عَلِيمٌ بِلَا عِلْمٍ، قَدِيرٌ بِلَا قُدْرَةٍ، سَمِيعٌ بِلَا سَمْعٍ، بَصِيرٌ بِلَا بَصَرٍ، وَنَحْوُ ذَلِكَ<sup>[١]</sup>.

[١] يَقُولُونَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَا تَدُلُّ عَلَى صِفَاتٍ، إِنَّمَا هِيَ مِثْلُ الْعِلْمِ الْمَخْصِي، كَمَا نَقُولُ: (جَعْفَرٌ) فِي الرَّجُلِ، وَ(دَعْدُ) فِي الْمَرْأَةِ فَلَيْسَ لَهَا مَعْنَى، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنْهَا تَعْيِينُ الْمُسَمَّى فَقَطُّ.

ثُمَّ انْقَسَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ، لَا أَقُولُ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ لَكِنْ تَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ؛ لِأَنَّهُ مَا دَامَ لَيْسَ لَهَا مَعْنَى فَهِيَ الْقَابُ تَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، فَالسَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ وَالْعَلِيمُ وَالْعَزِيزُ وَالْحَكِيمُ كُلُّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ أَنْ تَدُلَّ عَلَى ذَاتٍ مُعَيَّنَةٍ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: بَلْ لِكُلِّ اسْمٍ مَعْنَى، وَكُلُّ اسْمٍ يَخْتَلِفُ عَنِ الْآخِرِ. هَذَا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: مَعْنَى.

إِذَنْ: كُلُّ اسْمٍ مُسْتَقِلٌّ عَنِ الْآخِرِ، فَالْعَلِيمُ غَيْرُ السَّمِيعِ، إِلَّا أَنَّهُ عَلِيمٌ بِلَا عِلْمٍ، سَمِيعٌ بِلَا سَمْعٍ، بَصِيرٌ بِلَا بَصَرٍ... إِلَى آخِرِهِ.

فَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ لَا تَدُلُّ عَلَى مَعَانٍ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا: هَلْ هِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ تَخْتَلِفُ فِي الشَّكْلِ فَقَطُّ، أَمْ كُلُّ وَاحِدٍ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ؟ وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذَا خِلَافٌ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، فَهَذَا مَذْهَبٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ عَقِيدَةً، كَيْفَ نَقُولُ: السَّمِيعُ بِلَا سَمْعٍ، هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ نَقُولَ لِلْأَصَمِّ: إِنَّهُ سَمِيعٌ؟ لَا يُمَكِّنُ، وَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ نَقُولَ لَأَعْمَى: إِنَّهُ بَصِيرٌ؟ لَا! وَمَنْ لَا بَصَرَ لَهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُسَمَّى بَصِيرًا، وَمَنْ لَا سَمْعَ لَهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُسَمَّى سَمِيعًا.. وَهَكَذَا.

وَسُبَّهَتْهُمْ أَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ. وَتَقْرِيرُهَا: أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ مُتَّصِفٌ بِالصِّفَاتِ إِلَّا جِسْمٌ، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ، فَإِثْبَاتُ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ<sup>١١</sup>.

وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَجْهِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمِيَ نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِصِفَاتٍ، فَإِنْ كَانَ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ فَإِثْبَاتُ الْأَسْمَاءِ كَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ إِثْبَاتُ الْأَسْمَاءِ لَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ فَإِثْبَاتُ الصِّفَاتِ كَذَلِكَ، .....

[١] هُنَاكَ سُبَّهَةٌ أُخْرَى، يَقُولُونَ: هَذِهِ الصِّفَاتُ الَّتِي تُثْبِتُونَهَا، إِمَّا أَنْ تَقُولُوا: إِنَّهَا قَدِيمَةٌ أَوْ حَادِثَةٌ. فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّهَا حَادِثَةٌ. لَزِمَ قِيَامُ الْحَوَادِثِ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ؛ لِأَنَّ الْحَوَادِثَ لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ، وَإِنْ جَعَلْتُمُوهَا قَدِيمَةً لَزِمَ تَعَدُّ الْقَدَمَاءِ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ غَيْرَ الْمَوْصُوفِ، فَإِذَا أَثْبَتْنَا لِلَّهِ صِفَاتٍ قَدِيمَةً؛ لَزِمَ تَعَدُّ الْقَدَمَاءِ، وَإِذَا كَانَ النَّصَارَى كَفَرُوا بِقَوْلِهِمْ بِاللَّوْهِيَّةِ عِيسَى، فَأَنْتَ كَفَرْتَ بِقَوْلِكَ بِاللَّوْهِيَّةِ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْإِلَهَةِ؛ لِأَنَّ كُلَّ صِفَةٍ عَلَى زَعْمِهِمْ إِلَهٌ قَدِيمٌ!!

وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ مَا ذَكَرَ عَنْهُمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ هُنَا، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ بِالْعِلَّةِ الثَّانِيَةِ، وَكُلُّهَا عِلَلٌ، بِمَعْنَى أَنَّهَا مَرَضٌ، وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّهَا بَاطِلَةٌ.

وَتَقْرِيرُ هَذِهِ السُّبَّهَةِ: يَقُولُونَ: إِنَّا لَا نَجِدُ شَيْئًا مُتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ إِلَّا جِسْمٌ، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ، فَإِثْبَاتُ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ؛ لِأَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ جِسْمًا، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ.

هَذَا مَا زَعَمُوا، وَيَأْتِي الرَّدُّ عَلَيْهِمْ.

والتفريق بين هذا وهذا تناقض، فإما أن يثبتوا الجميع فيوافقوا السلف، وإما أن ينفوا الجميع فيوافقوا غلاة الجهمية والباطنية، وإما أن يفرقوا فيقعوا في التناقض<sup>[١]</sup>.

[١] نقول لهم: الجواب: أن الله تعالى سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات، وهم بالنسبة لهذا يثبتون الأسماء ولا يثبتون الصفات، ونقول لهم: إن كان إثباتكم للصفات يستلزم التمثيل؛ فإثباتكم للأسماء يستلزم التمثيل، وإن كان إثباتكم للأسماء لا يستلزم التمثيل؛ فإثبات الصفات لا يستلزم التمثيل؛ لأن الله تعالى أثبت لنفسه هذا، وهذا واضح، فلزامهم بأن ينكروا الأسماء كما أنكروا الصفات أو يثبتوا الصفات كما أثبتوا الأسماء واضح جدًا؛ لأن الباب واحد، فإما أن يثبتوا الجميع، فإذا أثبتوا الجميع -الأسماء والصفات- وافقوا السلف، وإما أن ينكروا الجميع، ويقولون: ليس لله أسماء ولا صفات. فيوافقوا غلاة الجهمية.

والله تعالى قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ مَّا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وكذلك وصف نفسه بصفات وصف بها العباد، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعْظَمُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

ومع ذلك فأنتم تقولون: إثبات الأسماء لا يستلزم التمثيل، وإثبات الصفات يستلزم التشبيه، فإن كان إثبات الصفات يستلزم التشبيه، فإثبات الأسماء يستلزم التشبيه، وأنتم تثبتونها، وإن كان إثبات الأسماء لا يستلزم التشبيه كما تقولون بذلك، فكذلك إثبات الصفات.

الثاني: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ أَسْمَاءَهُ بِأَتَمِّهَا حُسْنَى، وَأَمَرَنَا بِدُعَائِهِ بِهَا فَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ دَالَّةً عَلَى مَعَانٍ عَظِيمَةٍ تَكُونُ وَسِيلَةً لَنَا فِي دُعَائِنَا، وَلَا يَصِحُّ خُلُوقُهَا عَنْهَا. وَلَوْ كَانَتْ أَعْلَامًا مُحْضَةً لَكَانَتْ غَيْرَ دَالَّةٍ عَلَى مَعْنَى سِوَى تَعْيِينِ الْمُسَمَّى، فَضْلًا عَنْ أَنْ تَكُونَ حُسْنَى وَوَسِيلَةً فِي الدُّعَاءِ<sup>[١]</sup>.

فَأَنْتُمْ بِالْخِيَارِ بَيْنَ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

١- إِمَّا أَنْ تُثَبِّتُوا الْجَمِيعَ.

٢- أَوْ تَنْفُوا الْجَمِيعَ.

٣- أَوْ تَتَنَاقَضُوا.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّنَاقُضَ لَا أَحَدَ يَرْضَى بِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ مُتَنَاقِضًا؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ التَّنَاقُضَ فِي الْقَوْلِ دَلِيلٌ عَلَى الْفَسَادِ.

[١] قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، هَذَا يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ دَالَّةً عَلَى مَعَانٍ عَظِيمَةٍ تَكُونُ وَسِيلَةً لَنَا فِي دُعَائِنَا؛ لِأَنَّا لَا نَتَوَسَّلُ إِلَّا بِشَيْءٍ لَهُ مَعْنَى، وَيَكُونُ هَذَا الْمَعْنَى لَهُ أَثَرٌ فِي قُبُولِ الدُّعَاءِ.

فَمَثَلًا: إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَ اللَّهَ الْمَغْفِرَةَ، أَقُولُ: يَا غَفُورُ اغْفِرْ لِي.

فَلَمَّاذَا قُلْتُ: يَا غَفُورُ، وَلَمْ أَقُلْ: يَا شَدِيدَ الْعِقَابِ اغْفِرْ لِي؟

الْجَوَابُ: لِأَنَّ (غَفُورَ) يَتَضَمَّنُ مَعْنَى يَقْتَضِي الْمَغْفِرَةَ، فَيَكُونُ وَسِيلَةً لِي فِي دُعَائِي، وَكَذَلِكَ: يَا رَحِيمُ ارْحَمْنِي. لَوْ لَا أَنَّ رَحِيمًا تَتَضَمَّنُ مَعْنَى هُوَ الرَّحْمَةُ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، مَا سَأَلْتُ اللَّهَ بِهَا، وَلَسَأَلْتُهُ بِأَيِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ

الثالث: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثَبَتْ لِنَفْسِهِ الصِّفَاتِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا مَعَ نَفْيِ الْمُمَاثَلَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، وَقَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لَا يَسْتَلْزِمُ التَّمْثِيلَ، وَلَوْ كَانَ يَسْتَلْزِمُ التَّمْثِيلَ لَكَانَ كَلَامُ اللَّهِ مُتَنَاقِضًا<sup>[١]</sup>.

تَتَضَمَّنُ مَعَانِي تَكُونُ وَسِيلَةً لَنَا فِي الدُّعَاءِ.

وَأَيْضًا لَوْ كَانَتْ أَعْلَامًا مُحْضَةً لَمْ تَكُنْ حُسْنِي؛ لِأَنَّ مُجَرَّدَ اللَّفْظِ لَيْسَ بِحَسَنِ، وَلَا يَكُونُ اللَّفْظُ حَسَنًا حَتَّى يَتَضَمَّنَ مَعْنَى حَسَنًا، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَتَضَمَّنْ شَيْئًا فَلَيْسَ بِحَسَنِ، فَالِدَّلَالَةُ مِنَ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الْأَسْمَاءَ تَتَضَمَّنُ الصِّفَاتِ وَاضِحَةٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:

١- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَهَا حُسْنِي، وَلَا يَكُونُ الشَّيْءُ حَسَنًا فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ أَحْسَنَ، إِلَّا بِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى بِهِ كَانَ حَسَنًا.

٢- أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا وَسِيلَةً فَقَالَ: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وَلَا نَتَوَسَّلُ إِلَّا بِشَيْءٍ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى يُؤَثِّرُ فِي هَذَا الدُّعَاءِ.

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ طه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَشْرِ: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

[١] أَثَبَتْ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ الصِّفَاتِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا، وَنَفَى الْمُمَاثَلَةَ، فَلَوْ كَانَ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّمْثِيلَ؛ لَكَانَ كَلَامُ اللَّهِ مُتَنَاقِضًا؛ لِأَنَّ مُجَرَّدَ إِثْبَاتِ الصِّفَةِ يَسْتَلْزِمُ عَلَى زَعْمِهِمُ التَّمْثِيلَ أَوْ التَّشْبِيهَ، وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَتَنَاقِضُ أَبَدًا، فَقَدْ وَصَفْتُمُ اللَّهَ بِشَيْءٍ يَرَى جَمِيعُ النَّاسِ أَنَّهُ قَدْحٌ، وَهُوَ التَّنَاقُضُ فِي كَلَامِهِمْ.



الرَّابِعُ: أَنَّ مَنْ لَا يَتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ رَبًّا وَلَا إِلَهًا، وَلِهَذَا عَابَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبَاهُ بِاتِّخَاذِهِ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ إِلَهَا فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِي لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢] <sup>[١]</sup>.

فَإِذَا أَثَبَّتَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ الصِّفَاتِ وَنَفَى الْمِثَالَةَ؛ دَلَّ عَلَى أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ لَا يَسْتَلْزِمُ التَّمْثِيلَ، وَإِلَّا لَكَانَ مُتَنَاقِضًا.

وَإِذَا قَدَّرْنَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ - مُنَزَّهٌ عَنِ الصِّفَاتِ كَمَا قَالُوا، فَكَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ رَبًّا مَنْ لَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ، وَلَا عِلْمٌ، وَلَا قُدْرَةٌ، وَلَا كَلَامٌ؟!

وَلِهَذَا عَابَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَاهُ حِينَمَا قَالَ لَهُ: ﴿يَتَأْتِي لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يَكُونَ رَبًّا.

[١] يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَبِيهِ وَهُوَ كَافِرٌ وَيُخَاطِبُهُ بِهَذَا الْخِطَابِ اللَّيِّنِ: ﴿يَتَأْتِي لِمَ تَعْبُدُ﴾، كَأَنَّهُ يَسْتَفْهِمُ وَهُوَ يُنْكِرُ لَا شَكَّ، لَكِنْ كَأَنَّهُ يَسْتَفْهِمُ وَيَتَلَطَّفُ وَيَقُولُ: ﴿يَتَأْتِي لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾، فَيَقُولُ: ﴿يَتَأْتِي إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي﴾ [إبراهيم: ٤٣]، لَمْ يَقُلْ: إِنِّي عَالِمٌ وَأَنْتَ جَاهِلٌ، قَالَ: ﴿جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾، وَهَذَا فِي غَايَةِ التَّلَطُّفِ؛ لِأَنَّهُ يَدْعُو أَبَاهُ وَيُرِيدُ هِدَايَتَهُ، وَالَّذِي يُرِيدُ الْهِدَايَةَ لِلنَّاسِ لَا يُعَامِلُهُمْ بِالْعُنْفِ، وَإِذَا عَامَلَهُمْ بِالْعُنْفِ نَفَرُوا، لَكِنْ يُعَامِلُهُمْ بِاللُّطْفِ إِلَّا إِذَا اقْتَضَتْ الْحَالُ فَلْيَفْعَلْ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿الرَّائِيَةُ وَالرَّائِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢]، فَهِيَ أَنْ يَكُونَ لَنَا رَأْفَةٌ فِيهِمْ.

المهم: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخَاطَبُ أَبَاهُ بِهَذَا اللَّيْنِ، فَبِمَاذَا يُخَاطَبُهُ أَبُوهُ؟ وَمَاذَا قَالَ لَهُ؟ قَالَ: ﴿أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَابِرْهُمْ لِيْن لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]، فَفَرَّقُ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا.

وَفِي النِّهَايَةِ فَأَبُوهُ عَلَى الْكُفْرِ، وَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]، وَوَعَدَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، وَفِعْلًا اسْتَغْفَرَ لَهُ، لَكِنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

وَبِهَذَا نَعْرِفُ تَمَامَ قُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، حَيْثُ أَخْرَجَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الْكَافِرِ الْمُعَانِدِ أَحَدَ الْأَنْبِيَاءِ، بَلْ إِمَامَ الْحَنْفَاءِ إِبْرَاهِيمَ، كَمَا أَخْرَجَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَفْضَلَ الرُّسُلِ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ أَبَا النَّبِيِّ ﷺ كَانَ كَافِرًا فِي النَّارِ؛ لِأَنَّ رَجُلًا سَأَلَ الرَّسُولَ ﷺ فَقَالَ لَهُ: أَيَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ فِي النَّارِ»، ثُمَّ وَلَّى فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

كَيْفَ أَخْرَجَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْكُفْرَةِ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ أَفْضَلَ الرُّسُلِ؟! مِمَّا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَعْمَامُ الرُّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَرْبَعَةٌ:

١- عَمَّ خَبِيثٌ نَابِذُهُ أَشَدَّ الْمُنَابَذَةِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ سُورَةً كَامِلَةً، وَهُوَ أَبُو هَب.

٢- وَعَمَّ لَطِيفٌ رَأْفَ النَّبِيِّ ﷺ، وَحَاطَهُ وَنَصَرَهُ وَدَافَعَ عَنْهُ، لَكِنَّهُ كَافِرٌ، وَهُوَ

أَبُو طَالِبٍ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة، رقم (٢٠٣).

الخامس: أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ صِفَةٍ، وَلَا يُمَكِّنُ وُجُودُ ذَاتٍ مُجَرَّدَةٍ عَنِ الصِّفَاتِ، وَحِينَئِذٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ مُتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِهِ<sup>[١]</sup>.

٣- وَعَمَّ مُسْلِمٌ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ، وَهُوَ حَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ.

٤- وَعَمَّ آخَرُ دُونَهُ وَهُوَ مُسْلِمٌ، وَهُوَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ.

وَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ أَمْرٌ - اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ -، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الْهِدَايَةُ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَصْلَ النَّاسَ جَمِيعًا، لَكِنَّهُ بِحِكْمَتِهِ جَعَلَ مِنَ النَّاسِ مُؤْمِنًا، وَمِنَ النَّاسِ كَافِرًا.

فَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَرُدَّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعْتَزِلَةِ؛ فَنَقُولُ لَهُمْ: الَّذِي لَا يَتَّصِفُ بِالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ رَبًّا، وَلِذَلِكَ عَبَّابُ إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ عَلَى كَوْنِهِ يَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي شَيْئًا.

[١] كُلُّ مَوْجُودٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ صِفَةٍ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ صِفَاتِهِ إِلَّا أَنَّهُ مَوْجُودٌ، فَالْوُجُودُ صِفَةٌ، ثُمَّ هَذَا الْوُجُودُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ «وَاجِبًا أَوْ مُمَكِّنًا»:

■ وَاجِبٌ: كَوُجُودِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

■ وَمُمَكِّنٌ: كَوُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَحِينَئِذٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ مُتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِهِ، وَالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِاللَّهِ هِيَ صِفَاتُ الْكَمَالِ.

لَوْ قَالَ لَكَ قَائِلٌ: هَلِ الْهَوَاءُ مَوْجُودٌ أَمْ غَيْرُ مَوْجُودٍ؟ هَلْ لَهُ صِفَةٌ أَمْ لَيْسَ لَهُ

صِفَةٌ؟

السَّادِسُ: أَنَّ الْقَوْلَ بِ(أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ أَعْلَامٌ مُحَضَّةٌ مُتَرَادِفَةٌ لَا تَدُلُّ إِلَّا عَلَى ذَاتِ اللَّهِ فَقَطُّ) قَوْلٌ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ دَلَالَاتِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُتَضَافِرَةٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنْهَا دَالٌّ عَلَى مَعْنَاهُ الْمُخْتَصِّ بِهِ مَعَ اتِّفَاقِهَا عَلَى مُسَمًّى وَاحِدٍ وَمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ، فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ، فَالْمُسَمًّى وَالْمَوْصُوفُ وَاحِدٌ، وَالْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ مُتَعَدِّدَةٌ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَمَّى نَفْسُهُ بِاسْمَيْنِ أَوْ أَكْثَرٍ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، فَلَوْ كَانَتْ الْأَسْمَاءُ مُتَرَادِفَةً تَرَادُفًا مُحَضًّا لَكَانَ ذِكْرُهَا مُجْتَمِعَةً لَعَوًا مِنَ الْقَوْلِ عَدِيمِ الْفَائِدَةِ<sup>[١]</sup>.

الجواب: الهوَاءُ لَهُ صِفَةُ الْوُجُودِ، وَصِفَةُ أُخْرَى: أَنْ يَكُونَ عَاصِفًا أَوْ لَطِيفًا بَارِدًا أَوْ حَارًّا، بَلِ الْهُوَاءُ لَهُ جِسْمٌ.

فَالْأَشْعَرِيُّ لَا يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَوِ عَلَى الْعَرْشِ. وَلَكِنَّهُ يَقُولُ: اسْتَوَى عَلَيْهِ. وَلَوْ أَنْكَرَ إِنْكَارَ جُحُودٍ لَا تَأْوِيلَ كَفَرًا، لَكِنَّهُ يَقُولُ: لَوْ كَانَ اللَّهُ يَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ حَقِيقَةً لَزِمَ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا وَمَحْدُودًا... وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ خَرَافَتِهِمْ.

المُهِمُّ: أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ صِفَةٍ، فَانْتُمُ أَيُّهَا الْمُعْتَزِلَةُ حِينَ أَنْكَرْتُمْ صِفَاتِ اللَّهِ وَقُلْتُمْ: إِنَّهُ لَا يُصَوَّرُ بِصِفَةٍ. فَقَدْ خَالَفْتُمُ الْعُقُولَ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْفِقْرَةِ.

[١] فَالْقَوْلُ بِأَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ أَعْلَامٌ مُحَضَّةٌ مُتَرَادِفَةٌ لَا تَدُلُّ إِلَّا عَلَى الذَّاتِ فَقَطُّ: قَوْلٌ بَاطِلٌ، وَالَّذِي يُبْطِلُهُ: دَلَالَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى أَنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنْهَا يَحْمِلُ مَعْنَى، وَالْأَمْثِلَةُ كَثِيرَةٌ.

السَّابِعُ: أَنَّ الْقَوْلَ (بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِلَا عِلْمٍ، وَقَدِيرٌ بِلَا قُدْرَةٍ، وَسَمِيعٌ بِلَا سَمْعٍ وَنَحْوَ ذَلِكَ) قَوْلٌ بَاطِلٌ مُخَالَفٌ لِمُقْتَضَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَغَيْرِ الْعَرَبِيِّ، فَإِنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ فِي جَمِيعِ لُغَاتِ الْعَالَمِ أَنَّ الْمُشْتَقَّ دَالٌّ عَلَى الْمَعْنَى الْمُشْتَقِّ مِنْهُ، وَأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ: (عَلِيمٌ) لِمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، وَلَا (قَدِيرٌ) لِمَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ، وَلَا (سَمِيعٌ) لِمَنْ لَا سَمْعَ لَهُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ تَعَيَّنَ أَنْ تَكُونَ أَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى دَالَّةً عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِهِ، فَيَتَعَيَّنُ إِثْبَاتُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لِخَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ<sup>١١</sup>.

فَمَثَلًا: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، فَبِعَزَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ أَوْجَبَ قَطْعَ يَدِ السَّارِقِ. يُذَكِّرُ أَنَّ رَجُلًا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ: (نَكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، وَكَانَ عِنْدَهُ أَعْرَابِي يَسْمَعُ قِرَاءَتَهُ فَقَالَ لَهُ: أَعِدْ، فَقَالَ: (نَكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فقال: أَعِدْ، فقال: ﴿نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فَقَالَ: الْآنَ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لَوْ أَنَّهُ غَفَرَ وَرَحِمَ مَا قَطَعَ، لَكِنَّهُ عَزَّ وَحَكَمَ فَقَطَعَ.

[١] إِذَا قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِلَا عِلْمٍ، قَدِيرٌ بِلَا قُدْرَةٍ. خَالَفْنَا جَمِيعَ لُغَاتِ الْعَالَمِ، فَكُلُّ الْعَالَمِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقُولَ: فُلَانٌ عَلِيمٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ، فُلَانٌ بَصِيرٌ وَهُوَ أَعْمَى، فُلَانٌ سَمِيعٌ وَهُوَ أَصَمٌّ، فُلَانٌ نَاطِقٌ وَهُوَ أَخْرَسٌ، فُلَانٌ قَادِرٌ وَهُوَ عاجز.

إِذَنْ: كُلُّ الْعَالَمِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَذْكُرَ اسْمًا إِلَّا وَهُوَ دَالٌّ عَلَى مَعْنَاهُ، فَإِذَا قُلْنَا: هَذِهِ أَسْمَاءُ بِلَا مَعْنَى خَالَفْنَا جَمِيعَ لُغَاتِ الْعَالَمِ، فَالَسَّمِيعُ دَالٌّ عَلَى ثُبُوتِ السَّمْعِ، وَالْبَصِيرُ دَالٌّ عَلَى ثُبُوتِ الْبَصَرِ.

هُمْ يَقُولُونَ: إِذَا أَثَبَّتْنَا لِلَّهِ صِفَةً، فَإِنَّ الصِّفَاتِ لَا تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ، وَالْأَجْسَامِ مُتَمَائِلَةٌ. وَيَقُولُونَ: لَا يَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِأَنَّهُ جِسْمٌ.

وَنَحْنُ نَقُولُ: إِضَافَةُ لَفْظِ الْجِسْمِ إِلَى اللَّهِ إِبْثَاتًا أَوْ نَفْيًا مِنَ الطَّرِيقِ الْبَدْعِيَّةِ، فَلَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا الصَّحَابَةِ وَلَا التَّابِعِينَ، وَلَا الْأَئِمَّةِ: إِبْثَاتٌ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِجِسْمٍ.

وَقَدْ تَكَلَّمَ بِهَا بَعْضُ النَّاسِ حِينَمَا حَدَّثَ الْقَوْلُ بِهَا مِنَ الْمُبْتَدَعَةِ، وَأَرَادُوا أَنْ يَنْفُوا الْجِسْمِيَّةَ عَنِ اللَّهِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَوَصَّلُوا بِذَلِكَ إِلَى نَفْيِ عُلُوِّهِ وَصِفَاتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ بِمَا أَثَبَّتَهُ لِنَفْسِهِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ تَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ أَوْ لَيْسَ بِجِسْمٍ؟

الْجَوَابُ: هَذَا قَوْلٌ مُبْتَدَعٌ، وَأَنْتَ صَاحِبُ بَدْعَةٍ، وَلَا تَسْتَحِقُّ الرَّدَّ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَا الصَّحَابَةُ، وَهُمْ أَحْرَصُ مِنْكَ وَأَشَدُّ حُبًّا مِنْكَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنْ إِذَا بُلِينَا بِأَنَاسٍ يَتَكَلَّمُونَ بِهَذِهِ الْمَسَائِلِ، فَلَنَا أَنْ نَسْتَفْصِلَ عَنِ الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ، نَقُولُ: مَاذَا تُرِيدُونَ بِالْجِسْمِ؟ أَتُرِيدُونَ بِالْجِسْمِ مَا كَانَ مُرَكَّبًا مِنْ أَجْزَاءٍ يَفْتَقِرُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَيَجُوزُ زَوَالُ بَعْضِهَا مَعَ بَقَاءِ الْبَعْضِ؟ أَمْ تُرِيدُونَ بِالْجِسْمِ الشَّيْءَ الْقَائِمَ بِنَفْسِهِ الْمُتَّصِفَ بِمَا يَلِيقُ بِهِ؟

إِنْ أَرَادُوا الْأَوَّلَ فَهُوَ بَاطِلٌ مُتَمَتِّعٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِالْجِسْمِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا بِهِ الثَّانِيَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَيْءٌ مُوجُودٌ مُتَّصِفٌ بِالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِهِ: يَسْتَوِي، وَيَنْزِلُ، وَيَجِيءُ؛ فَهَذَا حَقٌّ وَصَحِيحٌ، وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ لَفْظِ الْجِسْمِ، لَا نَقُولُ: جِسْمٌ. وَلَا نَقُولُ: غَيْرُ جِسْمٍ. لِأَنَّ هَذَا لَمْ يَرِدْ.

الثَّامِنُ: أَنَّ قَوْلَهُمْ: «لَا يُوجَدُ شَيْءٌ مُتَّصِفٌ بِالصِّفَاتِ إِلَّا جِسْمٌ» مَمْنُوعٌ، فَإِنَّا نَجِدُ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا يَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ وَلَيْسَ بِجِسْمٍ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: لَيْلٌ طَوِيلٌ، وَنَهَارٌ قَصِيرٌ، وَبَرْدٌ شَدِيدٌ، وَحَرٌّ خَفِيفٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ أَجْسَامًا، عَلَى أَنَّ إِضَافَةَ لَفْظِ الْجِسْمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِبْطَاتًا أَوْ نَفْيًا مِنَ الطَّرْقِ الْبِدْعِيَّةِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا أَهْلُ التَّعْطِيلِ إِلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ<sup>[١]</sup>.

التَّاسِعُ: أَنَّ قَوْلَهُمْ: «الْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ» بَاطِلٌ ظَاهِرُ الْبُطْلَانِ، فَإِنَّ تَفَاوُتَ الْأَجْسَامِ ظَاهِرٌ لَا يُمَكِّنُ إنْكَارَهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْمُؤَلِّفُ: وَلَا رَيْبَ أَنَّ قَوْلَهُمْ بِتَمَاثُلِ الْأَجْسَامِ قَوْلٌ بَاطِلٌ<sup>(١)(٢)</sup>.

[١] هُمْ يَقُولُونَ: لَا يُوجَدُ شَيْءٌ يُوصَفُ بِصِفَةٍ إِلَّا وَهُوَ جِسْمٌ. فَنَقُولُ: هَذَا غَيْرٌ صَحِيحٌ، بَلْ يُوجَدُ أَشْيَاءٌ تُوصَفُ وَلَيْسَتْ أَجْسَامًا، نَقُولُ: لَيْلٌ طَوِيلٌ. وَاللَّيْلُ لَيْسَ بِجِسْمٍ. وَكَذَلِكَ نَقُولُ: حَرٌّ شَدِيدٌ، وَبَرْدٌ شَدِيدٌ. وَهُمَا لَيْسَا أَجْسَامًا.

[٢] إِنْ أَرَادُوا بِتَمَاثُلِ الْأَجْسَامِ فِي الْمَلَمَسِ، أَوْ فِي الْحَجْمِ، أَوْ فِي الْوِزْنِ؛ فَهَذَا لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ.

فَمَثَلًا: الْحِجَارَةُ وَالزُّبْدَةُ، فَالزُّبْدَةُ أَلْيَنُ مِنَ الْحِجَارَةِ بِدُونِ إِشْكَالٍ.

كَذَلِكَ فِي الْحَجْمِ لَا يُمَكِّنُ تَمَاثُلُ الْأَجْسَامِ، مِثْلُ: الذَّرَّةِ وَالْفِيلِ.

وَفِي الْوِزْنِ كَذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ تَمَاثُلُ الْأَجْسَامِ، مِثَالُ: الرَّصَاصِ، وَالْإِسْفَنْجِ.

وَإِنْ كَانُوا يُرِيدُونَ فِي الْوُجُودِ أَيْضًا فَهَذَا خَطَأً، فَالْأَجْسَامُ غَيْرُ مُتَمَاثِلَةٍ فِي الْوُجُودِ، بَعْضُهَا يَخْدُثُ وَبَعْضُهَا يَزُولُ، وَبَعْضُهَا يُعَمَّرُ، وَبَعْضُهَا لَا يُعَمَّرُ.

فَالْأَجْسَامُ مُتَبَايِنَةٌ غَايَةُ التَّبَايُنِ، فَإِذَا أُثْبِتْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جِسْمٌ - وَنَحْنُ لَا نَقُولُ:  
إِنَّهُ جِسْمٌ، وَلَا غَيْرُ جِسْمٍ -؛ فَهَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْجِسْمَ مُمَثِّلٌ لِلْأَجْسَامِ  
الْمَخْلُوقَةِ؟ أَبَدًا!!

وَلِلْعِلْمِ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْأَجْسَامَ مُتَمَاثِلَةٌ. فَقَدْ قَالَ قَوْلًا بَاطِلًا، لَا يُمَكِّنُ  
تَصْدِيقَهُ، وَأَنَا أَعْجَبُ كَيْفَ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ - وَهُمْ أَذْكِيَاءُ -: إِنَّ الْأَجْسَامَ مُتَمَاثِلَةٌ!  
فَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ إِطْلَاقًا.





## فَصْلٌ

الطَّائِفَةُ الثَّالِثَةُ: غُلَاةُ الْجَهْمِيَّةِ، وَالْقَرَامِطَةُ، وَالْبَاطِنِيَّةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ<sup>(١)</sup>.

[١] (غُلَاةٌ): الْغُلُو يَعْنِي: الزِّيَادَةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]، أَي لَا تَزِيدُوا، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ»<sup>(٢)</sup>، يَعْنِي: الزِّيَادَةَ فِيهِ.

وَهَذَا نَهَى عَنِ التَّنَطُّعِ فِي الدِّينِ وَالتَّشْدِيدِ فِيهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلنَّاسِ وَهُوَ يَبْعَثُهُمْ لِيَدْعُوا إِلَى اللَّهِ: «يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»<sup>(٤)</sup>، يَعْنِي: الْمُتَشَدِّدِينَ فِي دِينِهِمْ، فَالِدِّينُ يُسِّرُ وَالْغُلُوُّ مُحْظُورٌ، وَالتَّقْصِيرُ مُحْظُورٌ، وَالْغُلُوُّ أَشَدُّ مِنَ التَّقْصِيرِ؛ لِأَنَّ الْغَالِيَّ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ عَلَى دِينٍ، وَأَنَّ دِينَهُ أَكْمَلُ مِنَ الْآخَرِينَ، وَالْمُقَصِّرُ يَعْرِفُ أَنَّهُ مُقَصِّرٌ، فَمَا أَسْهَلَ أَنْ يَجْبُرَ تَقْصِيرَهُ.

لَكِنَّ الْمُسْكِلَةَ أَنَّ الْغَالِيَّ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى دِينٍ. فَانْظُرْ إِلَى الْحَوَارِجِ! غُلَاةٌ فِي دِينِ اللَّهِ، اسْتَبَاحُوا بَغْلُوهُمْ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ، وَالْكَافِرُ يُبَاحُ قَتْلُهُ، وَيُبَاحُ أَخْذُ مَالِهِ، وَيُبَاحُ سَبْيُ نِسَائِهِ وَذُرِّيَّتِهِ. فَعَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ حَتَّى أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى يَدِ الْخَلِيفَةِ الرَّابِعِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَصَّتُهُمْ مَعَهُ مَشْهُورَةٌ، كَانُوا فِي الْأَوَّلِ مَعَهُ عَلَى مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه النسائي: كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، رقم (٣٠٥٧)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، رقم (٣٠٢٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، رقم (٢١٧).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٢٦٧٠).

وَطَرِيقَتُهُمْ أَنَّهُمْ يُكْرُونَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، وَلَا يَصِفُونَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا بِالنِّفْيِ الْمَجْرَدِ عَنِ الْإِثْبَاتِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَوْجُودُ الْمُطْلَقُ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ<sup>(١)</sup>. فَلَا يُقَالُ: هُوَ مَوْجُودٌ، وَلَا حَيٌّ، وَلَا عَلِيمٌ، وَلَا قَدِيرٌ، وَإِنَّمَا هَذِهِ أَسْمَاءٌ لِمَخْلُوقَاتِهِ أَوْ مَجَازٌ؛ لِأَنَّ إِبْثَاتَ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ تَشْبِيهَهُ بِالْمَوْجُودِ الْحَيِّ، الْعَلِيمِ، الْقَدِيرِ؛ وَيَقُولُونَ: إِنَّ الصِّفَةَ عَيْنُ الْمَوْصُوفِ، وَإِنَّ كُلَّ صِفَةٍ عَيْنُ الصِّفَةِ الْأُخْرَى، .....

وَلَمَّا تَصَالَحَ عَلِيٌّ مَعَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَفَرُوا عَلِيًّا؛ وَذَلِكَ لَمَّا رَضِيَ بِالتَّحْكِيمِ، فَقَالُوا: إِذَنْ رَاضٍ بِغَيْرِ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. فَكَفَرُوا عَلِيًّا وَقَاتَلُوهُ، وَالنَّهْيَةُ: أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبَادَهُمْ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ -، وَكَسَرَ شَوْكَتَهُمْ وَأَظْهَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، مَعَ أَنَّهُمْ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيُجَاهِدُونَ وَهُمْ أَقْوِيَاءُ فِي الْجِهَادِ، لَكِنْ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ.

وقوله: «غُلَاةُ الجهمية» يعني: الزائدين في سلب الصفات والأسماء عن الله عز وجل، فالأولون أثبتوا الأسماء وبعض الصفات، والذين بعدهم أثبتوا الأسماء وأنكروا الصفات، وهؤلاء هم: «غُلَاةُ الجهمية، والقرامطة، والباطنية، ومن تبعهم» أنكروا الأسماء والصفات، وقالوا: لا نصف الله بصفة ثبوتية إطلاقاً، ولا نسميه باسم، وقالوا: إن الله موجودٌ بشرط الإطلاق. يعني: موجودٌ مجردٌ عن كل صفة، ولا يجوز أن نصفه إلا بنفي مطلق. أي: لا يتضمن إثباتاً، فلا نقول: إنه موجودٌ، وإنه حيٌّ، وإنه سميعٌ. وما أشبه ذلك، قالوا: قل: إنه ليس بجاهلٍ، وليس بأصمٍّ، وليس بأعمى، وليس بعاجزٍ، وليس بضعيفٍ.

(١) معنى قولهم: «بشرط الإطلاق» أنه مطلق عن أي صفة ثبوتية، لأن الصفة تقيد الموصوف. (الشارح)

فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، وَالسَّمْعِ وَالْبَصْرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ<sup>[١]</sup>.

وَشُبْهَتُهُمْ أَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّ إِثْبَاتَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، وَالتَّعَدُّدَ، وَوَجْهُ ذَلِكَ فِي الْأَسْمَاءِ أَنَّهُ إِذَا سُمِّيَ بِهَا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِمَعْنَى الْإِسْمِ، فَإِذَا أَثْبَتْنَا (الْحَيَّ) مَثَلًا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِالْحَيَاةِ، لِأَنَّ صِدْقَ الْمُشْتَقِّ يَسْتَلْزِمُ صِدْقَ الْمُشْتَقِّ مِنْهُ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي قِيَامَ الصِّفَاتِ بِهِ وَهُوَ تَشْبِيهٌ<sup>[٢]</sup>.

[١] هَؤُلَاءِ أَنْكَرُوا الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، قَالُوا: لَيْسَ لِلَّهِ اسْمٌ وَلَا لَهُ صِفَةٌ، وَهُوَ الْمَوْجُودُ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ، مَعْنَى (بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ)، أَي: التَّجَرُّدِ عَنْ كُلِّ اسْمٍ وَصِفَةٍ. فَهَلْ يُوجَدُ مَوْصُوفٌ مُتَجَرِّدٌ عَنْ كُلِّ اسْمٍ وَصِفَةٍ؟ الْجَوَابُ: هَذَا مُسْتَحِيلٌ، لَكِنْ هَؤُلَاءِ أَعْمَى اللَّهُ قُلُوبَهُمْ، فَجَعَلُوا الْمُسْتَحِيلَ مُمَكِّنًا.

وَقَدْ قَالُوا: هَذِهِ أَسْمَاءٌ لِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ، (سَمِيعٌ) أَي: جَعَلَ غَيْرَهُ سَمِيعًا، (بَصِيرٌ): جَعَلَ غَيْرَهُ بَصِيرًا. وَهُوَ نَفْسُهُ لَا يَتَّصِفُ بِأَيِّ صِفَةٍ، حَتَّى لَا تَقُولَ: إِنَّهُ مَوْجُودٌ أَيْضًا!!.

[٢] فَهُمْ يُنْكِرُونَ إِثْبَاتَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَيَقُولُونَ فِي الْأَسْمَاءِ: إِثْبَاتُهَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِمَعْنَى الْإِسْمِ. وَهَذَا صَحِيحٌ، فَإِثْبَاتُ (السَّمِيعِ) يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِالسَّمْعِ، وَالْبَصِيرُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِالْبَصْرِ، فَلَا اسْمَ مُشْتَقٍّ، فَتَقُولُ: السَّمِيعُ مُشْتَقٌّ مِنَ السَّمْعِ، فَيَلْزِمُ مِنْ إِثْبَاتِ (السَّمِيعِ) إِثْبَاتُ السَّمْعِ، أَي: إِثْبَاتُ الصِّفَةِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يَلْزِمُ لِإِثْبَاتِهَا التَّرْكِيبُ وَالتَّعَدُّدُ. فَيَرَوْنَ أَنَّ الْمَوْصُوفَ يَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ الصِّفَاتِ، وَيَقُولُونَ: إِذَا كَفَرَ النَّصَارَى بِثَلَاثَةِ آلِهَةٍ؛ فَالَّذِي يُثْبِتُ الْإِسْمَ وَالصِّفَةَ عَبْدٌ مِمَّنَّاتِ الْإِلَهَةِ!!.

وَأَمَّا فِي الصِّفَاتِ فَقَالُوا: إِنَّ إِبْثَاتَ صِفَاتٍ مُتَغَايِرَةٍ مُغَايِرَةٍ لِلْمَوْصُوفِ  
يَسْتَلْزِمُ التَّعَدُّدَ، وَهُوَ تَرْكِيبٌ مُمْتَنِعٌ مُنَاقِضٌ لِلتَّوْحِيدِ<sup>[١]</sup>.

وَلِذَلِكَ عَلَّلَ بِقَوْلِهِ: «لَأَنَّ صِدْقَ الْمُشْتَقِّ يَسْتَلْزِمُ صِدْقَ الْمُشْتَقِّ مِنْهُ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي  
قِيَامَ الصِّفَاتِ بِهِ»، وَهُوَ مُحَالٌ، كَمَا سَيَأْتِي فِي الصِّفَاتِ؛ وَلِأَنَّهُ إِذَا سُمِّيَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ  
فَهِىَ مِمَّا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ، فَالْسَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ وَالْعَزِيزُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مَوْجُودَةٌ فِي غَيْرِ  
اللَّهِ، فَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ التَّشْبِيهِ.

وَأَمَّا فِي الصِّفَاتِ فَيَعْلَلُونَ أَنَّ إِبْثَاتَ صِفَاتٍ مُتَغَايِرَةٍ يَعْنِي كُلَّ صِفَةٍ غَيْرِ  
الْأُخْرَى، فَالْسَّمْعُ غَيْرُ الْبَصَرِ مُغَايِرَةٌ لِلْمَوْصُوفِ، فَقُولُ: إِنَّ الصِّفَةَ غَيْرُ الْمَوْصُوفِ؛  
لَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الصِّفَةَ عَيْنُ الْمَوْصُوفِ، وَكُلُّ صِفَةٍ فَهِىَ عَيْنُ الصِّفَةِ الْآخَرَى.  
فَيَقُولُونَ: إِبْثَاتُ صِفَاتٍ مُتَغَايِرَةٍ، بِأَنْ تَقُولَ: لَهُ سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَعِلْمٌ وَقُدْرَةٌ، أَوْ إِبْثَاتُ  
صِفَاتٍ مُغَايِرَةٍ لِلْمَوْصُوفِ بِأَنْ تَقُولَ: إِنَّهُ لَهُ صِفَةٌ غَيْرُهُ. يَقُولُونَ: هَذَا يَسْتَلْزِمُ التَّعَدُّدَ  
وَهُوَ تَرْكِيبٌ مُنَاقِضٌ لِلتَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّكَ سَتَقُولُ: اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَزِيزٌ عَلِيمٌ. وَهَذِهِ  
عِدَّةُ أَسْمَاءٍ، فَيَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْإِلَهُ مُتَعَدِّدًا!!.

وَالصِّفَاتُ كَذَلِكَ، فَتَقُولُ: صِفَةٌ وَمَوْصُوفٌ، وَهَذَا تَرْكِيبٌ. وَهُوَ عِنْدَهُمْ مَمْنُوعٌ،  
فَصَارَتْ شُبُهَتُهُمْ فِي بَابِ الصِّفَاتِ: أَنَّ إِبْثَاتَ الصِّفَاتِ الْمُتَغَايِرَةِ - أَيْ الَّتِي كُلُّ صِفَةٍ  
مِنْهَا غَيْرُ الْآخَرَى - يَسْتَلْزِمُ التَّعَدُّدَ وَالتَّركِيبَ، وَإِبْثَاتُ صِفَةٍ مَعَ مَوْصُوفٍ كَذَلِكَ  
يَسْتَلْزِمُ التَّعَدُّدَ وَالتَّركِيبَ.

[١] وَنَقُولُ: إِبْثَاتُ الصِّفَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ لَا يَسْتَلْزِمُ تَعَدُّدَ الْمَوْصُوفِ، فَالْإِنْسَانُ بَصِيرٌ  
وَسَمِيعٌ وَنَاطِقٌ وَقَادِرٌ، وَهُوَ وَاحِدٌ.

وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمَعَ فِيهَا سَمَى وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَقَدْ سَبَقَتْ أَمْثَلَةٌ مِنْ ذَلِكَ<sup>[١]</sup>.

فَمَنْ أَقَرَّ بِالنَّفْيِ وَأَنْكَرَ الْإِثْبَاتَ فَقَدْ آمَنَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ دُونَ بَعْضٍ، وَالْكُفْرُ بِبَعْضِ الْكِتَابِ كُفْرٌ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ<sup>[٢]</sup>، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، .....

[١] الرَّدُّ عَلَى الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ وَلَا يُثْبِتُونَهَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمَوْجُودُ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ، أَيْ: لَا تُثْبِتُ أَيَّ صِفَةٍ.

نَقُولُ لَهُمْ: أَنْتُمْ الْآنَ تُنْكِرُونَ الْإِثْبَاتَ، وَتُثْبِتُونَ النَّفْيَ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ جَمَعَ فِيهَا سَمَى بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَحِينَئِذٍ تَكُونُونَ مُتَنَاقِضِينَ، تُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَهُوَ النَّفْيُ، وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ وَهُوَ الْإِثْبَاتُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْكُفْرَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ كُفْرٌ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، كَمَا أَنَّ الْكُفْرَ بِبَعْضِ الرُّسُلِ كُفْرٌ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ.

وَهَذَا الْوَجْهُ شَرْعِيٌّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْبَتَ وَنَفَى، وَالْوَجْهُ الشَّرْعِيُّ يَقْتَضِي أَنْ تُؤْمِنَ بِمَا أَثْبَتَ فَتُثْبِتَهُ، وَأَنْ تُؤْمِنَ بِمَا نَفَى فَتَنْفِيَهُ.

[٢] هَذِهِ الْقَاعِدَةُ نَافِعَةٌ: «الْكُفْرُ بِبَعْضِ الشَّرِيعَةِ كُفْرٌ بِالْجَمِيعِ، وَالْكُفْرُ بِبَعْضِ الرُّسُلِ كُفْرٌ بِالْجَمِيعِ»، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبِيَّ الْمُرْسَلِينَ﴾

[الشعراء: ١٠٥].

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ أَحَدٌ قَبْلَ نُوحٍ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ الرُّسُلِ، وَمَعَ هَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:  
﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يُقَالُ: إِنَّهُمْ كَذَبُوا الْمُرْسَلِينَ؟

نَقُولُ: لِأَنَّ التَّكْذِيبَ بِرَسُولٍ وَاحِدٍ تَكْذِيبٌ بِالْجَمِيعِ؛ لِأَنَّهُ كَذَبَ الْجِنْسَ فِي  
الْوَاقِعِ؛ وَلِأَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو. فَذَلِكَ الَّذِي يُؤْمِنُ بِبَعْضِ الْكِتَابِ  
وَيَكْفُرُ بِبَعْضٍ.

وَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّهُ يُؤْمِنُ بِعِبَادَاتٍ، فَيُصَلِّي، وَيَصُومُ، وَيُزَكِّي، لَكِنْ يَكْفُرُ بِتَنْظِيمِ  
الشَّرْعِ لِلْمُعَامَلَاتِ. وَيَقُولُ: الْمُعَامَلَاتُ مَوْكُولَةٌ إِلَى اجْتِهَادِ النَّاسِ، وَلَهُمْ أَنْ يَضَعُوا  
فِيهَا مَا شَاءُوا مِنَ الْقَوَانِينِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ»<sup>(١)</sup>، فَهَلْ  
نَقُولُ: إِنَّ هَذَا مُؤْمِنٌ؟

الْجَوَابُ: لَا، لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُؤْمِنَ بِكُلِّ الشَّرِيعَةِ فِي عِبَادَاتِهَا وَمُعَامَلَاتِهَا وَأَخْلَاقِهَا.

وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّ مَنْ قَالَ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ الْقَوَانِينَ الَّتِي فِي الشَّرِيعَةِ مِنْ  
جِهَةِ الْمُعَامَلَةِ، وَمِنْ جِهَةِ الْأَخْلَاقِ -وَيَقُولُونَ: كُلُّ حَرٍّ، الزَّانِي يَزْنِي، وَشَارِبَ الْحَمْرِ  
يَشْرَبُ الْحَمْرَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ؛ لَكِنَّ الْعِبَادَاتِ لَا تَتَعَرَّضُ لَهَا وَنَقُولُ بِهَا- نَقُولُ: أَنْتُمْ  
كَافِرُونَ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ الْإِيمَانُ بِبَعْضِ الشَّرِيعَةِ دُونَ بَعْضٍ، وَالَّذِي يُؤْمِنُ بِبَعْضِ  
الشَّرِيعَةِ دُونَ بَعْضٍ إِنَّمَا آمَنَ بِهَوَاهُ فَقَطْ، وَإِلَّا فَالْوَاجِبُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ الشَّرِيعَةِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره ﷺ من معاش  
الدنيا على سبيل الرأي، رقم (٢٣٦٣).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿[النساء: ١٥٠]- [١٥١].

الثاني: أَنَّ الْمَوْجُودَ الْمُطْلَقَ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ لَا وَجُودَ لَهُ فِي الْخَارِجِ الْمَحْسُوسِ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ يَفْرِضُهُ الذَّهْنُ وَلَا وَجُودَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ، .....

أَمَّا قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ»<sup>(١)</sup>، فَلَيْسَ الْمُرَادُ: بِأَحْكَامِ الدُّنْيَا، بَلِ الْمُرَادُ بِذَلِكَ الصَّنْعَةُ وَالتَّجَرِبَةُ، وَيَدُلُّ لِهَذَا سَبَبُ الْحَدِيثِ.

وَسَبَبُ الْحَدِيثِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَجَدَهُمْ يُلْقِحُونَ النَّخْلَ، أَيْ يَأْخُذُونَ مِنْ ثَمَرَةِ الْفَخْلِ وَيَضْعُوهَا فِي طَلْعِ النَّخْلَةِ، وَهَذَا فِيهِ تَعَبٌ وَإِضَاعَةٌ وَقَتٌ، فَقَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ هَذَا»، قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَعِشْ فِي بَلَدٍ فِيهَا نَخْلٌ، إِنَّمَا عَاشَ بِمَكَّةَ، فَتَرَكُوا ذَلِكَ فَفَسَدَ الثَّمَرُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يُلْقَحْ لَمْ يَصْلُحْ، فَلَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَدَ النَّخْلُ، قَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ»، فَلَيْسَ الْمُرَادُ الْأَحْكَامَ وَالتَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ، لَكِنَّ الْمُرَادَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالصَّنْعَةِ وَالتَّجَرِبَةِ.

فَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ تَنْظِيمَ الْمُعَامَلَاتِ، وَأَنَّ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ وَهَذَا وَاجِبٌ فَهَذَا إِلَى الشَّرْعِ وَلَيْسَ إِلَيْكُمْ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي، رقم (٢٣٦٣).

فَتَكُونُ حَقِيقَةُ الْقَوْلِ بِهِ نَفْيٌ وَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا فِي الذَّهْنِ، وَهَذَا غَايَةُ التَّعْطِيلِ  
وَالْكُفْرِ<sup>[١]</sup>.

الثَّالِثُ: قَوْلُهُمْ: «إِنَّ الصِّفَةَ عَيْنُ الْمَوْصُوفِ، وَإِنَّ كُلَّ صِفَةٍ عَيْنُ الصِّفَةِ  
الْأُخْرَى» مُكَابَرَةٌ فِي الْمَعْقُولَاتِ، سَفْسَطَةٌ فِي الْبَدِيعِيَّاتِ، فَإِنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ بِضُرُورَةِ  
الْعَقْلِ وَالْحِسِّ أَنَّ الصِّفَةَ غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَأَنَّ كُلَّ صِفَةٍ غَيْرُ الصِّفَةِ الْأُخْرَى،  
فَالْعِلْمُ غَيْرُ الْعَالِمِ، وَالْقُدْرَةُ غَيْرُ الْقَادِرِ، وَالْكَلَامُ غَيْرُ الْمُتَكَلِّمِ، كَمَا أَنَّ الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ  
وَالْكَلَامَ صِفَاتٌ مُتَغَايِرَةٌ<sup>[٢]</sup>.

[١] يَعْنِي: وَجُودُ ذَاتٍ مُجَرَّدَةٍ عَنِ الصِّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةِ هَذَا شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ، وَرُبَّمَا  
الذَّهْنُ يَفْرِضُ أَنَّ ذَاتًا مُجَرَّدَةً عَنِ الصِّفَاتِ، وَأَمَّا فِي الْوَاقِعِ فَلَا يُوجَدُ، فَالَّذِي يُثَبِّتُ اللَّهُ  
عَلَى هَذَا الْوَجْهِ -أَيُّ أَنَّ اللَّهَ لَا وَجُودَ لَهُ إِلَّا فِي الْأَذْهَانِ- فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ غَايَةُ الْكُفْرِ،  
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ صِفَاتِهِ إِلَّا أَنَّهُ مُوجُودٌ لَكَانَتْ هَذِهِ صِفَةً ثُبُوتِيَّةً.

فَهَلْ يُوجَدُ شَيْءٌ مُوجُودٌ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِأَيِّ صِفَةٍ؟  
الْجَوَابُ: الْحَقِيقَةُ لَا يُمَكِّنُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ إِلَّا صِفَةُ الْوُجُودِ لَكَانَ كَافِيًا، أَمَّا شَيْءٌ  
مُوجُودٌ لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ فَلَا يُمَكِّنُ هَذَا أَبَدًا، رُبَّمَا يَفْهَمُ الذَّهْنُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، كَمَا  
أَنَّ الذَّهْنَ قَدْ يَتَخَيَّلُ الْجَمْعَ بَيْنَ النَّقِیْضَيْنِ، وَلَا يُمَكِّنُ اجْتِمَاعُ النَّقِیْضَيْنِ، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ  
عَزَّجَلَّ لَا وَجُودَ لَهُ إِلَّا فِي الذَّهْنِ فَهَذَا يَعْنِي التَّعْطِيلَ الْمَحْضَ لِلرَّبِّ عَزَّجَلَّ، وَإِذَا كَانَ  
هَذَا هُوَ مَضْمُونُ هَذَا الْقَوْلِ فَيَكُونُ هَذَا الْإِنْسَانُ غَايَتَهُ التَّعْطِيلُ وَالْكُفْرُ.

[٢] هُمْ قَالُوا: إِنَّ الصِّفَةَ عَيْنُ الْمَوْصُوفِ، وَإِنَّ الصِّفَاتِ كَذَلِكَ أَيْضًا، فَكُلُّ  
صِفَةٍ مِنْهَا عَيْنُ الصِّفَةِ الْأُخْرَى.



وَهَذَا كَمَا قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: مُكَابَرَةٌ فِي الْمَعْقُولَاتِ وَسَفْسَطَةٌ فِي الْبَدِيعِيَّاتِ .  
فَالْمُكَابَرَةُ مَعْنَاهَا الْإِنْكَارُ بِلَا حُجَّةٍ، تَقُولُ لِشَخْصٍ: هَذِهِ سَيَّارَةٌ. يَقُولُ: لَا، بَلْ  
هَذَا بَعِيرٌ.

وَفِي الْمَحْسُوسَاتِ أَيْضًا سَفْسَطَةٌ، كَمَا مَثَّلْنَا، فَتَقُولُ: هَذِهِ شَمْسٌ! يَقُولُ: لَا، بَلْ  
هَذَا مُصْبَاحٌ، وَتَقُولُ: هَذِهِ سَيَّارَةٌ، يَقُولُ: لَا! بَلْ هَذَا بَعِيرٌ.

وَالسُّوْفِسْطَائِيَّةُ قَوْمٌ يُنْكِرُونَ اتِّصَافَ الْمَحْسُوسَاتِ بِأَوْصَافِهَا وَتَعْيِينَهَا، حَتَّى  
إِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَقُولُ لِلثَّانِي: أَنْتَ أَنَا، وَأَنَا أَنْتَ. وَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَنَامُوا رَبَطَ كُلُّ وَاحِدٍ  
مِنْهُمْ بِرِجْلِهِ خَيْطًا مِخَالَفُ خَيْطِ الْآخَرِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ إِذَا اسْتَيْقَظَ لَا يَخْلُطُ.

وَالَّذِي يَقُولُ: إِنَّ الصِّفَةَ هِيَ الْمَوْصُوفُ، وَالصِّفَاتُ بَعْضُهَا هِيَ بَعْضُ. هَذَا لَا  
شَكَّ أَنَّهُ مُكَابِرٌ، لِأَنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الصِّفَةَ غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَالدَّلِيلُ أَنَّهُ قَدْ تَعَدَّمَ الصِّفَةُ  
وَالْمَوْصُوفُ قَائِمٌ، فَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ أُصِيبَ بِالْحَرَسِ، فَإِنَّهُ لَا يَفْقَدُ شَيْئًا مِنْ جِسْمِهِ،  
وَكَذَلِكَ لَوْ صَارَ عَاجِزًا وَسُلِبَتْ مِنْهُ الْقُدْرَةُ لَمْ يَعْدَمْ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَوْ كَانَتِ الصِّفَةُ عَيْنُ  
الْمَوْصُوفِ لَكَانَ إِذَا فَقَدَ صِفَةً مِنَ الصِّفَاتِ فَقَدَ الْمَوْصُوفَ أَوْ جُزْءًا مِنْهُ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا  
فُقِدَتْ يَدٌ مِنَ الْحَيَوَانِ فَقَدَ بَعْضُهُ.

ثُمَّ إِنَّ الصِّفَةَ لَوْ كَانَتْ هِيَ الْمَوْصُوفُ؛ لَجَازَ لَنَا أَنْ نَعْبُدَ قُدْرَةَ اللَّهِ! وَأَنْ نَسْأَلَ قُدْرَةَ  
اللَّهِ! وَهَذَا لَا يَجُوزُ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ نَعْبُدَ قُدْرَةَ اللَّهِ، بَلْ نَعْبُدُ اللَّهَ الْمُتَّصِفَ بِالصِّفَاتِ كُلِّهَا،  
وَلَا أَنْ نَسْأَلَ قُدْرَةَ اللَّهِ فَتَقُولُ: يَا قُدْرَةَ اللَّهِ ارْحَمِينِي. وَلَوْ كَانَتِ الصِّفَةُ عَيْنُ الْمَوْصُوفِ؛  
لَجَازَ أَنْ نَسْأَلَ الصِّفَاتِ، وَأَنْ نَعْبُدَ الصِّفَاتِ، وَهَذَا شَيْءٌ لَا يَجُوزُ بِالتَّفَاقِقِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ وَصْفَ اللَّهِ تَعَالَى بِصِفَاتِ الْإِثْبَاتِ أَدْلُ عَلَى الْكَمَالِ مِنْ وَصْفِهِ بِصِفَاتِ النَّفْيِ؛ لِأَنَّ الْإِثْبَاتَ أَمْرٌ وَجُودِيٌّ يَقْتَضِي تَنَوُّعَ الْكَمَالَاتِ فِي حَقِّهِ، وَأَمَّا النَّفْيُ فَأَمْرٌ عَدَمِيٌّ لَا يَقْتَضِي كَمَالًا إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَ إِثْبَاتًا، وَهُوَ لَا يَنْفَاءُ لَا يَقُولُونَ بِنَفْيٍ يَقْتَضِي الْإِثْبَاتَ<sup>(١)</sup>.

أَمَّا قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»<sup>(٢)</sup>، فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِاللَّهِ، وَلَكِنْ جَعَلَ الرَّحْمَةَ وَسِيلَةً، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِينِي...»<sup>(٣)</sup>، فَهَذَا مِنْ بَابِ التَّوَسُّلِ بِالصِّفَةِ، وَلَيْسَ مِنْ بَابِ دُعَاءِ الصِّفَةِ، فَاتَّبَعَهُ لِلْفَرْقِ، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَا يَظُنُّ بَيْنَهُمَا فَرْقًا، وَلَكِنَّ الْفَرْقَ وَاضِحٌ.

[١] وَصَفُ اللَّهِ بِصِفَاتِ الْإِثْبَاتِ أَدْلُ عَلَى الْكَمَالِ مِنْ وَصْفِهِ بِصِفَاتِ النَّفْيِ؛ لِأَنَّ الْإِثْبَاتَ أَمْرٌ وَجُودِيٌّ، فَهُوَ شَيْءٌ مَوْجُودٌ يَقْتَضِي تَنَوُّعَ الْكَمَالَاتِ - الْقُدْرَةَ وَالْعِلْمَ وَالْعِزَّةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ - فَالْأُمُورُ الْوُجُودِيَّةُ تَقْتَضِي تَنَوُّعَ الْكَمَالَاتِ لَكِنَّ النَّفْيَ أَمْرٌ عَدَمِيٌّ يَقْتَضِي رَفْعَ الصِّفَاتِ، وَلَا يَكُونُ كَمَالًا إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَ إِثْبَاتًا، وَهُوَ لَا يَقُولُونَ بِمَا يَقْتَضِي الْإِثْبَاتَ.

إِذَنْ: وَصْفُهُ بِالنَّفْيِ الْمُجَرَّدِ، أَيِ: الَّذِي لَا يَسْتَلْزِمُ إِثْبَاتًا، وَحَيْثُ وَصْفُهُ بِالنَّقْصِ وَنَفَوْا عَنْهُ الْكَمَالَ.

فَهُمْ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ إِذَا نَفَوْا صِفَاتِ الْإِثْبَاتِ فَقَدْ نَزَّهُوا اللَّهَ وَوَصَفُوهُ بِالْكَمَالِ.  
فَإِنْ قِيلَ: أَيُّمَا أَدْلُ عَلَى الْكَمَالِ، أَنْ يُثْبِتَ الْإِنْسَانُ لِلْمَوْصُوفِ صِفَةَ كَمَالٍ، أَمْ يَنْفِي عَنْهُ صِفَةَ الْكَمَالِ؟

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، رقم (٣٥٢٤)، وقال: هذا حديث غريب.

(٢) أخرجه النسائي: كتاب صفة الصلاة، باب نوع آخر من [الدعاء بعد الذكر]، رقم (١٣٠٥).

الخامس: قَوْلُهُمْ: «إِنَّ إِثْبَاتَ صِفَاتٍ مُتَغَايِرَةٍ مُتَغَايِرَةٍ لِلْمَوْصُوفِ يَسْتَلْزِمُ التَّعَدُّدَ...» قَوْلٌ بَاطِلٌ مُخَالَفٌ لِلْمَعْقُولِ وَالْمَحْسُوسِ، فَإِنَّهُ لَا يَلْزِمُ مِنْ تَعَدُّدِ الصِّفَاتِ تَعَدُّدُ الْمَوْصُوفِ، فَهِيَ هِيَ الْإِنْسَانُ الْوَاحِدُ يُوصَفُ بِأَنَّهُ حَيٌّ، سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، عَاقِلٌ، مُتَكَلِّمٌ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِهِ وَلَا يَلْزِمُ مِنْ ذَلِكَ تَعَدُّدُ ذَاتِهِ<sup>[١]</sup>.

قُلْنَا: الْأَوَّلُ بِلَا شَكٍّ، وَلِذَلِكَ نَحْمَدُونَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ذَكَرَ صِفَاتِ الْإِثْبَاتِ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ صِفَاتِ النِّفْيِ، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: وَصَفَهُ بِالنِّفْيِ أَدْلُ عَلَى الْكَمَالِ مِنْ وَصَفِهِ بِالْإِثْبَاتِ. وَهَذَا لَيْسَ بِالصَّوَابِ، فَالْوَصْفُ بِالْإِثْبَاتِ أَدْلُ عَلَى الْكَمَالِ. وَعَلَّلَهُ بِأَنَّ الْإِثْبَاتَ أَمْرٌ وَجُودِي يَقْتَضِي تَنَوُّعَ الْكَمَالَاتِ فِي حَقِّهِ.

وَإِذَا قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَعِلْمٌ وَقُدْرَةٌ وَحِكْمَةٌ وَعِزَّةٌ، وَهَكَذَا؛ صَارَ هَذَا أَدْلُ عَلَى إِثْبَاتِ الْكَمَالَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ، لَكِنَّ النِّفْيَ أَمْرٌ عَدَمِيٌّ.

وَالْعَدَمُ لَيْسَ صِفَةً كَمَالٍ، إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَ كَمَالًا، صَارَ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ صِفَةً كَمَالٍ، وَهَذَا لَوْ قُلْنَا: فَلَانٌ لَا يَظْلِمُ؛ لِأَنَّهُ عَدْلٌ. أَيْ عَدْلُ كَمَالٍ، أَمَّا إِنْ قُلْنَا: فَلَانٌ لَا يَظْلِمُ لِأَنَّهُ ضَعِيفٌ وَغَيْرُ قَادِرٍ. فَيَكُونُ هَذَا نَقْصًا، وَ«الْجِدَارُ لَا يَظْلِمُ» يَكُونُ هَذَا لَا مَدْحَ وَلَا ذَمٍّ؛ لِأَنَّ الْجِدَارَ غَيْرُ قَابِلٍ لِهَذَا وَلَا هَذَا، فَتَبَيَّنَ أَنَّ النِّفْيَ إِذَا لَمْ يَتَضَمَّنْ إِثْبَاتَ كَمَالٍ فَلَيْسَ بِالنِّفْيِ، وَهَؤُلَاءِ لَا يَقُولُونَ بِنِفْيِ يَتَضَمَّنُ كَمَالًا، بَلْ يَقُولُونَ بِنِفْيِ مُحْضٍ، فَكَمَا عَرَفْتُمْ مَذْهَبَهُمْ: أَنَّهُمْ لَا يُثْبِتُونَ صِفَاتٍ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَوْجُودُ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ.

[١] هُمْ يَقُولُونَ: لَوْ تَعَدَّدَتِ صِفَاتُهُ لَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ تَعَدُّدُ الذَّاتِ.

وَنَحْنُ نَقُولُ: لَا يَلْزِمُ، فَأَنْتَ مُخَاطِبُنِي، وَأَنْتَ ذَكَرْتَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ مُتَكَلِّمٌ قَادِرٌ، وَيَلْزِمُ - عَلَى قَوْلِكَ - أَنَّكَ بَعْدَ صِفَاتِكَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنْتَ وَاحِدٌ، فَإِذَا كَانَ تَعَدُّدُ الصِّفَاتِ

السَّادِسُ: قَوْلُهُمْ فِي الْأَسْمَاءِ: «إِنَّ إِبْطَاتَهَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِمَعْنَى الْإِسْمِ فَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ إِبْطَاتُهَا تَشْبِيهَا».

جَوَابُهُ: إِنَّ الْمَعَانِيَ الَّتِي تَلْزِمُ مِنْ إِبْطَاتِ الْأَسْمَاءِ صِفَاتٌ لَا تَقَعُ بِاللَّهِ تَعَالَى غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ عَلَيْهِ، وَالْمُشَارَكَةُ فِي الْإِسْمِ أَوِ الصِّفَةِ لَا يَسْتَلْزِمُ تَمَثُّلَ الْمُسَمَّيَاتِ وَالْمَوْصُوفَاتِ<sup>[١]</sup>.

فِي الْمَخْلُوقِ لَا يَسْتَلْزِمُ تَعَدُّدُ الْمَخْلُوقِ فَكَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخَالِقِ.

إِذَنْ: لَا يَلْزِمُ مِنْ تَعَدُّدِ الصِّفَاتِ تَعَدُّدُ الْمَوْصُوفِ.

وَهُمْ يَقُولُونَ: يَلْزِمُ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الصِّفَةَ عَيْنُ الْمَوْصُوفِ، فَإِذَا كَانَتْ عَيْنُ الْمَوْصُوفِ لَزِمَ مِنْ تَعَدُّدِهَا تَعَدُّدُ الْمَوْصُوفِ.

فَنَقُولُ: هَذَا كَذِبٌ وَغَيْرُ مُمَكِّنٍ، هَا هُوَ الْإِنْسَانُ يُوصَفُ بِأَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ، سَمِيعٌ بَصِيرٌ، مُتَكَلِّمٌ عَاقِلٌ، وَهُوَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ، إِذَنْ لَا يَلْزِمُ مِنْ تَعَدُّدِ الصِّفَاتِ تَعَدُّدُ الْمَوْصُوفِ. وَتَتَعَجَّبُ كَيْفَ أَنَّ عُقُولَهُمْ تَتَحَمَّلُ هَذَا، وَالسِّتَتُهُمْ تَتَكَلَّمُ بِهِ، وَلَكِنْ مِنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ، وَهَذَا هُمُ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُجَابٌ» [ص: ٥]، وَلَا أَدْرِي: مَا الشَّيْءُ الْعُجَابُ؟ هَلِ الَّذِي يُوحِدُ اللَّهُ أَمْ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّ هُنَاكَ آلِهَةً مُتَعَدَّدَةً؟

[١] يَقُولُونَ: إِبْطَاتِ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِمَعْنَى الْإِسْمِ.

وَنَحْنُ نَقْرَأُهُمْ عَلَى هَذَا، لَكِنَّ قَوْلَهُمْ: «فَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ إِبْطَاتُهَا تَشْبِيهَا»، مَعْنَى قَوْلِهِمْ: «يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِمَعْنَى الْإِسْمِ»، مَعْنَى الْإِسْمِ هُوَ الصِّفَةُ، فَالْسَّمِيعُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِالسَّمْعِ.

السَّابِعُ: قَوْلُهُمْ: «إِنَّ الْإِثْبَاتَ يَسْتَلْزِمُ تَشْبِيهَهُ بِالْمَوْجُودَاتِ».

جَوَابُهُ: أَنَّ النَّفْيَ الَّذِي قَالُوا بِهِ يَسْتَلْزِمُ تَشْبِيهَهُ بِالْمَعْدُومَاتِ عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِمْ، وَذَلِكَ أَقْبَحُ مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْمَوْجُودَاتِ، وَحِينَئِذٍ فَإِمَّا أَنْ يُقَرُّوا بِالْإِثْبَاتِ فَيُؤَافِقُوا الْجَمَاعَةَ، وَإِمَّا أَنْ يُنْكِرُوا النَّفْيَ كَمَا أَنْكَرُوا الْإِثْبَاتَ فَيُؤَافِقُوا غُلَاةَ الْغُلَاةِ مِنَ الْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَمَّا التَّفْرِيقُ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا فَتَنَاقُضٌ ظَاهِرٌ<sup>[١]</sup>.

قَوْلُهُمْ: «فَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ إِثْبَاتُهَا تَشْبِيهًا»: فَالْإِنْسَانُ يُسَمَّى بِالسَّمِيعِ وَيُسَمَّى بِالْعَزِيزِ، فَإِذَا أَثْبَتْنَا لِلَّهِ اسْمًا يُسَمَّى بِهِ الْإِنْسَانُ؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا، وَنَحْنُ نُسَلِّمُ بِأَنَّ إِثْبَاتَ الْأَسْمَاءِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِمَعْنَى الْأِسْمِ، لَكِنْ نَقُولُ: مَعْنَى الْأِسْمِ الَّذِي اتَّصَفَ اللَّهُ بِهِ لَيْسَ كَمَعْنَى الْأِسْمِ الَّذِي يَتَّصِفُ بِهِ الْإِنْسَانُ.

وَنَقُولُ لَهُمْ: نَحْنُ نُبْنِي هَذِهِ الْمَعَانِي عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِاللَّهِ تَعَالَى، لَا عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِالْمَخْلُوقِ، فَتَوَمَّنْ بِأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ قَدِيرٌ، لَكِنْ لَيْسَ كَسَمْعِ الْإِنْسَانِ وَلَا بَصَرِ الْإِنْسَانِ، وَلَا قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ، كَمَا أَنَّكُمْ تَبْنِي لِلَّهِ ذَاتًا لَا تُشَبِّهُ ذَوَاتَ الْمَخْلُوقِينَ.

[١] قَوْلُهُمْ: «إِنَّ الْإِثْبَاتَ يَسْتَلْزِمُ تَشْبِيهَهُ بِالْمَوْجُودَاتِ».

الْجَوَابُ: «أَنَّ النَّفْيَ الَّذِي قَالُوا بِهِ يَسْتَلْزِمُ تَشْبِيهَهُ بِالْمَعْدُومَاتِ عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِمْ...».

نَقُولُ: تَدَّعُونَ أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ تَشْبِيهَهُ بِالْمَوْجُودَاتِ.

وَنَقُولُ لَهُمْ: وَنَفْيُكُمْ أَيْضًا يَسْتَلْزِمُ تَشْبِيهَهُ بِالْمَعْدُومَاتِ؛ لِأَنَّكُمْ وَجَمِيعَ الْعُقَلَاءِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ النَّفْيَ عَدَمٌ، فَإِذَا قُلْتُمْ: لَيْسَ فُلَانٌ بِقَائِمٍ. فَمَعْنَاهُ أَنَّ الْقِيَامَ عَدَمٌ،

فَأَنْتُمْ إِذَا وَصَفْتُمُوهُ بِالنَّفْيِ دُونَ الْإِثْبَاتِ؛ فَإِنَّهُ - عَلَى قَاعِدَتِكُمْ - مُشَابِهٌ لِلْمَعْدُومَاتِ،  
وَالْتَّشْبِيهِ بِالْمَوْجُودِ أَكْمَلُ مِنَ التَّشْبِيهِ بِالْمَعْدُومِ.

وَحِينَئِذٍ نَقُولُ لَكُمْ: الْاِخْتِيَارُ بَيْنَ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

١- إِمَّا أَنْ تُثَبِّتُوا الْجَمِيعَ فَتُؤَافِقُوا جَمَاعَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ.

٢- وَإِمَّا أَنْ تَنْفُوا الْجَمِيعَ فَتُؤَافِقُوا غُلَاةَ الْغُلَاةِ، وَهُمْ يَتَبَرَّؤُونَ مِنَ الطَّرَفَيْنِ،  
أَي: يَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقِ السَّلَفِ، وَمِنْ طَرِيقِ الْغُلَاةِ.

٣- وَإِمَّا أَنْ تَقْعُوا فِي التَّنَاقُضِ، وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ فِي طَرِيقَتِهِمْ.

وَقَدْ يَظُنُّ الْإِنْسَانُ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ وَهُوَ الْوَاقِعُ مُسْتَحِيلٌ، نَقُولُ:  
لَوْ فَرَضَ أَنَّ شَيْئًا يُوجَدُ بِلَا صِفَةٍ، إِنَّمَا فَرَضَ بِهِ فَرَضًا لَا حَقِيقَةَ لَهُ، أَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ  
أَنْ تَتَخَيَّلَ أَنْ يُوجَدَ شَيْئًا وَلَيْسَ بِشَيْءٍ فَهَذَا وَهُمْ.

وَأَنْتَ إِذَا تَخَيَّلْتَ شَيْئًا وَاقِعًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ صِفَةٌ، لَكِنْ هُنَا تَخَيَّلَ شَيْءٌ  
مَوْهُومٌ، وَفَرَقَ بَيْنَ الْوَهْمِ وَالْحَقِيقَةِ، قُلْنَا: لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَتَصَوَّرَ شَيْئًا مَوْجُودًا فِي الْوَاقِعِ  
إِلَّا وَلَهُ صِفَةٌ.



## فصل

الطائفة الرابعة: غلاة الغلاة من الفلاسفة، والجهمية والقرامطة والباطنية وغيرهم.

وطريقتهم أنهم أنكروا في حق الله تعالى الإثبات والنفي، فنفوا عنه الوجود، والعدم، والحياة، والموت، والعلم، والجهل، ونحوها، وقالوا: إنه لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، ونحو ذلك. وشبهتهم أنهم اعتقدوا أنهم إن وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، وإن وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات<sup>[١]</sup>.

[١] قوله: «الطائفة الرابعة: غلاة الغلاة...» هذه الطائفة وصفها شيخ الإسلام رحمه الله بأنها (غلاة الغلاة)، أي أن غلوهم مركب مضاعف، لأنهم أنكروا أن يوصف الله بالنفي أو بالإثبات، فقالوا: لا تصفه بصفة ثبوتية، ولا بصفة سلبية، فلا تقل: إنه لا موجود ولا معدوم، ولا جاهل ولا عالم، وإن شئت فقل: لا عالم ولا غير عالم، ولا موجود ولا غير موجود.

وشبهتهم في هذا أنهم يقولون: إن وصفته بالإثبات شبهته بالموجودات، وإن وصفته بالنفي شبهته بالمعدومات، ولا شك أن الإنسان مجرد أن يتصوره يعلم أنه باطل، ومع ذلك لا بد أن نبين بطلانه بوجوه معقولة وبأدلة شرعية.

فمذهبهم يقول: لا يجوز أن تصفوا الله بإثبات ولا نفي، لا أسماء ولا صفات، ولهذا نصفهم بأنهم (غلاة الغلاة).

وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَجُوهٍ:

الأول: أن تسمية الله ووصفه بما سَمِيَ وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ لَيْسَ تَشْبِيهاً وَلَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، فَإِنَّ الإِشْتِرَاكَ فِي الإِسْمِ وَالصِّفَةِ لَا يَسْتَلْزِمُ تَمَاثُلَ الْمُسَمَّيَاتِ وَالْمَوْصُوفَاتِ، وَتَسْمِيَتُكُمْ ذَلِكَ تَشْبِيهاً لَيْسَ إِلَّا تَمْوِيهاً وَتَلْيِيساً عَلَى الْعَامَّةِ وَالْجُهَّالِ، وَلَوْ قَبِلْنَا مِثْلَ هَذِهِ الدَّعْوَى الْبَاطِلَةِ لَأَمْكَنَ كُلُّ مُبْطِلٍ أَنْ يُسَمِّيَ الشَّيْءَ الْحَقَّ بِأَسْمَاءٍ يُنْفَرُ بِهَا النَّاسُ عَنْ قَبُولِهِ<sup>[١]</sup>.

[١] نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ وَسَمَّى نَفْسَهُ بِأَوْصَافٍ وَأَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ تَشْبِيهاً؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ هَذَا تَشْبِيهاً أَوْ دَالاً عَلَى التَّشْبِيهِ؛ لَكَانَتْ دَلَالَةُ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ كُلِّهَا كُفْرًا وَضَلَالًا؛ لِأَنَّ تَشْبِيهَ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ لَا شَكَّ أَنَّهُ كُفْرٌ وَضَلَالٌ.

وَنَحْنُ إِذَا سَمَّيْنَا اللَّهَ تَعَالَى بِالسَّمِيعِ أَوْ الْبَصِيرِ، أَوْ وَصَفْنَاهُ بِأَنَّ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا، فَإِنَّ هَذِهِ الْمُوَافَقَةَ لِمَا فِي الْإِنْسَانِ لَا تَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، فَاتَّفَاقُ الْمُسَمَّيِّينَ بِالِاسْمِ وَالْمَوْصُوفِينَ بِالصِّفَةِ لَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ أَوْ التَّمَاثُلَ فِيهَا، وَلَكِنْ هُمْ يَقُولُونَ: هَذَا تَشْبِيهٌ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُنْفَرُوا النَّاسَ عَنْ ذَلِكَ، أَيْ عَنِ الْإِثْبَاتِ وَعَنِ النِّفْيِ.

وَنَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّنَا لَوْ قَبِلْنَا هَذِهِ الدَّعْوَى -وَهِيَ دَعْوَى أَنَّ الْإِثْبَاتَ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ-؛ لَأَمْكَنَ كُلُّ مُبْطِلٍ أَنْ يُسَمِّيَ الْحَقَّ بِأَسْمَاءٍ يُنْفَرُ بِهَا النَّاسُ، كَمَا فَعَلَ الْكُفَّارُ بِالنَّبِيِّ لِلرَّسُولِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]. فَالرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَصَفُوهُ بِأَنَّهُ شَاعِرٌ وَكَاهِنٌ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَضُرُّوا النَّاسَ عَنْهُ.

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ فَرَّ بَعْضُ الْعَرَبِ إِلَى تَقْدِيرِ الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَصَارَتْ كَالْمَعْبُودِ



عِنْدَهُمْ، وَهِيَ حَلَقَةُ الْجَمْعِ، صَارُوا يَقُولُونَ: مَنْ لَمْ يَسْلُكْ هَذَا الطَّرِيقَ فَهُوَ رَجْعِيٌّ، أَشْبَهُ بِالَّذِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَصَالُونَ﴾ [المطففين: ٣٢].

وَكَثُرَ الْإِلْتِزَامُ مِنَ الشَّبَابِ، وَصَارُوا يُمَثِّلُونَ خَطَرًا عَلَى الْكُفَّارِ وَعَلَى الْمُلْحِدِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَصَارَ الَّذِي يَتَمَسَّكَ وَيَلْتَزِمُ يُسَمَّى مُتَشَدِّدًا إِزْهَابِيًّا، فَقَالُوا: هَذَا مُتَشَدِّدٌ، وَهَذَا إِزْهَابِيٌّ، لِكَيْ يُتَفَرَّقُوا النَّاسَ عَنْ نُصْرَتِهِمْ وَطَرِيقِهِمْ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُقَدِّرُونَ الْأُمُورَ بِحَقَائِقِهَا، كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُتَحَنٌّ».

فَلَا بُدَّ مِنْ مِحْنَةٍ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَتَعَلَّمَ غَيْرَ الصَّابِرِينَ، فَلَا يَهْمُكَ أَنْ تُوصَفَ بِأَنَّكَ إِزْهَابِيٌّ إِذَا تَمَسَّكَتَ بِالَّذِينَ، وَلَا تَخَفْ، كَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾.

فائدة:

كلمة (أسماء): إِنْ كَانَتْ الْأَلْفُ لِلتَّأْنِيثِ فَهِيَ مَمْنُوعَةٌ مِنَ الصَّرْفِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا إِذَا سُمِّيَتْ امْرَأَةً بِ(أَسْمَاءَ)، مِثْلُ: (عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْرٍ)، (عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ).

أَمَّا إِذَا كَانَتْ جَمْعًا لـ(اسم) فَهِيَ غَيْرُ مَمْنُوعَةٍ مِنَ الصَّرْفِ؛ لِأَنَّ الْأَلْفَ فِيهَا لَيْسَتْ أَلْفَ تَأْنِيثٍ، بَلْ هِيَ أَلْفُ (أَفْعَالٍ)، أَلْفُ جَمْعٍ، وَهَذَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا﴾ [النجم: ٢٣].

إِذَنْ: (أَسْمَاءُ) إِذَا كَانَتْ اسْمًا أَنْثَى فَهِيَ مَمْنُوعَةٌ مِنَ الصَّرْفِ، وَإِنْ كَانَتْ جَمْعًا لاسمٍ فَهِيَ غَيْرُ مَمْنُوعَةٍ مِنَ الصَّرْفِ.

الثاني: أَنَّهُ قَدْ عُلِمَ بِضُرُورَةِ الْعَقْلِ وَالْحِسِّ أَنَّ الْمَوْجُودَ الْمُمْكِنَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُوجِدٍ وَاجِبِ الْوُجُودِ، فَإِنَّا نَعْلَمُ حَدُوثَ الْمُحْدَثَاتِ وَنُشَاهِدُهَا، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَحْدُثَ بِدُونِ مُحْدِثٍ، وَلَا أَنْ تُحْدِثَ نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ لَهَا خَالِقٌ وَاجِبُ الْوُجُودِ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى<sup>[١]</sup>.

[١] هَذِهِ الْمَوْجُودَاتُ إِمَّا أَنْ تُوجَدَ نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ؛ لِأَنَّهَا قَبْلَ أَنْ تُوجَدَ كَانَتْ عَدَمًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهَا مُوجِدٌ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

فَصَارَ عِنْدَنَا مَوْجُودَانِ: مَوْجُودٌ وَاجِبُ الْوُجُودِ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَمَوْجُودٌ مُمَكِّنٌ وَهُوَ الْمَخْلُوقُ، وَهَؤُلَاءِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعَارِضُوا فِي ذَلِكَ.

فَنَقُولُ: اتَّفَقَ الْوُجُودُ فِي الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، فَإِمَّا أَنْ تُنْكِرَ وُجُودَ الْخَالِقِ، أَوْ تُنْكِرَ وُجُودَ الْمَخْلُوقِ، وَبِهَذِهِ الدَّلَالَةِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُنْكِرَ وُجُودَ الْخَالِقِ، وَلَا وُجُودَ الْمَخْلُوقِ. وَانْظُرْ إِلَى هَذَا الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، أَي: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ، أَمْ هُمُ الَّذِينَ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ؟

وَالْجَوَابُ: لَمْ يُخْلَقُوا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ، وَلَمْ يَخْلُقُوا أَنْفُسَهُمْ، فَتَعَيَّنَ الْقِسْمُ الثَّالِثُ، وَهُوَ أَنَّهُمْ خُلِقُوا مِنْ خَالِقٍ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَلِهَذَا قَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مِنْ أَسْرَى بَدْرٍ: «سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ بِسُورَةِ الطَّوْرِ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَقَالَ: فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾. كَادَ قَلْبِي يَطِيرُ»<sup>(١)</sup>، انْبَهَرَ مِنْ هَذَا الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ، وَهُوَ حِينَئِذٍ جَاهِلٌ مُشْرِكٌ مِنْ أَسْرَى بَدْرٍ، فَكَانَ سَمَاعُهُ لِهَذِهِ الْآيَةِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، تفسير سورة الطور، رقم (٤٨٥٤).

سَبَبًا لِإِنْقَاذِهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَوَقَرَ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ؛ لِأَنَّهُ دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ مَا فِيهِ مُمَانَعَةٌ.

وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: مَنْ أَحَدَثَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ هَلْ أَحَدَتْ نَفْسَهَا؟

فالجواب: لَمْ تُحَدِّثْ نَفْسَهَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ عَدَمًا، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْعَدَمُ مُحَدِّثًا لِمَوْجُودٍ.

إِذَنْ: لَا بُدَّ لَهَا مِنْ مُحَدِّثٍ، وَلَا أَحَدٍ يَدَّعِي أَنَّهُ أَحَدَثَهَا؛ وَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْمُحَدِّثُ لَهَا هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَهَذَا وَجُودٌ يُوصَفُ بِهِ الْخَالِقُ وَيُوصَفُ بِهِ الْمَخْلُوقُ.

وَقَوْلُهُ: «الْمَوْجُودُ مُمَكِّنٌ»: هَذَا مِثْلُ الْمَخْلُوقَاتِ، كَالْإِنْسَانِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُوَجِّدٍ وَاجِبِ الْوُجُودِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ بِلَا مُوَجِّدٍ، وَلَا بِمُوجِدٍ مُمَكِّنِ الْوُجُودِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُوَجِّدُهُ مُمَكِّنَ الْوُجُودِ لَلَزِمَ التَّسْلُسُ، وَإِذَا كَانَ هَذَا أَوْجَدَ هَذَا فَمَنْ أَوْجَدَ الْمُوَجِّدُ؟ وَهَذَا إِذَا كَانَ هَذَا الْمُوَجِّدُ مُمَكِّنَ الْوُجُودِ.

إِذَنْ: لَا بُدَّ مِنْ مُوَجِّدٍ وَاجِبِ الْوُجُودِ؛ لِأَنَّنَا نَعْلَمُ حَدُوثَ الْمَحْدَثَاتِ وَنُشَاهِدُهُ، فَتَجِدُ الْمَطَرَ يَحْدُثُ، وَالْبَرْدَ يَحْدُثُ، وَالْحَرَّ يَحْدُثُ، وَالْإِنْسَانَ يُخْلَقُ، وَكَذَلِكَ بَقِيَّةُ الْمَحْدَثَاتِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَحْدُثَ بِدُونِ مُحَدِّثٍ، وَلِهَذَا لَوْ أَنَّكَ حَدَّثْتَ النَّاسَ بِأَنَّ هُنَاكَ قَصْرًا مَزِينًا بِأَنْوَاعِ الزَّيْنَةِ حَدَثَ بِدُونِ بَانٍ؛ لَعَدَّكَ النَّاسُ مِنَ الْمَجَانِينَ!!

وَقَوْلُهُ: «وَلَا أَنْ تُحَدِّثَ نَفْسَهَا»؛ لِأَنَّهَا قَبْلَ الْوُجُودِ عَدَمٌ، وَالْعَدَمُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوجَدَ غَيْرُهُ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِذَا كَانَ هُوَ عَدَمًا فَكَيْفَ يُوجَدُ؟ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ

شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

فَفِي الْوُجُودِ إِذَنْ مَوْجُودَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَزَلِيٌّ وَاجِبُ الْوُجُودِ بِنَفْسِهِ.

وَالثَّانِي: مُحَدَّثٌ مُمَكِّنُ الْوُجُودِ، مَوْجُودٌ بِغَيْرِهِ.

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ اتِّفَاقِهِمَا فِي مُسَمًّى الْوُجُودِ أَنْ يَتَّفَقَا فِي خَصَائِصِهِ، فَإِنَّ وُجُودَ الْوَاجِبِ يَخُصُّهُ، وَوُجُودُ الْمُحَدَّثِ يَخُصُّهُ<sup>[١]</sup>.

الْجَوَابُ: لَا هَذَا وَلَا هَذَا، فَلْيَسُوا هُمُ الْخَالِقِينَ، وَلْيَسُوا مَخْلُوقِينَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونُوا مَخْلُوقِينَ مِنْ خَالِقٍ خَلَقَهُمْ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

[١] الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْأَوَّلَ:

١- أَزَلِيٌّ.

٢- وَاجِبُ الْوُجُودِ بِنَفْسِهِ.

٣- لَيْسَ لَهُ مُوجِدٌ.

وَالثَّانِي: مُحَدَّثٌ، ضِدُّ الْأَزَلِيِّ.

فَالْوُجُودُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقَاتِ وَالْخَالِقِ مُفْتَرَقٌ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ:

١- وَجُودُ الْخَالِقِ أَزَلِيٌّ؛ أَيُّ: لَمْ يَزَلْ مَوْجُودًا.

٢- وَاجِبُ الْوُجُودِ بِنَفْسِهِ؛ أَيُّ: لَمْ يَوْجِدْهُ أَحَدٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ أَوْجَدَهُ أَحَدٌ لَمْ يَكُنْ

وَاجِبَ الْوُجُودِ.

أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَمُحَدَّثٌ مُمَكِّنُ الْوُجُودِ، وَهَذَا هُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ عَدَمٍ وَسَيُؤُولُ إِلَى

الْفَنَاءِ.

فَوُجُودُ الْخَالِقِ وَاجِبٌ أَزَلِيٌّ مُمْتَنِعٌ الْحَدُوثِ، أَبَدِيٌّ مُمْتَنِعٌ الزَّوَالِ، وَوُجُودُ  
الْمَخْلُوقِ مُمَكِّنٌ حَادِثٌ بَعْدَ الْعَدَمِ قَابِلٌ لِلزَّوَالِ<sup>[١]</sup>.

إِذَنْ: هَذَا جَوَابٌ عَقْلِيٌّ، وَهُوَ أَنْ نَقُولَ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَوْصُوفٌ  
بِالْوُجُودِ وَلَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، وَوَجْهَهُ أَنَّنَا نَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ وَالْحِسِّ حَدُوثَ الْمَوْجُودَاتِ،  
فَهَذِهِ الْمَوْجُودَاتُ لَمْ تَحْدُثْ بِنَفْسِهَا، وَلَمْ تَحْدُثْ صُدْفَةً، بَلْ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ مُحْدِثٍ،  
وَالْمُحْدِثُ هُوَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

إِذَنْ: اللَّهُ مَوْصُوفٌ بِالْوُجُودِ، وَوُجُودُهُ أَيْضًا وَاجِبٌ أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ، فَ(أَزَلِيٌّ): لَمْ يُسْبِقْ  
بِعَدَمٍ، وَ(أَبَدِيٌّ): لَا يَلْحَقُهُ زَوَالٌ، فَإِذَا كَانَ هَكَذَا تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْوَاجِبُ الْحَقُّ عَزَّوَجَلَّ  
مَوْصُوفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَأَنَّ لَهُ صِفَاتٍ ثُبُوتِيَّةً خِلَافًا لِمَا أَنْكَرُوهُ.

[١] وجودُ المخلوق ليس أزليًّا ولا أبدِيًّا، فهو حادثٌ بعد أن لم يكن، كما قال  
الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَذَا أَقَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، مَنْ لَهُ  
عِشْرُونَ سَنَةً قَبْلَ وَاحِدٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا، وَحِينَ وُلِدَ صَارَ شَيْئًا  
مَذْكُورًا.

فَإِنْ قِيلَ: هَلْ وَجُودُ الْمَخْلُوقَاتِ حَادِثٌ أَمْ قَدِيمٌ؟ قُلْنَا: حَادِثٌ.

فَإِنْ قِيلَ: هَلْ تَبَقَّى هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ؟

قُلْنَا: لَا، فَهِيَ تَزُولُ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ، فَوُجُودُ الْمَخْلُوقَاتِ  
مُمَكِّنٌ، بِمَعْنَى أَنَّهُ جَائِزُ الْعَدَمِ وَجَائِزُ الْوُجُودِ، وَوُجُودُ الْخَالِقِ وَاجِبٌ فَهُوَ أَزَلِيٌّ لَمْ يُحْدِثْ،  
أَبَدِيٌّ لَمْ يَقْنِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

فَمَنْ لَمْ يُثَبِّتْ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِتِّفَاقِ وَالْإِفْتِرَاقِ لَزِمَهُ أَنْ تَكُونَ الْمَوْجُودَاتُ كُلُّهَا إِمَّا أَزَلِيَّةٌ وَاجِبَةٌ الْوُجُودِ بِنَفْسِهَا، أَوْ مُحَدَّثَةٌ مُمَكِّنَةٌ الْوُجُودِ بِغَيْرِهَا، وَكِلَاهُمَا مَعْلُومُ الْفَسَادِ بِالْإِضْطِرَّارِ<sup>(١)</sup>.

مَسْأَلَةٌ: عَقِيدَتُنَا الَّتِي نَدِينُ اللَّهَ بِهَا، أَنَّ النَّارَ مُؤَبَّدَةٌ، وَالْجَنَّةَ مُؤَبَّدَةٌ، وَلَا ظُلْمَ فِي هَذَا؛ لِأَنَّ الْكَافِرِينَ بَيَّنَّ لَهُمْ، وَأَرْسَلَ لَهُمُ الرُّسُلَ، وَقَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَقِيلَ لَهُمْ: إِنْ كَفَرْتُمْ فَمَا أَوَّكُمُ النَّارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا. يَغْنِي: لَا عَذْرَ لَهُمْ.

[١] قَوْلُهُ: «فَمَنْ لَمْ يُثَبِّتْ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِتِّفَاقِ وَالْإِفْتِرَاقِ»: أَيُّ مَا بَيْنَ وَجُودِ الْخَالِقِ وَوُجُودِ الْمَخْلُوقِ.

وقَوْلُهُ: «مِنَ الْإِتِّفَاقِ وَالْإِفْتِرَاقِ»: الْإِتِّفَاقُ: فِي أَصْلِ الْوُجُودِ، وَالْإِفْتِرَاقُ: افْتِرَاقًا فِي وَصْفِ وَجُودِ الْخَالِقِ، فَهُوَ: أَزَلِيٌّ، أَبَدِيٌّ، وَاجِبٌ، وَوُجُودِ الْمَخْلُوقِ بِالْعَكْسِ لَيْسَ وَاجِبًا وَلَا أَزَلِيًّا وَلَا أَبَدِيًّا، لَكِنْ هُوَ وَجُودٌ، فَالَّذِي لَا يُفَرِّقُ يَلْزِمُهُ أَحَدُ أَمْرَيْنِ:

١- إِمَّا أَنْ يَجْعَلَ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ وَاجِبَةً الْوُجُودِ أَزَلِيَّةً أَبَدِيَّةً.

٢- وَإِمَّا أَنْ يَجْعَلَ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ مُحَدَّثَةً مُمَكِّنَةً الْوُجُودِ لَا أَزَلِيَّةً وَلَا أَبَدِيَّةً.

وَالْحَقُّ أَنَّ الْكُلَّ مَوْجُودٌ، وَلَكِنَّ هَذَا لَهُ وَجُودٌ يَخُصُّهُ، وَهَذَا لَهُ وَجُودٌ يَخُصُّهُ.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: «فَمَنْ لَمْ يُثَبِّتْ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِتِّفَاقِ وَالْإِفْتِرَاقِ لَزِمَهُ أَنْ تَكُونَ الْمَوْجُودَاتُ كُلُّهَا إِمَّا أَزَلِيَّةٌ وَاجِبَةٌ الْوُجُودِ بِنَفْسِهَا أَوْ مُحَدَّثَةٌ مُمَكِّنَةٌ الْوُجُودِ بِغَيْرِهَا، وَكِلَاهُمَا مَعْلُومُ الْفَسَادِ بِالْإِضْطِرَّارِ»؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ الْوُجُودِ غَيْرُ مُفْتَقِرٍ إِلَى غَيْرِهِ.

الثالث: أَنَّ إنْكَارَهُمُ الْإِثْبَاتَ وَالنَّفْيَ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ النَّقِیْضِیْنِ مَعًا وَهَذَا مُمْتَنِعٌ،  
لِأَنَّ النَّقِیْضِیْنِ لَا یُمْكِنُ اجْتِمَاعُهُمَا وَلَا ارْتِفَاعُهُمَا<sup>[١]</sup>.

[١] إِنْ قَوْلُهُمْ هَذَا بِنَفْيِ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ النَّقِیْضِیْنِ مَعًا، وَالنَّقِیْضَانِ هُمَا اللَّذَانِ لَا یَجْتَمِعَانِ وَلَا یَرْتَفِعَانِ، كَالْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، وَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، أَمَّا الْبَيَاضُ وَالسَّوَادُ فَهُمَا ضِدَّانِ؛ لِأَنَّهُ یُمْكِنُ أَنْ یَرْتَفِعَا.

إِذَنْ: فَقَوْلُهُمْ هَذَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ النَّقِیْضِیْنِ مَعًا، وَهُوَ مُمْتَنِعٌ؛ لِأَنَّ النَّقِیْضِیْنِ لَا یُمْكِنُ اجْتِمَاعُهُمَا وَلَا ارْتِفَاعُهُمَا، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ وَجُودِ أَحَدِهِمَا وَحَدُهُ.

وَكُلُّ مَوْجُودَيْنِ: إِمَّا مُتَنَاقِضَيْنِ، أَوْ مُتَضَادَّانِ، أَوْ مُتَبَايِنَانِ، أَوْ خِلَافَانِ.

فَالضُّدَّانِ: لَا یُمْكِنُ اجْتِمَاعُهُمَا، وَلَا ارْتِفَاعُهُمَا.

وَالْمُتَبَايِنَانِ: لَا یَجْتَمِعَانِ وَیَرْتَفِعَانِ، فَارْتِفَاعُ أَحَدِهِمَا ارْتِفَاعُ الْآخَرِ.

وَالْخِلَافَانِ: هُمَا شَيْئَانِ مُتَبَايِنَانِ لَكِنْ یُمْكِنُ ارْتِفَاعُهُمَا وَاجْتِمَاعُهُمَا.

فَإِذَا قُلْتُ: بَشَرٌ وَإِنْسَانٌ، فَالْبَشَرُ وَالْإِنْسَانُ وَاحِدٌ، وَإِذَا قُلْتُ: قُعُودٌ وَبَيَاضٌ. فَمَثَلًا هَذَا الرَّجُلُ قَاعِدٌ وَهُوَ أَبْيَضٌ، فَهَذَانِ خِلَافَانِ؛ لِأَنَّهُمَا یَجْتَمِعَانِ وَیَرْتَفِعَانِ، فَيُمْكِنُ أَنْ یُوجَدَ إِنْسَانٌ قَاعِدٌ وَلَيْسَ أَبْيَضٌ، وَهَذَانِ خِلَافَانِ؛ لِأَنَّ الْحَقِیْقَةَ مُخْتَلِفَةً، فَهَذَا قُعُودٌ وَهَذَا بَيَاضٌ، فَيُمْكِنُ أَنْ یَجْتَمِعَا، وَیُمْكِنُ أَنْ یَرْتَفِعَا.

وَالضُّدَّانِ لَا یَجْتَمِعَانِ، وَیُمْكِنُ أَنْ یَرْتَفِعَا، كَالْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ، فَهُمَا مُتَضَادَّانِ لَا یَجْتَمِعَانِ، بِمَعْنَى: لَا یُمْكِنُ أَنْ یَكُونَ الشَّيْءُ أَسْوَدَ وَأَبْيَضَ، إِنْ كَانَ أَسْوَدَ لَمْ یَكُنْ أَبْيَضَ، وَإِنْ كَانَ أَبْيَضَ لَمْ یَكُنْ أَسْوَدَ.

بَلْ لَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ أَحَدِهِمَا وَحْدَهُ، فَيَلْزَمُ - عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِمْ - تَشْبِيهُ اللَّهِ بِالْمُتَنَعَاتِ لِأَنَّهُ يُمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ لَا مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا، وَلَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا، إِلَّا أَمْرًا يُقَدَّرُهُ الذَّهْنُ وَلَا حَقِيقَةً لَهُ، وَوَصَفُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِهَذَا مَعَ كَوْنِهِ مُخَالِفًا لِبِدَاهَةِ الْعُقُولِ كُفْرٌ صَرِيحٌ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ<sup>[١]</sup>.

وَالْمُتَنَاقِضَانِ - كَمَا تَقَدَّمَ - لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ، مِثْلُ: حَرَكَةٌ وَسُكُونٌ، فَكُلُّ شَيْءٍ إِمَّا سَاكِنٌ أَوْ مُتَحَرِّكٌ.

أَمَّا الْوُجُودُ وَالْعَدَمُ فَمُتَنَاقِضَانِ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَرْتَفِعَا، إِذْ كُلُّ شَيْءٍ إِمَّا مَوْجُودٌ وَإِمَّا مَعْدُومٌ، وَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ مَوْجُودًا وَمَعْدُومًا فِي آنٍ وَاحِدٍ! فَهُمَا نَقِيضَانِ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ إِمَّا مَوْجُودٌ وَإِمَّا مَعْدُومٌ.

[١] يَلْزَمُ عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِمْ: تَشْبِيهُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمُتَنَعَاتِ؛ لِأَنَّكَ وَصَفْتَهُ بِشَيْءٍ مُتَمَتِّعٍ فِي الْعَقْلِ، مَعَ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْمَعْقُولِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: إِنَّ الْخَالِقَ مُتَمَتِّعٌ الْوُجُودِ. لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْمَخْلُوقُ أَيْضًا مُتَمَتِّعٌ الْوُجُودِ؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ خَالِقٍ، وَالْمَخْلُوقَاتُ مَوْجُودَةٌ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهَا خَالِقٌ، فَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي قَرُّوا مِنْهُ وَقَعُوا فِيهَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ وَأَقْبَحُ، قَرُّوا مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْمَوْجُودَاتِ وَبِالْمَعْدُومَاتِ؛ فَوَقَعُوا فِي تَشْبِيهِهِ بِالْمُتَنَعَاتِ!!

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَوَصَفُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِهَذَا مَعَ كَوْنِهِ مُخَالِفًا لِبِدَاهَةِ الْعُقُولِ كُفْرٌ صَرِيحٌ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ»: وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ كَافِرَةٌ، وَلَا نَقُولُ: هِيَ مِنْ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ وَإِنْ صَلَّوْا وَاسْتَقْبَلُوا قِبَلَتِنَا، وَإِنْ صَامُوا شَهْرَنَا، وَإِنْ حَجَّوْا الْبَيْتَ.



فَإِنْ قَالُوا: نَفْيُ النَّقِیْضِیْنِ مُتَتَّبِعٌ عَمَّا كَانَ قَابِلًا لِهُمَا، أَمَّا مَا كَانَ غَيْرَ قَابِلٍ لِهُمَا كَالْجَمَادِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِالسَّمْعِ وَالصَّمَمِ، فَإِنَّهُ يُمَكِّنُ نَفْيَهُمَا عَنْهُ، فَيَقَالُ: لَيْسَ بِسَمِيعٍ وَلَا أَصَمٍّ<sup>[١]</sup>.

فَالْجَوَابُ مِنْ أَرْبَعَةِ وُجُوهِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذَا لَا يَصِحُّ فِيمَا قَالُوهُ مِنْ نَفْيِ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ فَإِنَّ تَقَابُلَهُمَا تَقَابُلُ سَلْبٍ وَإِجَابٍ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ، فَإِذَا انْتَفَى أَحَدُهُمَا لَزِمَ ثُبُوتُ الْآخَرِ، فَإِذَا قِيلَ: لَيْسَ بِمَوْجُودٍ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مَعْدُومًا، .....

نَقُولُ: هَؤُلَاءِ يَعْبُدُونَ لَا شَيْءًا! وَالْغَرِيبُ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ وَهُمْ يَصِفُونَهُ بِهَذَا الْوَصْفِ: «لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ».

[١] إِذَا قَالُوا: نَفْيُ النَّقِیْضِیْنِ مُتَتَّبِعٌ عَمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَّصِفَ بِهِمَا، وَأَمَّا مَا لَا يُمَكِّنُ فَإِنَّهُ يَجُوزُ نَفْيُهُمَا عَنْهُ، وَلَا يُعَدُّ ذَلِكَ مُتَتَّبِعًا.

مِثَالُهُ: إِذَا قُلْتَ: إِنَّ الْجِدَارَ لَيْسَ أَصَمًّا وَلَا سَمِيعًا. هَذَا صَحِيحٌ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ قَابِلٍ لِلْسَّمْعِ وَلَا لِلصَّمَمِ فَصَحَّ نَفْيُهُمَا عَنْهُ، وَإِذَا قُلْتَ: لَيْسَ أَصَمًّا. لَمْ يَلْزَمْ أَنْ يَكُونَ سَمِيعًا، وَإِنْ قُلْتَ: لَيْسَ سَمِيعًا. لَمْ يَلْزَمْ أَنْ يَكُونَ أَصَمًّا، أَيْ أَنَّهُ يَجُوزُ ارْتِفَاعُهُمَا وَلَا يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِ أَحَدِهِمَا انْتِفَاءُ الْآخَرِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ غَيْرُ قَابِلٍ، فَالْجِدَارُ لَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَلَا الْإِتِّصَافَ بِالصَّمَمِ وَالْعَمَى، فَإِذَا رَفَعْنَاهُمَا جَمِيعًا عَنْهُ وَقُلْنَا: لَيْسَ بِسَمِيعٍ وَلَا أَصَمٍّ، وَلَا بِبَصِيرٍ وَلَا أَعْمَى، لَمْ يَكُنْ هَذَا مُتَتَّبِعًا.

وَهُمْ يُلَبِّسُونَ بِهِذَا، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْخَالِقَ عَرَّجَلٌ لَيْسَ بِقَابِلٍ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا، وَلِذَلِكَ نَنْفِي عَنْهُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ.

وَإِذَا قِيلَ: لَيْسَ بِمَعْدُومٍ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا، فَلَا يُمَكِّنُ نَفْيُهُمَا مَعًا وَلَا إِثْبَاتُهُمَا مَعًا<sup>[١]</sup>.

[١] نَقُولُ: هَذَا الْجَوَابُ الَّذِي أَجَابُوا بِهِ لَا يَصِحُّ فِيمَا قَالُوهُ مِنْ نَفْيِ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، يَعْنِي لَوْ صَحَّ مَثَلًا فِيمَا يَتَقَابَلُ عَدَمٌ وَمَلَكَةٌ<sup>(١)</sup> لَمْ يَصِحَّ فِيمَا يَتَقَابَلُ تَقَابُلِ سَلْبٍ وَإِيجَابٍ، وَسَلْبٌ يَعْنِي: نَفْيٌ، وَإِيجَابٌ يَعْنِي: إِثْبَاتٌ.

لَأَنَّ التَّقَابُلَ لَهُ عِدَّةٌ أَوْجِه:

١- تَقَابُلُ عَدَمٍ وَمَلَكَةٍ.

٢- تَقَابُلُ سَلْبٍ وَإِيجَابٍ.

٣- تَقَابُلُ تَضَائِفٍ؛ أَي: مُتَضَائِفِينَ.

فَمَثَلًا إِذَا قُلْتُ: (قَبْلُ)، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ شَيْءٌ (بَعْدُ)؛ لَأَنَّ (الْقَبْلِيَّةَ) لَا تَكُونُ إِلَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ (بَعْدِيَّةً)، وَ(فَوْقَ) لَزِمَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ (تَحْتُ)؛ لَأَنَّ (الْفَوْقِيَّةَ) لَا تُعْقَلُ إِلَّا إِذَا كَانَ تَحْتَهَا شَيْءٌ، وَفِي (زِيَادَةٍ) لَزِمَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ (نُقْصَانٌ)، يُسَمُّونَ هَذَا تَقَابُلَ الْمُتَضَائِفِينَ، يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَعْقَلُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْإِضَافَةِ لِلْآخَرِ.

وَتَقَابُلُ الْعَدَمِ وَالْمَلَكَةِ: أَي الَّذِي يَكُونُ قَابِلًا لِلشَّيْءِ أَوْ غَيْرَ قَابِلٍ.

فَمَثَلًا: تَقَابُلُ السَّمْعِ وَالصَّمَمِ يُسَمُّونَهُ تَقَابُلَ عَدَمٍ وَمَلَكَةٍ، وَإِذَا كَانَ تَقَابُلُ عَدَمٍ وَمَلَكَةٍ صَحَّ أَنْ يُقَالَ بَارْتِفَاعَهُمَا دُونَ اجْتِمَاعِهِمَا، فَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: هَذَا الشَّيْءُ لَيْسَ بِسَمِيعٍ وَلَا أَصَمٍّ، فَتَنْفِي عَنْهُ النَّقِیْضَيْنِ، أَوِ الضَّدَيْنِ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ قَابِلٍ، فَالسَّمْعُ وَالصَّمَمُ

(١) الْمَلَكَةُ: أَي الْجِبِلَّةُ وَالطَّبِيعَةُ، أَي: مِنْ جِبَلَتِهِ وَطَبِيعَتِهِ أَنْ يَكُونَ كَذَا.

بِالنَّسْبَةِ لِلْإِنْسَانِ الْقَابِلِ لِهَمَّا مِنْ بَابِ النَّقِیْضَيْنِ؛ لِأَنَّهُ لَا یُمْكِنُ ارْتِفَاعُهُمَا وَلَا اجْتِمَاعُهُمَا، أَيْ: لَا یُمْكِنُ أَنْ یَكُونَ الْإِنْسَانُ أَصَمَّ سَمِیعًا، وَلَا یُمْكِنُ إِلَّا یَكُونَ أَصَمَّ وَلَا سَمِیعًا؛ لِأَنَّهُ قَابِلٌ لِلسَّمْعِ وَالصَّمَمِ، وَقَابِلٌ لِلْبَصَرِ وَالْعَمَى، فَهُمَا بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ مُتَقَابِلَانِ تَقَابِلِ النَّقِیْضَيْنِ، لَكِنْ مِنْ بَابِ تَقَابُلِ الْعَدَمِ وَالْمَلَكَةِ.

وَتَقَابُلِ السَّلْبِ وَالْإِیْجَابِ - قِسْمٌ ثَالِثٌ - : أَيْ لَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ أَحَدِهِمَا عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ.

فَمِثَالُ ذَلِكَ: الْوُجُودُ وَالْعَدَمُ، وَهَذَا كُلُّ شَيْءٍ يَقْبَلُهُ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا مَوْجُودٌ، وَإِمَّا مَعْدُومٌ، لَا یُوجَدُ شَيْءٌ فِي الْوُجُودِ إِلَّا إِمَّا مَوْجُودٌ، وَإِمَّا مَعْدُومٌ، وَهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: إِنْ تَقَابَلَ الْوُجُودُ وَالْعَدَمُ تَقَابُلَ سَلْبٍ وَإِیْجَابٍ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ.

وَعَلَى هَذَا فَلَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ أَحَدِهِمَا، وَلَا یُمْكِنُ أَنْ یَجْتَمِعَا، وَلَا یُمْكِنُ أَنْ یَرْتَفِعَا، وَهُمْ یَقُولُونَ فِي اللَّهِ عَزَّجَلَّ: إِنَّهُ لَا یُقَالُ: مَوْجُودٌ وَلَا لَیْسَ بِمَوْجُودٍ. وَهُمْ لَوْ قَالُوا: إِنَّهُ لَا یُقَالُ: سَمِیعٌ وَلَا لَیْسَ بِسَمِیعٍ. لَكَانَ یُمْكِنُ أَنْ نَقْبَلَ دَعْوَاهُمْ، لَكِنَّ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ لَا یُمْكِنُ، فإِمَّا أَنْ یَكُونَ مَوْجُودًا، وَإِمَّا أَنْ یَكُونَ مَعْدُومًا.

فَالْقِسْمَةُ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ:

- ١ - إِمَّا أَنْ یَكُونَ مَوْجُودًا مَعْدُومًا، وَهَذَا لَا یَصِحُّ.
- ٢ - أَوْ لَا یَكُونَ مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا، وَهَذَا لَا یَصِحُّ.
- ٣ - أَوْ نَقُولُ: إِنَّهُ مَوْجُودٌ مَعْدُومٌ، وَهَذَا أَيْضًا لَا یَصِحُّ.

الْوَجْهَ الثَّانِي: أَنَّ قَوْلَهُمْ فِي الْجَمَادِ: «إِنَّهُ لَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَالْعَمَى وَالْبَصَرِ، وَالسَّمْعِ وَالصَّمَمِ، وَنَحْوَهَا يَمَّا يَكُونُ تَقَابُلُهُ تَقَابُلَ عَدَمٍ وَمَلَكَةٍ» قَوْلٌ اضْطِلَاحِيٌّ لَا يُغَيِّرُ الْحَقَائِقَ، مَرْدُودٌ بِمَا ثَبَتَ مِنْ جَعْلِ الْجَمَادِ حَيًّا، كَمَا جَعَلَ اللَّهُ عَصَا مُوسَى حَيَّةً تَلْقَفُ مَا صَنَعَهُ السَّحَرَةُ<sup>[١]</sup>، .....

[١] يَقُولُونَ: الْجَمَادُ لَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ. وَلِهَذَا يَصِحُّ أَنْ نَقُولَ: لَيْسَ حَيًّا وَلَا مَيِّتًا، وَلَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِالْعَمَى وَالْبَصَرِ، فَيَصِحُّ أَنْ نَقُولَ: لَيْسَ أَعْمَى وَلَا بَصِيرًا، وَلَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِالسَّمْعِ وَالصَّمَمِ، فَيَصِحُّ أَنْ نَقُولَ فِي الْجَمَادِ: لَيْسَ أَصَمًّا وَلَا سَمِيعًا، يَقُولُونَ: الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ كَذَلِكَ لَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، فَيَصِحُّ أَنْ نَقُولَ: لَا هَذَا وَلَا هَذَا، لَا يَصِحُّ أَنْ يَتَّصِفَ بِالْوُجُودِ وَلَا بِالْعَدَمِ، فَيَصِحُّ أَنْ نَقُولَ: لَيْسَ بِمَوْجُودٍ وَلَا مَعْدُومٍ.

وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: إِنَّ دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْجَمَادَ لَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِهَذَا، هَذِهِ دَعْوَى اضْطِلَاحِيَّةٌ لَا تُغَيِّرُ الْحَقَائِقَ.

وَلَوْ اضْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى أَنْ يُسَمُّوا الْحَمْرَ بِالشَّرَابِ اللَّذِيذِ، فَصَارَ كُلُّ مَنْ قَالَ: عِنْدَكَ شَرَابٌ لَذِيذٌ، أَيْ: عِنْدَكَ خَمْرٌ، فَهَذَا لَا يُغَيِّرُ حَقِيقَةَ الْحَمْرِ.

وَلَوْ أَنَّا سَلَّمْنَا أَنَّ الْحَقَائِقَ تُغَيِّرُهَا الْاضْطِلَاحَاتُ لَانْقَلَبَ الدِّينُ كُلُّهُ رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ، وَصَارَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْتِي بِاضْطِلَاحٍ يُثَبِّتُهُ عَلَى حَسَبِ اضْطِلَاحِهِ وَيَنْفِيهِ عَلَى حَسَبِ اضْطِلَاحِهِ، لَكِنَّ الْحَقَائِقَ تَبْقَى عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ.

وَنَحْنُ نُثَبِّتُ بِأَنَّ هَذِهِ الْجَمَادَاتِ يَصِحُّ أَنْ تُوصَفَ بِمَا نَقُولُ أَنَّ تُوصَفَ بِهِ، يَعْنِي: يَصِحُّ أَنْ تُوصَفَ بِالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ مَعَ أَنَّهَا جَمَادٌ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَهَادَ بِأَنَّهُ مَيِّتٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۖ وَهُمْ يُمْلَكُونَ ۖ﴾ (النحل: ٢٠-٢١)، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُحْدِثُ أَخْبَارَهَا، وَهُوَ مَا عَمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ سَمْعَهَا لِمَا قِيلَ، وَرُؤْيَاهَا لِمَا فَعِلَ<sup>[١]</sup>.

فَالْقَوْلُ الْأَصْطِلَاحِيُّ لَا يُغَيِّرُ الْحَقَائِقَ فِي الْوَاقِعِ، وَأَنْتُمْ إِذَا اضْطَلَحْتُمْ عَلَى أَنْكُمْ لَا تَصِفُونَ الْجَهَادَ بِالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ لَا يَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مُسَلِّمًا لَكُمْ، بَلْ نَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوصَفَ الْجَهَادُ بِالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: مَرْدُودٌ بِمَا ثَبَتَ مَنْ جَعَلَ الْجَهَادَ حَيًّا، كَمَا جَعَلَ عَصَا مُوسَى حَيَّةً تَلْقَفُ مَا صَنَعَهُ السَّحَرَةُ.

[١] قَوْلُهُ: «وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَهَادَ بِأَنَّهُ مَيِّتٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۖ وَهُمْ يُمْلَكُونَ ۖ﴾ (النحل: ٢٠-٢١) فَهَؤُلَاءِ يَدْعُونَ شَجَرًا وَحَجَرًا وَسَمَاءً وَشَمْسًا وَنُجُومًا وَقَمَرًا، فَهَذِهِ كُلُّهَا وَصَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهَا (أَمْوَاتٌ)، وَهِيَ بِمَا لَا يَقْبَلُ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ حَسَبَ اصْطِلَاحِهِمْ، لَكِنَّ اللَّهَ وَصَفَهَا: بِأَنَّهُمْ (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ)؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾: إِذَا جَعَلْنَا الْوَاوَ عَائِدَةً عَلَى الْمَعْبُودَاتِ وَإِنْ جَعَلْنَاهَا عَائِدَةً عَلَى الْعَابِدِينَ، فَلَمَعْنَى أَنْ هَؤُلَاءِ أَيْضًا جَهْلَةٌ بِمَا يُؤُولُونَ إِلَيْهِ وَيَبْعَثُونَ عَلَيْهِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَذَا مَجَازٌ؟

الْجَوَابُ: الْمَجَازُ مَرْفُوضٌ، وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ سَمَاءَهَا اللَّهُ (أَمْوَاتًا) فَهِيَ أَمْوَاتٌ، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ [البقرة: ٢٨]، وَهُمْ مَا حَلَّتْ فِيهِمُ الْحَيَاةُ.

فَنَحْنُ نَقُولُ: الْأَصْلُ عَدَمُ الْمَجَازِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَا مَجَازَ لَا فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي اللُّغَةِ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ أَنَّ الْمَجَازَ مَرْفُوعٌ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ؛ لِأَنَّ دَلَالَاتِ الْأَلْفَاظِ عَلَى مَعَانِيهَا تُعَيِّنُهَا السِّيَاقَاتُ وَالْأَحْوَالُ، أَيْ: تُعَيِّنُهَا قَرَائِنُ الْأَلْفَاظِ وَقَرَائِنُ الْأَحْوَالِ، وَإِذَا عَيَّنَتْهَا الْقَرَائِنُ اللَّفْظِيَّةُ أَوْ الْحَالِيَّةُ امْتَنَعَ أَنْ يُرَادَ بِهَا الْمَعْنَى الْمُجَرَّدَ عَنِ الْقَرَائِنِ، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ فِي مَوْضِعِهَا دَالَّةٌ عَلَى حَقِيقَةِ الْمَعْنَى، وَبِذَلِكَ نَسْلَمُ مِنْ كُلِّ الْإِيرَادَاتِ الَّتِي يُورِدُهَا بَعْضُ النَّاسِ فِي مَسْأَلَةِ الْمَجَازِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ فِي الْقُرْآنِ مَجَازًا.

فَنَقُولُ: إِنَّ أَبْرَزَ عِلَالِمَاتِ الْمَجَازِ أَنَّهُ يَصِحُّ نَفْيُهُ، وَهَلْ فِي الْقُرْآنِ مَا يَصِحُّ نَفْيُهُ؟

الْجَوَابُ: لَا، لَا يُوجَدُ فِي الْقُرْآنِ مَا يَصِحُّ نَفْيُهُ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدَّعِي الْمَجَازَ نَقُولُ لَهُ: هَذَا خِلَافُ الْأَصْلِ، وَمَنْ ادَّعَى خِلَافَ الْأَصْلِ فَعَلَيْهِ الدَّلِيلُ.

فَالْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، وَهَلْ تُحَدِّثُ عَنْ قَوْلٍ إِلَّا وَقَدْ سَمِعَتْهُ؟ وَهَلْ تُحَدِّثُ عَنْ فِعْلٍ إِلَّا وَقَدْ رَأَتْهُ؟

الْجَوَابُ: لَا يُمَكِّنُ، إِذَنْ هِيَ تَسْمَعُ وَتَرَى، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تُحَدِّثُ، تَقُولُ: فَعَلَ فُلَانٌ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا، وَكَذَلِكَ قَالَ: كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا. وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ لَهَا سَمْعٌ، وَأَنْ يَكُونَ لَهَا بَصَرٌ، وَهِيَ تَنْطِقُ، وَلَا يَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ لَهَا لِسَانٌ أَوْ شَفَتَانِ.

فَالْمَهْمُ أَنَّنَا نَقُولُ: قَوْلُكُمْ: إِنَّ الْجَمَادَ لَا يَقْبَلُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَالْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. هَذَا مَرْدُودٌ بِالْكِتَابِ، قَالَ تَعَالَى فِي الْمَعْبُودَاتِ: ﴿أَمُوتَ غَيْرَ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢١]،

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ الَّذِي يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِالْكَمَالِ أَكْمَلُ مِنَ الَّذِي لَا يَقْبَلُهُ، فَمَا يَقْبَلُ أَنْ يُوصَفَ بِالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَلَوْ كَانَ خَالِيًا مِنْهُ أَكْمَلُ مِمَّا لَا يَقْبَلُ ذَلِكَ، فَقَوْلُكُمْ: إِنَّ الرَّبَّ لَا يَقْبَلُ أَنْ يَتَّصِفَ بِذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ أَنْقَصَ مِنَ الْإِنْسَانِ الْقَابِلِ لِذَلِكَ حَيْثُ شَبَّهْتُمُوهُ بِالْجَمَادِ الَّذِي لَا يَقْبَلُهُ<sup>[١]</sup>.

وَهَذَا فِيهِ إِثْبَاتُ الْمَوْتِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، فِيهِ إِثْبَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلامِ.

وَقَوْلُكُمْ: إِنَّ الْجَمَادَ لَا يَكُونُ فِيهِ حَيَاةٌ. نَقُولُ: قَدْ يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ حَيَاةً حَقِيقَةً حَسِيَّةً، فَعَصَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَمَادٌ مَأْخُودٌ مِنْ شَجَرَةٍ، فَإِذَا رَفَعَهُ عَنِ الْأَرْضِ صَارَ عَصًا، وَإِنْ وَضَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ صَارَ حَيَّةً، وَلَمَّا وَضَعَهُ أَمَامَ سِحْرِ السَّحَرَةِ لَقِفَتْ كُلُّ مَا صَنَعُوا، فَالْتَقَمَتْ كُلُّ الْجِبَالِ وَالْعِصِيِّ وَهِيَ عَصَا، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

[١] الَّذِي يَقْبَلُ الْكَمَالِ أَكْمَلُ مِنَ الَّذِي لَا يَقْبَلُهُ، حَتَّى وَإِنْ خَلَا مِنَ الْكَمَالِ؛ لِأَنَّ كَوْنَهُ مُهِمًّا لِأَنَّهُ يَقْبَلُ الْكَمَالِ أَحْسَنَ وَأَعْلَى مِنْ كَوْنِهِ غَيْرَ مُهِمٍّ لِقَبُولِ الْكَمَالِ.

فَإِذَا قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِالسَّمْعِ وَالصَّمَمِ، وَالْجِدَارِ كَذَلِكَ.

قُلْنَا: إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّهُ لَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِهَذَا جَعَلْتُمْ اللَّهَ أَدْنَى رُتْبَةٍ مِنَ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِالسَّمْعِ وَالصَّمَمِ؛ لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَعْرِفُ أَنَّ الْجِدَارَ دُونَ الْإِنْسَانِ، حَتَّى شَبَّهَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ بِأَنْهُمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ، وَالْخَشَبُ لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ، فَشَبَّهُوا بِذَلِكَ تَنَقُّصًا لَهُمْ، فَأَنْتُمْ إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَالصَّمَمِ وَالْعَمَى. فَقَدْ جَعَلْتُمُوهُ أَنْقَصَ مِنَ الْإِنْسَانِ.

الْوَجْهَ الرَّابِعُ: أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَمْتَنِعُ انْتِفَاءُ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، فَاِنْتِفَاءُ عَدَمِ قَبُولِ ذَلِكَ أَشَدُّ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُمْ: إِنَّ الرَّبَّ لَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِالْوُجُودِ وَالْعَدَمِ مُسْتَلْزِمًا لِتَشْبِيهِهِ بِأَشَدِّ الْمُمْتَنِعَاتِ<sup>[١]</sup>.

فَإِذَا قَالُوا: بَلْ إِنَّ الْعَمَى فِيمَا يَقْبَلُ الْبَصَرَ نَقْصٌ!.

فالجواب: هَذَا صَحِيحٌ؛ لِأَنَّ الْأَعْمَى أَنْقَصُ مِنَ الْبَصِيرِ، لَكِنْ كَوْنُهُ قَابِلًا لِأَنَّهُ يَكُونُ بَصِيرًا: أَكْمَلُ مِنْ كَوْنِهِ غَيْرَ قَابِلٍ لِأَنَّهُ يَكُونُ بَصِيرًا؛ لِأَنَّ الْقَابِلَ لِلْكَمَالِ أَكْمَلُ مِمَّنْ لَا يَقْبَلُ الْكَمَالِ.

إِذَنْ: فَكَانَ أَدْنَى مَرْتَبَةٍ مِنَ الْجَمَادِ الَّذِي لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ عَلَى كَلَامِهِمْ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يُنَزِّهُوا اللَّهَ عَلَى زَعْمِهِمْ وَقَعُوا فِي أَشَدِّ مِمَّا فَرَّوْا مِنْهُ.

[١] الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ - إِنْ قُدِّرَ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مُمَكِّنٌ - أَعْظَمُ امْتِنَاعًا مِمَّا يَقْبَلُهُمَا إِذَا قُدِّرَ انْتِفَاؤُهُمَا، مَعَ أَنَّ انْتِفَاءَهُمَا مُمْتَنِعٌ، وَإِنْ قُدِّرَ فَإِنَّمَا يُقَدَّرُ فِي الْوَهْمِ فَقَطْ، أَمَّا أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً فَهَذَا مُسْتَحِيلٌ، وَقَدْ عَلِمَ امْتِنَاعُ انْتِفَائِهِمَا، فَاِنْتِفَاءُ قَبُولِهِمَا مِنْ بَابِ أَوَّلَى؛ لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ قَاعِدَةُ انْتِفَاءِ النَّقِیْضَيْنِ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ: أَنََّّهُمَا لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ، فَاِنْتِفَاءُ قَبُولِهِمَا أَعْظَمُ امْتِنَاعًا؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ جَمْعُ النَّقِیْضَيْنِ، وَهَذَا أَعْظَمُ امْتِنَاعًا؛ لِأَنَّ الْوُجُودَ شَيْءٌ ثَابِتٌ، وَالشُّبُوتُ أَعْظَمُ مِنَ الرَّفْعِ، وَالنَّفْيُ رَفْعٌ وَالرَّفْعُ أَسْهَلُ، لَكِنَّ الشُّبُوتَ أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ.

وَهُنَاكَ قَاعِدَةٌ فِي الْأُصُولِ هِيَ (الْبَرَاءَةُ الْأَصْلِيَّةُ)، وَأَنَّ الشَّيْءَ لَا يَثْبُتُ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ، فَإِذَا انْتَفَى الِازْتِفَاعُ فَالْقَبُولُ مِنْ بَابِ أَوَّلَى أَنْ يَكُونَ مُمْتَنِعًا، فَقَوْلُكُمْ: هَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْوُجُودُ الْوَاجِبُ وَهُوَ وُجُودُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَعْظَمَ الْمُمْتَنِعَاتِ.



وَالْمُهِمُّ: أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ تَصَوَّرَهُ لَقَالَ: كَيْفَ يَقُولُ هَذَا عَاقِلٌ، كَيْفَ يَدَّعِي مُدَّعٍ أَنَّهُ يَعْبُدُ مَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ وَلَا مَعْدُومٍ؟

وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ تَمْوِيهَا عَلَى الْعَامَّةِ، وَإِلَّا فَهُمْ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -؛ لِأَنَّ قَوْلَهُمْ هَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ وُجُودُ الْخَالِقِ أَعْظَمَ الْمُسْتَحِيلَاتِ، فَهُمْ يُمَوِّهُونَ عَلَى النَّاسِ، وَيَقُولُونَ: إِذَا قُلْتَ: مَوْجُودٌ. شَبَّهْتُهُ بِالْمَوْجُودَاتِ، وَإِذَا قُلْتَ: مَعْدُومٌ. شَبَّهْتُهُ بِالْمَعْدُومَاتِ. إِذَنْ: يَجِبُ أَنْ تَعْتَقِدَ بِأَنَّ اللَّهَ لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ!!.

وَهَذِهِ عِنْدَهُمْ عَقِيدَةٌ، كَمَا نَحْنُ نَعْتَقِدُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَوْجُودٌ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ، فَالَّذِي يَعْتَقِدُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ كَيْفَ يَكُونُ مُؤْمِنًا، وَلِذَلِكَ لَيْسَتْ هَذِهِ نَظَرِيَّاتٍ فَقَطْ، هَذِهِ عَقَائِدُ الطَّوَائِفِ الْأَرْبَعِ، وَكُلُّ مَا ذَكَرْنَا عَنْهُمْ فَهُوَ عَقِيدَتُهُمْ.

وَإِذَا تَدَبَّرَ الْإِنْسَانُ هَذِهِ الْمَقُولَاتِ مِنْ هَذِهِ الطَّوَائِفِ حَمَدَ اللَّهَ عَلَى نِعْمَتِهِ، أَنَّهُ جَعَلَهُ يَهْتَدِي لِأَسْهَلِ الْأَقْوَالِ وَأَقْبَلَهَا لِلْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا.

وَمَذْهَبُ السَّلَفِ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - بَيِّنٌ وَاضِحٌ جَلِيٌّ لَا يَحْتَاجُ لِنَعَبٍ وَلَا عَنَاءٍ، فَأَقْبَلُ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأُصَدِّقُ، وَأَقُولُ: سَمِعْنَا وَقَبِلْنَا. وَأَقْبَلُ مَا نَفَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ، وَأَقُولُ: سَمِعْنَا وَقَبِلْنَا.

وَأَحْذَرُ مِنْ أَنْ يَغْوِيَ الْإِنْسَانُ فِي بَابِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَيَغْوِصُ فِي بَحْرِ لَا يَلْحَقُ لَهُ قَاعٌ، وَيَدْخُلُ فِي أَمْرٍ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ مَنْ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُ حِرْصًا عَلَى الْعِلْمِ، وَأَقْوَى

مَحَبَّةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ أَصَابِعُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؟ وَلَا قَالُوا: كَيْفَ وَجْهُهُ؟ مُسْتَدِيرٌ أَمْ مُسْتَطِيلٌ؟ وَلَا قَالُوا: هَلِ اللَّهُ يَمَلُّ أَوْ مَا يَمَلُّ؟ بَلْ حَدَّثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِ«إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»<sup>(١)</sup>، وَسَكَتُوا وَلَمْ يَسْأَلُوا عَنِ الْمَلَلِ، وَهَلْ يَحْتَاجُ الْحَدِيثُ إِلَى تَحْرِيفٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؟

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وَلَا قَالَ الصَّحَابَةُ: كَيْفَ تَكُونُ مَعِيَّةُ اللَّهِ؟ وَكَيْفَ الْعُلُو؟ وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ هَذَا وَهَذَا؟ قَالُوا: نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَعَنَا وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُمِائِلُهُ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، مَا قَالُوا: كَيْفَ الْيَدَانِ؟ كَيْفَ بَسَطَهُنَّ؟ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ بِيَدِهِ؟ هَلْ صَنَعَ الْبِنَاءَ؟ أَوْ صَنَعَ كَمَا يَصْنَعُ النَّجَّارُ؟

كُلُّ هَذِهِ الْمَسَائِلِ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَكْفَى عَنْهَا؛ لِأَنَّهُ إِذَا دَخَلَ فِيهَا لَزِمَهُ أَحَدُ أَمْرَيْنِ:

١- إِمَّا التَّعْطِيلُ. ٢- وَإِمَّا التَّمْثِيلُ.

فإِمَّا أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ مِثْلَ الْخَلْقِ، وَحِينَئِذٍ يُعْطَلُ، وَإِمَّا أَنْ يُثَبَّتَ وَيُلْزِمُهُ -بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْإِيمَانِ- بِالْإِثْبَاتِ لَكِنْ عَلَى وَجْهِ مَا لِلْمَخْلُوقِ؛ فَيَمْتَلُ! لَكِنْ إِذَا كَفَّ وَأَعْرَضَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، رقم (٤٣)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم، رقم (٧٨٥).

وَقَرَأَ مَا آتَتْهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، وَقَرَأَ فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، و﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، سَلِمَ، وَهَذَا قَالَ الرَّازِي - وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ -: اقْرَأْ فِي الْإِثْبَاتِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَاقْرَأْ فِي النَّفْيِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجَرُّبِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي، وَهُوَ رَجُلٌ أَذْهَبَ عُمُرُهُ لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ فِي هَذَا الْفَنِّ، وَهُوَ رَجُلٌ ذَكِيٌّ مَعْرُوفٌ، وَمَعَ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى عَقِيدَةِ الْعَجُوزِ.

وَلِذَلِكَ أَنَا أَوْكِّدُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُسَلِّمَ عَقِيدَتَهُ مِنْ هَذِهِ التَّقْدِيرَاتِ، وَإِذَا شِئْتُمْ الْغَوْصَ فَنُغْوِصُوا فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي لِلرَّأْيِ فِيهَا مَجَالٌ، وَلِلْاجْتِهَادِ فِيهَا مُنْطَلَقٌ، فَهَذِهِ غَوْصُوا فِيهَا، عَلَى أَنَّ بَعْضَ السَّلَفِ نَهَى عَنْ هَذَا الشَّيْءِ وَقَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ»<sup>(١)</sup>، فَإِنْ وَقَعَتِ الْحَادِثَةُ فَاسْأَلِ عَنْهَا، وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهَا فَرْجًا، وَإِنْ لَمْ تَقَعْ فَدَعِ الْأَغْلُوطَاتِ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي (بَيَانِ الْعِلْمِ)، لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ فَالْغَوْصُ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَفَرَضِ الْمَسَائِلِ وَلَوْ كَانَتْ بَعِيدَةً الْوُقُوعِ: فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ يُمَكِّنُ فِيهِ الْقِيَاسُ وَالْاجْتِهَادُ.

وَأَنَا أَجْزِمُ أَنَّهُ مَا ابْتُلِيَ أَحَدٌ بِمِثْلِ هَذِهِ الْبَلَوَى؛ إِلَّا نَقَصَ مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ، وَلَيْقَسْ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِي هَذَا الشَّأْنِ، وَنَفْسُهُ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ، تَجِدُ أَنَّهُ فِي الْأَوَّلِ إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ وَجَلَ قَلْبُهُ وَاقْشَعَرَ جِلْدُهُ، لَكِنْ لَا يَجِدُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ.

فَالْعَامِّيُّ إِذَا جَاءَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى تَجِدُهُ يَوْجَلُ وَيَرْتَعِدُ، وَالْإِنْسَانُ الْمُبْتَلَى بِمَثَلِ هَذِهِ الْأُمُورِ وَالْمُنَاقَشَاتِ فِيهَا تَجِدُهُ يُفَكِّرُ فِي الصِّفَةِ كَيْفَ كَيْفِيَّتِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «يَقْبِضُ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ وَالْأَرْضَ بِيَدِهِ الْأُخْرَى ثُمَّ يَهْزُئُ»، فَالْعَامِّيُّ تَجِدُهُ يَوْجَلُ وَيَجِدُ مِنْ تَعَظِيمِ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ الشَّيْءَ الْعَظِيمَ، أَمَّا هَذَا فَتَجِدُهُ يَقُولُ: وَكَيْفَ يَقْبِضُ؟ وَبِأَيِّ أَصْبَحَ قَبْضُ؟ بِالْإِبْهَامِ أَمْ بِالْوُسْطَى...؟ إلخ.

فَأَقُولُ: انْتَرَكُوا هَذِهِ التَّقْدِيرَاتِ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى السَّلَامَةِ، وَنَحْنُ -يَعْلَمُ اللَّهُ- لَوْلَا أَنَّ هَذَا مَوْجُودٌ فِي كُتُبِ السَّابِقِينَ، وَالْبَحْثُ مَعَ هَذِهِ الطَّوَائِفِ، لَكَانَ الْإِعْرَاضُ عَنْهُ أَوَّلَى، وَلَوْلَا أَنَّهُ بَدَأَ يَدُبُّ عِنْدَنَا مِثْلَ هَذِهِ الْأَرَءَاءِ، فَيُلْقِيهَا أَنْاسٌ مَا دَرَسُوا إِلَّا مَذَاهِبَ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقَةِ السَّلَفِيَّةِ، وَصَارُوا يَأْتُونَ بِهَا وَيَنْفُثُونَهَا فِي شَبَابِنَا، لِذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ نُبَيِّنَ، فَقَدْ كَثَرَ هَؤُلَاءِ وَكَثَرَ تَلْيِيسُهُمْ وَكَثَرَ الشَّبَابُ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ مِنْهُمْ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ صِرَاعٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَنَا اسْتِعْدَادٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وَقُوَّةُ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ، فَالْجِهَادُ بِالسَّلَاحِ قُوَّتُهُ إِعْدَادُ السَّلَاحِ، وَالْجِهَادُ بِالْعِلْمِ قُوَّتُهُ إِعْدَادُ الْعِلْمِ.

مَسْأَلَةٌ: الاجْتِهَادُ الَّذِي يَعْذُرُ فِيهِ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ قَابِلٌ لِلِاجْتِهَادِ، أَمَّا شَيْءٌ لَا يَقْبَلُ فَلَا. وَالْقَاعِدَةُ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ لَمْ تَبْلُغْهُ الْحُجَّةُ فَاحْكُمْ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ، فَمَثَلًا لَوْ هُنَاكَ كُفَّارٌ فِي أَقْصَى الدُّنْيَا لَمْ يَبْلُغْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ شَيْءٌ، بَلْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَى دِينٍ، وَمَشَوْا عَلَيْهِ، هَؤُلَاءِ نَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِالْكَفْرِ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُمْ عَلَى مِلَّةٍ كُفْرٍ، لَكِنْ فِي الْآخِرَةِ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ.

فَالْجَهْمِيَّةُ: كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ كَفَرُوا، وَالْمَسْأَلَةُ دَائِرَةٌ عَلَى بُلُوغِ الْحُجَّةِ، فَإِذَا بَلَغَتْ

الْحُجَّةُ عَلَى وَجْهِ يَفْهَمُهُ، وَقَالَ: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ، فَقَدْ كَفَرُوا إِذَا كَانَتْ الْبِدْعَةُ مِمَّا يَكْفُرُ، وَالْأَشَاعِرَةُ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَفَرَهُمْ أَبَدًا.

وَيَكْفِي أَنَّهُ إِذَا بَلَغَهُمْ أَنَّ هُمْ رَسُولًا وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْبَحْثُ عَنْ هَذَا الرَّسُولِ، كَمَا أَنَّهُ لَوْ قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ هُنَاكَ بَرُّوْلًا فِي الْمَكَانِ الْفُلَانِي، وَهُمْ طُلَّابٌ فَسَيَبْحَثُونَ عَنْهُ.

أَمَّا إِنْ كَانَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ رَسُولًا مَبْعُوثًا لِلْخُلُقِ أَجْمَعِينَ، وَإِنَّمَا يَسْمَعُ أَنَّ هُنَاكَ رَسُولًا مَبْعُوثًا لِلْعَرَبِ - لِأَنَّ النَّصَارَى يَدْعُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولٌ لِلْعَرَبِ فَقَطْ -، فَهَؤُلَاءِ مَا بَلَغَتْهُمْ الْحُجَّةُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ تَبْلُغْهُمْ الْحُجَّةُ عَلَى وَجْهِ صَحِيحٍ، فَيَكُونُ حُكْمُهُمُ الْكُفْرُ فِي الدُّنْيَا، وَنُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ الْكَافِرِينَ، وَلَا نَدْعُو لَهُمْ بِالرَّحْمَةِ، وَلَا نُوَالِيَهُمْ، وَفِي الْآخِرَةِ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ.

وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: أَلَيْسَ النَّبِيُّ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ أَبِيهِ فَقَالَ: «أَبُوكَ فِي النَّارِ»، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ وَقَالَ: «أَبِي وَأَبُوكَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

قُلْنَا: بَلَى؛ فَمَا نَصَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ فِي النَّارِ فَهُوَ فِي النَّارِ، أَمَّا الْحَدِيثُ: «مَا مَرَرْتُ بِقَبْرِ قُرَيْشِي أَوْ عَامِرِي فَبَشَرُهُ بِالنَّارِ»<sup>(٢)</sup>، فَهُوَ ضَعِيفٌ، وَإِذَا كَانَ ضَعِيفًا فَإِنَّهُ لَا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ، وَلِذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ نَشْهَدَ عَلَى كُلِّ أَهْلِ الْفِتْرَةِ بِأَنَّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ نَصَّ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة، رقم (٢٠٣).

(٢) المستدرک علی الصحیحین (٤ / ٥٦٢).

## فصل

عُلِمَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الطَّوَائِفِ الْأَرْبَعِ وَاقِعُونَ فِي مَحَاذِيرِ:  
 الْأَوَّلِ: مُخَالَفَةِ طَرِيقِ السَّلَفِ.  
 الثَّانِي: تَعْطِيلُ النُّصُوصِ عَنِ الْمُرَادِ بِهَا.  
 الثَّلَاثُ: تَحْرِيفُهَا إِلَى مَعَانٍ غَيْرِ مُرَادَةٍ بِهَا.  
 الرَّابِعُ: تَعْطِيلُ اللَّهِ عَنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا هَذِهِ النُّصُوصُ.  
 الْخَامِسُ: وَصْفُ اللَّهِ تَعَالَى بِالنَّقَائِصِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ صِفَةٍ،  
 فَإِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَمَالِ خَلَفَتْهَا صِفَةُ النَّقْصِ.  
 السَّادِسُ: تَنَاقُضُ طَرِيقَتِهِمْ فِيمَا أَثْبَتُوهُ وَفِيمَا نَفَوْهُ.  
 وَهَذَا فِي غَيْرِ الطَّائِفَةِ الرَّابِعَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تُثَبِّتُ شَيْئًا<sup>(١)</sup>.

[١] الْمُعْطَلَةُ انْقَسَمُوا إِلَى أَرْبَعِ طَوَائِفَ، وَهُمْ وَاقِعُونَ فِي نَظِيرِ مَا فَرَّوْا مِنْهُ مِنَ التَّشْبِيهِ عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِمْ، مِثَالُ ذَلِكَ: الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْيَدِ الْقُوَّةُ أَوِ النِّعْمَةُ.  
 وَسَبَقَ أَنَّا قُلْنَا لَهُمْ: إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْقُوَّةُ. فَقَدْ وَقَعْتُمْ فِي التَّشْبِيهِ عَلَى قِيَاسِ قَوْلِكُمْ؛ لِأَنَّ لِلْمَخْلُوقِ قُوَّةً أَيْضًا، فَانْتُمُ سَبَّهْتُمْ الْخَالِقَ بِالْمَخْلُوقِ بِإِثْبَاتِ الْقُوَّةِ لَهُ؛ لِأَنَّ الَّذِي فَهَمْنَا مِنْكُمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً لِلْمَخْلُوقِ مِنْهَا مِثْلَهَا فَهُوَ مُشَبَّهٌ عِنْدَكُمْ.

فَهُمْ وَقَعُوا فِي نَظِيرِ مَا فَرَّوْا مِنْهُ، وَلَمْ يَسْلَمُوا مِنَ التَّشْبِيهِ عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِمْ.

وَإِذَا فَسَّرُوا الرَّحْمَةَ بِإِرَادَةِ الْإِحْسَانِ، قُلْنَا: وَقَعْتُمْ فِي التَّشْبِيهِ؛ لِأَنَّ لِلْمَخْلُوقِ إِرَادَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، فَأَنْتُمْ لَمْ تَسْلَمُوا مِنَ التَّشْبِيهِ عَلَى قَاعِدَتِكُمْ، بَلْ وَقَعْتُمْ فِي نَظِيرِ مَا فَرَزْتُمْ مِنْهُ، وَلَوْ أَثَبَّتُ لِلَّهِ رَحْمَةً تَلِيْقُ بِهِ سَلَمْتُمْ.

كَذَلِكَ أَيْضًا مَعَ الْجِنَايَةِ عَلَى النُّصُوصِ بِتَحْرِيفِهَا وَتَعْطِيلِهَا عَنِ الْمُرَادِ بِهَا، أَيْ أَضَافُوا إِلَى وَقُوعِهِمْ فِي التَّشْبِيهِ، أَنَّهُمْ جَنَوْا عَلَى النُّصُوصِ بِتَحْرِيفِهَا عَنِ مَعْنَاهَا الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ، وَتَعْطِيلِهَا عَنْهُ، فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، يَقُولُونَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ: جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ.

إِذَنْ: حَرَفُوا النَّصَّ عَنْ مَعْنَاهُ، أَيْ صَرَفُوهُ مِنَ الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ إِلَى مَعْنَى أَخْذُوهُ هُمْ، ثُمَّ عَطَّلُوا مَذْلُولَهُ، فَمَذْلُولُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾: أَنَّ اللَّهَ جَاءَ بِنَفْسِهِ، وَهُمْ عَطَّلُوا هَذَا الْمَعْنَى، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَجِيءَ بِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّ الْحَوَادِثَ لَا تَقُومُ - عَلَى زَعْمِهِمْ - إِلَّا بِحَادِثٍ، وَالْمَجِيءُ حَادِثٌ فَيَلْزَمُ إِذَا اتَّصَفَ بِهِ الْخَالِقُ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقَ حَادِثًا.

إِذَنْ: وَقَعُوا فِي مَحْذُورَيْنِ:

المَحْذُورُ الْأَوَّلُ: التَّشْبِيهُ عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِمْ.

وَالْمَحْذُورُ الثَّانِي: الْجِنَايَةُ عَلَى النُّصُوصِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: تَحْرِيفُهَا عَنِ الْمُرَادِ بِهَا.

الْوَجْهُ الثَّانِي: تَعْطِيلُهَا عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ.

فَنَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ<sup>[١]</sup>:

[١] قَوْلُنَا: فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ، أَي: إِذَا كُنَّا نَخَاطِبُهُ بِالصِّفَةِ الَّتِي أَثْبَتَهَا.

مِثَالُ ذَلِكَ: الْوَجْهُ، يَقُولُونَ: الْمَرَادُ بِالْوَجْهِ: الذَّاتُ، وَلَا وَجْهَ لِلَّهِ.

نَقُولُ: وَأَنْتُمْ إِذَا أَثَبْتُمْ ذَاتًا؛ فَقَدْ وَقَعْتُمْ فِي التَّشْبِيهِ -عَلَى قِيَاسِ قَوْلِكُمْ- لِأَنَّ لِلْمَخْلُوقَاتِ ذَوَاتًا، وَعَلَى هَذَا فَيَلْزَمُكُمْ فِيمَا أَثَبْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مُشَبَّهِينَ.

فَقَوْلُنَا: «فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ»: أَيِ إِذَا خَاطَبْنَاهُ فِيمَا يُثْبِتُهُ مِنَ الصِّفَاتِ، نَقُولُ: يَلْزَمُكَ مِنَ التَّشْبِيهِ فِيمَا أَثَبْتَ نَظِيرَ مَا يَلْزَمُكَ فِيمَا نَفَيْتَ، فَإِمَّا أَنْ تَنْفِي مَا أَثَبْتَ، وَإِمَّا أَنْ تَتَنَاقَضَ.

فَنَقُولُ: عَلَى قِيَاسِ قَوْلِكَ؛ يَجِبُ أَنْ تَنْفِي مَا أَثَبْتَ، أَمَّا أَنْ تُثَبِتَ هَذَا وَتَنْفِي نَظِيرَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّنَاقُضِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّنَاقُضَ بَاطِلٌ.

وَقَوْلُنَا: «فِي جَانِبِ النِّفْيِ»: أَيِ إِذَا خَاطَبْنَاهُ فِيمَا يَنْفِيهِ، نَقُولُ: يَلْزَمُكَ مِنْ مَنَعَ التَّشْبِيهِ فِيمَا نَفَيْتَ نَظِيرَ مَا يَلْزَمُكَ فِيمَا أَثَبْتَ.

مَثَلًا: هُوَ يَنْفِي أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ يَدٌ، وَيُثَبِتُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ قُوَّةٌ، وَيَقُولُ: أَنَا أَثَبْتُ قُوَّةً لَا تُشَبَّهُ قُوَّةَ الْمَخْلُوقِينَ.

نَقُولُ لَهُ: يَلْزَمُكَ فِيمَا نَفَيْتَ -وَهِيَ الْيَدُ- مِنْ مَنَعَ التَّشْبِيهِ مَا يَلْزَمُكَ فِيمَا أَثَبْتَ مِنْ مَنَعَ التَّشْبِيهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ يَقُولُ: أَنَا أَثَبْتُ الْقُوَّةَ بِلَا تَشْبِيهِ، فَنَقُولُ: يَلْزَمُكَ أَنْ تُثَبِتَ الْيَدَ بِلَا تَشْبِيهِ.

فَالَّذِي نَفَى حَقِيقَةَ الْيَدِ، وَأَثَبْتَ الْقُوَّةَ، عِنْدَهُ إِثْبَاتٌ وَنَفْيٌ:



■ النَّفْيُ: الْيَدُ الْحَقِيقِيَّةُ.

■ الْإِثْبَاتُ: الْقُوَّةُ.

وَفِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ نَقُولُ: أَنْتَ أَثْبَتَ الْقُوَّةَ، وَقُلْتَ: أَثْبَتُ لِلَّهِ قُوَّةً بِلَا تَشْبِيهِ. فَتَقُولُ: يَلْزَمُكَ عَلَى قَاعِدَتِكَ أَنْ تَكُونَ مُشَبَّهًا؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَهُ قُوَّةٌ. فَهَذَا نَفْيُ الْيَدِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَنَقُولُ: مَا نَفَيْتُهُ مِنَ الْيَدِ الْحَقِيقِيَّةِ يَلْزَمُكَ أَنْ تُثْبِتَهُ مَعَ مَنَعِ التَّشْبِيهِ، كَمَا أَثْبَتَ الْقُوَّةَ مَعَ مَنَعِ التَّشْبِيهِ.

فَالْمِهِمُّ: أَنَّ كُلَّ النَّافِينَ لِلصِّفَاتِ هُمْ يَنْفَوْنَ شَيْئًا وَيُثْبِتُونَ آخَرَ، فَتَقُولُ: فِي جَانِبِ مَا نَفَوُ: يَلْزَمُكَ مِنْ إِثْبَاتِهِ مَعَ مَنَعِ التَّشْبِيهِ مِثْلًا يَلْزَمُكَ فِي إِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ.

وَفِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ نَقُولُ: يَلْزَمُكَ فِي إِثْبَاتِكَ أَنْ تَكُونَ مُشَبَّهًا؛ لِأَنَّ هَذِهِ قَاعِدَتُكَ: أَنَّ أَيْ صِفَةٍ يَكُونُ لِلْمَخْلُوقِ مِثْلَهَا فَلَا تُثْبِتُ لِلْخَالِقِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهِ.

أَمَّا عَنْ تَحْرِيفِهَا إِلَى مَعَانٍ غَيْرِ مُرَادِهَا فَلَا نُنَا نَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُرِدْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَسْتَوِيَ عَلَى الْعَرْشِ﴾ اسْتَوَى عَلَيْهِ، نَعْلَمُ هَذَا بِمُقْتَضَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَالْقُرْآنُ نَزَلَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَإِذَا عَطَلْنَا صِفَاتِ الْكَمَالِ لَزِمَ ثُبُوتُ صِفَاتِ النِّقْصِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ صِفَةٌ: فَإِمَّا كَمَالٌ، وَإِمَّا نَقْصٌ، فَإِذَا انْتَفَى الْكَمَالُ؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقْبَلٌ بِالنِّقْصِ.

أَثَبْتُ مَا نَفَيْتَ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، كَمَا أَثَبْتُ مَا أَثَبْتَ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ<sup>[١]</sup>.  
وَنَقُولُ لَهُ فِي جَانِبِ النَّفْيِ: اِنْفِ مَا أَثَبْتَ خَوْفًا مِنَ التَّشْبِيهِ، كَمَا نَفَيْتَ مَا  
نَفَيْتَ خَوْفًا مِنَ التَّشْبِيهِ، وَإِلَّا كُنْتَ مُتَنَاقِضًا<sup>[٢]</sup>.

[١] وَاضِحٌ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى الْأَشَاعِرَةِ، وَالْأَشَاعِرَةُ يُشْتَبُونَ لِلَّهِ تَعَالَى سَبْعَ صِفَاتٍ:  
الْحَيَاةَ، وَالْعِلْمَ، وَالْقُدْرَةَ، وَالسَّمْعَ، وَالْبَصَرَ، وَالْإِرَادَةَ، وَالْكَلَامَ.

وَالْبَاقِي يَنْفَوُهُ وَلَا يَصِفُونَ اللَّهَ بِهِ، فَتَقُولُ: أَثَبْتُ مَا نَفَيْتَ بِلَا تَشْبِيهِ، كَمَا أَثَبْتُ  
مَا أَثَبْتُ بِلَا تَشْبِيهِ، وَتَقُولُ: أَنْتَ أَثَبْتَ الْإِرَادَةَ، وَقُلْتَ: إِنَّهَا لَا تَشْبِيهِ إِرَادَةَ الْمَخْلُوقِينَ.  
وَأَثَبْتَ الرَّحْمَةَ، وَقُلْتَ: إِنَّهَا لَا تُشْبِيهِ رَحْمَةَ الْمَخْلُوقِينَ. هَذَا فِي جَانِبِ إِبْثَاتِ مَا نَفَوُهُ،  
نَقُولُ: يَجِبُ أَنْ تُثَبِّتُوا مَا نَفَيْتُمْ بِلَا تَشْبِيهِ، كَمَا أَثَبْتُمْ مَا أَثَبْتُمْ بِلَا تَشْبِيهِ، وَهَذَا إِلْزَامٌ  
لَا نَحِيدُ عَنْهُ.

[٢] فِيهِ جَانِبِ النَّفْيِ إِذَا قَالُوا: إِنَّهُمْ يَنْفَوْنَ الرَّحْمَةَ. نَقُولُ: إِذَنْ اِنْفِ الْإِرَادَةَ؛  
لَأَنَّ نَفْيَكَ لِلرَّحْمَةِ خَوْفًا مِنَ التَّشْبِيهِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَنْفِيَ الْإِرَادَةَ خَوْفًا مِنَ التَّشْبِيهِ، وَنَحْنُ  
نَقُولُ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِلْزَامِ لَا عَلَى سَبِيلِ أَنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ أَنْ تُثَبِّتَ مَا  
أَثَبْتَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ، وَنَنْفِيَ مَا نَفَاهُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ، لَكِنْ مِنْ بَابِ الْإِلْزَامِ نَقُولُ لَهُ:  
اِنْفِ مَا أَثَبْتَ خَوْفًا مِنَ التَّشْبِيهِ، كَمَا نَفَيْتَ مَا نَفَيْتَ خَوْفًا مِنَ التَّشْبِيهِ.

فَإِنْ قِيلَ: مَاذَا نَقُولُ لَهُؤَلَاءِ الْمُعْطَلَّةُ فِي جَانِبِ الْإِبْثَاتِ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَحَاجَّهُمْ فِيهَا  
أَثَبْتُوهُ؟

قُلْنَا: أَثَبْتُوا مَا نَفَيْتُمْ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، كَمَا أَنَّكُمْ أَثَبْتُمْ مَا أَثَبْتُمْ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ. فَهُمْ  
يَقُولُونَ: اللَّهُ سَمِعَ لَا كَسَمِعِ الْمَخْلُوقِينَ. إِذَنْ قُولُوا: اللَّهُ رَحْمَةٌ لَا كَرَحْمَةِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَالْقَوْلُ الْفَضْلُ الْمَطْرُودُ السَّالِمُ مِنَ التَّنَاقُضِ مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَائْتِمَتِهَا مِنْ إِبْتَاتٍ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، إِبْتَاتًا بِلا تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهًا بِلا تَعْطِيلٍ، وَإِجْرَاءِ النُّصُوصِ عَلَى ظَاهِرِهَا عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ<sup>[١]</sup>.....

والمحاجة هذه إنما هي من باب الإلزام، ولا نقول: انفوا ما نفيتُمْ لأنَّ نَجَادِهِمْ بِالْإِبْتَاتِ، لكن من باب الإلزام، نقول: يلزمكم أن تنفوا ما أثبتُّم خوفًا من التشبيه، كما أنكم نفيتُم ما نفيتُم خوفًا من التشبيه، وإلا كنتم متناقضين.

[١] هذا هو القول الحق؛ أي: الفاصل بين الحق والباطل، فالمفترض السالم من التناقض، أننا ثبت ما أثبتَّه الله تعالى لنفسه، ونفي ما نفى الله عن نفسه.

فمثلاً نقرأ في الإِثْبَاتِ قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ونقرأ في النفي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

ونقول: استوى استواء لا يُماثل استواء المخلوقين؛ لأنَّ هذه هي النتيجة من قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، أن نُثَبِتَ استواء لا يُماثل استواء المخلوقين.

واليد في قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، النتيجة: أثبتُّ يدًا لا تُماثل يد المخلوقين. فإذا فعلت ذلك جمعت بين النصوص، وسلمت من التناقض، وكنت متأدبًا مع الله ورَسُولِهِ.

بقي قسم ثالث، فيما سكَّت الله تعالى عنه مما تنازع فيه الناس، وسيأتي الكلام عليه، وهو الجسم والحيز والجهة، هل ثبتها لله تعالى أو نفىها عنه، سيأتي إن شاء الله هذا.

مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ<sup>[١]</sup>، وَلَا تَعْطِيلٍ<sup>[٢]</sup>، .....

فَصَارَ قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ لَيْسَ مُتَنَاقِضًا إِذَا قَالُوا: نَحْنُ نُبْتُ لِلَّهِ كُلَّ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الصِّفَاتِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَ أَثْبَتُمْ هَذَا؟ فَالْجَوَابُ: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ وَنَفَى مَا نَفَاهُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ، كَالظُّلْمِ وَالتَّعَبِ وَالْإِعْيَاءِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: لِمَ نَفَيْتُمْ هَذَا عَنِ اللَّهِ؟ قُلْنَا: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ. فَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مُضْطَرَّةٌ وَلَيْسَ فِيهَا أَيُّ تَنَاقُضٍ.

[١] التَّحْرِيفُ هُوَ: التَّغْيِيرُ، وَهُوَ إِمَّا فِي اللَّفْظِ، وَإِمَّا فِي الْمَعْنَى، وَإِمَّا فِيهِمَا جَمِيعًا، فَالَّذِي يَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وَيَقُولُ: اسْتَوَى بِمَعْنَى: اسْتَوَى، فَهَذَا مُحَرَّفٌ تَحْرِيفًا مَعْنَوِيًّا؛ لِأَنَّهُ صَرَفَ الْمَعْنَى عَنِ الْمُرَادِ بِهِ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ، وَالتَّحْرِيفُ اللَّفْظِيُّ أَنْ يُغَيَّرَ اللَّفْظُ، فَتَارَةً يُغَيَّرُ اللَّفْظُ وَيَتَغَيَّرُ بِهِ الْمَعْنَى، وَتَارَةً يُغَيَّرُ اللَّفْظُ وَلَا يَتَغَيَّرُ بِهِ الْمَعْنَى.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» هَذَا صَحِيحٌ لَفْظًا وَالْمَعْنَى لَا يَخْتَلِفُ، وَإِذَا قَالَ: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ»، فَهَذَا تَحْرِيفٌ لَفْظِيٌّ مَعْنَوِيٌّ، فَكُلُّ أَنْوَاعِ التَّحْرِيفِ مُحَرَّمَةٌ، فَيَجِبُ أَنْ يُقْرَأَ الْقُرْآنُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَبْقَى مَعْنَاهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

إِذَنْ: التَّحْرِيفُ لَفْظِيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ، وَاللَّفْظِيُّ قَدْ يَتَغَيَّرُ بِهِ الْمَعْنَى، وَقَدْ لَا يَتَغَيَّرُ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَلَا تَعْطِيلٌ»: أَي: أَنْ يُحَلَّى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِهِ، فَمَثَلًا: الْمُعْتَزِلَةُ عَطَّلُوا

تَعْطِيلًا كَامِلًا وَنَفَوْا جَمِيعَ الصِّفَاتِ، أَمَّا الْأَشْعَرِيَّةُ فَنَفَوْا وَعَطَّلُوا تَعْطِيلًا جُزْئِيًّا، لَمْ يُعْطَلُوا جَمِيعَ النُّصُوصِ بَلْ بَعْضُهَا.

وَلَا تَكْثِيفٍ<sup>[١]</sup>، وَلَا تَمْثِيلٍ<sup>[٢]</sup>.

وَيَتَبَيَّنُ هَذَا بِأَصْلَيْنِ، وَمَثَلَيْنِ، وَخَاتِمَةٍ:

فَأَمَّا الْأَصْلَانِ:

فَأَحَدُهُمَا: أَنْ يُقَالَ لِمَنْ يُثَبِّتُ بَعْضَ الصِّفَاتِ دُونَ بَعْضٍ كَالْأَشَاعِرَةِ: «الْقَوْلُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي بَعْضٍ»، أَيْ إِنَّ مَنْ أَثَبَّتَ شَيْئًا مِمَّا أَثَبَّتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ مِنْ الصِّفَاتِ أُلْزِمَ بِإثباتِ الْبَاقِي، وَمَنْ نَفَى شَيْئًا مِنْهُ أُلْزِمَ بِنَفْيِ مَا أَثَبَّتَهُ وَإِلَّا كَانَ مُتَنَاقِضًا<sup>[٣]</sup>.

[١] وَقَوْلُهُ: «وَلَا تَكْثِيفٍ»: ذِكْرُ كَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ، بِأَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: كَيْفِيَّةٌ وَجْهِ اللَّهِ

كَذَا وَكَذَا.

وَهَذَا حَرَامٌ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ مَالِكًا رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ». فَمَا أَحَدٌ يَعْقِلُ الْكَيْفَ، أَيْ يُدْرِكُهُ بِعَقْلِهِ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَلَا تَمْثِيلٍ»: أَنْ يُثَبِّتَ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَكِنْ يَجْعَلُهَا مُمَازِلَةً لِصِفَاتِ

الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا صَنَعَ أَهْلُ التَّمْثِيلِ.

[٣] هُوَ لَا هُمْ الْأَشَاعِرَةُ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ، يُثَبِّتُونَ بَعْضَ الصِّفَاتِ دُونَ بَعْضٍ،

وَسَبَقَ لَنَا أَنَّهُمْ يُثَبِّتُونَ مِنَ الصِّفَاتِ سَبْعًا، وَيُنْكِرُونَ الْبَاقِي وَيُؤْوِلُونَهَا، وَهُمْ لَا يُنْكِرُونَهَا  
إِنْكَارَ تَكْذِيبٍ، وَلَوْ أَنْكَرُوهَا إِنْكَارَ تَكْذِيبٍ لَكَانُوا كُفَّارًا لِأَنَّهُمْ مُكَذِّبُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ،  
لَكِنَّهُمْ يُنْكِرُونَهَا إِنْكَارَ تَأْوِيلٍ، فِيمَا أَنْ يُعْذَرُوا بِتَأْوِيلِهِمْ، وَإِمَّا أَنْ لَا يُعْذَرُوا، لَكِنْ لَيْسَ  
الْمُكَذِّبُ كَالْمُؤْوِلِ.

١ - مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ يُثْبِتُ لِلَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةَ الْإِرَادَةِ، وَيَنْفِي حَقِيقَةَ الْغَضَبِ وَيُفَسِّرُهُ: إِمَّا بِإِرَادَةِ الْإِنْتِقَامِ، وَإِمَّا بِالْإِنْتِقَامِ نَفْسِهِ<sup>[١]</sup>.

فَيَقَالُ لَهُ: لَا فَرْقَ بَيْنَ مَا أَثْبَتَهُ مِنْ حَقِيقَةِ الْإِرَادَةِ وَمَا نَفَيْتَهُ مِنْ حَقِيقَةِ الْغَضَبِ، فَإِنْ كَانَ إِثْبَاتُ حَقِيقَةِ الْغَضَبِ يَسْتَلْزِمُ التَّمْثِيلَ، فَإِثْبَاتُ حَقِيقَةِ الْإِرَادَةِ يَسْتَلْزِمُهُ أَيْضًا.

وَأِنْ كَانَ إِثْبَاتُ حَقِيقَةِ الْإِرَادَةِ لَا يَسْتَلْزِمُهُ، فَإِثْبَاتُ حَقِيقَةِ الْغَضَبِ لَا يَسْتَلْزِمُهُ أَيْضًا، لِأَنَّ الْقَوْلَ فِي أَحَدِهِمَا كَالْقَوْلِ فِي الْآخَرِ، وَعَلَى هَذَا يَلْزِمُكَ إِثْبَاتُ الْجَمِيعِ، أَوْ نَفْيُ الْجَمِيعِ.

[١] هَذَا تَفْسِيرُ الْأَشَاعِرَةِ، يَقُولُونَ: «غَضِبَ» أَيَّ أَرَادَ الْإِنْتِقَامَ، أَوْ «غَضِبَ» أَيَّ انْتَقَمَ، فَيُفَسَّرُونَ ذَلِكَ إِمَّا بِالْإِرَادَةِ، وَإِمَّا بِالْفِعْلِ الْمُتَفَصِّلِ الْبَعِيدِ عَنِ اللَّهِ، وَنَحْنُ لَا نُرِيدُ أَنْ نَرُدَّ عَلَيْهِمْ، بَلْ نُرِيدُ أَنْ نُبَيِّنَ أَنَّهُمْ مُتَنَاقِضُونَ، وَأَنَّ الْقَوْلَ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي الْبَعْضِ.

فَهُمْ يُثْبِتُونَ الْإِرَادَةَ وَهِيَ عِنْدَهُمْ مِنَ الصِّفَاتِ السَّبْعِ الَّتِي يُثْبِتُونَهَا، لَكِنَّ الْغَضَبَ لَا يُثْبِتُونَهُ، يَقُولُونَ: الْغَضَبُ غَلِيَانُ الْقَلْبِ لِطَلَبِ الْإِنْتِقَامِ، وَلِهَذَا يَظْهَرُ الدَّمُ عَلَى الْوَجْهِ وَيَحْمَرُّ، وَتَنْتَفِخُ الْأَوْدَاجُ، فَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِهِ، وَالْإِرَادَةُ يُوصَفُ اللَّهُ بِهَا!! فَيُفَسَّرُونَ الْغَضَبَ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ:

١ - إِمَّا بِإِرَادَةِ الْإِنْتِقَامِ؛ لِأَنَّ الْإِرَادَةَ عِنْدَهُمْ لَا تَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ.

٢ - وَإِمَّا بِالْإِنْتِقَامِ نَفْسِهِ، وَيُثْبِتُونَ الْإِنْتِقَامَ؛ لِأَنَّهُ فِعْلٌ وَلَيْسَ صِفَةً، وَالْفِعْلُ مُتَفَصِّلٌ عَنِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ عُقُوبَةٌ بِالْدُّنْيَا أَوْ الْآخِرَةِ.

فَإِنْ قَالَ: الْإِرَادَةُ الَّتِي أَثْبَتْتُهَا لَا تَسْتَلْزِمُ التَّمَثِيلَ لِأَنِّي أُعْجِي بِهَا إِرَادَةً تَلِيْقُ  
بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ لَا تُمَثِّلُ إِرَادَةَ الْمَخْلُوقِ.

قِيلَ لَهُ: فَأُثْبِتَ اللهُ غَضَبًا يَلِيْقُ بِهِ وَلَا يُمَثِّلُ غَضَبَ الْمَخْلُوقِ<sup>[١]</sup>.

فَإِنْ قَالَ: الْغَضَبُ غَلِيَانُ دَمِ الْقَلْبِ لَطَلَبِ الْإِنْتِقَامِ وَهَذَا لَا يَلِيْقُ بِاللهِ تَعَالَى.  
قِيلَ لَهُ: وَالْإِرَادَةُ مِثْلُ النَّفْسِ إِلَى جَلْبِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ وَهَذَا لَا يَلِيْقُ  
بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!<sup>[٢]</sup>.

[١] هَذِهِ حُجَّةٌ قَوِيَّةٌ، أَنْ نَقُولَ: أَثْبِتِ الْغَضَبَ، وَقُلْ: إِنَّهُ غَضَبٌ يَلِيْقُ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ،  
لَا يُمَثِّلُ غَضَبَ الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا أَثْبَتَ الْإِرَادَةَ وَقُلْتَ: إِنَّ اللهَ إِرَادَةً تَلِيْقُ بِهِ لَا تُمَثِّلُ إِرَادَةَ  
الْمَخْلُوقِينَ.

[٢] هَذَا تَعْرِيفُ الْفَلَاسِفَةِ لِلْغَضَبِ، وَهَكَذَا جَاءَتْ السُّنَّةُ مُؤَيَّدَةً لِذَلِكَ،  
فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ: «الْغَضَبُ جَمْرَةٌ يُلْقِيهَا الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ»<sup>(١)</sup>، وَالْجَمْرَةُ  
عَادَةً إِذَا وَضَعَتْ فِي شَيْءٍ صَارَ يَغْلِي، وَلَا يَكُونُ الْغَضَبُ إِلَّا مِنْ قُوَّةٍ بِخِلَافِ الْحُزْنِ،  
فَالْحُزْنُ يَكُونُ مِنَ الضَّعْفِ؛ لِأَنَّ الْمَحْزُونِ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى مُقَاوَمَةِ مَا وَقَعَ بِهِ.

وَالْغَضَبُ يَدُلُّ عَلَى الْقُوَّةِ، وَأَنَّ الْغَاضِبَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْطِشَ بِمَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ.  
وَلِذَلِكَ لَوْ أَسَاءَ السُّلْطَانُ إِلَى شَخْصٍ؛ فَإِنَّ الشَّخْصَ يَحْزَنُ وَلَا يَغْضَبُ؛ لِأَنَّهُ  
لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْطِشَ بِالسُّلْطَانِ.

وَلَوْ أَسَاءَ شَخْصٌ إِلَى السُّلْطَانِ؛ لَغَضِبَ السُّلْطَانُ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ الْبَطْشَ بِهِ،  
فَيَغْضَبُ وَيَبْطِشُ بِهِ.

فَإِنْ قَالَ: هَذِهِ إِرَادَةُ الْمَخْلُوقِ، وَأَمَّا إِرَادَةُ اللَّهِ فَتَلِيْقُ بِهِ.

قِيلَ لَهُ: وَالْغَضَبُ بِالْمَعْنَى الَّذِي قُلْتَ، غَضَبُ الْمَخْلُوقِ، وَأَمَّا غَضَبُ اللَّهِ فَيَلِيْقُ بِهِ، وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ الَّتِي نَفَاهَا يُقَالُ لَهُ فِيهَا مَا يَقُولُهُ هُوَ فِيمَا أُثْبِتَهُ<sup>(١)</sup>.

فَإِنْ قَالَ: أُثْبِتُ مَا أُثْبِتُهُ مِنَ الصِّفَاتِ بِدَلَالَةِ الْعَقْلِ عَلَيْهِ.  
أَجَبْنَا عَنْهُ بِثَلَاثَةِ أَجَوِبَةٍ سَبَقَ ذِكْرُهَا عِنْدَ الرَّدِّ عَلَى الطَّائِفَةِ الْأُولَى<sup>(٢)</sup>.

وَهَذَا صَارَ الْحُزْنَ لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَلَا يُوصَفُ بِهِ، وَأَمَّا الْغَضَبُ فَيُوصَفُ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اٰنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، أَي: أَغَضَبُونَا، وَلَيْسَ الْمَرَادُ بِالْأَسَفِ الْحُزْنَ، بَلِ الْمَرَادُ الْغَضَبُ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿اٰنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

[١] كُلُّ هَذِهِ الْمُنَاقَشَةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الضَّابِطِ الَّذِي سَبَقَ، وَهُوَ: أَنَّ الْقَوْلَ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي بَعْضِ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا.

[٢] الْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا إِنَّمَا يُرِيدُهُ لِصَلَحَتِهِ، فَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ بِذَلِكَ ضَرَرًا، وَإِمَّا أَنْ يَجْلِبَ بِذَلِكَ نَفْعًا، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُرِيدُ شَيْئًا لَا نَفْعَ فِيهِ وَلَا دَفْعَ ضَرَرٍ، إِلَّا رَجُلٌ سَفِيهٌ أَوْ مَجْنُونٌ؛ فَهَذَا مُمَكِّنٌ، وَالْإِرَادَةُ بِهَذَا الْمَعْنَى لَا تَلِيْقُ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي»<sup>(١)</sup>.

هَكَذَا الْقَوْلُ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ الَّتِي نَفَاهَا، يُقَالُ لَهُ فِيهَا مَا يَقُولُهُ هُوَ فِيمَا أُثْبِتَهُ لِمَنْ نَازَعَهُ فِي الْإِثْبَاتِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧).



فَنَحْنُ نَارْعُنَاهُ فِي الْإِثْبَاتِ مِنْ أَجْلِ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، فَقُلْنَا لَهُ: لَا تُثَبِّتِ اللَّهُ إِرَادَةً؛ لِأَنَّ إِثْبَاتَ الْإِرَادَةِ لِلَّهِ - عَلَى زَعْمِكَ - يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، فَنَحْنُ نُنَازِعُهُ فِي الْإِثْبَاتِ لَا لِأَجْلِ أَنْ يَنْفِي، وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ.

فَالَّذِينَ يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ كَالْمُعْتَرِ لَةِ يُنَازِعُونَهُ فِي الْإِثْبَاتِ لِئَلَّا يَقُولَ بِهِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بِالْإِثْبَاتِ. وَالْمَعْنَى: إِذَا كُنْتُمْ تُثَبِّتُونَ ذَاتَ اللَّهِ بِلَا تَمْثِيلٍ؛ فَأَثْبِتُوا صِفَاتِهِ بِلَا تَمْثِيلٍ، وَالْمُمَثِّلَةُ يُثَبِّتُونَ الصِّفَاتِ لَكِنْ مَعَ التَّمْثِيلِ، وَيَقُولُونَ: ثُبَّتِ اللَّهُ ذَاتًا بِلَا تَمْثِيلٍ، فَفَرَّقُوا بَيْنَ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ.

كَذَلِكَ الَّذِينَ يُعْطِلُونَ وَيَنْفُونَ الصِّفَاتِ؛ فَإِنَّهُمْ يُثَبِّتُونَ اللَّهُ تَعَالَى ذَاتًا لَا تُمَثِّلُ الذَّوَاتِ، وَلَا يُثَبِّتُونَ لِلَّهِ صِفَاتٍ لَا تُمَثِّلُ الصِّفَاتِ!

وَنَقُولُ لَهُؤُلَاءِ وَهُؤُلَاءِ: الْقَوْلُ فِي الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ، يَعْنِي: أَنْكُمْ إِذَا أَثَبَّتُمْ ذَاتًا لَا تُمَثِّلُ المَخْلُوقِينَ، فَأَثْبِتُوا صِفَاتٍ لَا تُمَثِّلُ صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ، وَهَذَا أَصْلُ كَالْأَوَّلِ، وَالْأَوَّلُ: الْقَوْلُ فِي الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَا ثَبِتَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَدُلَّ عَلَى قَدْرِ مُشْتَرَكٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُثَبِّتُ لِمَا تَتَوَاطَأُ فِيهِ الْمُسَمَّيَاتُ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لِمَا فِيهِمُ الْخِطَابُ، وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّ مَا اخْتَصَّ اللَّهُ بِهِ وَامْتَنَزَعَ عَنْ خَلْقِهِ، أَعْظَمُ مِمَّا يَخْطُرُ بِالْبَالِ، أَوْ يَدُورُ فِي الْحَيَالِ.

فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنَ الْإِشْتِرَاكِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، تَسَاوِي الْمُسَمَّى وَالْمَوْصُوفِ فِي الْحَقِيقَةِ.

فَكُلُّ مَا ثَبَّتَهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ لَا بُدَّ أَنْ يَدُلَّ عَلَى قَدْرِ مُشْتَرَكٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُثَبِّتُ لَنَا، فَمَثَلًا: الْعِلْمُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ عِلْمِ اللَّهِ وَعِلْمِ المَخْلُوقِ،

الأصل الثاني: أن يُقال لمن يُقرُّ بذاتِ الله تعالى بلا تمثيل، ويمثل في صفاته أو ينفيها: القول في الصفات كالقول في الذات<sup>[١]</sup>.

لولا هذا القدر المشترك ما فهمنا العلم الذي وصف الله به نفسه.

وكل ما أخبر الله به عن نفسه لا بُدَّ من قدر مشترك نفهم به أصل المعنى، ولكن لا يلزم التماثل؛ لأنَّ الله إنما نفى عن نفسه المماثلة، ولم ينف عن نفسه أن يتصف بصفة يتصف بها المخلوق، بل نفى المماثلة يدل على ثبوت أصل المعنى، وإلا لو لم يكن أصل المعنى ثابتاً ما صحَّ أن ينفي المماثلة.

[١] قوله: «الأصل الثاني: أن يُقال لمن يُقرُّ بذاتِ الله تعالى، ويمثل في صفاته أو ينفيها...»: الذين ينفونها هم المعتزلة، والذين يمثلونها هم الممثلة، فالذي ثبت ذات الله عز وجل ويقول: لله ذات لا تشبه الذوات، لكن ليس له صفات. أو يقول: لله ذات تشبه الذوات وتمثله. حتى إنَّ بعضهم -والعياذ بالله- يقول: إنَّ الله على صورة إنسان شاب جميل أمرد. وما أشبه ذلك من الخرافات التي يقولونها، فهؤلاء نقول لهم: القول في الصفات كالقول في الذات.

ونقول لمن ثبت الذات وينفي الصفات، أو ثبت ممثلة الله في صفاته للمخلوقين، فنقول له: إنَّه يلزمك أن تثبت لله صفات لا تماثل صفات المخلوقين، لما أثبت له ذاتاً لا تماثل ذات المخلوقين؛ لأنَّ الكلام على الصفات فرع عن الكلام في الذات، فإنَّ الصفات لازمة للذات، ما من ذات إلا ولها صفات، فإذا كانت ذات الله عز وجل لا تشبه ذوات المخلوقين؛ فلتكن صفاته أيضاً لا تشبه صفات المخلوقين.

وهذا هو الواقع، فلا يمكن لإنسان أن يتصور أنَّ الله تعالى مثل الخلق أبداً، ولا يسع أي عاقل أن ينكر ما أثبتته الله تعالى لنفسه أبداً.

يَعْنِي أَنَّ مَنْ أَثَبَّتَ لِلَّهِ تَعَالَى ذَاتًا لَا تُمَاتِلُ ذَوَاتَ الْمَخْلُوقِينَ، لَزِمَهُ أَنْ يُثَبِّتَ لَهُ صِفَاتٍ لَا تُمَاتِلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ فِي الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ، وَهَذَا الْأَصْلُ يُحَاطَبُ بِهِ أَهْلُ التَّمَثِيلِ، وَأَهْلُ التَّعْطِيلِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَنَحْوِهِمْ.

فَيَقَالُ لِأَهْلِ التَّمَثِيلِ: أَلَسْتُمْ تُثَبِّتُونَ لِلَّهِ ذَاتًا بِلَا تَمَثِيلٍ فَأَثَبْتُمُوهُ صِفَاتٍ بِلَا تَمَثِيلٍ. وَيُقَالُ لِأَهْلِ التَّعْطِيلِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَنَحْوِهِمْ: أَلَسْتُمْ تَقُولُونَ بِوُجُودِ ذَاتٍ لَا تُشَبِّهُ الذَّوَاتَ؟ فَكَذَلِكَ قُولُوا بِصِفَاتٍ لَا تُشَبِّهُ الصِّفَاتِ!

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ فَكَيْفَ اسْتَوَاؤُهُ؟ فَيَقَالُ لَهُ: الْقَوْلُ فِي الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ فَأَخْبِرْنَا كَيْفَ ذَاتُهُ؟ فَإِنْ قَالَ: لَا أَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ.

قِيلَ لَهُ: وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ اسْتَوَائِهِ.

وَحِينَئِذٍ يَلْزَمُهُ أَنْ يُقَرَّ بِاسْتَوَاءِ حَقِيقِيٍّ غَيْرِ مُمَاتِلٍ لِاسْتَوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا مَعْلُومِ الْكَيْفِيَّةِ، كَمَا أَقَرَّ بِذَاتٍ حَقِيقِيَّةٍ غَيْرِ مُمَاتِلَةٍ لِذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا مَعْلُومَةِ الْكَيْفِيَّةِ، كَمَا قَالَ مَالِكٌ وَشَيْخُهُ رِبْعَةُ وَغَيْرُهُمَا فِي الْإِسْتَوَاءِ: «الْإِسْتَوَاءُ مَعْلُومٌ وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»<sup>(١)</sup>.

[١] قَوْلُهُ فِي الْحَاشِيَةِ: «وَالْخَطْبُ فِي ذَلِكَ سَهْلٌ»: يَعْنِي الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ سَهْلٌ، فَسَوَاءٌ قُلْتَ: الْإِسْتَوَاءُ مَعْلُومٌ وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ. أَوْ قُلْتَ: الْإِسْتَوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيفُ

(١) نقله المؤلف رحمه الله بالمعنى والمحفوظ من لفظهما: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول.

والخطب في ذلك سهل. (الشارح)

انظر الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (١/ ٨٥).

فَقَوْلُهُ: (الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ) أَيُّ مَعْلُومٍ الْمَعْنَى فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ، وَلَهُ مَعَانٍ بِحَسَبِ إِطْلَاقِهِ وَتَقْيِيدِهِ بِالْحَرْفِ<sup>١١</sup>، فَإِذَا قُيِّدَ بِـ(عَلَى) كَانَ مَعْنَاهُ الْعُلُوُّ وَالِاسْتِقْرَارُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وَقَالَ: ﴿لِاسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣].....

غَيْرُ مَعْقُولٍ. فَاَلْمَعْنَى وَاحِدٌ؛ لِأَنَّ الْإِسْتِوَاءَ غَيْرُ الْمَجْهُولِ، أَيُّ: مَعْلُومٌ، وَالْكِيفُ غَيْرُ الْمَعْقُولِ: هَذَا الَّذِي قَدْ يُشْكِلُ عَلَى الطَّالِبِ، وَالْمَعْنَى إِذَا كُنَّا لَا نَعْقِلُ الْكِيفَ وَجَبَ أَنْ نَعْتَمِدَ عَلَى السَّمْعِ، وَالسَّمْعُ لَمْ يَبَيِّنْ لَنَا الْكِيفِيَّةَ، فَتَكُونُ النَّسِجَةُ أَنْ يَكُونَ الْكِيفُ مَجْهُولًا، فَالْكِيفِيَّةُ إِذَا كُنَّا لَا نُدْرِكُهَا بِالْعَقْلِ، وَلَمْ يَرِدْ بِهَا السَّمْعُ، بَقِيَتْ عِنْدَنَا مَجْهُولَةً. وَهَذَا الْقَوْلُ، أَيُّ: قَوْلُنَا فِي الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ. نُخَاطِبُ بِهِ أَهْلَ التَّعْطِيلِ، وَأَهْلَ التَّمْثِيلِ أَيْضًا؛ فَأَمَّا أَهْلُ التَّعْطِيلِ فنَقُولُ: أَثْبَتُوا لِلَّهِ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تُمَثِّلُ الصِّفَاتِ، كَمَا أَثْبَتُمْ ذَاتًا لَا تُشَبِّهُ الذَّوَاتِ، وَنَقُولُ لِأَهْلِ التَّمْثِيلِ: أَثْبَتُوا الصِّفَاتِ بِلاَ تَمْثِيلٍ كَمَا أَثْبَتُمْ الذَّاتِ بِلاَ تَمْثِيلٍ، يَعْنِي أَنَّنَا نُخَاطِبُ الْمُعْطَلَةَ لِنُلْزِمَهُمُ بِالْإِثْبَاتِ، وَنُخَاطِبُ الْمُثَبِّلَةَ لِنُلْزِمَهُمُ بِنَفْيِ الْمِثَالَةِ.

[١] قَوْلُهُ: «الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ. أَيُّ مَعْلُومٍ الْمَعْنَى فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ وَلَهُ مَعَانٍ...»: الْإِسْتِوَاءُ لَهُ مَعَانٍ بِحَسَبِ إِطْلَاقِهِ وَتَقْيِيدِهِ، وَقَدْ يُقَيَّدُ بِـ(إِلَى)، وَقَدْ يُقَيَّدُ بِـ(وَاوٍ)، وَقَدْ يُطْلَقُ فَلَا يُقَيَّدُ، فَإِذَا أُطْلِقَ صَارَ مَعْنَاهُ الْكَمَالُ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤]، أَيُّ كَمُلَ وَنَضَجَ.

وَإِذَا قُيِّدَ بِـ(إِلَى) صَارَ مَعْنَاهُ الْقَصْدُ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾

فَاسْتَوَاءَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ عُلُوُّهُ عَلَيْهِ عُلُوًّا خَاصًّا يَلِيقُ بِهِ، عَلَى كَيْفِيَّةٍ لَا نَعْلَمُهَا، وَلَيْسَ هُوَ الْعُلُوُّ الْمَطْلُوقُ عَلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ<sup>[١]</sup>.

وَقَوْلُهُ: «وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ» أَيُّ إِنَّ كَيْفِيَّةَ اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ مَجْهُولَةٌ لَنَا، وَذَلِكَ لِوُجُوهٍ ثَلَاثَةٍ<sup>[٢]</sup>:

وَإِذَا قِيَدَ بِالْ(وَإِو) صَارَ مَعْنَاهُ الْمَسَاوَاةُ، مِثْلُ قَوْلِهِمْ: (اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشَبَةُ) أَيِ تَسَاوَيَا.

وَإِذَا قِيَدَ بِ(عَلَى) صَارَ مَعْنَاهُ الْعُلُوُّ وَالْإِسْتِقْرَارُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ﴾. [المؤمنون: ٢٨].

[١] وَقَوْلُهُ: «فَاسْتَوَاءَ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ عُلُوُّهُ عَلَيْهِ عُلُوًّا خَاصًّا يَلِيقُ بِهِ...»: يَعْنِي لَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِذَا فَسَّرْتُمْ «اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» يَعْنِي عَلَا عَلَيْهِ، فَهُوَ عَالٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. نَقُولُ: هَذَا عُلُوٌّ خَاصٌّ. فَمَثَلًا: الْإِنْسَانُ يَكُونُ عَلَى السَّطْحِ، فَهُوَ عَالٍ عَلَى الَّذِينَ فِي الْأَسْفَلِ، لَكِنْ عُلُوُّهُ عَلَى السَّطْحِ خَاصٌّ، وَكَذَلِكَ نَقُولُ: فَلَانَّ عَالٍ عَلَى الْكُرْسِيِّ. فَهَذَا عُلُوٌّ خَاصٌّ، يَعْنِي عُلُوٌّ مُحْتَصٌّ بِالْكُرْسِيِّ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَثَلًا جَالِسٌ عَلَيْهِ، وَمُسْتَقَرٌّ عَلَيْهِ، لَكِنْ الْعُلُوُّ الْمَطْلُوقُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَأَنْتَ مَثَلًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ عَلَى الَّذِينَ فِي الْأَسْفَلِ عُلُوًّا مُطْلَقًا عَلَى الَّذِينَ تَحْتَهُ، لَكِنَّ الْكُرْسِيَّ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ هَذَا عُلُوٌّ خَاصٌّ.

فَاسْتَوَاءَ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ عُلُوُّهُ عَلَيْهِ عُلُوًّا خَاصًّا بِالْعَرْشِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى السَّمَاءِ، أَوْ اسْتَوَى عَلَى الْأَرْضِ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ عَالٍ عَلَى الْأَرْضِ، وَعَالٍ عَلَى السَّمَاءِ، وَهَذَا قَالَ: «وَلَيْسَ كَالْعُلُوِّ الْمَطْلُوقِ عَلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ».

[٢] لَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هَلْ لَاسْتِوَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ كَيْفِيَّةٌ؟

الأول: أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ وَلَمْ يُخْبِرْنَا كَيْفَ اسْتَوَى<sup>[١]</sup>.  
 الثاني: أَنَّ الْعِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ فَرْعٌ عَنِ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ الْمَوْصُوفِ وَهُوَ الذَّاتُ،  
 فَإِذَا كُنَّا لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِ اللَّهِ فَكَذَلِكَ لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ صِفَاتِهِ<sup>[٢]</sup>.

الجواب: نَعَمْ، لَهُ كَيْفِيَّةٌ، لَكِنَّهَا مَجْهُولَةٌ لَنَا؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ مَوْجُودٍ إِلَّا وَلَهُ كَيْفِيَّةٌ، فَمَا دَامَ الاسْتِواءُ ثَابِتٌ فَلَهُ كَيْفِيَّةٌ قَطْعًا، لَكِنَّهَا مَجْهُولَةٌ لَنَا، فَلَا نَذَرِي كَيْفَ اسْتَوَى.

[١] قوله: «الأول: أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا كَيْفَ اسْتَوَى» هَذَا نَقُولُهُ فِي كُلِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، نَقُولُ: أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَنْ كَذَا وَلَمْ يُخْبِرْنَا عَنْ كَيْفِيَّتِهِ، أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَنْ نُزُولِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا كَيْفَ نُزُولُهُ، وَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ يَعْجَبُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]، وَلَمْ يُخْبِرْنَا كَيْفَ الْعَجَبُ، وَأَخْبَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ يَضْحَكُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ<sup>(١)</sup>، وَلَمْ يُخْبِرْنَا كَيْفَ يَضْحَكُ، وَعَلَى هَذَا فَيَقْس.

وَكُلُّ الصِّفَاتِ الَّتِي أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَنْهَا فَإِنَّهُ أَخْبَرَنَا عَنْهَا وَلَمْ يُخْبِرْنَا عَنْ كَيْفِيَّتِهَا.

[٢] قوله: «الثاني: أَنَّ الْعِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ فَرْعٌ عَنِ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ الْمَوْصُوفِ وَهُوَ الذَّاتُ...» وَمَعْلُومٌ أَنَّ كَيْفِيَّةَ ذَاتِ اللَّهِ مَجْهُولَةٌ، فَإِذَا كَانَتْ كَيْفِيَّةُ ذَاتِ اللَّهِ مَجْهُولَةً لَنَا؛ لَزِمَ أَنْ تَكُونَ كَيْفِيَّةُ صِفَاتِهِ كَذَلِكَ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يُسلم، رقم (٢٨٢٦)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، رقم (١٨٩٠).

الثالث: أَنَّ الشَّيْءَ لَا تُعْلَمُ كَيْفِيَّتُهُ إِلَّا بِمُشَاهَدَتِهِ، أَوْ مُشَاهَدَةِ نَظِيرِهِ أَوْ الْخَيْرِ الصَّادِقِ عَنْهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُتَنَبِّ فِي اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السَّلَفَ يُثْبِتُونَ لِلاِسْتِوَاءِ كَيْفِيَّةً لَكِنَّهَا مَجْهُولَةٌ لَنَا<sup>[١]</sup>.

[١] وقوله: «الثالث: أَنَّ الشَّيْءَ لَا تُعْلَمُ كَيْفِيَّتُهُ إِلَّا بِمُشَاهَدَتِهِ، أَوْ مُشَاهَدَةِ نَظِيرِهِ أَوْ الْخَيْرِ الصَّادِقِ عَنْهُ»، وَكُلُّ ذَلِكَ مُتَنَبِّ فِي صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ. وَأَمَّا قَوْلُ الْإِمَامِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْكَيْفُ مَجْهُولٌ». فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ السَّلَفَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ كَانُوا يُثْبِتُونَ الْكَيْفِيَّةَ لَكِنْ يَنْفُونَ عِلْمَهُمْ بِتِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ، وَلَوْ كَانَ لَيْسَ لَهُ كَيْفِيَّةٌ لَقَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْكَيْفُ مَعْدُومٌ» مَثَلًا، لَكِنَّهُ يَقُولُ: مَجْهُولٌ. أَمَّا الْوُجُوهُ الثَّلَاثَةُ:

فَالْأَوَّلُ: أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَلَمْ يَقُلْ: كَيْفَ اسْتَوَى، وَإِذَا كَانَ لَمْ يَقُلْ، فَلَيْسَ لَنَا بِهِ عِلْمٌ، وَقَدْ هِينَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِمَا لَا نَعْلَمُ. الثَّانِي: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْعِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ فَرَعٌ مِنَ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ الْمَوْصُوفِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّنَا لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَكَذَلِكَ لَا نَعْلَمُ صِفَاتِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْقَوْلَ فِي الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ.

الثالث: أَنَّ الشَّيْءَ لَا تُعْلَمُ كَيْفِيَّتُهُ إِلَّا بِمُشَاهَدَتِهِ. إِذَا شَاهَدْتُهُ عَرَفْتُ كَيْفَ هُوَ أَوْ مُشَاهَدَةِ نَظِيرِهِ.

مِثْلُ أَنْ أَقُولَ: عِنْدِي سَيَّارَةٌ مِثْلُ هَذِهِ، فَتَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ سَيَّارَتِي، لِأَنَّكَ تُشَاهِدُ نَظِيرَهَا. الْآخِرُ: قَوْلُ الْخَيْرِ الصَّادِقِ عَنْهُ، يَأْتِيكَ رَجُلٌ يُخْبِرُكَ وَهُوَ صَادِقٌ عِنْدَكَ وَيَقُولُ: كَيْفِيَّةُ هَذِهِ السَّيَّارَةِ كَذَا وَكَذَا، فَتَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهَا.

وَقَوْلُهُ: «وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ» أَيُّ إِنَّ الْإِيمَانَ بِالِاسْتِثْوَاءِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ، وَأَصْدَقُ قَوْلًا وَأَحْسَنُ حَدِيثًا<sup>١١</sup>، فَاجْتَمَعَ فِي خَيْرِهِ كَمَالُ الْعِلْمِ، وَكَمَالُ الصِّدْقِ، وَكَمَالُ الْإِرَادَةِ، وَكَمَالُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ، فَوَجَبَ قَبُولُهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ.

فإن قيل: هل هذا موجودٌ بالنسبة لِكَيْفِيَّةِ الاستِثْوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ؟

فالجواب: لا، غَيْرُ موجودٍ، فَوَجَبَ أَنْ نُؤْمِنَ بِكَيْفِيَّةِ لَا نَعْلَمُهَا.

[١] فَالْكَلَامُ إِذَا تَمَّتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَوْصَافُ الْأَرْبَعَةُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى عُذْرٌ لِمَنْ لَمْ يَقْبَلْهُ، أَوْ لِمَنْ حَاوَلَ تَحْرِيفَهُ، وَهَذِهِ الْأَوْصَافُ الْأَرْبَعَةُ هِيَ: كَمَالُ الْعِلْمِ، وَكَمَالُ الصِّدْقِ، وَكَمَالُ الْإِرَادَةِ، وَكَمَالُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ.

فَلَوْ تَخَلَّفَ وَاحِدٌ مِنْهَا لَكَانَ الْكَلَامُ مُحَلًّا لِلشَّكِّ، فَلَوْ تَخَلَّفَ كَمَالُ الْعِلْمِ بِأَنْ حَدَّثَكَ شَخْصٌ جَاهِلٌ؛ فَإِنَّكَ لَا تَتَّقُ بِقَوْلِهِ لِأَنَّهُ جَاهِلٌ، وَلَوْ حَدَّثَكَ عَامِيٌّ عَنْ حُكْمٍ مَسْأَلَةٍ شَرْعِيَّةٍ، وَيَبْعُدُ أَنْ يَعْرِفَهَا هُوَ وَأَمْثَالُهُ؛ لَكَانَ فِي ذَلِكَ شَكٌّ، وَلَوْ حَدَّثَكَ أُمِّيٌّ عَنْ صِنَاعَةِ شَيْءٍ مَا؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَتَّقَ بِكَلَامِهِ مِنْ أَجْلِ عَدَمِ الْعِلْمِ.

كَذَلِكَ لَوْ حَدَّثَكَ عَالِمٌ لَكِنَّهُ لَيْسَ مَعْرُوفًا بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَتَّقُ بِكَلَامِهِ، لَا لِجَهْلِهِ وَلَكِنْ لِكُذِبِهِ، وَالْإِنْسَانُ الْكَذُوبُ لَا يُوثِقُ بِخَبْرِهِ وَإِنْ كَانَ صِدْقًا.

وَكَمَالُ الْإِرَادَةِ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ عَالِمًا وَصَادِقًا، لَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الْوَفَاءَ بِكَلَامِهِ، فَلَا يُعْطِي النَّاسَ الْأَمْرَ عَلَى حَقِيقَتِهِ؛ فَهَذَا لَا يُوثِقُ بِكَلَامِهِ.

وَأَمَّا الْفَصَاحَةُ وَالْبَيَانُ، فَقَدْ يَكُونُ عِنْدَ الْإِنْسَانِ عِلْمٌ وَصِدْقٌ وَإِخْلَاصٌ، لَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ النُّطْقَ بِالْكَلَامِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُفْهَمُ مِنْهُ الْمَرَادُ، وَحِينَئِذٍ يَبْقَى الشَّكُّ فِي



وَقَوْلُهُ: «وَالسُّؤَالُ عَنْهُ» أَيُّ عَنْ كَيْفِيَّتِهِ بِدْعَةٌ؛ لِأَنَّ السُّؤَالَ عَنْهَا لَمْ يُعْرَفْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَهُوَ مِنَ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ فَكَانَ إِرَادُهُ بِدْعَةً؛ وَلِأَنَّ السُّؤَالَ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ سِمَاتِ أَهْلِ الْبِدْعِ، ثُمَّ إِنَّ السُّؤَالَ عَنْهُ بِمَا لَا تُمَكِّنُ الْإِجَابَةُ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنَ التَّنَطُّعِ فِي الدِّينِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»<sup>(١)</sup>.

مُرَادُهُ، لَا لِاخْتِلَافِ الْأَوْصَافِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي هِيَ الْعِلْمُ وَالصَّدْقُ وَالْإِرَادَةُ، وَلَكِنْ مِنْ جِهَةِ رَكَاكَةِ الْأُسْلُوبِ وَبُعْدِهِ عَنِ الْمَرَادِ.

وَإِذَا طَبَّقْنَا هَذَا عَلَى كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ؛ وَجَدْنَا أَنَّهَا مَنْفِيَّةٌ غَايَةُ الْإِنْتِفَاءِ، فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مُتَضَمِّنٌ لِكَمَالِ الْعِلْمِ وَالصَّدْقِ وَالْإِرَادَةِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ، وَكَذَلِكَ كَلَامُ الرَّسُولِ ﷺ.

فَإِذَا كَانَ هَكَذَا؛ وَجَبَ أَنْ نَقْبَلَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَنْ لَا نَتَعَرَّضَ لِتَحْرِيفِهِ؛ لِأَنَّهُ كَلَامٌ مِنْ عَالَمٍ صَادِقٍ، مُرِيدٌ لِلهُدَى عَلَى أَكْمَلِ مَا يَكُونُ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ.

[١] فِي السُّؤَالِ عَنْ كَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ ثَلَاثَةُ مُحَازِيرَ:

١- أَنَّهُ بِدْعَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، فَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ قَالَ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ بَلْ قَبِلُوهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَلَسْنَا نَحْنُ أَحْرَصُ مِنْهُمْ عَلَى الْعِلْمِ، وَلَا أَشَدَّ مِنْهُمْ تَعْظِيمًا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْمَفِيدَةِ الَّتِي فِيهَا مَصْلَحَةٌ؛ لَسَأَلَ الصَّحَابَةُ عَنْهَا.

٢- إِنَّ السُّؤَالَ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ سِمَاتِ أَهْلِ الْبِدْعِ، وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ هَلَكِ الْمُتَنَطِّعُونَ، رَقْمُ (٢٦٧٠).

وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ مَالِكٌ وَشَيْخُهُ يُقَالُ فِي صِفَةِ نُزُولِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَغَيْرِهِ مِنَ الصِّفَاتِ: إِنَّهَا مَعْلُومَةٌ الْمَعْنَى، مَجْهُولَةٌ الْكَيْفِيَّةُ، وَإِنَّ الْإِيمَانَ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمُرَادِ بِهَا وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْ كَيْفِيَّتِهَا بِدْعَةٌ<sup>(١)</sup>.

لِلَّذِي سَأَلَ: «مَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا». أَيِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْبِدْعِ هُمُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ.

ثُمَّ إِنَّ السُّؤَالَ عَنْ الْكَيْفِيَّةِ مِمَّا لَا تُمْكِنُ الْإِجَابَةُ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ السُّؤَالُ عَنْهُ مِنْ بَابِ التَّنَطُّعِ فِي الدِّينِ، أَيِ مِنَ التَّعَمُّقِ فِيهِ وَالتَّشَدُّدِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»<sup>(١)</sup>.

[١] هَذَا مِيزَانٌ لَجَمِيعِ الصِّفَاتِ، فَكُلُّ الصِّفَاتِ زَيْنًا بِهَذَا، قُلْ: هِيَ مَعْلُومَةٌ الْمَعْنَى، مَجْهُولَةٌ الْكَيْفِيَّةُ، وَالْإِيمَانُ بِهَا وَاجِبٌ لثبُوتِهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ فِي أَحَدِهِمَا، وَالسُّؤَالُ عَنْهَا بِدْعَةٌ.



(١) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٢٦٧٠).

## فصل

وَأَمَّا الْمَثَلَانِ:

فَأَحَدُهُمَا: نَعِيمُ الْجَنَّةِ: فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ فِي الْجَنَّةِ طَعَامًا، وَشَرَابًا، وَلِبَاسًا، وَزَوْجَاتٍ، وَمَسَاكِينَ، وَنَخْلًا، وَرُمَّانًا، وَفَاكِهَةً، وَلَحْمًا، وَخَمْرًا، وَلَبَنًا، وَعَسَلًا، وَمَاءً، وَحُلِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ وَفِضَّةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكُلُّهُ حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَهُوَ فِي الْإِسْمِ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الدُّنْيَا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى لَكِنَّهُ مُخَالَفٌ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ<sup>[١]</sup>.

■ أَمَّا مُوَافَقَتُهُ لِمَا فِي الدُّنْيَا فِي الْمَعْنَى فَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ عَنِ الْقُرْآنِ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، وَلَوْلَا مُوَافَقَتُهُ لَهُ فِي الْمَعْنَى مَا فَهِمْنَاهُ وَلَا عَقَلْنَاهُ.

[١] فِي الْجَنَّةِ طَعَامٌ وَشَرَابٌ وَلِبَاسٌ، وَهُوَ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَهُوَ فِي الْإِسْمِ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الدُّنْيَا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، فَالرُّمَانُ هُوَ الرُّمَانُ، وَالنَّخْلُ هُوَ النَّخْلُ، وَالْفِضَّةُ هِيَ الْفِضَّةُ، لَكِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ مُخَالَفٌ لِمَا فِي الدُّنْيَا، بَلْ يَخْتَلِفُ اخْتِلَافًا عَظِيمًا، كَمَا تَخْتَلِفُ الْآخِرَةُ مَعَ الدُّنْيَا.

فَأَرَادَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهَذَا الْمَثَلِ، أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مَعْلُومٌ الْمَعْنَى مَجْهُولٌ الْكَيْفِيَّةَ، وَهَذَا فِي الْمَخْلُوقَاتِ، فَكَيْفَ بِصِفَاتِ الْخَالِقِ؟

فَإِذَا كَانَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ الْمَعْنَى مَجْهُولٌ الْكَيْفِيَّةَ؛ فَبِالْصِّفَاتِ مِنْ بَابِ أُولَى.

■ وَأَمَّا مُخَالَفَتُهُ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، وَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»<sup>(١)</sup> قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَيْسَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مِّمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ»<sup>(٢)</sup>.

فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ دَالَّةً عَلَى مُسَمِّيَاتِهَا حَقِيقَةً وَكَانَ اتِّفَاقُهَا مَعَ مَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَسْمَاءِ لَا يَسْتَلْزِمُ اتِّفَاقَ الْمُسَمِّيَّاتِ فِي الْحَقِيقَةِ، بَلْ بَيْنَهُمَا مِنَ التَّبَايُنِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ مُبَايَنَةَ الْخَالِقِ لِلْمَخْلُوقِ أَعْظَمُ وَأَظْهَرُ مِنْ مُبَايَنَةِ الْمَخْلُوقِ لِلْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّ التَّبَايُنَ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ تَبَايُنٌ بَيْنَ مَخْلُوقٍ وَمَخْلُوقٍ مِثْلِهِ، فَإِذَا ظَهَرَ التَّبَايُنُ بَيْنَهُمَا كَانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْخَالِقِ أَظْهَرُ وَأَوْلَى<sup>(٣)</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «أَمَّا مُوَافَقَتُهُ لِمَا فِي الدُّنْيَا فِي الْمَعْنَى...»: لَا بُدَّ أَنْ يُوَافِقَ مَا فِي الدُّنْيَا فِي الْمَعْنَى؛ لِأَنَّهُ لَوْلَا ذَلِكَ مَا عُلِمَ، فَلَوْ كَانَ الرُّمَانُ غَيْرَ الرُّمَانِ الَّذِي نَعْرِفُ؛ مَا اسْتَفَدْنَا شَيْئًا مِنْ ذِكْرِهِ، وَلَكَانَ ذِكْرُهُ لَغَوًا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ.

وَكَلَامُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُنَزَّهٌ عَنِ اللَّغْوِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، أَيَ صَيْرَنَاهُ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أَيَ لِأَجْلِ أَنْ تَفْهَمُوهُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ بِلِسَانٍ غَيْرِ عَرَبِيٍّ مَا فَهِمْتُمُوهُ.

إِذَنْ: هَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرِيدُ مِنَّا أَنْ نَفْهَمَ الْمَعْنَى مِنَ الْقُرْآنِ.

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة رقم (٣٢٤٤)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب صفة الجنة رقم (٢٨٢٤).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/٤١٥)، والبيهقي في البعث رقم (٣٣٢).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، قلنا المراد بذلك الحقيقة؛ لأنَّ المعنى قد عُلِمَ، فيتعين أن تُحمَلَ الآية على: أنَّها لا تعلم نفس ما أُخْفِيَ لهم باعتبار حقيقة هذا النعيم، أمَّا باعتبار معناه فإنَّها تعلمه في القرآن والسنة.

وكذلك قوله تعالى في الحديث القدسي: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»<sup>(١)</sup> أي في الحقيقة، أمَّا في المعنى فقد رأينا الرُّمانَ ورأينا النَّخِيلَ، ولكنه لا يمكن أن يكون هذا في الحقيقة مثلما في الآخرة. فعندنا نصُّ من القرآن ونصُّ من السنة، وأثرٌ وهو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ، مِمَّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ»<sup>(٢)</sup>.

فهذه ثلاثة أدلة تدلُّ على أنَّ ما في الآخرة مُخالفٌ لما في الدنيا في الحقيقة، وهذا أمرٌ معلومٌ؛ لأننا نجدُ في الدنيا اختلافًا في الحقيقة في الشيء الواحد.

فمثلاً: يُغرسُ النَّخْلُ هنا فيكون له ثمرٌ، ويُغرسُ في مكانٍ آخر فيكون ثمره دون الأول أو أكثر.

فالقِيَّاسُ واضحٌ، إذا كانت هذه المخلوقات تتفق في المعنى وتختلف في الحقيقة، فما بالكَ بإثبات الخالق مع صفة المخلوق؟ فإنَّها تتفق في المعنى وتختلف في الحقيقة، فالعلمُ يُوصفُ به الله ويُوصفُ به الإنسان، والحقيقة بينهما مُختلفةٌ اختلافاً كثيراً.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٠٧٢)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٢٤).  
(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (١/٣٤٣) رقم (٣٢٢).

وَقَدْ انْقَسَمَ النَّاسُ فِي هَذَا الْمَقَامِ - مَقَامِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ - إِلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ:

الْفِرْقَةُ الْأُولَى: السَّلَفُ وَالْأَيْمَةُ وَاتَّبَاعُهُمْ آمَنُوا بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ مَعَ اعْتِقَادِهِمُ التَّبَايُنَ بَيْنَ مَا فِي الدُّنْيَا وَمَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ التَّبَايُنَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ أَوْلَى وَأَعْظَمُ وَأَبِينُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

إِذَنْ: إِذَا كَانَ هَذَا الشَّيْءُ يَخْتَلِفُ فِي الدُّنْيَا بِاخْتِلَافِ الْأَمَاكِنِ؛ فَإِنَّ اخْتِلَافَهُ أَيْضًا فِي الْآخِرَةِ عَمَّا فِي الدُّنْيَا يَكُونُ أَظْهَرَ وَأَبِينَ.

لِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»؛ وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: مَا مَعْنَى «وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»؟

فَالْجَوَابُ: أَيْ لَا أَحَدٌ يَتَصَوَّرُهُ، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ أَنَّهُ عَلَى هَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ.

فَمَثَلًا: أَنْتَ تَتَذَوَّقُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ رُمَّانِ الدُّنْيَا، لَكِنَّ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالِكَ، فَهُوَ أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ مِنَ الَّذِي فِي الدُّنْيَا.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: لِمَاذَا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ هَذَا الْمَثَالَ؟

وَالْجَوَابُ: ذَكَرَهُ لِيَتَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ اتِّفَاقَ الْأَسْمَاءِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ لَا يَسْتَلْزِمُ اتِّفَاقَ الْحَقِيقَةِ، كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ مُتَّفَقَةٌ فِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَمَا فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ.

فَالْمُؤَلِّفُ أَتَى بِهَذَا الْمَثَلِ لِيَتَبَيَّنَ لَنَا التَّفَاوُتُ بَيْنَ صِفَاتِ الْخَالِقِ وَصِفَاتِ الْمَخْلُوقِ.

الْفِرْقَةُ الثَّانِيَّةُ: طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَيَنْفُونَ كَثِيرًا مِمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الصِّفَاتِ<sup>[١]</sup>.

الْفِرْقَةُ الثَّالِثَةُ: الْقَرَامِطَةُ، وَالْبَاطِنِيَّةُ، وَالْفَلَّاسِفَةُ، لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَا عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، بَلْ يُنْكِرُونَ حَقَائِقَ هَذَا وَهَذَا. فَمَذْهَبُهُمْ فِيْمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنَّهُ تَخْيِيلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ<sup>[٢]</sup>.

[١] مَذْهَبُ السَّلَفِ وَاضِحٌ: أَنَّنَا نُؤْمِنُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، مَعَ التَّبَايِنِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ وَمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وقوله: «الْفِرْقَةُ الثَّانِيَّةُ: طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ...»: مِثْلُ الْأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتَرِيذِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ يُؤْمِنُونَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَيُثْبِتُونَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَكِنَّهُمْ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا يُحَرِّفُونَهَا، فَيُحَرِّفُونَ نُصُوصَهَا وَيُعْطِلُونَ مَعَانِيَهَا، وَيَنْفُونَ كَثِيرًا مِمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الصِّفَاتِ.

[٢] قوله: «الْفِرْقَةُ الثَّالِثَةُ: الْقَرَامِطَةُ، وَالْبَاطِنِيَّةُ...»: هَؤُلَاءِ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ مَلَاحِدَةٌ وَكَفَّارٌ، وَخَارِجُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ.

يَقُولُونَ: مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَكُلُّهُ تَخْيِيلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَلَكِنَّ الرُّسُلَ جَاءَتْ بِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْمَلَ النَّاسُ عَلَى امْتِثَالِ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ هُنَاكَ رَبًّا مَوْصُوفًا بِكَذَا وَكَذَا، وَإِنَّ هُنَاكَ عِقَابًا فِي الْمَخَالَفَةِ وَثَوَابًا فِي الْمَوَافَقَةِ. انْصَاعُوا لِلأَمْرِ وَقَامُوا بِهِ.

وَالْوَاقِعُ أَنَّهُ لَا حَقِيقَةَ لِهَذَا كُلِّهِ، فَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ هَذَا مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَإِلَّا فَلَيْسَ هُنَاكَ رَبٌّ وَلَا ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ وَلَا يَوْمٌ آخِرٌ.

وَأَمَّا فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَجْعَلُونَ لِلْمَأْمُورَاتِ وَالْمَنْهَيَّاتِ تَأْوِيلَاتٍ بَاطِنَةً تُخَالِفُ مَا يَعْرِفُهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا، فَيَقُولُونَ: الْمُرَادُ بِالصَّلَوَاتِ مَعْرِفَةُ أَسْرَارِهِمْ، وَبِالصِّيَامِ كِتْمَانُ أَسْرَارِهِمْ، وَبِالْحَجِّ السَّفَرُ إِلَى شُيُوخِهِمْ، وَنَحْوِ ذَلِكَ بِمَا يُعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ وَكُفْرٌ وَإِلْحَادٌ.

وَقَدْ تَقَرَّرَ لَكُمْ أَنَّ الشَّرَائِعَ نَزَلَتْ الْعَامَّةَ دُونَ الْخَاصَّةِ، فَإِذَا وَصَلَ الرَّجُلُ إِلَى دَرَجَةِ الْعَارِفِينَ وَالْمُحَقِّقِينَ عِنْدَهُمْ ارْتَفَعَتْ عَنْهُ التَّكَالِيفُ، فَسَقَطَتْ عَنْهُ الْوَاجِبَاتُ وَحَلَّتْ لَهُ الْمَحْظُورَاتُ.

وَقَدْ يُوجَدُ فِي الْمُتَتَبِعِينَ إِلَى التَّصَوُّفِ وَالسُّلُوكِ مَنْ يَدْخُلُ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ.

وَهَؤُلَاءِ الْبَاطِنِيَّةُ هُمُ الْمَلَاحِدَةُ، الَّذِينَ أَجَمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّهُمْ أَكْفَرُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ لِعِظَمِ إِلْحَادِهِمْ، وَتُخَالَفَتِهِمْ لِجَمِيعِ الشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر أن بعضهم يقولون: إن الرسل يجهلون الحقيقة.

وبعضهم يقول: يعلمونها، لكنهم كذبوا على الخلق للمصلحة.

[١] وقوله: «وَأَمَّا فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، فَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَجْعَلُونَ لِلْمَأْمُورَاتِ وَالْمَنْهَيَّاتِ تَأْوِيلَاتٍ بَاطِنَةً...»: فَهَؤُلَاءِ طَرِيقَتُهُمْ بِالنِّسْبَةِ لِلْخَيْرِ أَنَّهُ تَخْيِيلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَلَا يُوجَدُ رَبٌّ وَلَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ.

وَفِي الْأَحْكَامِ أَيْضًا يُؤْوِلُونَهَا، فَيَقُولُونَ مَثَلًا: الْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ مَعْرِفَةُ أَسْرَارِهِمْ، فَالْمَصْلَى هُوَ الَّذِي وَصَلَ إِلَى أَسْرَارِهِمْ فَعَرَفَهَا.



المثل الثاني: الروح التي بها الحياة وهي أقرب شيء إلى الإنسان، بل هي قوام الإنسان، وقد وصفت في النصوص بأنها تُقبَضُ من البدن، ويُسْعَدُ بها إلى السماء، وتُعَادُ إلى البدن، ولا يُنْكِرُ أَحَدٌ وجودَها حقيقةً، وقد عَجَزَ النَّاسُ عَنْ إدْرَاكِ كُنْهَها وَحَقِيقَتِها، إِلَّا مَا عَلِمُوهُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، وَاضْطَرَبُوا فِيهَا اضْطِرَابًا كَثِيرًا لِكَوْنِهِمْ لَا يَسَاهِدُونَ لَهَا نَظِيرًا<sup>١</sup>.

ويقولون: الصَّلَاةُ مِنَ الصَّلَاةِ وليست هي العبادة ذات الرُّكُوعِ والسُّجُودِ، لكنَّ الصَّلَاةَ أَنْ تَعْرِفَ أَسْرَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ.

والصَّيَامُ عِنْدَهُمْ كِتْمَانُ الْأَسْرَارِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الصَّوْمُ مِنَ الْإِمْسَاكِ.

والحُجُّ عِنْدَهُمْ لَيْسَ قَصْدَ مَكَّةَ، وَإِنَّمَا تَقْصِدُ الشَّيْخَ الْوَلِيَّ، وَتَحْمِلُ مَا يُمَكِّنُكَ مِنَ الْمَتَاعِ وَالْحُلِيِّ وَالْمَالِ وَتُعْطِيهِ لَهُمْ.

وبعضُهم يَقُولُ: إِنَّ الشَّرَائِعَ تَلْزَمُ الْعَوَامَّ الْبُسْطَاءَ الَّذِي لَا يَفْهَمُونَ، أَمَّا الْخَاصَّةُ الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى الْحَقِيقَةِ، فَهَؤُلَاءِ لَا تَلْزَمُهُمُ الشَّرَائِعُ، فَلَا يَلْزَمُهُمْ صَلَاةٌ وَلَا صَوْمٌ، وَلَا حُجٌّ وَلَا زَكَاةٌ، وَلَا يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الزَّانَا وَلَا شُرْبُ الْخَمْرِ وَلَا قَتْلُ النَّفْسِ، وَلَا شَيْءٌ أَبَدًا؛ لِأَنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَى النِّهَايَةِ.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّهُمْ أَكْفَرُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

فاليَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَأُونَ بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَيُقْرَأُونَ بِالرُّسُلِ وَالْكِتَابِ، لَكِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَقْرَأُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِطْلَاقًا؛ لِعِظَمِ الْحَادِثِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ لَجَمِيعِ الشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ.

[١] الرُّوحُ مَخْلُوقَةٌ لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ، فَهِيَ مِنْ جِنْسِ الْأَجْسَامِ الْمَخْلُوقَةِ، مِنْ جِهَةِ

فَمِنْهُمْ طَوَائِفٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ جَعَلُوهَا الْبَدَنَ، أَوْ جُزْءًا مِنْهُ، أَوْ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ<sup>[١]</sup>.

أَتَمَّا حَادِثَةٌ وَمَخْلُوقَةٌ، لَكِنَّهَا تَخْتَلِفُ عَنْهَا فِي مَادَّتِهَا، وَلِذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُدْرِكَ كُنْهَ هَذِهِ الرُّوحِ وَحَقِيقَتَهَا.

فَإِذَا كُنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْرِفَ كُنْهَ هَذِهِ الرُّوحِ الَّتِي هِيَ فِي بَدَنِنَا، فَكَيْفَ نُحَاوِلُ أَنْ نَعْرِفَ كُنْهَ حَقِيقَةِ الْخَالِقِ عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وَقَالَ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فَنَحْنُ أَعْزُ مِنْ أَنْ نُحِيطَ بِكُنْهِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَحَقِيقَتِهِ؛ لِأَنَّ أَرْوَاحَنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْرِفَهَا، فَالْخَالِقُ مِنْ بَابِ أَوَّلَى.

[١] وَقَوْلُهُ: «فَمِنْهُمْ طَوَائِفٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ جَعَلُوهَا الْبَدَنَ، أَوْ جُزْءًا مِنْهُ، أَوْ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ...»:

هَذِهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ لَهُذِهِ الطَّوَائِفُ:

فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الرُّوحُ هِيَ الْبَدَنُ وَلَا فَرْقَ، لَكِنَّ الْبَدَنَ مَا دَامَ صَالِحًا لِلْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ بَقِيَ حَيًّا، فَإِذَا أُصِيبَ بِعَلَلٍ تَدْمَرُهُ دُمَّرَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْبَدَنِ، كَالْيَدِ وَالْقَدَمِ وَالْوَجْهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهَا صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْبَدَنِ.

وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ لَيْسَتْ صَحِيحَةً، فَلَيْسَتْ جُزْءًا مِنْهُ، وَلَا هِيَ مِنَ الْبَدَنِ، وَلَا هِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، بَلْ هِيَ شَيْءٌ مُسْتَقِلٌّ عَنِ الْبَدَنِ، يُقْبَضُ وَيُؤْخَذُ وَيَجِيءُ.

وَمِنْهُمْ طَوَائِفٌ مِنْ أَهْلِ الْفَلَسَفَةِ وَصَفُّوْهَا بِأُمُورٍ لَا يَتَّصِفُ بِهَا إِلَّا مُتَمَتِّعٌ  
الْوُجُودِ، فَقَالُوا: لَا هِيَ دَاخِلُ الْبَدَنِ وَلَا خَارِجُهُ، وَلَا مُدَاخِلَةٌ لَهُ وَلَا مُبَايِنَةٌ،  
وَلَا مُتَحَرِّكَةٌ وَلَا سَاكِنَةٌ، وَلَا تَصْعَدُ وَلَا تَهْبِطُ، وَلَا هِيَ جِسْمٌ وَلَا عَرَضٌ، وَقَدْ  
يَقُولُونَ: إِنَّهَا لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا مُبَايِنَةٌ لَهُ وَلَا مُدَاخِلَةٌ، كَمَا يَصِفُونَ  
بِذَلِكَ الْخَالِقَ الْوَاجِبَ الْوُجُودِ.

فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: إِبْتِاثُ هَذَا الْقَوْلِ مُتَمَتِّعٌ فِي الْعَقْلِ صَرُورَةٌ، قَالُوا: هَذَا مُمَكِّنٌ،  
بِدَلِيلٍ أَنَّ الْكُلِّيَّاتِ مُمَكِّنَةٌ مَوْجُودَةٌ وَهِيَ غَيْرُ مُشَارٍ إِلَيْهَا، وَقَدْ غَفَلُوا عَنْ كَوْنِ  
الْكُلِّيَّاتِ لَا تَوْجَدُ كُلِّيَّةً إِلَّا فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْأَعْيَانِ، فَإِنَّ الذَّهْنَ يَفْرِضُ أَشْيَاءَ فِي  
الْحَيَالِ لَا يُمَكِّنُ وُجُودَهَا فِي الْخَارِجِ، كَأَن يَتَخَيَّلُ ارْتِفَاعَ النَّقِيزَيْنِ أَوْ اجْتِمَاعَهُمَا  
مَعَ أَنَّ هَذَا مُتَمَتِّعٌ<sup>[١]</sup>.

[١] وقوله: «وَمِنْهُمْ طَوَائِفٌ مِنْ أَهْلِ الْفَلَسَفَةِ وَصَفُّوْهَا بِأُمُورٍ لَا يَتَّصِفُ بِهَا  
إِلَّا مُتَمَتِّعٌ الْوُجُودِ...»: وَهُمْ بِهِذَا الْقَوْلِ حَكَمُوا عَلَى الرُّوحِ وَلَمْ يَتَوَقَّفُوا، أَمَّا لَوْ قَالُوا:  
لَا نَذَرِي. لَرَبَّمَا كَانُوا يُعَذَّرُونَ.

لكن كونهم يحكمون بهذه الصفات التي لا يوصف بها إلا ما كان متمتعاً غاية  
الامتناع، ولا شك أن هذا خطأ وقول بلا علم.

فهم يقولون: الروح شيء لا داخل البدن ولا خارجة، ولا مداخل ولا مباین،  
ولا متحرك ولا ساكن، ولا صاعد ولا هابط، ولا جسم ولا عرض.  
وهذا القول معناه العدم الذي لا يمكن الوجود معه.

وإذا قيل لهم: إِبْتِاثُ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي قُلْتُمُوهُ عَنِ الرُّوحِ، مُتَمَتِّعٌ فِي الْعَقْلِ ضَرُورَةٌ.

وَاعْلَمَ أَنَّ اضْطِرَابَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفَلَاسِفَةِ فِي الرُّوحِ كَثِيرٌ وَلَهُ سَبَبَانِ:  
أَحَدُهُمَا: قِلَّةُ بَضَاعَتِهِمْ بِمَا جَاءَ بِهِ الْوَحْيُ فِي صِفَاتِهَا.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ لَا يُشَاهِدُونَ لَهَا نَظِيرًا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ هَذَا  
الْبَدَنِ، وَلَا مِنْ جِنْسِ الْعَنَاصِرِ وَالْمَوْلَدَاتِ مِنْهَا، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ جِنْسٍ آخَرَ مُخَالِفٍ  
لِهَذِهِ الْأَجْنَاسِ، فَعَرَفَهَا الْفَلَاسِفَةُ بِالسُّلُوبِ الَّتِي تُوجِبُ مُخَالَفَتَهَا لِلْأَجْسَامِ  
الْمَشْهُودَةِ، وَجَعَلَهَا الْمُتَكَلِّمُونَ مِنْ جِنْسِ الْأَجْسَامِ الْمَشْهُودَةِ، فَطَرِيقُ الْفَلَاسِفَةِ  
فِيهَا تَعْطِيلٌ، وَطَرِيقُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِيهَا تَمْثِيلٌ، وَكِلَا الطَّرِيقَيْنِ خَطَأٌ<sup>[١]</sup>.

قَالُوا: هَذَا مُمَكِّنٌ، بِدَلِيلِ إِبْثَاتِ الْكُلِّيَّاتِ، أَيْ مَعْنَاهَا الْوَصْفُ الْعَامُّ الَّذِي  
تَشْتَرِكُ بِهِ الْأَشْيَاءُ، كَأَنْ يُقَالَ مَثَلًا: الْحَيَوَانِيَّةُ يَشْتَرِكُ فِيهَا كُلُّ حَيَوَانٍ، وَكَذَلِكَ  
الْإِنْسَانِيَّةُ يَشْتَرِكُ بِهَا كُلُّ إِنْسَانٍ، لَكِنْ لَا تُوجَدُ إِنْسَانِيَّةٌ قَائِمَةٌ مُشَارًّا إِلَيْهَا، لَكِنَّ الدَّهْنَ  
يَفْرَضُ أَنَّ إِنْسَانِيَّةً كُلِّيَّةً أَوْ حَيَوَانِيَّةً كُلِّيَّةً تَشْتَرِكُ فِيهَا الْحَيَوَانَاتُ.

وَهَذِهِ الْأَوْصَافُ مُسْتَحِيلَةٌ وَمُتَنَعَّةٌ، وَقِيَاسُهُمْ إِيَّاهَا عَلَى الْكُلِّيَّاتِ قِيَاسٌ فَاسِدٌ؛  
لَأَنَّ الْكُلِّيَّاتِ مَعَانٍ أَوْ أَشْيَاءَ يَتَخِيلُهَا الْإِنْسَانُ فِي ذَهْنِهِ فَقَطْ، أَمَّا إِنَّمَا هِيَ وَجُودٌ حَقِيقَةٌ،  
فَلَيْسَ لَهَا حَقِيقَةٌ.

فَلَا تُوجَدُ إِنْسَانِيَّةٌ مَعْرُوفَةٌ يُشَارُّ إِلَيْهَا، وَلَا حَيَوَانِيَّةٌ مَعْرُوفَةٌ يُشَارُّ إِلَيْهَا، وَإِنَّمَا هِيَ  
كُلِّيَّةٌ يَشْتَرِكُ فِيهَا أَنْوَاعٌ وَأَجْنَاسٌ كَثِيرَةٌ، وَهَذِهِ الْكُلِّيَّةُ يَفْرَضُهَا الدَّهْنُ وَلَكِنَّهَا لَا تُوجَدُ  
فِي الْحَارِجِ.

[١] اضْطِرَابُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفَلَاسِفَةِ فِي الرُّوحِ كَثِيرٌ، وَسَبَبُهُ أَنَّ الرُّوحَ لَيْسَتْ

مِنْ جِنْسِ هَذَا الْبَدَنِ.

وَسَبَبٌ آخَرُ، وَهُوَ عَدَمُ الرُّجُوعِ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي وَصْفِهَا؛ لِأَنَّ كِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ يَرَجِعُونَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ إِلَى الْعُقُولِ، وَالْعُقُولُ لَا تُدْرِكُ شَيْئًا يُشَابِهَ الرُّوحَ بِالْأَشْيَاءِ الْمَحْسُوسَةِ، فَلِذَلِكَ اضْطَرَبُوا فِيهَا هَذَا الْاضْطِرَابَ الْعَظِيمَ.

فَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الْعَنَاصِرِ وَالْمَوْلُودَاتِ مِنْهَا، وَهَذَا صَحِيحٌ أَيْضًا، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ جِنْسٍ آخَرَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، فَهِيَ مُخَالِفَةٌ لِهَذِهِ الْأَجْنَاسِ.

فَعَرَفَهَا الْفَلَسِيفَةُ بِالنَّفْيِ، أَيَّ أَتَمُّ لَمْ يُثَبِّتُوا لَهَا أَيَّ صِفَةٍ ثُبُوتِيَّةٍ لَثَلًا تَشْتَبِهَ بِالْأَجْسَامِ الْمُشْهُودَةِ، وَجَعَلُوا كُلَّ أَوْصَافِهَا أَوْصَافًا سَلْبِيَّةً، حَتَّى لَا يَكُونَ لَهَا مُشَارَكَةٌ فِي الْبَدَنِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ جِنْسِهَا.

أَمَّا الْمُتَكَلِّمُونَ فَإِنَّهُمْ عَكَّسُوا ذَلِكَ وَوَصَفُوهَا بِأَوْصَافِ الْأَجْسَامِ، فَيَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ طَرِيقَةَ الْفَلَسَافَةِ فِيهَا التَّعْطِيلُ، وَطَرِيقَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِيهَا التَّمَثِيلُ».

وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ خَطَأٌ؛ لِأَنَّ تَمَثِيلَهَا بِالشَّاهِدِ الْمَحْسُوسِ وَهِيَ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّهُ قَوْلٌ بِلا عِلْمٍ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُخَاطَبُ الرُّوحَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَتَابَتُّهَا أَلْتَفْسُ الْمَطْمِئِنَّةُ ۝٢٧ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

فَسَبَبُ تَخْبِطِهِمْ هُوَ أَنَّ الرُّوحَ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الْأَجْسَامِ الْمُشْهُودَةِ، وَسَبَبٌ آخَرُ هُوَ عَدَمُ الرُّجُوعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالرُّوحِ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ رَجَعُوا إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا حَصَلَ الْاِخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَتْ اتَّبَعَهَا الْبَصَرُ<sup>(١)</sup>، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَجْعَلُهَا فِي كَفَنٍ وَتَصْعَدُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَمَعَ هَذَا فَالْعُقُولُ قَاصِرَةٌ عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهَيْهَا وَحَقِيقَتِهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]<sup>[١]</sup>.

فَإِذَا كَانَتِ الرُّوحُ حَقِيقَةً وَاتَّصَفَتْ بِمَا وُصِفَتْ بِهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ حَقِيقَةً، مَعَ أَنَّهَا لَا تُثَابِلُ الْأَجْسَامَ الْمَشْهُودَةَ، وَالنَّاسُ عَاجِزُونَ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهَا وَكُنْهَيْهَا، .....

[١] صَحَّ أَنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَتْ تَبِعَهَا الْبَصَرُ، كَمَا حَدَّثَ لَأَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ شَهِدَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَنْ مَاتَ وَقَدْ شَقَّ بَصْرُهُ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»<sup>(٢)</sup>، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا شَيْءٌ يُرَى، وَلِهَذَا يَتَّبِعُهُ الْبَصَرُ وَيُشَاهِدُهُ.

وَصَحَّ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهَا تُجْعَلُ فِي كَفَنٍ، فَقَالَ ﷺ عَنْ رُوحِ الْمُؤْمِنِ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْخَةٍ مِنْكَ وَجَدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ»<sup>(٣)</sup>، وَالشَّيْءُ الَّذِي يُجْعَلُ فِي كَفَنٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ فِي كَفَنٍ.

فَنَحْنُ الْآنَ نُدْرِكُ بِمَا عَلِمْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ الرُّوحَ جِسْمٌ، لَكِنَّهُ لَيْسَ كَأَجْسَامِنَا، فَأَجْسَامُنَا كَثِيفَةٌ ثَقِيلَةٌ مُوزُونَةٌ، وَالرُّوحُ جِسْمٌ لَا نَعْلَمُ حَقِيقَةَ كُنْهِهِ.

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر رقم (٩٢٠).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، رقم (٩٢٠).

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٧/٤) رقم (١٨٥٥٧).

كَانَ اتِّصَافُ الْخَالِقِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ مَعَ مُبَايَنَّتِهِ لِلْمَخْلُوقَاتِ مِنْ  
بَابِ أَوْلَى، وَكَانَ عَجْزُ أَهْلِ الْعُقُولِ عَنْ أَنْ يَحْدُوا اللَّهَ أَوْ يُكَيِّفُوهُ أَيْبُنُ مِنْ عَجْزِهِمْ  
عَنْ حَدِّ الرُّوحِ وَتَكْيِيفِهَا.

وَإِذَا كَانَ مَنْ نَفَى صِفَاتِ الرُّوحِ جَاحِدًا مُعْطَلًا، وَمَنْ مَثَّلَهَا بِمَا يُشَاهِدُ مِنَ  
الْمَخْلُوقَاتِ جَاهِلًا بِهَا مُمَثِّلًا، فَالْخَالِقُ سُبْحَانَهُ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ مَنْ نَفَى صِفَاتِهِ  
جَاحِدًا مُعْطَلًا، وَمَنْ قَاسَهُ بِخَلْقِهِ جَاهِلًا بِهِ مُمَثِّلًا<sup>[١]</sup>.

الْحَاتِمَةُ<sup>[٢]</sup>

هَذِهِ الْحَاتِمَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى قَوَاعِدَ عَظِيمَةٍ مُفِيدَةٍ.

[١] بِتَطْبِيقِ الْمَثَلِ الْأَوَّلِ فِيمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَعْرِفُ  
مَعْنَاهُ وَلَكِنْ لَا نُدْرِكُ حَقِيقَتَهُ.

وَالثَّانِي: الرُّوحُ، فَإِنَّا نَعْلَمُ عَنْ حَقِيقَةِ وَجُودِهَا وَعَنْ صِفَاتِهَا الْوَارِدَةِ فِي  
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْرِفَ كُنْهَهَا أَوْ حَقِيقَتَهَا، فَكَذَلِكَ الْخَالِقُ  
عَزَّوَجَلَّ نَعْرِفُ مِنْ صِفَاتِهِ مِمَّا بَلَّغَنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَكِنْ لَا نُدْرِكُ حَقِيقَةَ هَذِهِ  
الصِّفَاتِ وَكُنْهَهَا.

فَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ الْأَوَّلَ أَرَادَ بِهِ الْمُؤَلِّفُ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ قَدْ تَنَقَّقُ فِي الْأَسْمَاءِ  
وَتَخْتَلِفُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَالثَّانِي أَرَادَ بِهِ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَعْلَمُ الشَّيْءَ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ  
وَحَقِيقَتَهُ.

[٢] الْحَاتِمَةُ هُنَا نِسْبِيَّةٌ، أَيُّ بِالنِّسْبَةِ لِمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّوْحِيدِ وَالصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ هَذَا  
الْكِتَابَ يَتَضَمَّنُ الْبَحْثَ فِي شَيْئَيْنِ: فِي التَّوْحِيدِ وَالصِّفَاتِ، وَفِي الشَّرْعِ وَالْقَدْرِ.

القاعدة الأولى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَوْصُوفٌ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ <sup>(١)</sup>، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَإِنَّمَا جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ لِأَنَّهُ لَا يَتِمُّ كَمَالُ الْمَوْصُوفِ إِلَّا بِنَفْيِ صِفَاتِ النَّقْصِ وَإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَكُلُّ الصِّفَاتِ الَّتِي نَفَاهَا اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ صِفَاتُ نَقْصٍ كَالْإِعْيَاءِ وَاللُّغُوبِ وَالْعَجْزِ وَالظُّلْمِ وَمُمَاثِلَةِ الْمَخْلُوقِينَ، فَهُوَ فِي صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ لَا يُمَاتِلُ الْمَخْلُوقَ فِيمَا ثَبَتَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، فَصِفَاتُهُ كَامِلَةٌ لَا يَعْتَرِيهَا نَقْصٌ بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ.

[١] قوله: «القاعدة الأولى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَوْصُوفٌ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ»: هذه

القاعدة جمع فيها ما وصف به نفسه بالنفي والإثبات، وقد اجتمع الأمران في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ففي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ نفي، وفي قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ إثبات، ومعلوم أن الكمال لا يتم إلا بإثبات ونفي، بإثبات لصفات الكمال ونفي عما يضاده. ولهذا نقول: توحيد الأسماء والصفات. والتوحيد لا بد فيه من نفي وإثبات، وكل ما نفى الله عن نفسه فهو صفة نقص: كالنوم، والسنة، والموت، والعجز، وما أشبهها، فكلها مما نفاه الله عن نفسه؛ لأنها صفة نقص، ومن النقص أن يماثل الله المخلوقين؛ لأن المخلوق ناقص، ومماثلة الكامل للناقص تجعله ناقصاً.

ولهذا: قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وَقَالَ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]،



وَكُلُّ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ فَهُوَ صِفَاتُ كَمَالٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، سَوَاءٌ كَانَتْ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا أَزَلًا وَأَبَدًا أَمْ مِنَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا حَيْثُ تَقْتَضِيهَا حِكْمَتُهُ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ ثَابِتًا لَهُ أَزَلًا وَأَبَدًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ فَعَالًا<sup>[١]</sup>.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، أَرَادَ الْمُؤَلِّفُ أَنْ يُبَيِّنَ الضَّابِطَ فِيمَا أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ، وَفِيمَا نَقَى عَنْ نَفْسِهِ.

[١] كُلُّ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ فَهُوَ صِفَاتُ كَمَالٍ، سَوَاءٌ كَانَ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا أَزَلًا وَأَبَدًا، أَوْ مِنَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ.

فَالصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ: هِيَ الَّتِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مُتَّصِفًا بِهَا، سَوَاءٌ كَانَتْ مِنَ صِفَاتِ الْمَعَانِي، أَوْ صِفَةً خَبَرِيَّةً لَيْسَتْ مِنَ الْمَعَانِي.

وصِفَاتُ الْمَعَانِي الذَّاتِيَّةُ: مِثْلُ: السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَالْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَهَذِهِ الصِّفَاتُ ذَاتِيَّةٌ مُلَازِمَةٌ لِلذَّاتِ، مَوْجُودَةٌ بِوُجُودِهِ، لَا تُفَارِقُ الذَّاتَ أَبَدًا.

وَالصِّفَاتُ الْخَبَرِيَّةُ الذَّاتِيَّةُ: هِيَ الَّتِي لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِهَا، وَلَا يُمَكَّنُ أَنْ تُفَارِقَ الذَّاتَ، وَهِيَ الَّتِي مُسَمَّاها بِالنِّسْبَةِ لَنَا أَبْعَاضُ وَأَجْزَاءُ، مِثْلُ: الْيَدِ وَالْوَجْهِ وَالْقَدَمِ وَالْعَيْنِ، فَهَذِهِ تُسَمِّيها صِفَاتٌ ذَاتِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ وَلَيْسَتْ مَعْنَوِيَّةٌ؛ لِأَنَّكَ لَوْ قُلْتَ (مَعْنَوِيَّةٌ) لَوَافَقَتْ مَنْ يُحَرِّفُونَ الْمَعْنَى إِلَى مَا يُخَالِفُ الظَّاهِرَ.

فلو قلت: إِنَّ الْيَدَ صِفَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ. صَارَ مَعْنَاهَا أَنَّكَ فَسَّرْتَهَا بِالْقُوَّةِ، بَلْ نَقُولُ: هِيَ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ. أَيَّ أَتَمَّا مُتْلَقَةً مِنَ الْخَيْرِ وَلَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيهَا مَجَالٌ إِطْلَاقًا.

فهذه الصِّفَاتُ مُسَمَّاهَا بِالنِّسْبَةِ لَنَا أِبْعَاضٌ وَأَجْزَاءٌ، وَلَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ فَلَا نَقُولُ: إِنَّهَا بَعْضٌ أَوْ جُزْءٌ. لِأَنَّ الْبَعْضَ أَوْ الْجُزْءَ لَا يَصِحُّ أَنْ يُفَارِقَ الْكُلَّ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لَهُذِهِ الصِّفَاتِ فِي حَقِّ اللَّهِ عَزَّجَلَّ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُفَارِقَ الْكُلَّ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ نَقُولَ: اللَّهُ كُلُّ أَوْ جُزْءٌ. وَإِنَّمَا يُقَالُ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ.

فهذه الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ كُلُّهَا صِفَاتٌ كِمَالٍ، وَكَذَلِكَ الصِّفَاتُ الْفِعْلِيَّةُ فِيهِ كِمَالٌ حَيْثُ تَقْتَضِيهَا الْحِكْمَةُ؛ لِأَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِمَشِئَتِهِ، وَمَشِئَتُهُ مَقْرُونَةٌ بِالْحِكْمَةِ.

فَلَا اسْتِوَاءٌ عَلَى الْعَرْشِ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ لِزِمَةٍ لِدَاتِ اللَّهِ، إِذْ إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ إِلَّا بَعْدَ خَلْقِ الْعَرْشِ، وَالِاسْتِوَاءُ الَّذِي نَعْلَمُهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَمَّا قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلَمْ نَعْلَمْ هَلْ هُوَ سَبْحَانَهُ مُسْتَوٍ أَوْ غَيْرُ مُسْتَوٍ، فَلَا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ إِلَّا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَمَّا مَا قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ مَجْهُولٌ لَنَا.

إِذِنْ: الْاسْتِوَاءُ لَيْسَ لِزِمًا لِدَاتِ اللَّهِ، فَيَكُونُ مِنَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَثْبَتُوا الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ كَمَا أَثْبَتَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ، وَأَهْلُ التَّحْرِيفِ وَالتَّعْطِيلِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، وَقَالُوا: لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِصِفَاتٍ فِعْلِيَّةٍ؛ لِأَنَّ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةَ حَوَادِثُ، وَالْحَوَادِثُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ.

وقالوا أيضًا: هذه الصفات الفعلية إن كانت صفة كمال؛ فإنه يلزم أن يكون مُتَّصِفًا بها دائمًا وأبدًا، وإن كانت صفة نقص؛ فإنه لا يجوز أن يتَّصف بها.

ويقولون: إن هذه الصفات الفعلية إن كانت صفات كمال؛ وجب أن يتَّصف بها أزلًا وأبدًا، وإلا كان -في حال عدم اتصافه بها- ناقصًا، وإن كانت صفات نقص لزم ألا يتَّصف بها.

يقولون مثلًا: استواء الله على العرش صفة فعلية، فصارت تعليلهم بامتناع الصفات الفعلية منبئًا على أمرين:

الأول: أن هذه حوادث، والحوادث لا تقوم إلا بحدوث.

الثاني: أن هذه إما أن تكون صفة كمال؛ فيلزم أن يتَّصف بها دائمًا، أو صفة نقص؛ فيلزم ألا يتَّصف بها.

والجواب على هذا أن نقول: أمّا قولهم إن الحوادث لا تقوم إلا بحدوث فهذا ممنوع، فإننا نرى أن الحوادث تتجدد حتى بالنسبة للحدوث.

فمثلًا: أنا أفعل الشيء اليوم وأمس ما فعلته؛ فكنت سابقًا عليه، كذلك «الواجب الوجود» سابق على فعله الذي يحدث بمشيئته.

إذن: إذا قام الفعل الحادث بالله عزَّ وجلَّ؛ لا يلزم أن يكون الله عزَّ وجلَّ حادثًا، فهذا ممنوع إطلاقًا، ولا دليل عليه لا من السمع ولا من العقل.

وأمّا قولهم: هذه الصفة الفعلية إما أن تكون كمالًا فيكون مُتَّصِفًا بها أزلًا وأبدًا، وإما أن تكون نقصًا؛ فلا يجوز أن يتَّصف بها بأي حال من الأحوال.

فنقول: هي كمال حيث تقتضيها الحكمة، وفقدوها كمال حين لا تقتضيها الحكمة،  
وحينئذ لم يتصف الله تعالى بالنقص كما أشرنا إليه هنا.

واعلم أن الصفات الفعلية إنما يحدث فيها النوع أو الآحاد، أما الجنس فهو من  
الصفات الذاتية وليست الحالية، فجنس الفعل أي أن الله يفعل ما يشاء.

وأما النوع أو الواحد فهذا هو الذي يتجدد، فتجدد النوع كالاستواء على العرش.  
أما الكلام فهو متجدد الآحاد؛ لأن نوعه قديم، لكن آحاده التي تتعلق بمراده  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَشِيئَتِهِ هَذَا مُتَجَدِّدٌ، فقولُه تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي  
زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]، حَدَّثَ هَذَا الْكَلَامُ بَعْدَ أَنْ حَدَّثَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ،  
وَهَذَا قَالَ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾، والتعبير بِ (قَدْ) الدالة على التحقيق،  
مُقْتَرَنَةً بِ (سَمِعَ) الدالة على المعنى، تدلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِهَذِهِ  
الْجُمْلَةِ بَعْدَ حُصُولِ الْحَادِثَةِ.

وبه نعلم أن ما ذُكِرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ جُمْلَةً  
وَاحِدَةً إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ. لا أصل له، وأن القرآن يدلُّ على خلافه.

وأما قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، فهذا يَحْتَمِلُ  
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَلَكِنَّهُ تَكَلَّمَ بِهِ حِينَ يُلْقِيهِ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ويَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾: أَي ذِكْرُهُ، كَمَا قَالَ  
تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، فَهَلِ الْقُرْآنُ فِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ مَكْتُوبٌ،  
أَوْ ذِكْرُهُ وَالْإِخْبَارُ عَنْهُ وَالشَّاءُ عَلَيْهِ؟

وَالْجَوَابُ: الثَّانِي؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مَا نَزَلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا عَلَى غَيْرِهِمْ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣٦) أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُونَا بَنَى إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٣٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿[الشعراء: ١٩٦-١٩٩]، فَبَنُوا إِسْرَائِيلَ مَا عَلِمُوا الْقُرْآنَ، بَلْ عَلِمُوا ذِكْرَهُ، فَفِيهِ احْتِمَالٌ قَوِيٌّ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ ﴿١٣٩﴾ فِي لَوْجٍ مَحْفُوظٍ ﴿[البروج: ٢١-٢٢]، أَيِ ذِكْرًا، وَلَيْسَ مُتَعَيِّنًا أَنْ يَكُونَ قَدْ كُتِبَ.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةَ بِاعْتِبَارِ جِنْسِ الْفِعْلِ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مُتَّصِفًا بِالْفِعْلِ، وَأَمَّا بِاعْتِبَارِ النَّوعِ وَالْأَحَادِ فِيهِ حَادِثَةٌ قَدْ يَحْدُثُ النَّوعُ كُلُّهُ، كَالِاسْتَوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، وَالنُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَقَدْ تَحْدُثُ الْآحَادُ مِثْلُ الْكَلَامِ، فَهَذِهِ الصِّفَاتُ الْفِعْلِيَّةُ - الْحَقِيقَةُ - أَنَّ إِثْبَاتَهَا مِنْ مُقْتَضَى إِثْبَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ وَلَا بُدَّ مِنْهُ، فَمَنْ نَفَاهَا عَنِ اللَّهِ فَقَدْ وَصَفَهُ بِالنَّقْصِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِلُ. أَيْ لَا يَفْعَلُ وَلَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي يَفْعَلُ أَكْمَلُ.



## فصل

فَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ<sup>[١]</sup>: الْحَيَاةُ، وَالْعِلْمُ، وَالْقُدْرَةُ، وَالسَّمْعُ، وَالْبَصَرُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْكَلَامُ، وَالْعِزَّةُ، وَالْحِكْمَةُ، وَالْمَغْفِرَةُ، وَالرَّحْمَةُ.

فَحَيَاتُهُ تَعَالَى حَيَاةٌ كَامِلَةٌ مُسْتَلَزِمَةٌ لِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ، لَمْ يَسْبِقْهَا عَدَمٌ، وَلَا يَلْحَقُهَا فَنَاءٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَكَّلْ عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَالَ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]<sup>[٢]</sup>، وَقَالَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَعِلْمُهُ تَعَالَى كَامِلٌ شَامِلٌ لِكُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، لَمْ يَسْبِقْهُ جَهْلٌ، وَلَا يَلْحَقُهُ نِسْيَانٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مُوسَى حِينَ سَأَلَهُ فِرْعَوْنُ: مَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]<sup>[٣]</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

[١] قوله: «فَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الَّتِي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ...»: (مِنْ) لِلتَّبْعِيضِ، أَيَّ أَنَّ هَذِهِ أُمُثْلَةٌ وَلَيْسَتْ حَصْرًا، فَصِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى أَكْثَرُ بِكَثِيرٍ مِنْ هَذَا، وَلَا يَحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَكِنَّ هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّمثِيلِ.

[٢] قوله تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

﴿الْأَوَّلُ﴾: يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَيَاتَهُ أَزَلِيَّةٌ. ﴿وَالْآخِرُ﴾: يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَيَاتَهُ أَبَدِيَّةٌ.

[٣] قوله تَعَالَى: ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢].

وَقُدْرَتُهُ تَعَالَى كَامِلَةٌ، لَمْ تُسَبِّقْ بِعَجْزٍ وَلَا يَلْحَقُهَا عَجْزٌ (تَعَبٌ) <sup>(١١)</sup>، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلِلَّةٌ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وَقَالَ: ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وَحِكْمَتُهُ تَعَالَى حِكْمَةٌ بِالِغَةِ، مُنْزَهَةٌ عَنِ الْعَبَثِ، شَامِلَةٌ لِحَلْقِهِ وَشَرْعِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المالك: ٢]، وَقَالَ: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٠].

وَحِكْمَتُهُ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ لَا يُحِيطُ بِهَا الْخَلْقُ، فَقَدْ نَعِجْزُ عَنْ إِدْرَاكِ الْحِكْمَةِ فِيهَا خَلْقَهُ أَوْ شَرْعَهُ، وَقَدْ نُذِرُكُ مِنْهَا مَا يَفْتَحُ اللَّهُ بِهِ عَلَيْنَا.

وَمَعْنَى ﴿لَا يَصِلُ﴾: أَي لَا يَجْهَلُ.

وَمَعْنَى ﴿وَلَا يَنْسَى﴾: أَي لَا يَنْسَى مَا ذَكَرَهُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَنْفِيٌّ عَنْ الْجَهْلِ لِكَمَالِ عِلْمِهِ، وَكَذَلِكَ مَنْفِيٌّ عَنْ النِّسْيَانِ لِكَمَالِ عِلْمِهِ أَيْضًا؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ مُحْفُوفٌ بِنَقْصَيْنِ: إِمَّا جَهْلٌ سَابِقٌ، وَإِمَّا نِسْيَانٌ لَاحِقٌ، وَعِلْمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنْزَهٌ عَنْ هَذَيْنِ الْعَيَيْنِ.

[١] وَقَوْلُهُ: «وَقُدْرَتُهُ تَعَالَى كَامِلَةٌ لَمْ تُسَبِّقْ بِعَجْزٍ..»: فَقُدْرَةُ الْمَخْلُوقِ مَسْبُوقَةٌ بِعَجْزٍ وَمَلْحُوقَةٌ بِعَجْزٍ - أَيْضًا -، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ فِي حَالِ صِغَرِهِ يَعْجِزُ عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ يَقُومُ بِهَا فِي حَالِ كِبَرِهِ، وَبَعْدَ الْكِبَرِ وَرِيْعَانِ الشَّبَابِ وَالْقُوَّةِ، يَعُودُ فَيَكُونُ ضَعِيفًا عَاجِزًا عَمَّا كَانَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ، أَمَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّ قُدْرَتَهُ لَمْ يَسْبِقْهَا عَجْزٌ وَلَا يَلْحَقُهَا عَجْزٌ؛ لِأَنَّهَا كَامِلَةٌ.

وَعَلَى هَذَا تَجْرِي سَائِرُ الصِّفَاتِ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ، فَكُلُّهَا صِفَاتُ كَمَالٍ لَا تَقْصُ فِيهَا بَوَاجُهُ مِنَ الْوُجُوهِ<sup>[١]</sup>.

[١] وقوله: «وَحِكْمَتُهُ تَعَالَى حِكْمَةً بِالْغَةِ...»: فَحِكْمَةُ اللَّهِ بِالْغَةِ أَي كَامِلَةٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ [القمر: ٥]، وَهِيَ أَيْضًا مُنْزَهَةٌ عَنِ الْعَبَثِ، وَشَامِلَةٌ لِلخَلْقِ وَالشَّرْعِ.

فَإِنْ قِيلَ: مَا مَعْنَى الْحِكْمَةِ؟

قُلْنَا: الْحِكْمَةُ فِعْلُهُ، وَكَلِمَةُ (فِعْلُهُ) تَدُلُّ عَلَى الْهَيْئَةِ، وَهِيَ مَأْخُودَةٌ مِنَ الْإِحْكَامِ وَهُوَ الْإِتْقَانُ، فَحِكْمَةُ اللَّهِ يَعْنِي إِتْقَانَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ أَلَدَى أَنْفَنَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وَهِيَ أَيْضًا مَأْخُودَةٌ مِنَ الْحُكْمِ.

إِذَنْ: الْحِكْمَةُ الْإِتْقَانُ، فَهِيَ إِتْقَانُ الشَّيْءِ، وَسَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ فِي الْخَلْقِ أَوْ الشَّرْعِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُطَابِقٌ لِلْحِكْمَةِ، فِي إِيجَادِهِ وَفِي إِعْدَادِهِ وَفِي صُورَتِهِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، وَفِي غَايَتِهِ.

فَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يُوجِدْ شَيْئًا إِلَّا لِلْحِكْمَةِ، وَكَذَلِكَ مَا يَكُونُ مِنَ الشُّرُورِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْجَدَهُ لِلْحِكْمَةِ.

وَكَذَلِكَ فِي إِعْدَادِهِ، فَقَدْ يُمَدُّ اللَّهُ هَذَا الشَّيْءَ بَعْدَ إِيجَادِهِ وَيُسَاعِدُهُ لِيَبْقَى، مَعَ أَنَّهُ ضَارٌّ وَلَكِنْ لِلْحِكْمَةِ.

وَكَذَلِكَ الثَّمَرَاتُ الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَى هَذَا الشَّيْءِ هِيَ أَيْضًا مِنَ الْحُكْمِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: إِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صُورَةِ الشَّيْءِ وَفِي غَايَتِهِ وَثَمَرَتِهِ، وَهَذَا كَمَا أَنَّهُ فِي الْقَدْرِ كَذَلِكَ يَكُونُ فِي الشَّرْعِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُوجِبْ شَيْئًا إِلَّا وَحِكْمَتُهُ تَقْتَضِي إِيجَابَهُ، وَلَمْ



يُحَرِّمُ شَيْئًا إِلَّا وَحِكْمَتُهُ تَقْتَضِي تَحْرِيمَهُ، وَهَكَذَا بَقِيَّةُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هَلْ هَذِهِ الْحِكْمَةُ الَّتِي يُودِعُهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْمَخْلُوقَاتِ  
وَالْمَشْرُوعَاتِ مَعْلُومَةٌ لَنَا؟

وَالْجَوَابُ: قَدْ تَكُونُ مَعْلُومَةٌ لَنَا وَقَدْ تَكُونُ مَجْهُولَةً؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَا  
أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ شَرَعَهُ اللَّهُ يَكُونُ مَعْلُومًا  
حِكْمَتُهُ بِالنِّسْبَةِ لِلْبَشَرِ، وَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ يَكُونُ مَعْلُومًا حِكْمَتُهُ بِالنِّسْبَةِ  
لِلْبَشَرِ.

وَلَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا وَلَمْ يُشَرِّعْ شَيْئًا إِلَّا وَالْحِكْمَةَ  
تَقْتَضِيهِ.

ثُمَّ أَتَيْنَا بِأَدَلَّةٍ ثَلَاثَةٍ:

الدَّلِيلُ الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ۚ  
مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩]، فَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا  
بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ﴾: هَذِهِ صِفَةُ سَلْبِيَّةٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: هَذِهِ صِفَةُ ثُبُوتِيَّةٌ.  
إِذِنْ: انْتَفَى عَنْهُ صِفَةُ اللَّعِبِ لِكَمَالِ أَحَقِّيَّةِ مَا يَفْعَلُهُ عَزَّوَجَلَّ، فَصَارَ نَفْيُ اللَّعِبِ عَنْهُ  
فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِكَمَالِ أَحَقِّيَّتِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾:  
تَثْبِيْتُ لِهَذَا الْكَمَالِ.

وَالدَّلِيلُ الثَّانِي: قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾  
[الملك: ٢]، فَهَذَا فِيهِ إِبْتَاتُ خَلْقِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، وَالْعِلَّةُ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

إِذَنْ: هَذَا طَرِيقٌ مِنْ طَرِيقِ إِبْتَاتِ الْعِلَّةِ أَوْ الْحِكْمَةِ، وَهِيَ أَنْ يُؤْتَى بِلَامِ التَّعْلِيلِ، وَكَذَلِكَ لَوْ أَتَى بِـ (بَاءٍ) السَّبَبِيَّةِ، أَوْ (فِي) الَّتِي لِلْسَّبَبِيَّةِ.

إِذَنْ: مِنْ طَرِيقِ إِبْتَاتِ الْحِكْمَةِ الْحَرْفُ الدَّالُّ عَلَى التَّعْلِيلِ.

وَالدَّلِيلُ الثَّلَاثُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٠]، فَهَذَا نَصٌّ بِوَاسِطَةِ الْأَسْمِ (حَكِيمٍ) الدَّالُّ عَلَى الْحِكْمَةِ فِي حُكْمِهِ، وَهُنَا الْحُكْمُ ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ هَذَا حُكْمٌ شَرْعِيٌّ؛ لِأَنَّهُ ذِكْرٌ بَعْدَ أَنْ يَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى مَا بَيَّنَّ مِنْ أَحْكَامِ النِّسَاءِ الْمُهَاجِرَاتِ، فَقَالَ: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿حَكِيمٌ﴾: فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي مَعْنَاهَا إِتْمَا: (فَعِيلٌ) مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْحُكْمِ وَالْإِحْكَامِ. فَهِيَ (فَعِيلٌ) بِمَعْنَى (فَاعِلٌ)، أَوْ بِمَعْنَى (مُفْعِلٌ)، فَـ (حَكِيمٌ) بِمَعْنَى (حَاكِمٌ) وَبِمَعْنَى (مُحْكِمٌ).

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ لَفْظَ (حَكِيمٍ) يَأْتِي بِمَعْنَى حَاكِمٍ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَثِيرًا، كَبَصِيرٍ وَسَمِيعٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَهَلْ تَأْتِي (فَعِيلٌ) بِمَعْنَى (مُفْعِلٌ)؟

فَالْجَوَابُ: نَعَمْ، تَأْتِي بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَعْنَى (مُفْعِلٌ)، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَمِنْ رَيْحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُؤَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هَجُوعٌ<sup>(١)</sup>

فَقَوْلُهُ: «الدَّاعِي السَّمِيعُ»: أَيِ الدَّاعِي الْمُسْمِعُ لَا الدَّاعِي السَّامِعُ؛ لِأَنَّ الدَّاعِي

يُسْمِعُ غَيْرَهُ، فَعَلَى هَذَا تَكُونُ (حَكِيمٌ) بِمَعْنَى (حَاكِمٌ) و(مُحْكِمٌ)، أَي لَهُ الْحُكْمُ وَالْإِحْكَامُ.

وَالْحُكْمُ إِمَّا كَوْنِيٌّ وَإِمَّا شَرْعِيٌّ، أَمَّا الْكَوْنِيٌّ فَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ آيَةٌ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لى﴾ [يوسف: ٨٠]، أَي حُكْمًا قَدَرِيًّا؛ لِأَنَّ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ قَدْ حَكَمَ اللَّهُ لَهُ بِهِ بِأَنْ يَبْرَحَ الْأَرْضَ مَتَى شَاءَ، لَكِنَّ الْحُكْمَ الْكَوْنِيَّ هُوَ الْمُنْتَظَرُ، فَالْحُكْمُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَوْنِيٌّ.

وَمِثَالُ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٠].



## فصل

وَمِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي نَفَاهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ: الْمَوْتُ، وَالْجَهْلُ، وَالنَّسْيَانُ،  
وَالْعَجْزُ، وَالسَّنَةُ، وَالنَّوْمُ، وَاللُّغُوبُ، وَالْإِعْيَاءُ، وَالظُّلْمُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٨٥]، وَقَالَ عَنْ  
مُوسَى: ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]، وَقَالَ: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ  
مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤]، وَقَالَ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾  
[البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، وَقَالَ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ﴾  
[الأحاف: ٣٣]، وَقَالَ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]<sup>[١]</sup>.

[١] كُلُّ صِفَةٍ نَقَصَ نَفَاهَا اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ لَيْسَ الْمَرَادُ النَّفْيُ الْمَحْضُ، وَإِنَّمَا نَفَاهَا  
لِكَمَالٍ ضِدِّهَا، فَكَأَنَّهُ إِذَا قَالَ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، كَأَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ  
التَّعْلِيلِ؛ لِأَنَّهُ كَامِلُ الْعَدْلِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لِأَنَّهُ كَامِلُ الْحَيَاةِ وَالْقِيُومَةِ،  
وَعَلَى هَذَا فَقَسْ.

فَيَكُونُ هَذَا النَّفْيُ نَفْيًا لِنَقْصٍ فِي كَمَالِهِ عَزَّجَلَّ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانِ  
اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، هَذَا  
نَفْيًا لِلْعَجْزِ؛ لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾، وَالْإِنْسَانُ  
يَعْجِزُ عَنِ الشَّيْءِ إِمَّا لَجَهْلِهِ وَإِمَّا لِعَجْزِهِ.

وَكُلُّ صِفَةٍ نَفَاهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِشَيْئَيْنِ:  
أَحَدُهُمَا: انْتِفَاءُ تِلْكَ الصِّفَةِ.  
الثَّانِي: ثُبُوتُ كَمَالٍ ضِدِّهَا.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلُهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ الْعُجْزَ بَيَّنَّ أَنَّ ذَلِكَ لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ<sup>[١]</sup>.

وَالنَّفْيُ فِي الْقَاعِدَةِ الْأُولَى، وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَوْصُوفٌ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، فَكُلُّ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى تَدَوَّرُ عَلَى هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ: النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

فَإِذَا قُلْنَا: إِنَّ صِفَاتِ اللَّهِ الْمُنْفِيَةِ مُقْتَضَاها الْعَدَمُ الْمُحْضُ فَقَطْ؛ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ لِأَنَّ النَّفْيَ الْمُحْضَ عَدَمٌ مُحْضٌ، وَالْعَدَمُ لَيْسَ بِشَيْءٍ، فَضَلًّا عَنْ أَنْ يَكُونَ كَمَالًا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُوصَفُ إِلَّا بِالْكَمَالِ.

وَإِذَا قُلْنَا: فَلَانٌ غَيْرُ قَائِمٍ، فَمَعْنَاهُ أَنَّ الْقِيَامَ مَعْدُومٌ، فَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى مَدْحٍ أَوْ قَدْحٍ إِلَّا إِذَا كَانَ انْتِفَاءُ الْقِيَامِ مُتَضَمِّنًا لِكَمَالٍ، أَوْ مُتَضَمِّنًا لِنَقْصٍ يَقْتَضِيهِ بَدِيلٌ خَارِجِيٌّ.

[١] الْعُجْزُ يَعْتَرِي الْعَاجِزَ إِمَّا لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ، وَإِمَّا لِعَدَمِ عِلْمِهِ، فَالْإِنْسَانُ الَّذِي لَمْ يَتَعَلَّمْ مِثْلًا صِنَاعَةَ السَّيَّارَةِ، نَقُولُ: هَذَا يَعْجِزُ لِعَدَمِ عِلْمِهِ.

وَالْأَشْلُ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ، وَقَدْ قَرَأَ كَيْفَ يَصْنَعُ السَّيَّارَةَ لَكِنْ لَا يَسْتَطِيعُ، نَقُولُ: هَذَا يَعْجِزُ لِعَدَمِ الْقُدْرَةِ، فَتَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلُهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ لماذا؟ الجواب: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

وَعَلَى هَذَا فَتَنَفِي الظُّلْمِ عَنْ نَفْسِهِ مُتَضَمِّنٌ لِكَمَالِ عَدْلِهِ.  
وَنَفِي اللُّغُوبِ وَالْعِيِّ مُتَضَمِّنٌ لِكَمَالِ قُوَّتِهِ.  
وَنَفِي السَّنَةِ وَالنَّوْمِ مُتَضَمِّنٌ لِكَمَالِ حَيَاتِهِ وَقِيُومِيَّتِهِ.  
وَنَفِي الْمَوْتِ مُتَضَمِّنٌ لِكَمَالِ حَيَاتِهِ، وَعَلَى هَذَا تَجْرِي سَائِرُ الصِّفَاتِ الْمُنْفِيَّةِ.  
وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ النَّفْيُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ نَفْيًا مُحْضًا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ  
يَكُونَ لِإِبْثَاتِ كَمَالٍ<sup>[١]</sup>، وَذَلِكَ لِلرُّجُوهِ التَّالِيَةِ:  
الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، أَيِ الْوَصْفِ  
الْأَكْمَلِ، وَهَذَا مَعْدُومٌ فِي النَّفْيِ الْمَحْضِ<sup>[٢]</sup>.

فكُلُّ صِفَةٍ نَقَصٍ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا نَحْوَهَا أَنْ نُنْفِيَ هَذَا النِّقْصَ، وَأَنْ تُثَبَّتَ كَمَالُهُ.  
فَيَجِبُ أَنْ نُنْفِيَ الظُّلْمَ عَنِ اللَّهِ وَنَقُولَ: لَا يَظْلِمُ اللَّهُ أَحَدًا؛ وَهَذَا لِكَمَالِ عَدْلِهِ،  
فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ فِي أَفْعَالِهِ ظُلْمٌ وَلَا فِي أَحْكَامِهِ.  
[١] هَذِهِ قَاعِدَةٌ ضِمْنَ الْقَوَاعِدِ: وَهِيَ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ النَّفْيُ فِي صِفَاتِ  
اللَّهِ نَفْيًا مُحْضًا أَبَدًا، بَلْ هُوَ نَفْيٌ مُتَضَمِّنٌ لِلْكَمَالِ.  
فَالْعَجْزُ عَنِ الشَّيْءِ يَكُونُ إِمَّا لِعَدَمِ عِلْمِهِ، وَإِمَّا لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ.  
[٢] النَّفْيُ الْمَحْضُ الَّذِي لَا يَتَضَمَّنُ شَيْئًا لَا يَكُونُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ لِلرُّجُوهِ  
التَّالِيَةِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾، وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى هُوَ الْوَصْفُ  
الْأَكْمَلُ، وَ(النَّفْيُ الْمَحْضُ) عَدَمٌ مُحْضٌ لَيْسَ فِيهِ كَمَالٌ.

الثاني: أَنَّ النَّفْيَ الْمَحْضَ عَدَمٌ مُحْضٌ، وَالْعَدَمُ الْمَحْضُ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَمَا لَيْسَ بِشَيْءٍ فَكَيْفَ يَكُونُ مَدْحًا وَكَمًّا لَا؟

الثالث: أَنَّ النَّفْيَ - إِنْ لَمْ يَتَضَمَّنْ كَمًّا لَا - فَقَدْ يَكُونُ لِعَدَمِ قَابِلِيَّةِ الْمَوْصُوفِ لِذَلِكَ الْمَنْفِيِّ أَوْ ضِدِّهِ، لَا لِكَمَالِ الْمَوْصُوفِ، كَمَا إِذَا قِيلَ: الْجِدَارُ لَا يَظْلِمُ فَنفِي الظُّلْمِ عَنِ الْجِدَارِ لَيْسَ لِكَمَالِ الْجِدَارِ، وَلَكِنْ لِعَدَمِ قَابِلِيَّةِ اتِّصَافِهِ بِالظُّلْمِ أَوْ الْعَدْلِ، وَحِينَئِذٍ لَا يَكُونُ نفِي الظُّلْمِ عَنْهُ مَدْحًا لَهُ وَلَا كَمًّا لَا فِيهِ<sup>[١]</sup>.

الرابع: أَنَّ النَّفْيَ - إِنْ لَمْ يَتَضَمَّنْ كَمًّا لَا - فَقَدْ يَكُونُ لِنَقْصِ الْمَوْصُوفِ لِعَجْزِهِ عَنْهُ، كَمَا لَوْ قِيلَ عَنْ شَخْصٍ عَاجِزٍ عَنِ الْإِنْتِصَارِ لِنَفْسِهِ مِمَّنْ ظَلَمَهُ: إِنَّهُ لَا يَجْزِي السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ؛ فَإِنَّ نفْيَ مُجَازَاتِهِ السَّيِّئَةَ بِمِثْلِهَا لَيْسَ لِكَمَالِ عَفْوِهِ وَلَكِنْ لِعَجْزِهِ عَنِ الْإِنْتِصَارِ لِنَفْسِهِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ نفِي ذَلِكَ عَنْهُ نَقْصًا وَذَمًّا لَا كَمًّا وَلَا مَدْحًا<sup>[٢]</sup>.

[١] إِذَا قُلْتُ: الْجِدَارُ لَا يَظْلِمُ. فَهَذَا لَا يَقْتَضِي مَدْحَ الْجِدَارِ، وَلَكِنْ لَوْ قُلْتُ: الْجِدَارُ قَوِيٌّ. صَحَّ.

إِذَنْ: إِذَا لَمْ يَتَضَمَّنِ النَّفْيُ كَمًّا لَا، فَقَدْ يَكُونُ لِعَدَمِ الْقَابِلِيَّةِ.

[٢] النَّفْيُ إِذَا لَمْ يَتَضَمَّنْ كَمًّا لَا فَقَدْ يَكُونُ لِلْعَجْزِ، أَيْ هُوَ قَابِلٌ أَنْ يَظْلِمَ لَكِنَّهُ عَاجِزٌ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَالثَّالِثِ وَاضِحٌ، فَالثَّالِثُ لِعَدَمِ قَابِلِيَّتِهِ؛ لِأَنَّهُ أَصْلًا لَا يَقَعُ مِنْهُ الظُّلْمُ، وَالرَّابِعُ يَقْبَلُ أَنْ يَظْلِمَ لَكِنَّهُ عَاجِزٌ نَاقِصٌ.

فَمَثَلًا: إِذَا قُلْتُ: فُلَانٌ رَجُلٌ لَا يَجْزِي السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، فَهَذَا قَدْ يَكُونُ مَدْحًا، وَقَدْ يَكُونُ قَدْحًا.

أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْلِ الْحَمَاسِيِّ يَهْجُو قَوْمَهُ:

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَّازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيَّ      بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهِلِ بْنِ شَيْبَانَ  
إِلَى أَنْ قَالَ:

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ      لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا  
يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً<sup>[١]</sup>      وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا<sup>[٢]</sup>  
يُرِيدُ بِذَلِكَ ذَمُّهُمْ وَوَصْفُهُمْ بِالْعَجْزِ، لَا مَدَحُهُمْ بِكَمَالِ الْعَفْوِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ بَعْدُ:  
فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا      شَنُّوا الْإِغَارَةَ رُكْبَانًا وَفُرْسَانًا<sup>(١)</sup>

فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَجْزِي السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَبَاحَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَنَصَرَ لِنَفْسِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ۖ﴾ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿[الشورى: ٤١-٤٢]، لَكِنَّهُ عَاجِزٌ عَنِ الْإِنْتِصَارِ لِنَفْسِهِ؛ فَهَذَا يَكُونُ قَدْحًا، وَإِنْ كَانَ هَذَا مِنْ بَابِ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ؛ فَهَذَا يَكُونُ مَدْحًا.

[١] قَوْلُهُ: «يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً»: أَيِ إِذَا ظَلَمَهُمْ أَحَدٌ اسْتَغْفَرُوا لَهُ وَقَالُوا: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا»: أَيِ إِذَا أَسَاءَ إِلَيْهِمْ إِنْسَانٌ قَدَّمُوا لَهُ الْهَدَايَا!.

وَلَوْ قِيلَ: هَلْ هَذَا مَدْحٌ أَوْ قَدْحٌ؟



وَبِهَذَا عَلِمَ أَنَّ الَّذِينَ لَا يَصِفُونَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا بِالنَّفْيِ الْمَحْضِ لَمْ يُشْتُوا فِي الْحَقِيقَةِ إِلَهًا مَحْمُودًا، بَلْ وَلَا مَوْجُودًا كَقَوْلِهِمْ فِي اللَّهِ عَزَّجَلَّ: إِنَّهُ لَيْسَ بِدَاخِلِ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجِهِ، وَلَا مُبَايِنٍ وَلَا مُحَايِثٍ<sup>(١)</sup>، وَلَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ، وَلَا مُتَّصِلٍ وَلَا مُتَفَصِّلٍ. وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَلِهَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَبْكَتِكِينَ<sup>(٢)</sup> .....

فَالْجَوَابُ: هَذَا قَدْحٌ؛ لِأَنَّ فِيهِ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْحٌ، وَهِيَ قَوْلُهُ:

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تُسْتَبَحْ إِلَيَّ      بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ

لِأَنَّ مَازِنًا شُجْعَانٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى أَمْوَالِهِمْ فَيَسْبِيهَا، لَكِنَّ قَوْمَهُ ضُعَفَاءُ؛ فَتَقَدَّمَ النَّاسُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ أَنَّهُمْ بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ وَأَخَذُوا إِلَيْهِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَهْجُوهُمْ بِذَلِكَ، قَوْلُهُ:

فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا      شَنُوا الْإِغَارَةَ رُكْبَانًا وَفُرْسَانًا

فَقَوْلُهُ: «فَلَيْتَ لِي بِهِمْ»: الْبَاءُ بَدَلِيَّةٌ، أَيَّ لَيْتَ لِي بَدَلَهُمْ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ النَّفْيَ قَدْ يَكُونُ قَدْحًا لِلْعَجْزِ عَنْهُ.

(١) المحايث: المداخل. راجع مجموع الفتاوى لابن قاسم (٢٦٩/٥). (الشارح)

(٢) محمود بن سبكتكين أحد كبار القادة، يمين الدولة وأمين الملة، استولى على الإمارة سنة ٣٨٩هـ وأرسل إليه القادر بالله الخليفة العباسي خلعه السلطنة فقصده بلاد خراسان وامتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور، كان تركي الأصل فصيحاً بليغاً حازماً صائب الرأي شجاعاً مجاهداً، فتح في بلاد الكفار من الهند فتوحات هائلة لم تتفق لغيره من الملوك لا قبله ولا بعده، ومع ذلك كان في غاية الديانة والصيانة يكره المعاصي والملاهي وأهلها، ويحب العلماء والصالحين ويجالسهم وينظرهم، مات في غزوة سنة ٤٢١-٤٢٢هـ عن ثلاث وستين سنة، تولى الإمارة فيها ثلاثاً وثلاثين سنة. رحمه الله وأكرم مثواه. (الشارح)

لِمَنِ ادَّعَى ذَلِكَ فِي الْخَالِقِ جَلَّوَعَلَا<sup>(١)</sup>: «مَيِّزْ لَنَا بَيْنَ هَذَا الرَّبِّ الَّذِي تُثْبِتُهُ وَيَبِينُ الْمَعْدُومَ».

وَلَقَدْ صَدَقَ رَحْمَةُ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَنْ يُوصَفَ الْمَعْدُومُ بِوَصْفٍ أَبْلَغَ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ  
الَّذِي وَصَفُوا بِهِ الْخَالِقَ جَلَّوَعَلَا.

فَمَنْ قَالَ: لَا هُوَ مُبَايِنٌ لِلْعَالَمِ وَلَا مُدَاخِلٌ لِلْعَالَمِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَالَ:  
لَا هُوَ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَلَا بِغَيْرِهِ، وَلَا قَدِيمٌ وَلَا مُحَدَّثٌ، وَلَا مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْعَالَمِ  
وَلَا مُقَارِنٌ لَهُ.

وَمَنْ قَالَ: لَيْسَ بِحَيٍّ، وَلَا سَمِيعٍ، وَلَا بَصِيرٍ، وَلَا مُتَكَلِّمٍ، لَزِمَهُ أَنْ يَكُونَ  
مَيِّتًا، أَصَمًّا، أَعْمَى، أَبْكَمًا<sup>(٢)</sup>.



(١) هو أبو بكر بن فورك المتكلم المعروف. (الشارح)

(٢) انظر الرد على الطائفة الرابعة غلاة الغلاة (ص: ١٧٩). (الشارح)

## فَصْلٌ

## القَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ

مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي كِتَابِهِ، أَوْ أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ وَجَبَ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِهِ، سِوَاءَ عَرَفْنَا مَعْنَاهُ، أَمْ لَمْ نَعْرِفْهُ.

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكِتَبِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧٠]<sup>[١]</sup>.

[١] هَذِهِ الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ، أَنَّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ؛ وَجَبَ عَلَيْنَا تَصَدِيقُهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ، سِوَاءَ عَرَفْنَا مَعْنَاهُ أَمْ لَمْ نَعْرِفْ مَعْنَاهُ، كَمَا أَنَّهُ فِي الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ، يَجِبُ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِمَا حَكَمَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، سِوَاءَ عَرَفْنَا حِكْمَتَهُ أَمْ لَمْ نَعْرِفْ حِكْمَتَهُ.

فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا نَحْوَ الْأَخْبَارِ التَّصَدِيقُ وَالْقَبُولُ، سِوَاءَ عَرَفْنَا الْمَعْنَى أَمْ لَمْ نَعْرِفْ. وَنَحْوَ الْأَحْكَامِ؛ الْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَيْضًا الْإِثْبَاتُ، سِوَاءَ عَرَفْنَا الْحِكْمَةَ أَمْ لَمْ نَعْرِفْ، وَذَلِكَ لِسَبَبَيْنِ:

أَوَّلًا: أَنَّ تَمَامَ التَّعَبُّدِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِهَذَا.

ثَانِيًا: أَنَّ عُقُولَنَا قَاصِرَةٌ، فَقَدْ لَا تَفْهَمُ الْمَعْنَى وَقَدْ لَا تَفْهَمُ الْحِكْمَةَ، وَلَوْ أَنَّا لَا نَقْبَلُ

إِلَّا مَا عَرَفْنَا مَعْنَاهُ وَحِكْمَتَهُ؛ لَكُنَّا مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ بِهَوَاهُ فَإِنْ وَافَقَ أَهْوَاءَنَا قَبِلْنَا وَإِلَّا فَلَا.

إِذَنْ: الْوَاجِبُ عَلَيْنَا التَّصَدِيقُ، سَوَاءٌ عَرَفْنَا أَوْ لَمْ نَعْرِفْ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ الْآيَتَانِ الْمَذْكُورَتَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِ الْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]، فَيَجِبُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَبِالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ، وَهُوَ جَمِيعُ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ هُنَا مُفْرَدٌ مُحَلَّى بِ (أَل) فَيَكُونُ عَامًّا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠]، أَيِ يَكُنْ خَيْرًا لَكُمْ، ف (خَيْرًا) خَبَرٌ ل (يَكُنْ) الْمَحذُوفَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: أَيِ فَكُفْرُكُمْ لَا يَضُرُّ اللَّهَ، وَكُفْرُكُمْ وَاقِعٌ بِعِلْمِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَحِكْمَتِهِ.

فَلِذَلِكَ لَا شَكَّ أَنَّ كُفْرَ الْكَافِرِينَ وَفِسْقَ الْفَاسِقِينَ وَاقِعٌ بِعِلْمِ اللَّهِ وَبِإِرَادَةِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ فِي غَايَةِ الْحِكْمَةِ، إِذْ لَوْلَا الْكُفَّارُ مَا عُرِفَ الْمُسْلِمُونَ، وَلَوْلَا الْكُفْرُ مَا عُرِفَ الْإِيمَانُ، وَلَوْلَا الْفِسْقُ مَا عُرِفَتِ الْعَدَالَةُ، وَهَكَذَا.

فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَاذَا خَلَقَ اللَّهُ الْعُصَاةَ وَالْكَفَّارَ؟

نَقُولُ: لِحِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، فَلَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَلَى هِدَايَةٍ؛ لَكَانَ خَلْقُ النَّارِ عَبَثًا، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَبِلُوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

وَلَاَنَّ خَبَرَ اللَّهِ تَعَالَى صَادِرٌ عَنْ عِلْمٍ تَامٍّ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠] <sup>[١]</sup>.

وَلَاَنَّ خَبَرَ اللَّهِ تَعَالَى أَصْدَقُ الْأَخْبَارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمَرَنَا بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِالْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ، وَبِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا هَذَا سَوَاءً عَرَفْنَا مَعْنَاهُ أَمْ لَمْ نَعْرِفْ مَعْنَاهُ.

[١] قوله: «وَلَاَنَّ خَبَرَ اللَّهِ تَعَالَى صَادِرٌ عَنْ عِلْمٍ تَامٍّ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]: هَذَا تَعْلِيلٌ، وَالْآيَتَانِ السَّابِقَتَانِ دَلِيلٌ، فَخَبَرُ اللَّهِ تَعَالَى صَادِرٌ عَنْ عِلْمٍ تَامٍّ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَأَعْلَمُ بغيرِهِ، وَهَذَا تَحَدَّى اللَّهُ كُلَّ الْخَلْقِ: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠] وَالْجَوَابُ: بَلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَكَلَامُ اللَّهِ هُوَ أَصْدَقُ الْأَخْبَارِ، فَلَا خَبَرَ أَصْدَقُ مِنْ خَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وَكَذَلِكَ كَلَامُ اللَّهِ أَفْصَحُ الْكَلَامِ وَأَبْلَغُهُ وَأَبْيَنُهُ، فَلَا شَيْءَ مِنَ الْكَلَامِ أَفْصَحُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَلَا مِثْلُ كَلَامِ اللَّهِ.

وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وَإِذَا كَانَ أَحْسَنَهُ فَهُوَ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ فِي اللَّفْظِ وَفِي الْمَعْنَى، فَهَذَا أَيْضًا كَمَا لُتَّ ثَالِثٌ فِي خَبَرِ اللَّهِ.

وَلَاَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى أَفْصَحُ الْكَلَامِ، وَأَبْلَغُهُ، وَأَبْيَنُهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، وَقَالَ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ [الزمر: ٢٣]، مُتَشَابِهًا: يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْكَمَالِ وَالْبَيَانِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

وَلَاَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرِيدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَى عِبَادِهِ مِنَ الْوَحْيِ أَنْ يَهْتَدُوا وَلَا يَضِلُّوا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، وَقَالَ: ﴿يَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦] <sup>[١]</sup>.

[١] قوله: «وَلَاَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرِيدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَى عِبَادِهِ مِنَ الْوَحْيِ أَنْ يَهْتَدُوا...»: هَذَا الْكَمَالُ الرَّابِعُ، وَهُوَ حُسْنُ الْقَصْدِ، فَلَا قَصْدَ أَحْسَنَ وَأَكْمَلَ مِنْ إِرَادَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ بِكَلَامِهِ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَى رَسُولِهِ أَنْ يَهْدِيَ خَلْقَهُ، وَيُبَيِّنَ لَهُمْ لَثَلًا يَضِلُّوا. فَهَذِهِ الْكَمَالَاتُ الْأَرْبَعَةُ كُلُّهَا مُتَوَافِرَةٌ فِي خَيْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَضِدُّ هَذِهِ الْكَمَالَاتِ النَّقْصُ، فَتَقْصُصُ الْكَلَامِ يَكُونُ فِي ضِدِّ أَحَدِ هَذِهِ الْكَمَالَاتِ:

أَوَّلًا: الْجَهْلُ: فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا صَدَرَ مِنْ جَاهِلٍ: لَا يُوثَقُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ، فَلَوْ جَاءَنَا عَامِّيٌّ يُفَسِّرُ آيَةً أَوْ حَدِيثًا أَوْ يَتَكَلَّمُ عَنْ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ مَا وَثَقْنَا بِكَلَامِهِ لِأَنَّهُ جَاهِلٌ، فَيَحْتَمِلُ عِنْدَنَا أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

ثَانِيًا: ضِدُّ الصِّدْقِ: الْكِذْبُ، فَالْإِنْسَانُ الْكَذُوبُ إِذَا حَدَّثَكَ بِحَدِيثٍ؛ فَإِنَّكَ لَا تَتَّقُ بِهِ لِأَنَّهُ كَذُوبٌ.

وَلِهَذَا: رَدَّ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ حَدِيثَ الْكَذَّابِ بِكُلِّ حَالٍ، وَلَمْ يَقُولُوا لَا بُدَّ أَنْ

نَبَيِّنَ هَلْ هُوَ صَاحِبٌ أَوْ غَيْرُ صَاحِبٍ؛ لِأَنَّ الْكَذَّابَ لَا يُوثِقُ بِخَبْرِهِ.

ثَالِثًا: ضِدُّ الْبَلَاغَةِ: الْعِيٌّ، فَرُبَّمَا يَأْتِي رَجُلٌ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَصَادِقٌ، وَلَكِنَّهُ لَا يُحَسِّنُ التَّعْبِيرَ، فَيَكُونُ كَلَامُهُ مُفَكِّكًا، فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَحَذْفٌ بِدُونِ بَيَانٍ، فَشُكٌّ فِي مَدْلُولِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُفَصِّحْ فِي كَلَامِهِ، فَيَحْتَمِلُ مَعَانِي مُتَعَدِّدَةً لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَجْزِمَ بِمَا يُرِيدُ؛ مِنْ أَجْلِ الرَّكَائِكَةِ.

رَابِعًا: سُوءُ الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ، قَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا فَصِيحًا صَدُوقًا، لَكِنْ لَهُ إِرَادَاتٌ سَيِّئَةٌ، يُرِيدُ أَنْ يُضِلَّ النَّاسَ، كَرَجُلٍ يَدْعُو إِلَى الْبِدْعَةِ مَثَلًا، سَوَاءٌ كَانَتْ بِدْعَةٌ عَقْدِيَّةً أَوْ عَمَلِيَّةً، وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِالصِّدْقِ، وَمَعْرُوفٌ بِالْعِلْمِ، وَرَجُلٌ جَيِّدٌ فِي الْبَلَاغَةِ؛ فَهَذَا لَا نَثِقُ بِخَبْرِهِ لِسُوءِ الْقَصْدِ.

وَكَلَامُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُبَرِّأٌ عَنْ هَذِهِ الْعُيُوبِ كُلِّهَا؛ لِأَنَّهُ فِي غَايَةِ الْكَمَالِ فِي الْعِلْمِ وَالصِّدْقِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْإِرَادَةِ.

إِذَنْ: هَذِهِ التَّعْلِيلَاتُ الْأَرْبَعُ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ تَعْلِيلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَوْصَافِ الْكَمَالِ كُلِّهَا: الْعِلْمُ، وَالصِّدْقُ، وَالْبَيَانُ، وَالْإِرَادَةُ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَى هَذِهِ الْكَمَالَاتِ الْأَرْبَعِ الَّتِي هِيَ مُقَوِّمَاتُ قَبُولِ الْحَقِّ؛ وَجَبَ قَبُولُهَا، وَلَمْ يَبْقَ عُذْرٌ لِأَيِّ إِنْسَانٍ فِي رَدِّهِ أَوْ الشُّكِّ فِيهِ أَوْ تَحْرِيفِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ عُذْرٌ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ

وَهَكَذَا خَبَرَ النَّبِيُّ ﷺ صَادِرٌ عَنْ عِلْمٍ، فَإِنَّهُ ﷺ أَعْلَمُ النَّاسِ بِرَبِّهِ وَأَسْمَاءِهِ  
وَصِفَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ.

وَخَبَرُهُ أَصْدَقُ أَخْبَارِ الْبَشَرِ، وَكَلَامُهُ أَفْصَحُ كَلَامِ الْبَشَرِ، وَقَصْدُهُ أَفْضَلُ  
مَقْصُودِ الْبَشَرِ، فَهُوَ أَنْصَحُ الْخَلْقِ لِلْخَلْقِ.

فَقَدْ اجْتَمَعَ فِي خَبَرِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَبَرِ رَسُولِهِ كَمَالُ الْعِلْمِ، وَكَمَالُ الصِّدْقِ،  
وَكَمَالُ الْبَيَانِ، وَكَمَالُ الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ، وَهَذِهِ هِيَ مُقَوِّمَاتُ قَبُولِ الْخَبَرِ، وَلِهَذَا  
لَوْ صَدَرَ الْخَبَرُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ كَاذِبٍ أَوْ عَيْيٍ أَوْ سَيِّءٍ قَصْدٍ لَمْ يَكُنْ مَقْبُولًا لِفَقْدِ  
مُقَوِّمَاتِ الْقَبُولِ أَوْ أَحَدِهَا.

فَإِذَا كَانَتْ مُقَوِّمَاتُ قَبُولِ الْخَبَرِ تَامَةً عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ فِي خَبَرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهِ وَقَبُولُهُ، سَوَاءٌ كَانَ نَفْيًا أَمْ إِثْبَاتًا، وَلَمْ يَنْقُ عُذْرٌ لِمُعْتَذِرٍ فِي رَدِّهِ،  
أَوْ تَحْرِيفِهِ، أَوْ الشُّكِّ فِي مَذْلُوقِهِ، لَا سِيَّمَا فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ.

الْبَيَانِ، وَأَنَّ مَعْنَاهَا الْعُلُوفُ عَلَى الْعَرْشِ، فَيَأْتِي أَنَاْسٌ وَيَقُولُونَ الْمَرَادُ بِ(اسْتَوَى) أَيِ  
اسْتَوَى!!.

وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ هَؤُلَاءِ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ فِي بَابِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ،  
وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ فِيمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنِ الْبَشَرِ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّابِقِينَ،  
وَلَا فِيمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَمَّا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِمَّا يُسْتَقْبَلُ.

وَنَحْنُ نَقُولُ: الْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ وَنَقْبَلَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، سَوَاءً  
عَرَفْنَا مَعْنَاهُ أَمْ لَمْ نَعْرِفْ.



وَكَذَلِكَ مَا ثَبَتَ بِاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَيْمَتِهَا وَجَبَ قَبُولُهُ، وَعَامَّةُ هَذَا  
الْبَابِ (بَابُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ) مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ  
بَيْنَ سَلَفِ الْأُمَّةِ<sup>[١]</sup>.

وَأَمَّا مَا تَنَازَعَ فِيهِ الْمُتَأَخَّرُونَ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا عِنْدَ سَلَفِ  
الْأُمَّةِ؛ فَلَيْسَ عَلَى أَحَدٍ - بَلْ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ - أَنْ يُثَبِّتَ لَفْظَهُ أَوْ يَنْفِيَهُ؛ لِعَدَمِ وُجُودِ  
السَّمْعِ بِهِ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْبَلَ مَعْنَاهُ أَوْ يَرُدَّهُ حَتَّى يَعْلَمَ الْمُرَادَ مِنْهُ فَإِنْ كَانَ حَقًّا  
وَجَبَ قَبُولُهُ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا وَجَبَ رَدُّهُ<sup>[٢]</sup>.

[١] لَوْ جَاءَنَا أَمْرٌ قَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى الْقَوْلِ بِهِ، وَلَكِنَّا لَا نَعْلَمُ دَلِيلَهُ مِنَ  
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَقْبَلَهُ؛ لِأَنَّ الْإِجْمَاعَ عَلَى الشَّيْءِ مِنَ السَّلَفِ دَلِيلٌ  
عَلَى أَنْ لَهُ أَصْلًا.

وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَامَّةُ هَذَا الْبَابِ (بَابُ الْأَسْمَاءِ  
وَالصِّفَاتِ) مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ سَلَفِ الْأُمَّةِ، فَلَيْسَ فِيهِ  
إِشْكَالٌ، وَلَكِنْ رُبَّمَا تَأْتِي كَلِمَةٌ أَنْتَ لَا تَعْلَمُ دَلِيلَهَا إِنَّمَا تَعْرِفُ أَنَّ هَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ  
السَّلَفِ؛ فَحِينَئِذٍ يَجِبُ عَلَيْكَ قَبُولُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ إِجْمَاعُهُمْ مُسْتَنَدًا إِلَى أَصْلِ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَأَمَّا مَا تَنَازَعَ فِيهِ الْمُتَأَخَّرُونَ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَا عِنْدَ  
سَلَفِ الْأُمَّةِ فَلَيْسَ عَلَى أَحَدٍ، بَلْ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُثَبِّتَ لَفْظَهُ أَوْ يَنْفِيَهُ...»: وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ  
فِيهَا تَنَازَعَ فِيهِ الْمُتَأَخَّرُونَ وَلَيْسَ مِمَّا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا عِنْدَ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَالْقَاعِدَةُ  
فِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْنَا أَنْ نَقْبَلَهُ، بَلْ وَلَيْسَ لَنَا ذَلِكَ، وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُثْبِتَهُ؛ لِأَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ  
وَصِفَاتِهِ تَوْقِيفِيَّةٌ.

وَلِذَلِكَ أَمْثَلَةٌ مِنْهَا:

الْمِثَالُ الْأَوَّلُ: الْجِهَةُ.

أَيُّ لَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ اللَّهَ فِي جِهَةٍ، أَوْ هَلِ اللَّهُ جِهَةٌ؟

فَيَقَالُ لَهُ: لَفْظُ (الْجِهَةِ) لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِبْتِائُهُ وَلَا نَفْيُهُ، فَلَيْسَ فِيهِمَا أَنَّهُ فِي جِهَةٍ، أَوْ لَهُ جِهَةٌ، وَلَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي جِهَةٍ، أَوْ لَيْسَ لَهُ جِهَةٌ، وَفِي النُّصُوصِ مَا يُغْنِي عَنْهُ كَالْعُلُوِّ، وَالْفُوقِيَّةِ، وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، وَصُعُودِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ وَنُزُولِهَا مِنْهُ<sup>١</sup>.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يُوصَفُ اللَّهُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، لَا يَتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ.

فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُثْبِتَهُ أَوْ نَنْفِيَهُ، أَوْ نَقْبَلَ مَدْلُولَهُ، أَوْ نَرُدَّهُ، فَلَفْظُهُ لَا نُثْبِتُهُ وَلَا نَنْفِيَهُ، وَمَدْلُولُهُ لَا نَقْبَلُهُ وَلَا نَرُدَّهُ، حَتَّى يُعْلَمَ الْمَرَادُ مِنْهُ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا قُبِلَ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا وَجَبَ رَدُّهُ، وَإِنْ كَانَ يَشْتَمِلُ عَلَى حَقٍّ وَبَاطِلٍ ثَوَّقَ فِي لَفْظِهِ -أَيَّ لَا يُثْبِتُ وَلَا يُنْفَى- وَاسْتَفْصِلَ فِي مَعْنَاهُ، فَاقْبَلَ مَا كَانَ حَقًّا، وَرُدَّ مَا كَانَ بَاطِلًا.

[١] لَفْظُ الْجِهَةِ مِمَّا لَمْ يَرَدْ نَفْيُهُ وَلَا إِبْتِائُهُ.

وَأَمَّا مَا اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، فَإِنَّ بَعْضَ الْمَفْسِّرِينَ قَالَ: ثُمَّ جِهَةُ اللَّهِ.

وَبَعْضُهُمْ قَالَ: ثُمَّ وَجْهُ اللَّهِ. الَّذِي هُوَ وَجْهُهُ الْحَقِيقِيُّ.

وَالصَّوَابُ: أَنَّ الْمَرَادَ بِهَا وَجْهُهُ الْحَقِيقِيُّ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا

وَقَدْ اضْطَرَبَ الْمُتَأَخَّرُونَ فِي إِثْبَاتِهِ وَنَفْيِهِ، فَإِذَا أَجْرَيْنَاهُ عَلَى الْقَاعِدَةِ قُلْنَا:  
أَمَّا اللَّفْظُ فَلَا تُشَبِّهُ وَلَا نَنْفِيهِ لِعَدَمِ وُرُودِ ذَلِكَ، وَأَمَّا الْمَعْنَى فَيَنْظُرُ مَاذَا يُرَادُ  
بِالْجِهَةِ: أَيْرَادُ بِالْجِهَةِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ مُحِيطٌ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؟ فَهَذَا مَعْنَى بَاطِلٌ لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ  
سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فَقَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضَ، وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ دَاخِلَ شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.

كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ<sup>(١)</sup>، أَيْ فِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ.

وَفِي النُّصُوصِ مَا يُغْنِي عَنْهُ كَالْعُلُوِّ، وَالْفَوْقِيَّةِ، وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، وَصُعُودِ  
الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ، وَنُزُولِهَا مِنْهُ.

وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: هَلْ تَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ جِهَةٌ؟

فَالْجَوَابُ: أَمَّا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ فَلَيْسَ عَلَيَّ وَلَيْسَ لِي أَنْ أُثَبِّتَهُ أَوْ أَنْفِيَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ  
فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ، لِأَنِّي إِنْ أُثَبِّتُهُ قُلْتُ بَغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ نَفَيْتُهُ قُلْتُ بَغَيْرِ عِلْمٍ،  
فَلَا أُثَبِّتُ وَلَا أَنْفِي.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَاذَا الْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ؟

قُلْنَا: مَا كُنَّا نَرِيدُ أَنْ نَتَكَلَّمَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، لَكِنَّ أَهْلَ الْبِدْعِ يُلْجِئُونَ أَهْلَ  
السُّنَّةِ لِمِثْلِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، فَإِذَا كُنَّا مُلْجِئِينَ لِلْخَوْصِ فِيهَا فَلَا بُدَّ أَنْ نَتَكَلَّمَ حَتَّى لَا نَدَعَ  
الْمَكَانَ خَالِيًا لِأَهْلِ الْبِدْعِ يَقُولُوا مَا يَشَاؤُونَ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ صِفَةِ الصَّلَاةِ، بَابُ هَلْ يَلْتَفِتُ لِأَمْرٍ يَنْزِلُ بِهِ أَوْ يَرَى شَيْئًا أَوْ بِصَاقًا فِي  
الْقَبْلَةِ، رَقْمُ (٧٢٠)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْبِصَاقِ فِي الْمَسْجِدِ  
فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا، رَقْمُ (٥٤٧).

أَمْ يُرَادُ بِالْجِهَةِ مَا فَوْقَ الْعَالَمِ؟

فَهَذَا حَقٌّ ثَابِتٌ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ خَلْقِهِ، عَالٍ عَلَيْهِمْ، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبَجَارِيَةٍ كَانَتْ لَهُ: «أَيُّنَ اللَّهُ؟». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»<sup>(١)</sup>.

[١] كُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي الْعُلُوِّ، فَإِذَا كَانَتِ النُّصُوصُ دَلَّتْ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، فَإِنَّا فِي غِنَى عَنْ كَلِمَةِ الْجِهَةِ.

وقوله: «وَقَدْ اضْطَرَبَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِي إِثْبَاتِهِ وَنَفْيِهِ...»:

إِذَنْ: نُطَبِّقُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ (الْجِهَةَ) عَلَى الْقَاعِدَةِ، فَتَقُولُ: بِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ لَا تُثَبِّتُ وَلَا نَنْفِي، أَمَّا بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى فَتَقُولُ: إِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِالْجِهَةِ مَا فَوْقَ الْعَالَمِ؛ فَهَذَا حَقٌّ، فَاللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِهَا جِهَةٌ تُحِيطُ بِاللَّهِ كَمَا تُحِيطُ بِالْإِنْسَانِ؛ فَإِنَّ هَذَا بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، بَلْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَحِينَئِذٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُثَبِّتَ الْجِهَةَ بِهَذَا الْمَعْنَى، فَلَمَّا كَانَتْ لَفْظَةً (الْجِهَةَ) مُحْتَمِلُ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ وَالْمَعْنَى الْفَاسِدِ، قُلْنَا: بِاللَّفْظِ لَا تُثَبِّتُ وَلَا نَنْفِي، لِأَنَّا إِنِ نَفَيْنَاهُ نَفَيْنَا مَا هُوَ مُتَضَمِّنٌ لَهُ مِنَ الْحَقِّ، وَإِنْ أَثَبَّتْنَاهُ أَثَبَّتْنَا مَا هُوَ مُتَضَمِّنٌ لَهُ مِنَ الْبَاطِلِ، وَحِينَئِذٍ لَا تُثَبِّتُ وَلَا نَنْفِي.

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

المثال الثاني: الحيز أو المتحيز.

فإذا قال قائل: هل نصف الله تعالى بأنه متحيز أو في حيز؟  
قلنا: لفظ (التحيز) أو (الحيز) ليس في الكتاب والسنة إثباته ولا نفيه عن  
الله تعالى، فليس فيها أنه في حيز، أو متحيز، ولا أنه ليس كذلك، وفي النصوص  
ما يغني عنه مثل: الكبير المتعال.

وقد اضطرب المتأخرون في إثبات ذلك لله تعالى أو نفيه عنه، فإذا أجريناه  
على القاعدة قلنا: أمّا اللفظ فلا ثبتته ولا نفيه لعدم ورود السمع به. وأمّا المعنى  
فينظر ماذا يراد بالحيز أو المتحيز؟ أيراد به أن الله تعالى محوره المخلوقات ومحيط  
به، فهذا معنى باطل منفي عن الله تعالى لا يليق به<sup>[١]</sup>.

[١] كلمة (الحيز) و(التحيز) كلمة اختلف فيها المتأخرون، فمنهم من أنكرها  
وأنكر من أجلها أن يكون استواء على العرش؛ لأنه يقول: إذا قلت استوى على  
العرش؛ فقد شغل حيزاً. وإذا قلت: إنه في العلو، فأيضاً العلو الذاتي فقد شغل  
حيزاً، فيكون الله تعالى متحيزاً، والتحيز ممنوع.

فنقول: إن كلمة الله في حيز أو في غير حيز، أو متحيز أو غير متحيز، كلمة لم  
ترد بالكتاب ولا بالسنة، لا نفيًا ولا إثباتًا، لكن توصل بها المتأخرون إلى إنكار العلو  
والاستواء على العرش وما أشبهه.

فنقول: اللفظ لا ثبتته ولا نفيه، والمعنى نستفصل فيه.

فإن أردت في الحيز، أي أن الله متحيز أو أنه في حيز، إن أردت أنه منحاز عن  
المخلوقات مباين لها، فهذا صحيح وحق، فإن الله عز وجل بائن من خلقه، وليس حالاً

فَإِنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ وَأَجَلُ مِنْ أَنْ تُحِيطَ بِهِ الْمَخْلُوقَاتُ وَتَحُوزَهُ، كَيْفَ وَقَدْ  
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]<sup>[١]</sup>

فِي خَلْقِهِ، وَلَا خَلْقُهُ حَالُونَ فِيهِ، وَإِنْ أَرَدْتَ فِي الْحِيزِ أَنَّ اللَّهَ تَحُوزُهُ الْأَشْيَاءُ وَتُحِيطُ بِهِ، فَهَذَا  
بَاطِلٌ وَمَمْنُوعٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنَ مَخْلُوقَاتِهِ، وَإِذَا كَانَ قَدْ وَسِعَ  
كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَالْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ فَكَيْفَ يَكُونُ هُوَ عَزَّجَلَّ.

إِذَنْ: لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَحُوزَهُ الْمَخْلُوقَاتُ أَبَدًا، فَالْحِيزُ بِهَذَا الْمَعْنَى مَمْنُوعٌ لَفْظًا وَمَعْنَى.  
وَبِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ ثَابِتٌ فِي الْمَعْنَى، أَمَّا اللَّفْظُ فَتَتَوَقَّفُ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ مَعْنَى الْحَقِّ  
وَالْبَاطِلِ، فَإِنْ أَثْبَتْنَاهُ فَقَدْ ثُبِتَ بَاطِلًا، وَإِنْ نَفَيْنَاهُ فَقَدْ نَفَيْنَا حَقًّا.

وَالكَيْفِيَّةُ مَجْهُولَةٌ، وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِأَنَّ لِصِفَاتِ اللَّهِ كَيْفِيَّةً، وَلَكِنَّهَا مَجْهُولَةٌ لَنَا؛ لِأَنَّ  
نَفْيَ الْكَيْفِيَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ نَفْيٌ لِلْحَقِيقَةِ.

فَمَثَلًا: اسْتَوَاءُ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ لَهُ كَيْفِيَّةٌ لَا شَكَّ بِذَلِكَ لَكِنَّهَا مَجْهُولَةٌ، وَلِهَذَا قَالَ  
الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْكَيْفُ مَجْهُولٌ. وَلَمْ يَقُلِ الْكَيْفُ مَعْدُومٌ. فَمَا مِنْ شَيْءٍ مَوْجُودٌ  
إِلَّا وَلَهُ كَيْفٌ، فَلَوْ نَفَيْتَ الْكَيْفِيَّةَ عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ لَنَفَيْتَ الْحَقِيقَةَ، فَبِالنِّسْبَةِ لِلْكَيْفِيَّةِ  
لَا نَقُولُ: سَوَاءٌ عَرَفْنَا أَمْ لَمْ نَعْرِفْ؛ لِأَنَّا لَنْ نَعْرِفَهُ، فَهِيَ مَجْهُولَةٌ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ، لَكِنَّ  
الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي قَدْ نَعْلَمُهُ وَقَدْ يَخْفَى عَلَيْنَا، وَمَعَ ذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا جَاءَ،  
سَوَاءً عَرَفْنَا الْمَعْنَى أَمْ لَمْ نَعْرِفَهُ.

[١] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: مَعْنَاهَا عِنْدَ السَّلَفِ:-

أَيَّ يَقْبِضُهَا بِيَدِهِ عَزَّجَلَّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَتَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»<sup>(١)</sup> وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخِرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

أَمْ يُرَادُ بِالْحَيِّزِ أَوْ الْمُتَحَيِّزِ: أَنَّ اللَّهَ مُنْحَازٌ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ، أَيْ مُبَايِنٌ لَهَا مُتَفَصِّلٌ عَنْهَا لَيْسَ حَالًا فِيهَا وَلَا هِيَ حَالَةٌ فِيهِ، فَهَذَا حَقٌّ ثَابِتٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ أَيْمَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ: هُوَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ.

تَنْبِيْهُ: جَاءَ فِي الْقَاعِدَةِ «أَنَّهُ يُجِبُّ عَلَيْنَا الْإِيمَانَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ سَوَاءٌ عَرَفْنَا مَعْنَاهُ أَمْ لَا».

لَكِنْ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ شَيْءٌ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ جَمِيعُ الْأُمَّةِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا لِجَمِيعِ الْأُمَّةِ أَوْ بَعْضِهَا<sup>(١)</sup>.

أَمَّا أَهْلُ التَّعْطِيلِ فيقولون: فِي قَبْضَتِهِ وَتَصَرُّفِهِ، وَيَكْفِي مَعْنَى أَنَّهَا بِيَدِهِ. فيُقَالُ: كَيْفَ هَذَا؟ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِكَلَامِ اللَّهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ؟ وَالْجَوَابُ: لَيْسُوا أَعْلَمُ.

[١] إِذَنْ: يُجِبُّ أَنْ نَتَوَقَّفَ فِي تَعْرِيفِ الْحَيِّزِ فَلَا نُثَبِّتُ وَلَا نَنْفِي، أَمَّا فِي الْمَعْنَى فَتُسْتَفْسَرُ، إِنْ أُرِدَتْ بِالْحَيِّزِ أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ تَحُورُ اللَّهُ وَتُحِيطُ بِهِ؛ فَهَذَا بَاطِلٌ، وَإِنْ أُرِدَتْ بِالْحَيِّزِ أَنَّهُ مُنْحَازٌ مُتَفَصِّلٌ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ فَهَذَا حَقٌّ.

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: «وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ» [الزمر: ٦٧]، رقم (٤٨١٢)، ومسلم: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٧٨٧).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/٣٠٨، رقم ٢٣٧).

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وَلَاَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهُ أَحَدٌ لَكَانَ بَعْضُ الشَّرِيعَةِ مَجْهُولًا لِلْأُمَّةِ، وَلَكِنَّ الْمَعْرِفَةَ وَالْحَقَاءَ أَمْرَانِ نِسْبِيَّانِ، فَقَدْ يَكُونُ مَعْرُوفًا لِشَخْصٍ مَا كَانَ خَفِيًّا عَلَى غَيْرِهِ، إِمَّا لِنَقْصٍ فِي عِلْمِهِ، أَوْ قُصُورٍ فِي فَهْمِهِ، أَوْ تَقْصِيرٍ فِي طَلَبِهِ، أَوْ سُوءٍ فِي قَصْدِهِ<sup>[١]</sup>.

وهذه الآية لها توجية: أَنْ نقول: (فِي السَّمَاوَاتِ) جَارٌّ وَمَجْرُورٌ متعلق بلفظ الجلالة، فيكون المعنى كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤]. أَي إِنَّهُ إِلَهُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَإِلَهُ أَهْلِ السَّمَاءِ.

[١] استدلَّ بِدَلِيلٍ سَمْعِيٍّ وَدَلِيلٍ عَقْلِيٍّ، فَالْسَّمْعِيُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، (مَا) اسْمٌ مَوْصُولٌ يُفِيدُ الْعُمُومَ، ﴿مَا نُزِّلَ﴾: أَي كُلُّ مَا نُزِّلَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ كُلِّ مَا نُزِّلَ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ﴾.

وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]. ﴿تِبْيَانًا﴾ أَي لِأَجْلِ تَبْيِينِ كُلِّ شَيْءٍ، وَهَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لَا سِيَّمَا فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْعَقِيدَةِ.

وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ: لَوْ كَانَ بَعْضُ الْقُرْآنِ أَوْ السُّنَّةِ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ لَكَانَتِ الشَّرِيعَةُ بَعْضُهَا مَجْهُولًا لَا يُمَكِّنُ الْعَمَلَ بِهَا، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ.



إِذْنُ: يُوجَدُ فِي الْقُرْآنِ آيَاتٌ مَجْهُولَةٌ لَكِنَّ هَذَا جَهْلٌ نِسْبِيٌّ، وَقَدْ يَكُونُ مَجْهُولًا عِنْدَ شَخْصٍ وَمَعْلُومًا عِنْدَ آخَرَ، وَمَا أَكْثَرُ الْآيَاتِ الَّتِي تُشْكِلُ عَلَى الْإِنْسَانِ ثُمَّ يُرَاجَعُ كَلَامَ الْعُلَمَاءِ فَتَبَيَّنَ لَهُ.

ثُمَّ بَيْنَ الْمُؤَلَّفُ سَبَبَ الْخَفَاءِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ، وَهِيَ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ فَهْمِ النُّصُوصِ.

أَوَّلًا: أَنْ يَكُونَ قَاصِرَ الْعِلْمِ: أَيِ قَلِيلِ الْعِلْمِ، لَيْسَ عِنْدَهُ اِطْلَاعٌ وَاسِعٌ، بَلْ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَهَذَا مُشَاهِدٌ.

ثَانِيًا: الْقُصُورُ فِي الْفَهْمِ: تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَاسِعٌ لَكِنْ لَيْسَ عِنْدَهُ فَهْمٌ، فَفَهْمُهُ ضَعِيفٌ جِدًّا.

ثَالِثًا: التَّقْصِيرُ فِي الطَّلَبِ: وَمَا أَكْثَرَ هَذَا عِنْدَ الْإِنْسَانِ فَيُقْصَرُ الْإِنْسَانُ فِي الطَّلَبِ.

رَابِعًا: السُّوءُ فِي الْقَصْدِ: وَهَذَا أخطرُهَا، أَيِ: الْإِنْسَانُ لَا يُرِيدُ الْحَقَّ وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْبَاطِلَ، أَوْ يُرِيدُ أَنْ يَنْتَصِرَ لِنَفْسِهِ فَقَطْ فَيُجَادِلُ.

إِذْنُ: أَسْبَابُ الْخَفَاءِ أَرْبَعَةٌ:

١- نَقْصُ الْعِلْمِ.

٢- الْقُصُورُ فِي الْفَهْمِ.

٣- التَّقْصِيرُ فِي الطَّلَبِ.

٤- سُوءُ الْقَصْدِ.

فَيَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ شَيْءٌ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ جَمِيعُ الْأُمَّةِ  
 أَبَدًا، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا وَلَوْ لِبَعْضِ الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ  
 الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، أَي لَتَأْتِيَ بِكَلَامٍ بَيِّنٍ وَاضِحٍ لِكُلِّ مَنْ  
 قَرَأَهُ وَعَرَفَهُ، لَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَعْرِفَهُ كُلُّ وَاحِدٍ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ، فَالْمَعْرِفَةُ  
 أَمْرٌ نَسْبِيٌّ، حَتَّى الْإِنْسَانُ نَفْسُهُ يَعْلَمُ الْيَوْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْهُ بِالْأَمْسِ فَيَخْتَلِفُ عِلْمُهُ.



## فَصْلٌ

## الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: فِي إِجْرَاءِ النُّصُوصِ عَلَى ظَاهِرِهَا

ظَاهِرُ النُّصُوصِ مَا يَتَبَادَرُ مِنْهَا مِنَ الْمَعَانِي بِحَسَبِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ وَمَا يَحْتَفُّ بِهَا مِنَ الْقَرَائِنِ<sup>[١]</sup>.

وَالْوَاجِبُ فِي النُّصُوصِ إِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا بِدُونِ تَحْرِيفٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿الشعراء: ١٩٢-١٩٥﴾.

[١] قوله: «ظَاهِرُ النُّصُوصِ مَا يَتَبَادَرُ مِنْهَا مِنَ الْمَعَانِي»:

يَشْمَلُ الصَّرِيحَ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا مَعْنَى وَاحِدًا، وَالظَّاهِرَ الَّذِي يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ هُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَرْجَحُ.

فَالْأَرْجَحُ هُوَ الَّذِي يَتَبَادَرُ مِنَ الْمَعَانِي، وَهُوَ بِحَسَبِ مَا يُضَافُ إِلَيْهِ وَمَا يَحْتَفُّ بِهِ مِنَ الْقَرَائِنِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]، وَالْمَرَادُ بِالْقَرْيَةِ هُنَا مَا يَصَحُّ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ السُّؤَالُ وَهُمْ أَهْلُ الْقَرْيَةِ.

وَالْمَرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١]، الْمَرَادُ بِالْقَرْيَةِ هُنَا الْمَبَانِي وَالْمَسَاكِينُ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾.

إِذَنْ: الْكَلِمَةُ بِنَفْسِهَا تَتَغَيَّرُ مَعْنَاهَا بِحَسَبِ السِّيَاقِ، وَبِحَسَبِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْهَا، وَالظَّاهِرُ مَا يَتَبَادَرُ مِنَ الْمَعَانِي، وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْقَرَائِنِ.

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾

[الأعراف: ٣].

فَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَنزَلَهُ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مِنْ أَجْلِ عَقْلِهِ وَفَهْمِهِ، وَأَمَرَنَا بِاتِّبَاعِهِ، وَجَبَ عَلَيْنَا إِجْرَاؤُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، إِلَّا أَنْ تَمْنَعَ مِنْهُ حَقِيقَةُ شَرْعِيَّةٍ<sup>[١]</sup>.

[١] قوله: «والواجب في النصوص إجراؤها على ظاهرها بدون تحريف، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْعَرَبِيِّ﴾»: هَذَا هُوَ وَجْهُ الاستِدلالِ بِالْآيَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَنزَلَهُ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مِنْ أَجْلِ عَقْلِهِ وَفَهْمِهِ؛ وَجَبَ عَلَيْنَا إِجْرَاؤُهُ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ ذَلِكَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ، إِلَّا أَنْ تَمْنَعَ مِنْهُ حَقِيقَةُ شَرْعِيَّةٍ.

فَمَثَلًا: الزَّكَاةُ فِي اللُّغَةِ: النَّهْءُ، لَكِنْ فِي الشَّرْعِ: السَّأَلُ الْوَاجِبُ فِي الْأَمْوَالِ الزَّكَوِيَّةِ.

وَالصَّلَاةُ فِي اللُّغَةِ: الدُّعَاءُ، وَفِي الشَّرْعِ: الْعِبَادَةُ الْمَعْرُوفَةُ ذَاتُ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، الْمَفْتَحَةُ بِالتَّكْبِيرِ الْمُخْتَمَةُ بِالتَّسْلِيمِ.

وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَاذَا لَا تُحْمَلُونَهَا عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَيْ عَلَى مَعْنَاهَا اللُّغَوِيَّةِ؟

قُلْنَا: لِأَنَّ الشَّرْعَ نَقَلَ حَقِيقَةَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى شَرْعِيَّةٍ، وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ وَقُلْنَا: «إِلَّا أَنْ تَمْنَعَ مِنْهُ حَقِيقَةُ شَرْعِيَّةٍ». مِثْلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْحَقَائِقِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي خَالَفَتِ اللُّغَةَ.

وَلَا فَرْقَ فِي هَذَا بَيْنَ نُصُوصِ الصِّفَاتِ وَغَيْرِهَا، بَلْ قَدْ يَكُونُ وَجُوبُ التَّزَامِ الظَّاهِرِ فِي نُصُوصِ الصِّفَاتِ أَوْلَى وَأَظْهَرُ؛ لِأَنَّ مَدْلُوكَهَا تَوْقِيفِيٌّ مَحْضٌ لَا مَجَالَ لِلْعُقُولِ فِي تَفَاصِيلِهِ<sup>[١]</sup>.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فِي نُصُوصِ الصِّفَاتِ لَا يَجُوزُ إِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا لِأَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ<sup>[٢]</sup>.

فَجَوَابُهُ أَنْ يُقَالَ: مَاذَا تُرِيدُ بِالظَّاهِرِ؟ أَتُرِيدُ مَا يَظْهَرُ مِنَ النُّصُوصِ مِنَ الْمَعَانِي اللَّائِقَةِ بِاللَّهِ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ، فَهَذَا الظَّاهِرُ مُرَادُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَطْعًا، .....

[١] الصِّفَاتُ يَجِبُ أَنْ تُجْرَى عَلَى ظَاهِرِهَا، بَلْ قَدْ يَكُونُ وَجُوبُ إِجْرَائِهَا عَلَى ظَاهِرِهَا أَوْلَى مِنْ إِجْرَاءِ نُصُوصِ الْأَحْكَامِ؛ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ يَدْخُلُهَا الْاجْتِهَادُ وَيَدْخُلُهَا الْقِيَاسُ، أَمَّا الصِّفَاتُ فَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَهِيَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا نَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا بَلَّغَنَا مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ.

[٢] قَوْلُهُ: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: الصِّفَاتُ لَا يَجُوزُ إِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا؛ لِأَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ»: الَّذِينَ يَقُولُونَ هَذَا هُمْ جَمِيعُ الْمُعْطَلَةِ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ وَغَيْرِهِمْ، يَقُولُونَ: إِنَّ ظَاهِرَ النُّصُوصِ غَيْرُ مُرَادٍ؛ لِأَنَّهَا عَلَى زَعْمِهِمْ تَقْتَضِي التَّشْبِيهَ، وَتَشْبِيهُ اللَّهِ بِالْخَلْقِ غَيْرُ مُرَادٍ قَطْعًا، وَلِهَذَا قَالُوا:

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِهَا      أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضُ وَرْمٍ تَنْزِيهِهَا

وهذه قاعدة غير صحيحة؛ لِأَنَّهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّ ظَاهِرَ النُّصُوصِ التَّشْبِيهُ، فَقَالُوا: إِنَّهُ - أَيْ الظَّاهِرُ - غَيْرُ مُرَادٍ.

يَقُولُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا خَطَأٌ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ.

وَوَاجِبٌ عَلَى الْعِبَادِ قَبُولُهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ شَرْعًا؛ لِأَنَّهُ حَقٌّ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُخَاطَبَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِمَا يُرِيدُ مِنْهُمْ خِلَافَ ظَاهِرِهِ بِدُونِ بَيَانٍ؛ كَيْفَ! وَقَدْ قَالَ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، وَقَالَ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الْكُتُبِ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٧٦]، وَيَقُولُ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٢]، وَيَقُولُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وَمَنْ خَاطَبَ غَيْرَهُ بِمَا يُرِيدُ مِنْهُ خِلَافَ ظَاهِرِهِ بِدُونِ بَيَانٍ فَإِنَّهُ لَمْ يُبَيِّنْ لَهُ وَلَمْ يَهْدِهِ<sup>[١]</sup>.

[١] إِنْ أَرَدْتَ بِالظَّاهِرِ مَا يُفْهَمُ مِنَ الْمَعَانِي اللَّائِقَةِ بِاللَّهِ أَخْطَأْتَ فِي قَوْلِكَ: «غَيْرُ مُرَادٍ»؛ لِأَنَّ هَذَا الظَّاهِرَ مُرَادٌ قَطْعًا، وَوَاجِبٌ قَبُولُهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ شَرْعًا. مِثَالُ ذَلِكَ: لَوْ قَالَ: أُرِيدُ بِالظَّاهِرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]: الْيَدَانِ الْحَقِيقَتَانِ.

نَقُولُ لَهُ: أَخْطَأْتَ فِي قَوْلِكَ: (غَيْرُ مُرَادٍ). بَلْ هَذَا مُرَادٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَرَادَ بِذِكْرِ الْيَدَيْنِ لَهُ أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ اثْنَتَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ.

كَذَلِكَ لَوْ قَالَ: ظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، أَنَّ اللَّهَ عَيْنًا تَلِيقُ بِهِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ غَيْرُ مُرَادٍ.

نَقُولُ لَهُ: أَخْطَأْتَ بِقَوْلِكَ: (غَيْرُ مُرَادٍ). بَلْ هَذَا الظَّاهِرُ مُرَادٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لِعِبَادِهِ أَنَّ لَهُ عَيْنًا تَلِيقُ بِهِ عَزَّجَلَّ وَلَا تُشَبِّهُ أَعْيُنَ الْمَخْلُوقِينَ، لِقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِالْإِبْطَاتِ وَالنَّفْيِ، فَتُثْبِتُ مَا أَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ، وَنَنْفِي مَا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ.

أَمْ تُرِيدُ بِالظَّاهِرِ مَا فَهِمْتَهُ مِنَ التَّمَثِيلِ؟ فَهَذَا غَيْرُ مُرَادٍ لَكِنَّهُ لَيْسَ ظَاهِرُ  
نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لِأَنَّ هَذَا الظَّاهِرَ الَّذِي فَهِمْتَهُ كُفْرٌ وَبَاطِلٌ بِالنَّصِّ  
وَالْإِجْمَاعِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُ كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ كُفْرًا وَبَاطِلًا وَلَا يَرْضَى  
ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ<sup>[١]</sup>.

وَقَدْ اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَثَمَتُهَا عَلَى أَنَّ نُصُوصَ الصِّفَاتِ تُجْرَى عَلَى ظَاهِرِهَا  
اللَّاتِقِ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَأَنَّ ظَاهِرَهَا لَا يَقْتَضِي تَمَثِيلَ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ،  
فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَيَاةً، وَعِلْمًا، وَقُدْرَةً، وَسَمْعًا، وَبَصَرًا حَقِيقَةً، وَأَنَّهُ مُسْتَوٍ  
عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّهُ يُحِبُّ، وَيَرْضَى، وَيَكْرَهُ، وَيَغْضَبُ حَقِيقَةً، وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا،  
وَيَدَيْنِ حَقِيقَةً<sup>[٢]</sup>.

[١] إِذَا قَالَ: أَنَا أُرِيدُ بِالظَّاهِرِ الَّذِي نَفَيْتُهُ أَنَّهُ يُمَثِّلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ. وَهُوَ  
يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، هَذَا غَيْرُ مُرَادٍ. وَيُرِيدُ  
بِالَّذِي (هُوَ غَيْرُ مُرَادٍ) أَنَّهُ اسْتَوَى كَاسْتَوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى الْكُرْسِيِّ. وَهَذَا صَحِيحٌ.  
وَإِذَا قَالَ: أَنَا أُرِيدُ بِنَفْيِ الْإِسْتَوَاءِ الَّذِي قُلْتُ: إِنَّهُ غَيْرُ مُرَادٍ. أُرِيدُ بِهِ الْإِسْتَوَاءَ  
الَّذِي يُمَثِّلُ اسْتَوَاءَ الْمَخْلُوقِ عَلَى السَّرِيرِ.

نَقُولُ: صَدَقْتَ فِي نَفْيِكَ لَكِنَّكَ أَخْطَأْتَ فِي فَهْمِكَ، حَيْثُ زَعَمْتَ أَنَّ هَذَا هُوَ  
ظَاهِرُ النُّصُوصِ، لِأَنَّا نَقُولُ: لَيْسَ هُوَ ظَاهِرُ النُّصُوصِ؛ لِأَنَّ الصِّفَاتِ الْمُضَافَةَ إِلَى اللَّهِ  
تَلِيقُ بِهِ لَا تُمَثِّلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا  
الْقَائِلُ: إِنَّ ظَاهِرَ النُّصُوصِ غَيْرُ مُرَادٍ. تَبَيَّنَ أَنَّهُ مُحْطٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

[٢] اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَأَثَمَتُهَا وَإِنْ كَانُوا مُتَأَخِّرِينَ  
وَالْفِرْقُ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْأَثَمَةِ: أَنَّ الْأَثَمَةَ قَدْ يَكُونُوا مُتَأَخِّرِينَ زَمَانًا لَكِنَّهُمْ طَرِيقًا

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ أُنْعَاءَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومذهباً على مذهب السلف - اتفقوا على أن نصوص الصفات تجرى على ظاهرها، لكن ليس على الظاهر الذي يفهمه هؤلاء المحرفون أنه هو التشبيه، بل اللائق بالله عز وجل من غير تحريف، وأن ظاهرها لا يقتضي تمثيل الخالق بالمخلوق.

ففي الجملة الأولى: «تجربى على ظاهرها» رد على أهل التعطيل.

وفي قوله: «وأن ظاهرها لا يقتضي تمثيل الخالق بالمخلوق»: رد على أهل التمثيل؛ لأن الذين انصرفوا عن الحق في هذا انقسموا إلى قسمين: مُحَرِّفَةٌ مُعْطَلَةٌ، ومُثَلَّة.

والسلف تبرءوا من الأمرين جميعاً، من التحريف المؤدي إلى التعطيل، ومن التمثيل المؤدي إلى الشرك.

وقوله: «فاتفقوا على أن لله حياة، وعِلْمًا، وقُدْرَةً...»: هذه الصفات ليست للحصر وإنما هي للتمثيل، لكن أتينا بالصفات الذاتية والصفات الفعلية والصفات الخبرية - فالصفات الذاتية مثل: الحياة والعلم، والفعلية مثل: الاستواء والمحبة والرضا، والخبرية مثل: الوجه واليدين -؛ ليس إلا معنى يليق بالله.



فَأَجْرُوا هَذِهِ النُّصُوصَ وَغَيْرَهَا مِنْ نُصُوصِ الصِّفَاتِ عَلَى ظَاهِرِهَا وَقَالُوا:  
إِنَّهُ مُرَادٌ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِاللَّهِ تَعَالَى فَلَا تَحْرِيفَ وَلَا تَمَثِيلَ.

وَبَيَانُ ذَلِكَ: أَنَّ مِنْ صِفَاتِنَا مَا هُوَ مَعَانٍ وَأَعْرَاضٌ قَائِمَةٌ بِنَا كَالْحَيَاةِ، وَالْعِلْمِ،  
وَالْقُدْرَةِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ أَعْيَانٌ وَأَجْسَامٌ وَهِيَ أَبْعَاضُ لَنَا كَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ، وَمِنْ  
الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ، وَلَمْ يَقُلِ الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْمَفْهُومَ  
مِنْ حَيَاتِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ كَالْمَفْهُومِ مِنْ حَيَاتِنَا وَعِلْمِنَا وَقُدْرَتِنَا، فَكَذَلِكَ لَمَّا  
وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ لَهُ وَجْهٌ وَيَدَانِ لَمْ يَكُنِ الْمَفْهُومُ مِنْ وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ كَالْمَفْهُومِ مِنْ  
وُجُوهِنَا وَأَيْدِينَا، وَإِنَّمَا قَالَ الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْمَفْهُومَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ فِي هَذَا وَهَذَا لَا  
يُمَاطِلُ الْمَفْهُومَ مِنْهَا فِي صِفَاتِنَا، بَلْ كُلُّ صِفَةٍ تُنَاسِبُ الْمَوْصُوفَ وَتَلِيْقُ بِهِ، فَلَمَّا  
كَانَتْ ذَاتُ الْخَالِقِ لَا تُمَاطِلُ ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَكَذَلِكَ صِفَاتُهُ لَا تُمَاطِلُ صِفَاتِ  
الْمَخْلُوقِ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ الْقَوْلَ فِي الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ.

فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ ظَاهِرَ نُصُوصِ الصِّفَاتِ غَيْرُ مُرَادٍ. فَقَدْ أَخْطَأَ  
عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ<sup>[١]</sup>.

[١] مِنْ صِفَاتِنَا مَا هُوَ مَعَانٍ وَأَعْرَاضٌ قَائِمَةٌ بِنَا، كَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، فَهِيَ  
مَعَانٍ - لَيْسَتْ شَيْئًا يُرَى أَوْ يُشَارُ إِلَيْهِ - نَحْنُ مَتَّصِفُونَ بِهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى مِثْلُ هَذِهِ الصِّفَاتِ،  
فَلَهُ حَيَاةٌ وَعِلْمٌ وَقُدْرَةٌ، وَهَذِهِ صِفَاتُ مَعَانٍ.

وَمِنْهَا - أَيْ مِنْ صِفَاتِنَا - مَا هُوَ أَعْيَانٌ وَأَجْسَامٌ وَهِيَ أَبْعَاضُ لَنَا، كَالْوَجْهِ  
وَالْيَدَيْنِ، فَالْوَجْهُ وَالْيَدَانِ أَعْيَانٌ يُشَارُ إِلَيْهَا، فَهَذَا وَجْهٌ وَهَذِهِ يَدٌ، وَهِيَ لَنَا أَبْعَاضٌ،  
لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ تَعَالَى لَا نَقُولُ: إِنَّهَا أَبْعَاضٌ، لَكِنْ نَقُولُ: الْيَدُ الَّتِي لِلَّهِ لَيْسَتْ هِيَ الْقُوَّةُ

.....

التي هي الصِّفَةُ المَعْنَوِيَّةُ بل هي صِفَةٌ غَيْرُ الصِّفَةِ المَعْنَوِيَّةِ؛ لِأَنَّكَ لو قُلْتَ: إِنَّ الِيدَ بالنِّسْبَةِ لِلَّهِ صِفَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ لَكَانَ هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ التَّحْرِيفِ.

فَإِذَا قُلْتَ: إِنَّ الِيدَ الْحَقِيقِيَّةَ لَيْسَتْ مَعْنَوِيَّةٌ لَكِنَّهَا بِالنِّسْبَةِ لَنَا بَعْضٌ وَعَيْنٌ، فَعَيْنٌ لِأَنَّهُ يُشَارُ إِلَيْهَا وَيُقَالُ: هَذِهِ يَدٌ. وَبَعْضٌ لِأَنَّهَا بَعْضُ الْجِسْمِ.

لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ تُطْلَقَ عَلَيْهَا أَنَّهَا بَعْضُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْبَعْضَ مَا جَازَ أَنْ يُفَارَقَ الْكُلَّ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لَصِفَاتِ اللَّهِ شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ.

وَقَوْلُهُ: «فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ ظَاهِرَ نُصُوصٍ...»:

إِذَا قَالَ: ظَاهِرُ النُّصُوصِ غَيْرُ مُرَادٍ. قُلْنَا: مَا هُوَ الظَّاهِرُ؟

فَإِنْ قَالَ: الظَّاهِرُ الَّذِي يَلِيقُ بِاللَّهِ. قُلْنَا: إِنَّ قَوْلَكَ: غَيْرُ مُرَادٍ. خَطَأٌ.

وَإِذَا قَالَ: أَنَا أُرِيدُ بِالظَّاهِرِ الَّذِي نَفَيْتَ التَّمثِيلَ، أَيَّ أَنَّ إِثْبَاتَ يَدٍ مِثْلَةَ لِأَيْدِي المَخْلُوقِينَ، فَأَقُولُ: هَذَا غَيْرُ مُرَادٍ. وَفِي هَذِهِ الْحَالِ نُوَافِقُهُ عَلَى قَوْلِهِ: غَيْرُ مُرَادٍ.

فَمِثْلًا إِذَا قَالَ قَائِلٌ: ظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، أَيَّ أَنَّ وَجْهَ اللَّهِ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ، وَهَذَا غَيْرُ مُرَادٍ.

نَقُولُ: مَنْ قَالَ لَكَ: إِنَّ هَذَا ظَاهِرُ النَّصِّ؟ فَقَوْلُكَ: إِنَّ هَذَا ظَاهِرُ النَّصِّ خَطَأٌ، فَالْخَطَأُ لَيْسَ فِي قَوْلِكَ: غَيْرُ مُرَادٍ. بَلِ الْخَطَأُ فِي قَوْلِكَ: ظَاهِرُ النَّصِّ.

فَإِذَا أَرَادَ بـ(الظَّاهِرِ) الْمَعْنَى اللَّاتِقَ بِاللَّهِ، وَقَالَ: إِنَّهُ غَيْرُ مُرَادٍ أَخْطَأَ فِي قَوْلِهِ: «غَيْرُ مُرَادٍ».

لأنَّه إِنْ فَهِمَ مِنْ ظَاهِرِهَا مَعْنَى فَاسِدًا وَهُوَ التَّمْثِيلُ، فَقَدْ أَخْطَأَ فِي فَهْمِهِ وَأَصَابَ فِي قَوْلِهِ: «غَيْرُ مُرَادٍ»، وَإِنْ فَهِمَ مِنْ ظَاهِرِهَا مَعْنَى صَحِيحًا وَهُوَ الْمَعْنَى اللَّائِقُ بِاللَّهِ، فَقَدْ أَصَابَ فِي فَهْمِهِ وَأَخْطَأَ فِي قَوْلِهِ: «غَيْرُ مُرَادٍ» فَهُوَ إِنْ أَصَابَ فِي مَعْنَى ظَاهِرِهَا أَخْطَأَ فِي نَفْيِ كَوْنِهِ مُرَادًا، وَإِنْ أَخْطَأَ فِي مَعْنَى ظَاهِرِهَا أَصَابَ فِي نَفْيِ كَوْنِهِ مُرَادًا، فَيَكُونُ قَوْلُهُ خَطَأً عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ.

وَالصَّوَابُ الَّذِي لَا خَطَأَ فِيهِ أَنَّ ظَاهِرَهَا مُرَادٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا مَعْنَى يَلِيْقُ بِاللَّهِ<sup>[١]</sup>.

وَإِنْ أَرَادَ بِالظَّاهِرِ مَا يَفْهَمُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ التَّمْثِيلِ فَقَدْ أَصَابَ فِي الْآخِرِ فِي قَوْلِهِ: (غَيْرُ مُرَادٍ)، وَلَكِنْ أَخْطَأَ فِي فَهْمِ النَّصِّ، حَيْثُ ظَنَّ أَنَّ النَّصَّ يَدُلُّ عَلَى التَّمْثِيلِ.

### [١] خُلاصَةُ الْبَحْثِ:

١ - ظَاهِرُ النَّصُوصِ: هُوَ مَا يُتَبَادَرُ مِنْهَا بِحَسَبِ السِّيَاقِ وَالْقَرَائِنِ.

٢ - وَجُوبُ الْعَمَلِ بِالظَّاهِرِ مَا لَمْ تَمْنَعْ مِنْهُ حَقِيقَةُ شَرْعِيَّةٍ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: ظَاهِرُ النَّصُوصِ فِي الصِّفَاتِ غَيْرُ مُرَادٍ.

نَقُولُ: هَذَا خَطَأٌ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ؛ لِأَنَّ كَلَامَهُ خَطَأٌ، إِمَّا فِي قَوْلِهِ: ظَاهِرُ النَّصُوصِ.

وإِمَّا فِي قَوْلِهِ: غَيْرُ مُرَادٍ.



## فَصْلٌ

وَالَّذِينَ يَجْعَلُونَ ظَاهِرَ النُّصُوصِ مَعْنَى فَاسِدًا فَيُنْكِرُونَهُ يَكُونُ خَطْوُهُمْ عَلَى وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يُفَسِّرُوا النَّصَّ بِمَعْنَى فَاسِدٍ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ فَيُنْكِرُونَهُ لِذَلِكَ، وَيَقُولُوا: إِنَّ ظَاهِرَهُ غَيْرُ مُرَادٍ.

مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تُعْذِنِي، يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تُسْقِنِي..» الْحَدِيثَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(١)</sup>.

قَالُوا: فَظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ يَمْرُضُ، وَيَجُوعُ، وَيَعْطَشُ، وَهَذَا مَعْنَى فَاسِدٌ فَيَكُونُ غَيْرَ مُرَادٍ.

[١] قَوْلُهُ: «يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تُعْذِنِي»: اللَّهُ لَا يَمْرُضُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَوْلُهُ: «اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي»: أَيِ طَلَبْتُ مِنْكَ طَعَامًا فَلَمْ تُطْعِمْنِي، وَهَذَا أَيْضًا مُسْتَحِيلٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

وَقَوْلُهُ: «اسْتَسْقَيْتُكَ»: أَيِ طَلَبْتُكَ أَنْ تُسْقِنِي فَلَمْ تُسْقِنِي، وَهَذَا أَيْضًا مُتَنَبِّعٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَكْلِ وَلَا شُرْبٍ.

قَالُوا: فَظَاهِرُ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ يَمْرُضُ وَيَجُوعُ وَيَعْطَشُ، وَهَذَا مَعْنَى فَاسِدٌ، فَيَكُونُ غَيْرَ مُرَادٍ.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْبَرِّ وَالصَّلَةِ، بَابُ فَضْلِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ، رَقْمُ (٢٥٦٩).

فَقُولُ: لَوْ أُعْطِيتُمُ النَّصَّ حَقَّهُ لَتَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى الْفَاسِدَ لَيْسَ ظَاهِرَ اللَّفْظِ؛ لِأَنَّ سِيَاقَ الْحَدِيثِ يَمْنَعُ ذَلِكَ، فَقَدْ جَاءَ مُفَسِّرًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ نَفْسِهِ: «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضٌ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمَهُ، وَاسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَمْرُضْ، وَلَمْ يَجْعُ، وَلَمْ يَعْطَشْ، وَإِنَّمَا حَصَلَ الْمَرَضُ وَالْجُوعُ وَالْعَطَشُ مِنْ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ.

وَمِثَالٌ آخَرُ: قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ سَفِينَةِ نُوحٍ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [الْقَمَر: ١٤].

قَالُوا: فَظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّ السَّفِينَةَ تَجْرِي فِي عَيْنِ اللَّهِ، وَهَذَا مَعْنَى فَاسِدٌ، فَيَكُونُ غَيْرَ مُرَادٍ.

فَقُولُ: دَعَوَاكُمْ أَنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ: أَنَّ السَّفِينَةَ تَجْرِي فِي عَيْنِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - مَرْدُودَةٌ مِنْ جِهَةِ التَّرْكِيبِ اللَّفْظِيِّ وَمِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى أَيْضًا.

أَمَّا التَّرْكِيبُ اللَّفْظِيُّ: فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ الْقَائِلُ: فَلَانٌ يَسِيرُ بِعَيْنِي، لَمْ يَفْهَمْ أَحَدٌ مِنْ هَذَا التَّرْكِيبِ أَنَّهُ يَسِيرُ دَاخِلَ عَيْنِيهِ، وَلَوْ ادَّعَى مُدَّعٍ أَنَّ هَذَا ظَاهِرُ لَفْظِهِ لَضَحِكَ مِنْهُ السُّفَهَاءُ فَضْلًا عَنِ الْعُقَلَاءِ،

وقولهم: «ظاهر النص أنه يمرض ويَجُوعُ وَيَعْطَشُ» هذا غير صحيح.

إِذَنْ: أَخْطَؤُوا فِي قَوْلِهِمْ: «إِنَّ هَذَا ظَاهِرُ النَّصِّ». فَجَعَلُوا ظَاهِرَ النَّصِّ مَعْنَى فَاسِدًا، لَا يَقْتَضِيهِ اللَّفْظُ.

وَلِإِنَّا يُفَهُمُ مِنْهُ أَنَّ عَيْنِيهِ تَضَحُّبُهُ بِالنَّظَرِ وَالرَّعَايَةِ؛ لِأَنَّ الْبَاءَ هُنَا لِلْمُصَاحَبَةِ وَلَيْسَتْ لِلظَّرْفِيَّةِ<sup>[١]</sup>.

وَأَمَّا الْمَعْنَى: فَإِنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ صَنَعَ السَّفِينَةَ فِي الْأَرْضِ، وَجَرَتْ عَلَى السَّمَاءِ فِي الْأَرْضِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هُود: ٣٨]، وَقَالَ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾<sup>(١٠)</sup> فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ<sup>(١١)</sup> وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ<sup>(١٢)</sup> وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُسِّرَ<sup>(١٣)</sup> تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ<sup>[القمر: ١٠-١٤]</sup><sup>[٢]</sup>.

[١] فالمعنى الفاسد لا يمكن لأحد أن يتصوره، والمعنى أن السَّفِينَةَ تَجْرِي، فيقال: فلان يسير بعيني. أو: أنت على العين والرأس. فليس معنى ذلك أن الإنسان يكون على رأس الشخص أو يسير بعينه.

[٢] نَكَرَ الْأَلْوَحَ لِأَنَّهَا أَلْوَحٌ قَوِيَّةٌ، حَمَلَ بِهَا مِنْ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، وَالدُّسْرُ هِيَ الْمَسَامِيرُ الْقَوِيَّةُ، وَفِي الْعُدُولِ عَنْ ذِكْرِ السَّفِينَةِ فائدتان: الْفَائِدَةُ الْأُولَى: مُرَاعَاةُ فَوَاصِلِ السُّورَةِ، وَمُرَاعَاةُ الْفَوَاصِلِ مَطْلُوبٌ كَمَا يَظْهَرُ ذَلِكَ لِمَنْ تَأَمَّلَ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَّةُ: الْإِشَارَةُ إِلَى الْمَوَادِّ الَّتِي تَرَكَّبُ مِنْهَا السَّفِينَةُ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أُسْوَةً لِمَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٥]، أَيْ أَبْقَيْنَاهَا آيَةً لِلنَّاسِ يُقَلِّدُونَ الصَّنْعَةَ فِيهَا.

وَلَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدَّعِيَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ اللَّفْظِ أَنَّ السَّفِينَةَ تَجْرِي فِي عَيْنِ اللَّهِ - عَزَّوَجَلَّ -؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مُمْتَنِعٌ غَايَةً الْإِمْتِنَاعِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يُمَكِّنُ لِمَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَقَدَّرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، لَيْسَ حَالًا فِي شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَا شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ حَالًا فِيهِ، أَنْ يَفْهَمَ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ هَذَا الْمَعْنَى الْفَاسِدَ.

وَعَلَى هَذَا فَمَعْنَى الْآيَةِ -الَّذِي هُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ- أَنَّ السَّفِينَةَ تَجْرِي وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْلُؤُهَا بِعَيْنِهِ<sup>(١)</sup>.

وَمِثَالُ ثَالِثٍ: فِي الْأَثَرِ: «الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ صَافَحَهُ وَقَبَّلَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللَّهَ وَقَبَّلَ يَمِينَهُ»<sup>(١)</sup>.

قَالُوا: فَظَاهِرُ الْأَثَرِ أَنَّ الْحَجَرَ نَفْسُهُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا مَعْنَى فَاسِدٌ فَيَكُونُ غَيْرَ مُرَادٍ.

[١] بَعْضُ السَّلَفِ يُفَسِّرُونَ قَوْلَهُ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾: أَيِ بِمَرَأَى مِنَّا، فَيُظَنُّ الظَّانُّ أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ التَّحْرِيفِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هَذَا مِنْ بَابِ التَّفْسِيرِ بِاللَّازِمِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا كَانَ يَلْحَظُهَا بِعَيْنِهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَرَاهَا، لِأَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ: بِمَرَأَى مِنَّا، وَيُنْكِرُونَ الْعَيْنَ وَلَا يُثَبِّتُونَهَا، وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ تَفْسِيرِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا عَيْنَ لَهُ. وَالْمُرَادُ بِالْعَيْنِ الرَّؤْيَةُ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِي فِي الْكَامِلِ (٥٥٧/١)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْعِلَلِ الْمُنْتَاهِيَةِ، (٨٢/٢)، (٨٥)، وَالْعَجَلُونِي فِي كَشْفِ الْخَفَاءِ، رَقْم (١١٠٩). وَالْحَدِيثُ مَنْكَرٌ كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الضَّعِيفَةِ، رَقْم (٢٢٣).

فَنَقُولُ: أَوَّلًا: هَذَا الْأَثَرُ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِإِسْنَادٍ لَا يَثْبُتُ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قُلْتُ: قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: هَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ، وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: حَدِيثٌ بَاطِلٌ فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ. اهـ<sup>[١]</sup>

ثَانِيًا: إِنَّهُ - عَلَى تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ - صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ لَيْسَ نَفْسَ يَمِينِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ» فَقِيدَهُ فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يُطْلَقْ، وَحُكْمُ اللَّفْظِ الْمُقَيَّدِ يُخَالِفُ الْمُطْلَقَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ؛ وَلِأَنَّهُ قَالَ: «فَمَنْ صَافَحَهُ وَقَبْلَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللَّهَ وَقَبْلَ يَمِينِهِ» وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُسَبَّهَ غَيْرُ الْمُسَبَّهِ بِهِ، فَلِأَثَرِ ظَاهِرٍ فِي أَنَّ مُسْتَلِمَ الْحَجَرِ لَيْسَ مُصَافِحًا لِلَّهِ، وَلَيْسَ الْحَجَرُ نَفْسَ يَمِينِ اللَّهِ، فَكَيْفَ يُجْعَلُ ظَاهِرُهُ كُفْرًا يَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ؟

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يُفَسَّرُوا اللَّفْظُ بِمَعْنَى صَحِيحٍ مُوَافِقٍ لظَاهِرِهِ<sup>[٢]</sup>، .....

[١] قوله: «يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»: معلومٌ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا قِيدَ فِي الْأَرْضِ عُلِمَ أَنَّهَا لَيْسَتْ يَدُهُ، هَذَا وَجْهُ.

والوجه الثاني: أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ صَافَحَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللَّهَ وَقَبْلَ يَمِينِهِ»: ومعلومٌ أَنَّ الْمُسَبَّهَ غَيْرُ الْمُسَبَّهِ بِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى الْفَاسِدَ الَّذِي فَهِمَهُ مِنْ هَذَا الْأَثَرِ لَيْسَ مُرَادًا مِنَ الْأَصْلِ.

فصار هَذَا الوجه الأول من الذين جعلوا ظاهر النصوص غير مرادٍ، أَنَّهُمْ يَفْهَمُونَ مِنَ النَّصِّ مَعْنَى فَاسِدًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: هَذَا غَيْرُ مُرَادٍ.

[٢] قوله: «الوجه الثاني: أَنْ يُفَسَّرُوا اللَّفْظُ بِمَعْنَى صَحِيحٍ مُوَافِقٍ لظَاهِرِهِ...»:



لَكِنْ يَرُدُّونَهُ لِإِعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُ بَاطِلٌ وَلَيْسَ بِبَاطِلٍ<sup>[١]</sup>.

مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]<sup>[٢]</sup>.

هَذَا غَيْرُ الْأَوَّلِ، فَهَذَا يُفَسِّرُونَهُ بِمَعْنَى صَحِيحٍ لَكِنْ يَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى الصَّحِيحَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: إِنَّ ظَاهِرَهُ غَيْرُ مُرَادٍ.

وَلَكِنْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا.

الْأَوَّلُ: خَطَأٌ فِي الْفَهْمِ، فَهَمُّ فَهَمُّوا النَّصَّ عَلَى مَعْنَى فَاسِدٍ، وَقَالُوا: غَيْرُ مُرَادٍ.

فَنَقُولُ: إِنَّ قَوْلَكُمْ (غَيْرُ مُرَادٍ) صَحِيحٌ، لَكِنْ فَهْمُكُمْ هُوَ الْخَطَأُ.

الثَّانِي: أَنْ يُفَسِّرُوا اللَّفْظَ بِمَعْنَى صَحِيحٍ، لَكِنْ يَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: غَيْرُ مُرَادٍ، وَمِنْ هُنَا صَارَ الضَّلَالُ أَنَّهُمْ يَفْهَمُونَ أَنَّ النُّصُوصَ الْوَارِدَةَ تَدُلُّ -بِمَعْنَاهَا الصَّحِيحَ- عَلَى مَا لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَحَاوَلُوا أَنْ يَقُولُوا: إِنَّهَا غَيْرُ مُرَادَةٍ.

[١] وَقَوْلُهُ: «لَكِنْ يَرُدُّونَهُ لِإِعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُ بَاطِلٌ وَلَيْسَ بِبَاطِلٍ»: أَيُّ وَالْحَالُ أَنَّهُ لَيْسَ بِبَاطِلٍ، وَلِهَذَا قُلْنَا بِإِعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَلَوْ قُلْنَا: وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ بَاطِلٌ وَلَيْسَ بِبَاطِلٍ. حَتَّى لَوْ قُلْنَا هَكَذَا؛ فَوَاضِحٌ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَنَاقَضُوا فَيَقُولُوا: بَاطِلٌ وَلَيْسَ بِبَاطِلٍ.

[٢] قَوْلُهُ: «مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]» وَظَاهِرُ

الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ عَلَا عَلَى الْعَرْشِ، فَنَقُولُ لَهُمْ: هَذَا ظَاهِرٌ صَحِيحٌ مُرَادٌ، وَلَا يُنَافِي كَمَا أَنَّ اللَّهَ، وَلَا يَسْتَلْزِمُ تَمْثِيلًا وَلَا تَشْبِيهًا فَيَكُونُ مُرَادًا.

قَالُوا: فَظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ عَلَا عَلَى الْعَرْشِ، وَالْعَرْشُ مَحْدُودٌ فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَحْدُودًا، وَهَذَا مَعْنَى فَاسِدٌ فَيَكُونُ غَيْرَ مُرَادٍ.

فَنَقُولُ: إِنَّ عُلُوَّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ -وَإِنْ كَانَ الْعَرْشُ مَحْدُودًا- لَا يَسْتَلْزِمُ مَعْنَى فَاسِدًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَلَا عَلَى عَرْشِهِ عُلُوًّا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَلَا يُمَاتِلُ عُلُوَّ الْمَخْلُوقِ عَلَى الْمَخْلُوقِ، وَلَا يَلْزِمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مَحْدُودًا، وَهُوَ عُلُوٌّ يَخْتَصُّ بِالْعَرْشِ<sup>[١]</sup>، وَالْعَرْشُ أَعْلَى الْمَخْلُوقَاتِ فَيَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى عَالِيًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِهِ وَكَمَالِ صِفَاتِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَعْنَى فَاسِدًا غَيْرَ مُرَادٍ!؟

مِثَالٌ آخَرُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٦٤].

قَالُوا: فَظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ وَهُمَا جَارِحَةٌ، وَهَذَا مَعْنَى فَاسِدٌ فَيَكُونُ غَيْرَ مُرَادٍ<sup>[٢]</sup>.

[١] قَوْلُنَا: «عُلُوٌّ يَخْتَصُّ بِالْعَرْشِ»: لئَلَّا يَقُولَ قَائِلٌ: إِنَّ اللَّهَ عَالٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّ الْإِسْتَوَاءَ أَخْصُ مِنْ مُطْلَقِ الْعُلُوِّ، وَلِهَذَا لَوْ أَنَّ شَخْصًا فَوْقَ السَّطْحِ، قُلْنَا: إِنَّهُ عَالٍ. وَإِذَا جَلَسَ عَلَى الْكُرْسِيِّ قُلْنَا: إِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْكُرْسِيِّ.

فَهَذَا عُلُوٌّ خَاصٌّ يَخْتَصُّ بِالْعَرْشِ، أَيْ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ عَالِيًا عَلَيْهَا.

لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْعَرْشُ هُوَ أَعْلَى الْمَخْلُوقَاتِ وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؛ صَارَ الْمُسْتَوَى عَلَيْهِ عَالِيًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

[٢] وَلِهَذَا يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْجَوَارِحِ وَالْقَبَائِحِ؛ (عَنِ الْقَبَائِحِ) لِأَنَّ عَنْدهُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُقُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ. وَ(الْجَوَارِحُ): الْكَوَايِدُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ

فَنَقُولُ: إِنَّ ثُبُوتَ الْيَدَيْنِ الْحَقِيقَتَيْنِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَا يَسْتَلْزِمُ مَعْنَى فَاسِدًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ تَلِيقَانِ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، بِهِمَا يَأْخُذُ وَيَقْبِضُ، وَلَا تُمَثِّلَانِ أَيْدِيَ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِهِ وَكَمَالِ صِفَاتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]<sup>[١]</sup>.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، .....

أَيْدَى النَّاسِ» [الروم: ٤١]، فيقولون: إِنَّ الْيَدَ جَارِحَةً، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْجَوَارِحِ. وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ يَدًا، وَجَبَ أَنْ تُثْبِتَ لِلَّهِ يَدًا، وَسَمَّاهَا مَا شِئْتَ، فَالتَّسْمِيَةُ لَا تُغَيِّرُ الْحَقِيقَةَ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَخْبَرَ بَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ فَقَالَ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَقَالَ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ؛ وَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ، وَلَا يُضَرُّنَا تَشْنِيعُ هَؤُلَاءِ الْمَشْنُوعِينَ وَقَوْلُهُمْ: إِنَّهُ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ جَارِحًا وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

أَمَّا قَوْلُنَا لَهُ: سَمَّاهَا مَا شِئْتَ. فَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى كَلَامِهِ هُوَ، وَهُمْ يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ التَّشْنِيعَ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ حَتَّى يُنْفَرُوا النَّاسَ مِنْهَا، أَمَّا نَحْنُ فَمَا نُسَمِّيْهَا إِلَّا يَدًا، كَمَا سَمَّاهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ.

[١] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ﴾: هَذَا فِيهِ إِثْبَاتٌ أَنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، فَفِيهِ إِثْبَاتُ الطَّيِّ بِالْيَدِ وَإِثْبَاتُ الْقَبْضِ.

وَإِنْ كَانَتْ تَمَرَّةً، فَتَرَبُّوْ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ»<sup>(١)</sup> فَأَيُّ مَعْنَى فَاسِدٍ يَلْزَمُ مِنْ ظَاهِرِ النَّصِّ حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُ غَيْرُ مُرَادٍ؟<sup>[١]</sup>

وَقَدْ يَجْتَمِعُ الْخَطَأُ مِنَ الْوَجْهَيْنِ فِي مِثَالٍ وَاحِدٍ مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»<sup>(٢) [٢]</sup>.

[١] وقوله: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ»: يشمل الطَّيِّبَ فِي ذَاتِهِ، وَالطَّيِّبَ فِي كَسْبِهِ.

[٢] قوله ﷺ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا»: كلمة (كُلَّهَا) يَجُوزُ فِيهَا وَجْهَانِ: الرَّفْعُ وَالنَّصْبُ.

النَّصْبُ: عَلَى أَنَّهَا تَوْكِيدٌ لـ (قُلُوبَ)، وَتَكُونُ (بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ) خَبَرٌ (إِنَّ).

وَالرَّفْعُ: عَلَى أَنَّهَا مُبْتَدَأٌ، وَ(بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ) خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ الثَّانِي، وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ (إِنَّ).

وَالنَّصْبُ أَوْلَى؛ لِأَنَّ النَّصْبَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرِ جُمْلَةٍ تَكُونُ خَبَرًا، فَالْكَلَامُ وَاحِدٌ، وَكَلَّمَا قَلَّتِ التَّقْدِيرَاتُ كَانَ أَوْلَى.

وَعَلَى هَذَا: فَنَقُولُ يَجُوزُ الْوَجْهَانِ فِي (كُلَّهَا) وَالنَّصْبُ أَوْلَى.

(١) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، رقم (١٤١٠)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، رقم (١٠١٤).

(٢) رواه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله القلوب كيف يشاء، رقم (٢٦٥٤).

فَقَالُوا عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ: ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ فَيَلْزَمُ مِنْهُ الْمُبَاشَرَةُ وَالْمَمَاسَّةُ، وَأَنَّ تَكُونَ أَصَابِعُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ دَاخِلَ أَجْوَافِنَا، وَهَذَا مَعْنَى فَاسِدٌ فَيَكُونُ غَيْرَ مُرَادٍ<sup>[١]</sup>.

[١] الحديث مُتَضَمِّنٌ - في زعمهم - لوجهين:

الأول: قَالُوا: إِنَّ ظَاهِرَ الْحَدِيثِ: أَنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ مُبَاشَرَةٌ وَمَمَاسَّةٌ، فَإِذَا كَانَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُبَاشِرًا لِقُلُوبِنَا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَزِمَ أَنْ تَكُونَ أَصَابِعُ اللَّهِ دَاخِلَ أَجْوَافِنَا؛ لِأَنَّ قُلُوبَنَا فِي أَجْوَافِنَا.

وَهَذَا مَعْنَى فَاسِدٌ فَيَكُونُ غَيْرَ مُرَادٍ، فَتَحْنُ نُوَافِقُهُمْ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُرَادٍ وَلَكِنْ لَا نُوَافِقُهُمْ بِأَنَّ هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ.

الوجه الثاني: ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ أَصَابِعَ حَقِيقَةٍ وَهِيَ جَوَارِحُ، وَهَذَا مَعْنَى فَاسِدٌ فَيَكُونُ غَيْرَ مُرَادٍ.

وَنَقُولُ لَهُمْ: قَوْلُكُمْ: (غَيْرُ مُرَادٍ) صَحِيحٌ، وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ أَصَابِعَ حَقِيقَةٍ صَحِيحٌ وَهُوَ مُرَادٌ، فَقَوْلُكُمْ: (غَيْرُ مُرَادٍ) هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ.

وَمَعْنَى الْحَدِيثِ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ كَنَايَةٌ عَنْ نُفُوذِ تَدْبِيرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي بَنِي آدَمَ.

فَقَالُوا: إِنَّ أَبْلَغَ صُورَةٍ يُصَوِّرُ بِهَا هَذَا النُّفُوذَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ بَيْنَ يَدَيَّ، أَفْعَلُ بِكَ مَا أَشَاءُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَصَابِعَ حَقِيقَةٍ وَلَا بَيِّنَةٌ حَقِيقَةٍ، فَالْقُلُوبُ لَيْسَتْ بَيْنَ أَصَابِعِ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَيْسَ لَهُ أَصَابِعُ، لَكِنَّ هَذَا تَمْثِيلٌ لِكَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَتَصْرِيفِهِ لِقُلُوبِ الْعِبَادِ.

وَقَالُوا عَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي: ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ أَصَابِعَ حَقِيقَةٍ وَالْأَصَابِعُ جَوَارِحُ، وَهَذَا مَعْنَى فَاسِدٌ فَيَكُونُ غَيْرَ مُرَادٍ.

فَنَقُولُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ: إِنَّ كَوْنَ قُلُوبِ بَنِي آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ حَقِيقَةٌ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْمُبَاشَرَةُ وَالْمُمَاسَّةُ، وَلَا أَنْ تَكُونَ أَصَابِعُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ دَاخِلَ أَجْوَافِنَا، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، فَإِنَّ السَّحَابَ لَا يُبَاشِرُ السَّمَاءَ وَلَا الْأَرْضَ وَلَا يَمَسُّهُمَا.

وَيُقَالُ: سُتْرُهُ الْمُصَلِّي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَيْسَتْ مُبَاشَرَةً لَهُ وَلَا مُمَاسَّةً لَهُ.

فَإِذَا كَانَتْ الْبَيِّنَةُ لَا تَسْتَلْزِمُ الْمُبَاشَرَةَ وَالْمُمَاسَّةَ فِيمَا بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ فَكَيْفَ بِالْبَيِّنَةِ فِيمَا بَيْنَ الْمَخْلُوقِ وَالْخَالِقِ الَّذِي وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ.

وَقَدْ دَلَّ السَّمْعُ وَالْعَقْلُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يَحِلُّ فِي شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يَحِلُّ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَجْمَعَ السَّلَفُ عَلَى ذَلِكَ<sup>[١]</sup>.

وَنَقُولُ عَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي: إِنَّ ثُبُوتَ الْأَصَابِعِ الْحَقِيقَةِ لِلَّهِ تَعَالَى لَا يَسْتَلْزِمُ مَعْنَى فَاسِدًا، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مُرَادًا قَطْعًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَصَابِعَ حَقِيقَةٍ تَلِيْقُ بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَلَا تُمَاطِلُ أَصَابِعَ الْمَخْلُوقِينَ، .....

[١] لَا يَلْزَمُ مِنَ الْبَيِّنَةِ الْمُمَاسَّةُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ﴾، نَجِدُ أَنَّ السَّحَابَ لَا يَمَسُّ الْأَرْضَ وَلَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ بَيْنَهُمَا.

وَتَقُولُ مَثَلًا: الْمَدِينَةُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالشَّامِ. وَلَا يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ مُتَّصِلَةً بِهِذِهِ وَلَا هَذِهِ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ <sup>(١)</sup> عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ <sup>(١)</sup>. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ <sup>(٢)</sup>، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الزُّمَرِ. فَأَيُّ مَعْنَى فَاسِدٍ يَلْزَمُ مِنْ ظَاهِرِ النَّصِّ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّهُ غَيْرُ مُرَادٍ؟!

[١] قوله: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ...»: ذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ خَمْسَةَ أَصَابِعٍ، وَلَكِنْ هَلْ يُقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ إِلَّا خَمْسَةُ أَصَابِعٍ؟

الْجَوَابُ: لَا، بَلْ يُقَالَ: لَا نَعْلَمُ إِلَّا هَذِهِ الْخَمْسَ، وَلَا نَدْرِي هَلْ لَهُ أَكْثَرُ، إِنَّمَا نَعْرِفُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهَا لَا تَنْقُصُ أَصَابِعُهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْ خَمْسَةٍ، وَلَكِنْ هَذَا الْحَدِيثُ لَا يَنْفِي الزِّيَادَةَ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٢] وفي قوله: «فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ»: فِي ذَلِكَ رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالُوا: ضَحِكَ إِنْكَارًا عَلَى الْحَبْرِ:

أَوَّلًا: لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَاهِدَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَرَفَ أَنَّهُ ضَحِكَ تَصْدِيقًا وَلَيْسَ إِنْكَارًا.

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، رقم (٤٨١١)، ومسلم: كتاب صفة القيامة رقم (٢٧٨٦).

وَيُشْبِهُهُ هَذَا الْخَطَأُ أَنْ يُجْعَلَ اللَّفْظُ نَظِيرًا لِمَا لَيْسَ مِثْلَهُ<sup>[١]</sup>، كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، إِنَّهُ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيَدِينَ﴾ [يس: ٧١]، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْيَدِ نَفْسُ الْفَاعِلِ فِي الْآيَتَيْنِ، وَهَذَا غَلَطٌ فَإِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا ثَابِتٌ مِنْ وُجُوهِ ثَلَاثَةٍ:

الأول: مِنْ حَيْثُ الصِّيغَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وَهِيَ تَخَالِفُ الصِّيغَةَ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ فِيهَا: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيَدِينَ﴾ وَلَوْ كَانَتْ الْأُولَى نَظِيرَةً لِلثَّانِيَةِ لَكَانَ لَفْظُهَا «لَمَّا خَلَقْتُ يَدَايَ» فَيُضَافُ الْخَلْقُ إِلَيْهِمَا،

ثَانِيًا: الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَرَّرَ عَلَى بَاطِلٍ، فَلَوْ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ الْحَبْرُ بَاطِلًا مَا ضَحَكَ مِنْهُ، وَلَأَنكَرَ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَيْلَكَ، اللَّهُ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ شَأْنًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

[١] قَوْلُهُ: «وَيُشْبِهُهُ هَذَا الْخَطَأُ أَنْ يُجْعَلَ اللَّفْظُ نَظِيرًا لِمَا لَيْسَ مِثْلَهُ...» (يُشْبِهُهُ هَذَا الْخَطَأُ) أَيِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ السَّابِقَيْنِ أَنْ يُفْهَمَ النَّصُّ عَلَى مَعْنَى فَاسِدٍ، أَوْ أَنْ يُفْهَمَ عَلَى مَعْنَى صَحِيحٍ وَيُقَالُ: إِنَّهُ غَيْرُ مُرَادٍ.

فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ: الْمُرَادُ بِالْيَدِ نَفْسُ الْفَاعِلِ، لَا شَكٌّ فِي هَذَا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيَدِينَ﴾.

وَأَمَّا الْآيَةُ الْأُولَى: فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْيَدِ نَفْسُ الْفَاعِلِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ الْفَاعِلَ فَقَالَ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

أَمَّا «مِمَّا عَمِلْتَ آيَدِينَ»، فَمَا قَالَ: «مِمَّا عَمِلْتُ بِيَدَيَّ»، بَلْ قَالَ: «مِمَّا عَمِلْتَ آيَدِينَ» فَأُضِيفَ الْفِعْلُ إِلَيْهِ.



كَمَا أُضِيفَ الْعَمَلُ إِلَيْهِمَا فِي الثَّانِيَةِ.

الثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَضَافَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى الْفِعْلَ إِلَى نَفْسِهِ مُعَدَّى بِالْبَاءِ إِلَى الْيَدَيْنِ، فَكَانَ سُبْحَانَهُ هُوَ الْخَالِقَ وَكَانَ خَلْقُهُ بِيَدَيْهِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ، فَإِنَّ الْكَاتِبَ هُوَ فَاعِلُ الْكِتَابَةِ، وَمَدْخُولُ الْبَاءِ وَهُوَ الْقَلَمُ حَصَلَتْ بِهِ الْكِتَابَةُ.

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيِدَيَّا﴾ فَأَضَافَ الْفِعْلَ فِيهَا إِلَى الْأَيْدِي الْمُضَافَةِ إِلَيْهِ، وَإِضَافَةُ الْفِعْلِ إِلَى الْأَيْدِي كِإِضَافَتِهِ إِلَى النَّفْسِ فَكَأَنَّهُ قَالَ: مِمَّا عَمِلْنَا، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصْبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ آيْدِيكُمْ﴾ [الشُّورَى: ٣٠]، وَالْمُرَادُ: بِمَا كَسَبْتُمْ. بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الزُّمَرُ: ٥١]<sup>[١]</sup>.

الْوَجْهُ الثَّلَاثُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَضَافَ الْفِعْلَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ مُعَدَّى بِالْبَاءِ إِلَى يَدَيْنِ اثْنَتَيْنِ<sup>[٢]</sup>، .....

[١] الصِّيغَةُ مُخْتَلَفَةٌ فِي الْآيَتَيْنِ: آيَةُ آدَمَ قَالَ فِيهَا: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾، فَأَضَافَ الْخَلْقَ إِلَى نَفْسِهِ، وَجَعَلَ الْخَلْقَ بِالْيَدِ كَمَا تَقُولُ: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ. فَالْكِتَابَةُ كِتَابَتُكَ وَالْقَلَمُ هُوَ آلَةُ الْكِتَابَةِ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيِدَيَّا﴾ فِي الْأَنْعَامِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ لَنَا، فَأَضَافَ الْعَمَلَ إِلَى الْيَدِ.

[٢] هُنَا أَضَافَ الْفِعْلَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ مُعَدَّى بِالْبَاءِ إِلَى يَدَيْنِ اثْنَتَيْنِ، وَهَذَا يُفِيدُ أَنَّ الْحَصَرَ بَاثْنَيْنِ، وَاللَّهُ تَعَالَى إِلَهُ وَاحِدٌ، قَالَ تَعَالَى:

وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُرَادَ بِهِمَا نَفْسُهُ لِدَلَالَةِ التَّثْنِيَةِ عَلَى عَدَدٍ مَحْصُورٍ بِاثْنَيْنِ، وَالرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَذْكَرَ نَفْسُهُ بِصِيغَةِ التَّثْنِيَةِ لِدَلَالَةِ ذَلِكَ عَلَى صَرِيحِ الْعَدَدِ وَحَضْرِهِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يَذْكَرُ نَفْسُهُ بِصِيغَةِ الْإِفْرَادِ لِلتَّوْحِيدِ، وَتَارَةً يَذْكَرُ نَفْسُهُ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ لِلتَّعْظِيمِ، وَرُبَّمَا يَدُلُّ الْجَمْعُ عَلَى مَعَانِي أَسْمَائِهِ.

أَمَّا فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ فَأُضَافَ الْفِعْلُ إِلَى الْأَيْدِي الْمُضَافَةِ إِلَيْهِ مَجْمُوعَةً لِلتَّعْظِيمِ، فَصَارَ الْمُرَادُ بِهَا نَفْسُهُ الْمُقَدَّسَةَ جَلَّ وَعَلَا.

وَبِهَذَا تَبَيَّنَ الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ أَيْدِيًا﴾ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ نَظِيرًا لَهَا، وَتَبَيَّنَ أَيْضًا أَنَّ ظَاهِرَ النُّصُوصِ فِي الصِّفَاتِ حَقٌّ ثَابِتٌ مُرَادٌ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَلْزِمُ نَقْصًا فِي حَقِّهِ وَلَا تَمَثِيلًا لَهُ بِخَلْقِهِ<sup>[١]</sup>.

لَكِنْ لَوْ كُنَّا نَخَاطِبُ شَخْصًا لَا يَفْهَمُ مِنْ ظَاهِرِهَا إِلَّا مَا يَقْتَضِي التَّمَثِيلَ فَإِنَّا نَقُولُ لَهُ: إِنَّ هَذَا الظَّاهِرَ الَّذِي فَهَمَّتْهُ غَيْرُ مُرَادٍ، ثُمَّ نُبَيِّنُ لَهُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ ظَاهِرَ النُّصُوصِ؛ لِأَنَّهُ بَاطِلٌ لَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ<sup>[٢]</sup>.

﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُرَادَ بِهِمَا نَفْسُهُ لِدَلَالَةِ التَّثْنِيَةِ عَلَى عَدَدٍ مَحْصُورٍ بِاثْنَيْنِ، وَالرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا إِلَهٌ وَاحِدٌ.

[١] هذه قاعدةٌ خلاصتها: أَنَّ ظَاهِرَ النُّصُوصِ حَقٌّ مُرَادٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنَّ ظَاهِرَ النُّصُوصِ: مَا يَتَبَادَرُ فِي الذَّهْنِ مِنَ الْمَعَانِي اللَّائِقَةِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

[٢] فلو فرضنا أَنَّ واحداً يُخَاطَبُنا وهو لا يفهم من ظاهرها إلا ما يقتضي التمثيل فنقول: هذا الذي فهمته غير مُرَادٍ. ولكن مع ذلك نُبَيِّنُ له أَنَّ هَذَا الذي فهمه ليس هو ظاهر النص، فنُعْطِي كلَّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ.

### القاعدة الرابعة

في المحاذير التي يقع فيها من يتوهم أن في نصوص الصفات  
ما يستلزم التمثيل ثم يريد أن ينفي ما فهمه



توهم بعض الناس في نصوص الصفات والمحاذير المترتبة على ذلك:

اعلم أن كثيراً من الناس يتوهم في بعض الصفات التي دلت عليها  
النصوص، أو كثير منها، أو أكثرها، أو كلها، أنها تماثل صفات المخلوقين، ثم  
يريد أن ينفي ذلك الوهم الذي توهمه، فيقع في أربعة محاذير:

الأول: أنه فهم من النصوص صفات تماثل صفات المخلوقين، وظن أن  
ذلك هو مدلول النص، وهذا فهم خاطئ، فإن الصفة التي دلت عليها  
النصوص تناسب موصوفها وتليق به.

وتمثيل الخالق بالمخلوق كفر وضلال؛ لأنه تكذيب لقوله تعالى:  
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ولا يمكن أن يكون ظاهر النصوص  
الكفر والضلal، لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، وقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ [النساء: ١٧٦] [١].

[١] قوله: «اعلم أن كثيراً من الناس يتوهم في بعض الصفات التي دلت عليها  
النصوص، أو كثير منها...»: كثير من الناس يتوهم في نصوص الصفات كلها  
أو بعضها أنها تقتضي تمثاله الخالق للمخلوق، فمثلاً يتوهم أن الله إذا أثبت لنفسه يداً

فإنَّ ذلكَ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ مُمَثِّلًا لِلْمَخْلُوقِ، وَإِذَا أُثْبِتَ وَجْهًا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ مُمَثِّلًا لِلْمَخْلُوقِ، فَيَسْلُكُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ:

١ - إِمَّا أَنْ يُفَوِّضَ وَيَقُولَ: اللهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ.

٢ - وَإِمَّا أَنْ يَحْرِّفَ - وَمَعْنَى (يُحْرِّفُ) أَيَّ يَصْرِفُ النَّصَّ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَعْنَى يَدَّعِي أَلَّا يَسْتَلْزِمَ التَّمثِيلَ -، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ كُلَّ مَنْ حَرَّفَ النَّصَّ إِلَى مَعَانٍ فِرَارًا مِنَ التَّمثِيلِ فَإِنَّهُ يَقَعُ فِي نَظِيرِ مَا فَرَّ مِنْهُ، مَعَ زِيَادَةِ التَّحْرِيفِ، فَيَكُونُ أَخْطَأَ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَوَّلًا: مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ وَقَعَ فِي التَّمثِيلِ الَّذِي زَعَمَهُ.

ثَانِيًا: أَنَّهُ حَرَّفَ.

وَيَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ يَتَوَهَّمُ أَنَّهَا مُمَثِّلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يَنْفِي ذَلِكَ الْوَهْمَ الَّذِي تَوَهَّمَهُ بِنَوْعٍ مِنَ التَّحْرِيفِ؛ فَيَقَعُ فِي أَرْبَعَةِ مَحَازِيرَ:

الأول: أَنَّهُ مِثْلُ مَا فَهِمَهُ مِنَ النَّصُوصِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ مَدْلُولُ النَّصِّ، وَهَذَا فَهْمٌ خَاطِئٌ وَظَنُّ سَيِّئٌ وَجَنَائَةٌ عَلَى النَّصُوصِ.

مثلاً: مَا فَهِمَهُ مِنَ النَّصُوصِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، بِأَنَّ يَدَهُ مِثْلُ يَدِ الْمَخْلُوقِ، وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ فَهْمٌ خَاطِئٌ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ لَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ أَيْضًا ظَنُّ سَيِّئٌ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْبِتَ لِنَفْسِهِ أَنَّهُ مُمَثِّلٌ لِمَخْلُوقَاتِهِ، وَجَنَائَةٌ عَلَى النَّصُوصِ حَيْثُ جَعَلَهَا دَالَّةً عَلَى التَّمثِيلِ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةٌ أُمُورٍ:

المَحذُورُ الثَّانِي: أَنَّهُ سَطَا عَلَى النُّصُوصِ، حَيْثُ نَفَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي الإِلَهِيَّةِ، وَأَثَبَتْ لَهَا مَعَانِي مِنْ عِنْدِهِ لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا ظَاهِرُ اللَّفْظِ، فَكَانَ جَانِبًا عَلَى النُّصُوصِ مِنْ وَجْهَيْنِ<sup>[١]</sup>.

١- الفَهْمُ الحَاطِئُ، وَالْحَاطِئُ غَيْرُ الْمُخْطِئِ، فَالْحَاطِئُ مَنْ ارْتَكَبَ الحِطَاءَ عَنْ عَمْدٍ، وَالْمُخْطِئُ مَنْ ارْتَكَبَهُ عَنْ غَيْرِ عَمْدٍ.

٢- ظَنَّ سَيِّئًا بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، حَيْثُ ظَنَّ أَنَّ صِفَاتَهُ تُمَثِّلُ صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ.

٣- جِنَايَةٌ عَلَى النُّصُوصِ، حَيْثُ جَعَلَهَا دَالَّةً عَلَى تَمَثُّلِ اللَّهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ، وَكَذَلِكَ عُدُوانٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، حَيْثُ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ مِثْلًا وَنَظِيرًا.

[١] المَحذُورُ الثَّانِي: أَنَّهُ عَطَلَ النُّصُوصَ عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ إِبْتَاتِ الصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِاللَّهِ.

فَمَثَلًا: النَّصُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] دَالٌّ عَلَى إِبْتَاتِ المَجِيءِ لِلَّهِ. هُوَ يَقُولُ: اللَّهُ لَا يَجِيءُ، فَيَكُونُ قَدْ عَطَلَ النَّصَّ عَمَّا دَلَّ عَلَى صِفَاتِ اللَّهِ اللَّائِقَةِ بِهِ، وَهَذِهِ جِنَايَةٌ عَلَى النَّصِّ وَعَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَجَنَى عَلَى النُّصُوصِ مِنْ وَجْهَيْنِ: الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ نَفَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُ أَثَبَتْ لَهَا مَعَانِي لَا تَدُلُّ عَلَيْهَا النُّصُوصُ.

وَنَضْرِبُ لِهَذَا مَثَلًا: الاسْتِيَوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ مَعْنَاهَا أَنَّهُ عَلَا عَلَيْهِ عُلُوءًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، فَإِذَا قَالَ: اسْتَوَى أَي: اسْتَوَى. فَقَدْ جَنَى عَلَى هَذَا النَّصِّ مِنْ وَجْهَيْنِ:

المَحْذُورُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ نَفَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ مِنَ الصِّفَاتِ بِغَيْرِ عِلْمٍ،  
فَيَكُونُ بِذَلِكَ قَائِلًا عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:  
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا  
بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]<sup>[١]</sup>.

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ صَرَفَهُ عَنِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ بِهِ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُ أَثْبَتَ لَهُ مَعْنَى لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ.

وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ حَرَّفَ الْقُرْآنَ عَنْ مَعْنَاهُ، وَأَثْبَتَ لَهُ مَعْنَى يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ فَقَدْ  
جَنَى عَلَى النَّصِّ.

[١] المَحْذُورُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ نَفَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ، فَهُنَاكَ -أَي: فِي الْمَحْذُورِ  
الثَّانِي- عَطَّلَ النُّصُوصَ عَنْ مَدْلُولِهَا، وَفَرَّقَ بَيْنَ مَنْ يُعْطَلُ عَنِ الْمَدْلُولِ وَبَيْنَ مَنْ يَنْفِيهِ،  
لَأَنَّ مَنْ يُعْطَلُهَا عَنْ مَدْلُولِهَا يَعْنِي (لَا يُثْبِتُ) فَقَطْ، فَلَا يَكُونُ مُثْبِتًا وَلَا نَافِيًا.  
وَالنَّفْيُ أَشَدُّ جُرْأَةً مِنَ التَّعْطِيلِ، فَلِهَذَا سَبَقَتْ هَذِهِ الْوُجُوهُ بِاعْتِبَارِ الْأَشَدِّ الْأَقْبَحِ،  
فَهُنَا مَثَلًا فِي الْمَحْذُورِ الثَّانِي عَطَّلَ النُّصُوصَ عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ فَبَقِيَ نَافِيًا لِلْإِثْبَاتِ فَقَطْ.

أَمَّا الْمَحْذُورُ الثَّالِثُ: فَإِنَّهُ نَافٍ لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَمْرًا إِيْجَابِيًّا،  
يَنْفِي مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَنَقُولُ لَهُ: مَا الَّذِي أَعْلَمَكَ أَنَّ هَذَا الَّذِي  
هُوَ ظَاهِرُ النَّصِّ لَيْسَ مُرَادُهُ؟ وَسَوْفَ يُلْتَجِئُ إِلَى دَلَالَةِ الْعَقْلِ! وَقَدْ سَبَقَ أَنَّهُ لَا مَرْجِعَ  
إِلَى الْعَقْلِ فِي بَابِ الصِّفَاتِ، فَالَّذِي قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدِ الْاسْتِثْوَاءَ الْحَقِيقِيَّ، وَإِنَّمَا أَرَادَ  
الْاسْتِثْلَاءَ. لَيْسَ لَهُ دَلِيلٌ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ دَلِيلٌ فَقَدْ قَالَ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ، وَالْقَوْلُ  
عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ: مُحَرَّمٌ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ.

الْمَحْذُورُ الرَّابِعُ: أَنَّهُ إِذَا نَفَى عَنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مَا تَقْتَضِيهِ النُّصُوصُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- مُتَّصِفًا بِنَقِيضِهَا مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَا مِنْ مَوْجُودٍ إِلَّا وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِصِفَةٍ، وَلَا يُمَكِّنُ وُجُودُ ذَاتٍ مُجَرَّدَةٍ عَنِ الصِّفَاتِ، فَإِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَمَالِ عَنْهَا، لَزِمَ اتِّصَافُهَا بِصِفَاتِ النَّقْصِ<sup>[١]</sup>.

[١] يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمَحْذُورُ الرَّابِعُ»: أَنَّهُ إِذَا نَفَى عَنِ اللَّهِ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ؛ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ ثُبُوتُ صِفَاتِ النَّقْصِ، وَوَجْهُ التَّلَازِمِ أَنَّهُ مَا مِنْ ذَاتٍ مَوْجُودَةٍ إِلَّا وَهِيَ مُتَّصِفَةٌ بِصِفَاتٍ، فَإِذَا انْتَفَتْ صِفَاتُ الْكَمَالِ عَنْهَا لَزِمَ ثُبُوتُ صِفَاتِ النَّقْصِ.

وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ نَفَى عَنِ اللَّهِ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَأَثْبَتَ مَا يُنْزِعُهُ عَنْهُ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ، فَيَكُونُ مَنْ نَفَى صِفَاتِ الْكَمَالِ مُثْنًا لِلَّهِ تَعَالَى فِيمَا هُوَ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ النَّقْصِ، وَرُبَّمَا يَرْتَقِي بِهِ الْأَمْرُ فَيُمَثِّلُهُ بِالْمَمْتَنِعَاتِ.

فَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مِنْ طَوَائِفِ الْمُعْطَلَةِ مَنْ نَفَى عَنْهُ النَّقِيضَيْنِ، وَقَالَ: إِنَّهُ لَا مَوْجُودَ وَلَا مَعْدُومَ، كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنْ أَنَّ الْإِثْبَاتَ -عَلَى زَعْمِهِمْ- يَقْتَضِي التَّمَثِيلَ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ مَنْ نَفَى عَنِ اللَّهِ مَا تَقْتَضِيهِ النُّصُوصُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، جَامِعًا بَيْنَ نَفْيِ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَتَمَثِيلِهِ بِالْمَنْقُوصَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، بَلْ قَدْ يَرْتَقِي بِهِ الْغُلُوفُ فِي النَّفْيِ إِلَى تَمَثِيلِهِ بِالْمَمْتَنِعَاتِ الْمُسْتَحِيلَاتِ، وَيَكُونُ أَيْضًا مَعَ نَفْيِ الْكَمَالِ مُعْطَلًا لِلنُّصُوصِ عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ، جَاعِلًا مَذْلُومَهَا تَمَثِيلَ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقَاتِ؛ لِأَنَّهُ مَا نَفَى إِلَّا حَيْثُ اعْتَقَدَ أَنَّ مَذْلُولَ النُّصُوصِ التَّمَثِيلَ، فَلَمَّا اعْتَقَدَ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ الْفَاسِدَةَ سَرَعَ يَنْفِي مَذْلُولَهَا، وَلِهَذَا ذَكَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (الْفَتَاوَى الْحَمَوِيَّةِ): أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ

وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مَنْ نَفَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مَا تَقْتَضِيهِ النُّصُوصُ مِنْ صِفَاتِ  
الْكَمَالِ مُعْتَدِيًا فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، حَيْثُ جَمَعَ بَيْنَ نَفْيِ صِفَاتِ الْكَمَالِ عَنْهُ، وَتَمَثُّلِهِ  
بِالْمُنْقُوصَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، بَلْ قَدْ يَرْتَقِي بِهِ الْغُلُوفُ فِي النَّفْيِ إِلَى تَمَثُّلِهِ بِالْمُمْتَنِعَاتِ  
الْمُسْتَحِيلَاتِ.

فَرِيقِي التَّعْطِيلِ وَالتَّمَثُّلِ جَامِعٌ بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّمَثُّلِ، فَاَلْمَثَلُ مُعْطَلٌ وَالْمُعْطَلُ مُثَلٌّ؛  
لَأَنَّ الْمُعْطَلُ إِنَّمَا بَنَى تَعْطِيلَهُ عَلَى اعْتِقَادِهِ أَنَّ مَذْلُولَ نُصُوصِ الصِّفَاتِ هُوَ التَّمَثُّلُ؛  
فَمَثَلٌ أَوَّلًا، وَعَظْلٌ ثَانِيًا.

وَلَنَضْرِبَ هَذَا مَثَلًا: الْاِسْتِوَاءُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، مِنْ نُزُولِ اللَّهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ  
يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِذَا قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِلُ؛ لِأَنَّهُ لَا تَقُومُ بِهِ الْأَفْعَالُ الْاِخْتِيَارِيَّةُ؛  
أَيُّ: الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْمَشِيئَةِ؛ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْمَشِيئَةِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَقَعَ مِنَ اللَّهِ،  
وَالنُّزُولُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَشِيئَةِ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِهِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِالْمَشِيئَةِ  
حَادِثٌ، وَالْحَادِثُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِحَادِثٍ.

فَإِذَا أَثَبَّتْنَا أَنَّهُ يَنْزِلُ، وَأَنَّهُ يَفْرَحُ، وَيَضْحَكُ، وَيَخْلُقُ، لَزِمَ أَنْ تَقُومَ الْحَوَادِثُ بِهِ،  
وَالْحَادِثُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ.

فَلِذَلِكَ نَفَى قِيَامَ الْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ بِهِ، فَإِذَا كَانَ لَا يَفْعَلُ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ  
بِاِخْتِيَارِهِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُعْطَلًا نَاقِصًا.

وَالْخُلَاصَةُ: إِذَا انْتَفَتِ صِفَةُ الْكَمَالِ لَزِمَ ثُبُوتُ صِفَةِ النَّقْصِ؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ مَوْجُودٍ  
إِلَّا وَلَهُ صِفَةٌ، فَإِمَّا صِفَةُ كَمَالٍ، وَإِمَّا صِفَةُ نَقْصٍ، وَإِذَا انْتَفَتِ صِفَةُ الْكَمَالِ لَزِمَ ثُبُوتُ  
صِفَةِ النَّقْصِ.



وَيَكُونُ أَيْضًا جَانِبًا عَلَى النُّصُوصِ حَيْثُ عَطَّلَهَا عَمَّا ذَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ صِفَاتِ  
الْكَمَالِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَثْبَتَ لَهَا مَعَانِي مِنْ عِنْدِهِ لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا ظَاهِرُهَا، فَيَجْمَعُ بَيْنَ  
النَّقْيِ وَالتَّمْثِيلِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ، وَيَبَيِّنُ التَّخْرِيفَ وَالتَّعْطِيلَ فِي نُّصُوصِ الْكِتَابِ  
وَالسُّنَّةِ، وَيَكُونُ مُلْحِدًا فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ  
الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾  
[الأعراف: ١٨٠]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَنُيْلَقَىٰ فِي النَّارِ  
خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠] ١١.

[١] قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَا مِنْ  
اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِأَحْسَنِ الْمَعَانِي وَأَكْمَلِهَا، وَأَنَّ اللَّفْظَ إِذَا  
كَانَ مُحْتَمِلًا - الْكَمَالِ أَوْ النَّقْصِ - لَمْ يَكُنْ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَإِنْ جَازَ أَنْ يُجْبَرَ بِهِ عَنِ اللَّهِ  
تَعَالَى؛ لِأَنَّ بَابَ الْحَبْرِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الْإِنْشَاءِ وَالتَّسْمِيَةِ.

فَمَثَلًا: (الْمُتَكَلِّمُ وَالْمُرِيدُ وَالصَّانِعُ وَالْفَاعِلُ) كُلُّ هَذَا يُجْبَرُ بِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، لَكِنْ  
لَيْسَتْ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، فَلَا يُسَمَّى اللَّهُ بِالْمُتَكَلِّمِ وَلَا بِالْمُرِيدِ وَلَا بِالصَّانِعِ وَلَا بِالْفَاعِلِ؛  
لِأَنَّ هَذِهِ تَحْتَمِلُ مَعْنَى يَتَضَمَّنُ كَمَا لَا وَمَعْنَى لَا يَتَضَمَّنُ كَمَا لَا.

فَالْمُتَكَلِّمُ يَتَكَلَّمُ بِالصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، وَبِالْعَدْلِ وَالْجَوْرِ، وَالْمُرِيدُ كَذَلِكَ يُرِيدُ الْحَيْرَ  
وَيُرِيدُ الشَّرَّ، وَالصَّانِعُ كَذَلِكَ يَصْنَعُ الْحَيْرَ وَالشَّرَّ.

وَهَكَذَا كُلُّ اسْمٍ يَكُونُ مُحْتَمِلًا هَذَا وَهَذَا، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؛  
لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ فَهِيَ حُسْنَىٰ بِالْغَةِ بِالْحُسْنِ أَكْمَلُهُ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ  
يَكُونَ فِيهَا سُوءٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

قَوْلُهُ: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، يَشْمُلُ دُعَاءَ الْعِبَادَةِ وَدُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ، فَأَمَّا دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ فَأَنْ تَجْعَلَهَا وَسِيلَةً فِي دُعَائِكَ، وَأَمَّا دُعَاءُ الْعِبَادَةِ فَأَنْ تَتَعَبَّدَ لِلَّهِ بِمُقْتَضَاهَا. مِثَالُ الْأَوَّلِ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْأَلَ اللَّهَ الْمَغْفِرَةَ تَقُولُ: يَا غَفُورُ اغْفِرْ لِي. فَقَدْ دَعَوْتَ اللَّهَ بِهَا؛ أَيْ: جَعَلْتَهَا وَسِيلَةً فِي دُعَائِكَ.

وَمِثَالُ الثَّانِي: أَنْتَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ؛ تَعَرَّضْتَ لِمَا فِيهِ الْمَغْفِرَةُ مِنَ التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَكُونُ سَبَبًا لِلْمَغْفِرَةِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠]، وَالْآيَاتُ: (إِمَّا شَرْعِيَّةً، وَإِمَّا كَوْنِيَّةً).

فَأَمَّا الْإِلْحَادُ بِالْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ: أَنْ يَعْتَقِدَ الْإِنْسَانُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرِيكًا، أَعَانَهُ عَلَى خَلْقِ السَّمَوَاتِ، وَعَلَى خَلْقِ الْأَرْضِ، وَعَلَى خَلْقِ الْبِحَارِ. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، أَوْ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ مَنْ انْفَرَدَ بِبَعْضِهَا دُونَ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَتِ الْمَجُوسُ: إِنَّ النُّورَ خَلَقَ الْحَيْرَ، وَالظُّلُمَةَ خَلَقَتِ الشَّرَّ. فَيَقُولُ مِثْلًا: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاءَ، وَهُنَاكَ شَيْءٌ آخَرُ خَلَقَ الْأَرْضَ. أَوْ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ مُعِينًا فِيهَا؛ أَيْ: يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَكِنْ عَاوَنَهُ أَحَدٌ. وَكُلُّ هَذَا الْإِلْحَادُ فِي الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ.

وَأَمَّا الْإِلْحَادُ فِي الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ: فَيَكُونُ بِالتَّحْرِيفِ وَالتَّكْذِيبِ وَالْمُخَالَفَةِ، فَالتَّحْرِيفُ: بِأَنْ يُحَرِّفَ النُّصُوصَ، وَالتَّكْذِيبُ: بِأَنْ يُكْذِبَ بِهَا، وَالْمُخَالَفَةُ: أَنْ يَتْرُكَ الْأَمْرَ وَيَفْعَلَ النَّهْيَ، كُلُّ هَذَا دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾، وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ التَّهْدِيدِ لِمَنْ أَلْحَدَ فِي آيَاتِ اللَّهِ؛

مِثَالُ ذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، فَيَتَوَهَّمُ وَاهِمٌ أَنَّهُ كَاسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى ظُهُورِ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ، وَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى الْعَرْشِ كَحَاجَةِ الْإِنْسَانِ لِلْأَنْعَامِ وَالْفُلْكِ، فَلَوْ عَثَرَتِ الدَّابَّةُ لَحَرَّ الْمُسْتَوِي عَلَيْهَا، وَلَوْ انْخَرَقَتِ السَّفِينَةُ لَغَرِقَ الْمُسْتَوِي عَلَيْهَا. فِقِيَاسُ هَذَا أَنَّهُ لَوْ عُدِمَ الْعَرْشُ لَسَقَطَ الرَّبُّ عَلَى قِيَاسِهِ الْفَاسِدِ، فَيَنْفِي بِذَلِكَ حَقِيقَةَ الْإِسْتِوَاءِ<sup>[١]</sup>، .....

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠].  
الجواب: بَلْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، يَعْنِي بَعْدَ هَذَا الْإِنْدَارِ اْعْمَلْ مَا شِئْتَ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَرَاءَكَ، إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ بَصِيرٌ عَلَيْهِ بِهَا.  
[١] أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، فَيَتَوَهَّمُ إِنْسَانٌ أَنَّهُ كَاسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى ظَهْرِ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ، وَاسْتِوَاؤُنَا عَلَى ظَهْرِ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ اسْتِوَاءٌ حَاجَةٌ وَلَيْسَ اسْتِوَاءٌ عُلُوٌّ وَلَا سُلْطَةٌ وَقُدْرَةٌ، فَلَوْ عَثَرَتِ الدَّابَّةُ لَسَقَطْنَا، وَلَوْ انْخَرَقَتِ السَّفِينَةُ لَغَرِقْنَا، فَيَتَوَهَّمُ أَنَّ اسْتِوَاءَ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ كَاسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى السَّفِينَةِ وَعَلَى الدَّابَّةِ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ.

فَيَقُولُ: لَيْسَ الْاسْتِوَاءُ بِقُعُودٍ وَلَا اسْتِثْقَارٍ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ يُقَالُ فِي مُسَمَّى الْقُعُودِ وَالْاسْتِثْقَارِ مَا يُقَالُ فِي مُسَمَّى الْاسْتِوَاءِ، فَإِنْ لَزِمَ مِنَ الْاسْتِوَاءِ الْحَاجَةُ، لَمْ يَلْزَمْ مِنَ الْاسْتِثْقَارِ وَالْقُعُودِ، وَإِنْ لَمْ يَلْزَمْ مِنَ الْاسْتِوَاءِ الْحَاجَةُ، لَمْ يَلْزَمْ مِنَ الْاسْتِثْقَارِ وَالْقُعُودِ، وَإِنْ لَزِمَتِ الْحَاجَةُ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْاسْتِوَاءِ وَالْقُعُودِ وَالْاسْتِثْقَارِ.

فَنَقُولُ لَهُ: أَنْتَ إِذَا نَفَيْتَ أَنَّ يَكُونَ اسْتِوَاؤُهُ قُعُودًا وَاسْتِثْقَارًا بِزَعْمِكَ أَنَّ هَذَا

يَدُلُّ عَلَى الْحَاجَةِ، فَإِنَّا نَقُولُ: إِذَنْ الِاسْتِوَاءُ الَّذِي أَثْبَتَهُ مُسْتَلْزَمٌ لِلْحَاجَةِ؛ لِأَنَّ اسْتِوَاءَ الْإِنْسَانِ عَلَى السَّرِيرِ وَعَلَى الْفَلَكَ يُلْزَمُ مِنْهُ الْحَاجَةُ، وَإِذَا كَانَ لَا يُلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِ الِاسْتِوَاءِ الْحَاجَةُ: لَمْ يُلْزَمْ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ إِثْبَاتِ الِاسْتِقْرَارِ وَالْقُعُودِ، فَصَارَ نَفْيُهُ لِلِاسْتِقْرَارِ -يَعْنِي نَفْيُهُ أَنْ يَكُونَ (اسْتَوَى) بِمَعْنَى (اسْتَقَرَّ)- غَيْرُ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّا نَقُولُ: إِنْ لَزِمَتْ الْحَاجَةُ مِنَ الِاسْتِقْرَارِ لَزِمَتْ مِنَ الِاسْتِوَاءِ، وَإِنْ لَمْ تَلْزَمْ مِنَ الِاسْتِوَاءِ لَمْ تَلْزَمْ مِنَ الِاسْتِقْرَارِ، هَذَا حَاصِلُ كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ.

بَقِيَ كَلِمَةٌ مِنْ كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ فِي النَّفْسِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهِيَ الْقُعُودُ:

فَهَلْ نَقُولُ: إِنَّ اسْتِوَاءَ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ يَعْنِي قُعُودَهُ عَلَيْهِ؟

الْجَوَابُ: هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ، لِأَنَّهُ لَا يُلْزَمُ مِنَ الِاسْتِوَاءِ الْقُعُودُ، قَدْ يَكُونُ مُسْتَوِيًّا عَلَيْهِ مُسْتَقَرًّا عَلَيْهِ، لَكِنْ لَا يُلْزَمُ بِأَنَّهُ قَاعِدٌ؛ لِأَنَّ الْقُعُودَ صِفَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى الِاسْتِقْرَارِ، قَدْ يَسْتَقِرُّ الْمُسْتَقَرُّ عَلَى الشَّيْءِ بِدُونِ قُعُودٍ، لِذَلِكَ نَرَى أَنْ يَكُونَ الِاسْتِوَاءُ بِمَعْنَى الْقُعُودِ يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ.

وَابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا ذَكَرَ مَا وَرَدَ عَنِ السَّلَفِ فِي ذَلِكَ، ذَكَرَ أَنَّهُ وَرَدَ عَنْهُمْ أَرْبَعَةٌ مَعَانٍ هِيَ: «عَلَا، وَارْتَفَعَ، وَصَعِدَ، وَاسْتَقَرَّ»، وَلَمْ يَذْكُرِ الْقُعُودَ، فَيَحْتَاجُ إِثْبَاتُ الْقُعُودِ مِنَ الِاسْتِوَاءِ إِلَى دَلِيلٍ مِنَ اللُّغَةِ، وَاللُّغَةُ لَا تَسْتَلْزِمُ فِي دَلَالَةِ الِاسْتِوَاءِ أَنْ يَكُونَ مُتَضَمِّنًا لِلْقُعُودِ، فَقَدْ يَسْتَوِي الْإِنْسَانُ عَلَى الْفَلَكَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ وَيَكُونُ مُسْتَقَرًّا، وَقَدْ يَسْتَوِي عَلَى الْفَلَكَ وَهُوَ قَائِمٌ، فَلَا يُلْزَمُ مِنْ مُسَمًّى الِاسْتِوَاءِ أَنْ يَكُونَ قَائِمًا. وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِي النَّفْسِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَالْأَوَّلَى الْإِعْرَاضُ عَنْهَا حَتَّى يَقُومَ دَلِيلٌ عَلَى ثُبُوتِهَا.

وَمَنْشَأَ هَذَا الْوَهْمِ الَّذِي تَوَهَّمَهُ فِي اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ ظَنَّهُ أَنَّهُ مِثْلُ اسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى ظُهُورِ الْأَنْعَامِ وَالْفُلُكِ، وَهَذَا ظَنٌّ فَاسِدٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَضَافَ الْإِسْتِوَاءَ إِلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، لَمْ يَذْكُرِ اسْتِوَاءَ مُطْلَقًا يَصْلُحُ لِلْمَخْلُوقِ، وَلَا عَامًّا يَتَنَاوَلُ الْمَخْلُوقَ، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ اسْتِوَاءَ خَاصًّا يَلِيقُ بِهِ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ لَا يُمَازِلُ اسْتِوَاءَ الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ نَفْسَهُ لَا يُمَازِلُ الْمَخْلُوقِينَ<sup>[١]</sup>.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذَّارِيَات: ٤٧]، هَلْ يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ أَنَّ بِنَاءَهُ إِيَّاهَا كِبْنَاءِ الْمَخْلُوقِ سَقْفَ الْبَيْتِ، بِحَيْثُ يَخْتَاجُ إِلَى زَنْبِيلٍ وَجَارِفٍ وَضَرْبِ لَبَنِ، وَجَبَلٍ طِينٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ<sup>[٢]</sup>، .....

[١] قَوْلُهُ: «وَمَنْشَأَ هَذَا الْوَهْمِ الَّذِي تَوَهَّمَهُ فِي اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ؛ ظَنَّهُ أَنَّهُ مِثْلُ اسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ...»: إِنَّ هَذَا الَّذِي يَنْفِي الْإِسْتِوَاءَ عَنِ الْحَقِيقَةِ: ظَنٌّ أَنَّهُ مِثْلُ اسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى الدَّابَّةِ وَعَلَى الْفُلِكِ، فَلَمَّا ظَنَّ هَذَا الظَّنَّ الْفَاسِدَ نَفَاهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَرَدَّ عَلَيْهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا ذَكَرَ اسْتِوَاءَ خَاصًّا مُضَافًا إِلَى نَفْسِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، مَنِ الَّذِي اسْتَوَى؟

الْجَوَابُ: هُوَ اللَّهُ نَفْسُهُ، فَأَضَافَ الْإِسْتِوَاءَ إِلَى نَفْسِهِ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مُخَالَفًا لِإِسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ اسْتِوَاءَ مُطْلَقًا، وَلَمْ يَكُنِ اسْتِوَاءَ عَامًّا.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمُطْلَقِ وَالْعَامِّ: أَنَّ الْمُطْلَقَ يَشْمَلُ أَفْرَادَهُ عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِ، وَالْعَامُّ يَتَنَاوَلُ أَفْرَادَهُ عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ وَالشُّمُولِ، فَالْمُطْلَقُ لَا يَتَنَاوَلُ الْأَفْرَادَ عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ إِلَّا الْعُمُومَ الْبَدَلِي، أَمَّا الْعَامُّ فَيَتَنَاوَلُهُ عَلَى وَجْهِ الشُّمُولِ الْعَامِّ.

[٢] قَوْلُهُ: «أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾...»: الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

ضَرَبَ مَثَلًا وَاضِحًا فِي أَنَّ أَفْعَالَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا تَحْتَاجُ إِلَى مَا تَحْتَاجُهُ أَفْعَالُ الْبَشَرِ.

فَإِذَا كَانَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ فِي هَذَا الْفِعْلِ مِنْ أَفْعَالِهِ، لَزِمَ أَلَّا يَكُونَ مُحْتَاجًا إِلَى الْعَرْشِ فِي اسْتِوَاءِهِ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ الْغَنِيُّ عَنِ الْعَرْشِ وَغَيْرِهِ.

فَتَجِدُ هَذَا الَّذِي نَفَى حَقِيقَةَ الْإِسْتِوَاءِ -الَّذِي هُوَ ظَاهِرُ النُّصُوصِ وَهُوَ عُلُوُّهُ عَلَيْهِ-؛ وَقَعَ فِي تِلْكَ الْمَحَاضِيرِ الْأَرْبَعَةِ:

فَقَدْ مَثَلَ مَا فَهِمَهُ مِنْ اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ بِاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ.  
وَعَطَلَ النُّصُوصَ عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ صِفَةِ الْإِسْتِوَاءِ اللَّائِقِ بِاللَّهِ، ثُمَّ حَرَفَهَا إِلَى مَعَانٍ لَا تَدُلُّ عَلَيْهَا.

وَكَانَ نَفْيُهُ لِذَلِكَ وَتَعْطِيلُهُ بِلَا عِلْمٍ، بَلْ عَنْ جَهْلِ وَظَنٍّ فَاسِدٍ.  
وَلَزِمَ مِنْ نَفْيِهِ لِصِفَةِ الْكَمَالِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا الْإِسْتِوَاءُ ثُبُوتُ صِفَةِ نَقْصٍ بِقَوَاتِ هَذَا الْكَمَالِ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْبَانِي مِنَ الْبَشَرِ يَحْتَاجُ إِلَى مَا ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ مِنْ مَجَارِفَ وَطِينٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهَلْ تَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَمَّا بَنَى السَّمَاءَ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى ذَلِكَ؟ الْجَوَابُ: لَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وَكَذَلِكَ الْإِسْتِوَاءُ؛ فَنَقُولُ: إِنَّ اسْتِوَاءَهُ عَلَى الْعَرْشِ لَا يَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ.

فَفِي الْآيَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ (أَيْدٍ) مَصْدَرُ: (أَدَّ، يَشِيدُ، أَيْدًا) مِثْلُ: (كَالَ، يَكِيلُ، كَيْلًا) وَمَعْنَى «أَيْدٍ»؛ أَيُ: بِقُوَّةٍ، وَيُؤَيَّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبا: ١٢]، أَيُ قُوَّةٍ، فَمَنْ فَسَّرَ هَذِهِ الْآيَةَ: (بِأَيْدٍ): بِقُوَّةٍ، لَا يَقَالُ: إِنَّهُ مُحَرَفٌ، بَلْ نَقُولُ: مَنْ فَسَّرَهَا بِأَنَّهَا يَدُ اللَّهِ فَقَدْ أَخْطَأَ.

مِثَالٍ آخَرَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]، فَيَتَوَهَّمُ وَاهِمٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَاخِلَ السَّمَاءِ، وَأَنَّ السَّمَاءَ مُحِيطٌ بِهِ كَمَا لَوْ قُلْنَا: فَلَانٌ فِي الْحُجْرَةِ، فَإِنَّ الْحُجْرَةَ مُحِيطَةٌ بِهِ، فَيَنْفِي بِنَاءٍ عَلَى هَذَا الْوَهْمِ كَوْنُ اللَّهِ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ وَيَقُولُ: إِنَّ الَّذِي فِي السَّمَاءِ مُلْكُهُ وَسُلْطَانُهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ<sup>[١]</sup>.

وَمَنْشَأُ هَذَا الْوَهْمِ ظَنُّهُ أَنَّ (فِي) الَّتِي لِلظَّرْفِيَّةِ تَكُونُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ فِي جَمِيعِ مَوَارِدِهَا، وَهَذَا ظَنٌّ فَاسِدٌ، فَإِنَّ (فِي) يَخْتَلِفُ مَعْنَاهَا بِحَسَبِ مُتَعَلِّقِهَا فَإِنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ كَوْنِ الشَّيْءِ فِي الْمَكَانِ، وَكَوْنِ الْعَرَضِ فِي الْجِسْمِ، وَكَوْنِ الْوَجْهِ فِي الْمِرَاةِ،<sup>[٢]</sup> ..

[١] قَوْلُهُ: «مِثَالٍ آخَرَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ فَيَتَوَهَّمُ وَاهِمٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَاخِلَ السَّمَاءِ...»:

لَوْ سَأَلَ سَائِلٌ هُنَا: مَا هُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ؟

الْجَوَابُ: أَنَّ اللَّهَ نَفْسُهُ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، فَجَاءَ هَذَا الرَّجُلُ فَقَالَ: إِذَا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ هُوَ اللَّهُ؛ لَزِمَ أَنْ تَكُونَ السَّمَاءُ مُحِيطَةً بِهِ، كَمَا إِذَا قُلْتَ: إِنَّ فُلَانًا فِي حُجْرَةٍ، لَزِمَ أَنْ تَكُونَ الْحُجْرَةُ مُحِيطَةً بِهِ؛ لِأَنَّ الظَّرْفَ مُحِيطٌ بِالْمَطْرُوفِ، فَإِذَا اعْتَقَدَ هَذَا الْاِعْتِقَادَ بَنَى عَلَى هَذَا الْاِعْتِقَادِ أَنْ يَقُولَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ أَي: فِي السَّمَاءِ مُلْكُهُ وَسُلْطَانُهُ. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. فَنَقُولُ: هَذَا تَحْرِيفٌ، وَهُوَ بَاطِلٌ أَيْضًا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ مُلْكَ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَسُلْطَانُهُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَقُدْرَتُهُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. فَكَلَامُهُ هَذَا بَاطِلٌ لَا يَسْتَقِيمُ، وَيَقَعُ فِي الْمَحَاذِيرِ الْأَرْبَعَةِ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَمَنْشَأُ هَذَا الْوَهْمِ ظَنُّهُ أَنَّ (فِي) الَّتِي لِلظَّرْفِيَّةِ...»: هَذَا الرَّجُلُ ظَنَّ أَنَّ (فِي) نَجِيءٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ فِي جَمِيعِ مَوَارِدِهَا، وَأَنَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾

وَكَوْنِ الْكَلَامِ فِي الْوَرَقِ الْمَكْتُوبِ فِيهِ، فَلَوْ قِيلَ: هَلِ الْعَرْشُ فِي السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ؟ لَقِيلَ: فِي السَّمَاءِ مَعَ أَنَّ الْعَرْشَ أَكْبَرُ مِنَ السَّمَاءِ كَثِيرًا<sup>١١</sup>.

وَعَلَى هَذَا فَيُخَرِّجُ قَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ عَلَى أَحَدِ وَجْهَيْنِ:

إِمَّا أَنْ تَكُونَ السَّمَاءُ بِمَعْنَى الْعُلُوِّ، فَإِنَّ السَّمَاءَ يُرَادُّ بِهَا الْعُلُوُّ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [النمل: ٦٠]، وَالْمَطَرُ يَنْزِلُ مِنَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا مِنَ السَّمَاءِ نَفْسِهَا، فَيَكُونُ مَعْنَى كَوْنِهِ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ أَنَّهُ فِي الْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ فَوْقَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ ظَرْفٌ وَجُودِيٌّ يُحِيطُ بِهِ، إِذْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَالَمِ شَيْءٌ مَوْجُودٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

كَقَوْلِكَ: فُلَانٌ فِي الْحُجْرَةِ، يَعْرِفُ أَنَّ الْحُجْرَةَ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ، وَتَقُولُ أَيْضًا: الْبَيَاضُ فِي الْوَرَقِ، وَالْحُمْرَةُ فِي الْحَشَبِ، وَفَرَقٌ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، فَالْبَيَاضُ شَامِلٌ لِّجَمِيعِ الْوَرَقِ. وَنَقُولُ: الْمَرَضُ فِي فُلَانٍ، فَالظَّرْفُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ «فِي» الدَّالَّةُ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْمُتَعَلِّقِ، وَلَوْ قِيلَ: هَلِ الْعَرْشُ فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ؟ لَقِيلَ: فِي السَّمَاءِ. مَعَ أَنَّ الْعَرْشَ أَكْبَرُ بِكَثِيرٍ مِنَ السَّمَاءِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَعَلَى هَذَا فَيُخَرِّجُ قَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ عَلَى أَحَدِ وَجْهَيْنِ»:

لَوْ قَالَ لَكَ قَائِلٌ إِذَا قُلْتَ: إِنَّ السَّمَاءَ لَا تُحِيطُ بِاللَّهِ فَكَيْفَ تَخْرُجُ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾؟ الْجَوَابُ: نُخَرِّجُهَا عَلَى أَحَدِ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: إِمَّا أَنْ يُرَادُّ بِالسَّمَاءِ الْعُلُوُّ فَيَكُونُ الْمَعْنَى: (أَأَمِنْتُمْ مَن فِي الْعُلُوِّ)؛ أَيْ: مَنْ

فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ، وَالسَّمَاءُ تَأْتِي بِمَعْنَى الْعُلُوِّ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [النمل: ٦٠]، أَيْ: مِنَ الْعُلُوِّ وَلَيْسَ مِنَ السَّمَاءِ نَفْسِهَا، بِدَلِيلِ



وَأَمَّا أَنْ تَكُونَ (فِي) بِمَعْنَى (عَلَى) كَمَا جَاءَتْ بِمَعْنَاهَا فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، أَيْ عَلَى الْأَرْضِ، وَقَوْلِهِ عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿وَأَصْلَيْنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، أَيْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، أَيْ عَلَى السَّمَاءِ أَيْ فَوْقَهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ السَّمَاوَاتِ وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ<sup>[١]</sup>.

فَتَجِدُ هَذَا الَّذِي نَفَى أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ حَقِيقَةً وَقَعَ فِي الْمَحَاضِيرِ الْأَرْبَعَةِ: فَقَدْ مَثَلَ مَا فَهَمَهُ مِنْ كَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ بِكَوْنِ الْمَخْلُوقِ فِي الْحِجْرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَعَطَّلَ النُّصُوصَ عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ عُلُوِّ اللَّهِ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ حَرَفَهَا إِلَى مَعَانٍ لَا تَدُلُّ عَلَيْهَا.

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، فَتَجِدُ الْفَرْقَ بَيْنَ السَّمَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ وَالسَّمَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.

[١] الثَّانِي: أَنْ تُحْمَلَ «فِي» عَلَى مَعْنَى (عَلَى) فَيَكُونُ (فِي السَّمَاءِ)، أَيْ: (عَلَى السَّمَاءِ)، أَيْ: فَوْقَهَا، وَتَأْتِي «فِي» بِمَعْنَى (عَلَى) فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿وَأَصْلَيْنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، أَيْ عَلَيْهَا وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنْ يَخْفِرَ فِي جَذَعِ النَّخْلَةِ وَيُصَلِّبَ الرِّجَالُ فِي دَاخِلِهَا، بَلِ الْمَعْنَى: يُصَلِّبُهُ عَلَى الْجَذَعِ، أَيْ: يَشُدُّهُ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١]، أَيْ لَيْسَ الْمَعْنَى أَنْ تَحْفَرُوا خَنَادِقَ فِي الْأَرْضِ لِتَسِيرُوا فِيهَا، وَلَكِنَّ الْمَرَادَ: فَسِيرُوا عَلَى الْأَرْضِ.

وَكَانَ نَفْيُهُ وَتَعْطِيلُهُ بِلَا عِلْمٍ، بَلْ عَنْ جَهْلٍ وَظَنٍّ فَاسِدٍ.

وَلَزِمَ مِنْ نَفْيِهِ لِصِفَةِ الْكَمَالِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا كَوْنُهُ فِي السَّمَاءِ ثُبُوتُ صِفَةِ النَّقْصِ؛ لِأَنَّ نَفْيَهُ لِصِفَةِ الْعُلُوِّ يَسْتَلْزِمُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ وَلَا بُدَّ:

فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كُلِّ مَكَانٍ بِذَاتِهِ، وَالْقَوْلُ بِهَذَا فِي غَايَةِ الضَّلَالِ وَالْكُفْرِ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ إِمَّا تَعَدُّدَ الْخَالِقِ، وَإِمَّا تَبَعُّضَهُ، وَيَسْتَلْزِمُ كَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فِي مَحَلَّاتِ الْقَدَرِ وَالْأَدَى الَّتِي يَنْتَزِعُ عَنْهَا كُلُّ ذِي مُرُوءَةٍ، فَضْلًا عَنِ الْخَالِقِ.

وَإِمَّا أَلَّا يَكُونَ اللَّهُ دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ، وَلَا مُتَّصِلًا وَلَا مُنْفَصِلًا، وَلَا مُبَايِنًا وَلَا مُحَايِثًا، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَارَاتِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلتَّعْطِيلِ الْمَحْضِ، وَحَقِيقَةُ هَذَا نَفْيُ وُجُودِ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا<sup>[١]</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «فَنَجِدُ هَذَا الَّذِي نَفَى أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ حَقِيقَةً؛ وَقَعَ فِي الْمَحَاضِيرِ

الْأَرْبَعَةِ...»: إِذَا نَفَى أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ، يَعْنِي: فِي الْعُلُوِّ، لَزِمَ أَحَدَ أَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: إِمَّا أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، كَمَا قَالَتْ بِذَلِكَ الْحُلُولِيَّةُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَعَلَى قَوْلِهِمْ يَكُونُ اللَّهُ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فِي الْأَسْوَاقِ وَالْبُيُوتِ وَالْمَسَاجِدِ، وَفِي أَمَاكِنِ الْأَقْدَارِ، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي الْكِلَابِ وَالْحَمِيرِ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ-، وَفِي الْبَشَرِ، هَكَذَا يَقُولُونَ.

الثَّانِي: وَإِمَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ دَاخِلُ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجُهُ، وَلَا فَوْقَهُ وَلَا تَحْتَهُ، وَلَا مُتَّصِلٌ وَلَا مُنْفَصِلٌ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ.

وَكَذَا الْأَمْرَيْنِ مُتَّبِعٌ عَنِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، فَلَيْسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِذَاتِهِ، وَلَيْسَ مَنْفِيًّا عَنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ.

### القاعدة الخامسة

في علمنا بما أخبر الله تعالى به عن نفسه

ما أخبرنا الله تعالى به عن نفسه فهو معلوم لنا من وجه، ومجهول من وجه، معلوم لنا من جهة المعنى، ومجهول لنا من جهة الكيفية<sup>[١]</sup>.

أما كونه معلوماً لنا من جهة المعنى فتأيت بدلالة السمع والعقل، فمن أدلة السمع قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِنَتَذَرُواْ آيَاتِهِ وَلِنَتَذَكَّرَ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ﴾ [ص: ٢٩]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، .....

[١] لو قال قائل: هل ما أخبر الله به عن نفسه من الصفات: معلوم أو غير معلوم؟

قلنا: لا يمكن الجواب على الإطلاق، أي: لا يمكن أن نقول: إنه معلوم، ولا يمكن أن نقول: إنه مجهول، بل يجب التفصيل:

فنقول: هو معلوم لنا من جهة، ومجهول لنا من جهة أخرى:

١- من جهة المعنى: معلوم؛ لأنه لا يمكن أن يخاطبنا الله تعالى بما لا نعلم.

٢- أما من جهة الكيفية فإنه مجهول، ولا يمكن أن نحيط بكيفية صفات الله

تبارك وتعالى، قال الله سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [طه: ١١٠]، وستأتي الأدلة على هذا - إن شاء الله - فيما بعد، المهم أن نفهم القاعدة.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [مُحَمَّد: ٢٤]، وَقَوْلُهُ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(١)</sup>.

[١] هَذِهِ أَرْبَعَةُ أُدْلَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَوَاحِدٌ مِنَ السُّنَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾، مُبَارَكٌ فِي ثَوَابِهِ، وَفِي تَأْثِيرِهِ، وَفِي أَثَرِهِ.

■ أَمَّا ثَوَابُهُ: فَلَأَنَّ الْحَرْفَ الْوَاحِدَ بِحَسَنَةٍ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَيَكُونُ ثَلَاثَةُ أَحْرَفٍ فِيهَا ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، فَإِذَا قُلْتَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]، كَلِمَةً: ﴿قُلْ﴾ حَرْفَانِ، فِيهَا عِشْرُونَ حَسَنَةً، وَهَذِهِ تَرَكَةُ عَظِيمَةٌ فَمَنْ يُحْصِي حُرُوفَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ اضْرِبَ كُلَّ حَرْفٍ بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ، نَحْذُ شَيْئًا كَثِيرًا.

وَهُوَ أَيْضًا مُبَارَكٌ فِي تَأْثِيرِهِ: قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، هَذَا وَهُوَ جَبَلٌ، فَكَيْفَ بِالْقُلُوبِ، وَهَذَا حَثُّ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ مَنْ قَسَى قَلْبُهُ عَلَى أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَحَافِظٌ عَلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يُلَيِّنُ قَلْبًا قَاسِيًا مِثْلَ جِلْمَدٍ

مُبَارَكٌ فِي أَثَرِهِ: فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ فَتَحُوا بِهِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، كَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].  
إِذَنْ: هُوَ مُبَارَكٌ فِي أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ.

قَوْلُهُ: ﴿يَتَذَكَّرُوا آيَاتِهِ﴾: اللَّامُ هُنَا لِلتَّعْلِيلِ، أَيْ لِأَجْلِ أَنْ يَتَذَكَّرَ النَّاسُ آيَاتِهِ وَيَتَفَهَمُوهَا وَيُفَكِّرُوا فِيهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلْيَتَذَكَّرْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: أَيْ يَتَعِظُ بِهَا.

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن، رقم (٥٠٢٧).

وَهَذَا يَشْمَلُ عِلْمَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى.

فَحَثَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ وَلَمْ يَسْتَنْ شَيْئًا مِنْهُ، وَوَبَّخَ مَنْ لَمْ يَتَدَبَّرْهُ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ إِنْزَالِهِ أَنْ يَتَدَبَّرَهُ الَّذِينَ أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ وَيَتَعَبَّرَ بِهِ أَصْحَابُ الْعُقُولِ، وَلَوْ لَا أَنَّ لَهُ مَعْنَى يُعْلَمُ بِالتَّدَبُّرِ لَكَانَ الْحَثُّ عَلَى تَدَبُّرِهِ مِنْ لَغْوِ الْقَوْلِ، وَلَكَانَ الْإِشْتَغَالُ بِتَدَبُّرِهِ مِنْ إِضَاعَةِ الْوَقْتِ، وَلَفَاتَتْ الْحِكْمَةُ مِنْ إِنْزَالِهِ، وَلَمَّا حَسُنَ التَّوْبِيخُ عَلَى تَرْكِهِ<sup>(١)</sup>.

وَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ: ﴿لِيَتَذَكَّرُوا عِبَادِي﴾، وَكَذَلِكَ الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، وَالَّتِي بَعْدَهَا أَيضًا: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، وَهَذَا حَثٌّ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَصِلَ إِلَى مَعْنَاهُ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَالسَّنَّةُ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(١)</sup>، تَعَلَّمَهُ لَفْظًا أَوْ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَعَلَّمَهُ النَّاسَ لَفْظًا وَمَعْنَى.

[١] يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ: «وَبَيَّنَّ أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ إِنْزَالِهِ أَنْ يَتَدَبَّرَهُ النَّاسُ»: اللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيَتَذَكَّرُوا عِبَادِي﴾، وَقَدْ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ أَنَّهُ لَوْ لَا أَنَّ لَهُ مَعْنَى يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ مَا حَصَلَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ:

أَوَّلًا: قَالَ: «لَكَانَ الْحَثُّ عَلَى تَدَبُّرِهِ مِنْ لَغْوِ الْقَوْلِ» وَجْهُ ذَلِكَ: أَنَّهُ كَيْفَ يَحُثُّ عَلَى تَدَبُّرِ شَيْءٍ لَا يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ، هَذَا كَانَ لَا يَلِيقُ بِكَلَامِ الْإِنْسَانِ فَكَيْفَ بِكَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ثَانِيًا: «وَلَكَانَ الْإِشْتَغَالُ بِتَدَبُّرِهِ مِنْ إِضَاعَةِ الْوَقْتِ»، لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَعْنَى يُمَكِّنُ

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن، رقم (٥٠٢٧).

الْوُصُولُ إِلَيْهِ بِالتَّدْبِيرِ، لَكَانَ تَدَبَّرَهُ مِنْ بَابِ إِضَاعَةِ الْوَقْتِ، فَالْإِنْسَانُ سَيَبْقَى يَرُدُّ لِيَصِلَ إِلَى الْمَعْنَى، فَإِذَا لَمْ يُمَكِّنْهُ الْوُصُولُ إِلَى الْمَعْنَى، كَانَ فِي ذَلِكَ إِضَاعَةً لِلْوَقْتِ الَّذِي هُوَ أَثْمَنُ شَيْءٍ.

ثَالِثًا: «وَلَفَاتُهُ الْحِكْمَةُ مِنْ ذَلِكَ»، وَجَهَ فَوَاتِ الْحِكْمَةِ مِنْ ذَلِكَ، أَنَّهُ إِذَا كَانَ لَمْ يُمَكِّنِ الْوُصُولُ إِلَى مَعْنَاهُ، صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْحُرُوفِ الْهَجَائِيَّةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مَعْنَى، فَأَيْنَ الْحِكْمَةُ مِنْ ذَلِكَ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَعْنَى يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ.

رَابِعًا: «وَلَا مِنْ حُسْنِ التَّوْبِيخِ عَلَى تَرْكِ التَّدْبِيرِ»، وَوَجْهَ هَذَا: أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ التَّوْبِيخُ عَلَى تَرْكِ شَيْءٍ لَا يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ، بَلْ تَرْكُ شَيْءٍ لَا يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ يَخْتَاجُ إِلَى الْحَمْدِ، بَأَن يُقَالَ لِلْإِنْسَانِ: إِنَّكَ تَرَكْتَ هَذَا لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ، فَالْسَّعْيُ فِيهِ مِنَ الْعَبَثِ.

الْخُلَاصَةُ: إِنَّهُ لَدَيْنَا أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ لَا بُدَّ مِنْهُ؛ لِيَصِلَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْمَعْنَى الَّتِي أَرَادَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

فَإِنْ قِيلَ: هَلْ هَذَا فِي آيَاتِ الْأَحْكَامِ فَقَطْ أَمْ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ؟

قُلْنَا: فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ، وَكَوْنُهَا فِي آيَاتِ الْأَحْكَامِ وَآيَاتِ الْأَخْبَارِ وَالْعَقَائِدِ فَمِنْ بَابِ أَوَّلَى.

صَحِيحٌ أَنَّ آيَاتِ الْأَحْكَامِ نَعْرِفُ كَيْفِيَّتَهَا: أَمَرَ اللَّهُ بِالْوُضُوءِ عِنْدَ الصَّلَاةِ، فَنَعْرِفُ كَيْفَ تَتَوَضَّأُ، لَكِنَّ آيَاتِ الْأَخْبَارِ وَالْعَقَائِدِ الْغَيْبِيَّةِ لَا يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَى كَيْفِيَّتِهَا أَبَدًا.

وَالْحَثُّ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ شَامِلٌ لِتَدَبُّرِ جَمِيعِ آيَاتِهِ الْخَبَرِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْحُكْمِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ<sup>[١]</sup>.

فَكَمَا أَنَّنَا مَأْمُورُونَ بِتَدَبُّرِ آيَاتِ الْأَحْكَامِ لِفَهْمِ مَعْنَاهَا وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا، إِذْ لَا يُمَكِّنُ الْعَمَلُ بِهَا بِدُونِ فَهْمِ مَعْنَاهَا، فَكَذَلِكَ نَحْنُ مَأْمُورُونَ بِتَدَبُّرِ آيَاتِ الْأَخْبَارِ لِفَهْمِ مَعْنَاهَا، وَاعْتِقَادِ مُقْتَضَاهَا<sup>[٢]</sup>، وَالشَّاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهَا<sup>[٣]</sup>، .....

[١] أَمَّا الْحُكْمِيَّةُ الْعَمَلِيَّةُ فَمِثْلُ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وَالْخَبَرِيَّةُ الْعِلْمِيَّةُ مِثْلُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

[٢] كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ مَعْنَى يُعْلَمُ بِالتَّدَبُّرِ، وَلَوْ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَعْنَى يُعْلَمُ بِالتَّدَبُّرِ لَوُجِدَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ:

١- أَنَّ الْحَثَّ عَلَى تَدَبُّرِهِ مِنْ لَغْوِ الْقَوْلِ، وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ اللَّغْوِ.

٢- وَلَكَانَ الْأَشْتِغَالُ بِتَدَبُّرِهِ مِنْ إِضَاعَةِ الْوَقْتِ.

٣- لِمَا حَسَنَ التَّوْبِيخُ عَلَى تَرْكِهِ، بَلْ يَحْسُنُ التَّوْبِيخُ عَلَى فِعْلِهِ وَمُرَاوَلَتِهِ.

مَسْأَلَةٌ: الْحَثُّ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ هَلْ فِيهِ اسْتِثْنَاءٌ؟

الْجَوَابُ: لَا يُوجَدُ اسْتِثْنَاءٌ، فَيَشْمُلُ الْآيَاتِ الْخَبَرِيَّةُ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي يُؤْخَذُ مِنْهَا الْعِلْمُ، وَكَذَلِكَ آيَاتُ الْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةُ الَّتِي يُؤْخَذُ مِنْهَا الْعَمَلُ، فَلَا وَامْرُ وَالنَّوَاهِي مَقْصُودٌ مِنَّا أَنْ نَعْمَلَ بِهَا، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ نَعْمَلَ بِهَا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَعْنَاهَا.

[٣] إِذَا كَانَتْ الْأَخْبَارُ مِنْ بَابِ الصِّفَاتِ؛ فَوَاضِحٌ أَنَّنَا نُنْشِئُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهَا، لَكِنْ إِنْ كَانَتْ الْأَخْبَارُ مِنْ غَيْرِ بَابِ الصِّفَاتِ، كَالْأَخْبَارِ عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، فَهَلْ فِيهَا

إِذْ لَا يُمَكِّنُ اعْتِقَادُ مَا لَمْ نَفْهَمْهُ، أَوْ الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهِ<sup>[١]</sup>.

وَأَمَّا دَلَالَةُ الْعَقْلِ عَلَى فَهْمٍ مَعَانِي مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَنْ نَفْسِهِ<sup>[٢]</sup> فَمِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِخْبَارِ وَأَعْلَى مَطَالِبِ الْأَخْيَارِ، فَمِنْ الْمَحَالِ أَنْ يَكُونَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ مَجْهُولَ الْمَعْنَى وَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ فِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَقَارُونَ، وَعَنْ قَوْمِ نُوحٍ، وَعَادٍ، وَثَمُودَ، وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَعْلُومَ الْمَعْنَى، مَعَ أَنَّ ضَرُورَةَ الْخَلْقِ لِفَهْمِ مَعْنَى مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ.

ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ؟ الجواب: نَعَمْ، فِيهَا ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْيَوْمَ الْآخِرَ جَزَاؤُهُ دَائِرٌ بَيْنَ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ، فَإِذَا فَهِمْنَا جَزَاءَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَنَّهُ إِمَّا عَدْلٌ لِلْكَافِرِينَ، وَإِمَّا فَضْلٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ، وَكَذَلِكَ الْأَخْبَارُ عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فِيهَا ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ، إِذْ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَعْرِفُ بِهَا كَمَالَ رَحْمَةِ اللَّهِ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَكَمَالَ عَدْلِهِ بِإِهْلَاكِ مَنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ.

[١] قَوْلُهُ: «إِذْ لَا يُمَكِّنُ اعْتِقَادُ مَا لَمْ نَفْهَمْهُ، أَوْ الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ بِهِ»: لِأَنَّ الَّذِي لَا نَفْهَمُهُ كَيْفَ نَعْتَقِدُهُ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ شَيْئًا؟ فَلَا عَقِيدَةَ إِلَّا بِفَهْمِهِمْ، وَكَيْفَ نَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ يَدَا وَنَحْنُ لَا نَذَرِي مَعْنَى الْيَدِ؟ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ نَعْتَقِدَ شَيْئًا إِلَّا وَنَحْنُ عَارِفُونَ بِمَعْنَاهُ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَأَمَّا دَلَالَةُ الْعَقْلِ عَلَى فَهْمٍ مَعَانِي مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَنْ نَفْسِهِ...»: أَيُّهَا أَعْلَى مَرْتَبَةٍ: مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ أَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ، أَوْ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ وَغَيْرِهِمْ؟



وَالْوَجْهَ الثَّانِي: أَنَّهُ مِنَ الْمَحَالِ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ كِتَابًا يُعَرِّفُهُمْ فِيهِ بِأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَأَحْكَامِهِ، وَيَصِفُهُ بِأَنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ<sup>(١)</sup>، كَرِيمٌ<sup>(٢)</sup> عَظِيمٌ<sup>(٣)</sup> مَجِيدٌ<sup>(٤)</sup>، مُبِينٌ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ لِيُعْقَلَ وَيُفْهَمَ<sup>(٥)</sup>، ثُمَّ تَكُونُ كَلِمَاتُهُ فِي أَعْظَمِ الْمَطَالِبِ غَيْرَ مَعْلُومَةٍ الْمَعْنَى، بِمَنْزِلَةِ الْحُرُوفِ الْهِجَائِيَّةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا النَّاسُ إِلَّا أَمَانِيًّا<sup>(١)</sup>،.....

الجواب: لَا شَكَّ أَنَّ الْأَوَّلَ أَعْلَى، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُنسَبَ إِلَى الثَّانِي إِطْلَاقًا، لَكِنْ - مِنْ بَابِ الْمُنَاطَرَةِ وَالْمُقَارَنَةِ - لَا مَانِعَ أَنْ نَقُولَ: هَذَا أَعْلَى مِنْ هَذَا، وَإِلَّا فَلَا نِسْبَةَ.

فَمِنْ الْمَحَالِ أَنْ يَكُونَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ مَجْهُولُ الْمَعْنَى! وَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ فِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَقَارُونَ، وَقَوْمِ نُوحٍ، وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ، مَعْلُومَ الْمَعْنَى! لِأَنَّا نَقْرَأُ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ، وَنَعْرِفُ الْمَعْنَى مَعَ أَنَّنَا لَمْ نَشَاهِدْ هَذِهِ الْأُمَمَ.

فَكَذَلِكَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَهُ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ مِنْ إِنْزَالِهِ فَهْمَ مَعْنَاهُ، مَعَ أَنَّ ضَرُورَةَ الْخَلْقِ لِفَهْمِ مَعْنَى النَّوعِ الْأَوَّلِ - وَهُوَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ - أَعْظَمُ وَأَشَدَّ، فَلَزِمَ مِنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ مَعْلُومَ الْمَعْنَى؛ أَيَّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ.

[١] قوله: «إِلَّا أَمَانِيًّا»: يَعْنِي إِلَّا قِرَاءَةً، فَالْأَمَانِي بِمَعْنَى الْقِرَاءَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ فِي عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(١) ﴿وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْأَكْتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]. (الشارح)

(٢) ﴿إِنَّهُ لَقَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٨٧]. (الشارح)

(٣) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]. (الشارح)

(٤) ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١]. (الشارح)

(٥) ﴿حَمَّ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ②﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ [الزخرف: ١-٣]. (الشارح)

وَلَا يَخْرُجُونَ بِعِلْمِهَا عَنْ صِفَةِ الْأُمِّيَّةِ<sup>[١]</sup> كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ  
الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨].

تَمْنَى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ وَآخِرَهُ لَأَقَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ  
يَعْنِي: أَنَّهُ كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَقَتْلَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ.  
وَالشَّاهِدُ: أَنَّ الْأَمَانِي بِمَعْنَى: الْقِرَاءَةِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى  
الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، فَقَالَ: ﴿تَمَنَّى﴾ بِمَعْنَى: قَرَأَ.

[١] قَوْلُهُ: «بِمَنْزِلَةِ الْحُرُوفِ الْهَجَائِيَّةِ»:

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَ﴾ [ق: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَ﴾ [ن: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَدَ﴾ [البقرة: ١]:  
لَيْسَ لَهَا مَعْنَى، وَلَا يَصِحُّ عَنْهَا إِلَّا أَنْ نَقُولَ: لَيْسَ لَهَا مَعْنَى، وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِي:  
«لَيْسَ لَهَا مَعْنَى»، أَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا فَائِدَةٌ، فَهِيَ فِيهَا فَائِدَةٌ.

وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ تَكَلَّمَ وَقَالَ: هَذِهِ رُمُوزٌ لِأَشْيَاءَ مُعَيَّنَةٍ، إِمَّا قِيَامِ السَّاعَةِ، وَإِلَّا فَسَرَهَا  
الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِلَّا كَذَا، وَإِلَّا كَذَا، وَبَعْضُهُمْ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ. لَكِنَّهُ  
أَرَادَ مَعْنَى، وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ ضَعِيفٌ.

وَنَشْهَدُ بِهَذَا أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٧٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ  
(١٧٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، فَاللسانُ الْعَرَبِيُّ إِذَا دَقَّقْنَا هَذِهِ الْحُرُوفَ عَلَى  
اللسانِ الْعَرَبِيِّ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا مَعْنَى فِي حَدِّ ذَاتِهِ، لَكِنْ لَهَا فَائِدَةٌ.

وَالْفَائِدَةُ - ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَيْرُهُ أَيْضًا مِمَّنْ سَبَقَهُ وَلَحِقَهُ -:

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، فَإِنَّ هَذَا يَقْتَضِي أَنَّ فِي الْقُرْآنِ آيَاتٍ مُتَشَابِهَاتٍ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُنَّ إِلَّا اللَّهُ؟<sup>١١</sup>

أَنَّهُ إشارَةٌ إِلَى أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الَّذِي أَعْجَزَكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ، إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي تُرْتَّبُونَ مِنْهَا كَلَامَكُمْ. يَعْنِي لَمْ يَأْتِ بِحُرُوفٍ جَدِيدَةٍ بَلْ هُوَ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ، وَآيَدُوا رَأْيَهُمْ هَذَا بِأَنَّكَ لَا تَكَادُ تَجِدُ سُورَةً مُفْتَتِحَةً بِهَذِهِ الْحُرُوفِ إِلَّا وَجَدْتَ بَعْدَهَا ذِكْرَ الْقُرْآنِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مَعْنَى جَيِّدٌ، وَلَوْ قُلْنَا: إِنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ لَا يُفْهَمُ مَعْنَاهَا لَصَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الْحُرُوفِ الْهَجَائِيَّةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مَعْنَى.

[١] قَرَرْنَا أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مَجْهُولُ الْمَعْنَى، وَآتَيْنَا بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالسَّمْعِيَّةِ، يَبْقَى أَنَّ الْإِشْكَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ۖ﴾.

ف(مِنْ): لِلتَّبَعِيضِ، أَيْ بَعْضُهُ، وَعَلَامَةٌ (مِنْ) الَّتِي لِلتَّبَعِيضِ أَنْ يَحُلَّ مَحَلَّهَا «بَعْضُ»؛ أَيْ: «بَعْضُهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ».

﴿هُنَّ﴾: أَيْ هَذِهِ الْمُحْكَمَاتِ، ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾: وَأُمُّ الشَّيْءِ مَرْجِعُهُ؛ لِأَنَّ أَصْلَ هَذِهِ الْمَادَّةِ: «الْهَمْزَةُ وَالْمِيمُ»، كُلُّهَا تَعُودُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَهُوَ الْمَرْجِعُ، وَمِنْهُ الْإِمَامُ فِي الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْتَمِنِينَ يَأْتُمُونَ بِهِ، وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ فِي الدَّوْلَةِ؛ لِأَنَّهُ يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي تَذْيِيرِ شُؤُونِ الدَّوْلَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَخْرُ مُتَشَابِهَةٌ﴾ هَذِهِ قَسِيمَةٌ (المُحْكَمَاتِ)، وَمَعْنَى الْمُحْكَمَاتِ: هِيَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا اشْتِبَاهٌ، بَلْ هِيَ وَاضِحَةٌ الْمَعْنَى، وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا مُقَابِلَةً وَقَسِيمَةً الْمُتَشَابِهِ، فَمَا اتَّضَحَ مَعْنَاهُ فَهُوَ مُحْكَمٌ، وَمَا اشْتَبَهَ مَعْنَاهُ فَهُوَ مُتَشَابِهٌ.

فَالْمُحْكَمُ مَا ظَهَرَ مَعْنَاهُ؛ أَي: مَا كَانَ مَعْنَاهُ وَاضِحًا؛ لِأَنَّهُ مُتَقَنٌ، وَالْمُتَشَابِهُ مَا اشْتَبَهَ مَعْنَاهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

الْأَوَّلُ: مُحْكَمٌ.

وَالثَّانِي: مُتَشَابِهٌ.

وَنَحْنُ قَرَرْنَا أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ وَاضِحٌ الْمَعْنَى، وَالنَّاسُ انْقَسَمُوا فِي الْمُتَشَابِهَاتِ إِلَى قِسْمَيْنِ:

١- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْجٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾؛ أَي: لَا يَرْجِعُونَ إِلَى الْمُحْكَمِ، بَلْ يَرْجِعُونَ إِلَى الْمُتَشَابِهِ؛ لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُلَبَّسُوا عَلَى النَّاسِ، وَهَذَا قَالَ: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾.

وقال: ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾: تَأْوِيلُهُ؛ أَي: عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا يُرِيدُونَ الْفِتْنَةَ وَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤْوَلُّوهُ إِلَى غَيْرِ وَجْهِهِ.

٢- قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: «الرَّاسِخُونَ» فِيهَا لِلْعُلَمَاءِ وَجْهَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُمَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ، وَبِنَاءٌ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ.

الثَّانِي: أَتَمَّا مُبْتَدَأٌ، وَالْوَاوُ لِلِاسْتِثْنَاءِ، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ، لَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿كُلٌّ﴾: أَيِ مِنَ الْمَحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ، ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، وَإِذَا كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ فِيهِ اخْتِلَافٌ وَلَا تَنَاقُضٌ وَلَا تَشْكِيكٌ، ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ﴾ أَيِ: مَا يَتَعَبَّطُ بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَيَتَنَفَّعُ بِهِ إِلَّا أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ، أَيِ: أَصْحَابُ الْعُقُولِ، فَإِنَّ هَذَا يَقْتَضِي أَنَّ فِي الْقُرْآنِ آيَاتٍ مَُّتَشَابِهَاتٍ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُنَّ إِلَّا اللَّهُ، عَلَى قِرَاءَةِ الْوَقْفِ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾.

فَقَوْلُهُ: ﴿مُتَشَابِهَةٌ﴾، قَدْ يَحْتَاجُ بِهَا مَنْ يَرَى أَنَّهَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَصِلَ إِلَى مَعْنَى آيَاتِ الصِّفَاتِ، وَفَعَلًا اسْتَدَلُّوا بِهَذَا، فَقَالُوا: آيَاتُ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُتَشَابِهِ، وَالْمُتَشَابِهُ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، فَادَّعَوْا دَعْوَيْنِ:

الأُولَى: أَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُتَشَابِهِ.

وَالثَّانِيَّةُ: أَنَّ الْمُتَشَابِهَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

وَكُلٌّ مِنَ الدَّعْوَيْنِ نَحْتَاجُ إِلَى تَفْصِيلٍ:

فَيَقَالُ: إِنْ عَنِتُّمْ أَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُتَشَابِهِ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْكُنْهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مُشْتَبَهٌ عَلَيْنَا فَلَا نَعْلَمُهُ، فَهَذَا حَقٌّ وَصَحِيحٌ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنَّهَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ فِي الْمَعْنَى، فَهَذَا بَاطِلٌ لَيْسَ بِصَحِيحٍ، فَتَحْنُ نَعْرِفُ مَعْنَاهَا، فَتَعْرِفُ مَعْنَى السَّمِيعِ وَالسَّمْعِ، وَالْبَصِيرِ وَالْبَصَرِ، وَالْحَكِيمِ وَالْحِكْمَةَ، وَالْمَغْفِرَةَ وَالْغُفُورَ. وَهَكَذَا.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّ الْمُتَشَابِهَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ عَنِتُّمْ بِالْمُتَشَابِهِ مَا اشْتَبَهَ حَقِيقَتُهُ

قُلْنَا: الْجَوَابُ أَنَّ لِّلْسَلَفِ فِي الْوَقْفِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الْوَقْفُ عِنْدَ قَوْلِهِ ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمُرَادُ بِالتَّأْوِيلِ فِي قَوْلِهِ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ الْحَقِيقَةَ الَّتِي يُؤُولُ الْكَلَامُ إِلَيْهَا، لَا التَّفْسِيرَ الَّذِي هُوَ بَيَانُ الْمَعْنَى.

فَتَأْوِيلُ آيَاتِ الصِّفَاتِ عَلَى هَذَا هُوَ حَقِيقَةُ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَكُنْهَهَا، وَهَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي لَا يُدْرِكُهَا الْعَقْلُ وَلَمْ يَرِدْ بِهَا السَّمْعُ فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ<sup>[١]</sup>.

وَكُنْهَهُ فَهَذَا صَحِيحٌ، أَيْ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ اشْتِبَاهَ مَعْنَاهُ فَهُوَ غَيْرُ صَحِيحٍ، بَلِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ مَعْنَى كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي تَشْتَبِهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَهَذَا قَالَ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ بَلَغُوا غَايَةَ الْعِلْمِ، فَهَؤُلَاءِ يَعْلَمُونَ مَا اشْتَبَهَ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَلِذَلِكَ نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُفَسِّرُ الْآيَةَ بِتَفْسِيرٍ لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ سِوَاهُ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ.

وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّنَا أَجَبْنَا عَنْ الْآيَةِ بِجَوَابَيْنِ:

الْأَوَّلُ: الْوَقْفُ عَلَى ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ الْمُرَادُ بِالْمُتَشَابِهَاتِ: الْمُتَشَابِهَاتُ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْكُنْهِ، وَيَكُونُ التَّأْوِيلُ هُنَا مَا يُؤُولُ إِلَيْهِ الشَّيْءُ حَقِيقَةً وَكُنْهًا، فَهَذَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

الثَّانِي: الْوَصْلُ فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْمُتَشَابِهَةِ مَا اشْتَبَهَ مَعْنَاهُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ، وَعَلِمَهُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالتَّأْوِيلِ: التَّفْسِيرُ.

[١] تنبيه: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: فِي الْمُصْحَفِ

وَقِفْ لَازِمٌ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ السَّلَفِ، كَمَا ذَكَرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ

رَحْمَةُ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ تَمَجِّدُونَ - فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ - عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ حَرْفَ (م) يَغْنِي:  
أَنَّهُ وَقَفْتُ لَازِمٌ، أَي: مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ.

لَكِنْ لَنَا أَنْ نَقْرَأَ بِقِرَاءَةِ الْآخَرِينَ، لَكِنْ يَخْتَلِفُ فَهْمُنَا لِكَلِمَةٍ (مُتَشَابِهٍ)، وَلِكَلِمَةٍ  
(تَأْوِيلٍ) عَنْ فَهْمِنَا إِيَّاهَا، فِيمَا إِذَا وَقَفْنَا عَلَى ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وَيَكُونُ الْمَرَادُ بِالْمُتَشَابِهِ هُنَا: مَا  
اشْتَبَهَ مَعْنَاهُ، وَالْمَرَادُ بِالتَّأْوِيلِ: التَّفْسِيرُ.

وَتَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بَعْضُهُ ظَاهِرٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَبَعْضُهُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الرَّاسِخُونَ فِي  
الْعِلْمِ، عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ يَكُونُ الْقُرْآنُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مَجْهُولٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، بَلْ مَجْهُولٌ  
لِبَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ.

مَسْأَلَةٌ: مَا الْمَرَادُ بِالتَّأْوِيلِ عَلَى هَذِهِ قِرَاءَةِ الْوَقْفِ؟

الْجَوَابُ: الْمَرَادُ: الْحَقِيقَةُ الَّتِي عَلَيْهَا الشَّيْءُ، فَمَثَلًا: وَجْهُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ:  
﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، فَالْوَجْهُ مَعْرُوفٌ، لَكِنْ كَيْفَ حَقِيقَةُ وَجْهِ اللَّهِ؟

الْجَوَابُ: لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ.

مِثَالٌ آخَرُ: جَاءَ فِي الْقُرْآنِ: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، فَالْأَسْتَوَاءُ مَعْلُومٌ، وَلَكِنْ كَيْفَ  
أَسْتَوَى؟

الْجَوَابُ: لَا نَعْرِفُ، اللَّهُ أَعْلَمُ؛ لِأَنَّ الْأَسْتَوَاءَ يَخْتَلِفُ حَتَّى فِي الْمَخْلُوقِينَ، فَتَجِدُ  
هَذَا مُسْتَوِيًّا عَلَى الْكُرْسِيِّ اسْتَوَاءً مُسْتَقَرًّا تَامًّا، وَالْآخَرُ دُونَ ذَلِكَ.

فَالْأَسْتَوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ مَعْلُومٌ أَنَّهُ عَلُوٌّ عَلَى الْعَرْشِ، وَلَكِنْ لَا نَذْرِي كَيْفَ اسْتَوَى.

الثاني: الوصل فلا يقفون على قوله ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وهو قول جماعة من السلف والحنف، وبناء عليه يكون المراد بالتأويل في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ التفسير الذي هو بيان المعنى، وهذا معلوم للراسخين في العلم كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله»<sup>(١)</sup>، وقال مجاهد: «عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عن تفسيرها»<sup>(٢)</sup>.

وبهذا تبين أن الآية لا تدل على أن في القرآن شيئا لا يعلم معناه إلا الله تعالى، وإنما تدل على أن في القرآن شيئا لا يعلم حقيقته وكنهه إلا الله على قراءة الوقف، وتدل على أن الراسخين في العلم يعلمون معنى المتشابه الذي يخفى على كثير من الناس على قراءة الوصل، وعلى هذا فلا تعارض مع ما ذكرناه مع أنه ليس في القرآن شيء لا يعلم معناه<sup>(٣)</sup>.

[١] الإعراب على قراءة الوصل واضح: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (الواو): حرف عطف، ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾: معطوفة على لفظ الجلالة على الوصل.

أما على القطع: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ يكون (الراسخون) مبتدأ، وجملة: ﴿يَقُولُونَ﴾ خبر. ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ (الواو) حرف عطف جملة على جملة، أو الواو استئنافية.

والذي يهمن أن نعلم أنه ليس في القرآن شيء لا يعلم معناه، وهذا أهم شيء، فلا بد أن يعلم المعنى، لكن قد يكون المعنى ظاهرا لكل أحد، وقد يكون ظاهرا

(١) البداية والنهاية (٨/ ٣٣٣).

(٢) المعجم الكبير (١١/ ٧٧، رقم ١١٠٩٧).



لِبَعْضِ النَّاسِ، خَفِيًّا عَلَى بَعْضِ النَّاسِ. هَذَا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى.  
وَمِنْ جِهَةِ الْحَقِيقَةِ فالأُمُورُ الْغَيْبِيَّةُ لَا نَعْلَمُهَا، وَلَا نَعْلَمُ حَقِيقَتَهَا، وَلَا يَعْلَمُهَا  
إِلَّا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

وَلِهَذَا لَوْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فِي الْجَنَّةِ نَخْلٌ وَرُمَّانٌ، هَلْ نَعْرِفُ حَقِيقَةَ ذَلِكَ؟  
قُلْنَا: لَا نَعْلَمُ، بَلْ نَعْرِفُ الْمَعْنَى: النَّخْلُ وَالرُّمَّانُ، لَكِنَّ حَقِيقَةَ نَخْلِ الْجَنَّةِ  
وَرُمَّانِهَا لَا نَعْلَمُهَا.

وَلَوْ قِيلَ مِثْلًا: إِنَّ فِي الصِّينِ رُمَّانًا، وَفِي بَلَدِكَ رُمَّانٌ، هَلْ نَعْرِفُ حَقِيقَةَ رُمَّانِ  
الصِّينِ إِذَا عَرَفْتَ حَقِيقَةَ رُمَّانِ بَلَدِكَ؟

قُلْنَا: لَا، لِأَنَّهُ قَدْ يَخْتَلِفُ الرُّمَّانُ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ الْأَرْضِ، وَالْهَوَاءِ، وَالْمَاءِ،  
وَهَكَذَا الْبَقِيَّةُ، وَالْعِنَبُ تَرَاهُ مُخْتَلِفًا، وَكَذَلِكَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْيَوْمِ  
الْآخِرِ لَا تَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ.

وَهَذِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، فَهُنَاكَ أَشْيَاءٌ بَيِّنَةٌ مِنَ الْحَلَالِ، وَبَيِّنَةٌ مِنَ الْحَرَامِ،  
وَهُنَاكَ أَشْيَاءٌ مُشْتَبِهَةٌ فِيهَا: هَلْ تَكُونُ مِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ؟ لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي  
الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا إِمَّا حَلَالٌ وَإِمَّا حَرَامٌ.

وَكَذَلِكَ الْأُمُورُ الْغَيْبِيَّةُ، فَلَا تُفَكَّرُ أَنَّ أَحَدًا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهَا أَبَدًا؛ لِأَنَّهُ غَيْبٌ،  
لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَوْصِلَهُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ.



## فصل

وَأَمَّا كَوْنُ مَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ مَجْهُولًا لَنَا مِنْ جِهَةِ الْكَيْفِيَّةِ فَثَابِتٌ  
بِدَلَالَةِ السَّمْعِ وَالْعَقْلِ.

فَأَمَّا دَلَالَةُ السَّمْعِ فَمِنْ وَجْهَيْنِ:

الأول: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا﴾  
[طه: ١١٠]، فَإِنَّ نَفْيَ الْإِحَاطَةِ بِاللَّهِ عِلْمًا، شَامِلٌ لِلْإِحَاطَةِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، فَلَا يَعْلَمُ  
حَقِيقَةَ ذَاتِهِ وَكُنْهَهَا إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَكَذَلِكَ صِفَاتُهُ<sup>[١]</sup>.

الثاني: أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنَا عَنْ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا عَنْ كَيْفِيَّتِهَا، وَعَقُولُنَا  
لَا تُدْرِكُ ذَلِكَ فَتَكُونُ الْكَيْفِيَّةُ مَجْهُولَةً لَنَا، لَا يَحِلُّ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ فِيهَا أَوْ نُقَدِّرَهَا  
بِأُذْهَانِنَا<sup>[٢]</sup>؛ .....

[١] هَذِهِ دَلَالَةُ السَّمْعِ عَلَى أَنَّ لَا نُشِيرُ بِالْكَيفِيَّةِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ  
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا﴾: هَذَا دَلِيلٌ سَمْعِيٌّ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾؛ أَيِ:  
بِاللَّهِ، وَهُوَ شَامِلٌ لِلذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، وَإِذَا كَانَ النَّاسُ يَرَوْنَهُ وَلَا يُدْرِكُونَهُ بِأَبْصَارِهِمْ،  
مَعَ أَنَّ إِدْرَاكَ الْبَصَرِ إِدْرَاكٌ حِسِّيٌّ، وَالْإِدْرَاكُ الْحِسِّيُّ أَقْرَبُ لِلْإِحَاطَةِ مِنَ الْإِدْرَاكِ  
الْمَعْنَوِيِّ، فَكَذَلِكَ الْإِدْرَاكُ الْمَعْنَوِيُّ لِلصِّفَاتِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ نُحِيطَ بِهِ عِلْمًا إِطْلَاقًا، لَكِنْ  
نُحِيطُ بِمَعَانِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، لَكِنَّ حَقَائِقَهَا وَكُنْهَهَا لَا يُمَكِّنُ.

[٢] قَوْلُهُ: «أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنَا عَنْ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا عَنْ كَيْفِيَّتِهَا...» فَالْجَهْمِيُّ

وَأَمَّا دَلَالَةُ الْعَقْلِ عَلَى ذَلِكَ: فَلَأَنَّ الشَّيْءَ لَا تُدْرِكُ كَيْفِيَّتُهُ إِلَّا بِمُشَاهَدَتِهِ،  
أَوْ بِمُشَاهَدَةِ نَظِيرِهِ الْمُسَاوِي لَهُ، أَوْ الْحَبْرِ الصَّادِقِ عَنْهُ، وَكُلُّ هَذِهِ الطَّرِيقُ مُتَّفِقَةٌ فِي  
كَيْفِيَّةِ ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، فَتَكُونُ كَيْفِيَّةُ ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتُهُ مَجْهُولَةً لَنَا<sup>[١]</sup>.

يُفَسِّرُ النَّزُولَ هُنَا بِمَعْنَى نُزُولِ الْأَمْرِ أَوْ الرَّحْمَةِ أَوْ الْمُلْكِ، وَلَكِنَّهُ يُورِدُ السُّؤَالَ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ  
مِنْ أَجْلِ إِخْرَاجِ مَنْ يُثَبِّتُ النَّزُولَ الْحَقِيقِيَّ -.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا قَالَ لَكَ الْجَهْمِيُّ: إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَكَيْفَ  
يَنْزِلُ؟ فَقُلْ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ يَنْزِلُ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا كَيْفَ يَنْزِلُ، فَدَلِيلُنَا عَلَى ذَلِكَ هُوَ عَدَمُ  
الدَّلِيلِ، وَهَذَا أَمْرٌ غَيْبِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَتَكَلَّمَ فِيهِ.

وَكَذَلِكَ فِي بَقِيَّةِ الصِّفَاتِ: كَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، وَالْمَجِيءِ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَكَذَلِكَ الصِّفَاتُ الْخَبَرِيَّةُ: كَالْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْقَدَمِ وَالسَّاقِ وَالْعَيْنِ.

فَهَذَا لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّتِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنَا عَنْهُ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا عَنْ  
كَيْفِيَّتِهِ.

[١] قَوْلُهُ: «فَلَأَنَّ الشَّيْءَ لَا تُدْرِكُ كَيْفِيَّتُهُ إِلَّا بِمُشَاهَدَتِهِ، أَوْ بِمُشَاهَدَةِ نَظِيرِهِ  
الْمُسَاوِي لَهُ...»: الشَّيْءُ لَا يُمَكِّنُ إِدْرَاكَهُ إِلَّا إِذَا:

■ أَذْرَكْنَاهُ بِأَنْفُسِنَا.

■ أَوْ شَاهَدْنَا نَظِيرَهُ.

■ أَوْ أَخْبَرَنَا صَادِقٌ عَنْهُ.

وَأَيْضًا فَإِنَّا نَقُولُ: مَا هِيَ الْكَيْفِيَّةُ الَّتِي تُقَدَّرُهَا لِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ؟!  
 إِنَّ أَيْ كَيْفِيَّةٍ تُقَدَّرُهَا فِي ذَهْنِكَ، أَوْ تَنْطِقُ بِهَا بِلسَانِكَ، فَاللَّهُ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ ذَلِكَ،  
 وَإِنَّ أَيْ كَيْفِيَّةٍ تُقَدَّرُهَا فِي ذَهْنِكَ، أَوْ تَنْطِقُ بِهَا بِلسَانِكَ، فَسَتَكُونُ كَاذِبًا فِيهَا؛ لِأَنَّهُ  
 لَيْسَ لَكَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا<sup>[١]</sup>.

وَلِهَذَا لَوْ سُئِلْتَ: كَيْفَ سَيَّارَةُ فُلَانٍ؟ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَصِفَ كَيْفِيَّتَهَا إِلَّا إِذَا كُنْتَ  
 رَأَيْتَهَا، أَوْ رَأَيْتَ نَظِيرَهَا، أَوْ أَخْبَرَكَ إِنْسَانٌ صَادِقٌ عَنْهَا، بِأَنَّ كَيْفِيَّتَهَا كَذَا وَكَذَا.

هَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ: أَنَّ الشَّيْءَ لَا يُمَكِّنُ إِدْرَاكَ كَيْفِيَّتِهِ إِلَّا بِإِدْرَاكِ الْكَيْفِيَّةِ نَفْسَهَا،  
 بِمَعْنَى مُشَاهَدَتِهَا أَوْ إِدْرَاكَ الْكَيْفِيَّةِ بِنَظِيرِهِ أَوْ الْخَيْرِ الصَّادِقِ عَنْهُ، وَهَذِهِ الثَّلَاثُ كُلُّهَا  
 مُتَنَفِيَةٌ فِي صِفَاتِ اللَّهِ، فَنَحْنُ لَمْ نُشَاهِدْ ذَلِكَ، وَلَمْ نُشَاهِدْ لَهُ نَظِيرًا، وَلَمْ يُخْبِرْنَا صَادِقٌ  
 عَنْ ذَلِكَ، لَا فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ، فَوَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَوَقَّفَ.

[١] هَذَا صَحِيحٌ؛ فَمَهْمَا قَدَّرْتَ مِنْ كَيْفِيَّةٍ، فَاللَّهُ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ، ثُمَّ أَيْ كَيْفِيَّةٍ  
 تُقَدَّرُهَا فَإِنَّكَ كَاذِبٌ؛ لِأَنَّكَ لَمْ تُشَاهِدْ، وَلَمْ تُشَاهِدِ النَّقِیْضَ، وَلَمْ تُخْبَرْ عَنْهَا، فَإِذَا تَكُونُ  
 كَاذِبًا، وَلِذَلِكَ أَدْعُوكُمْ إِلَى الْكَفِّ عَنِ التَّصَوُّرِ لِصِفَاتِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلَا تَصَوُّرُوتِهَا - أَيْ  
 كَيْفِيَّتِهَا - لِأَنَّكُمْ عَاجِزُونَ عَنْ هَذَا، وَلَا بُدَّ أَنْ يُفْضِيَ بِكُمْ هَذَا التَّفَكُّرُ إِلَى أَمْرٍ قَدْ  
 يُخْرِجُكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، دَعُوا هَذَا، وَفَكِّرُوا فِي الْمَعْنَى وَلَا بَأْسَ، أَمَّا أَنْ  
 تُفَكِّرَ فِي الْكَيْفِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ، فَهَذَا شَيْءٌ لَا يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ.

فَالْإِيمَانُ بِالْإِسْتِثْوَاءِ وَاجِبٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، فَوَجَبَ  
 قَبُولُهُ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدَعَا؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنْهُ مَعَ أَنَّهُمْ أَحْرَصُ مِنَّا  
 عَلَى الْعِلْمِ، وَعَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْأَلُوا عَنْهُ عِلْمَ أَنَّ الدِّينَ لِلَّهِ فِي  
 ذَلِكَ أَنْ نَسْكُتَ عَنْهُ، كَمَا سَكَتَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَسْأَلَ.

وَهَكَذَا يُقَالُ فِي كُلِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ: إِنَّ السُّؤَالَ عَنْهَا بِدَعَةٍ، لَوْ سَأَلْنَا  
إِنْسَانٌ: كَيْفَ يَنْزِلُ اللَّهُ؟ قُلْنَا: السُّؤَالُ بِدَعَةٍ.

فَإِنْ سَأَلَ سَائِلٌ: كَيْفَ يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَهَا يَبْقَى ثُلُثَ اللَّيْلِ الْآخِرِ،  
مَعَ أَنْ ثُلُثَ اللَّيْلِ يَخْتَلِفُ؟ فَيَكُونُ مَثَلًا ثُلُثُ اللَّيْلِ فِي بَلَدٍ، وَفِي بِلَادٍ أُخْرَى يَكُونُ نَهَارًا  
أَوْ أَوَّلَ اللَّيْلِ؟

الْجَوَابُ: السُّؤَالُ عَنْ هَذَا بِدَعَةٍ، فَلَا تَسْأَلْ، آمِنْ بِأَنَّهُ مَا دَامَ ثُلُثُ اللَّيْلِ فَالْتَزَوُلُ  
لِلَّهِ ثَابِتٌ، وَأَنْتَ إِذَا سَلَكْتَ هَذَا الْمَسْلَكَ اسْتَرْحْتَ، لَا بِالنِّسْبَةِ لِنَفْسِكَ مِنَ الْإِيرَادَاتِ  
الَّتِي يُورِدُهَا عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ وَالشُّبُهَةُ، وَلَا بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِكَ، أَمَّا لِنَفْسِكَ فَتَقُولُ لِنَفْسِكَ:  
لَمَّاذَا تَتَكَلَّمِينَ بِشَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ الْخَيْرِ مِنْكَ، وَبِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِكَ أَيْضًا تَذْخَرُهُ  
وَتَقُولُ: هَذِهِ بِدَعَةٍ، وَلَمْ يَسْأَلِ الصَّحَابَةُ عَنْهُ وَهُمْ أَخْرَصُ مِنَّا عَلَى الْخَيْرِ، وَأَعْلَمُ مِنَّا،  
وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَتِمُّ إِيمَانُنَا وَعَقِيدَتُنَا إِلَّا بِهَا لَبَيَّنَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «مَا هِيَ الْكَيْفِيَّةُ الَّتِي تُقَدَّرُهَا لِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ؟...»: مَثَلًا إِذَا قَالَ  
إِنْسَانٌ: كَيْفَ يَدُ اللَّهُ؟ أَيْ كَيْفِيَّةُ تُقَدَّرُهَا فَاللَّهُ أَعْظَمُ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُحِيطَ بِهِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:  
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ أَي: مَهْمَا قَدَّرْتَ تَصَوُّرًا أَوْ نَظْمًا لِلْيَدِ الَّتِي أَضَافَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ  
لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُحِيطَ بِهَا، اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ نَقُولُ: أَيْ شَيْءٍ تُقَدَّرُهُ فَأَنْتَ كَاذِبٌ فِيهِ؛  
لِأَنَّكَ لَمْ تَطَّلِعْ عَلَى هَذَا، وَلَا دَلِيلَ عِنْدَكَ، فَأَيُّ شَيْءٍ تَقُولُهُ فَأَنْتَ كَاذِبٌ فِيهِ.

وَكُلُّ هَذَا يُوجِبُ لَنَا أَنْ نَبْتَعدَ عَنْ مَسْأَلَةِ التَّمثِيلِ، وَأَنْ نُسَلِّمَ تَسْلِيمًا تَامًّا لِمَا جَاءَ  
فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ غَيْبِيَّةً، وَاللَّهُ مُبَحَّانُهُ لَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ حَتَّى

نَقُولُ: إِذَا كَانَ كَذَا كَانَ كَذَا، أَيْ: مِثْلَ الَّذِي يَقُولُ: إِذَا نَزَلَ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَخْلُو مِنَ الْعَرْشِ مَثَلًا، لَوْ سَأَلْنَا سَائِلٌ: هَلْ يَخْلُو مِنَ الْعَرْشِ؟ نَقُولُ: السُّؤَالُ عَنْهُ بِدَعَا.

وَهَذَا كَانَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: أَنْ نَسْكُتَ عَنْهُ لَا نَفْيًا وَلَا إِثْبَاتًا، وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْقَوْلِ فَلْنُبَيِّنْ أَنَّهُ نَازِلٌ وَعَلَى عَرْشِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ حَتَّى نَقُولَ: إِنَّهُ إِذَا نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا لَا بُدَّ أَنْ يَخْلُو مِنَ الْعَرْشِ! فَهَذِهِ مِنْ سِمَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، صَحِيحٌ أَنِّي إِذَا نَزَلْتُ مِنَ السَّقْفِ إِلَى الْحُجْرَةِ فَإِنَّ السَّقْفَ يَخْلُو مِنِّي لَا شَكَّ، لَكِنْ بِالنُّسْبَةِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَا يُقَاسُ بِهِذَا.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْمَسَائِلِ مُهِمَّةٌ جِدًّا، وَطَرِيقُ السَّلَامَةِ فِيهَا الْإِمْسَاكُ؛ لِأَنَّهُ يَسَعُنَا مَا يَسَعُ مَنْ هُمْ أَفْضَلُ مِنَّا وَهُمْ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.



## تِمَّة

بِهَذَا التَّقْرِيرِ الَّذِي تَبَيَّنَ بِهِ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ لَا يَعْلَمُ  
مَعْنَاهُ إِلَّا اللَّهُ؛ يَتَبَيَّنُ بُطْلَانُ مَذْهَبِ الْمُفَوِّضَةِ الَّذِينَ يُفَوِّضُونَ عِلْمَ مَعَانِي آيَاتِ  
الصِّفَاتِ، وَيَدَّعُونَ أَنَّ هَذَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ، وَقَدْ ضَلُّوا فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ،  
وَكَذَّبُوا فِيمَا نَسَبُوهُ إِلَى السَّلَفِ، فَإِنَّ السَّلَفَ إِنَّمَا يُفَوِّضُونَ عِلْمَ الْكَيْفِيَّةِ دُونَ عِلْمِ  
الْمَعْنَى، وَقَدْ تَوَاتَرَتِ النُّقُولُ عَنْهُمْ بِإِثْبَاتِ مَعَانِي هَذِهِ النُّصُوصِ، إِجْمَالًا أَوْ أَحْيَانًا،  
وَتَفْصِيلًا أَوْ أَحْيَانًا، فَمِنْ الْإِجْمَالِ قَوْلُهُ: «أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ بِهَا كَيْفٌ»، وَمِنْ  
التَّفْصِيلِ مَا سَبَقَ عَنْ مَالِكٍ فِي الْإِسْتِوَاءِ<sup>[١]</sup>.

[١] كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّونَ أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ هُوَ التَّفْوِيضُ، وَالتَّفْوِيضُ هُوَ  
أَنْ يُفَوِّضَ الْمَعْنَى، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: مَا مَعْنَى كَذَا؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ. وَإِذَا قِيلَ لَهُ: مَا مَعْنَى  
﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢]، قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ، أَنَا لَا أَقُولُ: هُوَ جَاءَ بِنَفْسِهِ وَلَا أَقُولُ:  
جَاءَ أَمْرُهُ، وَهَكَذَا بَقِيَّةُ الصِّفَاتِ، وَيَدَّعُونَ أَنَّ هَذَا مَذْهَبُ السَّلَفِ، وَكَذَّبُوا فِيمَا نَسَبُوهُ  
إِلَى السَّلَفِ، وَضَلُّوا فِيمَا اعْتَقَدُوهُ فِي صِفَاتِ خَالِقِهِمْ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُخَاطِبُنَا بِشَيْءٍ  
لَا نَعْرِفُ مَعْنَاهُ.

ثُمَّ إِنَّمَا لَوْ قُلْنَا بِأَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ هُوَ التَّفْوِيضُ -أَي: تَفْوِيضُ الْمَعْنَى-، لَزِمَ مِنْ  
ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَحْكَمَ وَأَعْلَمَ.

وَبِنَاءً عَلَيْهِ حَدَّثَ مِنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْعِبَارَةُ التَّالِيَةُ: طَرِيقَةُ السَّلَفِ أَسْلَمَ، وَطَرِيقَةُ  
الْخَلَفِ أَعْلَمَ وَأَحْكَمَ.

فَقَوْلُهُمْ: «طَرِيقَةُ السَّلَفِ أَسْلَمٌ» نُوَافِقُهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُمْ: «وَطَرِيقَةُ الْخَلَفِ أَعْلَمٌ وَأَحْكَمٌ» لَا نُوَافِقُهُمْ عَلَيْهِ، بَلْ طَرِيقَةُ السَّلَفِ هِيَ: الْأَسْلَمُ وَالْأَعْلَمُ وَالْأَحْكَمُ.

وَقَالُوا: الْخَلَفُ أَعْلَمُ مِنَ السَّلَفِ؛ لِأَنَّ مَنْ يَقُولُ: مَعْنَى النَّصِّ كَذَا. أَعْلَمُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا أَدْرِي. فَلَا شَكَّ فِي هَذَا، لَكِنْ مَنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا مَذْهَبُ السَّلَفِ؟ فَكُلُّ السَّلَفِ يَقُولُونَ: أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ بِهَا كَيْفٍ. وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ - كَمَا نَعْلَمُ - تَدُلُّ عَلَى أَنَّ السَّلَفَ يُثْبِتُونَ لَهَا مَعْنَى مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: قَوْلُهُمْ: «أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ»؛ لِأَنَّهَا أَلْفَاظٌ جَاءَتْ لِمَعَانِي وَلَا يُمَكِّنُ إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ إِلَّا بِإِثْبَاتِ مَعْنَاهَا كَمَا تُثْبِتُ لَفْظُهَا، فَإِنْ لَمْ تُثْبِتِ الْمَعْنَى لَمْ نَكُنْ أَمْرَازِنَاهَا كَمَا جَاءَتْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ لَهَا كَلِمَاتٍ لَهَا مَعَانٍ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: قَوْلُهُمْ: «بِهَا كَيْفٍ»؛ لِأَنَّ نَفْيَ الْكَيْفِيَّةِ يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ أَصْلِ الْمَعْنَى، لِأَنَّ نَفْيَ الْكَيْفِيَّةِ عَمَّا لَيْسَ بِثَابِتٍ لَعْوًا، فَإِذَا قَالُوا: بِهَا كَيْفٍ. عَلِمْنَا أَنَّهُمْ يَرُدُّونَ إِثْبَاتَ الْمَعْنَى، لَكِنْ بِهَا تَكْيِيفٍ.

وَإِنَّمَا نُنَبِّهُ عَلَى هَذَا؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ حَتَّى فِي كَلَامِ أَنَاسٍ مُعْتَبَرِينَ كَالنَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَيْرِهِ يَقُولُونَ: إِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ هُوَ التَّقْوِيضُ، وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ كَذِبٌ عَلَى السَّلَفِ، لَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ مِثْلَ النَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَكْذِبُ عَلَى السَّلَفِ، لَكِنَّهُ يَظُنُّ أَنَّ هَذَا مَذْهَبُ السَّلَفِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنَّنَا، فَمَذْهَبُ السَّلَفِ: إِثْبَاتُ الْمَعْنَى، وَنَفْيُ التَّكْيِيفِ، أَمَّا الْكَيْفِيَّةُ فَلَا بُدَّ مِنْ كَيْفِيَّةٍ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَلَهُ كَيْفِيَّةٌ.



قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي كِتَابِهِ ( دَرِّعُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ ) الْمَعْرُوفِ بِاسْمِ ( الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ ) ( ١٦ / ١ ) الْمَطْبُوعِ عَلَى هَامِشٍ ( مِنْهَاجِ السُّنَّةِ ) ( ٢٠١ / ١ ) تَحْقِيقُ رِشَادِ سَالِمٍ : « وَأَمَّا التَّفْوِيضُ فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ ، وَحَضَّنَا عَلَى عَقْلِهِ وَفَهْمِهِ <sup>(١)</sup> ..... »

[ ١ ] قَوْلُهُ : « وَأَمَّا التَّفْوِيضُ فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ ، وَحَضَّنَا عَلَى عَقْلِهِ وَفَهْمِهِ ... » : مَذْهَبُ أَهْلِ التَّفْوِيضِ يَقُولُونَ : اِتْرُكْ هَذَا ، وَلَا تَبْحَثْ فِي مَعْنَاهُ ، وَلَا تُحَاوِلْ أَنْ تَفْهَمَهُ . لِأَنَّ فَهْمَهُ عَلَى زَعْمِهِمْ مُتَعَذِّرٌ ، فَالْوَاجِبُ أَنْ تَقْرَأَهُ لَفْظًا ، وَأَلَّا تَتَكَلَّمَ بِهِ مَعْنَى ، عِنْدَ هَؤُلَاءِ حَتَّى الرَّسُولُ ﷺ لَا يَعْلَمُ مَعَانِي آيَاتِ الصِّفَاتِ ، وَلَا يَذَرِي مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَجَاءَ رَيْكَ ﴾ ، وَلَا يَذَرِي مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وَلَا يَذَرِي مَا مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ ﴾ كُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ ، بَلْ كُلُّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ، فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهُ ، بَلْ لَوْ تَكَلَّمَ الرَّسُولُ ﷺ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهُ ، أَيُّ يَقُولُونَ : إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ : « يُنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا » <sup>(١)</sup> ، وَلَوْ سَأَلْتَ الرَّسُولَ ﷺ : مَاذَا أَرَادَ؟ لَقَالَ : لَا أَدْرِي .

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْقَدَحِ فِي اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَفِي رَسُولِهِ ﷺ وَفِي كِتَابِهِ وَفِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ ، أَنْ تَكُونَ غَيْرَ فَاهِمَةٍ مَعْنَى مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ ، وَأَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا كِتَابًا بِمَنْزِلَةِ الْحُرُوفِ الْهَجَائِيَّةِ لَا يُذَرَّى مَا الْمُرَادُ بِهَا ، وَأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلَامِ وَلَا يَذَرِي مَا مَعْنَاهُ ، هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْقَدَحِ .

(١) أخرجه البخاري : أبواب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، رقم ( ١٠٩٤ ) ، ومسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ، رقم ( ٧٥٨ ) .

فَكَيْفَ يَجُوزُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يُرَادَ مِنَّا الْإِعْرَاضُ عَنْ فَهْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَعَقْلِهِ، إِلَى أَنْ قَالَ: «فَعَلَى قَوْلٍ هَؤُلَاءِ يَكُونُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ لَا يَعْلَمُونَ مَعَانِيَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ، وَلَا السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْقُرْآنِ، أَوْ كَثِيرٌ مِمَّا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ لَا يَعْلَمُ الْأَنْبِيَاءُ مَعْنَاهُ بَلْ يَقُولُونَ كَلَامًا لَا يَعْقِلُونَ مَعْنَاهُ». قَالَ: «وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا قَدْ حُجِّجَ فِي الْقُرْآنِ وَالْأَنْبِيَاءِ إِذْ كَانَ اللَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَهُ هُدًى وَبَيِّنَاتٍ لِلنَّاسِ، وَأَمَرَ الرَّسُولَ أَنْ يُبَلِّغَ الْبَلَاغَ الْمُبِينِ، وَأَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، وَأَمَرَ بِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَعَقْلِهِ، وَمَعَ هَذَا فَاشْرَفَ مَا فِيهِ وَهُوَ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّبُّ عَنْ صِفَاتِهِ، أَوْ عَنْ كَوْنِهِ خَالِقًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، أَوْ عَنْ كَوْنِهِ أَمْرٌ وَهَمٌّ، وَوَعْدٌ وَتَوَعُّدٌ، أَوْ عَمَّا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ: لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَعْنَاهُ، فَلَا يُعْقَلُ وَلَا يُتَدَبَّرُ، وَلَا يَكُونُ الرَّسُولُ بَيِّنًا لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، وَلَا بَلَّغَ الْبَلَاغَ الْمُبِينِ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فَيَقُولُ كُلُّ مُلْحِدٍ وَمُبْتَدِعٍ: الْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مَا عَلِمْتُهُ بِرَأْيِي وَعَقْلِي»<sup>[١]</sup>.....

[١] قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ كُلُّ مُلْحِدٍ وَمُبْتَدِعٍ: الْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مَا عَلِمْتُهُ بِرَأْيِي وَعَقْلِي...»: إِذَا كَانَ أَشْرَفَ مَا فِيهِ وَهُوَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ صِفَاتِهِ أَوْ عَنْ كَوْنِهِ خَالِقًا... إلخ، لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَعْنَاهُ، حَتَّى النَّبِيُّ ﷺ لَا يَعْلَمُ مَا مَعْنَى الْقُرْآنِ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ اللَّهِ.

وَيَرْتَبُّ عَلَى هَذَا أَنْ: «يَقُولُ كُلُّ مُلْحِدٍ وَمُبْتَدِعٍ: الْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مَا عَلِمْتُهُ بِرَأْيِي وَعَقْلِي»، لِأَنَّ النَّفْسَ تَوَاقَّةٌ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ، فَإِذَا سُدَّ بَابُ الْمَعْرِفَةِ مِنْ قِبَلِ السَّمْعِ؛ طَلَبَتِ الْمَعْرِفَةَ مِنْ بَابِ الْعَقْلِ، وَإِذَا كُنَّا لَا نَعْلَمُ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا عَنْ طَرِيقِ السَّمْعِ؛

لَأَنَّ السَّمْعَ كُلَّهُ - عَلَى زَعْمِ هَؤُلَاءِ - مَجْهُولٌ، فَإِذَا لَمْ تَعْلَمْ النَّفْسُ هَذَا فَلَا بُدَّ أَنْ تَطْلُبَهُ مِنْ بَابٍ آخَرَ، فَيَقُولُ: الْحَقُّ مَا عَلِمْتُهُ بِرَأْيِي وَعَقْلِي.

فَيَقُولُ الْمُعْتَزِّلَةُ: الْحَقُّ مَعَنَا. وَالْأَشَاعِرَةُ يَقُولُونَ: الْحَقُّ مَعَنَا. وَالْجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: الْحَقُّ مَعَنَا. وَالْفَلَّاسِفَةُ يَقُولُونَ: الْحَقُّ مَعَنَا. وَمَا دُمْتَ أَنْتَ جَاهِلًا فَلَا أَحْسَنَ مِنَ الْوَصْفِ الَّذِي أَنْتَ وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ، فَالْجَاهِلُ جَاهِلٌ عَلَى اسْمِهِ، فَإِذَا كُنْتَ أَنْتَ جَاهِلًا فَالْعِلْمُ عِنْدِي، وَمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ كَذَا وَكَذَا، وَأَنْتَ جَاهِلٌ لَا تَذَرِي، لَيْسَ لَكَ الْحَقُّ أَنْ تُعَارِضَنِي، أَي: لَوْ قَالَ أَهْلُ التَّفْوِيزِ مَثَلًا لِلْمُبْتَدِعَةِ وَالْمَلَّاحِدَةِ لَوْ قَالُوا: أَنْتُمْ عَلَى خَطَأٍ، لَسَخِرَ وَاسْتَهْزَأَ بِهِ، وَقَالَ: كَيْفَ تُخَاطِبُنِي وَأَنْتَ جَاهِلٌ، وَمَا دُمْتَ جَاهِلًا فَلَا تَذَرِي الْحَقَّ مَعِي أَوْ مَعَ غَيْرِي.

وَهَذَا الْمَذْهَبُ - فِي الْحَقِيقَةِ - لَوْ تَدَبَّرَهُ الْإِنْسَانُ لَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَذْهَبَ السَّلَفِ إِطْلَاقًا، وَأَنَّ مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ مَذْهَبُ السَّلَفِ فَهُوَ إِمَّا جَاهِلٌ بِمَذْهَبِهِمْ أَوْ كَاذِبٌ عَلَيْهِمْ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَالسَّلَفُ كَلَامُهُمْ مَشْهُورٌ، وَحُجَجُهُمُ السَّمْعِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ مَعْلُومَةٌ، بِأَنَّ الْمَعْنَى فِيمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ صِفَاتِهِ مَعْلُومٌ.

إِذَنْ: مَذْهَبُ السَّلَفِ إِبْتِاطُ الْمَعَانِي وَفَهْمُهَا وَنَشْرُهَا بَيْنَ الْأُمَّةِ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْفُونَ عَنِ الْخَوْضِ فِي الْكَيْفِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْكَيْفِيَّةَ غَيْرُ مَعْلُومَةٍ لَا عَنْ طَرِيقِ السَّمْعِ، وَلَا عَنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ، بَلْ إِنَّ السَّمْعَ وَالْعَقْلَ كِلَاهُمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ بِالْكَيفِيَّةِ مُسْتَحِيلٌ، وَبِهَذَا نَكُونُ مَشِينًا عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَنَقُولُ: مَنْ قَالَ إِنَّ السَّلَفَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّفْظِ وَلَا يَفْهَمُونَ الْمَعْنَى فَهُوَ كَاذِبٌ عَلَيْهِمْ، وَقَادِحٌ فِيهِمْ بِنَفْسِ الْوَقْتِ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَهُمْ أُمَمِينَ بِمَنْزِلَةِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي.

وَلَيْسَ فِي النُّصُوصِ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ، لِأَنَّ تِلْكَ النُّصُوصَ مُشْكِلَةٌ مُتَشَابِهَةٌ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَعْنَاهَا، وَمَا لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَعْنَاهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهِ، فَيَبْقَى هَذَا الْكَلَامُ سَدًّا لِبَابِ الْهُدَى وَالْبَيَانِ مِنْ جِهَةِ الْأَنْبِيَاءِ<sup>(١)</sup>، وَفَتْحًا لِبَابِ مَنْ يُعَارِضُهُمْ وَيَقُولُ: إِنَّ الْهُدَى وَالْبَيَانَ فِي طَرِيقِنَا لَا فِي طَرِيقِ الْأَنْبِيَاءِ، لِأَنَّا نَحْنُ نَعْلَمُ مَا نَقُولُ وَنُبَيِّنُهُ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ لَمْ يَعْلَمُوا مَا يَقُولُونَ، فَضَلَّ عَنْ أَنْ يُبَيِّنُوا مُرَادَهُمْ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ قَوْلَ أَهْلِ التَّفْوِيضِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُتَّبِعُونَ لِلْسُنَّةِ وَالسَّلَفِ مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْإِلْحَادِ<sup>(٢)</sup>. اهـ كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

[١] قَوْلُهُ: «فَيَبْقَى هَذَا الْكَلَامُ»: الْمُرَادُ بِالْكَلامِ هُوَ كَلَامٌ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ هُوَ التَّفْوِيضُ، فَإِذَا قُلْنَا هَذَا بَقِيَ هَذَا الْكَلَامُ «سَدًّا لِبَابِ الْهُدَى وَالْبَيَانِ مِنْ جِهَةِ الْأَنْبِيَاءِ»؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يَعْلَمُونَ مَعَانِي هَذِهِ الصِّفَاتِ وَأَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ كَذَلِكَ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ بَابِ أَوَّلَى وَيَكُونُ فَتْحًا لِبَابِ مَنْ يُعَارِضُهُمْ.



## فصل

## في التَّأْوِيلِ

التَّأْوِيلُ لُغَةً: تَرْجِيعُ الشَّيْءِ إِلَى الْغَايَةِ الْمُرَادَةِ مِنْهُ، مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ الرَّجُوعُ<sup>[١]</sup>.  
وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: رَدُّ الْكَلَامِ إِلَى الْغَايَةِ الْمُرَادَةِ مِنْهُ، بِشَرْحِ مَعْنَاهُ<sup>[٢]</sup> أَوْ حُصُولِ  
مُقْتَضَاهُ<sup>[٣]</sup>، وَيُطْلَقُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَعَانٍ:

[١] قَوْلُهُ: «التَّأْوِيلُ لُغَةً: تَرْجِيعُ الشَّيْءِ إِلَى الْغَايَةِ الْمُرَادَةِ مِنْهُ..» إلخ: (تَرْجِيع) بِمَعْنَى رَدٍّ، لَكِنْ عَبَّرْتُ بِالتَّرْجِيعِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ (الْأَوَّلِ) وَهُوَ الرَّجُوعُ. يَقُولُ: أَلِ الْأَمْرِ إِلَى كَذَا، أَيْ رَجَعَ إِلَيْهِ، وَالتَّأْوِيلُ فِي الْأَصْلِ: تَرْجِيعُ الشَّيْءِ إِلَى الْحَالِ وَإِلَى الْغَايَةِ الْمُرَادَةِ بِهِ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ الرَّجُوعُ، تَقُولُ: «أَلِ - يؤول - أَوْلًا» أَيْ: رَجَعَ إِلَى كَذَا، أَلِ الْأَمْرَ بِفُلَانٍ إِلَى أَنْ تَرْقَى إِلَى مَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ، أَوْ أَلِ الْأَمْرَ بِفُلَانٍ إِلَى أَنْ تَمَّهُ؛ أَيْ: رَجَعَ.

[٢] قَوْلُهُ: «بِشَرْحِ مَعْنَاهُ»: إِذَا كَانَ التَّأْوِيلُ بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ، أَنْ تَقُولَ مَعْنَى كَذَا وَكَذَا، فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١]، مَعْنَى ﴿ثُبَاتٍ﴾؛ أَيْ: مُتَفَرِّقِينَ، أَوْ أَفْرَادٍ، ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ هَذَا تَأْوِيلُ الْمَعْنَى، وَتَأْوِيلُ الْحَقِيقَةِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، الْمُرَادُ الْعَاقِبَةُ الَّتِي أَلِ إِلَيْهَا الْأَمْرُ.

[٣] قَوْلُهُ: «أَوْ حُصُولِ مُقْتَضَاهُ»: إِذَا كَانَ التَّأْوِيلُ بِمَعْنَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي يؤولُ إِلَيْهَا الشَّيْءُ، وَعَلَى هَذَا فَمَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِالْمَعْنَى الْمُرَادَةِ مِنْهُ فَهُوَ مُؤَوِّلٌ، وَلِهَذَا كَانَ

الْأَوَّلُ: (التَّفْسِيرُ) وَهُوَ تَوْضِيحُ الْكَلَامِ بِذِكْرِ مَعْنَاهُ الْمُرَادِ بِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ صَاحِبِي السَّجْنِ يُحَاطِبَانِ يُوسُفَ: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يُوسُف: ٣٦]، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»<sup>(١)</sup>. وَسَبَقَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ». وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى، أَيْ تَفْسِيرُهُ. وَالتَّأْوِيلُ بِهَذَا الْمَعْنَى مَعْلُومٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ<sup>(٢)</sup>.

ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ إِمَامُ الْمُفَسِّرِينَ فِي الْأَثَرِ يَقُولُ: الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى كَذَا وَكَذَا. وَفِي حَدِيثِ دُعَاءِ الرَّسُولِ ﷺ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»<sup>(٣)</sup> أَيْ: التَّفْسِيرَ.

[١] إِذَنْ: اسْتَدْلَلْنَا عَلَى هَذَا بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَأَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ، فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَدِلَّةٍ تَدُلُّ عَلَى اسْتِعْمَالِ التَّأْوِيلِ بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ:

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ أَيْ نَبِّئْنَا بِتَفْسِيرِهِ، فَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَشْرَحَ لَهُمْ مَا رَأَوْهُ فِي مَنَامِهِمْ وَشَرَحَهُ لَهُمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ» فَالْمُرَادُ: عَلِّمَهُ تَفْسِيرَ الْكَلَامِ، وَلِهَذَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ أَعْلَمِ الصَّحَابَةِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، حَتَّى إِنَّهُ

(١) رواه أحمد (٢٦٦/١)، رقم (٢٣٩٧)، والحاكم (٦١٥/٣) وصححه، وابن حبان في صحيحه رقم

(٧٠٥٥)، وروى البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، رقم (١٤٣) ومسلم:

كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٧٧) أوله فقط.

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٦/١) رقم (٢٣٩٧).

الْمَعْنَى الثَّانِي: مَالُ الْكَلَامِ إِلَى حَقِيقَتِهِ<sup>(١)</sup>، فَإِنْ كَانَ خَبَرًا فَتَأْوِيلُهُ نَفْسُ حَقِيقَةِ الْمُخْبِرِ عَنْهُ، وَذَلِكَ فِي حَقِّ اللَّهِ كُنْهَ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، وَإِنْ كَانَ طَلَبًا فَتَأْوِيلُهُ امْتِثَالُ الْمَطْلُوبِ.

مِثَالُ الْخَبَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، أَيْ مَا يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ إِلَّا وَقُوعَ حَقِيقَةِ مَا أُخْبِرُوا بِهِ مِنَ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ يُوسُفَ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]<sup>(٢)</sup>.

يُطْلَقُ عَلَيْهِ (تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ)، أَمَّا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ»<sup>(١)</sup> فَمُرَادُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَفْسِيرَهُ.

[١] فَقَوْلُهُ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ﴾: أَيْ: مَا لَهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾: أَيْ: مَالُهُ.

[٢] قَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾، وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ حِينَ قَدَّمَ أَبَوَاهُ إِلَى مِصْرَ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾، وَقَالَ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾، وَرُؤْيَاؤُهُ: أَنَّهُ رَأَى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا فِي الْمَنَامِ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ: ﴿رَأَيْنَهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾، فَكَانَ هَذَا تَأْوِيلُهَا؛ أَيْ: هَذَا مَا آتَتْ إِلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: «مِثَالُ الْخَبَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾»: هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُبْتَوِيَّةٌ، بَلْ فِيهَا أَيْضًا حَصْرٌ عَنْ طَرِيقِ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

وَلَوْ قِيلَ لَكَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، هَلْ هِيَ مُبْتَوِيَّةٌ أَمْ سَلْبِيَّةٌ؟

قُلْنَا: إِذَا أَخَذْنَاهَا حَسَبَ أَجْزَائِهَا فَهِيَ سَلْبِيَّةٌ فِيهَا نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، وَلَا يَتِمُّ التَّوْحِيدُ إِلَّا بِهَذَا، لَكِنَّ الْمَقْصُودَ بِهَا الْإِثْبَاتُ عَلَى وَجْهِ الْإِنْفِرَادِ.

وَمِثَالُ الطَّلَبِ: قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ<sup>(١)</sup>. أَيْ يَمَثِّلُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿النَّضْر: ١-٣﴾.

وَتَقُولُ: فَلَانٌ لَا يَتَعَامَلُ بِالرَّبِّ يَتَأَوَّلُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]<sup>[١]</sup>.

إِذَنْ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ مِثْلَهَا تَمَامًا؛ لِأَنَّ (هَلْ) هُنَا اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى النَّفْيِ، وَعَلَامَةُ الاسْتِفْهَامِ الَّذِي بِمَعْنَى النَّفْيِ أَنْ يَأْتِيَ بَعْدَهُ (إِلَّا)، فَاَلْمَعْنَى: مَا يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمَكْذُبُونَ إِلَّا وَقُوعَ مَا أَخْبَرُوا بِهِ، فَصَارَتِ الْجُمْلَةُ بِاعْتِبَارِ كُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا جَامِعَةً بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، أَمَّا بِاعْتِبَارِ الْغَايَةِ فَهُوَ الثُّبُوتُ.

وَأَمَّا قَوْلُ يُوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ فَكُلُّ تَأْوِيلٍ يُضَافُ إِلَى شَيْءٍ وَاقِعٍ فَلَمَرَادُ الْحَقِيقَةِ.  
[١] أَتَيْنَا هُنَا بِمِثَالَيْنِ:

المِثَالُ الْأَوَّلُ: فِي الْفِعْلِ، وَالْمِثَالُ الثَّانِي: فِي التَّرْكِ.

المِثَالُ الْأَوَّلُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ فَصَارَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» امْتِثَالًا

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب التسبيح والدعاء في السجود، رقم (٨١٧)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٤).



لِلْأَمْرِ؛ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ»، أَي: يَفْعَلُ مَا أَمَرَ بِهِ.

فَإِنْ قُلْتُ لَكَ: «أَقِمِ الصَّلَاةَ» فَلَمَّا جَاءَ الظُّهْرُ تَوَضَّأَتْ وَصَلَّيْتُ، فَإِنَّ هَذَا يُسَمَّى تَأْوِيلًا؛ لِأَنَّكَ فَعَلْتَ مَا أُخْبِرْتَ بِهِ.

وَهَذِهِ السُّورَةُ امْتَحَنَ بِهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، امْتَحَنَهُ فِيهَا، وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ صَغِيرَ السِّنِّ، حِينَ مَاتَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ حَوْلَ الْبُلُوغِ صَغِيرٌ، وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ تَوَسَّمَ فِيهِ الْعِلْمَ فَكَانَ يُخْرِجُهُ مَعَ كِبَارِ الصَّحَابَةِ، فَسَمِعَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: كَيْفَ يُخَضِّرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ابْنَ عَبَّاسٍ وَلَا يُخَضِّرُ أَبْنَاءَهُ وَهُمْ مِثْلُهُ أَوْ أَكْبَرُ.

فَجَمَعَهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝؟ قَالُوا: نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ إِذَا جَاءَ الْفَتْحُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهُ، وَيُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ، فَقَالَ: مَا تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: أَقُولُ: «إِنَّ هَذَا نَعْيُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»<sup>(١)</sup>، نَعْيُهُ، أَي: الْإِخْبَارُ بِقُرْبِ أَجَلِهِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾، فَقَدْ انْتَهَتْ مُهِمَّتُكَ فَاخْتِمَ عُمَرُكَ بِالتَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا فَهِمْتُ مِنْهَا إِلَّا مَا قَدْ فَهِمَ ابْنُ عَبَّاسٍ، الْفَهْمُ الْعَجِيبُ، وَهَذَا تَحْقِيقُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ».

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤٢٨).

والتأويل بهذا المعنى مجهول حتى يقع فيدرك واقعا<sup>[١]</sup>.

فأما قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]<sup>[٢]</sup>، .....

المثال الثاني: تقول: فلان لا يتعامل بالربا يتأول قول الله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ هذا مثال للتأويل الذي يراؤ به الترك، فلان لا يسرق، يتأول قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، هذا مثال للترك، فلان يخشع في صلاته يتأول قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ هذا للفعل.

[١] قوله: «التأويل بهذا المعنى مجهول حتى يقع فيدرك واقعا»: هذه العبارة قد يكون فيها بعض الإشكال: هل هو مجهول المعنى أم مجهول الحقيقة التي هو عليها؟ والجواب: مجهول الحقيقة، وكل يعرف معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ فسيح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا» [النصر: ١-٣]، لكن حقيقة هذا التسبيح والحمد لا نعرفها حتى تقع، فقولنا: «التأويل بهذا المعنى مجهول» أي: بهذا المعنى المشار إليه مجهول حتى يقع، أما من حيث المعنى فهو معلوم.

[٢] قوله: «فأما قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: إننا أتينا بهذه الآية مع أنها تقدمت قريبا لأجل ألا يمثل بها الإنسان على سبيل الإطلاق، لو أنك مثلت بهذه الآية للتأويل الذي بمعنى التفسير ولم تذكر شيئا سوى هذا؛ لقولنا: هذا غلط. ولو مثلت بها للتأويل الذي بمعنى الحقيقة ولم تذكر سوى ذلك؛ لقولنا: هذا غلط أيضا.

فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالتَّأْوِيلِ فِيهَا التَّفْسِيرَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ مَالُ الْكَلَامِ إِلَى حَقِيقَتِهِ بِنَاءً عَلَى الْوَقْفِ فِيهَا وَالْوَصْلِ، فَعَلَى قِرَاءَةِ الْوَقْفِ عِنْدَ قَوْلِهِ ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ يَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ مَالُ الْكَلَامِ إِلَى حَقِيقَتِهِ؛ لِأَنَّ حَقَائِقَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَعَلَى قِرَاءَةِ الْوَصْلِ يَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ التَّفْسِيرَ؛ لِأَنَّ تَفْسِيرَهُ مَعْلُومٌ لِلرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ فَلَا يَخْتَصُّ عِلْمُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

فَنَحْنُ نَعْلَمُ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ أَنَّهُ الْعُلُوُّ وَالْإِسْتِقْرَارُ، وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ الْمَعْلُومُ لَنَا، لَكِنَّا نَجْهَلُ كَيْفِيَّتَهُ وَحَقِيقَتَهُ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ الْمَجْهُولُ لَنَا، وَكَذَلِكَ نَعْلَمُ مَعَانِي مَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَنُمَيِّزُ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذِهِ الْمَعَانِي فَنَعْلَمُ مَعْنَى الْحَيَاةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَنَعْلَمُ أَنَّ الْحَيَاةَ لَيْسَتْ هِيَ الْعِلْمُ، وَأَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ هُوَ الْقُدْرَةُ، وَأَنَّ الْقُدْرَةَ لَيْسَتْ هِيَ السَّمْعُ، وَأَنَّ السَّمْعَ لَيْسَ هُوَ الْبَصَرُ، وَهَكَذَا بَقِيَّةُ الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ، لَكِنَّا نَجْهَلُ حَقَائِقَ هَذِهِ الْمَعَانِي وَكُنْهَهَا الَّذِي هِيَ عَلَيْهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَهَذَانِ الْمَعْنَيَانِ لِلتَّأْوِيلِ هُمَا الْمَعْنَيَانِ الْمَعْرُوفَانِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ السَّلَفِ<sup>[١]</sup>.

فَلِهَذَا: اخْذَرْنَا أَنْ تُثَمِّلَ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَّا مُقَيَّدَةً، فَتَقُولُ: هَذَا مِثَالٌ لِلتَّأْوِيلِ بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ عَلَى قِرَاءَةِ الْوَصْلِ، وَتَقُولُ: هَذَا تَأْوِيلٌ بِمَعْنَى الْحَقِيقَةِ عَلَى قِرَاءَةِ الْوَقْفِ.

[١] قَوْلُهُ: «فَنَحْنُ نَعْلَمُ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ أَنَّهُ الْعُلُوُّ وَالْإِسْتِقْرَارُ...»: ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي النُّوْبَةِ أَنَّهُ وَرَدَ عَنِ السَّلَفِ فِي تَفْسِيرِ اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ أَرْبَعَةُ مَعَانٍ:

١- العُلُوُّ. ٢- وَالْاِزْتِفَاعُ.

٣- وَالصُّعُودُ. ٤- وَالاسْتِقْرَارُ.

وَلَكِنْ نَحْنُ اقْتَصَرْنَا عَلَى مَعْنَيْنِ فَقَطْ:

١- العُلُوُّ. ٢- وَالاسْتِقْرَارُ.

لَأَنَّ الْاِزْتِفَاعَ وَالصُّعُودَ بِمَعْنَى الْعُلُوِّ، فَيُكْتَفَى بِهِ عَنْهُ، وَاخْتَرْنَا الْعُلُوَّ دُونَ الْاِزْتِفَاعِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِهِ، وَسَمَّى نَفْسَهُ بِـ(الْعِلِّيِّ) وَبِـ(الْأَعْلَى)، أَمَّا الْاِزْتِفَاعُ فَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ [غافر: ١٥]، بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رَجَّهَهُمُ اللَّهُ قَالَ: أَيْ رَافِعُ دَرَجَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ. وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ، بَلِ الصَّحِيحُ أَنَّ (رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ) هُوَ بِنَفْسِهِ عَزَّجَلَّ رَفِيعٌ يَعْنِي عَالِيًا.

إِذَنْ: فَالتَّعْرِيفُ فِي قَوْلِنَا: «التَّأْوِيلُ: صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَعْنَى يُخَالِفُ الظَّاهِرَ لِذَلِيلٍ يَقْتَضِيهِ، أَوْ عَنْ الْمَعْنَى الرَّاجِحِ إِلَى الْمَعْنَى الْمَرْجُوحِ لِذَلِيلٍ يَقْتَضِيهِ»، يَنْطَبِقُ عَلَى التَّأْوِيلِ الصَّحِيحِ وَالتَّأْوِيلِ غَيْرِ الصَّحِيحِ.

وَلَكِنَّ هَذَا الدَّلِيلَ الَّذِي ادَّعَاهُ مَنْ صَرَفَ اللَّفْظَ عَنْ ظَاهِرِهِ هُوَ الَّذِي يُبْحَثُ فِيهِ، فَمَثَلًا الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْمُرَادَ بِالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، أَيْ: الْاِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهِ، يَقُولُونَ: عِنْدَنَا دَلِيلٌ، وَهُوَ أَنَّ الْاِسْتِوَاءَ الْحَسْبِي بِمَعْنَى الْعُلُوِّ أَوْ الْاِسْتِقْرَارِ، وَالْعُلُوِّ وَالِاِسْتِقْرَارُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْأَجْسَامِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ بِجِسْمٍ فَيَجِبُ أَنْ نَجْعَلَ مَعْنَى الْاِسْتِوَاءِ الْاِسْتِيْلَاءَ، هَذَا دَلِيلُهُمْ!

المَعْنَى الثَّالِثُ لِلتَّأْوِيلِ: صَرَفُ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى الرَّاجِحِ إِلَى الْمَعْنَى الْمَرْجُوحِ  
لِدَلِيلٍ يَقْتَضِيهِ، وَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ: صَرَفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَعْنَى يُخَالِفُ الظَّاهِرَ  
لِدَلِيلٍ يَقْتَضِيهِ<sup>[١]</sup>.

وَهَذَا اضْطِلَاحٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي الْفِقْهِ وَأُصُولِهِ، وَهُوَ  
الَّذِي عَنْهُ أَكْثَرُ مَنْ تَكَلَّمَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي تَأْوِيلِ نُصُوصِ الصِّفَاتِ، وَهَلْ هُوَ  
مَحْمُودٌ أَوْ مَذْمُومٌ؟ وَهَلْ هُوَ حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ؟<sup>[٢]</sup>

وَدَلِيلُهُمْ هَذَا دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ، وَلَكِنْ سَبَقَ لَنَا أَنْ الْعَقْلَ لَا مَجَالَ لَهُ فِي بَابِ الصِّفَاتِ؛  
لِأَنَّهَا خَبَرٌ مُحْضٌ عَنْ شَيْءٍ لَا نَظِيرَ لَهُ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَهَا الْعَقْلُ؛ إِذْ إِنَّ الْعَقْلَ إِنَّمَا لَهُ  
تَدْخُلٌ فِي الْأُمُورِ الْقِيَاسِيَّةِ الَّتِي لَهَا نَظَائِرٌ، الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَلْحَقَ الْغَائِبُ فِيهَا بِالْحَاضِرِ.  
وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: التَّأْوِيلُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ لَيْسَ بِمَذْمُومٍ، فَتَقُولُ: بَلْ هُوَ مَذْمُومٌ،  
فَإِذَا كَانَ الدَّلِيلُ غَيْرَ صَحِيحٍ فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ هَذَا التَّأْوِيلُ؛ لِأَنَّهُ تَحْرِيفٌ، وَإِذَا كَانَ  
صَحِيحًا فَإِنَّهُ بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ فَتَقْبَلُهُ، فَالتَّأْوِيلُ بِهَذَا الْمَعْنَى لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مَذْمُومًا  
عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّهُ مَقْبُولٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ، بَلْ فِي ذَلِكَ تَفْصِيلٌ.

[١] كَلِمَةٌ (إِنْ شِئْتَ) الْمَعْنَى أَنَّكَ إِنْ شِئْتَ عَرَفْتَهُ بِالْأَوَّلِ، وَإِنْ شِئْتَ عَرَفْتَهُ  
بِالثَّانِي؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَالْمَقْصُودُ أَنْ يَصْرَفَ اللَّفْظُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَعْنَى آخَرَ  
يُخَالِفُ الظَّاهِرَ، لَكِنْ بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ لَهُ دَلِيلٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ دَلِيلٌ فَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَلَا  
يُسَمَّى تَأْوِيلًا، فَلَا بُدَّ مِنْ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى صَرَفِ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ.

[٢] نَقُولُ لِمَنْ تَكَلَّمَ بِذَلِكَ: مَا تَقُولُ بِالتَّأْوِيلِ بِهَذَا الْمَعْنَى؟ أَهُوَ حَقٌّ أَمْ بَاطِلٌ أَمْ

مَحْمُودٌ أَمْ مَذْمُومٌ؟

وَالْتَحْقِيقُ: أَنَّهُ إِنْ دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ صَحِيحٌ فَهُوَ حَقٌّ مُحْمُودٌ يُعْمَلُ بِهِ، وَيَكُونُ مِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ لِلتَّأْوِيلِ وَهُوَ التَّفْسِيرُ؛ لِأَنَّ تَفْسِيرَ الْكَلَامِ تَأْوِيلُهُ إِلَى مَا أَرَادَهُ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ، سَوَاءً كَانَ عَلَى ظَاهِرِهِ، أَمْ عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهِ مَا دُمْنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ مُرَادُ الْمُتَكَلِّمِ<sup>[١]</sup>.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ حَقٌّ. أَخْطَأْتُ، وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ بَاطِلٌ. أَخْطَأْتُ، وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ مُحْمُودٌ. أَخْطَأْتُ، وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ مَذْمُومٌ. أَخْطَأْتُ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَالْتَحْقِيقُ: أَنَّهُ إِنْ دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ صَحِيحٌ فَهُوَ حَقٌّ مُحْمُودٌ يُعْمَلُ بِهِ..»: إِنْ دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ صَحِيحٌ فَهُوَ حَقٌّ مُحْمُودٌ، وَيَكُونُ مِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ (التَّفْسِيرُ)؛ لِأَنَّ تَفْسِيرَ الْكَلَامِ أَيُّ تَأْوِيلُهُ إِلَى مَا أَرَادَهُ الْمُتَكَلِّمُ، سَوَاءً كَانَ عَلَى ظَاهِرِهِ أَوْ عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهِ، لَكِنْ بِشَرَطِ أَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ الْمُتَكَلَّمَ أَرَادَ خِلَافَ الظَّاهِرِ، وَلِهَذَا قَالَ: «مَا دُمْنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ» أَيُّ خِلَافِ الظَّاهِرِ (مُرَادُ الْمُتَكَلَّمَ).

وَعَلَى هَذَا تَخَلَّصَ مِنْ بَعْضِ النُّصُوصِ الَّتِي أَلَزَمْنَا بِهَا أَهْلَ التَّخْرِيفِ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّكُمْ أَخْرَجْتُمُوهَا عَنْ ظَاهِرِهَا؛ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، هُمْ يَقُولُونَ: أَنْتُمْ خَرَجْتُمْ بِهِذِهِ الْآيَةِ عَنِ الظَّاهِرِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ نَقُولَ:

أَوَّلًا: نَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرَ الْآيَةِ مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ أَنَّ السَّفِينَةَ تَجْرِي فِي نَفْسِ عَيْنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَعَلَى تَقْدِيرِ أَنَّ هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ، فَإِنَّ هُنَاكَ مَا يَمْنَعُهُ مِنْهَا وَهُوَ أَنَّ السَّفِينَةَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَدْخُلُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ السَّفِينَةُ مَصْنُوعَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَجَرَتْ فِي الْأَرْضِ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّهَا جَرَتْ بِعَيْنِ اللَّهِ؟ فَيَكُونُ عَدُولُنَا عَنِ الظَّاهِرِ الْمَزْعُومِ لِذَلِيلٍ.

مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ عِبَادَهُ بِإِتْيَانِ أَمْرِهِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَلَيْسَ يُخْبِرُهُمْ بِأَمْرِ أَتَى وَانْقَضَى بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾<sup>[١]</sup>.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، فَإِنَّ ظَاهِرَ اللَّفْظِ إِذَا فَرَعْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ، وَالْمُرَادُ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقْرَأَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسْتَعِذُّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ لَا إِذَا فَرَعَ مِنَ الْقِرَاءَةِ<sup>[٢]</sup>.

نَقُولُ عَنِ الظَّاهِرِ الْمَزْعُومِ -أَيِ إِنْ سَلَمْنَا لَهُمْ جَدَلًا أَنَّ هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ-، نَقُولُ: عِنْدَنَا دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَى مَنْعِهِ، وَحِينَئِذٍ إِذَا فَسَّرْنَاهُ بِأَنَّهَا تَجْرِي وَنَحْنُ نَرَاهَا بِأَعْيُنِنَا وَنَحْنُ نَكَلِّهَا وَنَحْفَظُهَا؛ صَارَ هَذَا تَفْسِيرًا لِلآيَةِ، وَلَيْسَ هُوَ التَّخْرِيفَ الَّذِي يَمْشُونَ عَلَيْهِ.

[١] لَوْ قَالَ قَائِلٌ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ مَا نَقُولُ فِي ظَاهِرِهَا؟ فَقِيلَ: إِنَّهُ أَتَى وَانْقَضَى؛ لِأَنَّ أَتَى فِعْلٌ مَاضٍ.

فَنَقُولُ: لَا، لَيْسَ هَذَا هُوَ مَعْنَاهَا، بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُ قَرُبَ إِتْيَانُهُ.

فَإِذَا قَالَ: هَذَا إِخْرَاجٌ لِلْكَلَامِ عَنِ ظَاهِرِهِ؟

فَنَقُولُ: عِنْدَنَا دَلِيلٌ يَقْتَضِي هَذَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ، فَإِذَا كَانَ فِي النَّصِّ دَلِيلٌ مُتَّصِلٌ أَوْ مُتَفَصِّلٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ خِلَافَ الظَّاهِرِ، فَإِنْ حَمَلْنَا الْكَلَامَ عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهِ يَكُونُ تَأْوِيلًا صَحِيحًا، بَلْ نَجْعَلُهُ مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ التَّفْسِيرُ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ

الرَّجِيمِ﴾...»: هَذَا الدَّلِيلُ عَلَى صَرَفِ اللَّفْظِ عَنِ ظَاهِرِهِ مُتَفَصِّلٌ، وَفِي الْآيَةِ الْأُولَى

مُتَّصِلٌ، وَالِدَلِيلُ هُوَ فِعْلُ الرَّسُولِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَلَيْسَ إِذَا فَرَّغَ مِنَ الْقِرَاءَةِ.

فَالِدَلِيلُ الصَّارِفُ عَنِ الظَّاهِرِ:

١- إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا، كَمَا فِي الْآيَةِ الْأُولَى.

٢- وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُنْفَصِلًا، كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

إِذَنْ: لَا بُدَّ أَنْ يُؤَوَّلَ فَيَقَالَ: (إِذَا قَرَأْتَ)، أَي: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقْرَأَ، وَالِدَلِيلُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَسَّرَ هَذِهِ الْآيَةَ بِفِعْلِهِ، حَيْثُ كَانَ يَتَعَوَّذُ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ<sup>(١)</sup>.

وَلِهَذَا لَوْ سَمِعْنَا أَحَدًا قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَلَمَّا انْتَهَى مِنَ الْقِرَاءَةِ قَالَ: (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)، فَهَلْ أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ؟

الْجَوَابُ: أَخْطَأَ! وَلَوْ قَالَ: أَنَا مُتَّبِعٌ لظَاهِرِ الْقُرْآنِ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾، نَقُولُ لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْلَمَ مِنْكَ بِمُرَادِ اللَّهِ، وَقَدْ كَانَ يَسْتَعِذُّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ، وَلَيْسَ بَعْدَ أَنْ قَرَأَ، فَيَكُونُ فِعْلُ النَّبِيِّ ﷺ تَفْسِيرًا لِلآيَاتِ.

وَكَانَ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءُ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»<sup>(٢)</sup>، أَي: إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ؛ لِأَنَّا نَعْلَمُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَجْعَلَ الدُّعَاءَ فِي هَذَا الْمَحَلِّ الْقَدِيرِ، بَلْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ مُبَاشَرَةً.

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٨٥ رقم ١٦٨٣٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب ما يقول عند الخلاء، رقم (١٤٢)، ومسلم: كتاب الحيض، باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء، رقم (٣٧٥).



وَإِنْ لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ صَحِيحٌ كَانَ بَاطِلًا مَذْمُومًا، وَجَدِيرًا بِأَنْ يُسَمَّى  
تَحْرِيفًا لَا تَأْوِيلًا<sup>[١]</sup>.

وَإِذَا خَرَجَ قَالَ: «غُفْرَانُكَ»، خَرَجَ؛ أَي: خَرَجَ فِعْلًا؛ لِأَنَّ «غُفْرَانُكَ» دُعَاءٌ  
تَسْأَلُ اللَّهَ بِهِ الْمَغْفِرَةَ، فَأَنْتَ لَا تَسْأَلُ وَأَنْتَ فِي وَسْطِ الْحَلَاءِ.

فَإِنْ قِيلَ: وَمَا مُنَاسَبَةُ هَذَا الذِّكْرَ لِلخُرُوجِ مِنَ الْحَلَاءِ؟

فالجواب: الْمُنَاسَبَةُ أَنَّكَ لَمَّا تَخَلَّيْتَ مِنَ الْأَذَى الْحِسِّيِّ الْجَسْمِيِّ؛ اسْتَذَكَّرْتَ أَنَّ  
هُنَاكَ أَذَى آخَرَ، وَهُوَ أَذَى الذُّنُوبِ وَثَقَلَ الذُّنُوبُ، فَتَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَكَ.

[١] قَوْلُهُ: «وَجَدِيرٌ بِأَنْ يُسَمَّى تَحْرِيفًا»: أَهْلُ التَّأْوِيلِ الَّذِينَ يُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ  
أَهْلَ التَّأْوِيلِ: لَا يُطْلَقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَهْلَ تَحْرِيفٍ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ قَالُوا: حَرَفْنَا؛ لَفَرَّ النَّاسُ  
مِنْهُمْ، وَكَانُوا أَقْرَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَمَّ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ  
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ  
يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥].

لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ نَقُولُ: إِنَّ التَّحْرِيفَ وَضْفٌ يَصْدُقُ عَلَيْكُمْ تَمَامًا، شِئْتُمْ أَمْ أَيْتُمْ؛  
لِأَنَّ التَّحْرِيفَ تَفْعِيلٌ مَأْخُودٌ مِنَ الْحَرْفِ، وَحَرْفُ الشَّيْءِ تَغْيِيرٌ لِمَسَارِهِ عَنْ وَجْهِهِ،  
وَأَنْتُمْ إِذَا جَعَلْتُمْ الْآيَةَ دَالَّةً عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهَا بِدُونِ مَعْنَى يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ  
خِلَافَ الظَّاهِرِ فَقَدْ حَرَفْتُمُوهُ؛ فَأَتَوْا لَنَا بِدَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَإِلَّا فَلَا قَبُولَ، وَلِهَذَا  
كُلُّ إِنْسَانٍ يَدَّعِي خِلَافَ الظَّاهِرِ يُطَالَبُ بِأُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: يُطَالَبُ بِدَلِيلٍ يَمْنَعُ إِرَادَةَ الظَّاهِرِ، فَإِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ، فَقَوْلُهُ مَرْدُودٌ

أَصْلًا.

الثاني: أَنْ يَأْتِيَ بِدَلِيلٍ عَلَى أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، يَحْتَمِلُ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ، فَإِنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ فَقَوْلُهُ مَرْدُودٌ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ، فَإِذَا كَانَ هَذَا اللَّفْظُ سَوَاءً كَانَ مُفْرَدًا أَوْ مَرْكَبًا لَا يَأْتِي بِهِ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ادَّعَاهُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَقَوْلُهُ مَرْدُودٌ.

الثالث: أَنْ يَأْتِيَ بِدَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَحْتَمِلُهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ الْمُعَيَّن.

وَهَلْ بَيْنَ هَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ فَرْقٌ؟

الجواب: نَعَمْ، وَذَلِكَ مِنْ وَجْهِ:

١- أَنْ يَأْتِيَ بِدَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى هَذَا اللَّفْظِ يَحْتَمِلُ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ.

٢- أَنْ يَأْتِيَ بِدَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَحْتَمِلُ هَذَا الْمَعْنَى فِي هَذَا السِّيَاقِ الْمُعَيَّن؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ قَدْ يَحْتَمِلُ مَعْنَى فِي سِيَاقٍ، وَلَا يَحْتَمِلُهُ فِي سِيَاقٍ آخَرَ، فَيَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ.

الرابع: أَنْ يَأْتِيَ بِدَلِيلٍ يُعَيِّنُ هَذَا الْمَعْنَى فِي هَذَا السِّيَاقِ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى مُحْتَمَلًا فِي هَذَا السِّيَاقِ، وَيَكُونُ مَعْنَى آخَرُ يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ أَيْضًا، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ إِذَا وَجَدَ الْاِحْتِمَالُ سَقَطَ الْاِسْتِدْلَالُ.

نَقُولُ: هَاتِ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْتَهُ هُوَ الْمُتَعَيَّنُ فِي هَذَا السِّيَاقِ، بِحَيْثُ لَا يَحْتَمِلُ مَعْنَى آخَرَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمُتَعَيَّنُ صَارَ اللَّفْظُ مُحْتَمَلًا لِمَعْنَى آخَرَ، وَإِذَا احْتَمَلَ اللَّفْظُ مَعْنَيْنِ فَأَكْثَرُ بَطَلِ الْاِسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَى أَحَدِ الْمَعَانِي إِلَّا بِدَلِيلٍ.

مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فَإِنَّ ظَاهِرَهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَا عَلَى الْعَرْشِ<sup>[١]</sup> عُلُوءًا خَاصًّا<sup>[٢]</sup> يَلِيْقُ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ. فَتَأْوِيلُهُ إِلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: اسْتَوَى وَمَلَكَ، تَأْوِيلٌ بَاطِلٌ مَذْمُومٌ، وَتَحْرِيفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ صَحِيحٌ.

[١] (عَلَا عَلَى الْعَرْشِ)، (عَلَا) الْأَوَّلَى تُكْتَبُ عَلَى أَلِفٍ، وَ(عَلَى) الثَّانِيَةُ، تُكْتَبُ عَلَى يَاءٍ، وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ إِمْلَائِيَّةٌ، فـ(عَلَا) الْأَوَّلَى فِعْلٌ، وَ(عَلَى) الثَّانِيَةُ حَرْفٌ. فَإِنْ سَأَلَ سَائِلٌ: هَلْ كُلُّ فِعْلٍ آخِرُهُ أَلِفٌ يُكْتَبُ بِالْيَاءِ؟

فَالْجَوَابُ: الْفِعْلُ إِذَا كَانَ ثَلَاثِيًّا آخِرُهُ أَلِفٌ إِنْ كَانَ أَصْلُهَا الْيَاءُ، كُتِبَ بِالْيَاءِ، إِنْ كَانَ أَصْلُهَا الْوَاوُ كُتِبَ بِالْأَلِفِ.

مِثَالُ: (رَمَى) تُكْتَبُ بِالْيَاءِ؛ لِأَنَّ أَصْلَهَا يَاءٌ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَصْلَهَا يَاءٌ أَنَّكَ إِذَا قَرَنْتَ مَعَهَا (تَاءَ الْفَاعِلِ) انْقَلَبَتْ يَاءٌ، فَتَقُولُ: (رَمَيْتُ).

وَإِذَا كَانَ الْأَلِفُ أَصْلَهَا (وَإِوَاوُ) تُكْتَبُ بِالْأَلِفِ، تَقُولُ: (عَلَا) بِالْأَلِفِ؛ لِأَنَّ الْأَلِفَ أَصْلَهَا (وَإِوَاوُ)، وَالِدَّلِيلُ: اقْرَأْ بِهَا (تَاءَ الْفَاعِلِ) فَتَقُولُ: (عَلَوْتُ).

و(بَرَى) بِالْيَاءِ؛ لِأَنَّ أَصْلَهَا (يَاءٌ)، فَأَنْتَ تَقُولُ: (رَأَيْتُ)، وَعَلَى هَذَا الْبَقِيَّةُ.

[٢] قَوْلُهُ: «عُلُوءًا خَاصًّا» كَلِمَةٌ (خَاصٌ) تُخْرِجُ الْعُلُوءَ الْعَامَ؛ لِأَنَّ الْعُلُوءَ بِالْمَعْنَى الْعَامِ شَامِلٌ لِحَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِلِّيٌّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَكِنَّ اسْتِوَاءَهُ عَلَى الْعَرْشِ عُلُوءًا خَاصًّا بِالْعَرْشِ.

مَسْأَلَةٌ: هَلْ نَقُولُ بِمُمَاسَّةٍ أَوْ بِدُونِ مُمَاسَّةٍ؟

الجواب: لَا نَقُولُ بِمُحَاسَنَةٍ وَلَا بِغَيْرِ مُحَاسَنَةٍ:

أولاً: لِأَنَّ هَذَا قَوْلٌ لَمْ يَقُلْهُ السَّلَفُ.

ثانياً: هَذَا مِنَ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ.

ثالثاً: أَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّنَطُّعِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»<sup>(١)</sup> فَقِفْ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ النَّصُّ وَتَأَدَّبْ مَعَ اللَّهِ.

مسألة: وَهَلْ نَقُولُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ بِذَاتِهِ؟

الجواب: الْوَاجِبُ أَلَّا نَقُولَ؛ لِأَنَّ كُلَّ فِعْلِ أَضَافَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ إِلَيْهِ ذَاتُهُ لَا إِلَى أَمْرٍ خَارِجٍ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أَيُّ: ذَاتِ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، أَيُّ: اللَّهُ ذَاتُهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ، فَكُلُّ فِعْلِ أَضَافَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ فَهُوَ لِنَفْسِهِ، كَمَا أَنَّ كُلَّ وَصْفٍ أَضَافَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ فَهُوَ لِنَفْسِهِ لَا يَتَجَاوَزُهُ فَلَا حَاجَةَ أَنْ نَقُولَ: اسْتَوَى بِذَاتِهِ.

إِذَنْ نَقُولُ: خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِذَاتِهِ، لَكِنَّهَا جَاءَتْ فِي كَلَامِ السَّلَفِ لِسَبَبٍ، وَهُوَ أَنَّ أَهْلَ التَّحْرِيفِ لَمْ يُبَيِّنُوا ذَلِكَ، بَلْ قَالُوا: اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوَى، فَجَعَلُوا لِلْإِسْتِوَاءِ مَعْنَى لَا ذَاتًا، يَعْنِي جَعَلُوهُ عَايِدَ الْوَصْفِ لَا لِذَاتِهِ، فَاضْطَرَّ السَّلَفُ إِلَى أَنْ يَقُولُوا: اسْتَوَى بِذَاتِهِ. دَفَعًا لِمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُحَرِّفُونَ.

كَمَا قَالَ السَّلَفُ: يَنْزِلُ بِذَاتِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُمْ يُجَادِلُونَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الَّذِي نَزَلَ أَمْرُهُ أَوْ رَحْمَتُهُ أَوْ مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، فَأَرَادُوا بِذَلِكَ التَّحْقِيقَ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٢٦٧٠).

كَمَا قَالُوا: أَيْضًا فِي الْقُرْآنِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلِمَاذَا قَالُوا (غَيْرُ مَخْلُوقٍ)، مَعَ أَنَّهَا مَا جَاءَتْ صَرِيحَةً فِي الْقُرْآنِ؟

الْجَوَابُ: ذُكِرَتْ لِلرَّدِّ عَلَى مَنْ قَالُوا: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ، قَالُوا: نَعَمْ، هُوَ مُنَزَّلٌ، وَلَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا﴾ [ق: ٩]، وَكَمَا قَالَ: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الأنعام: ٩٩]، وَكَمَا قَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، كُلُّ هَذِهِ مَخْلُوقَاتٍ وَهِيَ مُنَزَّلَةٌ، فَاضْطَرَّ السَّلَفُ إِلَى أَنْ يَقُولُوا: غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَلَا فَإِنَّ فِي الْقُرْآنِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فَإِذَا كَانَ الْوَحْيُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَكَانَ قَسِيمًا لِلْخَلْقِ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّ قَسِيمَ الشَّيْءِ مُبَايِنٌ لَهُ وَمَقَابِلٌ لَهُ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا. لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ إِنَّمَا اخْتِاجُوا إِلَى التَّصْرِيحِ بِهَا مِنْ أَجْلِ دَفْعِ قَوْلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ الاسْتِثْوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ إِذَا كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي وَسْطِ لَمْ يَطْرَأْ عَلَى بَالِهِمْ بِأَنَّ (اسْتَوَى) بِمَعْنَى (اسْتَوَى)؛ فَلَا حَاجَةَ أَنْ نَقُولَ: اسْتَوَى بِذَاتِهِ، بَلْ نَقُولَ: اسْتَوَى اللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتِثْوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ.

وَإِذَا كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي وَسْطٍ قَدْ شَاعَ فِيهِ أَنَّ اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوَى، فَلَا بُدَّ أَنْ نَقُولَ: (بِذَاتِهِ) حَتَّى لَا يَتَوَهَّمُ أَنَّ الاسْتِثْوَاءَ بِمَعْنَى الاسْتِثْلَاءِ، فَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٍ.

مَسْأَلَةٌ: الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ مَعِيَ اللَّهِ حَقِيقَةً، فَمَا مَعْنَى ذَلِكَ؟

الْجَوَابُ: الَّذِي يَظْهَرُ لِي مِنْ كَلَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» أَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ نَجْعَلَ الْمَعِيَّةَ بِمَعْنَى الْعِلْمِ فَقَطْ؛ لَأَنَّهَا أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: هُوَ مَعَنَا حَقِيقَةً وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ.

فَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ لَا نَمْلِكُ أَنْ نَقُولَ: هُوَ مَعَنَا بِذَاتِهِ أَوْ مَعِيَّةَ ذَاتِيَّةٍ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَفْهَمُونَ مِنَ الْمَعِيَّةِ إِلَّا الْاِخْتِلَاطَ وَالْحُلُولَ، وَهَذَا مُشْكَلٌ، فَإِنَّكَ لَنْ تُحَدِّثَ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ، وَهَذَا يَنْبَغِي إِذَا كُنَّا نَتَكَلَّمُ عِنْدَ الْعَامَّةِ أَنْ نَقُولَ: وَهُوَ مَعَهُمْ يَعْلَمُهُمْ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، وَيَرَى أَفْعَالَهُمْ، وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ.

وَالْأَمْرُ فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ مِثْلَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُضِيفُهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ، تَبْقَى عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَيُقَالُ: إِنَّ مِنْ مُقْتَضِيَّاتِهَا الْعِلْمَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالسُّلْطَانَ وَالتَّذْيِيرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

فَاللَّهُ مَعْنَاهُ حَقِيقَةً وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ وَلَا مَانِعَ، فَهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ وَهِيَ فِي السَّمَاءِ كَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَهِيَ فِي السَّمَاءِ، وَيُقَالُ: الرَّجُلُ زَوْجَتُهُ مَعَهُ، وَهِيَ فِي الشَّرْقِ وَهُوَ فِي الْغَرْبِ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ الْمَعِيَّةَ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى مُطْلَقِ الْمَصَاحِبَةِ فَقَطْ، ثُمَّ هِيَ بِحَسَبِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ، فَإِذَا قُلْتَ: اللَّبَنُ مَعَ الْمَاءِ فِي الْإِنَاءِ، تُفِيدُ الْمَازَجَةَ وَالْمُخَالَطَةَ، وَإِذَا قُلْتَ: الزَّوْجَةُ مَعَ زَوْجِهَا. لَا تَقْتَضِي الْمَخَالَطَةَ وَلَا الْمَازَجَةَ، لَكِنْ تَقْتَضِي مُطْلَقَ الْمُقَارَنَةِ وَالْمَصَاحِبَةِ، ثُمَّ قَدْ تَكُونُ مَعَهُ فِي الْمَكَانِ، وَقَدْ تَكُونُ فِي مَكَانٍ آخَرَ، وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُ مَعَ الْخَلْقِ. فَإِنَّهُ لَا يَلْزُمُ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْخَلْقِ فِي أَمَاكِينِهِمْ، فَهَذَا مُمْتَنِعٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ.

وَبُطْلَانُ قَوْلِ الَّذِينَ قَالُوا بِالْحُلُولِ، هَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالْعَقْلِ وَالسَّمْعِ، وَأَنَّ الْقَوْلَ بِالْحُلُولِ يَلْزَمُ مِنْهُ أَحَدُ أَمْرَيْنِ وَلَا بُدَّ:

١ - إِمَّا التَّعَدُّ.

٢ - وَإِمَّا التَّجْزُءَ.

وَكَلَاهُمَا مُتَمَتِّعٌ، وَقَدْ صَرَّحَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصَّوَاعِقِ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَرِيبٌ بِذَاتِهِ مِنْ خَلْقِهِ، لَكِنْ هُوَ فِي السَّمَاءِ»، وَكَذَلِكَ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ: «هُوَ قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ، بَعِيدٌ فِي دُنُوِّهِ».

قَاعِدَةٌ: إِذَا جَاءَتِ النُّصُوصُ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى، وَلَمْ يَرِدْ عَنِ السَّلَفِ خِلَافُهَا؛ فَقَطَعْنَا أَنَّ السَّلَفَ مُعْتَبَرَيْنِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الظَّاهِرُ.

هَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ وَلَا حَاجَةَ أَنْ نَقُولَ: لَا بُدَّ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ قَالَ بِلَفْظِهِ هَذَا الْمَعْنَى، كَمَا أَنَّهُ إِذَا وَرَدَتِ النُّصُوصُ الْعَمَلِيَّةُ بِشَيْءٍ، فَالْقَاعِدَةُ أَنَّ السَّلَفَ عَمِلُوا بِهِ، وَلَا نَحْتَاجُ أَنْ نُقِيمَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ السَّلَفَ عَمِلُوا بِمُقْتَضَى هَذَا الْحَدِيثِ، أَوْ بِمُقْتَضَى هَذِهِ الْآيَةِ، فَلَا حَاجَةَ لِذِكْرِ أُدْلَةٍ عَلَى أَنَّ السَّلَفَ عَمِلُوا بِذَلِكَ:

أَوَّلًا: أَنَّ النُّصُوصَ نَفْسَهَا أُدْلَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهَا، لَا يُحْتَاجُ إِلَى تَأْيِيدِهَا بِالْعَمَلِ.

ثَانِيًا: أَنَّ الْأَصْلَ أَنَّ السَّلَفَ فَهَمُوا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَعَمِلُوا بِهَا.

وَلَوْ قَالَ لَكَ قَائِلٌ: هَاتِ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ السَّلَفَ عَمِلُوا بِهَذَا الْعَمَلِ الَّذِي عَمِلَهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي الصِّيَامِ أَوْ فِي غَيْرِهِ.

قَدْ لَا يَتَيَسَّرُ لَكَ أَنَّهُمْ عَمِلُوا بِهِ، فَكَذَلِكَ الْأُمُورُ الْعِلْمِيَّةُ الْحَبْرِيَّةُ الْأَصْلُ فِيهَا أَنَّهُمْ قَبِلُوهَا وَآمَنُوا بِهَا وَاعْتَقَدُوهَا عَلَى ظَاهِرِهَا.

وَلَكِنْ أَنَا أَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ، أَنَّ السَّلَفَ لَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، عَلِمُوا أَنَّ الَّذِي اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ هُوَ الَّذِي مَعَنَا، لَكِنْ يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْمَعِيَّةَ لَا تُنَافِي اسْتِوَاءَهُ عَلَى عَرْشِهِ، بَلْ هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ وَهُوَ مَعَهُمْ، أَخَذُوهَا عَلَى ظَاهِرِهَا.

مَسْأَلَةٌ: هَلْ يُمَكِّنُ حَضْرُ الْمَعِيَّةِ بِالْعِلْمِ وَالْإِحَاطَةِ؟

الْجَوَابُ: لَا يُمَكِّنُ حَضْرُهَا، فَهُوَ مَعَهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَسَمْعًا وَبَصَرًا وَقُدْرَةً وَسُلْطَانًا وَتَذْيِيرًا وَرَحْمَةً وَغَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ الْمَعِيَّةَ الْخَاصَّةَ لَا تَكُونُ مُقْتَضِيَاتِهَا كَالْمَعِيَّةِ الْعَامَّةِ.





## فصل

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ مُحْكَمٌ، وَبِأَنَّهُ مُتَشَابِهٌ، وَبِأَنَّهُ بَعْضُهُ مُحْكَمٌ وَبَعْضُهُ مُتَشَابِهٌ<sup>[١]</sup>.

فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يُونُس: ١].

وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزُّمَر: ٢٣].

وَالثَّلَاثُ كَقَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ

وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧]<sup>[٢]</sup>.

[١] هَذَا الْبَحْثُ فِي الْوَاقِعِ اسْتِطْرَادٌ لَيْسَ أَصِيلًا فِي الْمَوْضُوعِ، أَيُّ: فِي الْعَقِيدَةِ،

لَكِنَّهُ اسْتِطْرَادٌ لَمَّا ذَكَرْنَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ إِلَى آخِرِهِ، ذَكَرَ هَذَا التَّقْدِيمُ اسْتِطْرَادًا لَكِنْ لَا بُدَّ مِنْهُ.

[٢] فَالْأَوَّلُ: وَصَفَ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ مُحْكَمٌ كُلُّهُ.

وَالثَّانِي: بِأَنَّهُ مُتَشَابِهٌ كُلُّهُ.

وَالثَّلَاثُ: بِأَنَّهُ بَعْضُهُ مُحْكَمٌ وَبَعْضُهُ مُتَشَابِهٌ.

وَلَا يَخْفَى عَلَيْنَا صِدْقُ هَذَا الْحُكْمِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كُلُّهُ مُحْكَمٌ، وَبِأَنَّهُ كُلُّهُ مُتَشَابِهٌ، وَبِأَنَّهُ

بَعْضُهُ مُحْكَمٌ وَبَعْضُهُ مُتَشَابِهٌ؛ لِأَنَّ الْآيَاتِ سَيِّقَتْ وَاضِحَةً، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ

الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يُونُس: ١]، وَالْحَكِيمُ بِمَعْنَى الْمَحْكَمِ، وَبِمَعْنَى الْحَاكِمِ أَيْضًا؛ لِأَنَّ (فَعِيلًا)

تَصْلَحُ لِاسْمِ الْفَاعِلِ، وَاسْمِ الْمَفْعُولِ، فَيُقَالُ: سَمِعْتُ بِمَعْنَى سَامِعٌ، وَيُقَالُ: جَرِيعٌ بِمَعْنَى

مَجْرُوحٌ، فَـ(فَعِيلٌ) تَصْلُحُ هَذَا وَهَذَا، فَيَكُونُ حَكِيمًا بِمَعْنَى: الْمُحْكَمُ وَبِمَعْنَى الْحَاكِمِ، وَالْقُرْآنُ كَذَلِكَ مُحْكَمٌ حَاكِمٌ.

وَالثَّانِي: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، وَهَذَا الْوَصْفُ لَا يَنْطَبِقُ إِلَّا عَلَى الْقُرْآنِ، فَاللَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَنَزَلَ الْقُرْآنَ، وَالْقُرْآنُ هُوَ أَحْسَنُ الْكُتُبِ، فَهَذَا الْوَصْفُ يَنْطَبِقُ عَلَى الْقُرْآنِ فَيَكُونُ كُلُّهُ مُتَشَابِهًا.

وَالثَّلَاثُ: الَّذِي بَعْضٌ وَبَعْضٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

قَوْلُهُ: ﴿مِنْهُ﴾ أَيُّ بَعْضُهُ، وَعَلَامَةٌ (مِنْ) التَّبْعِيضِيَّةِ أَنْ يَحِلَّ مَحَلَّهَا «بَعْضٌ»، مِثْلَ (أَلِ) الْاسْتِغْرَاقِيَّةِ أَنْ يَحِلَّ مَحَلَّهَا «كُلٌّ».

﴿مِنْهُ﴾: أَيُّ بَعْضُهُ ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ وَهُنَا جَاءَتْ جَمْلَةٌ ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قَبْلَ ذِكْرِ الْقَسِيمِ الَّذِي هُوَ: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾؛ لِأَجْلِ أَنْ يُبَادِرَ الْإِنْسَانُ عِنْدَ التَّشَابُهِ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْأُمِّ، وَالْأُمُّ هُنَا بِمَعْنَى الْمَرْجِعِ، يَعْنِي هُنَّ مَرْجِعُ الْكِتَابِ، أَيُّ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تُرَدَّ الْمُتَشَابِهَةُ إِلَى الْمُحْكَمِ، وَإِذَا رَدَدْتَ الْمُتَشَابِهَةَ إِلَى الْمُحْكَمِ صَارَ الْكُلُّ مُحْكَمًا، وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ طَرِيقُ النَّاسِ فِي هَذَا الْمُتَشَابِهِ، وَأَتَتْهُمْ انْقَسَمُوا فِيهِ إِلَى قِسْمَيْنِ:

١- قَسَمٌ رَدَّ الْمُتَشَابِهَةَ إِلَى الْمُحْكَمِ.

٢- وَقَسَمٌ رَدَّ الْمُحْكَمَ إِلَى الْمُتَشَابِهِ.

فَالْإِحْكَامُ الَّذِي وُصِفَ بِهِ جَمِيعُ الْقُرْآنِ هُوَ: الْإِتْقَانُ وَالْجُودَةُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، فَالْقَاطُ الْقُرْآنِ كُلُّهُ فِي أَكْمَلِ الْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَمَعَانِيهِ أَكْمَلُ الْمَعَانِي وَأَجْلُّهَا وَأَنْفَعُهَا لِلْخَلْقِ حَيْثُ تَتَضَمَّنُ كَمَالَ الصِّدْقِ فِي الْأَخْبَارِ، وَكَمَالَ الرُّشْدِ وَالْعَدْلِ فِي الْأَحْكَامِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]<sup>[١]</sup>.

وَالْتَّشَابُهُ الَّذِي وُصِفَ بِهِ جَمِيعُ الْقُرْآنِ هُوَ: تَشَابُهُ الْقُرْآنِ فِي الْكَمَالِ وَالْإِتْقَانِ وَالْإِتِّلَافِ، فَلَا يُنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْأَحْكَامِ، وَلَا يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْأَخْبَارِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]<sup>[٢]</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «فَالْإِحْكَامُ الَّذِي وُصِفَ بِهِ جَمِيعُ الْقُرْآنِ هُوَ الْإِتْقَانُ...»: الْإِحْكَامُ الْعَامُّ الَّذِي نَقُولُ: كُلُّ الْقُرْآنِ مُحْكَمٌ، هُوَ أَنَّهُ مُتَقَنٌ فِي الْجُودَةِ وَاللَّفْظِ وَالْأَحْكَامِ وَالْأَخْبَارِ، فَكُلُّ الْقُرْآنِ بِهَذَا الْوَصْفِ: صِدْقٌ فِي الْأَخْبَارِ وَعَدْلٌ فِي الْأَحْكَامِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وَعَيْرُ كَلَامِ اللَّهِ قَدْ يَكُونُ نَاقِصًا فِي الْأَخْبَارِ، وَيَكُونُ فِيهِ الْكِذْبُ، وَقَدْ يَكُونُ فِيهِ الشَّكُّ، أَمَّا كَلَامُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَقَدْ تَمَّ عَدْلًا وَصِدْقًا.

[٢] قَوْلُهُ: «وَالْتَّشَابُهُ الَّذِي وُصِفَ بِهِ جَمِيعُ الْقُرْآنِ هُوَ تَشَابُهُ الْقُرْآنِ فِي الْكَمَالِ...»: فَالْتَّشَابُهُ مَعْنَاهُ أَنَّ بَعْضَهُ يُشَبِّهُ بَعْضًا فِي الْكَمَالِ وَالْجُودَةِ وَالْمَعْنَى.

ولكن هل يتفاضل في ذلك؟

الجواب: نعم يتفاضل، لكنه مع تفاضله مُتَشَابِهٌ، قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لَمَّا سَأَلَ أَبِي

ابن كعب: «أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمَ». قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، فَضَرَبَ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»<sup>(١)</sup>. وَأَنْ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ هِيَ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ<sup>(٢)</sup>، وَسُورَةُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ<sup>(٣)</sup>.  
إِذَنْ: هُوَ مُشَابِهٌ لَكِنْ يَتَفَاضَلُ، وَالتَّفَاضُلُ فِي الْقُرْآنِ هَلْ هُوَ مِنْ حَيْثُ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ أَوْ مِنْ حَيْثُ مَدْلُوهُ؟

الْجَوَابُ: مِنْ حَيْثُ الْمَدْلُولُ، وَأَمَّا الْمُتَكَلِّمُ بِهِ فَهُوَ وَاحِدٌ عَزَّجَلَّ، إِذَنْ: فَهُوَ يَتَشَابَهُ فِي الْكَمَالِ وَالْإِتْقَانِ، حَتَّى الْمَفْضُولُ مِنْهُ هُوَ كَامِلٌ مُتَقَنٌ، وَفِي الْإِتِّلَافِ أَيْضًا يَتَشَابَهُ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُنَاقِضَ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُكَذِّبَ بَعْضُهُ بَعْضًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، فَحَثَّ عَلَى التَّدْبِيرِ خُصُوصًا فِي الْمَوَاضِعِ الْمُشْتَبِهَةِ، فَإِنَّ التَّدْبِيرَ فِيهَا أَوْجِبُ مِنَ التَّدْبِيرِ فِي الْآيَاتِ الَّتِي لَيْسَتْ بِمُشْتَبِهَةٍ، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَطْلُعَ عَلَى مَوْضِعِ الْإِتِّفَاقِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَرَأْتَ آيَتَيْنِ وَظَاهِرُهُمَا التَّعَارُضُ حَصَلَ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنَ الشَّكِّ، وَأَنْكَرْنَا بَعْضَ الْكِتَابِ بِبَعْضٍ، فَإِذَا تَدَبَّرْتَ وَتَأَمَّلْتَ زَالَ عَنْكَ هَذَا الْأَشْتِبَاهُ؛ وَلِهَذَا أَعْقَبَ قَوْلُهُ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

إِذَنْ: لَا اخْتِلَافَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِذَا عَرَضَ عَلَيْكَ شَيْءٌ تَظُنُّ أَنَّهُ مُخْتَلِفٌ فَتَدَبَّرْ وَتَأَمَّلْ؛

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم (٨١٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم (٤٢٠٤).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم (٨١٢).

لَآئِهٖ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ اخْتِلَافٌ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ظَاهِرُهَا أَنَّهُ يُوجَدُ اخْتِلَافٌ يَسِيرٌ فِي كَلَامِ اللَّهِ.

الْجَوَابُ: لَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ فِيهِ اخْتِلَافًا يَسِيرًا، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ بِالْوَصْفِ بَيَانَ الْكَلَامِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ أَنَّكَ تَجِدُ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّكَ تَجِدُ اخْتِلَافًا يَسِيرًا فِي كَلَامِ اللَّهِ، بَلْ لَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافٌ إِطْلَاقًا، إِنَّمَا الْكَلَامُ الَّذِي لَيْسَ هُوَ كَلَامَ اللَّهِ: هُوَ الَّذِي فِيهِ الْاِخْتِلَافُ الْكَثِيرُ، فَالْوَصْفُ هُنَا لَا مَفْهُومَ لَهُ بِالإِضَافَةِ إِلَى كَلَامِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُ وَصَفَ مُحَقِّقٌ مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ بِاعْتِبَارِ كَلَامِ غَيْرِ اللَّهِ، وَإِذَا كَانَ الْوَصْفُ لِبَيَانِ الْوَاقِعِ فَلَيْسَ لَهُ مَفْهُومٌ.

إِذَنْ: (التَّشَابُه) يَعْنِي فِي الْجُودَةِ وَالْكَمَالِ، (مُتَشَابِهٌ) أَي: لَا يَتَنَاقَضُ، وَلَا يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُ الْإِنْسَانُ مِنَ التَّنَاقُضِ، فَهُوَ إِمَّا أَنَّهُ مُتَنَاقِضٌ فِي وَهْمِهِ لَا بِحَقِيقَةِ التَّأَمُّلِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ قَاصِرٌ فِي الْعِلْمِ لَيْسَ عِنْدَهُ مَعْلُومَاتٌ جَيِّدَةٌ يُمَكِّنُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ، وَإِمَّا أَنَّهُ مُقَصِّرٌ فِي التَّدْبِيرِ وَالتَّأَمُّلِ لَا يَذِرِي عَنِ الشَّيْءِ، فَيَحْكُمُ بِالتَّنَاقُضِ، وَإِمَّا لِسُوءِ قَصْدِهِ، فَيُورِدُ الْآيَاتِ الَّتِي ظَاهِرُهَا التَّعَارُضُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَشْكَكَ النَّاسَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَهَذَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الرَّنَادِقَةِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّصَارَى الَّذِينَ يَمْشُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسْعَوْنَ فِيهَا فَسَادًا؛ فَيَقُولُونَ مَثَلًا: هَذَا الْقُرْآنُ مُتَنَاقِضٌ. وَيَأْتُونَ بِآيَاتٍ مُتَشَابِهَاتٍ، فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لَا يُوجَدُ بِهِ تَنَاقُضٌ، كُلُّهُ مُتَشَابِهٌ فِي الْأَحْكَامِ وَالْأَخْبَارِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: نَجِدُ فِي الْأَحْكَامِ آيَاتٍ تُسَخِّ بَعْضُهَا بَعْضًا؟ مِثَالٌ: الصَّوْمُ أَوَّلُ مَا فُرِضَ كَانَ الْإِنْسَانُ يُحَيَّرُ بَيْنَ أَنْ يَصُومَ أَوْ يَفْدِيَ، ثُمَّ تَعَيَّنَ الصِّيَامُ. وَكَانَ مَفْرُوضًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُقَابِلَ الْوَاحِدَ عَشْرَةَ فِي الْقِتَالِ، ثُمَّ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦]، فَصَارَ الْوَاجِبُ أَنْ يُقَابِلَ الْوَاحِدَ اثْنَيْنِ بَعْدَ أَنْ كَانَ الْمَفْرُوضُ أَنْ يُقَابِلَ عَشْرَةَ؛ فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَذَا تَنَاقُضٌ؟!.

قلنا: لَيْسَ تَنَاقُضًا؛ لِأَنَّ الْحُكْمَ الْمُنْسُوخَ غَيْرُ قَائِمٍ حَتَّى يُعَارِضَ بِهِ النَّاسُ، فَمَا دَامَ قَدْ نُسِخَ وَزَالَ فَلَا تَعَارُضَ.

وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]، فَكَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ السَّوَادِ وَالزُّرْقَةِ؟ يَأْتِي إِنْسَانٌ وَيَقُولُ هَذَا تَنَاقُضٌ.

الْجَوَابُ: يُقَالُ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، أَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَغَيَّرَ الْوُجُوهُ؟ الْجَوَابُ: يُمَكِّنُ أَنْ تَتَغَيَّرَ فِي عَشْرَةِ أَيَّامٍ، فَيُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ سَوْدَاءَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، ثُمَّ زُرْقَاءَ، أَوْ بِالْعَكْسِ، أَوْ يُقَالُ: إِنَّ الزُّرْقَةَ إِذَا اشْتَدَّتْ صَارَتْ كَأَنَّهَا سَوْدَاءُ، وَحِينَئِذٍ لَا تَنَاقُضَ.

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، قَالَ: لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ الْحَدِيثَ يَخْبِرُونَهُ بِمَا وَقَعَ تَمَامًا، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]،

وَالْإِحْكَامُ الَّذِي وَصِفَ بِهِ بَعْضُ الْقُرْآنِ هُوَ: الْوُضُوحُ وَالظُّهُورُ<sup>[١]</sup>.

فَتَقُوا أَنْ يَكُونُوا مُشْرِكِينَ، مَعَ أَنَّهُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى يَقُولُ: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟

الْجَوَابُ: نَقُولُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَيْسَ لِحِظَةٍ أَوْ دَقِيقَةٍ، فَهُوَ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَقَوْمٌ يَقُولُونَ: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ لَعَلَّهُمْ يَنْجُونَ كَمَا نَجَا أَهْلُ التَّوْحِيدِ، فَإِذَا شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ جُلُودُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ؛ حِينَئِذٍ اضْطَرُّوا إِلَى أَنْ يَقُولُوا كُلُّ مَا وَقَعَ، فَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا.

وَمَا أَحْسَنُ الْاسْتِعَانَةَ عَلَى هَذَا بِكِتَابِ الشَّيْخِ الشَّنْقِيطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (دَفْعُ إِيهَامِ الْأَضْطِرَابِ عَنْ آيِ الْكِتَابِ) جَمَعَ فِيهِ الْآيَاتِ الَّتِي ظَاهِرُهَا التَّعَارُضُ، وَبَيَّنَّ وَجْهَ الْجُمُعِ بَيْنَهَا؛ فَلْتَرَجِعُوهُ فَإِنَّهُ مُفِيدٌ.

فـ«الْقُرْآنُ مُتَشَابِهٌ كُلُّهُ» بِمَعْنَى أَنْ بَعْضُهُ يُشَبِّهُ بَعْضًا فِي الْكَمَالِ وَالْجُودَةِ، فَلَيْسَ بِهِ تَنَاقُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ.

[١] قَوْلُهُ: «وَالْإِحْكَامُ الَّذِي وَصِفَ بِهِ بَعْضُ الْقُرْآنِ هُوَ: الْوُضُوحُ وَالظُّهُورُ»: هُنَا لَمْ نُمَثِّلْ لِلْمُتَشَابِهِ لَكِنْ سَيَأْتِي، فَالْمُتَشَابِهُ الَّذِي وَصِفَ بِهِ بَعْضُ الْقُرْآنِ هُوَ اشْتِبَاهُ الْمَعْنَى، وَ(اشْتِبَاهُهُ) بِمَعْنَى خَفَائِهِ، بِحَيْثُ يَظْهَرُ لِبَعْضِ النَّاسِ وَلَا يَظْهَرُ لِآخَرِينَ، فَيَكُونُ هَذَا مَحَلَّ اشْتِبَاهٍ، وَلِذَلِكَ تَرَى النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ فِيهِ.

وَقَدْ يَكُونُ الْاشْتِبَاهُ حَقِيقِيًّا، وَقَدْ يَكُونُ الْاشْتِبَاهُ مُكَابَرَةً.

فَقَدْ يَكُونُ الْاشْتِبَاهُ حَقِيقِيًّا، وَذَلِكَ فِي الْآيَاتِ الَّتِي اخْتَلَفَ الْمَفْسَّرُونَ فِيهَا وَلِهَذَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ.

وَهُنَاكَ أَشْيَاءُ تَكُونُ مُتَشَابِهَةً مِنْ بَابِ الْمَكَابَرَةِ أَي: أَنَّهَا وَاضِحَةٌ الْمَعْنَى، وَلَكِنْ يُورِدُهَا بَعْضُ النَّاسِ فِي الْمُتَشَابِهِ، وَسَتَأْتِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - الْأَمْثَلَةُ فِيهَا.

فَيَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ بِأَنَّهُ لَا تَنَاقُضَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِذَا وَصَفَ اللَّهُ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ كُلُّهُ مُحْكَمٌ فَإِنَّهُ لَا يُنَاقِضُ أَنْ يَصِفَهُ بِأَنَّهُ كُلُّهُ مُتَشَابِهٌ، وَإِذَا وَصَفَهُ بِأَنَّهُ كُلُّهُ مُحْكَمٌ، وَأَنَّهُ كُلُّهُ مُتَشَابِهٌ، فَإِنَّهُ لَا يُنَافِي أَنْ يَقْسِمَهُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

■ مُحْكَمٌ.

■ وَمُتَشَابِهٌ.

فَالْتَنَاقُضُ فِي أَخْبَارِ اللَّهِ مَمْنُوعٌ؛ لِأَنَّ التَّنَاقُضَ يَسْتَلْزِمُ صِدْقَ أَحَدِ الْخَبَرَيْنِ وَكَذِبَ الْآخَرِ، وَالْكَذِبُ فِي أَخْبَارِ اللَّهِ مُمْتَنِعٌ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ التَّنَاقُضَ يَسْتَلْزِمُ صِدْقَ أَحَدِ الْخَبَرَيْنِ؛ لِأَنَّهُ مَعْرُوفٌ أَنَّ النِّقِيضَ هُوَ الَّذِي لَا يَجْتَمِعُ مَعَ نَقِيضِهِ، وَلَا يَرْتَفِعَانِ.

فَإِذَا ادَّعَى مُدَّعٍ بِأَنَّهُ فِي أَخْبَارِ اللَّهِ مُتَنَاقِضٌ؛ فَإِنَّ هَذَا كَذِبٌ، فَلَا تَنَاقُضَ فِي أَخْبَارِ اللَّهِ، وَإِذَا وَجَدْتَ شَيْئًا ظَاهِرُهُ التَّنَاقُضُ وَجَبَ عَلَيْكَ:

١ - أَنْ تَتَدَبَّرَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

أَخِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

٢ - وَأَنْ تَتَأَمَّلَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ وَجْهُ الْجَمْعِ.

وَأَوْجُهُ الْجَمْعِ كَثِيرَةٌ، إِمَّا بِأَنَّهُ يَكُونُ أَحَدُهُمَا عَامًّا وَالْآخَرُ خَاصًّا، وَإِمَّا بِأَنَّهُ يُحْمَلُ أَحَدُهُمَا عَلَى حَالٍ، وَالْآخَرُ عَلَى حَالٍ أُخْرَى، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَجُوهِ الْجَمْعِ الْمَعْرُوفَةِ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ.



بِحَيْثُ يَكُونُ مَعْنَاهُ وَاضِحًا بَيِّنًا لَا يَشْتَبِهُ عَلَى أَحَدٍ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْأَخْبَارِ وَالْأَحْكَامِ.

مِثَالُهُ فِي الْأَخْبَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فَكُلُّ أَحَدٍ يَعْرِفُ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَكُلُّ أَحَدٍ يَعْرِفُ الْقُرْآنَ.

مِثَالُهُ فِي الْأَحْكَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، فَكُلُّ أَحَدٍ يَعْرِفُ وَالِدَيْهِ، وَكُلُّ أَحَدٍ يَعْرِفُ الْإِحْسَانَ.

وَأَمَّا التَّشَابُهُ الَّذِي وُصِفَ بِهِ بَعْضُ الْقُرْآنِ فَهُوَ: الْإِشْتِبَاهُ -أَيُّ خَفَاءُ الْمَعْنَى-، بِحَيْثُ يَشْتَبِهُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ دُونَ غَيْرِهِمْ، فَيَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَ غَيْرِهِمْ<sup>[١]</sup>.

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ الْجَمْعِ وَجَبَ عَلَيْكَ التَّوَقُّفُ، وَأَنْ تَقُولَ: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، وَأَنْ تَتَّهَمَ نَفْسَكَ بِالْقُصُورِ، وَلَا تَتَّهَمَ كَلَامَ اللَّهِ بِالتَّنَاقُضِ؛ لِأَنَّكَ قَاصِرٌ، أَمَّا كَلَامُ اللَّهِ فَهُوَ مَنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ، لَيْسَ فِيهِ قُصُورٌ.

وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَجْعَلَهَا مَسَارَهُ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ حَتَّى لَا يَقَعَ فِي الْمَزَالِقِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا مَنْ وَقَعَ.

[١] وَهَذَا أَيْضًا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، فَهُنَاكَ آيَاتٌ لَا يَعْرِفُهَا الْإِنْسَانُ إِلَّا إِذَا كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ، فَمِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، الصَّلَاةُ مَعْرُوفَةٌ لَكِنْ إِقَامَتُهَا تَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، لَوْ قَابَلْتُ ثَمَانِينَ فِي الْمِثَّةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقُلْتُ: أَرُونِي كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لَوَجَدْتُهُمْ جَاهِلِينَ، إِذَنْ: هُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَعْنَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ.

مَوْقِفَنَا مِنْ اخْتِلَافِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَكَيْفِيَّةِ الْجَمْعِ بَيْنَهَا

مَوْقِفَنَا مِنْ اخْتِلَافِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَكَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَهَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ وَصْفَ  
الْقُرْآنِ جَمِيعِهِ بِالْإِحْكَامِ، وَوَصْفُهُ جَمِيعُهُ بِالتَّشَابُهِ لَا يَتَعَارَضَانِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ  
الْكَلَامَ الْمُحْكَمَ الْمُتَقَنَّ يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْكَمَالِ وَالصَّدْقِ، فَلَا يَتَنَاقَضُ فِي  
أَحْكَامِهِ، وَلَا يَتَكَادَبُ فِي أَخْبَارِهِ.

وَأَمَّا وَصْفُ الْقُرْآنِ بِأَنَّ بَعْضَهُ مُحْكَمٌ وَبَعْضُهُ مُتَشَابِهٌ فَلَا تَعَارُضَ بَيْنَهُمَا  
أَصْلًا؛ لِأَنَّ كُلَّ وَصْفٍ وَارِدٌ عَلَى مَحَلٍّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ الْآخَرُ، فَبَعْضُ الْقُرْآنِ مُحْكَمٌ  
ظَاهِرُ الْمَعْنَى، وَبَعْضُهُ مُتَشَابِهٌ خَفِيُّ الْمَعْنَى<sup>[١]</sup>.

وَلَوْ سَأَلْتَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ: مَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَقَّعُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ  
أَزْوَاجًا يَتَرَفَّضْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، الْمَعْنَى يَعْرِفُهُ الرَّاسِخُونَ فِي  
الْعِلْمِ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ رَاسِخٌ عَمِيقٌ يَصِلُ إِلَى الْمَعَانِي.  
وَالْأَمْثَلَةُ عَلَى هَذَا كَثِيرَةٌ.

إِذَنْ: (الْمُحْكَمُ) الَّذِي وَصَفَ بِهِ بَعْضُ الْقُرْآنِ، يَعْنِي: وَاضِحُ الْمَعْنَى، وَ(الْمُتَشَابِهُ)  
يَعْنِي: خَفِيُّ الْمَعْنَى، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.

[١] إِنَّ وَصْفَ جَمِيعِهِ بِأَنَّهُ مُتَشَابِهٌ لَا يُعَارِضُ وَصْفَ جَمِيعِهِ بِأَنَّهُ مُحْكَمٌ؛ لِأَنَّ  
الْكَلَامَ الْمُحْكَمَ الْمُتَقَنَّ مُتَشَابِهٌ يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تَنَاقُضَ أَصْلًا.

بَقِيَ لَنَا وَصْفُ بَعْضِهِ بِأَنَّهُ مُحْكَمٌ، وَبَعْضُهُ بِأَنَّهُ مُتَشَابِهٌ، هَذَا أَيْضًا لَا تَنَاقُضَ فِيهِ؛  
لِأَنَّ الْمُحْكَمَ وَارِدٌ عَلَى مَحَلٍّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ الْمُتَشَابِهُ، فَالْمُحْكَمُ وَاضِحُ الْمَعْنَى وَالْمُتَشَابِهُ خَفِيُّ  
الْمَعْنَى، فَإِذَا انْفَكَّتِ الْجِهَةُ فَلَا تَعَارُضَ أَصْلًا.

وَقَدْ انْقَسَمَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ إِلَى قِسْمَيْنِ:

فَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَإِذَا كَانَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَنْ يَكُونَ فِيهِ اشْتِبَاهٌ يَسْتَلْزِمُ ضَلَالًا أَوْ تَنَاقُضًا، وَيَرُدُّونَ الْمُتَشَابِهَ إِلَى الْمُحْكَمِ فَصَارَ مَالُ الْمُتَشَابِهِ إِلَى الْإِحْكَامِ.

وَأَمَّا أَهْلُ الضَّلَالِ وَالزَّيْغِ فَاتَّبَعُوا الْمُتَشَابِهَ وَجَعَلُوهُ مَثَارًا لِلشَّكِّ وَالتَّشْكِيكِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، وَتَوَهَّمُوا بِهَذَا الْمُتَشَابِهِ مَا لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلَا بِكِتَابِهِ وَلَا بِرَسُولِهِ<sup>[١]</sup>.

وَبِهَذَا عُلِمَ أَنَّهُ لَا يَتَنَاقُضُ تَقْسِيمُ الْقُرْآنِ إِلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ، وَصَفُهُ بِأَنَّهُ مُحْكَمٌ، وَبِأَنَّهُ مُتَشَابِهٌ، وَبِأَنَّهُ بَعْضُهُ مُحْكَمٌ، وَبَعْضُهُ مُتَشَابِهٌ، لَا تَنَاقُضُ أَصْلًا؛ لِأَنَّهُ مُحْكَمٌ وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ مُتَشَابِهٌ يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي: الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ وَالْجُودَةِ وَالصَّدْقِ وَالْعَدْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ كَوْنِ بَعْضِهِ مُحْكَمًا وَبَعْضِهِ مُتَشَابِهًا؟

قُلْنَا: لَا حَاجَةَ لَنَا لِأَنَّا نَجْمَعُ؛ لِأَنَّ هَذَا وَارِدٌ عَلَى مَحَلٍّ، وَهَذَا وَارِدٌ عَلَى مَحَلٍّ آخَرَ، فَالْجِهَةُ مُنْفَكَّةٌ، فَالْمُحْكَمُ فِي مَوْضِعٍ خَاصٍّ، وَالْمُتَشَابِهُ فِي مَوْضِعٍ خَاصٍّ، فَالْمُحْكَمُ: هُوَ وَاضِحُ الْمَعْنَى، وَالْمُتَشَابِهُ هُوَ: خَفِيُّ الْمَعْنَى.

إِذَنْ: لَا تَعَارُضَ، فَبَعْضُ الْقُرْآنِ وَاضِحٌ مُحْكَمٌ كُلُّ يَفْهَمُهُ، وَبَعْضُهُ خَفِيٌّ مُتَشَابِهٌ يَشْتَبِهُ عَلَى غَيْرِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ.

[١] فَجَعَلُوهُ مَثَارًا لِلشَّكِّ بِاعْتِبَارِ أَنْفُسِهِمْ، وَالتَّشْكِيكِ بِاعْتِبَارِ غَيْرِهِمْ بِأَنَّهُ يَطْرَحُوا هَذِهِ الْمُسْكِلَةَ، وَيُشَكِّكُوا بِهَا النَّاسَ، أَوْ يَطْرَحُوهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَتَشَكَّكُونَ،

مِثَالُ الْأَوَّلِ<sup>(١)</sup>: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [يس: ١٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وَنَحْوُهُمَا مِمَّا أَضَافَ اللَّهُ فِيهِ الشَّيْءَ إِلَى نَفْسِهِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ، فَاتَّبَعَ النَّصْرَانِيُّ هَذَا الْمُتَشَابِهَ وَادَّعَى تَعَدُّدَ الْأَلِهَةِ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَتَرَكَ الْمُحْكَمَ الدَّالَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ.

وَأَمَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ: فَيَحْمِلُونَ الْجَمْعَ عَلَى التَّعْظِيمِ لِتَعَدُّدِ صِفَاتِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهَا، وَيُرَدُّونَ هَذَا الْمُتَشَابِهَ إِلَى الْمُحْكَمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ كُفُّهُ إِلَهٌُ وَحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وَيَقُولُونَ لِلنَّصْرَانِيِّ: إِنَّ الدَّعْوَى الَّتِي ادَّعَيْتَ -بِمَا وَقَعَ لَكَ مِنَ الْإِشْتِبَاهِ- قَدْ كَفَّرَكَ اللَّهُ بِهَا وَكَذَّبَكَ فِيهَا فَاسْتَمِعْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، أَيْ كَفَرُوا بِقَوْلِهِمْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ<sup>(١)</sup>.

وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ دَائِمًا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ الْهُدَايَةَ وَالشَّيْءَ، حَتَّى إِنْ النَّبِيَّ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ»<sup>(٢)</sup>، هَذَا وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ، فَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ.

[١] إِذْنُ: هَذَا الْإِبْرَادُ يُورَدُ النَّصْرَانِيُّ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي الْأُمُورِ الْقَدَرِيَّةِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾: (إِنَّا) جَمْعٌ، وَيَقُولُ فِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: (إِنَّا) جَمْعٌ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ؛ لِأَنَّ أَقْلَ جَمْعٍ ثَلَاثَةٌ.

(١) توهم ما لا يليق بالله عز وجل. (الشارح)

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (٧٧٠).

وَمِثَالُ الثَّانِي<sup>(١)</sup>: قَوْلُهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٣٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، فَفِي الْآيَتَيْنِ مُوْهَمٌ تَعَارُضٍ فَيَتَّبِعُهُ مَنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ وَيَظُنُّ بَيْنَهُمَا تَنَاقُضًا وَهُوَ النَّفْيُ فِي الْأُولَى وَالْإِثْبَاتُ فِي الثَّانِيَةِ، فَيَقُولُ: فِي الْقُرْآنِ تَنَاقُضٌ.

وَأَمَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ فَيَقُولُونَ: لَا تَنَاقُضُ فِي الْآيَتَيْنِ، فَالْمُرَادُ بِالْهِدَايَةِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ، وَهَذِهِ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، فَلَا يَمْلِكُهَا الرَّسُولُ وَلَا غَيْرُهُ، وَالْمُرَادُ بِهَا فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ هِدَايَةُ الدَّلَالَةِ، وَهَذِهِ تَكُونُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ غَيْرِهِ فَتَكُونُ مِنَ الرُّسُلِ وَوَرَثَتِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ<sup>[١]</sup>.

وَالْجَوَابُ أَنْ نَقُولَ: هَبْ أَنْ هَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ، وَلَكِنَّهُ لِلتَّعْظِيمِ، وَالْمُعْظَمُ نَفْسُهُ يُعَبَّرُ عَنْ نَفْسِهِ بِهَذَا الضَّمِيرِ، فَيَقُولُ مَثَلًا: نَحْنُ رَئِيسُ كَذَا وَكَذَا. نَحْنُ مَلِكُ كَذَا وَكَذَا. لِلتَّعْظِيمِ وَلَيْسَ لِلتَّعَدُّدِ، هَبْ أَنْ هَذَا قَدْ يُوْهَمُ التَّعَدُّدُ، لِمَاذَا أَحَذَتْ هَذَا الْمُشْتَبَهَ وَتَرَكْتَ النَّصَّ الصَّرِيحَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِلَهٌ وَاحِدٌ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ كُفَرًا إِلَهًُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

وَأَنْتَ أَيُّهَا النَّصْرَانِي! قَدْ كَفَرْتَ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِقَوْلِكَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، وَكَذَّبَكَ فِي هَذَا فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فَبِهَذَا عَرَفْنَا أَنَّ النَّصْرَانِيَّ يَتَّبِعُ الْمُتَشَابَهَ، وَيَخْتَجُّ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْمُوَحِّدِينَ.

[١] مَا لَا يَلِيقُ بِالْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٣٥]،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وَوَجْهُ التَّشَابُهِ أَنَّ الْأَوَّلَى فِيهَا النَّفْيُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، وَالثَّانِيَةُ فِيهَا الْإِثْبَاتُ، فَيَقُولُ مَنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ: هَذَا تَنَاقُضٌ!.

والجوابُ عن هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ الْهِدَايَةَ نَوْعَانِ:

١ - هِدَايَةُ دَلَالَةٍ: بِمَعْنَى أَنَّ يَدُلَّ الْإِنْسَانَ عَلَى الْحَقِّ وَالْحَقِيرِ.

٢ - هِدَايَةُ تَوْفِيقٍ: بِمَعْنَى أَنَّ يُوفِّقُ الْإِنْسَانَ لِاتِّبَاعِ الْهُدَى.

وَهَذَا النَّوعُ الثَّانِي مِنَ الْهِدَايَةِ لَا يَمْلِكُهُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا غَيْرُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَرَصَ حِرْصًا عَظِيمًا عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَالَّذِي كَانَ يَحْوَطُهُ وَيَنْصُرُهُ وَيَذُبُّ عَنْهُ، وَيَشْهَدُ بِأَنَّهُ حَقٌّ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَتْ خَاتِمَتُهُ سَيِّئَةً - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَهَاتَ عَلَى الشَّرْكِ، وَحَزَنَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَا حَصَلَ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَسْلِيَةً لَهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ إِشْكَالٌ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، فَهَلِ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ يُحِبُّ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ؟ فَإِنْ قُلْتَ: نَعَمْ. أَشْكَلَ عَلَيْكَ: فَكَيْفَ يُحِبُّهُ وَهُوَ كَافِرٌ؟ وَإِنْ قُلْتَ: لَا. أَشْكَلَ عَلَيْكَ أَيْضًا: فَكَيْفَ يُثْبِتُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ أَحَبَّهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾؟!

فَالْجَوَابُ: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ لَهُ الْهِدَايَةَ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى: مَنْ أَحَبَّبْتَهُ هُوَ، وَعَلَى هَذَا الْإِحْتِمَالِ يَزُولُ الْإِشْكَالُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَّبْتَهُ نَفْسُكَ، لَكِنْ هَذِهِ مَحَبَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ جَبَلِيَّةٌ،

وهي أَنَّ الإنسانَ يُحِبُّ أَقَارِبَهُ، وَأَنَّ حُبَّه القَرِيبِ الكافرِ لا تَحُلُّ في الإِيْمَانِ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ حُبَّةُ مُوَالَاةٍ، وَلَكِنَّهَا حُبَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ كَمَا يُحِبُّ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَيُحِبُّ أُمَّهُ.

وها هو نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى لِسَانِهِ عَنِ ابْنِهِ: ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِ﴾ [هود: ٤٥]، أَيِّ فَأَنْجِهْهُ؛ فَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا نَجَاةَ لَهُ.

وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ تَكُونُ حُبَّةُ الْإِنْسَانِ الْكَافِرِ لِسَبَبٍ تَدْعُو إِلَيْهِ الطَّبِيعَةُ وَالْجِلِيلَةُ لَا تُؤَثِّرُ فِي إِيْمَانِكَ، كَمَا لَوْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ كَافِرٌ فَأَحْبَبْتَهُ هَذَا الْإِحْسَانُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّ، فَأَنَا لَا أَحِبُّهُ حُبَّةً وَلَايَةً وَمُنَاصَرَةً؛ لَكِنْ لِأَنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيَّ، وَالنُّفُوسُ مُجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّهِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَبِذَلِكَ أَيْضًا يَزُولُ الْإِشْكَالُ.

أَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَّةُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فَالْهِدَايَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هِدَايَةُ دَلَالَةٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَدُلُّ النَّاسَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَنَقُولُ: لَوْ أَنَّكَ أَمَعَنْتَ النَّظَرَ فِي الْآيَتَيْنِ؛ لَوَجَدْتَ أَلَّا تَنَاقُضَ بَيْنَهُمَا، فَالْآيَةُ الْأُولَى نَفْيٌ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، هَذِهِ هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ، وَهَذَا جَاءَتْ مُطْلَقَةً غَيْرُ مُعْلَقَةٍ بِحَرْفِ جَرٍ، فَهِدَايَةُ التَّوْفِيقِ لَيْسَتْ لِلرُّسُولِ وَلَا لِغَيْرِهِ، إِنَّمَا هِيَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، يَمُنُّ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

أَمَّا الثَّانِيَّةُ فَهِيَ هِدَايَةُ دَلَالَةٍ؛ وَهَذَا عُذِّيتُ بِ (إِلَى): ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أَيِّ لَتَدُلُّ وَتُرْشِدُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالرُّسُولُ ﷺ يَمْلِكُ هِدَايَةَ الدَّلَالَةِ، حَتَّى مَنْ دُونَ الرُّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَمْلِكُونَ هِدَايَةَ الدَّلَالَةِ، حَتَّى إِنْ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ يَمْلِكُونَ هِدَايَةَ الدَّلَالَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، أَيِّ دُلُّوهُمْ إِلَيْهِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: اثْنُوا لَنَا بِمِثَالٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْهِدَايَةَ يُرَادُ بِهَا الدَّلَالَةُ دُونَ التَّوْفِيقِ.  
فَالْجَوَابُ: اسْتَمِعْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]، فَهَذِهِ الْهِدَايَةُ هِدَايَةُ دَلَالَةٍ بِلَا شَكٍّ، بِأَنَّ ثَمُودَ لَمْ يَسْبِقْ لَهُمْ أَنْ آمَنُوا حَتَّى نَقُولَ: إِنَّ هَذِهِ هِدَايَةُ تَوْفِيقٍ.

إِذَنْ: لَا إِشْكَالَ فِي الْآيَتَيْنِ الْآنَ.

كَذَلِكَ أَيْضًا رَبَّنَا يَقُولُ قَائِلٌ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وَقَالَ فِي آيَةٍ ثَانِيَةٍ: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]،،  
فَكَيْفَ يَكُونُ الْجَمْعُ؟

وَالْجَوَابُ: الْجَمْعُ سَهْلٌ، وَهُوَ مِنْ أَحَدٍ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ سَاعَةً أَوْ دَقِيقَةً أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَالْوُجُوهُ قَدْ تَتَغَيَّرُ مِنْ سَوَادٍ إِلَى زُرْقَةٍ، وَمِنْ زُرْقَةٍ إِلَى سَوَادٍ.  
الْوَجْهُ الثَّانِي: يُقَالُ: إِنَّهُمْ سُودٌ؛ لِأَنَّ الزُّرْقَةَ الدَّاكِنَةَ الشَّدِيدَةَ تَمِيلُ إِلَى السَّوَادِ.  
إِذَنْ: الَّذِي فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ هَذَا طَعْنًا فِي الْقُرْآنِ، وَيَقُولُ: إِنَّ أَخْبَارَهُ يُكَذِّبُ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ لِأَنَّ فِي قَلْبِهِ زَيْغًا، فَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ قِرَاءَةً مُنْتَقِدٍ لَا قِرَاءَةً مُسْتَرَشِدٍ.

حَتَّى إِنْ بَعْضُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ يَقْرَأُ مُؤَلَفَاتِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ قِرَاءَةً مُنْتَقِدٍ لَا قِرَاءَةً مُسْتَرَشِدٍ، بَلْ يَقْرَأُ قِرَاءَةً مَنْ يَتَّبِعُ الزَّلَّاتِ، أَوْ يَنْظُرُ مَا قَالَ مِنَ الْأَقْوَالِ، وَلِذَلِكَ تُنَزَّعُ الْبَرَكَهَ مِنْ قِرَاءَتِهِ هَذِهِ فَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْهَا.



وَمَثَلُ الثَّالِثِ<sup>(١)</sup>: قَوْلُهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤]، فَفِي الْآيَةِ مَا يُوْهِمُ وَقُوعَ الشَّكِّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّا أَنْزَلَ إِلَيْهِ فَيَتَّبِعُهُ مَنْ فِي قَلْبِهِ رَيْغٌ فَيَدَّعِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَعَ مِنْهُ ذَلِكَ فَيَطْعَنُ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>[١]</sup>.

كَذَلِكَ أَعْدَاءُ الْمُسْلِمِينَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا قِرَاءَةً مُسْتَرْشِدٍ مُسْتَفِيدٍ بِهِ، وَلَكِنْ قِرَاءَةً مُتَّقِدًا، يَطْلُبُونَ مَا فِيهِ التَّشَابُه؛ لِيُضِلُّوا النَّاسَ بِذَلِكَ، وَلِذَلِكَ لَا يَهْتَدُونَ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- فَيَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

وَالْقُرْآنُ إِنَّمَا يَكُونُ شِفَاءً لِمَنْ يَطْلُبُ الْإِسْتِشْفَاءَ بِهِ، أَمَّا مَنْ يَطْلُبُ الضَّلَالَ فَلَنْ يَهْتَدِيَ بِهِ، وَلِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ عِبَارَةً جَيِّدَةً فِي «الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ»، قَالَ: (وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ). أَيُّ مَنْ تَدَبَّرَ بِإِخْلَاصٍ وَنِيَّةٍ طَيِّبَةٍ، وَأَنْ يَكُونَ طَالِبًا لِهَدْيِ اللَّهِ مِنْهُ لِلْهَوَى.

وَالْخِلَاصَةُ: أَنَّ الْقُرْآنَ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- لَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ إِلَّا عِنْدَ مَنْ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ، أَوْ الْجَهَالُ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ، فَإِذَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُمْ.

[١] هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ أَشْكَالِ مَا يَكُونُ، ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: وَهُوَ الْقُرْآنُ؛ ﴿فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: ﴿فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: وَهُوَ الْقُرْآنُ؛ ﴿فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: هَلْ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ مِنْ هَذَا أَوْ لَا؟! وَلَوْ سَأَلْتَهُمْ لَوَجَدَ عِنْدَهُمْ عِلْمًا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ نُوِّهَ عَنْهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَعُرفَ بِصِفَاتِهِ وَاسْمِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(١) توهم ما لا يليق برسول الله ﷺ. (الشارح)

ثُمَّ أَكَّدَ أَنَّ مَا جَاءَهُ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ، فَقَالَ: ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ بِاللَّامِ وَالْقَسَمِ الْمَقْدَّرِ؛ لِأَنَّكَ فِي إِعْرَابِهَا تَقُولُ: اللَّامُ لِلْقَسَمِ. أَوْ وَاقِعٌ فِي جَوَابِ الْقَسَمِ، فَأَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَا جَاءَهُ حَقٌّ، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

فَهَذِهِ فِيهَا إِشْكَالٌ، وَهُوَ أَنَّ يَقُولَ قَائِلٌ مِمَّنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَهُ شَكٌّ. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَا شَكَّ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ.

وَهَذَا الْمَثَالُ يَأْتِي بِهِ الْمَمُوءُ لِلطَّعْنِ بِالرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ: الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، فَأَحَالَهُ اللَّهُ عَلَى سُؤَالِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ، كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مَثَلًا، وَكَوْنُهُ يُحَالُ عَلَى مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى الْيَقِينِ فِيمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ؛ يَدُلُّ عَلَى وَجُودِ الشَّكِّ فِي قَلْبِهِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: قَالَ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، وَالنَّهْيُ عَنِ الشَّيْءِ يَدُلُّ عَلَى وَقُوعِهِ، كَمَا لَوْ قُلْتَ لِشَخْصٍ: لَا تَكُونَنَّ مِنَ اللَّاعِبِينَ. إِذَا رَأَيْتَهُ يَلْعَبُ.

فَيَمُوءُ عَلَى النَّاسِ وَيَقُولُ: هَذَا الْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ شَاكٌّ فِيمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ. وَلَكِنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَا يَقُولُهُ أَحَدٌ، إِلَّا مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لِلانْتِقَادِ لَا لِلِاسْتِرْشَادِ، وَمَنْ زَاغَ قَلْبُهُ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ-.

فَنَقُولُ لِهَذَا الرَّجُلِ: هَذِهِ الْآيَةُ لَا تَدُلُّ عَلَى مَا قُلْتَ، وَلَا تَرْمِي إِلَى مَا رُمْتَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ شَكٌّ وَلَا امْتِرَاءٌ فِيمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ، وَكَيْفَ يَقَعُ مِنْهُ الشَّكُّ وَهُوَ الَّذِي

وَأَمَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ فَيَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ شَكٌّ وَلَا امْتِرَاءٌ  
فِيمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ، كَيْفَ وَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ لَهُ بِالْإِيمَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا  
أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ  
أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي  
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَيَقُولُونَ: إِنَّ مِثْلَ هَذَا التَّعْبِيرِ ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ [يونس: ٩٤]، لَا يَلْزَمُ مِنْهُ  
وُقُوعُ الشَّرْطِ، بَلْ وَلَا إِمْكَانُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ  
الْعَابِدِينَ﴾<sup>(١)</sup> [الزخرف: ٨١]، .....

يدعو النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ؟! وكيف يَقَعُ مِنْهُ الشَّكُّ وهو الَّذِي شَهِدَ اللَّهُ لَهُ بِالْإِيمَانِ؟  
فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ﴾  
[الأعراف: ١٥٨].

فَهُؤُلَاءِ نَظَرُوا إِلَى الْقُرْآنِ بِعَيْنِ الْأَعْوَرِ، وَالْأَعْوَرُ لَا يَنْظُرُ إِلَّا مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ،  
فَلَوْ كَانَ هُنَاكَ جَمْلٌ أَعْوَرٌ؛ لَرَعَى الشَّجَرَةَ مِنْ جِهَةٍ دُونَ الْأُخْرَى، وَلَوْ كَانَ ظَبْيٌ  
أَعْوَرٌ؛ لَجَاءَهُ الصَّيَّادُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ فَأَمْسَكَه بِيَدِهِ!!.

فَهُؤُلَاءِ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- يَنْظُرُونَ إِلَى الْقُرْآنِ مِنْ وَجْهِهِ وَيَتَرَكُونَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ،  
وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَكٌّ إِطْلَاقًا وَلَا امْتِرَاءً، لَكِنَّ هَذَا مِنْ بَابِ تَأْكِيدِ  
الامْتِنَاعِ فَقَالَ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ فاسأل.

(١) في معنى هذه الآية أقوال: أظهرها أنه إذا كان للرحمن ولد -على سبيل الفرض الممتنع- فإن ذلك لن يحلني على عبادة ذلك الولد، بل سأكون أول العابدين لله ولن أعبد الولد، وذلك لأن المعبود لم يذكر فيها، فنصرف المعنى إلى من لا تصح العبادة إلا له وهو الله تعالى. (الشارح)

فَإِنْ وُجِدَ الْوَلَدُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مُتَمَتِّعٌ غَايَةَ الْإِمْتِنَاعِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مزيم: ٩٢]، فَكَذَلِكَ الشُّكُّ وَالْإِمْتِرَاءُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مُتَمَتِّعٌ غَايَةَ الْإِمْتِنَاعِ، وَلَكِنْ جَاءَتِ الْعِبَارَةُ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ الشَّرْطِيَّةِ لِتَأْكِيدِ امْتِنَاعِ الشُّكِّ وَالْإِمْتِرَاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ<sup>[١]</sup>.

[١] وَذَلِكَ أَنَّ (إِنْ) لَا تَسْتَلْزِمُ الْوُقُوعَ، بِخِلَافِ مَا لَوْ قُلْتُ لَكَ: إِنْ جَاءَ زَيْدٌ فَأَكْرِمْهُ. فَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى مَجِيءِ زَيْدٍ، لَكِنْ إِذَا قُلْتُ: إِذَا جَاءَ زَيْدٌ فَأَكْرِمْهُ. فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سَيَأْتِيكَ، وَأَنَّكَ مَأْمُورٌ بِإِكْرَامِهِ إِذَا جَاءَ، فَ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةُ لَا تَدُلُّ عَلَى إِمْكَانِ الْوُقُوعِ وَلَا عَلَى امْتِنَاعِهِ.

وَالْمَثَالُ: إِنْ جَاءَ زَيْدٌ فَأَكْرِمْهُ. لَا يَسْتَلْزِمُ هَذَا فِي الْقَضِيَةِ الشَّرْطِيَّةِ أَنْ يَجِيءَ، وَقَدْ يَكُونُ مَجِيئُهُ مُسْتَحِيلًا.

كَذَلِكَ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ فَنَفْسُ الشَّيْءِ، إِذْ لَا يَلْزِمُ مِنْ ذَلِكَ وَقُوعُ الشُّكِّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؛ وَهَذَا نَجْزِمُ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ شَكٌّ، وَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَا تَدُلُّ عَلَى إِمْكَانِهِ، فَضْلًا عَنْ وَقُوعِهِ.

وَنَظِيرُهَا تَمَامًا قَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾، فَهَلْ نَقُولُ: إِنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ؟

فَالْجَوَابُ: لَا يُمَكِّنُ، لَكِنْ هُوَ عَلَى فَرْضِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ عَابِدٍ لِهَذَا الْوَلَدِ، وَهَذَا يُقَالُ رَدًّا عَلَى النَّصَارَى الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّ عِيسَى ابْنُ اللَّهِ وَعَبْدُ عِيسَى؛ فَقَالَ اللَّهُ لَنَبِيِّهِ: قُلْ لَهُمْ: إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَعْبُدُ الْوَلَدَ لَا أَنْتُمْ أَهْلُ النَّصَارَى، وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ!

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْحِكْمَةُ مِنْ كَوْنِ بَعْضِ الْقُرْآنِ مُتَشَابِهًا؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ ذَلِكَ ابْتِلَاءُ الْعِبَادِ وَاخْتِبَارُهُمْ لِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ فِي إِيْمَانِهِ مِنَ الشَّاكِّ الْجَاهِلِ الزَّائِعِ، فَالصَّادِقُ فِي إِيْمَانِهِ الرَّاسِخُ فِي عِلْمِهِ، الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ، .....

وَهَنَّاكَ احْتِمَالٌ ثَانٍ: وَهُوَ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَلَنْ أَعْبَدَهُ، وَلَكِنِّي أَوَّلُ الْعَابِدِينَ لِلَّهِ لَا لِلْوَلَدِ.

وَنَحْنُ قَرَّرْنَا: وَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ لِهَذَا الْوَلَدِ. رَدًّا عَلَى النَّصَارَى الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّ اللَّهَ وَلَدًا - وَهُوَ عِيسَى - وَعَبْدُوهُ، وَكِلَا الْمَعْنَيْنِ صَحِيح.

أَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ (إِنْ) هُنَا نَافِيَةٌ، وَالْمَعْنَى: مَا كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ. فَهَذَا بَعِيدٌ، وَلَمْ يَأْتِ مِثْلُ هَذَا التَّعْبِيرِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ فَلَا تُحْمَلُ الْآيَةُ عَلَيْهِ.

إِذِنْ: اسْتَفَدْنَا مِنْ هَذَا فَائِدَةً عَظِيمَةً، وَهِيَ أَنَّ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةَ لَا تَدُلُّ عَلَى جَوَازِ وَقُوعِ الشَّرْطِ، بَلْ قَدْ تَدْخُلُ عَلَى شَيْءٍ مُتَمَتِّعٍ غَايَةَ الْامْتِنَاعِ، فَلَا يَلْزَمُ لِلنَّهْيِ عَنِ الشَّيْءِ أَنْ يَكُونَ وَاقِعًا، فَمِثْلًا لَوْ قُلْتُ لَكَ: لَا تَخْرُجْ مِنَ الْفَصْلِ قَبْلَ أَنْ تَسْتَأْذِنَ. فَهَذَا لَا يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ خَرَجْتَ، فَالْتَّهْيُ عَنِ الشَّيْءِ الْمُسْتَقْبَلِ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّهُ وَاقِعٌ.

وَحُلَاصَةُ الْقَوْلِ: أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾، لَا يَسْتَلْزِمُ وَقُوعَ الشَّكِّ، وَعَلَيْهِ أَدَلَّةٌ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾، فَهَذَا شَرْطٌ وَلَا يَسْتَلْزِمُ وَقُوعَ الْمَشْرُوطِ.

وَنَقُولُ أَيْضًا: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ صَرَّحَ اللَّهُ فِي آيَاتٍ أُخْرَى بِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَلَا يُعْتَدُّ بِهِ الشَّكُّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾.

وَيَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ، فَيَرُدُّ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ إِلَى مَا كَانَ مُحْكَمًا لِيَصِيرَ كُلُّهُ مُحْكَمًا، مِنَ الشَّاكِّ الْجَاهِلِ الزَّائِعِ الَّذِي يَتَّبِعُ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ لِيَضْرِبَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَيُضِلُّ وَيُضِلُّ، وَيَكُونُ إِمَامًا فِي الضَّلَالِ وَالشَّقَاءِ، فَيَفْتِنُ النَّاسَ فِي دِينِهِمْ، وَيُوقِعُهُمْ فِي الشَّكِّ وَالْحَيْرَةِ، وَيَفْتِنُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٧-٨] <sup>[١]</sup>.

[١] الْحِكْمَةُ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ بَعْضَ الْآيَاتِ مُتَشَابِهًا، بَلْ وَالسُّنَّةَ أَيْضًا فِيهَا مُتَشَابِهٌ؛ لِيَتَّبِعَ الزَّائِعُ مِنَ الْمُهْتَدِي، فَالزَّائِعُ يَتَّبِعُ الْمُتَشَابِهَ فَيُضِلُّ وَيُضِلُّ غَيْرَهُ أَيْضًا، وَأَمَّا الْمُهْتَدِي الرَّاسِخُ فِي الْعِلْمِ، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا تَنَاقُضَ فِي الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ -أَيَّ الْقُرْآنِ- قَدْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَبَيَّنَّا لِلنَّاسِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، أَيَّ لِكُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ.

فَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، وَمَعَ ذَلِكَ يَخْشَوْنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾؛ لِأَنَّ هَذَا الْمَقَامَ مَقَامُ ظَنٍّ، فَقَدْ يَأْتِي الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ وَيَهْمِسُ فِي قَلْبِهِ، حَتَّى يَكُونَ هَذَا الشَّكُّ الَّذِي هُوَ فِي أَوَّلِهِ وَسُورَاسٍ، يَكُونُ أَمْرًا حَقِيقِيًّا فِيهِلِكَ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ-.

ولهذا لما وصف الله الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾. ذَكَرَ أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَلَا يُزِغْ قُلُوبَهُمْ بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ، وَأَنْ يَهَبَ لَهُمْ رَحْمَةً؛

لأنَّ المقامَ مقامُ ظَنٍّ، فيُخْشَى عَلَى المرءِ أَنْ يَزِلَّ وَيَزِيغَ بِسَبَبِ مَا يُورِدُهُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَلْبِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ اللهُ بِعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ.

وَيَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ الفرقَ بَيْنَ شَخْصٍ يَقْرَأُ مُسْتَرَشِدًا، وَشَخْصٍ يَقْرَأُ مُتَّقِدًا، سَوَاءً فِي الْقُرْآنِ أَوْ فِي السُّنَّةِ أَوْ فِي كَلَامِ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ مُسْتَرَشِدًا وَفَقَّ وَهُدِيَ، وَمَنْ كَانَ مُتَّقِدًا فَإِنَّهُ لَا يُوفِّقُ وَلَا يُهْدَى.

وَمِنْ ذَلِكَ: لَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَرَأَ الْأَوْرَادَ الصَّبَاحِيَّةَ وَالْمَسَائِيَّةَ لِيُجَرِّبَ هَلْ تَحْمِيهِ أَوْ لَا تَحْمِيهِ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَنْتَفِعَ بِهَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ، وَلَوْ أَنَّهُ قَرَأَهَا مُؤْمِنًا بِأَنَّهَا سَتَحْمِيهِ وَتَنْفَعُهُ؛ انْتَفَعَ بِهَا.

وَلِهَذَا: تَجِدُ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقْرَأُ الْآيَةَ عَلَى الْمَرِيضِ وَيُشْفَى، وَيَقْرَأُهَا آخَرُ وَلَا يُشْفَى، كُلُّ ذَلِكَ بِنَاءً عَلَى الْإِيمَانِ الْوَاقِعِ فِي الْقَلْبِ.

وَكَمَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ جَعَلَ ابْتِلَاءً وَامْتِحَانًا فِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ، فَإِنَّهُ رَبُّهَا يَجْعَلُ فِي الْأُمُورِ الْقَدَرِيَّةِ ابْتِلَاءً وَامْتِحَانًا، فَرُبَّمَا يُيَسِّرُ لِلْإِنْسَانِ أَسْبَابُ الْمَعْصِيَةِ وَتَكُونُ سَهْلَةً لِيَتْلِيَهُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ، فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَدْعُ الْمَعَاصِيَ لَصُعُوبَتِهَا وَعَدَمِ تَيْسِيرِهَا، كَمَا لَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ فِي بَلَدٍ مُحَافِظٍ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى الزَّنا أَوْ شُرْبِ الْخَمْرِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَقَدْ يُيَسِّرُ اللَّهُ الْمَعْصِيَةَ لِلْإِنْسَانِ، وَتَسْهُلُ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَيُنْظَرُ هَلْ إِيْمَانُهُ قَوِيٌّ، فَيَحْمِلُهُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ عَلَى تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ وَفِعْلِ الطَّاعَةِ؟ أَوْ هَلْ إِيْمَانُهُ ضَعِيفٌ إِذَا تَيْسَّرَتْ لَهُ الْمَعْصِيَةُ انْقَادًا لَهَا.

وَلِذَلِكَ: امْتَحَنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْيَهُودَ وَامْتَحَنَ الصَّحَابَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فَالْيَهُودُ مَنَعَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الصَّيْدِ يَوْمَ السَّبْتِ، فَصَارَتِ الْحَيَاتَانِ تَأْتِي يَوْمَ السَّبْتِ

شَرَّعًا عَلَى ظَهْرِ الْمَاءِ بِكَثْرَةٍ، وَفِي غَيْرِ يَوْمِ السَّبْتِ لَا يَأْتِي شَيْءٌ، وَالْيَهُودُ أَصْحَابُ طَمَعٍ وَحُبِّ لِلْمَالِ، قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿أَكْثَلُونَ لِلشَّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، فَقَالُوا: لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَضْبِرَ عَلَى هَذَا، فَهَذَا يُحِلُّ بِاقتصادنا.

فَوَضَعُوا الشُّبَّاكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ كَيْ تَأْتِيَ الْحِيتَانُ يَوْمَ السَّبْتِ فَتَدْخُلَ فِي الشُّبَّاكَ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ أَخَذُوهَا، وَقَالُوا: قُولُوا لِرَبِّكُمْ: يَا رَبَّنَا لَمْ نَضْطَظْ حِيتَانًا يَوْمَ السَّبْتِ. وَهَذِهِ حِيلَةٌ، فَجَازَاهُمُ اللَّهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا قِرْدَةً خَاسِئَةً ذَلِيلَةً.﴾ [البقرة: ٦٥]، فَأَصْبَحُوا قِرْدَةً خَاسِئَةً ذَلِيلَةً.

وَسَبَّحَانَ اللَّهَ! لَمْ يَجْعَلْهُمُ اللَّهُ كِلَابًا؛ لِأَنَّ الْقِرْدَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ شَبَهَا بِالْإِنْسَانِ، وَمَعْصِيَتُهُمْ أَقْرَبُ مَا تَكُونُ شَبَهَا بِالْحِلِّ، فَظَاهَرُهَا الْحِلُّ وَهِيَ حَرَامٌ، فَالْقِرْدُ كَأَنَّهُ آدَمِيٌّ، فَهَذِهِ الْمِثَابَةُ - مِثَابَةُ فَعْلِهِمْ لِلْحَقِّ - جَعَلَتْ عَقُوبَتَهُمْ مِثَابَةً لِلبَشَرِ.

أَمَّا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ [المائدة: ٩٤]، فَابْتَلُوا بِالصَّيْدِ وَهُمْ مُحَرَّمُونَ، تَنَالَهُ أَيْدِيهِمْ فِي الصَّيْدِ الَّذِي يَمْشِي، وَرِمَاحُهُمْ فِي الصَّيْدِ الَّذِي يَطِيرُ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الصَّيْدَ لَا يُمَسَّكُ بِالْيَدِ، وَالطَّائِرُ لَا يُنَالُ بِالرَّمْحِ، بَلْ يُنَالُ بِالسَّهْمِ.

لَكِنَّ اللَّهَ ابْتَلَاهُمْ فَجَعَلَ الصَّيْدَ الزَّاحِفَةَ يُمَسِّكُهَا بِيَدِهِ، وَالطَّائِرَةَ يُمَسِّكُهَا بِرُمْحِهِ امْتِحَانًا مِنَ اللَّهِ! وَلَكِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يُمَسِّكُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا بَلْ تَرَكُوهُ.

فَهَكَذَا الْإِنْسَانُ، رَبِّمَا يُيسِّرُ لَهُ اللَّهُ مِنْ أَسْبَابِ الْمَعْصِيَةِ لِيَبْتَلِيَهُ، وَهَكَذَا أَيْضًا فِي الْقُرْآنِ ابْتَلَى اللَّهُ الْعِبَادَ، بَأَنَّ جَعَلَ فِيهِ أَشْيَاءَ مُتَشَابِهَةً لِيَعْلَمَ عَزَّوَجَلَّ مَنْ هُوَ الْمُؤْمِنُ حَقًّا مِنْ الزَّائِعِ.



## تِمَّة

التَّشَابُهُ الْوَاقِعُ فِي الْقُرْآنِ نَوْعَانِ: حَقِيقِيٌّ وَنَسْبِيٌّ<sup>[١]</sup>.

[١] قوله: «التَّشَابُهُ الْوَاقِعُ فِي الْقُرْآنِ نَوْعَانِ: حَقِيقِيٌّ وَنَسْبِيٌّ»:

أَمَّا الْحَقِيقِيُّ: فَهُوَ مَا كَانَ مُشْتَبِهًا عَلَى كُلِّ أَحَدٍ.

وَالنَّسْبِيُّ: مَا كَانَ مُشْتَبِهًا عَلَى قَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ.

وَمِثَالُ الْحَقِيقِيِّ: كُلُّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِنَّ حَقَائِقَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ مُشْتَبِهَةٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، أَيْ غَيْرُ وَاضِحَةٍ وَلَا مَعْلُومَةٍ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عَلِمًا﴾ [طه: ١١٠]، فَنفَى أَنْ نُحِيطَ بِهِ عَلِمًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّا لَا نَعْلَمُ حَقَائِقَ صِفَاتِهِ.

فَلَوْ قَالَ لَكَ قَائِلٌ: كَيْفَ اسْتَوَى اللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ؟ فَقُلْ: لَا أَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ، وَلَكِنْ أَعْلَمُ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ، أَمَّا عَلَى أَيِّ كَيْفِيَّةٍ هُوَ، فَهَذَا لَا أَعْلَمُهُ.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَدَّ حَقِيقَةً، أَمَّا حَقِيقَةُ هَذِهِ الْيَدِ فَهَذِهِ لَا نَعْلَمُهَا، كَمَا أَنَّ فِي الْجَنَّةِ عَسَلًا وَمَاءً وَلَحْمًا وَلَبَنًا، وَلَا نَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ، لَكِنْ نَعْلَمُ مَعْنَى اللَّبَنِ وَالْحَمْرِ وَاللَّحْمِ وَالْعَسَلِ.

فَصَارَتْ هَذِهِ الْإِخْبَارَاتُ مَعْلُومَةً لَنَا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، لَكِنَّهَا مُجْهُولَةٌ مِنْ حَيْثُ الْحَقِيقَةُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».

فَالْحَقِيقِيُّ: مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِثْلَ: حَقِيقَةُ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِنَّا -وإن كُنَّا نَعْلَمُ مَعَانِيَ تِلْكَ الْأَخْبَارِ- لَا نَعْلَمُ حَقَائِقَهَا وَكُنْهَهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وَقَالَ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وَقَالَ عَمَّا فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجْدَة: ١٧]، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الثَّابِتِ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ قَالَ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ<sup>[١]</sup>، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ<sup>[٢]</sup>، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ<sup>[٣]</sup>»<sup>(١)</sup>.

فَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ فِيهِ أَلْفَاظٌ مُّتَشَابِهَةٌ تُشَبِّهُ مَعَانِيَهَا مَا نَعْلَمُهُ فِي الدُّنْيَا، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ حَيٌّ، عَلِيمٌ، قَدِيرٌ، سَمِيعٌ، بَصِيرٌ،.....

[١] قوله: «مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ»: أي مما يرى.

[٢] قوله: «وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ» أي: مِمَّا يُسْمَعُ، كَنَفَاثَاتِ الْحَوَرِ الْعَيْنِ وَمَا أَشَبَّهَهَا.

[٣] قوله: «وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ»: لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُدْرِكُ ذَلِكَ بِوَهْمِهِ وَلَا حِسِّهِ، فَهُوَ فَوْقَ مَا نَتَصَوَّرُ، وَفَوْقَ مَا سَمِعْنَا، وَفَوْقَ مَا رَأَيْنَا، لَكُنَّا نَعْلَمُ أَصْلَ الْمَعْنَى بِالضَّرُورَةِ، لِأَنَّهُ لَوْ أَنَّا نَعْلَمُ أَصْلَ الْمَعْنَى؛ لَكَانَ الْمَخْبَرُ عَنْهُ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَلِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ حَقِيقَةَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا اللَّهُ، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٠٧٢)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٢٤).

وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ مِنَ الصِّفَاتِ لَيْسَ مُثَاقِلًا فِي الْحَقِيقَةِ لِمَا لِلْمَخْلُوقِ مِنْهَا، فَحَقِيقَتُهَا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ. كَمَا نَعْلَمُ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ لَحْمًا، وَلَبَنًا، وَعَسَلًا، وَمَاءً، وَخَمْرًا، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَيْسَ حَقِيقَةُ ذَلِكَ مِنْ جِنْسٍ مَا فِي الدُّنْيَا، وَحِينَئِذٍ لَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

وَالْإِخْبَارُ عَنِ الْغَائِبِ لَا يُفْهَمُ إِنْ لَمْ يُعْبَرْ عَنْهُ بِالْأَسْمَاءِ الْمَعْلُومَةِ مَعَانِيهَا فِي الشَّاهِدِ<sup>(١)</sup>، وَيُعْلَمُ بِهَا مَا فِي الْغَائِبِ بِوَاسِطَةِ الْعِلْمِ بِمَا فِي الشَّاهِدِ مَعَ الْعِلْمِ بِالْفَارِقِ الْمُمَيِّزِ، وَأَنَّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْغَيْبِ أَعْظَمُ مِمَّا يُعْلَمُ فِي الشَّاهِدِ.

[١] قوله: «وَالْإِخْبَارُ عَنِ الْغَائِبِ لَا يُفْهَمُ إِنْ لَمْ يُعْبَرْ عَنْهُ بِالْأَسْمَاءِ الْمَعْلُومَةِ مَعَانِيهَا فِي الشَّاهِدِ»: أَيُّ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَعْلَمَ مَعْنَى الْغَائِبِ، إِلَّا إِذَا عَبَّرَ عَنْهُ بِأَسْمَاءٍ نَعْرِفُ مَعَانِيهَا فِي الشَّاهِدِ، فَلَوْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَمَّا فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَسْمَاءٍ غَيْرِ مَعْلُومَةٍ لَنَا، كَمَا لَوْ سَمَّيَ الْعَسَلَ بِغَيْرِ اسْمِهِ، وَأَخْبَرَنَا اللَّهُ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ؛ مَا اسْتَفَدْنَا مِنْ ذَلِكَ، فَالشَّيْءُ الْغَائِبُ إِنْ لَمْ يُعْبَرْ عَنْهُ بِأَسْمَاءٍ تُعْلَمُ مَعَانِيهَا فِي الشَّاهِدِ؛ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِمْكَانٌ لِلْوُصُولِ إِلَى مَعْنَاهِ.

لَكِنَّ حَقِيقَةَ هَذَا غَيْرُ حَقِيقَةِ هَذَا، وَلِهَذَا قَالَ: «مَعَ الْعِلْمِ بِالْفَارِقِ الْمُمَيِّزِ»، وَمَعْنَى الْمُمَيِّزِ: أَيُّ الَّذِي يُمَيِّزُ بَيْنَ الْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ، فَنَحْنُ نَعْلَمُ مَعْنَى السَّمِيعِ بِالنِّسْبَةِ لَنَا وَبِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، لَكِنَّا لَا نَعْلَمُ الْفَرْقَ الْعَظِيمَ بَيْنَ سَمْعِ اللَّهِ وَسَمْعِنَا، فَسَمِعَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَاسِعًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ»<sup>(١)</sup>، فَلَيْسَ سَمْعُ اللَّهِ كَسَمْعِ الْبَشَرِ.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٨/٤٠ رقم ٢٤١٩٥)، وابن ماجه (١/٦٧ رقم ١٨٨)، وغيرهما.

وَهَذَا النَّوعُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ لَا يُسْأَلُ عَنْهُ لِتَعَذُّرِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

بل إِنَّ المخلوقاتِ تَخْتَلِفُ حَوَاسُّهَا بِالنِّسْبَةِ لِلْمَسْمُوعِ وَالْمَرِيئِ، فهناك أصواتٌ فوق صوتِ الإنسان، لا يَسْمَعُهَا الإنسانُ وتَسْمَعُهَا الحيواناتُ.

فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْشِي فِي الْمَدِينَةِ ذَاتَ يَوْمٍ، فَجَالَتْ<sup>(٢)</sup> بِهِ بَغْلَتُهُ حَتَّى كَادَتْ تُثْلِقِيهِ؛ لِأَنَّهَا سَمِعَتْ صَاحِبَ قَبْرِ يُعَذِّبُ فِي قَبْرِهِ<sup>(٣)</sup>، لَكِنَّ هَذَا الصَّوْتِ فَوْقَ أَسْمَاعِنَا.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَغْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَبَقَ»<sup>(٤)</sup>.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ هَذِهِ الْمَسْمَيَاتِ عُبِّرَ عَنْهَا بِأَسْمَاءٍ مَا نَعْلَمُهُ فِي الدُّنْيَا؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَتَوَصَّلَ إِلَى فَهْمِهَا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا فَهَمْنَاهَا.

[١] قَوْلُهُ: «وَهَذَا النَّوعُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ لَا يُسْأَلُ عَنْهُ»: أَيِ لَا يُسْأَلُ عَنْهُ لِتَعَذُّرِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَلِهَذَا كَانَ مِنْ كِمَالِ أَدَبِ الصَّحَابَةِ وَفَقْهِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّهُمْ مَا سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، مَا قَالُوا: كَيْفَ اسْتَوَى؟ وَلَا كَيْفَ يَنْزِلُ؟ وَلَا كَيْفَ يَضْحَكُ؟ وَلَا كَيْفَ يَأْتِي؟ وَلَا كَيْفَ يُهْرُولُ؟ فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا.

لَكِنْ لَمَّا جَاءَ الْمُتَعَمِّقُونَ؛ صَارُوا يَقُولُونَ هَذَا وَيَسْأَلُونَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، هَلْ لِلَّهِ أَصَابِعُ؟! هَلْ لِلَّهِ أَظْفَارُ؟! كَيْفَ اسْتَوَى أُمْتَرَبَعًا؟! وَهَذَا حَرَامٌ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ

(١) جَالَتْ: أَيِ فَرَّتْ وَسَارَتْ بِسُرْعَةٍ، وَمِنْهَا «جَالَ الْقَوْمُ فِي الْحَزْبِ»: أَيِ قَرُّوا وَكُرُّوا.

(٢) أَخْرَجَهُ الضَّيَاءُ (٦/ ٢٨١، رَقْم ٢٢٩٥).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ كَلَامِ الْمَيِّتِ عَلَى الْجَنَازَةِ، رَقْم (١٣١٤).

وَأَمَّا النَّسَبِيُّ: فَهُوَ مَا يَكُونُ مُشْتَبِهًا عَلَى بَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ، فَيَعْلَمُ مِنْهُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ مَا يَخْفَى عَلَى غَيْرِهِمْ، إِمَّا لِنَقْصٍ فِي عِلْمِهِمْ أَوْ تَقْصِيرٍ فِي طَلَبِهِمْ، أَوْ قُصُورٍ فِي فَهْمِهِمْ، أَوْ سُوءٍ فِي قَصْدِهِمْ<sup>(١)</sup>.

لَا يَسْأَلُ عَنْهَا إِلَّا مُتَنَطِّعٌ، وَالْمُتَنَطِّعُ مَا لَهُ الْهَلَاكُ وَالْدمَارُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»<sup>(٢)</sup>، وَهُمْ الَّذِينَ يَتَشَدَّدُونَ فِي الْكَلَامِ، وَيَتَشَدَّدُونَ فِي الْمَعَانِي وَالْأَعْمَالِ.

فَالوَاجِبُ عَلَيْنَا نَحْوَ هَذِهِ الْأُمُورِ: السُّكُوتُ وَأَلَّا نَسْأَلَ عَنْهَا، وَالسُّكُوتُ عَنْهَا هُوَ الْقَوْلُ، وَالْجَهْلُ بِهَا هُوَ الْعِلْمُ؛ ف«السُّكُوتُ عَنْهَا هُوَ الْقَوْلُ»: مَعْنَاهُ أَنَّكَ إِذَا سَكَتَ فَأَنْتَ قَائِلٌ؛ لِأَنَّ هَذَا سُكُوتٌ بِحَقٍّ، وَإِذَا جَهِلْتَهَا فَأَنْتَ عَالِمٌ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ أَنَّ حَقَائِقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَجْهُولَةٌ، فَأَنْتَ الَّذِي عَلِمْتَ وَأَنْزَلْتَهَا مَنَزَلَتَهَا.

[١] هَذَا تَشَابُهُ نَسَبِيٍّ، وَعَلَيْهِ يَتَنَزَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ تُخَمِّكُنَّ هُنَّ أُمُّ الْكُتُبِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَّا يَذَّهَبُ﴾ [آل عمران: ٧]، فَهَذَا التَّشَابُهُ نَسَبِيٍّ، يَعْلَمُهُ أَنَاسٌ وَيَشْتَبِهُهُ عَلَى أَنَاسٍ، يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، فَعِنْدَهُمْ رِسْوَخٌ فِي الْعِلْمِ، وَتَعَمَّقُ فِيهِ، وَوَصُولٌ إِلَى الْغَايَةِ.

وَالْإِيمَانُ: أَيْضًا إِيْمَانُهُمْ رَاسِخٌ قَوِيٌّ، قُلُوبُهُمْ مُطْمَئِنَّةٌ، فَهَؤُلَاءِ يَعْلَمُونَهُ، أَمَّا غَيْرُهُمْ، فَيَقُولُ: «مَا يَخْفَى عَلَى غَيْرِهِمْ».

وَأَسْبَابُ الْخَفَاءِ أَرْبَعَةٌ:

١ - النِّقْصُ فِي الْعِلْمِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٢٦٧٠).

٢- والتَّقصِيرُ فِي الطَّلَبِ.

٣- والقُصُورُ فِي الفَهْمِ.

٤- والسُّوءُ فِي القُصْدِ.

هَذِهِ هِيَ الْعِلَلُ الْمُهْلِكَةُ لِلْإِنْسَانِ، الْحَاثِلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِلْمِ:

فَالنَّقْصُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ نَاقِصُ الْعِلْمِ: أَي لَا يَعْلَمُ إِلَّا أَشْيَاءَ قَلِيلَةٍ، مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ السَّلَفِ، فَلَيْسَ عِنْدَهُ اطِّلَاعٌ، لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ يَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الْجَبَلِ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ. قَالَ: وَمَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ؟ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَجُلٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ.

وَإِذَا قِيلَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: وَمَنْ أَبُو بَكْرٍ؟ أَبُو بَكْرٍ رَجُلٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ، أَنْتَ قُلْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ! فَعَلَى الْعَيْنِ وَالرَّأْسِ، أَمَّا غَيْرُهُ فَأَنَا رَجُلٌ مِثْلُهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ: إِذَا نَاقَشْتَهُ مَا وَجَدْتَهُ يَعْدُو شَيْئًا يَسِيرًا مِنَ الْعِلْمِ، وَرَأَيْتَهُ لَا يَعْرِفُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ إِلَّا هَذَا الْحَدِيثَ أَوِ الْحَدِيثَيْنِ، الَّذِي يَقُولُ إِنَّهُ بِهِمَا ارْتَقَى إِلَى أَوْجِ الْعُلَا.

وَالنَّقْصُ الثَّانِي: التَّقصِيرُ فِي الطَّلَبِ: مَا يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَلَا يَجِدُ فِيهِ، إِذَا قرَأَ صَفْحَةً مِنَ الْكِتَابِ قَالَ: تَعَبْتُ. أَكْثَرُ وَقْتِهِ مَشْغُولٌ فِيهَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ يَحْتَاجُ إِلَى مُثَابَرَةٍ، وَالْعِلْمُ يَتَّبَعُ مِثْلَ الْمَاءِ يَتَّبَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَإِنْ تَابَعْتَهُ بَقِيَّتِ الْأَرْضُ رِيَّةً، وَإِنْ تَقَلَّصَ يَسَبَتْ الْأَرْضُ ثُمَّ تَحْتَاجُ إِلَى سَقْيٍ مِنْ جَدِيدٍ.

وهكذا العلم، إن لم تُتابعه نسيته، وإن تابعتَه حصَّلتَ فائدَتَيْنِ:  
الفائدة الأولى: تَجِدُّدُ المَعْلُومَاتِ.

والفائدة الثانية: تَذَكُّرُ مَا مَضَى؛ لَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَابَعَ يَكُونُ قَلْبُهُ مَرْتَبَطًا بِالْعِلْمِ وَطَلَبِهِ، وَفَرَقٌ بَيْنَ الْإِنْسَانِ الَّذِي فَتَحَ صَدْرَهُ لِلْعِلْمِ، مُسْتَعِدًّا لَهُ، يَرَى أَنَّ غَنِيمَتَهُ مِنَ الدُّنْيَا هِيَ الْعِلْمُ، فَيَكُونُ قَابِلًا لَهُ وَمُسْتَحْضِرًا لَهُ، وَيَبِينُ شَخْصٌ يَجْعَلُ طَلَبَ الْعِلْمِ عَلَى الْفَرَاغِ، أَوْ مِنْ أَجْلِ قَتْلِ الْوَقْتِ فَقَطْ، فَهَذَا الثَّانِي لَا يُحْصِلُ الْعِلْمَ.

ولهذا قَالَ بعضُ العُلَمَاءِ: العلمُ لَا يُنَالُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ تَعَبٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: أَعْطِ الْعِلْمَ بَعْضَكَ يَفُتِكَ، وَأَعْطِهِ كُلَّكَ تُدْرِكُ بَعْضَهُ. أَيُّ الْعِلْمِ شَحِيحٌ لَا يُعْطِيكَ بِالْمَثَلِ، إِنْ صَرَفْتَ بَعْضَ هِمَّتِكَ لَهُ فَاتَكَ، وَإِنْ صَرَفْتَ جَمِيعَ هِمَّتِكَ لَمْ تَنْلُ مِنْهُ إِلَّا الْيَسِيرَ.

النَّقْصُ الثَّالِثُ: الْقُصُورُ فِي الْفَهْمِ: وَهَذِهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، لَكِنْ إِذَا تَمَرَّنَ الْإِنْسَانُ عَلَى التَّدْبِيرِ وَالتَّفْهَمِ -وَلَا سِيَّمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ-؛ اَزْدَادَ فَهْمُهُ وَنَمًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، فَالْإِنْسَانُ قَاصِرُ الْفَهْمِ، لَا شَكَّ أَنَّهُ يَفُوتُهُ عِلْمٌ كَثِيرٌ.

وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ عِلْمُهُ قَلِيلٌ لَكِنْ فَهْمُهُ جَيِّدٌ، يَسْتَنْتِجُ مِنَ الْأَدَلَّةِ الْقَلِيلَةِ مَسَائِلَ كَثِيرَةً؛ لِأَنَّهُ ذَكِيٌّ وَفَاهِمٌ، وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ عِنْدَهُ عِلْمٌ كَثِيرٌ، لَكِنْ فَهْمُهُ قَلِيلٌ؛ فَلَا يُسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَ الْأَحْكَامَ الَّتِي يَعْلَمُهَا، تَجِدُّهُ حَافِظًا لِكِتَابِ (زَادِ الْمُسْتَفْنَعِ) أَوْ كِتَابِ (بَلُوغِ الْمَرَامِ)، لَكِنْ لَا يُسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَنْتِجَ مَسْأَلَةً وَاحِدَةً مِنْهَا.

وإذا سألنا سائل: هل لهذا المرض علاج أو لا؟

والجواب: ما من داءٍ إلا وله دواء، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا خَلَقَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا وَقَدْ خَلَقَ لَهُ دَوَاءً، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»<sup>(١)</sup>.

إذن: القصور في الفهم له دواء، ودواؤه أن تمرّن نفسك على التدبّر والتأمّل، فإذا مررتّها على هذا؛ انفتح لك من الفهم ما لم يكن لك سابقاً، وإلا فمن المعلوم أن الناس يختلفون في الفهم اختلافاً عظيماً.

فعن أبي جحيفة، قال: قلت لعليّ رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين هل عندكم من الوحي شيء؟ قال: «لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلم إلا فهماً يُعطيه الله عزّ وجلّ رجلاً، وما في الصحيفة». قلت: وما في الصحيفة؟ قال: «العقل، وفكّك الأسير، ولا يُقتل مؤمنٌ بمشرك»<sup>(٢)</sup>.

والشاهد من هذا الحديث، قوله: «إلا فهماً يُعطيه الله عزّ وجلّ رجلاً»، فالناس يختلفون اختلافاً عظيماً في الفهم.

النقّص الرابع - وهو أفبّحها -: السوء في القصد: وهذا - والعياذ بالله - يُحرّم العلمَ لفساد نيّته، قال الله تعالى لما قال: ﴿إِذَا تَنَالَى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: ١٣]، قال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، آياتُ الله عزّ وجلّ لا يمكن أن يتصورها أحدٌ على أنّها أساطيرُ الأولين، إلا شخصٌ رانت على قلبه ذنوبه

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١٥٧/٢) رقم (١٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فكّك الأسير، رقم (٢٨٨٢).



وَهَذَا النَّوعُ يُسْأَلُ عَنْ بَيَانِهِ؛ لِأَنَّهُ يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ، إِذْ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ لَا يَتَبَيَّنُ مَعْنَاهُ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، كَيْفَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وَقَالَ: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨] <sup>[١]</sup>.

-والعياذ بالله-، وصار لا يُدرِكُ ما فيها مِنَ المعاني الجميلة والآداب والأخلاق، ويقول: هَذِهِ أساطيرُ الأولين.

وما أَكْثَرَ سُوءِ الْقَصْدِ فِي أَهْلِ الْبَدْعِ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُصِرُّ وَيُعَانِدُ بَعْدَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ.

فصارت أسبابُ نُقْصَانِ الْعِلْمِ أَرْبَعَةً:

الأوَّل: النَّقْصُ فِي الْعِلْمِ.

الثَّانِي: التَّقْصِيرُ فِي الطَّلَبِ.

الثَّالِث: الْقُصُورُ فِي الْفَهْمِ.

الرَّابِع: سُوءُ الْقَصْدِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَهَذَا النَّوعُ يُسْأَلُ عَنْ بَيَانِهِ؛ لِأَنَّهُ يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ»: هَذَا النَّوعُ هُوَ النَّسْبِيُّ، فَلَا بَأْسَ أَنْ نَسْأَلَ عَنْ بَيَانِهِ.

وَكُلُّ هَذِهِ الْآيَاتِ وَأَمْثَالُهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ بَيْنَهُ لَنَا بَيَانًا كَامِلًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، فَالْكِتَابُ تِبْيَانٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ يَحْتَاجُهُ النَّاسُ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، إِلَّا وَجَدَ فِي الْقُرْآنِ بَيَانَهُ.

## لكنَّ البيانَ نوعان:

١- نوعٌ يُبينُ الشَّيءَ بعينه: كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُتِرُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَاعْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وكقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ [النور: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]، هذا مُبينٌ بعينه.

٢- وتارةً يكونُ البيانُ بالإرشادِ إليه والتَّوجيهِ، مثلُ قوله تعالى: ﴿اقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]، فليس فيها بيانٌ بعددِ الرَّكَّاتِ وكيفيةِ الصَّلَاةِ، لكنَّ قوله تعالى عن رسولِ الله ﷺ: ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فيه إشارةٌ لبيانِ هذهِ الكيفيةِ؛ لأنَّ إقامةَ الصَّلَاةِ اتباعُ النَّبِيِّ ﷺ في صلاته، ولهذا قَالَ ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، فلم يُبينِ الحجُّ في الآية، لكنَّ يُبينُ في مواضعٍ أُخرى مِنَ الْقُرْآنِ، كالذي في سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

وكذلكَ بَيَّنَّهَا السُّنَّةُ، وقد أَمَرَ اللهُ بِاتِّبَاعِ الرَّسُولِ.

فبيانُ الْقُرْآنِ قد يكونُ بيانًا مُعيَّنًا، وقد يكونُ عَلَى سَبِيلِ الْإِرْشَادِ وَالتَّوْجِيهِ لما يُبينُ بِهِ الشَّيْءَ، فحينئذٍ يكونُ قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، تكونُ هَذِهِ قَضِيَّةٌ صَادِقَةٌ لَا يُسْتَنْتَى مِنْهَا شَيْءٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

وقد حَدَّثَتْ قِصَّةً مَعَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَجَلَسَ إِلَيْهِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ فِي مَطْعَمٍ مِنَ الْمَطَاعِمِ فِي بَارِيسَ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْقُرْآنَ يَقُولُ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، رقم (٦٠٥).

ثُمَّ قَالَ النَّصْرَانِي: هَذَا الطَّعَامُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ، أَيْنَ بَيَانُهُ فِي الْقُرْآنِ؟ وَالنَّصْرَانِي يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا غَيْرُ وَارِدٍ، وَالْقُرْآنُ هُدًى وَلَيْسَ دَلِيلَ طَعَامٍ، قَالَ لَهُ هَذَا الرَّجُلُ الْعَالِمُ: هَذَا موجودٌ فِي الْقُرْآنِ. فَقَالَ النَّصْرَانِي: أَيْنَ هُوَ؟ فَدَعَا الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ صَاحِبَ الْمَطْعَمِ فَقَالَ: كَيْفَ تَصْنَعُ هَذَا الطَّعَامَ؟ فَقَالَ: أَضَعُ بِهِ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ: هَكَذَا فِي الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَسَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فَقَدْ وَجَّهَنَا اللَّهُ بِأَنَّ أَيَّ شَيْءٍ لَا تَعْلَمُهُ، اسْأَلْ عَنْهُ أَهْلَ الْعِلْمِ بِهِ، إِذَنْ: عَلِمْنَا بِالْإِرْشَادِ وَالتَّوْجِيهِ.

وَتَوْجِدُ آيَةً فِي الْقُرْآنِ، يَسْتَدِلُّ بِهَا بَعْضُ النَّاسِ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ تَبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فَهَلْ يَصِحُّ الْاسْتِدْلَالُ بِهَا؟

الْجَوَابُ: لَا يَصِحُّ الْاسْتِدْلَالُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الَّذِي قَبْلَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، لَمَا بَيَّنَّ اللَّهُ أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْأُمَمِ أَمْثَلُنَا، ثُمَّ ذَكَرَ الْجُزَاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، عَلِمْنَا أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكِتَابِ أَنَّهُ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، أَوِ الْكِتَابُ الَّذِي تُكْتَبُ بِهِ الْأَعْمَالُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُنِيلُنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ أَنَّ الْقُرْآنَ تَبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ نَسْتَدِلَّ بِمَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ.

إِذَنْ الْخُلَاصَةُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ: أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ فِيهِ الْمَعَانِي، فَكُلُّ شَيْءٍ نَحْتَاجُهُ فَهُوَ مُبَيَّنٌّ فِي الْقُرْآنِ.

وَقَالَ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاسْمِعْهُ، ۖ ثُمَّ إِنِّ عَلَيْنَا لِيَاذَهُ ۖ﴾ [القيامة: ١٨-١٩]، وَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وَقَالَ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَلِهَذَا النُّوعُ أُمُثْلَةٌ كَثِيرَةٌ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ، وَالْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ الْحُكْمِيَّةِ، وَغَالِبُ الْمَسَائِلِ الَّتِي اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهَا أَوْ كُلُّهَا مِنْ هَذَا النُّوعِ<sup>[١]</sup>.

فَمِنْ أُمُثْلَةِ ذَلِكَ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، حَيْثُ اشْتَبَهَ عَلَى النُّفَاةِ أَهْلُ التَّعْطِيلِ فَفَهِمُوا مِنْهُ انْتِفَاءَ الصِّفَاتِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ إِثْبَاتَهَا يَسْتَلْزِمُ مُمَازَلَةَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمَخْلُوقِينَ، فَفَقَوْا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضُوا عَنِ الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى ثُبُوتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ<sup>[٢]</sup>، .....

[١] قَوْلُهُ: «وَلِهَذَا النُّوعُ أُمُثْلَةٌ كَثِيرَةٌ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ...» إلخ؛ وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّ مَسَائِلَ الْخِلَافِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ، وَالْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ الْحُكْمِيَّةِ، كُلُّ هَذِهِ الْمَسَائِلِ غَالِبُهَا الْاِخْتِلَافُ فِي الْمَعْنَى، وَإِلَّا فَإِنَّ عُلَمَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ غَالِبُهُمْ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- نِيَّتُهُ طَيِّبَةٌ، لَكِنْ يَخْتَلِفُونَ فَيَشْتَبِهُ عَلَيْهِمُ الْمَعْنَى الْمُرَادُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَيَكُونُ الْخِلَافُ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ، وَفِي الْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ الْحُكْمِيَّةِ.

[٢] هَذَا اشْتِبَاهٌ نَسْبِيٌّ، فَأَهْلُ التَّعْطِيلِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجُهْمِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، أَنْكَرُوا الصِّفَاتِ بِحُجَّةٍ أَنَّ إِثْبَاتَهَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، فَقَالُوا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تَنْفِيٌّ

وَعَفَلُوا عَنْ كَوْنِ الْإِشْتِرَاكِ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى لَا يَسْتَلْزِمُ الْمِثَالَةَ فِي الْحَقِيقَةِ<sup>[١]</sup>.

ثُمَّ لَوْ أَمَعْنُوا فِي النَّظَرِ فِي هَذَا النَّفْيِ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» لَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ الصِّفَاتِ لَا عَلَى انْتِفَائِهَا؛ لِأَنَّ نَفْيَ الْمِثَالَةِ يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ أَصْلِ الْمَعْنَى، لَكِنْ لِكَمَالِهِ تَعَالَى لَا يُمِثِّلُهُ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَوْلَا ثُبُوتُ أَصْلِ الصِّفَةِ لَمْ يَكُنْ لِنَفْيِ الْمَثَلِ فَائِدَةٌ<sup>[٢]</sup>!

كُلُّ صِفَةٍ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْمَخْلُوقُ مَعَ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَنْتَ مِمَثِّلٌ. هَذَا هُوَ ظَنُّهُمْ وَمَبْلَغُ عِلْمِهِمْ.

وَلَكِنْ أَعْرَضُوا عَنِ الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ الثَّابِتَةِ الْوَاضِحَةِ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ؛ فَاتَّبَعُوا الْمُتَشَابِهَ وَتَرَكُوا الْمُحْكَمَ.

[١] قَوْلُهُ: «عَفَلُوا عَنْ كَوْنِ الْإِشْتِرَاكِ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى، لَا يَسْتَلْزِمُ الْمِثَالَةَ فِي الْحَقِيقَةِ»: وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مِنْ أَفْيِدِ الْقَوَاعِدِ: الْإِشْتِرَاكِ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى لَا يَسْتَلْزِمُ الْمِثَالَةَ فِي الْحَقِيقَةِ.

[٢] أَي: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ أَصْلِ الْمَعْنَى، إِذْ لَوْ لَمْ يَثْبُتْ أَصْلُ الْمَعْنَى؛ لَكَانَ نَفْيُ الْمِثَالَةِ لَغْوًا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ.

وَلِهَذَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي قَوْلِ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: «أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ بِهَا كَيْفٌ»: أَيِ النَّصُوصِ وَالصِّفَاتِ، وَقَالُوا: إِنَّ قَوْلَهُمْ: (بِلا كَيْفٍ): يَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ أَصْلِ الْمَعْنَى، وَلَوْلَا أَنَّ أَصْلَ الْمَعْنَى ثَابِتٌ؛ لَمَا كَانَ لِقَوْلِهِمْ: (بِلا كَيْفٍ) فَائِدَةٌ.

وَهَكَذَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» تَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ أَصْلِ الْمَعْنَى، لَكِنْ بَدُونِ مُثَالَةٍ.

إِذْن: أَجَبْنَا عَنْ هَذَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُه:

الأول: أَنَّهُمْ غَفَلُوا عَنِ الْأَدْلَةِ الْكَثِيرَةِ الْمُثَبِّتَةِ لَصِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ثانيًا: غَفَلُوا عَنِ الدَّلِيلِ الْحُسِيِّ الْعَقْلِيِّ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ تَمَثُّلِ الْأَسْمَاءِ أَوْ الصِّفَاتِ، تَمَثُّلِ الْمُسَمَّيَاتِ وَالْمَوْصُوفَاتِ.

ثالثًا: أَنَّهُمْ لَوْ أَمَعَنُوا النَّظَرَ حَقِيقَةً فِي الْآيَةِ الَّتِي اسْتَدَلُّوا بِهَا؛ لَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ الصِّفَةِ، لَا عَلَى انْتِفَائِهَا، وَوَجْهُهُ: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَصْلِ الصِّفَةِ وَأَنَّهُ لَا تَمَثُّلَ، إِذْ لَوْ كَانَ أَصْلُ الصِّفَةِ غَيْرَ موجودٍ؛ لَكَانَ نَفْيُ الْمِثَالَةِ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، بَلْ وَلَعَوَّا، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُنْفَى الْمِثَالَةُ فِي شَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ وُجِدَ الْأَصْلُ، وَإِلَّا لَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ)، أَوْ (لَا يُوصَفُ)، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ الْكَلَامِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الْفَائِدَةُ فِي نَفْيِ الْمِثَالَةِ الْمَطْلُوقَةِ؟ إِذْ لَمْ يَقُلْ: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) فِي سَمْعِهِ أَوْ بَصَرِهِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ).

قُلْنَا: مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَبَيَّنَ بِهَذَا كِمَالُ صِفَاتِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ إِطْلَاقًا، فِي أَيِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْقَاعِدَةَ فِي النَّفْيِ: الْإِجْمَالُ؛ لِأَنَّهُ أَبْلَغُ فِي التَّنْزِيهِ وَالتَّعْظِيمِ، وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا النَّصِّ اشْتَبَهَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضِ، وَالَّذِينَ لَمْ يَشْتَبِهْ عَلَيْهِمْ هَذَا النَّصُّ هُمُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، الَّذِينَ قَالُوا: نَحْنُ نَسْتَدِلُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى ثُبُوتِ الصِّفَاتِ، لَكِنَّا لَا تَمَثُّلَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ فِي الْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ الْحُكْمِيَّةِ<sup>[١]</sup> قَوْلُهُ ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»<sup>(١)</sup> حَيْثُ اشْتَبَهَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ فَفَهَمُوا مِنْهُ أَنَّهُ شَامِلٌ لِلْكَمِّيَّةِ وَالْكَفِيَّةِ، وَبَنَوْا عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَا تَجُوزُ الزِّيَادَةُ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ عَلَى الْعَدَدِ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُومُ بِهِ، فَلَا يُزَادُ فِي التَّرَاوِيحِ فِي رَمَضَانَ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةٍ، أَوْ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ رَكْعَةً، وَلَكِنْ مَنْ تَأَمَّلَ الْحَدِيثَ وَجَدَهُ ذَالًا عَلَى الْكَفِيَّةِ فَقَطْ دُونَ الْكَمِّيَّةِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْكَمِّيَّةُ فِي ضَمَنِ الْكَفِيَّةِ كَعَدَدِ الصَّلَاةِ الْوَاحِدَةِ، وَيَدُلُّ لِدَلِيلِكَ مَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ - وَهُوَ عَلَى الْمَنِيرِ - مَا تَرَى فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ؟ قَالَ: «مَثْنَى مَثْنَى. فَإِذَا خَشِيَ الصُّبْحَ صَلَّى وَاحِدَةً. فَأَوْتَرْتُ لَهُ مَا صَلَّى»<sup>(٢)</sup>. وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ السَّائِلَ قَالَ: كَيْفَ صَلَاةُ اللَّيْلِ؟ وَلَوْ كَانَ عَدَدُ قِيَامِ اللَّيْلِ مُحْضُورًا لَبَيَّنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا السَّائِلَ، وَهَذَا كَانَ الرَّاجِحُ أَنْ يُقْتَصَرَ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةٍ أَوْ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ، وَإِنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَلَا بَأْسَ<sup>[٢]</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ فِي الْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ الْحُكْمِيَّةِ»: هَذِهِ مَسْأَلَةٌ عَمَلِيَّةٌ حُكْمِيَّةٌ، وَقَوْلُنَا: عَمَلِيَّةٌ. لِأَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِالْعَمَلِ، وَحُكْمِيَّةٌ: لِأَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الظَّاهِرَةِ.

[٢] اشْتَبَهَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ قَوْلُهُ ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي». فَقَوْلُهُ: «كَمَا رَأَيْتُمُونِي»: الْكَافُ لِلتَّشْبِيهِ، وَالتَّشْبِيهُ يَكُونُ فِي الْكَفِيَّةِ لَا فِي الْكَمِّيَّةِ، فَظَنُّوا أَنَّ هَذَا شَامِلٌ

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، رقم (٦٣١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب الخلق والجلوس في المسجد، رقم (٤٧٢)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل، مثنى مثنى رقم (٧٤٩).

وَأَمْثَلُهُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، تُعَلِّمُ مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ الْمَعْنِيَةِ بِذِكْرِ الْخِلَافِ وَالتَّرْجِيحِ  
بَيْنَ الْأَقْوَالِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

لِلْعَدَدِ الَّذِي هُوَ الْكَمِّيَّةُ، وَلِلْكَفِيَّةِ الَّتِي هِيَ الصِّفَةُ، وَقَالُوا: لَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَزِيدَ  
فِي قِيَامِ اللَّيْلِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةِ رَكْعَةٍ. وَعَلَى قَاعِدَتِهِمْ لَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُصَلِّيَ أَكْثَرَ  
مِنَ الْعَدَدِ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّيهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، مَعَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ  
بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»<sup>(١)</sup>، وَأَطْلَقَ، فَتَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ الْكَمِّيَّةَ لَا أَثَرَ لَهَا إِلَّا أَنْ تَكُونَ دَاخِلَةً فِي  
ضِمَنِ الْكَفِيَّةِ.

فَنَقُولُ: الْكَمِّيَّةُ لَيْسَتْ مُقَيَّدَةً فِي كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ بَلْ هِيَ مُطْلَقَةٌ، وَالْمَقْيَدُ بِفَعْلِهِ  
هُوَ الْكَفِيَّةُ، فَلَا تُصَلِّي إِلَّا بِالْكَفِيَّةِ الَّتِي صَلَّى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، مَا لَمْ تَكُنِ الْكَمِّيَّةُ دَاخِلَةً  
فِي الْكَفِيَّةِ، كَعَدَدِ الرُّكُوعِ وَعَدَدِ السُّجُودِ.  
فَلَوْ قَالَ: أَنَا سَأْرَكُعُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

قُلْنَا: لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ الرُّكُوعَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، أَوِ السُّجُودَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ أَوْ أَرْبَعَ،  
هَذَا يُؤَدِّي إِلَى اخْتِلَافِ الْكَفِيَّةِ.

وَاشْتَبَهَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ وَجَزَمَ بِأَنَّهُ يَجِبُ الْاِقْتِصَارُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ عَلَى إِحْدَى  
عَشْرَةِ رَكْعَةٍ، وَإِنْ تَنَازَلْنَا قُلْنَا: ثَلَاثَ عَشْرَةِ رَكْعَةٍ، وَلَا تَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ مُسْتَدِلًّا  
بِالْحَدِيثِ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْحَدِيثَ لَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا لِأُمُورٍ:

أَوَّلًا: لَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا بَلْفِظِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي».

ثَانِيًا: أَنَّهُ قَدْ وَجِدْتُ نصوصًا أُخْرَى، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِعَدَدٍ مُعَيَّنٍ،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، رقم (٤٨٩).



كحديث ابنِ عُمَرَ قَالَ: سَأَلَ النَّبِيَّ رَجُلٌ: مَا تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ؟ قَالَ: «مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ الصُّبْحَ صَلَّى وَاحِدَةً»<sup>(١)</sup>، وَلَوْ كَانَ الْعَدَدُ لَا يَجُوزُ تَعْدِيهِ لِقَالَ: (مَثْنَى مَثْنَى وَلَا تَزِدْ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ)؛ لِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَلَا عَدَدَهَا، وَتَأْخِيرُ الْبَيَانِ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ يُنَافِي مَا يَجِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْإِبْلَاجِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿يَتَأْتِيَكَ الرَّسُولُ بِلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وَتَأْخِيرُ الْبَيَانِ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ خِلَافُ الْإِبْلَاجِ الَّذِي أُمِرَ بِهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

إِذَنْ نَقُولُ: هَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُسْتَبْهَةِ، وَلَكِنْ عِنْدَ التَّأَمُّلِ وَالنَّظَرِ فِي أَطْرَافِ الْأَدْلَةِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُسْتَبْهٍ؛ لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مُسْتَبْهٌ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ أَبَدًا، لَا فِي الْأُمُورِ الْعِلْمِيَّةِ الْحَقَرِيَّةِ، وَلَا فِي الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ الْحَكْمِيَّةِ.



(١) أخرجه البخاري: أبواب المساجد، باب الحلق والجلوس في المسجد، رقم (٤٦٠).

## القاعدة السادسة

فِي ضَابِطٍ مَا يَجُوزُ لِلَّهِ وَيَمْتَنَعُ عَنْهُ نَفِيًا وَإِثْبَاتًا

صِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى دَائِرَةٌ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ - كَمَا سَبَقَ - فَلَا بُدَّ مِنْ ضَابِطٍ لِهَذَا وَذَلِكَ<sup>[١]</sup>.

[١] قوله: «فِي ضَابِطٍ مَا يَجُوزُ لِلَّهِ وَيَمْتَنَعُ عَنْهُ نَفِيًا وَإِثْبَاتًا»: هَذَا الضَّابِطُ لِسَنَا نَحْنُ الَّذِينَ نَضَعُهُ، إِذْ لَا بُدَّ مِنْ ضَابِطٍ يُعْلَمُ بِهِ مَا تَدَوَّرُ عَلَيْهِ صِفَةُ النَّفْيِ وَصِفَةُ الْإِثْبَاتِ.

وَالْمَرَادُ بِالضَّابِطِ: فَهْمٌ مَا يُنْفَى عَنِ اللَّهِ وَمَا يُثْبِتُ لَهُ؛ لِأَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ تَوْقِيفِيَّةٌ.

وَهَذَا لَيْسَ كَالضَّابِطِ فِي بَابِ الْفَقْهِ، فَفِي بَابِ الْفَقْهِ إِذَا قُلْنَا: ضَابِطٌ. فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ كَالْقَاعِدَةِ تَقْيُسٌ عَلَيْهِ، وَتَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ الْجُزْئِيَّاتِ، أَمَّا هَذَا فَلَيْسَ كَذَلِكَ.

فَالْمَرَادُ بِالضَّابِطِ هُنَا: مَا يَجُوزُ وَيُمْتَنَعُ عَنْهُ نَفِيًا وَإِثْبَاتًا، وَبَيَانُ مَا تَدَوَّرُ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُنْفِيَّةُ الَّتِي نَفَاهَا اللَّهُ، أَوِ الصِّفَاتُ الَّتِي أُثْبِتَهَا اللَّهُ، لَا أَنَّنَا نَحْنُ مَنْ يَضَعُ أَشْيَاءَ مِنْ عِنْدِنَا نَنْفِيهَا أَوْ نُثْبِتُهَا.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الضَّابِطِ هُنَا وَالضَّابِطِ فِي الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ: أَنَّ الضَّابِطَ فِي الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ وَاسِعٌ، بِمَعْنَى أَنَّكَ تُطَبِّقُ هَذَا الضَّابِطَ عَلَى الْجُزْئِيَّاتِ الْوَاقِعَةِ، أَمَّا هُنَا فَلَا. وَيُرِيدُ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَفَى عَنْ نَفْسِهِ أَشْيَاءَ تَدَوَّرُ حَوْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ.

فَالضَّابِطُ فِي النَّفْيِ، أَنْ يُنْفَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى:

أَوَّلًا: كُلُّ صِفَةٍ عَيْبٍ كَالْعَمَى، وَالصَّمَمِ، وَالْحَرَسِ، وَالنَّوْمِ، وَالْمَوْتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ<sup>[١]</sup>.

ثَانِيًا: كُلُّ نَقْصٍ فِي كَمَالِهِ كَنَقْصِ حَيَاتِهِ أَوْ عِلْمِهِ أَوْ قُدْرَتِهِ أَوْ عِزَّتِهِ أَوْ حِكْمَتِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ<sup>[٢]</sup>.

[١] قوله: «أَوَّلًا: كُلُّ صِفَةٍ عَيْبٍ كَالْعَمَى وَالصَّمَمِ»: أَيُّ كُلِّ مَا نَفَاهُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ صِفَةٌ نَقْصٌ، فَيُنْفَى عَنِ اللَّهِ كُلُّ صِفَةٍ عَيْبٍ: كَالْعَمَى الَّذِي يُقَابَلُهُ الْبَصَرُ، وَالصَّمَمِ الَّذِي يُقَابَلُهُ السَّمْعُ، وَالْبَكَمِ الَّذِي يُقَابَلُهُ الْكَلَامُ، وَالنَّوْمِ وَالْمَوْتِ الَّذِي يُقَابَلُهُ كَمَالُ الْحَيَاةِ.

إِذَنْ: نَقُولُ لِلَّذِينَ نَفَوْا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مُتَكَلِّمًا، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ مِنْ حُرُوفٍ، نَقُولُ: إِذَنْ وَصَفُوهُ بِالْبَكَمِ وَهُوَ عَيْبٌ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنْزَعٌ عَنِ الْعُيُوبِ.

كَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا: سَمِيعٌ بَلَا سَمْعٍ، بَصِيرٌ بَلَا بَصَرٍ.

نَقُولُ: هَذَا لَا يُمَكِّنُ؛ فَبَصِيرٌ بَلَا بَصَرٍ، مَعْنَاهُ أَنْكُمْ وَصَفْتُمُوهُ بِالْعَمَى، وَسَمِيعٌ بَلَا سَمْعٍ، وَصَفْتُمُوهُ بِالصَّمَمِ، وَعَلَى هَذَا فَقِسْ.

[٢] قوله: «كُلُّ نَقْصٍ فِي كَمَالِهِ كَنَقْصِ حَيَاتِهِ أَوْ عِلْمِهِ»: نَقْصُ الْحَيَاةِ أَيْضًا مُتَمَتِّعٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٧]، وَقَالَ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، فَكُلُّ هَذِهِ الْآيَاتِ تَدُلُّ عَلَى كَمَالِ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ حَيَاتَهُ عَزَّوَجَلَّ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ،

وَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا نَقْصٌ حَتَّى يَحْتَاجُ إِلَى النَّوْمِ أَوْ تَعَرُّضِهِ لِلْسَّنَةِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ»<sup>(١)</sup>.

وَالنَّقْصُ فِي عِلْمِهِ أَيْضًا مُسْتَحِيلٌ، حَتَّى وَلَوْ وَصَفَتِ اللَّهُ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ، وَقُلْتُ: إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَفْعَالَ الْعِبَادِ. كَمَا قَالَهُ غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ، فُغْلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ أَفْعَالَ الْعِبَادِ إِلَّا إِذَا وَقَعَتْ، وَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَلَا عِلْمَ لَهُ بِهَا. فَهَؤُلَاءِ وَصَفُوا اللَّهَ بِعَيْبٍ وَهُوَ نَقْصُ عِلْمِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

فَإِذَا قُلْتُ: لَا يَعْلَمُ اللَّهُ فِعْلَ الْعَبْدِ حَتَّى يَفْعَلَهُ الْعَبْدُ. فَهَذَا -بِلا شَك- عَيْبٌ بِالنِّسْبَةِ لِعِلْمِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

كَذَلِكَ النَّقْصُ فِي عِزَّتِهِ، مِثْلُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ وَقَالُوا: «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟»، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ» [فصلت: ١٥]، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ نَقْصِ الْعِزَّةِ؛ لِأَنَّهُ غَالِبٌ لِكُلِّ شَيْءٍ.

وَالْحِكْمَةُ أَيْضًا، فَالنَّقْصُ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ، مِثْلُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَطْعَنُونَ فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ، أَوْ فِي قَدْرِ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ: كَيْفَ كَانَ هَذَا حَرَامًا؟ كَيْفَ كَانَ هَذَا وَاجِبًا؟ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَطَرَ فِي هَذَا الْوَقْتِ؟ لِمَا مَنَعَ اللَّهُ الْمَطَرَ فِي وَقْتِ نَزْوِلِهِ؟ وَهَكَذَا، فَهَذَا طَعْنٌ فِي الْحِكْمَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ.

وَمِنْ هَذَا أَيْضًا مَنْ أَنْكَرُوا الْحِكْمَةَ مُطْلَقًا، فَإِنَّ الْجَبَرِيَّةَ يُنْكِرُونَ حِكْمَةَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ وَيَحْكُمُ وَيُشَرِّعُ بغيرِ حِكْمَةٍ؛ لِأَنَّكَ لَوْ أَثْبَتَ اللَّهُ حِكْمَةً لَأَثْبَتَ لَهُ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ»، رقم (١٧٩).

ثالثاً: مُثَالَّتُهُ لِلْمَخْلُوقِينَ كَأَن يُجْعَلَ عِلْمُهُ كَعِلْمِ الْمَخْلُوقِ، أَوْ وَجْهُهُ كَوَجْهِ الْمَخْلُوقِ، أَوْ اسْتِوَاؤُهُ عَلَى عَرْشِهِ كَاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِ وَنَحْوُ ذَلِكَ.

فَمِنْ أَدِلَّةِ انْتِفَاءِ الْأَوَّلِ عَنْهُ: قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [التَّحْلُ: ٦٠]، فَإِنَّ ثُبُوتَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى لَهُ وَهُوَ الْوَصْفُ الْأَعْلَى يَسْتَلْزِمُ انْتِفَاءَ كُلِّ صِفَةٍ عَيْبٍ.

غَرَضًا، وَهَذَا نَقْصٌ؛ لِأَنَّ مَنْ يَفْعَلُ لَغَرَضٍ فَمُقْتَضَاهُ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ لِهَذَا الْغَرَضِ، وَهَذَا شَيْءٌ لَا يَجُوزُ.

وَلِهَذَا يَقُولُونَ كَلِمَةً عَظِيمَةً: إِنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَغْرَاضِ وَالْأَبْعَاضِ، وَيَقُولُونَ: لَوْ قُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ لِحِكْمَةٍ. لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا لِهَذَا الشَّيْءِ الَّذِي فَعَلَهُ لِحِكْمَةٍ.

وَلَكِنَّ هَذَا كَذِبٌ مِنْهُمْ، لَا يَصِحُّ عَقْلاً وَلَا شَرْعًا، أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ الْغَنِيِّ يَتَصَدَّقُ عَلَى الْفَقِيرِ، وَلَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ بِبَالِهِ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِهَذِهِ الصَّدَقَةِ، فَمَاذَا قَصَدَ مِنَ الصَّدَقَةِ؟ نَفْعَ غَيْرِهِ أَوْ نَفْعَ نَفْسِهِ؟ إِذَا كَانَ نَفْعُ غَيْرِهِ، فَهُوَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى نَفْعِ الْغَيْرِ؛ لِأَنَّهُ مَا كَانَ يَنْوِي بِذَلِكَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

فَاللَّهُ عَزَّجَلَّ يَفْعَلُ الشَّيْءَ لِحِكْمَةٍ، وَهِيَ مَصْلَحَةُ الْعِبَادِ، لَا لِحَاجَتِهِ إِلَى هَذِهِ الْحِكْمَةِ، بَلْ لَا إِلَى حَاجَتِهِ لِهَذَا السَّبَبِ الَّذِي أَوْجَبَ الْكُونَ الْقَدَرِي، أَوِ الْأَمْرَ الشَّرْعِي.

فَكُلُّ نَقْصٍ فِي كِمَالِ اللَّهِ فَهُوَ مُمْنُوعٌ، فَكِمَالُ اللَّهِ تَامٌ، فَإِذَا وَصَفَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ عَزِيزٌ، قُلْنَا: لَا نَقْصَ فِيهَا. وَبِأَنَّهُ حَكِيمٌ، قُلْنَا: حِكْمَةٌ لَا نَقْصَ فِيهَا. وَعَلَى هَذَا فَفَقَسْ.

وَمِنْ أَدِلَّةِ انْتِفَاءِ الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]<sup>١١</sup>.

[١] قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ، فَالْقَسَمُ الْمَقْدَّرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ اللَّامُ، وَالتَّقْدِيرُ: وَاللَّهُ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.

وقوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ كَانَ النَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا هَوَاءٌ، لَكِنَّ كَوْنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ يَجْعَلُهُ مُعَادِلًا لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَخْلُوقَاتٍ عَظِيمَةً.

وَهَذَا هُوَ الَّذِي شَهِدَ بِهِ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ، أَنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَخْلُوقَاتٍ عَظِيمَةً جِدًّا، مِنْهَا مَا عُلِمَ وَمِنْهَا مَا لَمْ يُعْلَمَ.

خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، أَوَّلُهَا الْأَحَدُ وَآخِرُهَا الْجُمُعَةُ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ لَخَلَقَهَا فِي لَحْظَةٍ (كُنْ فَيَكُونُ)، لَكِنَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَهُ حِكْمَةٌ فِي خَلْقِهِ؛ وَهُوَ تَدْرُجُ الْخَلْقِ حَتَّى يُكْمَلَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ، فَلَا بُدَّ أَنَّ لَهَا أَسْبَابًا تُكَوِّنُهَا وَمَكُونَاتٍ، فَكَانَتْ الْحِكْمَةُ أَنَّ تَأْتِيَ الْأُمُورُ عَلَى مَا تَقْضِيهِ الْحَالُ، هَذَا وَجْهٌ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: وَمِنْ أَجْلِ أَنَّ يَعْلَمَ الْعِبَادُ أَنَّ الشَّأْنَ كُلَّ الشَّأْنِ فِي الْإِتْقَانِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ حِكْمَةٌ، لَكِنْ لَا نَدْرِي، هَلْ أَرَادَهَا اللَّهُ عَزَّجَلَّ أَوْ لَا؟

لَكِنَّ الْأَوَّلَ مُتَيَقِّنٌ أَوْ غَالِبٌ عَلَى الظَّنِّ، ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] أَيِ مَنْ تَعَبٍ وَإِعْيَاءٍ، وَهَذَا النَّفْيُ لِتَوْهَمِ النَّقْصِ، فَقَدْ يَتَوَهَّمُ وَاهِمٌ، أَنَّ خَلْقَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ تَسْتَلْزِمُ التَّعَبَ وَالْإِعْيَاءَ؛ فَنفَى اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ.

وَمِنْ أَدِلَّةِ انْتِفَاءِ الثَّالِثِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورَى: ١١] <sup>[١]</sup>.  
وَبِهَذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِعْتِمَادُ فِي ضَابِطِ النَّفْيِ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ؛  
وَذَلِكَ لِوَجْهَيْنِ:

الأوَّلُ: أَنَّهُ إِنْ أُريدَ بِالنَّفْيِ نَفْيُ التَّشَابُهِ الْمَطْلَقِ - أَيِ نَفْيِ التَّسَاوِي مِنْ كُلِّ  
وَجْهِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ - فَهَذَا لَعَوٌّ مِنَ الْقَوْلِ، إِذْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِتَّسَاوِي الْخَالِقِ  
وَالْمَخْلُوقِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ <sup>[٢]</sup>، .....

[١] أَمَّا الْآيَةُ الثَّالِثَةُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فَهِيَ وَاضِحَةٌ، وَبَيِّنًا أَنَّ الْكَافَ فِي  
قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾ لِلتَّوَكِيدِ.

[٢] قَوْلُهُ: «إِنْ أُريدَ بِالنَّفْيِ نَفْيُ التَّشَابُهِ الْمَطْلَقِ - أَيِ نَفْيِ التَّسَاوِي مِنْ كُلِّ وَجْهِ  
بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ - فَهَذَا لَعَوٌّ»: إِذَا اعْتَمَدْنَا عَلَى هَذَا وَقُلْنَا: إِنَّا نُبَيِّنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كُلُّ  
صِفَةٍ مَعَ انْتِفَاءِ التَّشْبِيهِ، فَيَكُونُ الْعُمْدَةُ مُجَرَّدَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، نَقُولُ: هَذَا لَا يَصْلُحُ؛ لِأَنَّ هَذَا  
مَقَامٌ مَهْمٌ؛ لِأَنَّهُ إِنْ أَرَادَ بِنَفْيِ التَّشْبِيهِ نَفْيَ الْمِثَالَةِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ؛ فَهَذَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ.  
وَالسَّبَبُ: أَنَّهُ لَا أَحَدٌ يَقُولُ بِتَّشَابِهِ صِفَةِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ أَبَدًا،  
أَيِ مَا قَالَ أَحَدٌ: إِنَّ الْمَخْلُوقَ وَاجِبُ الوجودِ، كَمَا أَنَّ الْخَالِقَ وَاجِبُ الوجودِ. وَلَا قَالَ:  
إِنَّ الْمَخْلُوقَ أَزَلِّيٌّ، كَمَا أَنَّ الْخَالِقَ أَزَلِّيٌّ، وَلَا أَنَّهُ أَبَدِيٌّ كَمَا أَنَّ الْخَالِقَ أَبَدِيٌّ.

فَإِنْ كَانَ هَذَا مَرَادَهُ مِنَ التَّشَابُهِ؛ قُلْنَا: هَذَا مَرَادٌ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ.  
وَإِذَا لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ فَلَا حَاجَةَ إِلَى نَفْيِهِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُنْفَى الشَّيْءُ إِذَا كَانَ فِيهِ احْتِمَالٌ،  
أَمَّا مَعَ غَيْرِ احْتِمَالٍ فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ هَذَا لَعَوٌّ مِنَ  
الْقَوْلِ، إِذْ لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ».

بِحَيْثُ يَثْبُتُ لِأَحَدِهِمَا مِنَ الْجَائِزِ وَالْمُتَنَعِ وَالْوَاجِبِ مَا يَثْبُتُ لِلْآخِرِ<sup>[١]</sup>، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقُولَهُ عَاقِلٌ يَتَصَوَّرُ مَا يَقُولُ، فَإِنَّهُ يَمَّا يُعْلَمُ بِضُرُورَةِ الْعَقْلِ وَبِدَاهَةِ الْحِسِّ انْتِفَاؤُهُ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِنَفْيِهِ فَائِدَةٌ.

وَأِنْ أُريدَ بِالنَّفْيِ نَفْيُ مُطْلَقِ التَّشَابُهِ -أَيِ نَفْيِ التَّشَابُهِ مِنْ بَعْضِ الوجودِ- فَهَذَا النَّفْيُ لَا يَصِحُّ أَيْضًا، إِذْ مَا مِنْ شَيْئَيْنِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا قَدَرٌ مُشْتَرِكٌ يَشْتَرِكَانِ فِيهِ، وَقَدَرٌ مُخْتَصٌّ يَتَمَيَّزُ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ عَنِ الْآخَرِ، فَيَشْتَبِهَانِ مِنْ وَجْهِ، وَيَفْتَرِقَانِ مِنْ وَجْهِ<sup>[٢]</sup>.

[١] الجائز: هو الذي يُمكنُ وجودُهُ وعدمُهُ.

والوَاجِب: ما لا يُمكنُ عدمُهُ.

والمُتَنَع: ما لا يُمكنُ وجودُهُ.

[٢] قوله: «وَأِنْ أُريدَ بِالنَّفْيِ مُطْلَقُ التَّشَابُهِ -أَيِ نَفْيِ التَّشَابُهِ مِنْ بَعْضِ الوجودِ- فَهَذَا النَّفْيُ لَا يَصِحُّ»: وَهَذَا أَيْضًا لَا يَصِحُّ إِنْ قَالَ: مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ، أَيْ: أَيْ شَبَهٍ يُكُونُ وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ الَّذِي قَبْلَهُ، أَنَّ الَّذِي قَبْلَهُ يَتَسَاوَى مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَهَذَانِ لَا يَشْتَرِكَانِ فِي أَيْ شَيْءٍ.

فَإِذَا قَالَ: أَعْتَمَدُ فِيهِمَا يُنْفَى عَنِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُشَابِهُ الْخَلْقَ مِنْ أَيْ وَجْهِ كَانَ وَلَا فِي أَصْلِ الْمَعْنَى.

قُلْنَا: هَذَا لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ شَيْئَيْنِ مَوْجُودَيْنِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا قَدَرٌ مُشْتَرِكٌ، لَكِنْ يَتَمَيَّزُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ، فَكُلُّ مَوْجُودَيْنِ سِوَاءٍ مِنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، أَوْ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ، لَا بَدَّ أَنْ يَشْتَرِكَا فِي شَيْءٍ، وَيَفْتَرِقَا فِي شَيْءٍ.



فمثلاً الوجود: الخالق له وجود والمخلوق له وجود، وكذلك الحياة، والسمع، والبصر، وهلمَّ جرّاً.

لكن يتميز وجود الخالق سبحانه عن وجود المخلوق، فهما يشتركان في الوجود، لكن يفترقان في أنّ وجود الخالق واجبٌ من غير موجب، ووجود المخلوق ممكنٌ بموجب، وهذا فرقٌ عظيم.

وقوله: «وإن أريد بالنفي نفي مطلق التشابه»:

هناك فرق بين مطلق الشيء والشيء المطلق:

فالشيء المطلق: يعني الكامل.

ومطلق الشيء: يعني البعض.

فمثلاً: الإيمان المطلق أي الكامل، ومطلق الإيمان أي البعض، فللفاسق مثلاً مطلق إيمان، وليس له إيمان مطلق، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، ولو أخذنا بظاهر الآية؛ ما وجدنا مؤمناً في وقتنا الحاضر إلا نادراً، لكن يُراد بالمؤمن هنا الإيمان المطلق، أي الكامل، وليس المراد مطلق الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، المراد مطلق الإيمان، أي

وإن كان فاسقاً، فإنه لا يُسمّى كافراً، فمعه مطلق الإيمان.

فهنا التساوي المطلق بين الخالق والمخلوق، هذا منفي ولا حاجة إلى نفيه؛ لأنه لا يمكن لعاقلي أن يقول به.

وَمُطْلَقُ التَّشَابُهْ أَيْضًا مَنْفِيٌّ، أَيِ التَّشَابُهْ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ مَنْفِيٌّ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءَيْنِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا تَشَابُهٌ، أَوْ قَدَرٌ مُشْتَرَكٌ لَا بُدَّ مِنْهُ.

فَإِذَا نَفَيْنَا مُطْلَقَ التَّشَابُهْ؛ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ الْعَدَمُ الْمَحْضُ تَعْطِيلُ مَحْضٍ، أَيِ تَعْطِيلُ لِلْخَالِقِ مَحْضٍ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا خَالِقَ.

وَكَذَلِكَ صِفَةُ الْوُجُودِ، إِذَا قَالَ: إِنِّي أَنْفِي عَنْ اللَّهِ صِفَةَ الْوُجُودِ؛ لئَلَّا يَشْتَرِكَ مَعَ الْمَخْلُوقِ فِي مُطْلَقِ الْوُجُودِ؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَهُ وُجُودٌ.

قُلْنَا: إِذَنْ نَفَيْتَ الْوُجُودَ عَنْهُ، وَيَلْزَمُ عَلَى هَذَا اللَّازِمِ الْفَاسِدُ، وَهُوَ نَفْيُ وُجُودِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ مَعْدُومًا، فَإِذَا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مَعْدُومًا شَبَّهَتْهُ بِالْمَعْدُومِ، فَفَرَرْتَ مِنْ شَيْءٍ وَوَقَعْتَ فِي مِثْلِهِ، بَلْ شَرٌّ مِنْهُ!

فَإِنْ قَالَ: إِذَنْ أَنْفِي عَنْهُ صِفَةَ الْعَدَمِ. وَقَدْ نَفَى عَنْهُ صِفَةَ الْوُجُودِ.

فَالْجَوَابُ: إِذَنْ أَثَبَّتَ لَهُ أَمْرًا مُتَمَتِّعًا، فَهُوَ نَفْيُ النَّقِیْضَيْنِ؛ لِأَنَّ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكُونُ مَوْجُودًا أَوْ مَعْدُومًا.

فَإِذَا قُلْتُ: لَيْسَ مَوْجُودًا -فِرَارًا مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْمَوْجُودَاتِ- وَلَيْسَ مَعْدُومًا -فِرَارًا مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْمَعْدُومَاتِ-. فَقَدْ شَبَّهَتْهُ بِالْمُمْتَنِعَاتِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ؛ لِأَنَّ نَفْيَ النَّقِیْضَيْنِ مُتَمَتِّعٌ، كَمَا أَنَّ إِثْبَاتَ النَّقِیْضَيْنِ مُتَمَتِّعٌ.

وَبِهَذَا عَرَفْنَا أَنَّ نَفْيَ مُطْلَقِ التَّشْبِيهِ لَا يَصِحُّ، وَنَفْيُ التَّشْبِيهِ الْمَطْلَقِ لَا يَصِحُّ.

إِذَنْ: لَوْ قُلْنَا: إِنَّ هُنَاكَ تَشَابُهًا بَيْنَ حَيَاةِ الْمَخْلُوقِ وَحَيَاةِ الْخَالِقِ، لَكِنَّ حَيَاةَ الْمَخْلُوقِ تَخْتَصُّ بِهِ وَحَيَاةَ الْخَالِقِ تَخْتَصُّ بِهِ. لَكُنَّا قَدْ أَصَبْنَا.

فالحياة مثلاً: وَصَفَ مُشْتَرَكُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَالَ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الروم: ١٩]، لَكِنَّ حَيَاةَ الْخَالِقِ تَخْتَصُّ بِهِ، فَهِيَ حَيَاةٌ كَامِلَةٌ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، لَمْ تُسَبِّقْ بَعْدَمَ وَلَا يَلْحَقُهَا فَنَاءٌ، بِخِلَافِ حَيَاةِ الْمَخْلُوقِ فَإِنَّهَا حَيَاةٌ نَاقِصَةٌ مَسْبُوقَةٌ بَعْدَمَ مَتَلَوَّةٌ بِفَنَاءٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] <sup>[١]</sup>.

[١] وكذلك وصف الحياة ثابت في الخالق والمخلوق، فهذا هو القدر المشترك، والقدر المفترق قوله: «لكن حياة الخالق تختص به، فهي حياة كاملة من جميع الوجوه».

ونحن قلنا: إن أريد بالنفي نفْي مطلق التشابه، أي نفْي التشابه من بعض الوجوه، فهذا لا يصح، أي أن تنفي عن الله مطلق التشابه، تقول: ما يشابه الخلق ولو من بعض الوجوه، هذا لا يصح؛ لأن نفْي التشابه ولو من بعض الوجوه معناه التَّعْطِيلُ الْمُخَصُّ، إذ لا بد من قدر مشترك، لكن الذي ليس فيه اشتراك هو ما يَتمَيِّزُ به كل واحد ويختص به.

فالحياة مثلاً وصف ثابت للخالق والمخلوق.

دليلها للخالق: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

ودليلها للمخلوق: قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾

[الروم: ١٩].

إذن: الحياة وصف مشترك، لكن حياة الخالق غير حياة المخلوق، فحياة الخالق تختص به، وحياة المخلوق تختص به، وحياة الخالق عز وجل لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء،

فَالْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ (وَهُوَ مُطْلَقُ الْحَيَاةِ) كُلِّيٌّ لَا يَخْتَصُّ بِأَحَدِهِمَا دُونَ الْآخِرِ<sup>[١]</sup>، لَكِنَّ مَا يَخْتَصُّ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ وَيَتَمَيَّزُ بِهِ لَمْ يَقَعْ فِيهِ اشْتِرَاكٌ، وَحِينَئِذٍ لَا مَحْذُورَ مِنَ الْإِشْتِرَاكِ فِي هَذَا الْمَعْنَى الْكُلِّيِّ، وَإِنَّمَا الْمَحْذُورُ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُهُمَا مُشَارِكًا لِلْآخِرِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِ.

والمخلوق بخلاف ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا أَنَا عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

فمثلاً: الذي عُمُرُهُ خَمْسُونَ سَنَةً مِنَّا، قَبْلَ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً مَا كَانَ شَيْئًا، بَلْ كَانَ عَدَمًا ثُمَّ وُجِدَ، وَالرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، فَهُوَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَوْجُودًا.

ثُمَّ إِنَّ حَيَاةَ الْمَخْلُوقِ سَتَتَّهِي، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنَ عَلَيْنَا فَاِنٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، وَلِهَذَا أَعَقَبَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْحَيَاتَيْنِ، فَهُمَا اشْتَرَكَا فِي أَصْلِ الْمَعْنَى، وَافْتَرَقَا فِي خَصَائِصِ الْحَيَاةِ فِي هَذَا وَفِي هَذَا.

[١] هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ (كُلِّيٍّ) وَ(كُلٍّ)، فَ(الْكُلُّ) فِي الْأَجْزَاءِ، وَ(الْكُلِّيُّ) فِي الْمَعْنَوِيَّاتِ.

فَمَثَلًا نَقُولُ: كَلِمَةُ حَيَوَانٍ بِالنِّسْبَةِ لِلْإِنْسَانِ، وَالْبَعِيرِ، وَالْفَرَسِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ (كُلِّيٍّ)؛ لِأَنَّهُ مَعْنَى شَامِلٍ، وَلِهَذَا نَقُولُ: الْفَرَسُ حَيَوَانٌ. وَنَقُولُ: الْبَعِيرُ حَيَوَانٌ. وَنَقُولُ: الْبَقَرَةُ حَيَوَانٌ. فَهُوَ (كُلِّيٌّ) جَامِعٌ.

وَنَقُولُ: الْإِنْسَانُ حَيَوَانٌ. بِالْمَعْنَى الْكُلِّيِّ الْعَامِ، لَكِنَّ يَخْتَصُّ الْإِنْسَانُ بِأَنَّهُ حَيَوَانٌ نَاطِقٌ، وَالْبَقَرَةُ حَيَوَانٌ ذَاتُ ثَغَاءٍ، وَالْبَعِيرُ حَيَوَانٌ ذَاتُ رُغَاءٍ، وَهَكَذَا نَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَا اخْتَصَّ بِهِ.

ثُمَّ إِنَّ إِرَادَةَ ذَلِكَ -أَعْنِي نَفْيَ مُطْلَقِ التَّشَابُه- تَسْتَلْزِمُ التَّعْطِيلَ الْمَحْضَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا نَفَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى صِفَةَ الْوُجُودِ (مَثَلًا) بِحُجَّةٍ أَنَّ لِلْمَخْلُوقِ صِفَةَ وُجُودٍ فَإِثْبَاتُهَا لِلخَالِقِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ، لَزِمَ عَلَى نَفْيِهِ أَنْ يَكُونَ الخَالِقُ مَعْدُومًا، ثُمَّ يَلْزِمُهُ عَلَى هَذَا اللَّازِمِ الْفَاسِدُ أَنْ يَقَعَ فِي تَشْبِيهِ آخَرَ وَهُوَ تَشْبِيهُ الخَالِقِ بِالمَعْدُومِ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي صِفَةِ الْعَدَمِ، فَيَلْزِمُهُ عَلَى قَاعِدَتِهِ -تَشْبِيهُهُ بِالمَعْدُومِ فَإِنْ نَفَى عَنْهُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ وَقَعَ فِي تَشْبِيهِ ثَالِثٍ أَشَدَّ وَهُوَ تَشْبِيهُهُ بِالمُمْتَنِعَاتِ؛ لِأَنَّ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ نَقِيضَانِ يَمْتَنِعُ انْتِفَاؤُهُمَا كَمَا يَمْتَنِعُ اجْتِمَاعُهُمَا<sup>[١]</sup>.

إِذَنْ: الكُلِّيُّ هُوَ المَعْنَى الشَّامِلُ، وَالكُلُّ يُقَابِلُ الْجُزْءَ فِي الْأَشْيَاءِ المَعْنَوِيَّاتِ، فَالْإِنْسَانُ كُلُّ وَيدُهُ جُزْءٌ، فَالْكُلِّيَّاتُ تَشْتَرِكُ فِيهَا كُلُّ مَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ هَذَا الِاسْمُ، وَأَمَّا الكُلُّ فَمَعْنَاهُ الشَّيْءُ المَعْيَرُ أَوْ مَجْمُوعَةُ شَيْءٍ مُعَيَّنٍ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ (الكُلِّيَّ) فِي المَعْنَوِيَّاتِ، وَ(الكُلَّ) فِي المَحْسُوسَاتِ.

وَفَرْقٌ آخَرٌ: أَنَّهُ يَصِحُّ الإِخْبَارُ بِالكُلِّيِّ عَنِ الْجُزْئِيِّ، وَلَا يَصِحُّ الإِخْبَارُ بِالكُلِّ عَنِ الْجُزْءِ. نَقُولُ مَثَلًا: الْإِنْسَانُ حَيَوَانٌ، وَالبَّعِيرُ حَيَوَانٌ، وَالفَرَسُ حَيَوَانٌ. فَخَبَرُ بِالكُلِّيِّ عَنِ الْجُزْئِيِّ، لَكِنْ بِالنَّسْبَةِ لِلْجُزْءِ وَالْكُلُّ فَلَا نَقُولُ: الْيَدُ إِنْسَانٌ. لَكِنَّ الكُلَّ إِنْسَانٌ، فَالْإِنْسَانُ إِنْسَانٌ، هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الكُلِّ وَبَيْنَ الْجُزْءِ.

وَإِذَا قُلْنَا: الْكَلِمَةُ هَلْ هِيَ كَلِمَةٌ أَمْ كُلٌّ؟ فَالجَّوَابُ: هِيَ مِنْ بَابِ الكُلِّيَّاتِ.

[١] إِرَادَةُ نَفْيِ مُطْلَقِ التَّشْبِيهِ يَسْتَلْزِمُ التَّعْطِيلَ المَطْلُوقَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا نَفَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى صِفَةَ الْوُجُودِ مَثَلًا، وَقَالَ: لَوْ أَثْبَتْنَا لِلَّهِ وَجُودًا أَثْبَتْنَا الْمِثَابَةَ؛ لِأَنَّ لِلْمَخْلُوقِ وَجُودًا، وَعَلَيْهِ سَيَمْنَعُ صِفَةَ الْوُجُودِ، فَإِذَا نَفَى صِفَةَ الْوُجُودِ؛ لَزِمَ ثُبُوتُ الْعَدَمِ، فَيَلْزِمُهُ

إِذَنْ أَنْ يُشَبَّهُ بِالْمَعْدُومِ عَلَى قَاعِدَتِهِ.

فَإِذَا قَالَ: وَلَا الْعَدَمَ. فَتَقَى الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ.

قُلْنَا: هَذَا لَا يُمَكِّنُ؛ لِأَنَّ نَقْيَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ عَنِ الْمُسْتَحِيلِ، فَإِنَّهُمَا -أَيُّ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ- نَقِيضَانِ، فَلَا بُدَّ مِنْ وَجُودِ أَحَدِهِمَا، وَلَا بُدَّ مِنْ امْتِنَاعِ اجْتِمَاعِهِمَا.

فَإِذَا نَقَيْتَ عَنِ اللَّهِ الْوُجُودَ خَوْفًا مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْمَوْجُودِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَالْعَدَمَ خَوْفًا مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْمَعْدُومَاتِ؛ أَثَبَّتَ أَنَّهُ مَوْجُودٌ وَمَعْدُومٌ، وَهَذَا مَمْتَنِعٌ غَايَةَ الْامْتِنَاعِ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ وَصَلَ الْحَالَ إِلَى التَّعْطِيلِ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ تَعْطِيلٌ!

وَهَنَّاكَ فَرْقٌ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ وَالضَّدَيْنِ:

فَالنَّقِيضَيْنِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَرْتَفَعَا، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ وَجُودِ أَحَدِهِمَا؛ أَمَّا الضَّدَانِ فَيُمَكِّنُ أَنْ يَرْتَفَعَا.

مِثَالُ: اللَّوْنُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ ضِدَّانِ، فَيُمَكِّنُ أَنْ يَرْتَفَعَا بِأَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ أَخْضَرَ.

مِثَالُ آخَرَ: الْحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ، هُمَا نَقِيضَانِ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ مُتَحَرِّكًا فَلَيْسَ بِسَاكِنٍ، وَإِنْ كَانَ سَاكِنًا فَلَيْسَ بِمُتَحَرِّكٍ، فَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الْمُتَحَرِّكِ وَالسَّاكِنِ أَبَدًا.

إِذَنْ: الْوُجُودُ وَالْعَدَمُ نَقِيضَانِ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا مَوْجُودٌ وَإِمَّا مَعْدُومٌ وَلَا وَاسِطَةَ، وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ النَّقِيضِ وَالضَّدِ.

فَالْإِيمَانُ وَالْكَفَرُ كَمَا هُمَا ضِدَّانِ، وَأَمَّا مَعَ النَّقْصِ فَيُمَكِّنُ أَنْ يَجْتَمِعَا: إِيْمَانٌ نَاقِصٌ وَكُفْرٌ نَاقِصٌ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ الشَّيْءَ إِذَا شَارَكَ غَيْرَهُ مِنْ وَجْهِ جَازَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْآخِرِ، وَامْتَنَعَ عَلَيْهِ مَا يَمْتَنِعُ، وَوَجَبَ لَهُ مَا يَجِبُ!  
فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الْمَنَعُ، فَيَقَالُ لَا يَلْزَمُ مِنْ اشْتِرَاكِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فِي أَصْلِ الصِّفَةِ أَنْ يَتِمَّ اثْنَانِ فِيهِ فِيمَا يَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ وَيَجِبُ؛ لِأَنَّ مُطْلَقَ الْمُشَارَكَةِ لَا يَسْتَلْزِمُ الْمِثَالَةَ<sup>[١]</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ الشَّيْءَ إِذَا شَارَكَ غَيْرَهُ مِنْ وَجْهِ جَازَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْآخِرِ»: إِذَا شَارَكَ غَيْرَهُ مِنْ وَجْهِ: أَيُّ أَنَّ الْمَخْلُوقَ إِذَا شَارَكَ الْخَالِقَ مِثْلًا فِي الْحَيَاةِ مِنْ وَجْهِ، وَهُوَ أَصْلُ الْمَعْنَى، فَيَلْزَمُ إِذَا شَارَكَ فِي هَذَا الْوَجْهِ؛ أَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْمَخْلُوقِ، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَا يَمْتَنِعُ عَنِ الْمَخْلُوقِ، وَيَجِبُ لَهُ مَا يَجِبُ لِلْمَخْلُوقِ، مِنْ هَذَا الْوَجْهِ الَّذِي شَارَكَ فِيهِ، وَهُوَ أَصْلُ الْحَيَاةِ.

فَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: الْمَنَعُ، بِأَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا شَارَكَ الشَّيْءَ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، أَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِ - وَيَجِبُ وَيَمْتَنِعُ - مَا يَثْبُتُ لِلْآخِرِ فِي هَذَا الْوَجْهِ.

وَنَقُولُ: وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي أَصْلِ الصِّفَةِ؛ لَمْ يَلْزَمْ تَسَاوِيهِمَا فِي هَذَا الْأَصْلِ، فَيَشْتَرِكَانِ فِي أَصْلِ الصِّفَةِ، لَكِنْ يَخْتَلِفَانِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ.

فَهَذَا الَّذِي أوردَ عَلَيْنَا، قَالَ: أَنْتَ إِذَا قُلْتَ: إِنَّهُمَا يَشْتَرِكَانِ فِي أَصْلِ الصِّفَةِ؛ لَزِمَ أَنْ يَتَسَاوَيَا فِي هَذَا الْأَصْلِ، فَيَجُوزُ لِأَحَدِهِمَا مَا يَجُوزُ لِلْآخِرِ، وَيَجِبُ لِأَحَدِهِمَا مَا يَجِبُ لِلْآخِرِ، وَيَمْتَنِعُ عَلَى أَحَدِهِمَا مَا يَمْتَنِعُ عَلَى الْآخَرِ فِي هَذَا الْأَصْلِ، وَحِينَئِذٍ تَقَعُ فِي التَّمثِيلِ

فِي هَذَا الْأَصْلِ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وَالْمَسْأَلَةُ صَعْبَةٌ؛ لِأَنَّ الْحُصْمَ يُرِيدُ أَنْ يَأْتِيَ بِكُلِّ حُجَّةٍ، أَوْ - عَلَى الْأَصَحِّ - بِكُلِّ شُبْهَةٍ.

فَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَجْوِبَةِ عَلَى شُبْهَتِهِمُ الْمَنْعُ، وَهَذَا كَافٍ فِي بَابِ الْمَنَظَرَةِ، أَيْ إِذَا أُوْرِدَ عَلَيْكَ إِنْسَانٌ إِيْرَادًا، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ: لَا يَلْزَمُ، وَلَا أَلْتَزِمُ بِهِ، وَهَنَا لَا يُجْبِرُهُ عَلَى الرَّدِّ، لَكِنَّهُ عِنْدَ طَرَفٍ ثَالِثٍ إِذَا صَحَّ عِنْدَهُ هَذَا اللَّازِمُ؛ عَرَفَ بَطْلَانَ قَوْلِ مَنْ نَفَى هَذَا اللَّازِمَ.

إِذَنْ: نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ: نَمْنَعُ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ اشْتِرَاكِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فِي أَصْلِ الصِّفَةِ أَنْ يَتِمَّ ثَلَاثًا فِيهِ، أَيْ فِي هَذَا الْأَصْلِ.

نَقُولُ: لَا يَلْزَمُ حَتَّى وَإِنْ تَشَارَكَ فِي الْأَصْلِ، وَصَارَ بَيْنَهُمَا اشْتِرَاكٌ مُطْلَقٌ، أَوْ مُطْلَقٌ اشْتِرَاكٌ، فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَتِمَّ ثَلَاثًا فِيهِ؛ لِأَنَّ مُطْلَقَ الْحَيَاةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْخَالِقِ وَاجِبٌ، وَمُطْلَقُ الْحَيَاةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ جَائِزٌ؛ لِأَنَّ مُطْلَقَ الْمَشَارَكَةِ لَا يَسْتَلْزِمُ الْمِثَالَةَ.

فَمَثَلًا: أَصْلُ الْحَيَاةِ فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُمْكِنَةِ الْجَائِزَةِ، وَلِهَذَا يُوجَدُ بَعْدَ الْعَدَمِ، وَيُعَدُّ بَعْدَ الْوُجُودِ، وَبِالنِّسْبَةِ لِلْخَالِقِ سَبْحَانَهُ وَاجِبَةٌ؛ لِأَنَّهَا حَيَاةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَحِينَئِذٍ نَنفَكُ مِنْ هَذَا الْإِيْرَادِ بِالْمَنْعِ.

فَائِدَةٌ: قَوْلُنَا: «فَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ» إِذَا كَانَ الْجَوَابُ لِلدِّفَاعِ فَهُوَ بِ(عَنْ)، وَإِذَا كَانَ الْجَوَابُ لِلإِيْضَاحِ فَهُوَ بِ(عَلَى)، فَتَقُولُ: أَجَبْتُهُ عَلَى سُؤَالِهِ. وَتَقُولُ: أَجَبْتُهُ عَنْ اعْتِرَاضِهِ.



الثاني: التسليم، فيقال هب أن الأمر كذلك، ولكن إذا كان ذلك القدر المشترك لا يستلزم إثبات ما يمتنع على الرب سبحانه، ولا نفى ما يستحقه لم يكن ممتنعاً، فإذا اشتركا في صفة الوجود، والحياة، والعلم، والقدرة، واختص كل موصوف بما يستحقه ويليق به كان اشتراكهما في ذلك أمراً ممكناً لا محذور فيه أصلاً، بل إثبات هذا من لوازم الوجود، فإن كل موجودين لا بد بينهما من مثل هذا، ومن نفاه لزمه تعطيل وجود كل موجود؛ لأن نفي القدر المشترك يلزم منه التعطيل العام.

وهذا الموضع من فهمه فهما جيداً وتدبره زالت عنه عامة الشبهات وانكشف له غلط كثير من الأذكياء في هذا المقام<sup>[١]</sup>.

[١] الوجه الثاني في الرد: التسليم، أي تسليم ما يورده الخصم في باب المناظرة، نسلم ولكن نبين أن هذا التسليم لا يلزم منه منع ما ينزه عنه الخالق.

نقول: هب أن الأمر كذلك، أي يلزم أن يجوز عليه ما يجوز من ذلك الوجه، ويمتنع ما يمتنع، ويجب ما يجب، وهذا الوجه وجه فرضي، ولهذا قلنا: هب أن الأمر كذلك، فإذا كان يلزم من ذلك ثبوت ما يثبت للآخر، ونفي ما ينتهي عنه، وجواز ما يجوز له، ولكن هذا اللازم لا يستلزم نقصاً في الخالق، فما المانع أن نلتزمه؟ مع أن هذا على سبيل الفرض.

نقول: لو فرض أن هذا أمراً لازماً، وهو تساويهما فيما يجب ويجوز ويمتنع، فإذا كان لا يستلزم نقصاً في الخالق، فما هو الموجب لدفعه وعدم التزامه؟ وهذا على سبيل التزل مع الخصم، والخصم يمكن للإنسان أن يتنزل معه إلى شيء لا يمكن،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، مَعَ أَنَّ مَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ لَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ إِطْلَاقًا، لَكِنْ مِنْ بَابِ التَّنْزِيلِ.

وَقَوْلُهُ: «وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْقَدْرُ الْمَشْتَرِكُ لَا يَسْتَلْزِمُ إِثْبَاتَ مَا يَمْتَنِعُ عَلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ»:

فَإِذَا قُلْنَا: إِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ اشْتِرَاكُهُمَا فِي الْأَصْلِ؛ لَزِمَ نَفْيُ كُلِّ مَوْجُودٍ؛ لِأَنَّا نَنْفِي الوجودَ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ لِأَنَّهُ يُشَارِكُ الْمَخْلُوقَ، وَنَنْفِي الوجودَ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ لِأَنَّهُ يُشَارِكُ اللَّهَ، فَيَلْزِمُ مِنْ هَذَا - كَمَا قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ -: التَّعْطِيلُ الْعَامُّ. أَيُّ تَعْطِيلِ الوجودِ أَوْ الْحَيَاةِ فِي الْخَالِقِ وَفِي الْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّكَ إِنْ نَفَيْتَهُمَا عَنِ الْخَالِقِ وَأَثْبَتَهُمَا لِلْمَخْلُوقِ؛ قُلْنَا: لَيْسَ الْمَخْلُوقُ بِأَوَّلَى مِنَ الْخَالِقِ بِإِثْبَاتِ الْحَيَاةِ.

وَإِنْ نَفَيْتَهُمَا عَنِ الْمَخْلُوقِ وَأَثْبَتَهُمَا لِلْخَالِقِ؛ قُلْنَا: الْمَخْلُوقُ أَيْضًا فِيهِ حَيَاةٌ وَلَا يُمَكِّنُ نَفْيُهَا.

وَحِينَئِذٍ يَلْزِمُهُ نَفْيُ هَذَا وَهَذَا، وَهَذَا هُوَ النِّفْيُ الْعَامُّ وَهُوَ التَّعْطِيلُ الْمُخَصَّصُ.

وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ هَذَا الْإِيرَادُ انْفِكَكْنَا مِنْهُ بِمَنْعٍ وَتَسْلِيمٍ، وَالتَّسْلِيمُ أَوْضَعُ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ الَّذِي قَبْلَهُ وَاضِحٌ بَيِّنٌ.



## فصل

الْوَجْهَ الثَّانِي: مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِعْتِمَادُ فِي ضَابِطِ النَّفْيِ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ: أَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِ التَّشْبِيهِ، فَقَدْ يُفَسِّرُهُ بَعْضُهُمْ بِمَا لَا يَرَاهُ الْآخَرُونَ تَشْبِيهًا<sup>[١]</sup>.

مِثَالُ ذَلِكَ مَعَ الْمُعْتَرِزَةِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُمْ مِنَ النِّفَاقِ: أَتَاهُمْ جَعَلُوا مَنْ أَثَبَتْ لَهُ تَعَالَى عِلْمًا قَدِيمًا، أَوْ قُدْرَةً قَدِيمَةً مُشَبَّهًا مُثَلًّا؛ لِأَنَّ الْقِدَمَ أَخَصُّ وَصْفِ الْإِلَهِ عِنْدَ جُمْهُورِهِمْ، فَمَنْ أَثَبَتْ لَهُ عِلْمًا قَدِيمًا أَوْ قُدْرَةً قَدِيمَةً فَقَدْ أَثَبَتْ لَهُ مِثْلًا<sup>[٢]</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «الْوَجْهَ الثَّانِي: مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِعْتِمَادُ فِي ضَابِطِ النَّفْيِ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ...»: هَذَا أَهَمُّ مِنَ الْأَوَّلِ، أَيْ مَثَلًا إِذَا قُلْنَا: الْإِعْتِمَادُ فِي ضَابِطِ النَّفْيِ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ. فَإِنَّ هَذَا يَكُونُ مَثَارًا لِلْجَدَلِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي التَّشْبِيهِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: إِنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِاللَّهِ تَشْبِيهِ.

فَإِذَا قُلْنَا: مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ. صَارَ يُوَازِي قَوْلَنَا: مِنْ غَيْرِ إِثْبَاتِ صِفَاتٍ. وَهَذَا مُشْكِلٌ. وَأَهْلُ السُّنَّةِ لَا يَرَوْنَ هَذَا الشَّيْءَ، فَلَمَّا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي مَعْنَى التَّشْبِيهِ؛ صَارَ الْإِعْتِمَادُ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ غَيْرَ سَدِيدٍ؛ لِأَنَّهُ يُخَشَى أَنْ يَفْهَمَ الْمُخَاطَبُ أَنَّ الْمَرَادَ مِنْ غَيْرِ إِثْبَاتِ صِفَاتٍ؛ لِأَنَّهُ قَدْ شَاعَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، أَنَّ مَنْ أَثَبَتْ لَهُ صِفَةٌ فَهُوَ مُشَبَّهٌ، حَتَّى كَانُوا يُسَمُّونَ أَهْلَ السُّنَّةِ: (الْمُشَبَّهَةَ).

[٢] الْمُعْتَرِزَةُ يَرَوْنَ أَنَّ الْقِدَمَ أَخَصُّ وَصْفِ الْإِلَهِ، فَكُلُّ مَنْ أَثَبَتْ لَهُ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ؛ فَهُوَ عِنْدَهُمْ مُمَثَّلٌ مُشَبَّهٌ.

وَالْمُثْبُتُونَ يُجِيبُونَهُمْ بِالْمَنْعِ، وَبِالتَّسْلِيمِ.

أَمَّا الْمَنْعُ فَيَقُولُونَ: لَيْسَ الْقَدَمُ أَخَصَّ وَصَفِ الْإِلَهِ، وَإِنَّمَا أَخَصَّ وَصَفِ الْإِلَهِ مَا لَا يَتَّصِفُ بِهِ غَيْرُهُ، مِثْلُ: كَوْنِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ الْإِلَهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَالصِّفَاتُ وَإِنْ وُصِفَتْ بِالْقَدَمِ كَمَا تُوصَفُ بِهِ الذَّاتُ لَا يَقْتَضِي ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ إِلَهًا أَوْ رَبًّا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ -مَثَلًا- يُوصَفُ بِالْحُدُوثِ، وَتُوصَفُ صِفَاتُهُ بِالْحُدُوثِ، وَلَا يَقْتَضِي ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ نَبِيًّا.

ولهذا قالوا: إِنَّكَ إِذَا أَثَبْتَ صِفَاتٍ؛ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ تَعَدُّدُ الْقُدَمَاءِ؛ لِأَنَّكَ تَجْعَلُ اللَّهَ قَدِيمًا، وَعِلْمَهُ قَدِيمًا، وَقُدْرَتَهُ قَدِيمَةً، وَسَمْعَهُ قَدِيمًا، وَبَصَرَهُ قَدِيمًا؛ فَتَكُونُ الْآلَهُةُ خَمْسَةً.

وَإِذَا أَثَبْتَ هَذَا عَلَى بَقِيَةِ الصِّفَاتِ؛ صَارَتْ الْآلَهُةُ بَعْدَ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَأَنْتَ تُتَكَرَّرُ عَلَى النَّضْرَانِ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ ثَلَاثَةً. وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ هَوَسٌ فِي الْعَقْلِ.

فَأَيُّ إِنْسَانٍ عَاقِلٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الصِّفَةَ هِيَ الْمُمَاثِلَةُ لِلْمَوْصُوفِ، بَلِ الصِّفَةُ وَصَفٌ فِي الْمَوْصُوفِ وَلَيْسَ فِيهِ تَعَدُّدٌ.

وَنَقُولُ لَهُمْ: أَنْتَ تَسْمَعُ وَفِيكَ سَمْعٌ وَبَصَرٌ، وَعِلْمٌ وَقُدْرَةٌ وَقُوَّةٌ، فَعَلَى كَلَامِكَ تَكُونُ خَمْسَةً!

هُمْ يَقُولُونَ: نَحْنُ أَسْعَدُ بِالْقُرْآنِ مِنْكُمْ، نَحْنُ أَخَذْنَا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فَقُولُوا: لَا، وَلَكِنَّكُمْ لَمْ تَأْخُذُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فَأَمْتَمْتُمْ بَعْضُهُ وَكَفَرْتُمْ بِبَعْضِهِ، وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ.

وَعَلَى هَذَا فَلَا يَكُونُ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ الْقَدِيمَةِ لِلَّهِ تَعَالَى تَمَثُّلًا وَلَا تَشْبِيهًا<sup>[١]</sup>.

[١] فالمثبتون يقولون: نحنُ نمنعُ هذا الكلام، ونقول: ليسَ أخصُّ وصفِ الإلهِ القدم، أي لو قلتُ مثلاً لمخلوقٍ إنَّه ربُّ العالمين، فهذا شركٌ؛ لأنَّك وصفتُ هذا المخلوقَ بوصفٍ لا يُوصفُ به إلا الله.

ولو قلتُ: هذا بكلِّ شيءٍ عليم. فهذا لا يجوزُ؛ لأنَّ هذا الوصفَ لا يصحُّ إلا لله. لكن لو قلتُ: هذا قديم. فهذا صحيحٌ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].

والصفات وإن كانت قديمة، فلا تُوصفُ بأنَّها إله، ولهذا لو أنَّ الإنسانَ طلبَ مِنَ الْقُدْرَةِ، فقال: يا قُدْرَةُ اللهِ أَنْقِذِينِي مِنْ كَذَا. كان مُشْرِكًا؛ لأنَّه جعلَ الْقُدْرَةَ رَبًّا يُدْعَى، وعليه فنقول بالمنع، أي منع كونِ القدمِ أخصُّ وصفِ الإله. وإذا منعنا هذا فالبديلُ أن نقول: أخصُّ وصفِ الإله ما لا يُوصفُ به غيره، مِنْ كونه ربَّ العالمين، ومالكِ يومِ الدين، وما أشبه ذلك.

والصفات وإن كانت قديمة، لا يُقال: إنَّها ربُّ العالمين، ولا مَالِكَةُ يومِ الدين، ولو كانت قديمة، فلم تُشاركِ الإلهَ بأخصِّ أوصافه؟ كما أنَّ النَّبِيَّ له وصفُ النبوة، فليست النبوة هي النَّبِيُّ، ولا بِمَعْنَى النَّبِيِّ؛ فالنَّبِيُّ شَيْءٌ، والنبوةُ شَيْءٌ آخَر.

كما أنَّ السَّمِيعَ ليسَ هُوَ السَّمْعُ، بل السَّمْعُ غيرُ السَّمِيعِ، والصفةُ غيرُ الموصوفِ، بِمَعْنَى أَنَّهَا شَيْءٌ آخَر، وإلا فهي مِنَ الموصوفِ في الواقع.

ولهذا نقول: لا يصحُّ أن نقول: صفاتُ الله غيره، ولا: ليستَ غيره، لما يؤهِّمُ هَذَا اللَّفْظُ مِنْ مَعْنَى فَاسِد.

وَأَمَّا التَّسْلِيمُ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ وَإِنْ سَلَّمْنَا أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى قَدْ يُسَمَّى فِي اضْطِلَاحِ بَعْضِ النَّاسِ تَشْبِيهَا أَوْ تَمَثِيلًا، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْفِهِ عَقْلٌ وَلَا سَمْعٌ، وَحِينَئِذٍ فَلَا مَانِعَ مِنْ إِثْبَاتِهِ.

فَالْقُرْآنُ إِنَّمَا نَفَى مُسَمَّى الْمِثْلِ، وَالْكَفِّ، وَالنَّدَّ، وَنَحَوَ ذَلِكَ، وَالصِّفَةُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ لَيْسَتْ مِثْلَ الْمَوْصُوفِ، وَلَا كُفُّوْا لَهُ، وَلَا نِدًّا فَلَا تَدْخُلُ فِيْمَا نَفَاهُ الْقُرْآنُ.

فَالْوَاجِبُ نَفْيُ مَا نَفَتُهُ الْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ فَقَطْ<sup>[١]</sup>.

مِثَالُ آخَرٍ: مَعَ الْأَشَاعِرَةِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَنْفِي عُلُوَّهُ عَلَى عَرْشِهِ وَنَحْوَهُ دُونَ صِفَةِ الْحَيَاةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَنَحْوِهَا، فَيَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ قَدْ تَقُومُ بِمَا لَيْسَ بِجِسْمٍ، .....

[١] التَّسْلِيمُ: هُوَ أَنَّ إِثْبَاتَ هَذِهِ الصِّفَةِ تَمَثِيلٌ أَوْ تَشْبِيهِ، نَقُولُ: نَعَمْ، هَبْ أَنْ ذَلِكَ يُسَمَّى تَمَثِيلًا أَوْ تَشْبِيهَا عِنْدَكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجْعَلُهُ مُسَمَّى صَحِيحًا بِالنِّسْبَةِ لِلْوَاقِعِ.

وَنَقُولُ: هَبْ أَنْ إِثْبَاتَ صِفَةٍ قَدِيمَةٍ تُسَمَّى عِنْدَكَ تَمَثِيلًا أَوْ تَشْبِيهَا، وَلَكِنَّ الْعَقْلَ لَمْ يَنْفِ هَذَا النَّوْعَ مِنَ التَّشْبِيهِ أَوْ التَّمَثِيلِ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَا مَانِعَ مِنْ إِثْبَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَمْنَعُهُ لَا سَمْعًا وَلَا عَقْلًا.

فَاشْتَرَاكُهَا فِي أَحْصَ وَصْفِ الْإِلَهِ إِذَا لَمْ يَتَضَمَّنْ ذَلِكَ نَقْصًا فِي حَقِّ الْخَالِقِ لَا يَمْنَعُ، وَلَكِنَّ الْمَنْعَ هُوَ الصَّوَابُ، لَكِنْ لَوْ فَرَضْنَا جَدًّا أَنَّنَا سَلَّمْنَا فَهَذَا هُوَ الْجَوَابُ.

فَالْتَّسْلِيمُ يَأْتِي مِنْ بَابِ التَّنَزُّهِ مَعَ الْحُضْمِ، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الَّذِي سَلَّمَهُ قَائِلٌ بِهِ.

بِخِلَافِ الْعُلُوِّ فَإِنَّهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ فَلَوْ أَثْبَتْنَاهُ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ فَيَلْزَمُ التَّشْبِيهُ<sup>[١]</sup>.

[١] هُمْ يُرِيدُونَ بِالْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِإِرَادَتِهِ، وَسَمُّوا هَذَا اخْتِيَارِيًّا؛ لِأَنَّهُ لَا مُكْرِهَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ فَهُوَ بِاخْتِيَارِهِ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]. بِخِلَافِ الْآدَمِيِّ، فَقَدْ يَفْعَلُ الشَّيْءَ بِاخْتِيَارِهِ، وَقَدْ يَفْعَلُهُ بغيرِ اخْتِيَارِهِ، فَيَعْنُونَ بِـ(الْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ) الْأَفْعَالُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ.

هُمْ يَقُولُونَ: الصِّفَاتُ الَّتِي هِيَ صِفَاتٌ لَزِمَتْ نُشُبُّهَا لِلَّهِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَقْتَضِي التَّمَثِيلَ، وَقَدْ تَقُومُ بِمَا لَيْسَ بِجِسْمٍ، أَمَّا الصِّفَاتُ الْآخَرَى كَالصِّفَاتِ الْحَبْرِيَّةِ: كَالْيَدِ وَالْوَجْهِ وَالْعَيْنِ، وَالصِّفَاتِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ الَّتِي تَقَعُ بِإِرَادَتِهِ فَتَحْنُ لَا نُشُبُّهَا؛ لِأَنَّهَا لَا تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ -عَلَى زَعْمِهِمْ- وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ، فَمَتَى أَثْبَتْنَاهَا؛ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ إِثْبَاتُ الْمِثَالَةِ بَيْنَ الْحَاقِّ وَالْمَخْلُوقِ.

إِذَنْ فَالتَّعْلِيلُ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ قَدْ تَقُومُ بِمَا لَيْسَ بِجِسْمٍ»: يَعْني بِهَا الْحَيَاةَ وَالْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ، مَعَ أَنَّهَا لَا تُسَلَّمُ بِهَذَا، فَهَذِهِ الصِّفَاتُ لَا تَقُومُ بِالْوَاقِعِ إِلَّا بِجِسْمٍ؛ لَكِنْ عَلَى زَعْمِهِمْ أَنَّهَا قَدْ تَقُومُ بِمَا لَيْسَ بِجِسْمٍ بِخِلَافِ الْعُلُوِّ، ففِي الْعُلُوِّ يَقُولُونَ: لَا يَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ. وَيَعْنُونَ بِالْعُلُوِّ (الْعُلُوُّ الدَّائِي) فَلَا يَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ.

وَيَقُولُونَ: إِذَا أَثْبَتْنَا أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ حَقِيقَةً؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ.

فَقُولُهُمْ: «إِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ لَا تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ» نَقُولُ: قَدْ تَقُومُ بغيرِ جِسْمٍ، فَالْعُلُوُّ قَدْ يُرَادُّ بِهِ عُلُوُّ الْمَرْتَبَةِ، وَالشَّدَّةُ وَالْقُوَّةُ قَدْ تَقُومُ أَيْضًا بغيرِ جِسْمٍ، كَمَا نَقُولُ: يَوْمٌ شَدِيدٌ، وَرِيحٌ قَوِيَّةٌ، وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ.

وَالْمُثْبُوتُونَ يُجِيبُونَهُمْ تَارَةً بِمَنْعِ الْمُقَدِّمَةِ الْأُولَى وَهِيَ قَوْلُهُمْ: «إِنَّ الْعُلُوَّ لَا يَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ»، وَتَارَةً بِمَنْعِ الْمُقَدِّمَةِ الثَّانِيَةِ وَهِيَ قَوْلُهُمْ: «إِنَّ الْأَجْسَامَ مُتَمَاثِلَةٌ»<sup>[١]</sup> وَتَارَةً بِمَنْعِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ، وَتَارَةً بِالِاسْتِفْصَالِ<sup>[٢]</sup>، فَيَقُولُونَ: إِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ جِسْمًا مُؤَلَّفًا مِنْ لَحْمٍ وَعَظْمٍ وَأَجْزَاءٍ يَفْتَقِرُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ أَوْ يَحْتَاجُ إِلَى مُقَوِّمَاتٍ خَارِجِيَّةٍ فَهَذَا مُمْتَنِعٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ، وَلَيْسَ بِلَازِمٍ مِنْ إِبْثَاتِ الصِّفَاتِ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا كَانَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ مَوْصُوفًا بِالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِهِ، فَهَذَا حَقٌّ ثَابِتٌ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلَا يَلْزُمُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ اللَّوَاظِمِ الْبَاطِلَةِ<sup>[٣]</sup>.

[١] قوله: «وتارة بمنع المقدمة الثانية وهي قولهم: إن الأجسام متماثلة»:

فالأجسام متباينة، وهذه منعها واضح.

[٢] قوله: «وتارة بمنع المقدمة الثانية، وتارة بالاستيفصال...»:

نقول: هذا صحيح، إِنْ أَرَادُوا بِالْجِسْمِ مَا كَانَ مَكُونًا مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ: مِنْ لَحْمٍ وَعَظْمٍ وَأَجْزَاءٍ يَفْتَقِرُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَيَحْتَاجُ إِلَى مُقَوِّمَاتٍ خَارِجِيَّةٍ، كَالْأَكْلِ، وَالشُّرْبِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ فَهَذَا مُمْتَنِعٌ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ تَعَالَى.

ونقول: إِنْ اللَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَمُمْتَنِعٌ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، حَمِيدٌ فِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

[٣] قوله: «وإن أردتم بالجسم ما كان قائمًا بنفسه موصوفًا بالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ

به، فهذا حقٌّ ثابتٌ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ»:

فقد سبق بالنسبة للفظ الجسم ألا تُثْبِتَ وَلَا تُنْفِيَهُ، لَكِنْ مَعْنَاهُ نَسْتَفْصِلُ فِيهِ: إِذَا أُرِيدَ بِهِ بَاطِلًا؛ قُلْنَا: هَذَا مَمْنُوعٌ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ حَقٌّ؛ قُلْنَا: هَذَا الْمَعْنَى مَقْبُولٌ.



وَإِذَا تَبَيَّنَ اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي تَفْسِيرِ التَّشْبِيهِ صَارَ الْإِعْتِمَادُ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِهِ  
بَاطِلًا؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ صِفَاتِ الْكَمَالِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ مَنْ يَرَى أَنَّ إِثْبَاتَهَا  
يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ.

وَعَلَى هَذَا فَالضَّابِطُ الصَّحِيحُ فِيمَا يُنْفَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مَا سَبَقَ فِي أَوَّلِ  
الْقَاعِدَةِ.



## فصل

فَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِعْتِمَادُ فِي ضَابِطِ النَّفْيِ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ.

وَأَنَّهُ طَرِيقٌ فَاسِدٌ، فَإِنْ أَفْسَدَ مِنْهُ مَا يَسْلُكُهُ بَعْضُ النَّاسِ، حَيْثُ يَعْتَمِدُونَ فِيمَا يُنْفَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَفْيِ التَّجْسِيمِ وَالتَّحْزِينِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَتَجِدُهُمْ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْتَجُّوا عَلَى مَنْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِالنَّقَائِصِ مِنَ: الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ، وَالْمَرَضِ، وَالْوِلَادَةِ وَنَحْوِهَا، يَقُولُونَ لَهُ: لَوْ اتَّصَفَ اللَّهُ بِذَلِكَ لَكَانَ جِسْمًا أَوْ مُتَحَيِّزًا، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ، هَذِهِ حُجَّتُهُمْ عَلَيْهِ<sup>[١]</sup>.

[١] قوله: «فَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِعْتِمَادُ فِي ضَابِطِ النَّفْيِ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، وَأَنَّهُ طَرِيقٌ فَاسِدٌ»: شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِعْتِمَادُ فِي النَّفْيِ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، لَمَّا سَبَقَ مِنَ الْوُجْهِينِ.

يَقُولُ: أَفْسَدَ مِنْ هَذَا، أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَعْتَمِدُ فِي النَّفْيِ -أَيِ فِيمَا يُنْفَى عَنِ اللَّهِ- عَلَى نَفْيِ التَّجْسِيمِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِجِسْمٍ. ثُمَّ يَقُولُ فِي كُلِّ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا لِلَّهِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَوْ صِفَاتِ النِّقْصِ؛ يَقُولُ: لَوْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ لَكَانَ جِسْمًا فَيَكُونُ مُنْوَعًا.

فَتَأْمَلْ هَذَا الْإِعْتِمَادَ الْفَاسِدَ، حَيْثُ صَارَ يُرَدُّ بِهِ عَلَى مَنْ أَثْبَتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَصِفَاتِ النِّقْصِ.

فَمَثَلًا: يُنْفَى اسْتِوَاءُ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ، وَيَقُولُ: لِأَنَّ هَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ جِسْمًا. وَيُنْفَى أَنَّ اللَّهَ يَبْكِي وَيَحْزَنُ، يَقُولُ: لِأَنَّ هَذَا يَقْتَضِي أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ.

وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ فَاسِدَةٌ لَا يَحْصُلُ بِهَا الْمَقْصُودُ لِوُجُوهٍ:

الأوّل: أَنَّ لَفْظَ ( الْجِسْمِ ) وَ ( الْجَوْهَرِ ) وَ ( التَّحْيِيزِ ) وَنَحْوَهَا عِبَارَاتٌ مُجْمَلَةٌ مُشْتَبِهَةٌ لَا تُحَقِّقُ حَقًّا، وَلَا تُبْطِلُ بَاطِلًا، وَلِذَلِكَ لَمْ تُذَكَّرْ فِيهَا وَصَفَ اللَّهِ وَسَمِيَ بِهِ نَفْسُهُ لَا نَفْيًا وَلَا إِثْبَاتًا، .....

إِذَنْ هُنَاكَ طَرِيقَتَانِ:

الطَّرِيقَةُ الْأُولَى: الْاعْتِمَادُ عَلَى نَفْيِ التَّشْبِيهِ، وَهَذِهِ فَاسِدَةٌ.

الطَّرِيقَةُ الثَّانِيَّةُ: الْاعْتِمَادُ عَلَى نَفْيِ التَّجَسُّمِ وَالتَّحْيِيزِ، وَهَذِهِ أَفْسَدُ مِنَ الْأُولَى.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هَلْ هُنَاكَ أَحَدٌ وَصَفَ اللَّهَ بِهَذِهِ النَّقَائِصِ؟

وَالْجَوَابُ: نَعَمْ، الْيَهُودُ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ حَزَنٌ، وَإِنَّهُ بَكَى، وَإِنَّهُ مَرِضٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، أَيْ وَصَفُوا اللَّهَ بِهَذِهِ النَّقَائِصِ.

فَهَؤُلَاءِ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُنْكِرُوا هَذِهِ النَّقَائِصَ - وَالْكَلَامُ هُنَا فِي الْحُجَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، أَمَّا الْحُجَّةُ السَّمْعِيَّةُ فَالْأَمْرُ فِيهَا ظَاهِرٌ - فَإِذَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِمْ بِطَرِيقِ عَقْلِي قَالُوا: إِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لَا تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ، وَالْجِسْمُ مُتَمَتِّعٌ عَلَى اللَّهِ. أَيْ أَنَّ الَّذِي يَبْكِي وَيَحْزَنُ وَيَتَعَبُ هُوَ الْجِسْمُ، فَلَوْ وَصَفْنَا اللَّهَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، فَصَارَ عُمَدَتُهُمْ فِيهَا يُنْفَى عَنِ اللَّهِ هِيَ نَفْيِ الْجِسْمِ، وَلَيْسَ أَنَّ اللَّهَ مُتَزَعٌ عَنِ النَّقَائِصِ؛ فَيَقُولُونَ مَثَلًا: لَوْ وَصَفْنَا اللَّهَ بِهَذَا؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ حَيًّا أَوْ مُتَحَيِّزًا، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَلَوْ أَثْبَتْنَا لِلَّهِ هَذَا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا.

فَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ أَفْسَدُ مِنَ الطَّرِيقَةِ السَّابِقَةِ، وَهِيَ الْاعْتِمَادُ عَلَى مَا يُنْفَى عَنِ اللَّهِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، فَهَذِهِ أَخْبَثُ وَأَشَدُّ وَأَبْعَدُ عَنِ الصَّوَابِ.

لَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَمْ يَسْلُكْهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا، وَإِنَّمَا هِيَ عِبَارَاتٌ مُبْتَدَعَةٌ أَنْكَرَهَا السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ<sup>[١]</sup>.

[١] الجِسْمُ: هو كُلُّ مَا يُشَارُ إِلَيْهِ، أَيْ الْجَنَّةُ أَوِ الْبَدَنُ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَالْجَوْهَرُ: هو كُلُّ مَا قَامَ بِنَفْسِهِ، وَمَا قَامَ بغيرِهِ فَهُوَ عَرَضٌ.

نَقُولُ: لَفْظُ الْجِسْمِ، وَالْحَيِّزِ، وَالْجَوْهَرِ، وَالْعَرَضِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، هَذِهِ كُلُّهَا أَلْفَاظٌ مُحَدَّثَةٌ، مَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهَا إِطْلَاقًا، وَلَا أَيْمَّةُ السَّلَفِ يَقُولُونَهَا، إِلَّا فِي مَعْرِضِ الرَّدِّ عَلَى هَؤُلَاءِ.

أَمَّا أَنْ يَقُولُوا بِهَا ابْتِدَاءً، وَيَجْعَلُونَ مَبْنَى عَقِيدَتِهِمْ عَلَى انْتِفَائِهَا أَوْ ثُبُوتِهَا، فَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ.

وَلَوْ كَانَتْ مِمَّا تُبْنَى عَلَيْهِ عَقِيدَةُ الْمُؤْمِنِ الَّتِي يَعْتَقِدُهَا فِي رَبِّهِ؛ لَكَانَتْ مُنَوَّهَا عَنْهَا فِي الْقُرْآنِ وَفِي السُّنَّةِ، وَفِي كَلَامِ الصَّحَابَةِ، فَكَيْفَ تُفْقَدُ مِنْ قَوَامِيسِ هَؤُلَاءِ؟ ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ قُرُوحُ الْيُونَانِ وَالصَّابِئِينَ، وَالْيَهُودِ، وَالْمَشْرِكِينَ، يُحَدِّثُونَهَا وَيَجْعَلُونَهَا هِيَ الْأَسَاسَ الَّذِي يَبْنُونَ عَلَيْهِ عَقِيدَتَنَا، وَهَذَا - لَا شَكَّ - أَنَّهُ رَدٌّ جَيِّدٌ مُفْحِمٌ، لَيْسَ عَلَيْهِ اعْتِرَاضٌ إِطْلَاقًا.

فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ تَبْقَى الْأُمَّةُ ثَلَاثَةَ قُرُونٍ لَا تَعْرِفُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَبْنِي عَقِيدَتَهَا فِيهَا يُثَبِّتُ اللَّهُ وَيُنْفَى، حَتَّى يَأْتِيَ هَؤُلَاءِ وَيَقُولُونَ: يُثَبِّتُ اللَّهُ مَا لَا يَقْتَضِي التَّجْسِيمَ، وَيُنْفَى عَنْهُ مَا يَقْتَضِي التَّجْسِيمَ.

فَهَذَا شَيْءٌ مِنْ أَكْبَرِ الْمَحَالِّ، وَهَذَا وَجْهٌ لَا يُخْفَى عَلَى الْإِنْسَانِ صِحَّتُهُ، وَأَنَّهُ وَجْهٌ مُقْنِعٌ، وَحَجَرٌ يُلْقَى فِي أَفْوَاهِ هَؤُلَاءِ.

الثاني: أَنَّ وَصَفَ اللَّهِ تَعَالَى بِهِذِهِ النَّقَائِصِ أَظْهَرَ فَسَادًا فِي الْعَقْلِ وَالِدِّينِ مِنْ وَصْفِهِ بِالتَّحْيِيزِ وَالتَّجْسِيمِ، فَإِنَّ كُفْرَ مَنْ وَصَفَهُ بِهِذِهِ النَّقَائِصِ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ مِنَ الدِّينِ، بِخِلَافِ التَّحْيِيزِ وَالتَّجْسِيمِ لِمَا فِيهِمَا مِنَ الْإِشْتِبَاهِ وَالْحَقَاءِ<sup>[١]</sup>.

[١] النَّقَائِصُ الَّتِي أَرَادَ هَؤُلَاءِ أَنْ يَنْقُوهَا عَنِ اللَّهِ فِي نَفْيِ التَّجْسِيمِ هِيَ: الْحُزْنُ وَالبُكَاءُ وَالْمَرَضُ وَالْوِلَادَةُ وَالتَّعَبُ.

فَمَثَلًا: عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ وَشَبِهِهِمْ يَقُولُونَ: نَنْفِي عَنْهُ الْحُزْنَ؛ لِأَنَّهُ لَوْ أَثْبَتَ أَنَّهُ يَحْزَنُ لَكَانَ جِسْمًا.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: أَيُّهَا أَعْظَمُ تَنْقُصًا لِلخَالِقِ، أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ. أَوْ إِنَّهُ يَحْزَنُ؟  
وَالْجَوَابُ: الْأَعْظَمُ تَنْقُصًا، أَنْ تَقُولَ: إِنَّهُ يَحْزَنُ.

فَكَيْفَ يُسْتَدَلُّ بِالْأَخْفَى عَلَى الْأَقْوَى؟! أَيُّ ظُهُورًا، فَالنَّقْصُ فِي وَصْفِهِ بِالْحُزْنِ وَالبُكَاءِ وَالْمَرَضِ وَالْوِلَادَةِ، أَبْلَغُ مِنْ ظُهُورِ النَّقْصِ إِنْ كَانَ فِي وَصْفِهِ بِالْجِسْمِ وَالحَيِّزِ.  
إِذَنْ نَقُولُ لَهُمْ: لَوْ قُلْتُمْ فِي نَفْيِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَنِ اللَّهِ، إِنَّهَا صِفَاتُ نَقْصٍ لَا تَلِيْقُ بِاللَّهِ؛ لَكَانَ خَيْرًا لَكُمْ مِنْ أَنْ تَقُولُوا: إِنَّهَا تَقْتَضِي التَّجْسِيمَ.

فَوَصَفَ اللَّهُ بِهِذِهِ الْأَشْيَاءِ، أَظْهَرَ نَقْصًا مِنْ وَصْفِهِ بِأَنَّهُ جِسْمٌ، أَيُّ لَوْ قُلْتَ: إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ. لَكَانَ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ يَتَعَبُ وَيَحْزَنُ وَيَمْرُضُ وَيَلِدُ. لِأَنَّ الْجِسْمَ لَيْسَ صِفَةً نَقْصٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، يَكُونُ صِفَةً نَقْصٍ إِذَا قُلْتَ: إِنَّهُ مُؤَلَّفٌ مِنْ لَحْمٍ وَعَظْمٍ، وَأَجْزَاءٌ يَفْتَقِرُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا تَقُومُ إِلَّا بِمُقُومٍ خَارِجِيٍّ، فَهَذَا وَاضِحُ النَّقْصِ، لَكِنْ لَوْ لَزِمَ هَذَا إِذَا لَمْ يَعْتَرِهِ تَعَبٌ وَمَرَضٌ؛ فَلَيْسَ فِيهِ نَقْصٌ، فَصَارَ وَصْفُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمَرَضِ وَالتَّعَبِ وَالْوِلَادَةِ أَعْظَمَ نَقْصًا مِنْ وَصْفِهِ بِأَنَّهُ جِسْمٌ.

وَإِذَا كَانَ وَصَفُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِذِهِ النَّقَائِصِ أَظْهَرَ فَسَادًا مِنْ وَصْفِهِ بِالْحَيْزِ وَالْجِسْمِ، فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِسْتِدْلَالُ بِالْأَخْفَى عَلَى الْأَظْهَرِ؛ لِأَنَّ الدَّلِيلَ مُبَيَّنٌّ لِلْمَذْلُولِ وَمُثَبَّتٌ لَهُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَتَيْنَ وَأَظْهَرَ مِنْهُ<sup>[١]</sup>.

الثَّالِثُ: أَنَّ مَنْ وَصَفُوهُ بِهِذِهِ النَّقَائِصِ يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَقُولُوا نَحْنُ نَصِفُهُ بِذَلِكَ، وَلَا نَقُولُ بِالتَّجْسِيمِ وَالتَّحْيِزِ كَمَا يَقُولُهُ مَنْ يُثَبِّتُ لِلَّهِ صِفَاتِ الْكَمَالِ مَعَ نَفْيِ الْقَوْلِ بِالتَّجْسِيمِ وَالتَّحْيِزِ، فَيَكُونُ كَلَامُ مَنْ يَصِفُ اللَّهَ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَمَنْ يَصِفُهُ بِصِفَاتِ النِّقْصِ وَاحِدًا، وَيَبْقَى الرَّدُّ عَلَيْهِمَا بِطَرِيقٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ أَنَّ الْإِثْبَاتَ مُسْتَلْزِمٌ لِلتَّجْسِيمِ وَالتَّحْيِزِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْفَسَادِ وَالْبُطْلَانِ<sup>[٢]</sup>.

[١] وقوله: «وَإِذَا كَانَ وَصَفُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِذِهِ النَّقَائِصِ أَظْهَرَ فَسَادًا...»:

نَقُولُ: إِذَا كَانَ وَصَفُ اللَّهِ بِهِذِهِ النَّقَائِصِ أَظْهَرَ امْتِنَاعًا مِنْ وَصْفِهِ بِالْجِسْمِ، فَكَيْفَ يُسْتَدَلُّ بِالْأَخْفَى عَلَى الْأَظْهَرِ؟! لِأَنَّهُ يُسْتَدَلُّ بِالْأَظْهَرِ عَلَى الْأَخْفَى.

إِذِنْ إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّهُ يَسْتَلْزِمُ إِذَا وَصَفْتُمُوهُ بِهِذِهِ الصِّفَاتِ؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا.

نَقُولُ: أَيُّهَا الْأَعْظَمُ نَقْصًا، أَنْ يُوصَفَ بِالْجِسْمِ أَوْ بِهِذِهِ النَّقَائِصِ؟

وَالْجَوَابُ: الْأَعْظَمُ أَنْ يُوصَفَ بِهِذِهِ النَّقَائِصِ بِلَا شَكٍّ، فَكَيْفَ تَسْتَدْلُونَ بِالْأَخْفَى عَلَى الْأَظْهَرِ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الدَّلِيلُ أَوْضَحَ وَأَظْهَرَ مِنَ الْمَذْلُولِ؛ لِأَنَّهُ مُبَيَّنٌّ لَهُ وَمُثَبَّتٌ لَهُ.

[٢] الَّذِينَ يَصِفُونَهُ بِالنَّقَائِصِ: كَالْحَزْنِ وَالْبُكَاءِ وَالْمَرَضِ.

وَقَدْ جَاءَ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ وَقَالُوا: هَذِهِ الصِّفَاتُ مَمْتَنِعَةٌ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّهَا تَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ، وَالتَّجْسِيمُ مَمْتَنِعٌ عَنِ اللَّهِ.

نقول: هَذِهِ الْحُجَّةُ الَّتِي أَبْطَلْتُمْ بِهَا قَوْلَ مَنْ يَصِفُ اللَّهَ بِالنَّقَائِصِ، وَهُوَ أَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ، يُمَكِّنُهُمُ الْإِنْفِكَالُ عَنْهَا، بَأَن يَقُولُوا: نَصِفُهُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَقُولَ بَأَنَّهُ جِسْمٌ، كَمَا قَالَ مَنْ يَصِفُهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقُولُوا: إِنَّهُ جِسْمٌ. أَيْ كَمَا قَالَ ذَلِكَ مَنْ يَقُولُ: نَصِفُهُ بِالْعُلُوِّ، وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، وَبَأَنَّهُ لَهُ يَدَا، وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ نَقُولَ بِالتَّجْسِيمِ، فَيَقُولُونَ: يَمْرُضُ. لَكِنْ لَا نَقُولُ: إِنَّهُ جِسْمٌ. كَمَا قَالَ مَنْ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ، فَقَالُوا: إِنَّهُ يَضْحَكُ وَلَا نَقُولُ: إِنَّهُ جِسْمٌ، وَيَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ، وَلَا نَقُولُ: إِنَّهُ جِسْمٌ.

فَالَّذِينَ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ صِفَاتِ الْكَمَالِ - وَهُمْ السَّلَفُ - يُنْكِرُونَ نَفْيَ التَّجْسِيمِ وَالتَّحْزِيرِ، يَقُولُونَ: نَحْنُ لَا نَقُولُ بِالتَّجْسِيمِ وَالتَّحْزِيرِ وَلَا بِنَفْيِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ لَا فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ، إِبْتِائًا أَوْ نَفْيًا.

فَإِذَا كُنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَرُدَّ عَلَى مَنْ يَصِفُونَهُ بِالنَّقَائِصِ، بَأَن هَذَا يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ، قَالُوا لَكَ: نَحْنُ نَصِفُهُ بِذَلِكَ وَلَا نَقُولُ بِالتَّجْسِيمِ، كَمَا يَصِفُهُ الْآخَرُونَ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَلَا يَقُولُونَ بِالتَّجْسِيمِ. فَيَكُونُ الرَّدُّ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ وَاحِدًا؛ لِأَنَّ عِنْدَنَا طَرَفَانِ: الَّذِينَ يَصِفُونَهُ بِالنَّقَائِصِ، وَالَّذِينَ يَصِفُونَهُ بِالْكَمَالِ.

وَعِنْدَنَا طَرَفٌ ثَالِثٌ يَرُدُّ عَلَى الَّذِينَ يَصِفُونَهُ بِالنَّقَائِصِ، بِأَنَّكُمْ إِذَا أَثْبَتُمْ هَذِهِ الصِّفَاتِ؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا.

فَأَجَابَهُمْ هَؤُلَاءِ وَقَالُوا: نَحْنُ نُثْبِتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ بَدُونِ أَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ جِسْمٌ. كَمَا أَنَّ الطَّرْفَ الثَّالِثَ - وَهُمْ الَّذِينَ يَصِفُونَهُ بِالْكَمَالِ - يَقُولُونَ: نُثْبِتُ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَلَا نَقُولُ: إِنَّهُ جِسْمٌ.

الرَّابِعُ: أَنَّ الَّذِينَ اعْتَمَدُوا فِي ضَابِطِ مَا يُنْفَى عَنِ اللَّهِ عَلَى نَفْيِ التَّجْسِيمِ وَالتَّحْيِزِ، نَفَوْا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى صِفَاتِ الْكَمَالِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَاتَّصَفُوا اللَّهَ تَعَالَى بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَاجِبٌ ثَابِتٌ بِالسَّمْعِ وَالْعَقْلِ، فَيَكُونُ كُلُّ مَا اقْتَضَى نَفْيُهُ بَاطِلًا بِالسَّمْعِ وَالْعَقْلِ، وَبِهِ يَتَبَيَّنُ فَسَادُ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ وَبُطْلَانُهَا<sup>[١]</sup>.

وَالطَّرْفُ الثَّالِثُ أَيْضًا رَدُّوا عَلَى الَّذِينَ يَصِفُونَهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ بِهَذَا الشَّيْءِ، يَقُولُونَ: إِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ حَقِيقَةً؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، وَالتَّجْسِيمُ مُمْتَنِعٌ.

فَصَارَ الرَّدُّ عَلَى مَنْ يُثَبِّتُ النِّقْصَ وَعَلَى مَنْ يُثَبِّتُ الْكَمَالَ وَاحِدًا، وَهَذَا غَايَةُ مَا يَكُونُ مِنَ الْفَسَادِ، أَنْ نَجْعَلَ الرَّدَّ عَلَى مَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِالنِّقَاصِ كَمَنْ وَصَفَهُ بِالْكَمَالِ.

[١] هُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الدَّلِيلَ الْوَحِيدَ فِي إِبْطَالِ مَا يُثَبِّتُ اللَّهُ مِنَ الصِّفَاتِ - سِوَاءِ نَقْصٍ أَوْ كَمَالٍ - هُوَ نَفْيُ التَّجْسِيمِ، يَقُولُونَ: هَذَا هُوَ الدَّلِيلُ عِنْدَنَا، أَنَّ التَّجْسِيمَ مُمْتَنِعٌ عَنِ اللَّهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ فَهُوَ بَاطِلٌ.

نَقُولُ: بِهَذَا الْإِعْتِمَادِ نَفَيْتُمْ عَنِ اللَّهِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَقُلْتُمْ: لَا يَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، وَلَا يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ هَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، لَيْسَ لَهُ وَجْهٌ؛ لِأَنَّ هَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، وَلَا يَضْحَكُ وَلَا يَتَكَلَّمُ؛ لِأَنَّ هَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا.

وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ نَفَوْا صِفَاتِ الْكَمَالِ عَنِ اللَّهِ، وَصِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ ثَابِتَةٌ بِالسَّمْعِ وَالْعَقْلِ، فَإِذَا وَجِدَ مَا يُبْطِلُ مَا ثَبَتَ بِالسَّمْعِ وَالْعَقْلِ؛ وَجَبَ نَفْيُهُ بِالسَّمْعِ وَالْعَقْلِ؛ لِأَنَّ السَّمْعَ وَالْعَقْلَ يَدُلَّانِ عَلَى إِثْبَاتِ نَقِيضِ مَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ، فَيَكُونُ الْإِعْتِمَادُ عَلَى



الخامس: أَنَّ سَالِكِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مُتَنَاقِضُونَ، فَكُلُّ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا وَنَفَى غَيْرَهُ أَلْزَمَهُ الْآخَرُ بِمَا يُوَافِقُهُ فِيهِ مِنَ الْإِثْبَاتِ، وَكُلُّ مَنْ نَفَى شَيْئًا وَأَثْبَتَ غَيْرَهُ أَلْزَمَهُ الْآخَرُ بِمَا يُوَافِقُهُ مِنَ النَّفْيِ<sup>[١]</sup>.

نفى التجسيم باطلا بالسمع والعقل.

وهؤلاء اعتمدوا في نفى الصفات على نفى التجسيم، فأبطلوا بهذا الدليل ما ثبت لله من صفات الكمال كالاستواء، ولا شك أنه من صفات الكمال؛ لأن الاستواء على العرش كمال للملك، وتمام للسلطان، فهو إذن صفة كمال.

وصفات الكمال ثابتة لله بالسمع والعقل، فكل ما اقتضى نفى الصفات فإنه يلزم منه نفى ما ثبت بالسمع والعقل، وإذا لزم من الشيء نفى ما ثبت بالسمع والعقل كان باطلا بالسمع والعقل؛ لأن السمع والعقل يوجب نقيض ما يقتضيه هذا الدليل، فإذا كان السمع والعقل يوجب نقيض ما يقتضيه هذا الدليل، تبين أن هذا الدليل ساقط بالسمع والعقل.

[١] هذه الطريقة يسلكها كل النفاة: الذين ينفون جميع الصفات، والذين ينفون الأسماء، ولهذا فهم مجمعون على أن أهل السنة مجسمة، فكل الذين ينفون الصفات يعتمدون هذه الطريقة.

وهؤلاء متناقضون، فكل من أثبت شيئا، أَلْزَمَهُ الْآخَرُ بِمَا يُوَافِقُهُ فِيهِ مِنَ الْإِثْبَاتِ؛ وَكُلُّ مَنْ نَفَى شَيْئًا أَلْزَمَهُ الْآخَرُ بِمَا يُوَافِقُهُ فِيهِ مِنَ النَّفْيِ، فَيَقُولُ مَثَلًا: إِذَا قُلْتَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ؛ فَإِثْبَاتُكَ أَيْضًا لِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْمَعِينَةِ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ.

حتى الذين ينكرون كل الصفات يقولون لمن أثبت الأسماء دون الصفات:

مِثَالُ ذَلِكَ: أَنَّ مَنْ أَثْبَتُوا لِلَّهِ تَعَالَى الْحَيَاةَ، وَالْعِلْمَ، وَالْقُدْرَةَ، وَالْإِرَادَةَ، وَالسَّمْعَ، وَالْبَصَرَ، وَالْكَلَامَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ، قَالَ لَهُمْ نُفَاةُ ذَلِكَ كَالْمُعْتَرِلةِ: إِبْتِثَاتُ هَذِهِ تَجْسِيمٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَعْرَاضٌ وَالْعَرَضُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ.

فَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ أُولَئِكَ بِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَثَبْتُمْ أَنَّهُ حَيٌّ، عَلِيمٌ، قَدِيرٌ، وَقُلْتُمْ لَيْسَ بِجِسْمٍ مَعَ أَنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا إِلَّا جِسْمًا، فَأَثَبْتُمُوهُ عَلَى خِلَافِ مَا عَرَفْتُمْ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ نَثْبِتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ جِسْمٌ<sup>[١]</sup>، .....

إِبْتِثَاتُكَ الْأَسْمَاءِ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ، فَلِمَاذَا نَفَيْتَ الصِّفَاتِ بِحُجَّةٍ أَنَّهَا تَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ؟! إِذَنْ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَنْفِيَ الْأَسْمَاءَ.

[١] مَنْ أَثَبَتَ لِلَّهِ الْحَيَاةَ وَالْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ وَالسَّمْعَ، وَالْإِرَادَةَ وَالْبَصَرَ وَالْكَلَامَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ -وَهُمُ الْأَشَاعِرَةُ-، قَالَ لَهُمْ نُفَاةُ ذَلِكَ -كَالْمُعْتَرِلةِ-: إِبْتِثَاتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ تَجْسِيمٌ. أَيُّ يَجِبُ نَفْيُهَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَعْرَاضٌ، وَالْعَرَضُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ، فَهَذِهِ حُجَّتُهُمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهَا حُجَّةٌ وَاهِيَةٌ وَبَاطِلَةٌ؛ لِأَنَّ الْأَعْرَاضَ تَقُومُ بغيرِ الْأَجْسَامِ، كَيَوْمٍ شَدِيدٍ، وَيَوْمٍ بَارِدٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

فَيَرُدُّ الْأَشَاعِرَةُ عَلَى الْمُعْتَرِلةِ: بِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَثَبْتُمْ أَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَادِرٌ، وَقُلْتُمْ لَيْسَ بِجِسْمٍ -وَهُؤُلَاءِ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُعْتَرِلةِ، يُثْبِتُونَ أَنَّ اللَّهَ حَيٌّ عَلِيمٌ قَادِرٌ دُونَ غَيْرِهِمْ- مَعَ أَنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ حَيًّا عَالِمًا قَدِيرًا إِلَّا جِسْمًا، فَأَثَبْتُمُوهُ عَلَى خِلَافِ مَا عَرَفْتُمْ، فَإِذَا أَثَبْتُمُوهُ عَلَى خِلَافِ مَا عَرَفْتُمْ، فَإِنْ أَلْزَمْتُمُونَا بِذَلِكَ؛ أَلْزَمْنَاكُمْ أَنْتُمْ بِهِذَا أَيْضًا.

وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ رَدًّا آخَرَ أَيْضًا: بِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَثَبْتُمْ أَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ بِلا حَيَاةٍ وَلَا عِلْمٍ

فَهَذَا تَنَاقُضُ الْمُعْتَزَلَةِ<sup>١١</sup>، أَمَّا تَنَاقُضُ خُصُومِهِمُ الَّذِينَ أَثْبَتُوا الصِّفَاتِ السَّبْعَ السَّابِقَةَ

وَلَا قُدْرَةَ، وَهَذَا تَنَاقُضُ مُخَالَفٍ لِلْعَقْلِ، فَكَيْفَ يُقَالُ حَيٌّ وَلَا حَيَاةَ فِيهِ، أَوْ عَلِيمٌ وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُ، وَقَدِيرٌ وَلَا قُدْرَةَ لَهُ؟! فَهَذَا مُسْتَحِيلٌ.

فَلَوْ قُلْتُ لِإِنْسَانٍ مَيِّتٍ: هَذَا حَيٌّ. فَهَذَا مُنَاقِضٌ لِلْوَاقِعِ، وَلَوْ قُلْتُ: هَذَا عَلِيمٌ. وَهُوَ جَاهِلٌ؛ فَهَذَا أَيْضًا تَنَاقُضٌ، وَلَوْ قُلْتُ: هَذَا قَدِيرٌ. وَهُوَ عَاجِزٌ لَا يَتَحَرَّكُ؛ فَهَذَا أَيْضًا تَنَاقُضٌ، فَحَنُّ لَا نَعْرِفُ مَا هُوَ حَيٌّ إِلَّا وَفِيهِ حَيَاةٌ، وَلَا عَلِيمٌ إِلَّا وَعِنْدَهُ عِلْمٌ، وَلَا قَدِيرٌ إِلَّا وَلَهُ قُدْرَةٌ.

فَصَارَ الْأَشَاعِرَةُ يَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: مَا رَدُّوا بِهِ هُمْ عَلَى الْمُعْتَزَلَةِ، فَقَالُوا: إِنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَادِرٌ، وَلَا يُعْرَفُ مَنْ هُوَ حَيٌّ عَلِيمٌ قَادِرٌ إِلَّا الْجِسْمُ، فَوَقَعْتُمْ فِيهَا أَنْكُرْتُمْ عَلَيْهِ، وَنَزَيْدُكُمْ أَيْضًا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوْجَدَ حَيٌّ لَا حَيَاةَ فِيهِ، وَلَا عَلِيمٌ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ، وَلَا قَدِيرٌ لَا قُدْرَةَ لَهُ، فَهَذَا تَنَاقُضٌ.

فَكُلٌّ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ الَّتِي اعْتَمَدَتْ عَلَى نَفْيِ التَّجْسِيمِ ضَلَلَتْ الْأُخْرَى؛ لِأَنَّهَا أَلْزَمَتْهَا بِالْقَوْلِ بِالتَّجْسِيمِ فِيمَا تُثْبِتُهُ مِنَ الصِّفَاتِ، فَيَقُولُ الْأَشَاعِرَةُ: إِنْ كَانَ إِثْبَاتُنَا لِهَذِهِ الصِّفَاتِ تَجْسِيمًا؛ فَإِثْبَاتُكُمْ بِكَوْنِهِ حَيًّا عَلِيمًا قَادِرًا تَجْسِيمًا؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِثْبَاتُكُمْ تَجْسِيمًا؛ فَإِثْبَاتُنَا لَيْسَ بِتَجْسِيمٍ.

[١] قَوْلُهُ: «فَهَذَا تَنَاقُضُ الْمُعْتَزَلَةِ»: وَوَجْهُ تَنَاقُضِهِمْ أَنَّهُمْ رَدُّوا عَلَى الْأَشَاعِرَةِ

بِمَا أَثْبَتُوا نَظِيرَهُ، هَذَا مِنْ وَجْهِهِ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي مِنَ التَّنَاقُضِ: أَنَّهُمْ أَثْبَتُوا مَوْصُوفًا بِلَا صِفَةٍ، حَيًّا بِلَا حَيَاةٍ، عَلِيمًا بِلَا عِلْمٍ، قَدِيرًا بِلَا قُدْرَةٍ؛ أَمَّا تَنَاقُضُ خُصُومِهِمُ الَّذِينَ أَثْبَتُوا الصِّفَاتِ السَّبْعَ دُونَ غَيْرِهَا

دُونَ غَيْرِهَا فَقَدْ قَالُوا لِمَنْ أَثَبَّتَ صِفَةَ الرِّضَا، وَالْغَضَبِ، وَنَحْوَهَا: إِثْبَاتُ الرِّضَا، وَالْغَضَبِ، وَالِاسْتِوَاءِ، وَالنُّزُولِ، وَالْوَجْهِ، وَالْيَدَيْنِ، وَنَحْوَهَا تَجْسِيمٌ؛ لِأَنَّا لَا نَعْرِفُ مَا يُوصَفُ بِذَلِكَ إِلَّا مَا هُوَ جِسْمٌ.

فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْمُثَبِّتُ بِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ وَصَفْتُمُوهُ بِالْحَيَاةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْإِرَادَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْكَلَامِ، وَلَا يَعْرِفُ مَا يُوصَفُ بِذَلِكَ إِلَّا مَا هُوَ جِسْمٌ، فَإِنْ لَزِمَنَا التَّجْسِيمُ فِيمَا أَثَبَّتَاهُ لَزِمَكُمْ فِيمَا أَثَبَّتُمُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَلْزَمْكُمْ فِيمَا أَثَبَّتُمُوهُ لَمْ يَلْزَمْنا فِيمَا أَثَبَّتَاهُ وَإِنْ أَلْزَمْتُمُونَا بِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَتَفْرِيقُكُمْ بَيْنَهُمَا تَنَاقُضٌ مِنْكُمْ<sup>[١]</sup>.

-وَهُمُ الْأَشَاعِرَةُ-، فَقَدْ قَالُوا لِمَنْ أَثَبَّتَ صِفَةَ الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَنَحْوَهَا -وَهُمُ أَهْلُ السُّنَّةِ-: إِثْبَاتُ الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَالِاسْتِوَاءِ وَالنُّزُولِ، وَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ، وَنَحْوَهَا تَجْسِيمٌ؛ لِأَنَّا لَا نَعْرِفُ مَا يُوصَفُ بِذَلِكَ إِلَّا مَا هُوَ جِسْمٌ.

فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْمُثَبِّتُ: بِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ وَصَفْتُمُوهُ بِالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ، وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ، وَلَا يُوصَفُ بِذَلِكَ إِلَّا مَا هُوَ جِسْمٌ، فَكَيْفَ تَرُدُّونَ صِفَةَ الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَالنُّزُولِ وَالِاسْتِوَاءِ، بِحُجَّةٍ أَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ؟ وَتُثْبِتُونَ الْحَيَاةَ وَالْعِلْمَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْإِرَادَةَ، وَلَا تَقُولُونَ بِالتَّجْسِيمِ؟

[١] قَوْلُهُ: «وَإِنْ لَمْ يَلْزَمْكُمْ فِيمَا أَثَبَّتُمُوهُ؛ لَمْ يَلْزَمْنا فِيمَا أَثَبَّتَاهُ، وَإِنْ أَلْزَمْتُمُونَا بِهِ»:

أَيُّ إِنْ لَمْ يَلْزَمْكُمْ التَّجْسِيمُ فِيمَا أَثَبَّتُمُوهُ مِنَ الصِّفَاتِ السَّبْعِ؛ لَمْ يَلْزَمْنا فِيمَا أَثَبَّتَاهُ.

فَإِذَا قَالُوا: نَحْنُ نُثَبِّتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِلا تَجْسِيمٍ، نَقُولُ: وَنَحْنُ نُثَبِّتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِلا تَجْسِيمٍ، فَإِذَا كَانَ لَا يَلْزَمْكُمْ فَلَا يَلْزَمُنَا، حَتَّى وَإِنْ أَلْزَمْتُمُونَا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَتَفْرِيقُكُمْ بَيْنَهُمَا تَنَاقُضٌ.

## فصل

وَأَمَّا الضَّابِطُ فِي بَابِ الْإِثْبَاتِ: فَإِنْ ثُبِتَ لِلَّهِ تَعَالَى مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، عَلَى وَجْهِ لَا نَقْصَ فِيهِ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وَالْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ هُوَ الْوَصْفُ الْأَكْمَلُ الَّذِي لَا يُمِثِّلُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَغْتَرِيهِ نَقْصٌ.

فَصِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى كُلُّهَا صِفَاتُ كَمَالٍ، سَوَاءٌ كَانَتْ صِفَاتِ ثُبُوتٍ، أَمْ صِفَاتِ نَفْيٍ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ النَّفْيَ الْمَخْصَصَ لَا يُوجَدُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ الْمَقْصُودَ بِصِفَاتِ النَّفْيِ نَفْيُ تِلْكَ الصِّفَةِ لِاتِّصَافِهِ بِكَمَالٍ ضِدِّهَا.

وَلِهَذَا لَا يَصِحُّ فِي ضَابِطِ الْإِثْبَاتِ أَنْ نَعْتَمِدَ عَلَى مُجَرَّدِ الْإِثْبَاتِ بِلَا تَشْبِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ صَحَّ ذَلِكَ لَجَازَ أَنْ يُثْبِتَ الْمُفْتَرِي لِلَّهِ سُبْحَانَهُ كُلَّ صِفَةٍ نَقْصٍ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، فَيَصِفُهُ بِالْحُزْنِ، وَالْبُكَاءِ، وَالْجُوعِ، وَالْعَطَشِ، وَنَحْوَهَا مِمَّا يُنَزِّهُ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَحْزَنُ لَا كَحُزْنِ الْعِبَادِ، وَيَبْكِي لَا كَبُكَائِهِمْ، وَيَجُوعُ لَا كَجُوعِهِمْ، وَيَعْطَشُ لَا كَعَطَشِهِمْ، وَيَأْكُلُ لَا كَأَكْلِهِمْ، كَمَا أَنَّهُ يَفْرَحُ لَا كَفَرَحِهِمْ، وَيَضْحَكُ لَا كَضَحِكِهِمْ، وَيَتَكَلَّمُ لَا كَكَلَامِهِمْ<sup>[١]</sup>.

[١] ذَكَرْنَا فِيمَا سَبَقَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ فِي بَابِ النَّفْيِ أَنْ نَعْتَمِدَ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، وَفِي بَابِ الْإِثْبَاتِ لَا يَصِحُّ أَنْ نَعْتَمِدَ عَلَى الْإِثْبَاتِ بِدُونِ تَشْبِيهِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّنَا نَقُولُ: عَقِيدَتُنَا فِيمَا يُثْبِتُ اللَّهُ، أَنْ ثُبِتَ لِلَّهِ أَيُّ صِفَةٍ لَكِنْ بِدُونِ تَشْبِيهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْاعْتِمَادَ لَا يَصِحُّ.

فصار الاعتمادُ في بابِ الإثباتِ عَلَى مُجَرَّدِ الإثباتِ بدونِ تَشْبِيهِ لا يَصَحُّ؛ لِأَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يُثَبَّتَ الْإِنْسَانُ أَيَّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْعُيُوبِ وَيَقُولُ: بِلَا تَشْبِيهِ. وَهَذَا قَدْ مَنَّا مُقَدِّمَةً: الضَّابِطُ أَنْ تُثَبَّتَ لِلَّهِ مَا أُثْبِتَ لِنَفْسِهِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، عَلَى وَجْهِ لَا نَقْصَ فِيهِ. فَنَقُولُ: تُثَبَّتُ لِلَّهِ كُلُّ مَا أُثْبِتَ لِنَفْسِهِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، عَلَى وَجْهِ لَا نَقْصَ فِيهِ، أَمَّا أَنْ نَعْتَمِدَ عَلَى مُجَرَّدِ الإثباتِ بِلَا تَشْبِيهِ فَهَذَا لَا يَصَحُّ.

وَعِنْدَنَا الْآنَ اعْتِمَادَانِ:

الأوَّلُ: أَنْ نَعْتَمِدَ فِي بَابِ الإثباتِ عَلَى مَا أُثْبِتَ لِلَّهِ لِنَفْسِهِ عَلَى وَجْهِ لَا نَقْصَ فِيهِ، وَالنَّقْصُ إِمَّا نَقْصٌ فِي الْكَمَالِ، أَوْ نَقْصٌ فِي الصِّفَةِ نَفْسِهَا، أَوْ مُمَائِلَتِهَا كَمَا سَبَقَ. فَمَثَلًا: الْوَجْهُ تُثَبَّتُ لِلَّهِ عَلَى وَجْهِ لَا نَقْصَ فِيهِ، وَالْغَضَبُ تُثَبَّتُ لِلَّهِ عَلَى وَجْهِ لَا نَقْصَ فِيهِ، وَهَكَذَا.

أَمَّا أَنْ نَقُولَ: تُثَبَّتُ مَا شِئْنَا وَلَكِنْ بِلَا تَشْبِيهِ. فَهَذَا لَا يَصَحُّ الْاعْتِمَادُ عَلَيْهِ. وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَّلَ ذَلِكَ فَقَالَ: لِأَنَّهُ لَوْ صَحَّ ذَلِكَ -أَيُّ لَوْ صَحَّ الْاعْتِمَادُ عَلَى مُجَرَّدِ الإثباتِ بِلَا تَشْبِيهِ- لَجَازَ أَنْ يُثَبَّتَ الْمُفْتَرِي لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كُلَّ صِفَةٍ نَقْصٍ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ.

فَلَوْ قُلْنَا: اثْبِتْ وَلَا تُشَبِّهْ. فَمَعْنَاهُ عِنْدَهُ أَنْ يُثَبَّتَ مَا شَاءَ فَيَقُولُ مَثَلًا: أَصِفُهُ بِالْحُزْنِ وَالبكاءِ والجوعِ والعطشِ، ونحوها مما يَتَنَزَّهُ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ!! فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَحْزَنُ لَا كَحُزْنِ الْعِبَادِ، وَيَبْكِي لَا كَبُكَائِهِمْ، وَيَجُوعُ لَا كَجُوعِهِمْ، وَيَعْطَشُ لَا كَعَطَشِهِمْ، وَيَأْكُلُ لَا كَأَكْلِهِمْ، وَكَذَا. وَهَذَا إِذَا جَعَلْنَا الْعُمْدَةَ الْإِثْبَاتِ بِلَا تَشْبِيهِ.

وَلَجَّازَ أَيُّضًا أَنْ يُثَبَّتَ الْمُفْتَرِي لِهَيْ سُبْحَانَهُ أَعْضَاءَ كَثِيرَةً مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ<sup>[١]</sup>.  
 فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَبَدًا لَا كَأَكْبَادِ الْعِبَادِ، وَأَمْعَاءَ لَا كَأَمْعَائِهِمْ، وَنَحْوَ  
 ذَلِكَ مِمَّا يُنَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، كَمَا أَنَّ لَهُ وَجْهًا لَا كَوُجُوهِهِمْ، وَيَدَيْنِ لَا كَأَيْدِيهِمْ.  
 ثُمَّ يَقُولُ الْمُفْتَرِي لِمَنْ نَفَى ذَلِكَ وَأَثَبَتَ الْفَرَحَ وَالضَّحْكَ وَالْكَلَامَ وَالْوَجْهَ  
 وَالْيَدَيْنِ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ مَا نَفَيْتَ وَمَا أَثَبَّتَ إِذَا جَعَلْتَ مُجَرَّدَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ كَافِيًا فِي  
 الْإِثْبَاتِ<sup>[٢]</sup>، فَإِنَّا لَمْ أَخْرِجْ عَنْ هَذَا الصَّابِطِ فَإِنِّي أَثَبْتُ ذَلِكَ بُدُونِ تَشْبِيهِ.

[١] قوله: «وَلَجَّازَ أَيُّضًا أَنْ يُثَبَّتَ الْمُفْتَرِي لِهَيْ سُبْحَانَهُ أَعْضَاءَ كَثِيرَةً مَعَ نَفْيِ  
 التَّشْبِيهِ»:

لَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هَلْ بَيْنَ الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ وَالتِّي قَبْلَهَا فَرْقٌ؟ الْجَوَابُ: هَذِهِ فِي الصِّفَاتِ  
 الْحَبَرِيَّةِ، وَتِلْكَ فِي الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ الْمُعْنَوِيَّةِ.

فَيَقُولُ: أَنَا أَثَبْتُ هَذَا بِلا تَشْبِيهِ، كَمَا أَنَّكَ أَثَبْتَ ذَاكَ بِلا تَشْبِيهِ.  
 وَلَوْ اعْتَمَدْنَا فِي بَابِ الْإِثْبَاتِ عَلَى مُجَرَّدِ الْإِثْبَاتِ بِلا تَشْبِيهِ؛ لَكَانَ لِهَذَا الْمُفْتَرِي  
 حُجَّةٌ فِيْمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ هَذَا الْاعْتِمَادُ لَا يَصِحُّ.

[٢] قوله: «ثُمَّ يَقُولُ الْمُفْتَرِي لِمَنْ نَفَى ذَلِكَ وَأَثَبَتَ الْفَرَحَ وَالضَّحْكَ وَالْكَلَامَ،  
 وَالْوَجْهَ وَالْيَدَيْنِ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ مَا نَفَيْتَ وَمَا أَثَبَّتَ إِذَا جَعَلْتَ مُجَرَّدَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ كَافِيًا  
 فِي الْإِثْبَاتِ»:

نَقُولُ: ظَاهِرِيًّا لَيْسَ هُنَاكَ فَرْقٌ، فَيَقْبَى الْإِنْسَانُ مُنْقَطِعًا مَحْجُوجًا.  
 فَهُوَ لَا يَعْتَمِدُ فِي الْإِثْبَاتِ عَلَى الْإِثْبَاتِ بِلا تَشْبِيهِ، فَلَوْ قَالَ: تُثَبَّتُ كُلُّ شَيْءٍ لِلَّهِ  
 بِلا تَشْبِيهِ.

قُلْنَا: هَذَا خَطَأٌ لَا يَصْلُحُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ جَازَ هَذَا لَقَالَ الْمُفْتَرِي: إِنَّ اللَّهَ يَحْزَنُ لَا كَأَحْزَانِنَا، كَمَا أَنَّهُ يَفْرَحُ لَا كَفَرَحِنَا. وَلَجَازَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ لَهُ أَمْعَاءَ لَا كَأَمْعَائِنَا، كَمَا أَنَّ لَهُ يَدَيْنِ لَا كَأَيْدِينَا.

فَمَا دَامَ الضَّابِطُ هُوَ الْإِثْبَاتُ بِلَا تَشْبِيهِ؛ فَسَدَ كُلُّ شَيْءٍ.

إِذَنْ: الرَّاجِحُ فِي الْإِثْبَاتِ أَنْ تُثَبَّتَ لِلَّهِ تَعَالَى كُلُّ صِفَةٍ كَمَا، كَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، وَنَقُولُ: بِلَا تَشْبِيهِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا هُوَ دَلِيلُكُمْ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ لَهُ أَمْعَاءٌ وَلَيْسَ لَهُ كَيْدٌ؟ قُلْنَا: الدَّلِيلُ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا مَنْ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى صَمَدٌ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، فَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ هَذَا.

كَذَلِكَ إِذَا قَالَ: الْفَرَحُ مِثْلُ الْحُزْنِ، أَتَتْ تُثَبَّتُ أَيُّهَا الْمَثَبُ فَرَحًا بِلَا تَمْثِيلٍ، فَأَنَا أُثَبِّتُ حُزْنًَا بِلَا تَمْثِيلٍ، وَهَذَا لَا يَصْلُحُ؛ لِأَنَّ الْحُزْنَ صِفَةٌ نَقْصٍ، فَلَا يَحْزَنُ إِلَّا النَّاقِصُ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْتَصِرَ لِنَفْسِهِ.

وَلِهَذَا لَوْ قُلْتُ: ضَرَبْتُ فَلَانًا فَحَزِنَ، وَضَرَبْتُ فَلَانًا فَغَضِبَ، فَالْأَكْمَلُ هُوَ الَّذِي غَضِبَ؛ لِأَنَّهُ يَشْعُرُ بِأَنَّ لَدَيْهِ قُوَّةً يُمَكِّنُ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ، لَكِنَّ الْمَحْزُونِ لَا يَقْدِرُ.

وَلِهَذَا يَأْتِي الْحُزْنُ فِي الْمَصَائِبِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ دَفْعَهَا، لَكِنَّ الْغَضَبَ يَكُونُ فِيمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَدْفَعَهُ، فَالْأَبُ يَغْضَبُ عَلَى ابْنِهِ، وَالْابْنُ يَحْزَنُ مِنْ أَبِيهِ، وَلَا يَغْضَبُ عَلَى أَبِيهِ.



فَإِنْ قَالَ النَّافِي<sup>[١]</sup>:

الْفَرْقُ هُوَ السَّمْعُ (أَيِ الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ) فَمَا جَاءَ بِهِ الدَّلِيلُ أُثْبِتُهُ  
وَمَا لَمْ يَجِئْ لَمْ أُثْبِتْهُ<sup>[٢]</sup>.

[١] قوله: «فَإِنْ قَالَ النَّافِي»: أَيِ النَّافِي لِهَذِهِ الصِّفَاتِ، الَّذِي يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَبْكِي وَلَيْسَ لَهُ أَمْعَاءُ.

[٢] قوله: «الْفَرْقُ هُوَ السَّمْعُ - أَيْ الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - فَمَا جَاءَ بِهِ الدَّلِيلُ أُثْبِتُهُ، وَمَا لَمْ يَجِئْ بِهِ لَمْ أُثْبِتْهُ»: أَيِ أَنَّ مُثَبَّتَ هَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِاللَّهِ، لَمَّا قَالَ لِلنَّافِي الَّذِي يَنْفِيهَا: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ مَا أَثْبَتَ وَمَا نَفَيْتَ؟ التَّجَاؤُ إِلَى السَّمْعِ، وَقَالَ: الْفَرْقُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

فَمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ أُثْبِتُهُ، وَمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ لَمْ يُثْبِتْهُ.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هَلْ هَذَا عُمْدَةٌ أَوْ غَيْرُ عُمْدَةٍ؟

وَالْجَوَابُ: هَذَا عُمْدَةٌ قَوِيَّةٌ، لَكِنَّ الْمَفْتَرِيَّ يَرُدُّ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: السَّمْعُ خَبَرٌ، وَالْخَبَرُ دَلِيلٌ عَلَى الْمَخْبَرِ عَنْهُ، وَالدَّلِيلُ لَا يَنْعَكِسُ؛ فَلَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِهِ عَدَمُ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَثْبُتُ بِدَلِيلٍ آخَرَ، فَمَا لَمْ يَرُدِّ بِهِ السَّمْعُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ثَابِتًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدِّ بِهِ السَّمْعُ.

وَهَذِهِ حُجَّةٌ قَوِيَّةٌ، لَكِنْ تُبْطَلُهَا بِمَا هُوَ أَقْوَى مِنْهَا.

فَإِذَا سَأَلَ سَائِلٌ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: (وَالدَّلِيلُ لَا يَنْعَكِسُ)؟

فَالْجَوَابُ: أَيِ أَنَّنَا نَقُولُ: إِذَا عُدِمَ الدَّلِيلُ فَلَا يَلْزَمُ عَدَمُ ثَبُوتِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَثْبُتُ بغيرِهِ، لَكِنْ يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ وجودِ الْمَدْلُولِ عَدَمُ الدَّلِيلِ.

قَالَ الْمُفْتَرِي:

السَّمْعُ خَبْرٌ وَالْخَبْرُ دَلِيلٌ عَلَى الْمُخْبِرِ عَنْهُ، وَالِدَّلِيلُ لَا يَنْعَكِسُ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِهِ عَدَمُ الْمَذْلُولِ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ قَدْ يَثْبُتُ بِدَلِيلٍ آخَرَ، فَمَا لَمْ يَرِدْ بِهِ السَّمْعُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ثَابِتًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَإِنْ لَمْ يَرِدْ بِهِ السَّمْعُ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ السَّمْعَ لَمْ يَرِدْ بِنَفْيِ كُلِّ هَذِهِ الْأُمُورِ بِأَسْمَائِهَا الْخَاصَّةِ، .....

فَمَثَلًا: لَوْ قَالَ لَكَ قَاتِلٌ: إِنَّ فَلَانًا بَنَى بَيْتًا. هَذَا خَبْرٌ عَنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ، لَكِنْ هَلْ يَثْبُتُ وَجُودُ هَذَا الْبَيْتِ بِدُونِ خَبَرِ هَذَا الْمُخْبِرِ؟ وَالْجَوَابُ: نَعَمْ يَثْبُتُ، فَمَثَلًا إِنْسَانٌ رَأَاهُ، فَثَبَّتَ بِالرُّؤْيَةِ بِدُونِ خَبَرٍ.

وَلَوْ لَمْ أَرَهُ وَلَمْ يُخْبِرْنِي بِهِ أَحَدٌ، فَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا؟ وَالْجَوَابُ: نَعَمْ، يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا.

فَمَا لَمْ يَرِدْ بِهِ الْخَبْرُ، فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَعْدُومٌ، فَقَدْ يَكُونُ مَوْجُودًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَكِنْ لَمْ يُخْبَرْ عَنْهُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: «فَمَا لَمْ يَرِدْ بِهِ السَّمْعُ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ثَابِتًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرِدْ بِهِ السَّمْعُ».

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هَلْ كُلُّ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَرَدَ بِهَا السَّمْعُ؟

وَالْجَوَابُ: لَا، قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي دُعَاءِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»<sup>(١)</sup>.

إِذَنْ: اللَّهُ تَعَالَى أَسْمَاءُ ثَابِتَةٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَلَمْ يَرِدْ بِهَا السَّمْعُ.

فَلَمْ يَرُدْ بِنَفْيِ الْحُزْنِ، وَالْبُكَاءِ، وَالْجُوعِ، وَالْعَطَشِ، وَنَفْيِ الْكِبِدِ، وَالْمَعِدَةِ، وَالْأَمْعَاءِ، وَإِذَا لَمْ يَرُدْ بِنَفْيِهَا جَازَ أَنْ تَكُونَ ثَابِتَةً فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، فَلَا يَجُوزُ نَفْيُهَا بِلَا دَلِيلٍ<sup>[١]</sup>، وَبِهَذَا يَنْقَطِعُ النَّافِي لِهَذِهِ الصِّفَاتِ حَيْثُ اعْتَمَدَ فِيهَا يَنْفِيهِ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا الْإِعْتِمَادُ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ السَّمْعُ وَالْعَقْلُ مِنْ وَصْفِ اللَّهِ تَعَالَى بِصِفَاتِ الْكَمَالِ عَلَى وَجْهِ لَا نَقْصَ فِيهِ، وَعَلَى هَذَا فَكُلُّ مَا يُنَافِي صِفَاتِ الْكَمَالِ الثَّابِتَةِ لِلَّهِ، فَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْهُ؛ لِأَنَّ ثُبُوتَ أَحَدِ الضَّدَيْنِ نَفْيٌ لِلْآخَرِ وَلِمَا يَسْتَلْزِمُهُ.

وَبِهَذَا يُمَكِّنُ دَفْعُ مَا أَثْبَتَهُ هَذَا الْمُفْتَرِي لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ النِّقْصِ فَيُقَالُ: الْحُزْنُ، وَالْبُكَاءُ، وَالْجُوعُ، وَالْعَطَشُ صِفَاتُ نَقْصٍ مُنَافِيَةٌ لِكَمَالِهِ فَتَكُونُ مُنْتَفِيَةً عَنِ اللَّهِ<sup>[٢]</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «وَإِذَا لَمْ يَرُدْ بِنَفْيِهَا، جَازَ أَنْ تَكُونَ ثَابِتَةً فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، فَلَا يَجُوزُ نَفْيُهَا بِلَا دَلِيلٍ»: وَهَذَا صَحِيحٌ، لَكِنْ يَجُوزُ نَفْيُ الْعِلْمِ بِهِ، فَأَقُولُ: لَا أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ هَذَا الشَّيْءَ.

[٢] تَقَدَّمَ أَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ نَنْفِي مَا قَالَهُ الْمُفْتَرِي، إِذَا لَمْ نَعْتَمِدْ عَلَى هَذَا الضَّابِطِ، فَتَقُولُ: هَذَا الَّذِي أَثْبَتَهُ لَا يَكْفِي فِيهِ أَنْ تَقُولَ: أَنَا أَثْبَتُ لِلَّهِ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِلَا تَشْبِيهِ.

فَإِذَا قَالَ: أَنَا أَثْبَتُ لِلَّهِ كِبِدًا، وَأَنَّهُ يَحْزَنُ وَيَبْكِي، إِلَى آخِرِهِ بِلَا تَشْبِيهِ؛ فَهَذَا لَا يَكْفِي لِلْإِثْبَاتِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ إِثْبَاتُ كَمَالٍ، وَمَتَى ثُبُتَ أَنَّهَا كَمَالٌ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيهَا تَشْبِيهِ.

فَنَقُولُ مَثَلًا: الْحُزْنُ وَالْبُكَاءُ وَالْجُوعُ وَالْعَطَشُ صِفَاتُ نَقْصٍ؛ لِأَنَّ الْحَزِينَ أَصَابَهُ شَيْءٌ لَا يُمَكِّنُهُ دَفْعُهُ فَحَزَنَ عَلَيْهِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى النِّقْصِ، وَلِهَذَا كَلِمَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَقْوَى وَأَشَدَّ ثَبَاتًا؛ كَانَ حُزْنُهُ أَقْلَ.

والْبُكَاءُ واضحٌ أَنَّهُ صِفَةُ نَقْصٍ، وَهَذَا كُلُّمَا كَبُرَ الْإِنْسَانُ قَلَّ بُكَاءُهُ، فَالْصَّبِيُّ إِذَا أَخَذَ مَا فِي يَدِهِ بَكَى، وَالْكَبِيرُ لَا يَبْكِي إِذَا أَخَذَ مَا فِي يَدِهِ. وَالْجَوْعُ صِفَةُ نَقْصٍ؛ لِأَنَّ الْجَوْعَ مَعْنَاهُ احْتِيَاجُ الْإِنْسَانِ إِلَى الْأَكْلِ، وَهَذَا نَقْصٌ، وَكَذَلِكَ الْعَطَشُ.

فَنَقُولُ: هَذِهِ صِفَاتُ نَقْصٍ مُنَافِيَةٌ لِكَمَالِ اللَّهِ، فَتَكُونُ مُتَنَفِيَةً عَنِ اللَّهِ، لَا لِأَنَّهَا بِلاَ تَشْبِيهِ؛ بَلْ لِأَنَّهَا نَقْصٌ، فَهِيَ - مِنَ الْأَصْلِ - لَا يَجُوزُ إِثْبَاتُهَا لِلَّهِ. فَلَا نَقُولُ: إِنَّهَا مُتَنَفِيَةٌ لِأَنَّهَا تَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا. بَلْ نَقُولُ: إِنَّهَا مُتَنَفِيَةٌ لِأَنَّهَا صِفَةُ نَقْصٍ. لِأَنَّا لَوْ قُلْنَا: إِنَّهَا مُتَنَفِيَةٌ لِأَنَّهَا تَسْتَلْزِمُ أَنْ تَكُونَ جِسْمًا؛ احْتِجَّ عَلَيْنَا وَقَالَ: إِذَنْ أَنَا أَثْبَتُ الْحُزْنَ وَالْبُكَاءَ، وَالْأَكْلَ وَالشُّرْبَ، وَلَا أَقُولُ: إِنَّهُ جِسْمٌ. إِذَنْ: لَا بُدَّ أَنْ نَحْتَرِمَ جَانِبَ الرَّبِّ، وَلَا نَقُولَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُ، وَلَا نَنْفِي مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ.

فَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْكَرَ عَلَى الَّذِينَ يَسْأَلُونَ عَنِ رُوحِ الْإِنْسَانِ الَّتِي بَيْنَ جَنَبَيْهِ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ وَفِي مَخْلُوقٍ.

فَالْعِلَاجُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، بَيْنَهُ النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي أَلْهَمَهُ اللَّهُ طَبَّ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّهِ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣١٠٢)، ومسلم: كتاب الإيثار، باب بيان الوسوسة في الإيثار وما يقوله من وجدها، رقم (١٣٤).

وَيُقَالُ أَيضًا: الْأَكْلُ، وَالشُّرْبُ مُسْتَلْزِمٌ لِلْحَاجَةِ، وَالْحَاجَةُ نَقْصٌ، وَمَا اسْتَلْزَمَ النَّقْصَ فَهُوَ نَقْصٌ.

وَيُقَالُ أَيضًا: الْكِبْدُ، وَالْمِعْدَةُ، وَالْأَمْعَاءُ، آلَاتُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَالْمُنَزَّةُ عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ مُنَزَّةٌ عَنِ آلَاتِ ذَلِكَ<sup>[١]</sup>.

(استعد بالله) حين لا تقدر عليه من الوساس، (وليتته): أي فانشغل عن هذا وفكر في شيء آخر؛ يزُلْ عَنْكَ هَذَا الدَّاءُ.

[١] الضَّابِطُ فِي الْإِثْبَاتِ: هُوَ أَنْ نَصَفَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَأَنَّ كُلَّ صِفَةٍ نَقْصٍ فِيهِ مَنْفِيَةٌ عَنِ اللَّهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تُثَبَّتَ بِدُونِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، أَيْ لَيْسَ الْاعْتِمَادُ هُوَ نَفْيُ التَّشْبِيهِ.

فَاللَّهُ مُنَزَّةٌ عَنْ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

١ - عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ مُطْلَقًا.

٢ - عَنِ النَّقْصِ فِي كَمَالِهِ.

٣ - عَنْ مُمَائِلَةِ الْمَخْلُوقِينَ.

إِذَنْ: الْعُمْدَةُ أَنْ تَعْتَمِدَ بِذَلِكَ مَا أَثَبَّتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَصَارَ الْمَرْجِعُ بِذَلِكَ هُوَ السَّمْعُ، أَيْ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

أَمَّا اعْتِرَاضُ الَّذِي قَالَ: السَّمْعُ خَبَرٌ، وَالْخَبَرُ دَلِيلٌ عَلَى الْمَخِيرِ عَنْهُ، وَالِدَّلِيلُ لَا يَنْعَكُسُ فَقَدْ ثَبَّتَ بِدَلِيلٍ آخَرَ.

نَقُولُ: نَعَمْ، هَذَا حَقٌّ، وَلَكِنْ مَا ذَكَرْتَهُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِيهِ صِفَاتُ نَقْصٍ؛ فَيَمْتَنِعُ بِنَاءً عَلَى أَنَّ لِلَّهِ الْمِثْلَ الْأَعْلَى، وَالَّذِي لَيْسَ فِيهِ نَقْصٌ بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

وَأَمَّا الْفَرْحُ، وَالضَّحْكُ، وَالْعَصَبُ<sup>(١)</sup>، .....

[١] أَمَّا الْفَرْحُ وَالضَّحْكُ وَالْغَضَبُ ونحوها، فأجاب عنه المؤلف بأنها صفات كمال لا نقص فيها.

الأول: الْفَرْحُ؛ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرْحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيَسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيَسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَاخَذَ بِخَطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرْحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرْحِ»<sup>(١)</sup>.

وهذا الْفَرْحُ لا يُساويه فَرْحٌ بالدُّنْيَا أَبَدًا؛ لِأَنَّهُ فَرْحٌ بِحَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتٍ. وفَرْحُ اللَّهِ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ فَرْحٌ كَمَالِي؛ لِأَنَّهُ فَرْحٌ بِمَنْفَعَةِ الْغَيْرِ، أَمَّا فَرْحُ هَذَا الرَّجُلِ بِدَابَّتِهِ، فَهُوَ فَرْحٌ نَقْصٍ؛ لِأَنَّهُ فَرْحٌ بِحَيَاةٍ وَطَعَامٍ وَشَرَابٍ.

الثاني: الضَّحْكُ أَيْضًا صِفَةُ كَمَالٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَضْحَكُ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَضْحَكُ اللَّهُ مِنْ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»<sup>(٢)</sup>، أَحَدُهُمَا كَانَ مِنْ أَعْدَائِهِ، قَتَلَ وَاحِدًا مِنْ أَوْلِيَائِهِ، ثُمَّ مَنَّ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ الْقَاتِلِ فَأَمَّنَ وَدَخَلَ الْجَنَّةَ، فَضَحِكَ اللَّهُ إِلَى هَذَا ضَحِكٍ إِحْسَانٍ لَيْسَ ضَحْكُ عَبَثٍ، وَلَوْ كَانَ ضَحْكُ عَبَثٍ لَكَانَ هَذَا نَقْصًا.

(١) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب في الحُضْضِ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرْحِ بِهَا، رَقْم (٢٧٤٧).  
(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الْكَافِرُ يَقْتُلُ الْمُسْلِمَ ثُمَّ يَسْلَمُ فَيَسُدُّ بَعْدَ وَيَقْتُلُ، رَقْم (٢٦٧١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، رَقْم (١٨٩٠).

وَنَحْوَهَا<sup>(١)</sup> فَهِيَ صِفَاتُ كَمَالٍ لَا تَقْصُ فِيهَا، فَلَا تَنْتَفِي عَنْهُ، لَكِنَّهَا لَا تُثَابِلُ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الْمَخْلُوقُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا كُفَاءَ لَهُ، وَلَا سَمِيٍّ، وَلَا مِثْلَ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ حَقِيقَةُ ذَاتِهِ كَحَقِيقَةِ شَيْءٍ مِنْ ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا حَقِيقَةُ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ كَحَقِيقَةِ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْمَخْلُوقاتِ، لَا الْمَلَائِكَةِ، وَلَا الْآدَمِيِّينَ، وَلَا السَّمَاوَاتِ، وَلَا الْكَوَاكِبِ، وَلَا الْهَوَاءِ، وَلَا الْأَرْضِ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ.

الثَّالِثُ: الْغَضَبُ صِفَةُ كَمَالٍ، وَإِذَا كَانَ كَمَا لَا فَكَيْفَ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلرَّجُلِ الَّذِي قَالَ لَهُ: أَوْصِنِي. فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهُ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»<sup>(٢)</sup>، فَهَلْ يَنْهَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ الْكَمَالِ؟

نَقُولُ: الْغَضَبُ فِي مَوْضِعِهِ كَمَالٌ، وَفِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ نَقْصٌ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ، فَبَعْضُ النَّاسِ يَكُونُ سَرِيعَ الْغَضَبِ، وَهَذَا نَقْصٌ، وَلَكِنْ لَوْ كَانَ لَا يَغْضَبُ إِلَّا فِي مَوْضِعِ الْغَضَبِ لَكَانَ كَمَا لَا؛ لِأَنَّ الْغَضَبَ دَلِيلٌ عَلَى الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَنَحْوَهَا»: أَيِ مِثْلِ الْعَجَبِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْجَبُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) [الصافات: ١٢]، عَلَى قِرَاءَةِ الضَّمِّ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ»<sup>(٣)</sup>.

فَكُلُّ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ فَهُوَ صِفَاتُ كَمَالٍ بِلَا شَكٍّ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُثَابِلُ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الْمَخْلُوقُ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم (٥٧٦٥).

(٢) أخرجه أحمد (١١ / ٤) رقم (١٦٢٣٢)، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم

(١٨١).

بَلْ يُعْلَمُ أَنَّ حَقِيقَتَهُ عَنْ مُمَائِلَةِ شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ أَبْعَدُ مِنْ سَائِرِ الْحَقَائِقِ؛  
لِأَنَّ الْحَقِيقَتَيْنِ إِذَا تَمَائِلَتَا جَاَزَ عَلَى الْوَاحِدَةِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْأُخْرَى، وَوَجِبَ لَهَا مَا  
يَجِبُ لِلْأُخْرَى، وَامْتَنَعَ عَلَيْهَا مَا يَمْتَنِعُ عَلَى الْأُخْرَى، فَيَلْزَمُ أَنْ يَجُوزَ عَلَى الْخَالِقِ  
الْوَاجِبُ بِنَفْسِهِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْمَخْلُوقِ الْمُحْدَثِ، وَأَنْ يَثْبُتَ لِهَذَا الْمَخْلُوقِ مَا يَثْبُتُ  
لِلْخَالِقِ فَيَكُونُ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ وَاجِبًا بِنَفْسِهِ غَيْرَ وَاجِبٍ بِنَفْسِهِ، مَوْجُودًا مَعْدُومًا،  
وَهَذَا جَمْعٌ بَيْنَ التَّقْيِضَيْنِ<sup>١١</sup>.

ثُمَّ عَلَّلَ الْمُؤَلَّفُ رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ انْتِفَاءِ الْمَائِلَةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْمَخْلُوقَاتِ،  
وَإِذَا كَانَ لَيْسَ مِنْ جِنْسِهَا؛ لَزِمَ أَلَّا يَكُونَ مُمَائِلًا لَهَا، إِذْ لَوْ مَائِلًا لَكَانَ مِنْ جِنْسِهَا،  
وَهَذَا دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ.

وَأَمَّا الْأَدْلَةُ السَّمْعِيَّةُ فَقَدْ سَبَقَ مَا يَدُلُّ عَلَى بَطْلَانِ مَذْهَبِ الْمُمَثِّلَةِ بِالسَّمْعِ وَالْعَقْلِ،  
وَهَذَا تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: «لَا يُمَائِلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ».

[١] قَوْلُهُ: «بَلْ يُعْلَمُ أَنَّ حَقِيقَتَهُ عَنْ مُمَائِلَةِ شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، أَبْعَدُ مِنْ سَائِرِ  
الْحَقَائِقِ»: وَمَعْلُومٌ أَنَّ حَقِيقَةَ اللَّهِ تَعَالَى أَبْعَدُ شَيْءٍ عَنْ مُمَائِلَةِ شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ؛ لِأَنَّ  
الْمَوْجُودَاتِ يُمَكِّنُ أَنْ يُمَائِلَ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ لِأَنَّهَا مُتَّفِقَةٌ بِالْوُجُودِ وَالْحُدُوثِ بَعْدَ الْعَدَمِ،  
وَمُتَّفِقَةٌ فِي أَنَّهَا جَائِزَةٌ فِي الْعَدَمِ، أَمَّا الْخَالِقُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ يَتَنَفَّى فِي حَقِّهِ  
الْحُدُوثُ بَعْدَ الْعَدَمِ، أَوْ الْعَدَمُ بَعْدَ الْوُجُودِ، فَإِنَّ حَقِيقَتَهُ أَبْعَدُ شَيْءٍ عَنْ مُمَائِلَةِ شَيْءٍ مِنَ  
الْحَقَائِقِ.

ثُمَّ قَالَ مُعَلَّلًا: «لِأَنَّ الْحَقِيقَتَيْنِ إِذَا تَمَائِلَتَا؛ جَاَزَ عَلَى الْوَاحِدَةِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْأُخْرَى،  
وَوَجِبَ مَا يَجِبُ لِلْأُخْرَى، وَامْتَنَعَ عَلَيْهَا مَا يَمْتَنِعُ عَلَى الْأُخْرَى»: وَهَذَا وَاضِحٌ.



فمثلاً: الإنسانُ مع الإنسانِ الآخر، حقيقتانِ متماثلتان، فإذا جازَ عَلَى زَيْدٍ أَنْ يَمْرَضَ وَيُصَابَ بِالْآفَاتِ وَأَنْ يَمُوتَ؛ جازَ عَلَى خَالِدٍ ذَلِكَ؛ لَتَمَاطِلِ الْحَقِيقَتَيْنِ، وإذا امْتَنَعَ عَلَى زَيْدٍ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْ يَكُونَ أَزَلِيًّا وَأَبَدِيًّا؛ امْتَنَعَ كَذَلِكَ عَلَى خَالِدٍ، وإذا وَجِبَ أَنْ يَكُونَ مَفْتَقِرًا إِلَى غَيْرِهِ بِوُجُودِهِ، وَفِي إِعْدَادِهِ وَفِي إِمدَادِهِ؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي كَذَلِكَ.

فالحقيقتانِ إذا تَمَاطَلتا جازَ عَلَى الواحدةِ ما يَجُوزُ عَلَى الأُخرى.

فإذا قُلْنَا: إِنَّ الخالِقَ مُمَاطِلٌ للمخلوق؛ لَزِمَ أَنْ يَجُوزَ عَلَى الخالقِ الواجبُ بنفسِهِ ما يَجُوزُ عَلَى المخلوقِ المحدث، وَأَنْ يَثْبِتَ لِهَذَا المخلوقِ ما يَثْبِتُ للخالقِ. فعَلَى هَذَا: لو قُلْنَا بالتَّمَاطِلِ؛ جازَ أَنْ يَكُونَ الخالقُ حادثًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يُوْجَدْ، وَجازَ أَنْ يَكُونَ المخلوقُ واجِبًا أَزَلِيًّا؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: إِنَّهُمَا تَمَاطَلتا. فَمِنْ المعلومِ أَنَّ الخالقَ واجبُ الوجودِ؛ فَيَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ المخلوقُ واجبُ الوجودِ.

وَمِنْ المعلومِ أَنَّ المخلوقَ جائِزُ الوجودِ؛ فَيَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الخالقُ جائِزُ الوجودِ، وَحيثُ يَكُونُ الشَّيْءُ الواحدُ واجِبًا بنفسِهِ، كالخالقِ غيرِ واجبٍ بنفسِهِ، واجِبًا إِذا اعتبرنا ذاتَ الخالقِ، غيرُ واجبٍ إِذا اعتبرنا مِمَاطِلَتَهُ للمخلوقِ، مَوْجُودًا مَعْدُومًا؛ لِأَنَّ المخلوقَ يَكُونُ مَعْدُومًا وَيَكُونُ مَوْجُودًا؛ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الخالقُ كَذَلِكَ، مَوْجُودًا مَعْدُومًا، وَهَذَا جَمْعٌ بَيْنَ النَّقِیْضَيْنِ، وَهَذَا أَيْضًا دَلِيلٌ عَلَى امْتِناعِ المِماثِلَةِ.

الأَوَّلُ: أَنَّ الخالِقَ لیسَ مِنْ جنسِ المخلوقاتِ.

الثَّانِي: أَنَّهُ لو جازَ التَّمَاطِلُ؛ لَزِمَ أَنْ يَشْتَرِكَ كُلُّ واحدٍ مِنْهُمَا فِي الصِّفَةِ الَّتِي يَمْتَنَزُ بِهَا الأُخرى، وَهَذَا جَمْعٌ بَيْنَ النَّقِیْضَيْنِ.

## فصل

في القدر والشرع<sup>[١]</sup>

الْقَدَرُ: تَقْدِيرُ اللَّهِ تَعَالَى لِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ أَرْلًا وَأَبَدًا<sup>[٢]</sup>.

[١] قوله: «في القدر والشرع»: الواقع أَنَّ هَذَا الْأَصْلَ يَدْوُرُ عَلَى الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ وَالْقَدَرِيِّ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنْفَرِدٌ بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، كَمَا أَنََّّهُ مُنْفَرِدٌ بِالْحُكْمِ الْقَدَرِيِّ، وَكُلُّ النَّاسِ -حَتَّى الْكُفَّارِ- يَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَقْدَّرَ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا أَحَدٌ يُنْكِرُ ذَلِكَ، فَكُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِالرَّبِّ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ هُوَ الْمَقْدَّرُ، لَكِنْ فِي الشَّرْعِ لَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يُؤْمِنُ بِذَلِكَ، فَإِنَّ الْبَشَرَ لَهُمْ قَوَانِينُ خَارِجَةٌ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ، فَلَمْ يُفَرِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ وَإِنْ أَفَرَّدُوهُ بِالْحُكْمِ الْقَدَرِيِّ.

فَنَقُولُ: هَذَا الْأَصْلُ يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ وَالشَّرْعِ، وَإِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ، أَيْ بِالْقَدَرِ وَالشَّرْعِ، فَهُوَ الْمَشْرَعُ كَمَا أَنََّّهُ الْمَقْدَّرُ.

وَهَذَا يُمَكِّنُ أَنْ نَقُولَ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ فِي عِبَارَةٍ ثَانِيَةٍ: إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحُكْمِ الْكُونِيِّ وَالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، فَيَكُونُ مُتَضَمِّنًا الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ وَالْإِيمَانَ بِالشَّرْعِ.

[٢] قوله: «الْقَدَرُ تَقْدِيرُ اللَّهِ تَعَالَى لِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ أَرْلًا وَأَبَدًا»:

الْقَدَرُ: هُوَ تَقْدِيرُ اللَّهِ لِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ أَرْلًا وَأَبَدًا، وَالْأَرْلُ يَكُونُ فِي الْمَاضِي، وَالْأَبَدُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ، فَقَدَّرَ كُلَّ مَا كَانَ فِي الْأَرْلِ، وَمَا يَكُونُ فِي الْأَبَدِ، وَلَمْ يُقَدِّرْ ذَلِكَ أَحَدٌ مَعَ اللَّهِ، بَلْ هُوَ الَّذِي انْفَرَدَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّقْدِيرِ، وَهَذَا التَّقْدِيرُ مَرْتَّبٌ: عِلْمٌ وَكِتَابَةٌ وَمُشِيئَةٌ وَخَلْقٌ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السَّتَةِ الَّتِي بَيْنَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ حِينَ سَأَلَهُ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ»<sup>(١)</sup> [١].

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ وَالشَّرْعِ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى<sup>[٢]</sup>.

[١] قوله: «وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السَّتَةِ...»:

إِذَنْ: الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السَّتَةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ مَرْتَبَتِهِ.

أَمَّا حُكْمُهُ: فَإِذَا كَانَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السَّتَةِ؛ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ وَاجِبًا، فَكَمَا يَجِبُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ.. إِلَى آخِرِ الْأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ تُؤْمِنَ كَذَلِكَ بِقَدَرِهِ.

[٢] قوله: «الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى»: فَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ يَدُورُ عَلَى تَدْبِيرِ الْخَلْقِ، فَيَكُونُ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِالرُّبُوبِيَّةِ.

إِذَنْ: لَا يُمَكِّنُ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ، وَلَا تَكُونُ الْحَيَاةُ سَعِيدَةً إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْكُفَّارَ وَالْفَسَّاقَ تَضَيِّقُ عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ فِيمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الْمَصَائِبِ، فَإِذَا ضَاقَتْ يَتَتَحَرَّوْنَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُمْ نِعْمَةُ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ.

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام رقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النَّبِيِّ ﷺ عن الإيمان رقم (٥٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلِلْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ مَرَاتِبُ:

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَلِمَ بِعِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ مِمَّا يَكُونُ مِنْ أَفْعَالِهِ، أَوْ أَفْعَالٍ تَخْلُقَاتِهِ<sup>[١]</sup>.

وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ عِنْدَهُ إِيْمَانٌ بِالْقَدَرِ؛ صَبَرَ عَلَى الْمَقْدُورِ، وَانْتَظَرَ الْفَرَجَ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ الْمَصَائِبَ، وَانْشَرَحَ صَدْرُهُ دَائِمًا.

وَعَنْ صُهِيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»<sup>(١)</sup>.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا ارْتِبَاطُ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ بِالتَّوْحِيدِ؟

نَقُولُ: يَرْتَبِطُ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ رَبُوبِيَّةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَتَمَامِ مُلْكِهِ وَتَدْبِيرِهِ أَنَّهُ يَقْضِي عَلَى عِبَادِهِ بِمَا شَاءَ.

[١] الْإِيمَانُ بِعِلْمِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى وَجْهِ مُتَعَدِّدَةٍ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، فَاللَّهُ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَبِأَيِّ صِيغَةٍ حَصَلَ الْعُمُومُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟

الْجَوَابُ: حَصَلَ بِقَوْلِهِ: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾، وَهَذَا يَشْمَلُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَالظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ، وَالَّذِي يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِهِ، وَالَّذِي يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِ الْخَلْقِ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَاقِطِ، بَابُ الْمُؤْمِنِ أَمْرُهُ كُلُّ خَيْرٍ، رَقْمُ (٢٩٩٩).

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، فكلمة الْغَيْبِ تشمل كل ما غاب، والشَّهادة تشمل كل ما شوهد.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، لِكَمَالِ عِلْمِهِ، ومعلومٌ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ مِنَ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ، فلا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ لِكَمَالِ عِلْمِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

إِذَنْ: الْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى عُمُومِ عِلْمِ اللَّهِ جَمْلَةً وَتَفْصِيلًا كَثِيرَةً فِي الْقُرْآنِ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِذَلِكَ، بِأَنَّ اللَّهَ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ.

ولو سَأَلَ سَائِلٌ: مَا ثَمَرَةُ الْإِيمَانِ بِهَذَا الْعِلْمِ؟

وَالْجَوَابُ: ثَمَرَةُ الْإِيمَانِ بِهَذَا الْعِلْمِ أَنَّهُ يَحْمِلُ الْمَرْءَ عَلَى مُرَاقَبَةِ اللَّهِ، فلا يَفْعَلُ مَا نَهَاهُ عَنْهُ، ولا يَدْعُ مَا أَمَرَهُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ، فإذا كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ؛ فلا بُدَّ أَنْ يُرَاقِبَ رَبَّهُ.

وَلِذَلِكَ: لو قِيلَ لَكَ مَثَلًا: إِنَّ رَئِيسَكَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُ وما تَتْرَكُ. أَوْجِبَ لَكَ ذَلِكَ أَنْ تُرَاقِبَهُ وَتَخَافَ مِنْهُ. ولو قِيلَ: إِنَّ عِنْدَكَ اسْتِخْبَارَاتٍ تُبْلِغُ رَئِيسَكَ بِمَا تَفْعَلُ أو ما تَتْرَكُ. لرَأَيْتَكَ تَحْذَرُ وَتَقُومُ بِالْعَمَلِ عَلَى وَجْهِ مُتَقَنٍّ، أَمَّا إِذَا كُنْتَ لَا تُؤْمِنُ بِهَذَا؛ فإِنَّكَ سَوْفَ تَفْعَلُ مَا تَرِيدُ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ أَوْ يَكُونُ إِلَّا وَهُوَ مَكْتُوبٌ مُقَدَّرٌ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ<sup>[١]</sup>.

[١] قوله: «المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء...»: اللوح المحفوظ لم يبلغنا عنه كثير من التفصيل؛ لأنه ليس بنا حاجة أن نعلم ما هو اللوح، وما مادته وما سعته وما حجمه وما لونه، فليس لنا الحاجة بذلك، ولكن حاجتنا أن نعلم بأنه كتبت فيه مقادير كل شيء، سواء كان هذا اللوح صغيراً أم كبيراً.

فالله عز وجل على كل شيء قدير، وقد يستبعد الإنسان أن يكون الشيء صغيراً ويكتب فيه شيئاً كبيراً، ولكن تبين أنه يمكن أن تكتب بالقطعة الصغيرة، التي تكون على قدر الظفر مئات الكلمات.

وسمّي محفوظاً لأنه محفوظ عن التغير، فلا يتغير فيه شيء، لقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]، أي أصله الذي يرجع إليه في النهاية، فهو لا يتغير فيه شيء مما كتب، بخلاف الصحف التي في أيدي الملائكة، فإنه يكتب فيها ويمحى، تكتب فيها السيئة فيتوب الإنسان منها فتمحى، لكن اللوح المحفوظ ما كتب فيه فهو محفوظ من التغير.

ومحفوظ أيضاً من أن يناله أحد إلا بأمر الله، فلا أحد يناله ولا يغير ما فيه أبداً، بل ولا ينظر إليه إلا بأمر الله عز وجل، وكتب في هذا اللوح مقادير كل شيء.

ولو سأل سائل: هل كتب الله ذلك بيده؟

وَدَلِيلُ هَاتَيْنِ الْمَرْتَبَتَيْنِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ:

أَمَّا الْكِتَابُ: فَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] <sup>(١)</sup>.

وَالْجَوَابُ: لَمْ يَكْتُبِ اللَّهُ ذَلِكَ بِيَدِهِ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْقَدَرُ» قَالَ: «فَكُتِبَ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ» <sup>(٢)</sup>، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِهَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمْ يَكْتُبِ اللَّهُ ذَلِكَ بِيَدِهِ، بَلْ أَمَرَ الْقَلَمَ فَكُتِبَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُنسَبَ الْفِعْلُ إِلَى الْأَمْرِ بِهِ، وَلِهَذَا نَقُولُ: بَنَى الْمَلِكُ قَصْرَهُ. أَيْ أَمَرَ بِنَائِهِ، فَنسبت الكتابة إلى الله؛ لَأَنَّهُ أَمَرَ بِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

[١] الْعِلْمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحج: ٧٠]، وَالْكِتَابَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وَالْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، هُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾، أَمَّا الْعِلْمُ فَهُوَ صِفَةٌ لَازِمَةٌ.

وَقَوْلُهُ: «فَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى»: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ آيَاتٍ أُخْرَى تَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرَ،

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، رقم (٤٧٠٢).

.....  
 مثلُ قوله تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]، أمَّا الآيةُ الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ومفاتيح الغيب خمسة، كما فسر ذلك النبي ﷺ، وهي مذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

وسُميت (مفاتيح)؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِنْهَا مِفْتَاحٌ لما بعده:

فَعِلْمُ السَّاعَةِ: مِفْتَاحٌ لِلْآخِرَةِ.

وَتَنْزِيلُ الْغَيْثِ: مِفْتَاحٌ لِحَيَاةِ الْأَرْضِ.

وَالْأَرْحَامُ: مِفْتَاحٌ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ.

وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا: الْغَدُ مِفْتَاحُ الْمُسْتَقْبَلِ.

وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ: هَذَا مِفْتَاحُ الْبَرْزَخِ.

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ هَذِهِ عَامَّةٌ، فَكُلُّ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فهو معلومٌ عِنْدَ اللَّهِ.

وقوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ (ورقة) هُنَا فَاعِلٌ، دَخَلَتْ عَلَيْهِ (مِنْ) لِتَأْكِيدِ الْعُمُومِ، فَأَيُّ وَرَقَةٍ تَسْقُطُ فَاللَّهُ يَعْلَمُهَا، وَأَيُّ وَرَقَةٍ تَنْبُتُ فَاللَّهُ يَعْلَمُهَا مِنْ بَابِ أُولَى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ﴾ (ظلمات) جمعٌ، وظلماتُ الأرض هي:

١ - ظُلْمَةُ اللَّيْلِ.



وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا<sup>(١)</sup>.

٢- وظلمةُ السَّحابِ.

٣- وظلمةُ المطرِ.

٤- وظلمةُ البحرِ.

٥- وظلمةُ طبقاتِ الأرضِ.

فصارتِ الظُّلُمَاتُ خَمْسَ.

فَأَمَّا ظُلْمَةُ اللَّيْلِ، وظلمةُ البحرِ، وظلمةُ طبقاتِ الأرضِ، وظلمةُ السَّحابِ، فهذه واضحة.

وظلمةُ المطرِ؛ لأنَّه إِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ تَشَعَّرُ بِأَنَّهُ ظِلَامٌ، وَلِهَذَا لَا تَرَى الشَّيْءَ الْبَعِيدَ إِذَا كَانَ الْمَطَرُ غَزِيرًا؛ لِأَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الرَّؤْيَةِ.

وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: فِي هَذِهِ الْآيَةِ عِلْمٌ وَكِتَابَةٌ، فَالْعِلْمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَعْلَمُ﴾، وَالكِتَابَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا: أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَكْتُوبٌ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فَكُلُّ شَيْءٍ مَكْتُوبٌ.

(١) رواه مسلم: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٢٦٥٣).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ»<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ<sup>(٢)</sup> [١].

[١] المراد بالذكر في الحديث هو اللوح المحفوظ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَذِهِ الْأَحَادِيثُ لَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْعِلْمِ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ الْكِتَابَةُ إِلَّا بِعِلْمٍ؛ لِأَنَّ الْمَكْتُوبَ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا لِلْكَاتِبِ، وَحَيْثُذِ فَتَكُونُ دَلَالَةٌ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ عَلَى الْعِلْمِ مِنْ بَابِ دَلَالَةِ الْإِلْتِزَامِ، أَيِ: يَلْزَمُ مِنَ الْكِتَابَةِ سَبْقُ الْعِلْمِ، وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَوَرَدَ فِيهِ النَّصُّ الصَّرِيحُ وَدَلَالَتُهُ مُطَابِقَةٌ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»<sup>(٣)</sup>، قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: كَيْفَ تُقَدَّرُ السَّنَةُ؟

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب ﴿وَكُنَّ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، رقم (٧٤١٨).

(٢) رواه أحمد (٣١٧/٥)، رقم (٢٣٠٨١)، وأبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، رقم (٤٧٠٠)، والترمذي، كتاب القدر، رقم (٢١٥٥).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٢٦٥٣).

نَقُولُ: إِذَا كَانَتْ بِالْأَهْلَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجَّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

فَكَيْفَ قَالَ: (بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ سَنَوَاتٌ؟

وَالْجَوَابُ: أَيُّ بِمِقْدَارِ خَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ، فَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَمُكُّ الدَّجَالُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَالْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَالْيَوْمُ كَالضُّطْرَامِ السَّعْفَةِ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنْ يُصَلُّوا صَلَاةَ سَنَةٍ كَامِلَةٍ، فَيَكُونُ هَذَا سَنَةً بِمِقْدَارِ لَيْسَ بِتَعَاقِبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَحِينَئِذٍ لَا يَكُونُ فِي الْمَسْأَلَةِ إِشْكَالٌ إِطْلَاقًا.

وَحِينَئِذٍ -أَيْضًا- نَرُدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، أَنَّ الْمُرَادَ أَيَّامٌ مَعْلُومَةٌ عِنْدَ اللَّهِ لَا نَعْلَمُهَا، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا لِحِظَاتٌ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْيَوْمَ كَأَلْفِ سَنَةٍ.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الْيَوْمَ هُوَ الْيَوْمُ، وَإِنْ كَانَ هَذَا مُوجُودًا قَبْلَ خَلْقِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، اللَّذَيْنِ بِهِمَا تَقْدِيرُ الْيَوْمِ وَالنَّهَارِ، لَكِنْ نَقُولُ هَذَا بِمِقْدَارِ سِتَّةِ أَيَّامٍ.

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ»: زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ أَوَّلَ الْمَخْلُوقَاتِ الْقَلَمُ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟»، لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الرَّوَايَةُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ»، فَلَا يَدُلُّ أَبَدًا عَلَى أَنَّ أَوَّلَ الْمَخْلُوقَاتِ الْقَلَمُ، وَيَكُونُ مَعْنَاهَا أَنَّهُ فِي

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِيمَانُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا عَامَّةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَمَا وَجَدَ مَوْجُودٌ، وَلَا عُدَمَ مَعْدُومٌ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ، فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، سِوَاءِ كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ تَعَالَى أَمْ مِنْ فِعْلِ مَخْلُوقَاتِهِ<sup>[١]</sup>.

أَوَّلُ خَلْقِهِ أَمْرَهُ بِالْكِتَابَةِ، هَذَا عَلَى رِوَايَةِ النَّصَبِ.

أَمَّا عَلَى رِوَايَةِ الرَّفْعِ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ»: فالمرادُ أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ بِالنِّسْبَةِ لِمَا يُشَابِهُهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا، أَنَّ الْقَلَمَ أَمَرَ بِالْكِتَابَةِ مِنْ حِينَ خُلِقَ، وَأَنَّ الْكِتَابَةَ كَانَتْ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَتْ الْكِتَابَةُ وَعَرْشُ اللَّهِ عَلَى الْمَاءِ.

إِذَنْ: الْعَرْشُ سَابِقٌ عَلَى الْقَلَمِ، وَالْمَاءُ الَّذِي تَحْتَ الْعَرْشِ -أَيْضًا- سَابِقٌ عَلَى الْقَلَمِ. وَالْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ فِي النُّونِيَّةِ:

وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي	كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ
هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ	قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَا الْهَمَذَانِي
وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ لِأَنَّهُ	قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانٍ

[١] قَوْلُهُ: «الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِيمَانُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا عَامَّةٌ...» أَيِ الْإِيمَانُ بِعُمُومِهَا، وَأَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ وَجَدَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَلَا عُدَمَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَلَا انْتَقَلَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَلَا تَغَيَّرَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، سِوَاءِ كَانَ مِنْ فِعْلِهِ كَأَحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِنْزَالِ الْمَطَرِ وَإِنْبَاتِ الْأَرْضِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، أَوْ مِنْ فِعْلِ عِبَادِهِ، فَإِنَّ أَفْعَالَ عِبَادِهِ -أَيْضًا- دَاخِلَةٌ فِي مَشِيئَتِهِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

ولكن لا نعلم أن الله شاء هذا الشيء إلا بعد وقوعه؛ لأن مشيئة الله لا نعرفها، لكن إذا وقع الشيء؛ علمنا أنه واقع بمشيئته، فلا يخرج عن مشيئته شيء. والذي من فعله مثل الإحياء، والإماتة، وما أشبه ذلك، وهذا لا إشكال فيه، ولا أحد ينازع فيه أبداً.

ولكن ما كان من فعل الخلق فهو من مشيئة الله ومشية الخلق، ومشية المخلوق لا تكون إلا بمشيئة الله، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]. والآيات في هذا كثيرة.

ومن الدليل أيضاً: إجماع المسلمين على هذه الكلمة، وهي (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن).

والدليل العقلي: لو قدر أن شيئاً وقع بغير مشيئة الله؛ لزم من ذلك أن يكون هذا الواقع حصل بغفلة من الله عز وجل، أو بإكراه، وكل ذلك ممتنع؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، ويقول النبي ﷺ: «فإن الله لا Mukra له»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه بلفظه ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب لا يقول الرجل اللهم اغفر لي إن شئت، رقم (٣٨٥٤)، وأخرجه بمعناه: البخاري: كتاب التوحيد، باب المشيئة والإرادة، رقم (٧٤٧٧).

الْمَرْبَّةُ الرَّابِعَةُ: الْإِيْيَانُ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ، وَأَنَّ خَلْقَهُ شَامِلٌ لِأَعْيَانِ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ وَصِفَاتِهَا وَمَا يَصْدُرُ عَنْهَا مِنْ أَقْوَالٍ، وَأَفْعَالٍ، وَأَثَارٍ<sup>[١]</sup>.

[١] الخلق والإيجاد بعد العدم، فالله سبحانه خالق لكل شيء، وهو شامل للصغير والكبير، والظاهر والباطن، ولأعيان هذه المخلوقات وصفاتها، كالشمس؛ صفتها الحرارة والإضاءة، والحرارة التي فيها مخلوقة لله، والإضاءة مخلوقة لله، والإنسان مخلوق لله، وصفاته من طول وقصر، وجمال وقبح، ولين وغلظة، كل هذه مخلوقة لله.

وما يَصْدُرُ عَنْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ - مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْآثَارِ - هُوَ أَيْضًا مَخْلُوقٌ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، فَصَوْتُ الْإِنْسَانِ وَحَرَكَتُهُ، وَالْآثَارُ الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَى هَذَا كُلِّهَا مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ، فَمَا فِي الْكَوْنِ شَيْءٌ إِلَّا مَخْلُوقٌ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: لَوْ أَنَّنِي عَمِلْتُ عَمَلًا: كَصِنَاعَةِ بَابٍ مِنَ الْحَشَبِ أَوْ مِنَ الْحَدِيدِ، أَوْ كِبْنَاءِ قَصْرِ، فَهَلْ يَكُونُ هَذَا الْمُبْنِي أَوْ الْمَصْنُوعُ مَخْلُوقًا لِلَّهِ؟

فَالْجَوَابُ: نَعَمْ، يَكُونُ مَخْلُوقًا لِلَّهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا يَصْدُرُ عَنِ الْمَخْلُوقِ مَخْلُوقٌ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَكَ، وَجَعَلَ فِيكَ الْقُدْرَةَ وَالْإِرَادَةَ عَلَى فِعْلِ هَذَا الشَّيْءِ؛ فَتَبَّحْ هَذَا الشَّيْءُ مِنْ إِرَادَتِكَ وَقُدْرَتِكَ، وَلَوْ لَا إِرَادَتُكَ مَا حَصَلَ، وَلَوْ لَا قُدْرَتُكَ مَا حَصَلَ، فَهَذَا الْبَيْتُ مَثَلًا لَا يَقُومُ إِلَّا بِنَايَ، وَلَا يَقُومُ إِلَّا بِإِرَادَةِ الْبَايِ لِلْبِنَاءِ، وَلَا يَقُومُ أَيْضًا إِلَّا بِقُدْرَتِهِ عَلَى الْبِنَاءِ، وَالْإِرَادَةُ وَالْقُدْرَةُ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، وَصِفَاتُ الْمَخْلُوقِ مَخْلُوقَةٌ.

إِذَنْ: صَارَتْ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَصْنُوعَاتِنَا وَمَفْعُولَاتِنَا مَخْلُوقَةٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَوَّلًا: أَنَّ مَا نَشَأُ عَنِ الْمَخْلُوقِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ.

وَدَلِيلُ هَاتَيْنِ الْمَرْتَبَتَيْنِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٣) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿[الزمر: ٦٢-٦٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] <sup>[١]</sup>.

ثَانِيًا: أَنَّ هَذِهِ الْمَفْعُولَاتِ الَّتِي نَفْعَلُهَا، أَوِ الْمَصْنُوعَاتِ الَّتِي نَصْنَعُهَا كَانَتْ بِإِرَادَةِ وَقُدْرَةِ، وَالْإِرَادَةُ وَالْقُدْرَةُ وَصِفَانِ مِنْ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ، وَخَالَقُ الْإِنْسَانِ خَالِقٌ لِصِفَاتِهِ. وَعَلَى هَذَا: فَيَكُونُ مَا يَنْتُجُ مِنْ أَثَرِ هَذِهِ الصِّفَاتِ مَخْلُوقًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

[١] قَوْلُهُ: «وَدَلِيلُ هَاتَيْنِ الْمَرْتَبَتَيْنِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾...»: الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾، أَنَّ الْآيَةَ الْأُولَى جَاءَتْ بِاسْمِ الْفَاعِلِ ﴿خَلَقَ﴾، وَالثَّانِيَةُ بِالْفِعْلِ الدَّالِّ عَلَى الثَّبُوتِ وَالْإِجَادِ ﴿وَخَلَقَ﴾، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَالِقٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، أَيَّ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ بِالْفِعْلِ وَ﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هَلِ الْمَرَادُ قُدْرَتُهُ فِي عِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ وَكِتَابَتِهِ؟

وَالْجَوَابُ: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: إِنَّ الْمَرَادَ: (قُدْرَتُهُ) أَيَّ فِي عِلْمِهِ السَّابِقِ وَكِتَابَتِهِ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، فَيَكُونُ الْأَصْلُ: (وَقَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ وَخَلَقَهُ).

وَقِيلَ: الْمَرَادُ بِالتَّقْدِيرِ جَعْلُ الشَّيْءِ عَلَى قَدَرٍ مُعَيَّنٍ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ التَّرْتِيبُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ بَعْدَ الْحَبْرِ، وَيَدُلُّ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الاعلى: ٢-٣]، وَهَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ، وَهُوَ أَنَّ الْمَرَادَ بِالتَّقْدِيرِ جَعْلُ الشَّيْءِ عَلَى قَدَرٍ مُعَيَّنٍ.

وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا إِلَّا بِمَشِئَتِهِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا مُكْرَهَ لَهُ لِكَمَالِ مُلْكِهِ وَتَمَامِ سُلْطَانِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُبَيِّنًا أَنَّ فِعْلَهُ بِمَشِئَتِهِ: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وَقَالَ: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦].

وَقَالَ مُبَيِّنًا أَنَّ فِعْلَ مَخْلُوقَاتِهِ بِمَشِئَتِهِ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، وَقَالَ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]<sup>[١]</sup>.

[١] قوله: «وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا إِلَّا بِمَشِئَتِهِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا مُكْرَهَ لَهُ...»: فالله سبحانه لم يخلق شيءًا إِلَّا بِمَشِئَتِهِ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ الْخَلْقُ دَآلًا عَلَى الْمَشِئَةِ بِالْإِتِمَامِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ بِإِرَادَتِهِ وَلَا مُكْرَهَ لَهُ، وَكَمَا صَحَّ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ فِعْلُهُ دَآلًا عَلَى مَشِئَتِهِ.

وقوله: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: كُلُّ مَا شَاءَهُ اللَّهُ فَعَلَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا أَحَدٌ يَمْنَعُهُ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ فِعْلَ اللَّهِ بِمَشِئَتِهِ؟

نَقُولُ: الدَّلِيلُ سَمْعِيٌّ وَعَقْلِيٌّ:

السَّمْعِيُّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾.

أَمَّا الْعَقْلِيُّ: فَإِذَا أَقْرَرْتَ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ؛ لَزِمَكَ أَنْ تُقَرَّرَ أَنَّهُ شَاءَ كُلَّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ لَا خَلْقَ إِلَّا بِمَشِئَتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُكْرَهَ لَهُ.



أَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ فِعْلَ المَخْلُوقَاتِ بِمَشِيئَتِهِ، فَقَوْلُهُ: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَفِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، فَمَشِيئَتُنَا تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِذَا كَانَتْ مَشِيئَتُنَا تَابِعَةً لِمَشِيئَةِ اللَّهِ، فَمَا الَّذِي يُعَلِّمُنِي أَنَّ اللَّهَ شَاءَ لِي أَنْ أَفْعَلَ؟

نَقُولُ: الَّذِي يُعَلِّمُكَ فِعْلُكَ، فَإِنَّكَ لَنْ تَفْعَلَ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، وَلَمْ تَشَأْ إِلَّا بَعْدَ مَشِيئَةِ اللَّهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ وَقَعَ فِي الْكَوْنِ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ شَاءَهُ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَنَا أَحَبُّ أَنْ أُصَلِّيَ لَكِنْ مَا شَاءَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.

قُلْنَا: مَا الَّذِي أَعَلَمَكَ أَنَّهُ مَا شَاءَ؟

قَالَ: أَعَلَّمَنِي أَنَّهُ مَا شَاءَ أَنَّنِي لَمْ أُصَلِّيَ.

قُلْنَا: نَعَمْ، إِلَى الْآنَ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَا شَاءَ لَكَ أَنْ تُصَلِّيَ، لَكِنْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ هَلْ تَعْلَمُ عَنْ مَشِيئَةِ اللَّهِ؟ صَلِّ الْآنَ، فَإِذَا صَلَّيْتَ عَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ شَاءَ لَكَ أَنْ تُصَلِّيَ.

وَحِينَئِذٍ لَا حُجَّةَ لِلْإِنْسَانِ التَّارِكِ لِلوَاجِبِ، بِحُجَّةٍ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَشَأْ، وَلَا لِفَاعِلِ الْمَعْصِيَةِ بِحُجَّةٍ أَنَّ اللَّهَ شَاءَهَا؛ لِأَنَّ فَاعِلَ الْمَعْصِيَةِ إِذَا أَرَادَ الْإِقْدَامَ عَلَيْهَا، نَقُولُ لَهُ: كَيْفَ تُقَدِّمُ عَلَى شَيْءٍ لَمْ تَعْلَمْهُ؟ فَهَلْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ شَاءَ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ الْمَعْصِيَةَ؟

وَالْجَوَابُ: لَا، لَا يَعْلَمُ إِلَّا إِذَا فَعَلَ، وَلَكِنْ إِذَا فَعَلَ قُلْنَا لَهُ: تُبِّ إِلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّ التَّوْبَةَ مُسْتَقْبَلَةٌ.

فَإِذَا قَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَتُوبَ.

نَقُولُ لَهُ: مَا الَّذِي أَدْرَاكَ، تُبَّ حَتَّى نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ شَاءَ لَكَ أَنْ تَتُوبَ.  
إِذَنْ: لَا حُجَّةَ لِلإِنْسَانِ أَبَدًا فِي تَرْكِ الْوَاجِبِ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَشَأْهُ، وَلَا فِي فِعْلِ  
الْمَعْصِيَةِ لِأَنَّ اللَّهَ شَاءَهَا.

وَلِهَذَا قِيلَ: لَا تَكُنْ جَبْرِيًّا فِي الْمَعْصِيَةِ، وَلَا قَدْرِيًّا فِي الطَّاعَةِ. فَالْجَبْرِيَّةُ يَرُونَ أَنَّ  
الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ، فَإِذَا فَعَلَتْ مَعْصِيَةً وَقَلَّتْ: هَذَا قَضَاءُ اللَّهِ وَقَدَرُهُ. صِرَتْ جَبْرِيًّا.  
إِذَنْ: الْجَبْرِيَّةُ يَحْتَجُونَ بِالْقَدَرِ، وَيَفْرَحُ بِمَذْهَبِهِمْ أَهْلُ الْمَعَاصِي؛ وَالْقَدْرِيَّةُ  
يَحْتَجُونَ بِالْقَدَرِ، وَيَفْرَحُ بِمَذْهَبِهِمْ أَهْلُ الْإِعْجَابِ بِالنَّفْسِ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى  
عِلْمٍ عِنْدِي.

وَالْقَدْرِيَّةُ مِنْهُمْ الْغُلَاةُ وَغَيْرُ الْغُلَاةِ، فَالْغُلَاةُ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْلَمْ بِالْأَشْيَاءِ  
الْمُتَعَلِّقَةِ بِفِعْلِ الْعَبْدِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَقَعَ، أَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَلَا يَذَرِي عَنْهَا.  
فَجَعَلُوا اللَّهَ تَعَالَى نَاقِصًا فِي عِلْمِهِ، وَجَعَلُوا عِلْمَهُ بِأَفْعَالِ النَّاسِ كَعِلْمِ النَّاسِ  
بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ.

لَكِنَّ الْمُتَوَسِّطِينَ مِنَ الْغُلَاةِ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ، وَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَهَا، لَكِنَّهُ  
لَا يَشَاوُهَا، فَلَمْ تَكُنْ بِمَشِيئَتِهِ وَلَا بِخَلْقِهِ، فَهِيَ بِمَشِيئَةِ الْإِنْسَانِ اسْتِقْلَالًا، وَهِيَ فِعْلٌ  
لِلْعَبْدِ اسْتِقْلَالًا، وَالنَّصُوصُ تَرَدُّ عَلَيْهِمْ كَمَا سَبَقَ ذَلِكَ.

وَالشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «نَاطِرُوا الْقَدْرِيَّةَ بِالْعِلْمِ»<sup>(١)</sup>؛ فَنَقُولُ لَهُمْ: هَلْ عِلْمَ اللَّهِ  
أَنَّهُمْ سَيَفْعَلُونَ؟ إِنْ أَقْرَأُوا وَقَالُوا: نَعَمْ قَدْ عِلِمَ.

نقول: إِذِنْ: اللهُ قَدْ شَاءَ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ سَيَفْعَلُونَ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُفْعَلَ الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ مَا شَاءَ، أَيْ عَلَى خِلَافِ عِلْمِهِ.

فَإِذَا أَقَرُّوا بِالْعِلْمِ خُصِّمُوا، قُلْنَا: إِذِنْ قَدْ عَلِمَ اللهُ أَنَّهُمْ سَيَفْعَلُونَ، وَلَا يَفْعَلُونَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ.

وَإِنْ أَنْكَرُوهُ وَقَالُوا: إِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ. فَإِنَّهُمْ يَكْفُرُونَ؛ لِأَنَّ مَنْ أَنْكَرَ عِلْمَ اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، وَتَكْذِيبُ الْقُرْآنِ كُفْرٌ، فَمِنْ تَمَامِ الْإِيْيَانِ أَنْ تُؤْمِنَ بِأَنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقوله: ﴿اللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، فَهَذِهِ الْآيَاتُ وَأَشْبَاهُهَا، تَدُلُّ عَلَى عُمُومِ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى لِكُلِّ شَيْءٍ. أَمَّا الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ: فَإِنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ لَمْ تُوجَدْ نَفْسَهَا؛ لِأَنَّهَا قَبْلَ أَنْ تُوجَدَ فَهِيَ عَدَمٌ، وَالْعَدَمُ لَيْسَ بِشَيْءٍ.

وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُوجَدَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ صُدْفَةً؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ، فَمَا مِنْ أَثَرٍ إِلَّا وَلَهُ مُؤَثَّرٌ.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ؕ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨-٥٩]، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ؕ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٤]، الْآيَةُ.

قَالَتْ بَعْضُ الْفَرَقِ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ. وَاسْتَدَلُّوا بِعُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ أَنْ نَقُولَ:

أَوَّلًا: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، هَذَا عَامٌّ مَخْصُوصٌ، خُصَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَالْقُرْآنُ مِنَ الْأَمْرِ، وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْأَمْرِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَرْجَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

ثَانِيًا: نَقُولُ: هَذَا عَامٌّ أُرِيدَ بِهِ الْخُصُوصُ، أَيَّ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ أَصْلًا الْقُرْآنُ وَلَا غَيْرُهُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَامِّ الْمَخْصُوصِ، وَبَيْنَ الْعَامِّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الْخُصُوصُ.

فَالْعَامُّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الْخُصُوصُ، يَكُونُ مِنَ الْأَصْلِ لَمْ يَدْخُلْ؛ وَالْعَامُّ الْمَخْصُوصُ، يَكُونُ دَاخِلًا فِي الْعُمُومِ، وَلَكِنْ أُخْرِجَ بِدَلِيلٍ آخَرَ.

فَنَحْنُ نَقُولُ: هَذَا عَامٌّ أُرِيدَ بِهِ الْخُصُوصُ، أَيَّ أَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ مَا سِوَى اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، فَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَمَا دَامَ هُوَ الْخَالِقُ؛ فَإِنَّ صِفَاتِهِ لَيْسَتْ مَخْلُوقَةً، لِأَنَّ الصِّفَاتِ تَابِعَةٌ لِلذَّاتِ، وَحِينَئِذٍ تَنْفِي أَنَّ الْقُرْآنَ وَغَيْرَهُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى دَاخِلٌ فِي هَذَا الْعُمُومِ.

فَنَقُولُ: إِنَّ دَعْوَةَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْأَشَاعِرَةِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، دَعْوَى بَاطِلَةٌ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ كَلِمَةَ ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ هَذِهِ عُمُومٌ، وَعُمُومُهَا صَرِيحٌ، فَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يُرَادَ بِهَا الْخُصُوصُ؟

فَالْجَوَابُ: يُمَكِّنُ، وَدَلِيلُنَا عَلَى ذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ مَلِكَةِ سَبَأٍ حِينَ قَالَ الْهُدْهُدُ: ﴿وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، فَإِنَّ ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ

أوتيت من مُلكِ سليمان مثلاً؛ لأنَّ مُلكَ سليمان داخلٌ في الشَّيءِ، ومعلومٌ أنَّها لم تُؤتَ شيئاً منه، بل ولم تُؤتَ شيئاً من غيرِ مُلكِ سليمان مما لم يدخل تحت سيطرتها، فهذا العمومُ ﴿من كُلِّ شَيْءٍ﴾ لم يدخل فيه إلا جزءٌ يسيرٌ.

وكذلك قوله تعالى عن ريحٍ عادي: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، فهي لم تُدمِرِ السَّماءَ ولا الجبالَ، بل ولا مساكنَ هؤلاءِ القومِ، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا مَسْكِنَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، فدلَّ ذلك على أنَّ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: من هؤلاءِ المعتدين الظَّالمينَ، فالحاصلُ أنَّ مثلَ هذا العمومِ يُمكنُ أن يُرادَ به الخصوصُ.

فإذا قال قائل: ما هو الدليلُ على هذه المراتبِ أصلاً؟

فالجواب: الدليلُ في هذا وأمثاله هو التَّبَعُ والاستِقراءُ، وهذا من تقريبِ العلومِ الشرعية؛ لأنَّ حصرَ الأشياءِ يُوجبُ أن يفهمها الإنسانُ بسرعة، وأن ترسخَ في ذهنه، ولهذا نجدُ كثيراً من الأحاديثِ النبويةِ يحصرُ النبي ﷺ أشياءً معينة، مثل: «اجتنبوا السَّبْعَ الموبقاتِ»<sup>(١)</sup>، ومثل: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»<sup>(٢)</sup>، مع أنَّ هناك أشياءً أخرى من هذا النوع، ولكنَّ الرسولَ ﷺ يحصرُ بعضَ الأنواعِ، إمَّا لتشابهها، وإمَّا لتقريبِ العلمِ للمخاطبِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً، رقم (٢٦١٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم (٨٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم (٦٢٩)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم (١٠٣١).

وَالْقَدَرُ لَا يُنَافِي الْأَسْبَابَ الْقَدَرِيَّةَ أَوْ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى أَسْبَابًا، فَإِنَّ الْأَسْبَابَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَبَطَ الْمُسَبِّبَاتِ بِأَسْبَابِهَا هُوَ مُفْتَضَى الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَجْلِ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَالَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ<sup>(١)</sup>.

[١] الْقَدَرُ لَا يُنَافِي الْأَسْبَابَ، أَيَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ قَالَ: أَنَا لَا أَفْعَلُ السَّبَبَ لِأَنَّهُ إِنْ قُدِّرَ لِي فَإِنَّهُ سَيَكُونُ، وَإِنْ لَمْ يُقَدَّرْ لِي فَإِنَّهُ لَنْ يَكُونَ، فَإِذَنْ لَا أَفْعَلُ السَّبَبَ؛ لِأَنِّي إِنْ فَعَلْتُ السَّبَبَ فَلَيْسَ عِنْدِي إِيْمَانٌ بِالْقَدَرِ. فَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، فَإِنَّ الْأَسْبَابَ الشَّرْعِيَّةَ أَوْ الْكُونِيَّةَ لَا تُنَافِي الْقَدَرَ، بَلْ إِنَّهَا مِنَ الْقَدَرِ؛ لِأَنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ أَنْ يَرْبُطَ الْمُسَبِّبَاتِ بِالْأَسْبَابِ، لَا أَنْ تَأْتِيَ الْأُمُورُ بِلا سَبَبٍ وَلَا عِلَّةٍ.

فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: أَنَا أَحِبُّ الْوَلَدَ.

نَقُولُ: أَفْعَلِ السَّبَبَ وَهُوَ الزَّوْاجُ، فَإِذَا تَزَوَّجْتَ جَاءَ الْوَلَدُ.

فَإِذَا قَالَ: إِنْ زَوَّجْتَنِي لَطَلَبَ الْوَلَدِ يُنْقِصُ إِيْمَانِي بِالْقَدَرِ، فَلَوْ آمَنْتُ بِالْقَدَرِ أَنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لِي وَلَدًا، مَا ذَهَبْتُ أَعْتَمِدُ عَلَى الزَّوْاجِ.

نَقُولُ: هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُقَدِّرُ لَكَ الْوَلَدَ بِفَعْلِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَأْتِي بِهِ، وَلَيْسَ بِدُونِ سَبَبٍ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرِغٍ<sup>(١)</sup> لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ

(١) سرغ: قرية في طريق الشام مما يلي الحجاز، وهي أول الشام وآخر الحجاز. معجم البلدان (٢١١/٣).

الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَرَى أَنْ تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشِيخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلَفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرِ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفَرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفَرُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدَوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ، وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ -وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ- فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ<sup>(١)</sup>.

فَضْرَبَ لَهُ مَثَلًا بَرَجِلٍ مَعَهُ إِبِلٌ أَوْ غَنَمٌ وَأَمَامَهُ وَادِي لَهُ عُدَوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا مُخَصَّبَةٌ وَالثَّانِيَةُ مُجْدِبَةٌ، إِنْ ذَهَبَ إِلَى الْمَجْدِبَةِ فَقَدْ ذَهَبَ بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ ذَهَبَ إِلَى الْمُخَصَّبَةِ فَقَدْ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم (٥٧٢٩)، ومسلم: كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، رقم (٢٢١٩).

فَمِنْ الْأَسْبَابِ الْقَدَرِيَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَانْظُرْ إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْجَى الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٤٨-٥٠] <sup>[١]</sup>.

ذهب بقدر الله، فإلى أيهما يذهب؟ إلى المخصبة بلا شك، حتى تأكل الماشية. إذن نقول: الأسباب لا تُنافي الإيمان بالقدر، بل هي من القدر، وهي من مقتضى حكمة الله أن يربط المسببات بأسبابها.

ولهذا: فالجنة لا تكون إلا للمتقي، والنار لا تكون إلا للمعتدي، فربط المسببات بأسبابها لا يُنافي القدر، بل هو من مقتضى حكمة الله عز وجل.

[١] قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَانْظُرْ إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْجَى الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ سَبِيان:

السَّبَبُ الْأَوَّلُ: الرِّيحُ تُثِيرُ السَّحَابَ.

السَّبَبُ الثَّانِي: الْمَطَرُ يُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ.

وكلاهما سبب كوني، فعل لله نشأ من فعل آخر، فتوران السحاب سببه الريح، وإحياء الأرض سببه المطر.

فإذن: الأسباب من الله عز وجل، والمسببات من الله، وربط المسببات بالأسباب لحكمة، وهو أن الله عز وجل لا يفعل شيئاً إلا والحكمة تقتضيه، فهذا سبب قدرتي.



وَمِنَ الْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] <sup>[١]</sup>.

وَكُلُّ فِعْلٍ رَتَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِقَابًا أَوْ ثَوَابًا فَهُوَ مِنَ الْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ مَطْلُوبًا مِنَ الْعَبْدِ، وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْقَدَرِيَّةِ بِاعْتِبَارِ وَقُوعِهِ.

[١] الشَّاهِدُ قَوْلُهُ: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ أَي: بِهَذَا الْكِتَابِ الْمُبِينِ، وَهَذَا سَبَبٌ شَرْعِيٌّ، وَلَيْسَ سَبَبًا كَوْنِيًّا، فَالْكِتَابُ أُنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ، وَالبَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ لِلْسَّبَبِيَّةِ.

وَالْأَسْبَابُ جَمْعُ سَبَبٍ، وَهُوَ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ.

فَالْأَسْبَابُ قِسْمَانِ:

١- أَسْبَابٌ شَرْعِيَّةٌ. ٢- أَسْبَابٌ كَوْنِيَّةٌ.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هَلِ الْأَسْبَابُ الشَّرْعِيَّةُ أَوِ الْكَوْنِيَّةُ تُنَافِي الْقَدْرَ؟

وَالْجَوَابُ: لَا تُنَافِي الْقَدْرَ، بَلْ هِيَ مِنَ الْقَدْرِ، وَيَدُلُّ لَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنَا أَنْ نَعْمَلَ صَالِحًا، وَأَنْ نَتَجَنَّبَ الْمَحْرَمَ، وَهَذَا سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَهَذَا أَمْرٌ بِسَبَبٍ شَرْعِيٍّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَيِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحْمَةً» <sup>(١)</sup> فَهَذَا أَمْرٌ بِسَبَبٍ شَرْعِيٍّ، وَهُوَ صِلَةُ الرَّحِمِ؛ لِتَوَصُّلِ إِلَى بَسْطِ الرِّزْقِ وَطَوِيلِ الْعُمُرِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْبَيَّوعِ، بَابُ مَنْ أَحَبَّ الْبَسْطَ فِي الرِّزْقِ، رَقْمُ (١٩٦١)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا، رَقْمُ (٢٥٥٧).

والأسباب الحسّية من الأمور التي لا تُنافي القدر، وقد أمر الشارعُ بها، فالنبي ﷺ أمر بأن تتناول الأدوية، سواء كان باللفظ الصريح بالأمر، أو ببيان فوائد تلك الأدوية.

فعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «الشفاء في ثلاثة: في شربةٍ محجم، أو شربةٍ عسل، أو كيةٍ بنار، وأنا أنهي أمتي عن الكي»<sup>(١)</sup>، فإنه أراد منا أن نفعلها، وهو ﷺ كان يفعل الأسباب التي تحميه مما يضُرُّه، وتجلبُ له ما ينفعُه، فكان إذا غزا لبس الدروع، وإذا اشتدَّ الخوفُ ربما يلبسُ درعين كما فعل في غزوة أحد.

إذن: هذا من الأسباب الحسّية، بل إن الله أمر بالأكل والشرب؛ لحفظ البدن ونموه، وأمر بالزواج لحصول الولد، وهذا حسّي أيضاً.

وهذه الأمثلة وغيرها تُفيد بأن الأسباب الكونية أو الشرعية لا تُنافي القدر، بل هي من القدر وهي مأمورٌ بها.

وبهذا نعرفُ جهلَ مَنْ أنكروا أنَّ للأسباب تأثيراً، فإنَّ من الناس مَنْ يقول: لا تسعَ لطلبِ الرزق، توكلْ على الله واعتمدْ عليه، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

والحقيقة أنَّ هؤلاء ضلُّوا في دينهم وسفهُوا في عقولهم؛ أمّا ضلَّالهم في دينهم، فإنَّهم خالفوا الأدلة الشرعية المتكاثرة من الكتاب والسنة، والتي تأمرُ بفعل الأسباب، حتَّى إنَّ الله تعالى قال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]، ما قال: الزموا المساجد وكلُّوا من رزقه.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، رقم (٥٣٥٦).

فهو لاءٍ سَفَهُوا فِي عَقُولِهِمْ حَيْثُ أَنْكَرُوا أَنَّ لِلْأَسْبَابِ تَأْثِيرًا، وَرَكَنُوا إِلَى الدَّعَةِ  
وَالْحُمُولِ، وَقَالُوا: الرِّزْقُ يَأْتِينَا. وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّ الرِّزْقَ يَأْتِي مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ فِعْلَ  
السَّبَبِ، أَمَّا مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ السَّبَبَ فَهُوَ مَأْمُورٌ بِفِعْلِ السَّبَبِ أَوَّلًا، ثُمَّ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ.

فَنَحْنُ مَأْمُورُونَ بِفِعْلِ الْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْكُونِيَّةِ، لَكِنَّا قِيدْنَاهَا بِالصَّحِيحَةِ،  
فَكَلِمَةُ (الصَّحِيحَةِ) تَعُودُ عَلَى الْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ الْكُونِيَّةِ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ مَا يُدَّعَى مِنْ  
الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ مَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، فَنَجِدُ أَحَادِيثَ تُنْسَبُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَهِيَ لَيْسَتْ  
بِصَحِيحَةٍ، مِثْلُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُعَلِّقُونَ التَّهَامَ غَيْرَ الشَّرْعِيَّةِ.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: بِمَاذَا نَعْرِفُ الصَّحَّةَ مِنْ عَدَمِهَا بِالنِّسْبَةِ لِلْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ؟

فَالْجَوَابُ: نَعْرِفُ ذَلِكَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: وَبِمَاذَا نَعْرِفُ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْبَابَ الْحِسِّيَّةَ صَحِيحَةٌ؟

فَالْجَوَابُ: هَذِهِ تُعْرَفُ بِالتَّجَارِبِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَدْوِيَةِ إِنَّمَا عَرَفَهَا النَّاسُ  
بِالتَّجَارِبِ.

وَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ بَعْضَ الْمَشْعُودِينَ يَضَعُونَ أَشْيَاءَ يَدَّعُونَ أَنَّهَا نَافِعَةٌ، وَيَلْبَسُهَا  
الْمَرِيضُ وَيَنْتَفِعُ بِهَا؟

فَالْجَوَابُ: إِذَا لَمْ نَعْلَمْ وَجْهَ نَفْعِهَا فَلَيْسَتْ بِنَافِعَةٍ؛ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ الْحِسِّيَّةَ مَعْرُوفٌ  
أَنَّهَا تُؤَثِّرُ بِنَفْسِهَا تَأْثِيرًا مُحْسُوسًا.

فَتَبَيَّنَ أَنَّ الْأَسْبَابَ الشَّرْعِيَّةَ الصَّحِيحَةَ أَوِ الْكُونِيَّةَ الصَّحِيحَةَ لَا تُنَافِي الْقَدَرَ، بَلِ  
هِيَ مِنَ الْقَدَرِ؛ لِأَنَّا أَمَرْنَا بِهَا شَرْعًا وَانْتَفَعْنَا بِهَا قَدَرًا.

وَالنَّاسُ فِي الْأَسْبَابِ طَرَفَانِ وَوَسْطٌ:

فَالطَّرَفُ الْأَوَّلُ: نُفَاةٌ أَنْكُرُوا تَأْثِيرَ الْأَسْبَابِ وَجَعَلُوهَا مُجَرَّدَ عَلَامَاتٍ يَحْصُلُ الشَّيْءُ عِنْدَهَا لَا بِهَا، حَتَّى قَالُوا: إِنَّ انْكَسَارَ الزُّجَاجَةِ بِالْحَجَرِ إِذَا رَمَيْتَهَا بِهِ حَصَلَ عِنْدَ الْإِصَابَةِ لَا بِهَا، وَهَؤُلَاءِ خَالَفُوا السَّمْعَ، وَكَابَرُوا الْحِسَّ، وَأَنْكُرُوا حِكْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي رِبْطِ الْمُسَبِّبَاتِ بِأَسْبَابِهَا<sup>[١]</sup>.

[١] هَؤُلَاءِ أَنْكُرُوا تَأْثِيرَ الْأَسْبَابِ، وَقَالُوا: إِنَّ الْأَسْبَابَ مُجَرَّدُ عَلَامَاتٍ، يَحْصُلُ الشَّيْءُ عِنْدَهَا لَا بِهَا، فَإِذَا صَرَبْتَ زُجَاجَةً بِحَجَرٍ وَكُسِرَتْ الزُّجَاجَةُ؛ قَالُوا: لَمْ يَكْسِرْهَا الْحَجَرُ، لَكِنْ كُسِرَتْ الزُّجَاجَةُ عِنْدَ مُلَامَسَةِ الْحَجَرِ لَهَا، أَمَّا الْحَجَرُ فَلَا يَكْسِرُهَا؛ لِأَنَّ الْانْكَسَارَ انْفِصَالٌ، وَالانْفِصَالُ إِيجَادٌ بَعْدَ عَدَمٍ، فَإِذَا أَثْبَتَ أَنَّ الْحَجَرَ هُوَ الَّذِي كَسَرَهَا؛ كُنْتَ مُشْرِكًا لِلَّهِ؛ لِأَنَّكَ أَثْبَتَ فَاعِلًا مَعَ اللَّهِ وَهَذَا شِرْكٌ. وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا - كَمَا قَالَ الْمُؤَلَّفُ - خَالَفَ السَّمْعَ؛ لِأَنَّ السَّمْعَ يُثْبِتُ تَأْثِيرَ الْأَسْبَابِ بِمُسَبِّبَاتِهَا.

إِذَنْ: الْحَجَرُ هُوَ الَّذِي كَسَرَهَا بِقُوَّةِ الصَّدْمَةِ، فَإِثْبَاتُ كَوْنِ الْأَسْبَابِ فَاعِلًا لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَسْبَابَ تَفْعُلُ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَالَّذِي جَعَلَهَا سَبَبًا لِهَذَا الْفِعْلِ هُوَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَلِذَلِكَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ تُؤَثِّرِ الْأَسْبَابُ، فَهَذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْقَدَتْ لَهُ نَارٌ عَظِيمَةٌ وَأُلْقِيَ فِيهَا، فَقَالَ اللَّهُ لَهَا: ﴿يَسْأَلُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فَكَانَتْ بَرْدًا وَسَلَامًا؛ فَلَمْ تُؤَثِّرْ.

إِذَنْ: تَأْثِيرُ الْأَسْبَابِ بِمُسَبِّبَاتِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَنَحْنُ لَمْ نُثْبِتْ شَرِيكًا مَعَ اللَّهِ، وَقُلْنَا: إِنَّ خَالِقَ الْمُسَبِّبَاتِ هُوَ خَالِقُ الْأَسْبَابِ، وَلَيْسَتْ الْأَسْبَابُ فَاعِلَةٌ مُسْتَقْلَةً، بَلْ فَاعِلَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ وَحُكْمَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

وَالطَّرْفُ الثَّانِي: غُلَاةٌ أَثْبَتُوا تَأْثِيرَ الْأَسْبَابِ، لَكِنَّهُمْ غَلَوْا فِي ذَلِكَ وَجَعَلُوهَا مُؤَثَّرَةً بِذَاتِهَا، وَهَؤُلَاءِ وَقَعُوا فِي الشَّرِكِ حَيْثُ أَثْبَتُوا مُوْجِدًا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَالَفُوا السَّمْعَ وَالْحِسَّ، فَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَى أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا أَنَّنَا نَعْلَمُ بِالشَّاهِدِ الْمُخْسُوسِ أَنَّ الْأَسْبَابَ قَدْ تَتَخَلَّفُ عَنْهَا مُسَبِّبَاتُهَا بِإِذْنِ اللَّهِ، كَمَا فِي تَخَلُّفِ إِحْرَاقِ النَّارِ لِإِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلِ حِينَ أُلْقِيَ فِيهَا، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فَكَانَتْ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِ وَلَمْ يَحْتَرِقْ بِهَا<sup>[١]</sup>.

[١] قوله: «وَالطَّرْفُ الثَّانِي: غُلَاةٌ أَثْبَتُوا تَأْثِيرَ الْأَسْبَابِ، لَكِنَّهُمْ غَلَوْا فِي ذَلِكَ وَجَعَلُوهَا مُؤَثَّرَةً بِذَاتِهَا، وَهَؤُلَاءِ وَقَعُوا فِي الشَّرِكِ...»: هَذَا الطَّرْفُ أَيْضًا خَطَأٌ، فَالَّذِينَ غَالَوْا فِي إِثْبَاتِ الْأَسْبَابِ حَتَّى جَعَلُوا السَّبَبَ مُؤَثِّرًا بِنَفْسِهِ، وَجَعَلُوا السَّبَبَ مَعَ الْمُسَبَّبِ.

فَمَثَلًا: لَوْ أُرْسِلَتْ مَاءٌ عَلَى تُرَابٍ؛ لَزِمَ مِنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ هَذَا التُّرَابُ طِينًا، فَهَم يَقُولُونَ: إِذَنْ: السَّبَبُ مُؤَثِّرٌ بِذَاتِهِ، كَتَأْثِيرِ الْمَاءِ فِي التُّرَابِ إِذَا أُرْسِلَتْ عَلَيْهِ.

وَلَوْ وَضَعْتَ حَطْبًا عَلَى النَّارِ صَارَ جَمْرًا، إِذَنْ يَقُولُونَ: هَذَا مُؤَثِّرٌ بِذَاتِهِ!

وَلَكِنْ نَقُولُ: كُلُّ مَا ذَكَرْتُمُوهُ فَهُوَ مُؤَثِّرٌ وَلَكِنْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا أَثَرَتِ النَّارُ فِي الْحَطْبِ وَلَا الْمَاءُ فِي الطِّينِ، وَهَذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَرَبَ الْبَحْرَ فَصَارَ اثْنِي عَشَرَ طَرِيقًا يَابِسًا.

إِذَنْ: تَأْثِيرُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَإِنْ كَانَتْ مُؤَثَّرَةً بِنَفْسِهَا وَلَكِنْ هَذَا التَّأْثِيرُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَهُوَ الَّذِي جَعَلَهَا مُؤَثَّرَةً.

وَأَمَّا الْوَسْطُ: فَهُمْ الَّذِينَ هُدُوا إِلَى الْحَقِّ وَتَوَسَّطُوا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَأَخَذُوا بِمَا مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنَ الْحَقِّ، فَأَثْبَتُوا لِلْأَسْبَابِ تَأْثِيرًا فِي مُسَبِّبَاتِهَا، لَكِنْ لَا بِذَاتِهَا، بَلْ بِمَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ الْقُوَى الْمَوْجِبَةِ.

وَهُؤُلَاءِ هُمُ الطَّائِفَةُ الْوَسْطُ الَّذِينَ وَفَّقُوا لِلصَّوَابِ وَجَمَعُوا بَيْنَ الْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ وَالْمَحْسُوسِ، وَإِذَا كَانَ الْقَدَرُ لَا يُنَافِي الْأَسْبَابَ الْكُونِيَّةَ وَالشَّرْعِيَّةَ فَهُوَ لَا يُنَافِي أَنْ يَكُونَ لِلْعَبْدِ إِرَادَةٌ وَقُدْرَةٌ يَكُونُ بِهِمَا فِعْلُهُ، فَهُوَ مُرِيدٌ قَادِرٌ فَاعِلٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْبٍ قَدِيرِينَ﴾ [القلم: ٢٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ [النساء: ٦٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦] <sup>[١]</sup>.

لَكِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَقِلٍّ بِإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَفِعْلِهِ، كَمَا لَا تَسْتَقِلُّ الْأَسْبَابُ بِالتَّأْثِيرِ فِي مُسَبِّبَاتِهَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، وَلِأَنَّ إِرَادَتَهُ وَقُدْرَتَهُ وَفِعْلَهُ مِنْ صِفَاتِهِ وَهُوَ مَخْلُوقٌ، فَتَكُونُ هَذِهِ الصِّفَاتُ مَخْلُوقَةً أَيْضًا، لِأَنَّ الصِّفَاتِ تَابِعَةٌ لِلْمَوْصُوفِ، فَخَالِقُ الْأَعْيَانِ خَالِقٌ لِأَوْصَافِهَا.

[١] قوله: «وَإِذَا كَانَ الْقَدَرُ لَا يُنَافِي الْأَسْبَابَ الْكُونِيَّةَ وَالشَّرْعِيَّةَ، فَهُوَ لَا يُنَافِي أَنْ يَكُونَ لِلْعَبْدِ إِرَادَةٌ وَقُدْرَةٌ...»: فِعْلُ الْإِنْسَانِ فِي الْوَاقِعِ لَا يُنَافِي الْقَدَرَ، أَي: كَوْنُ الْإِنْسَانِ يَفْعَلُ بِإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَيَنْسَبُ الْفِعْلُ إِلَيْهِ لَا يُنَافِي الْقَدَرَ، خِلَافًا لِمَنْ قَالَ: إِنَّكُمْ إِذَا أَثَبْتُمْ لِلْإِنْسَانِ إِرَادَةً وَقُدْرَةً وَفِعْلًا؛ فَإِنَّكُمْ كَفَرْتُمْ بِالْقَدَرِ.

وهؤلاء الجبرية يقولون: ليس للإنسان إرادة ولا قدرة ولا فعل؛ لأنك لو أثبت له إرادة وفعلًا، وجعلت فعله نتيجة لإرادته وقدرته؛ لكنت كافرًا بالقدر. ولهذا يقولون: إن فعل الإنسان ليس له فيه إرادة ولا قدرة، بل هو يسير متحركًا كما تتحرك الريشة في الهواء.

فنقول: إن إرادة الإنسان للشيء، وقدرته على الشيء من الأسباب الموجبة لوجود الفعل؛ لأنك لا تفعل الشيء إلا بإرادة وقدرة. إذن: فعل الإنسان مشروط بأمرين وهما:

١ - إرادة تامة.

٢ - وقدرة كاملة.

فإذا قال قائل: ما الرابط بين ذكر الأسباب وبين ذكر فعل العبد؟ قلنا: لأن فعل العبد يكون بإرادة وقدرة، والإرادة والقدرة سببان. ولكن: هل هما مؤثران؟

نقول: على رأي من ينفون الأسباب يقولون: إنها غير مؤثرين. ولهذا يرون أن الإنسان مجبر على عمله.

وعلى رأي من يثبت الأسباب يقولون: مؤثر على وجه الاستقلال.

فالقدرية يقولون: الإنسان فاعل بنفسه ولا علاقة لله بفعله.

وأهل السنة يقولون: هي أسباب قدرها الله تعالى، فليس الإنسان مستقلاً بها.

إِذَنْ نَقُولُ: إِنَّ الْقَوْلَ فِي فِعْلِ الْعَبْدِ، هَلْ هُوَ بِإِرَادَتِهِ أَوْ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ؟ مَبْنِيٌّ عَلَى  
الْأَسْبَابِ، هَلْ هِيَ مُؤَثَّرَةٌ أَوْ غَيْرُ مُؤَثَّرَةٍ؟

وَالْقَوْلُ الْوَسْطُ أَنَّهَا مُؤَثَّرَةٌ وَلَكِنْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لَصَرَفَهُ عَنْ هَذِهِ  
الْإِرَادَةِ وَلَأَعْجَزَهُ عَنْ مُرَادِهِ فَلَمْ يَفْعَلْ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: الْقَدَرُ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، فَكَيْفَ تَقُولُونَ: خَيْرُهُ وَشَرُّهُ. فَقُولُكُمْ:  
خَيْرُهُ. مَقْبُولٌ، لَكِنْ قَوْلُكُمْ: وَشَرُّهُ. لَا؟

فَالْجَوَابُ: الشَّرُّ لَيْسَ فِي الْقَضَاءِ، وَلَكِنْ فِي الْمَقْضِيِّ، فَحَيْثُ تَكُونُ نِسْبَةُ الشَّرِّ  
لَيْسَتْ إِلَى الْقَدَرِ الَّذِي هُوَ فِعْلُ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُ إِلَى الْمَقْضِيِّ الَّذِي هُوَ مَفْعُولُ اللَّهِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْقَضَاءِ وَالْمَقْضِيِّ، أَنَّ الْقَضَاءَ خَيْرٌ مُحْضٌ، وَأَمَّا الْمَقْضِيُّ فَمِنْهُ خَيْرٌ  
وَمِنْهُ شَرٌّ، عَلَى أَنَّ الشَّرَّ الَّذِي يَكُونُ فِي الْمَقْضِيِّ لَيْسَ شَرًّا مُحْضًا فِي الْوَاقِعِ، بَلْ فِيهِ خَيْرٌ  
لِلْمَقْضِيِّ عَلَيْهِ وَلِغَيْرِهِ.

أَمَّا الْخَيْرُ لِغَيْرِهِ، فَإِنْ غَيْرُهُ إِذَا رَأَى مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ أَجْلِ فُسُوقِهِ وَمَعْصِيَتِهِ؛ فَإِنَّهُ  
يَتَعَزَّزُ وَيَتَعَبَّرُ وَيَتَعَدُّ عَمَّا جَرَى مِنْهُ مِنَ الْفُسُوقِ، أَمَّا هُوَ بِنَفْسِهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ  
الْمَصَائِبَ تَكْفِيرٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ،  
مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا،  
إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرضى، رقم (٥٣١٨)، ومسلم: كتاب  
البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، رقم (٢٥٧٤).



وَيَكُونُ التَّكْفِيرُ بِقَدْرِ الْمَصِيبَةِ، وَالصَّبْرُ أَجْرٌ زَائِدٌ عَلَى التَّكْفِيرِ، وَالتَّكْفِيرُ يَحْصُلُ بِمَجَرَّدِ الْمَصِيبَةِ، فَإِنْ صَبَرْتَ أُثِبْتَ عَلَى الصَّبْرِ، بِخِلَافِ تَكْفِيرِ الْحَطِيئَةِ.

مِثَالُ ذَلِكَ: الْمَرَضُ، فَهُوَ بِاعْتِبَارِهِ مُؤَلِّمًا لِلإِنْسَانِ مُعِيقٌ لَهُ عَنْ مَصَالِحِ أُخْرَى يُرِيدُهَا يُعْتَبَرُ شَرًّا، وَمَنْ حَيْثُ إِنَّهُ يُعَرَّفُ الإِنْسَانُ قَدْرَ نَفْسِهِ، وَيَعْرِفُهُ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالصَّحَّةِ، وَإِنْ فِيهِ تَكْفِيرًا لِسَيِّئَاتِهِ، وَإِنْ فِيهِ رِفْعَةٌ لِدَرَجَاتِهِ إِنْ صَبَرَ؛ فَهُوَ بِهِذِهِ الِاعْتِبَارَاتِ يَكُونُ خَيْرًا؛ فَالْقَضَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ.

وَأَمَّا الْمُقْضِي: فَقَدْ يَكُونُ شَرًّا وَقَدْ يَكُونُ خَيْرًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٣٥]، فَالرَّضَا بِالْقَضَاءِ الَّذِي هُوَ فِعْلُ اللَّهِ وَاجِبٌ بِكُلِّ حَالٍ، سَوَاءً كَانَ الْمُقْضِي خَيْرًا أَمْ شَرًّا.

وَالْمُقْضِي إِمَّا أَنْ يَكُونَ كَوْنِيًّا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ شَرْعِيًّا.

مِثَالُ الشَّرْعِيِّ: فِي الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٢٣].

وَمِثَالُ الْكُوْنِيِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلَنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٤].

وَإِنْ كَانَ الْمُقْضِي كَوْنِيًّا؛ فَالرَّضَا بِهِ مُسْتَحَبٌّ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ وَاجِبٌ، وَالتَّسَخُّطُ مِنْهُ مُحَرَّمٌ، وَالشُّكْرُ عَلَيْهِ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ.

فَالنَّاسُ فِي الْمُقْضِيَّاتِ الْكُوْنِيَّةِ يَنْقَسِمُونَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، فَإِذَا أُصِيبَ رَجُلٌ بِمَصِيبَةٍ كَمَنْ فَقَدَ أَهْلَهُ، فَلَا يَحُلُوْ حَالَهُ مِمَّا يَلِي:

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَفَلَا يَصِحُّ عَلَى هَذَا التَّقْرِيرِ أَنْ يَحْتَجَّ بِالْقَدَرِ مَنْ خَالَفَ الشَّرْعَ؟  
فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْإِحْتِجَاجَ بِالْقَدَرِ عَلَى مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ لَا يَصِحُّ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ  
الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالنَّظَرُ<sup>(١)</sup>.

أَمَّا الْكِتَابُ: فَمِنْ أَدْلَتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا  
أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فَأَبْطَلَ اللَّهُ حُجَّتَهُمْ هَذِهِ  
بِقَوْلِهِ: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

١- أَنْ يَكُونَ سَاحِطًا: أَيِ يَسْخُطُ مِنْ وَقُوعِ هَذِهِ الْمَصِيبَةِ عَلَيْهِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ  
الْحُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّائِحَةَ وَالْمُسْتَمِعَةَ»<sup>(١)</sup>.

٢- أَنْ يَكُونَ صَابِرًا: أَيِ يَتَحَمَّلُ الْمَصِيبَةَ وَيَتَصَبَّرُ -مَعَ الْكَرَاهِيَةِ-، لَكِنَّهُ لَا يَغْضَبُ  
عَلَى اللَّهِ، فَهَذَا صَابِرٌ، وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ.

٣- أَنْ يَكُونَ رَاضِيًا: وَهَذِهِ الْحَالُ أَرْفَعُ مِنَ الْحَالِ الَّتِي قَبْلَهَا؛ لِأَنَّ الرَّاضِيَ لَيْسَ  
فِي قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ.

٤- أَنْ يَكُونَ شَاكِرًا: أَيِ مَعَ الصَّبْرِ وَالرِّضَا، فَيَزِدَادُ ثَنَاءً عَلَى اللَّهِ وَيَحْمَدُهُ عَلَى  
هَذِهِ الْمَصِيبَةِ، وَهُوَ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ وَأَجْلُّهَا.

[١] هَذِهِ الْحُجَّةُ قَدْ يَحْتَجُّ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يَقُولُ: إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّ اللَّهَ مُقَدِّرُ كُلِّ  
شَيْءٍ، فَكَيْفَ يُلَامُ الْعَاصِيَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَكَيْفَ يُعَاقَبُ عَلَيْهَا؟

وَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا الْإِحْتِجَاجَ لَا يَصِحُّ، بِدَلِيلِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالنَّظَرِ.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٦٥ رقم ١١٦٤٠).

وَمِنْهَا قَوْلُهُ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، فَيَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْحُجَّةَ قَامَتْ عَلَى النَّاسِ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَلَا حُجَّةَ لَهُمْ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ الْقَدَرُ حُجَّةً مَا انْتَفَتْ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ<sup>[١]</sup>.

[١] قَوْلُهُ: «أَمَّا الْكِتَابُ: فَمِنْ أَدْلَتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]: هَذَا الْقَوْلُ فِي ظَاهِرِهِ أَنَّهُ حَقٌّ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [الأنعام: ١٠٧]، وَهَذَا الْقَوْلُ يُطَابِقُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]. وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ احْتِجَاجًا بِالْقَدَرِ لَا تَسْلِيًا لِلْقَدَرِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ هَذَا لِيُبَرِّرُوا اسْتِمْرَارَهُمْ عَلَى الشَّرِكِ، أَمَّا لَوْ قَالُوا هَذَا تَسْلِيًا لِلْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَحَاسِلُهُ أَنَّ يَتَوَبَّعُوا إِلَى اللَّهِ، وَيَدْعُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِكِ؛ لَكَانَ هَذَا الْقَوْلُ حَقًّا، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ احْتِجَاجًا لِاسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى الشَّرِكِ، وَاحْتِجَاجًا عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِرَفْعِ الْعُقُوبَةِ عَنْهُمْ حَتَّى لَا يُعَاقِبَهُمْ، مَعَ أَنَّ الْحُجَّةَ قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، أَي: مِثْلَ هَذَا التَّكْذِيبِ وَهُوَ الْاسْتِمْرَارُ عَلَى الشَّرِكِ ﴿كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾.

وَوَجْهُ إِبْطَالِ هَذِهِ الْحُجَّةِ أَنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ حُجَّةٌ مَا ذَاقُوا بَأْسَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُمْ مَعْدُورُونَ، فَلَمَّا ذَاقُوا بَأْسَ اللَّهِ؛ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهَا احْتِجَاجًا بِهِ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَمِنْ أَدِلَّتِهَا مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ<sup>(١)</sup> عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ.....

وقوله تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. وَجْهُ الدَّلَالَةِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ إِرْسَالَ الرُّسُلِ الَّذِينَ قَامُوا بِالْبَشَارَةِ وَالْإِنْذَارِ حُجَّةً، وَأَنَّهُ لَا حُجَّةَ بَعْدَ إِرْسَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ الْقَدَرُ حُجَّةً؛ لَبَقِيَ حُجَّةٌ بَعْدَ إِرْسَالِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ وَيَتْرَكُونَ بِقَدَرِ اللَّهِ.

ثُمَّ نَقُولُ لِلْعَاصِي: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ عَلَيْكَ الْمَعْصِيَةَ؟ هَلْ أَطْلَعَكَ اللَّهُ عَلَى الْغَيْبِ؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ: لَا أَعْلَمُ.

فَنَقُولُ: إِذَا كُنْتَ لَا تَعْلَمُ فَكَيْفَ تَجْعَلُ الْمَجْهُولَ لَدَيْكَ حُجَّةً لَكَ؟ وَلِمَاذَا لَمْ تُقَدِّرْ حِينَ هَمَمْتَ بِالْمَعْصِيَةِ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ لَكَ الْإِسْتِقَامَةَ فَتَسْتَقِيمُ؟

ثُمَّ نَقُولُ لَهُ: إِنَّ جَمِيعَ تَصَرُّفَاتِكَ الْأُخْرَى تُبْطِلُ احْتِجَاجَكَ هَذَا؛ لِأَنَّكَ لَوْ أَرَدْتَ الذَّهَابَ إِلَى مَكَّةَ مَثَلًا، وَقِيلَ لَكَ: إِنَّ لَهَا طَرِيقَيْنِ: أَحَدُهُمَا آمِنٌ وَالثَّانِي غَيْرُ آمِنٍ. لَعَدَلْتَ عَنِ الْمَخُوفِ إِلَى الْآمِنِ، وَلَنْ تَسْلِكَ غَيْرَ الْآمِنِ وَتُحْتَجِّجَ بِالْقَدَرِ!.

إِذْنُ نَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْمَثَالَ يَنْطَبِقُ تَمَامًا عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِنَّ الدِّينَ طَرِيقٌ إِلَى اللَّهِ، فَأَنْتَ إِذَا قِيلَ لَكَ: هَذَا الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ، إِنَّ ذَهَبْتَ إِلَى الْيَمِينِ سَلِمْتَ، وَإِنْ ذَهَبْتَ إِلَى الشَّمالِ هَلَكْتَ. فَإِنَّ ذَهَابَكَ سَيَكُونُ إِلَى الْيَمِينِ، وَهُوَ مُقْتَضَى الْعَقْلِ.

(١) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر، رقم (١٣٦٢)، وقد اختلط هنا حديثان من كتابين مختلفين، فالحديث جزء منه ورد في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [الليل: ٥] برقم (٤٩٤٥) ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه، رقم (٢٦٤٧).

إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ⑨ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠].<sup>[١]</sup>

[١] لما أخبرهم النبي ﷺ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ فِي الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ فِي النَّارِ، فَالَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كُتِبَتْ مَقَاعِدُهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِينَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ كُتِبَتْ مَقَاعِدُهُمْ فِي النَّارِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ اسْتَدَلَّ لِقَوْلِهِ ﷺ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾.

وَلِهَذَا لَوْ قَالَ قَائِلٌ: أَنَا لَنْ أَتَزَوَّجَ، إِذَا كَانَ اللَّهُ قَدَّرَ لِي وَلَدًا فَسَيَأْتِي. لَعُدَّ هَذَا الْقَوْلُ سَفَهًا فِي الْعَقْلِ، وَلَوْ قَالَ: أَنَا لَنْ أَعْمَلَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ مَا دَامَ اللَّهُ قَدْ كَتَبَنِي مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

نَقُولُ: لَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِالْعَمَلِ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، وَهَذِهِ بَشَارَةٌ سَارَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ، فَإِذَا رَأَيْتَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الليل إذا يغشى، رقم (٤٦٦٦)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله، رقم (٢٦٤٧).

وَأَمَّا النَّظَرُ فَمِنْ أَدِلَّتِهِ<sup>[١]</sup>:

١- أَنْ تَارِكَ الْوَاجِبِ وَفَاعِلِ الْمُحَرَّمِ يُقَدِّمُ عَلَى ذَلِكَ بِاخْتِيَارِهِ، لَا يَشْعُرُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَهُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مُقَدَّرٌ، لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مَكْتُومٌ فَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ أَنَّ شَيْئًا مَا قَدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا بَعْدَ وَقُوعِهِ، فَكَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يَحْتَجَّ بِحُجَّةٍ لَا يَعْلَمُهَا قَبْلَ إِقْدَامِهِ عَلَى مَا اعْتَدَرَ بِهَا عَنْهُ؟!

وَلِمَاذَا لَمْ يُقَدَّرْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَهُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِهِمْ دُونَ أَنْ يُقَدَّرَ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ وَيَعْمَلُ بِعَمَلِهِمْ؟

يَسِّرْ لَكَ الْعِبَادَةَ وَسَهِّلْهَا عَلَيْكَ؛ فَأَبَشِّرْ بِالْخَيْرِ! أَنْتَكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَشْهَدُ لِنَفْسِكَ، لَكِنَّ الْقُرَائِنُ وَالْعِلَامَاتُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾.

وَإِذَا رَأَيْتَ الْأَمْرَ بِالْعَكْسِ، أَنَّ الْعِبَادَةَ ثَقِيلَةٌ عَلَيْكَ، وَلَوْ لَا خَوْفُ النَّاسِ مَا فَعَلْتَ، وَلَوْ لَا الْعَادَةُ مَا فَعَلْتَ؛ فَفَتِّشْ عَنْ نَفْسِكَ وَأَنْقِذْهَا مِنَ الْهَلَاكِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ:

١- اسْتِدْلَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْأَصْلُ، فَلَا غَرَابَةَ أَنْ نَسْتَدِلَّ نَحْنُ بِالْقُرْآنِ، وَلَكِنْ قَدْ يَسْتَعْرِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَسْتَدِلَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ.

٢- وَفِي هَذَا أَيْضًا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ حُجَّةٌ مُلْزِمَةٌ، لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْفَعَهَا بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، مَعَ أَنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ حُجَّةٌ مُلْزِمَةٌ، لَكِنْ إِذَا اسْتَدِلَّ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ كَانَ أَبْلَغَ.

[١] يُقَالُ: النَّظَرُ. وَيُقَالُ: الْعَقْلُ.

٢- أَنْ إِقْحَامَ النَّفْسِ فِي مَا تَمَّ تَرْكُ الْوَاجِبِ وَفِعْلُ الْمَحْرَمِ ظُلْمٌ لَهَا وَعُدْوَانٌ عَلَيْهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ: ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠١]، وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا ظَلَمَ الْمُحْتَاجَ بِالْقَدَرِ عَلَى مُحَالَفَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: ظُلْمِي إِيَّاكَ كَانَ بِقَدَرِ اللَّهِ. لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ هَذِهِ الْحُجَّةَ، فَكَيْفَ لَا يَقْبَلُ هَذِهِ الْحُجَّةَ بِظُلْمِ غَيْرِهِ لَهُ، ثُمَّ يَحْتَجُّ بِهَا بِظُلْمِهِ هُوَ لِنَفْسِهِ؟! <sup>[١]</sup>

[١] إِقْحَامُ النَّفْسِ فِي فِعْلِ الْمَعَاصِي وَتَرْكِ الْوَاجِبَاتِ ظُلْمٌ لَهَا؛ لِأَنَّ نَفْسَكَ أَمَانَةٌ عِنْدَكَ، فَيَجِبُ أَنْ تَعْمَلَ بِمَا فِيهِ خَيْرُهَا، وَتَتْرَكَ مَا فِيهِ شَرُّهَا، فَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْمَعَاصِي ظُلْمٌ لِلنَّفْسِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠١]، فَكُلُّ إِنْسَانٍ يُوقِعُ نَفْسَهُ فِي مَعْصِيَةٍ فَقَدْ ظَلَمَهَا.

فنقول: أَرَأَيْتَ لو أَنَّ أَحَدًا ظَلَمَكَ وَاحْتَجَّ بِالْقَدَرِ، هَلْ تَقْبَلُ مِنْهُ؟

الجواب: كُلُّ النَّاسِ لَا يَقْبَلُونَ! فَكَيْفَ لَا تَقْبَلُ إِذَا ظَلَمَكَ غَيْرُكَ، وَتَقْبَلُ أَنْ تَظْلِمَ نَفْسَكَ؟ أَلَيْسَتْ نَفْسُكَ أَحَقُّ بِالْبِرِّ مِنْ غَيْرِكَ؟ الجواب: بلى. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قُدِّمَ إِلَيْهِ سَارِقٌ، وَقَدْ تَمَّتْ شُرُوطُ قَطْعِ يَدِهِ؛ فَأَمَرَ بِقَطْعِهَا، فَقَالَ السَّارِقُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ مَا سَرَقْتُ إِلَّا بِقَدَرِ اللَّهِ؛ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: «وَنَحْنُ لَا نَقْطَعُ يَدَكَ إِلَّا بِقَدَرِ اللَّهِ».

ونقول أيضًا: إِذَا قَطَعْنَا يَدَ السَّارِقِ فَقَدْ قَطَعْنَا يَدَهُ بِقَدَرِ اللَّهِ وَشَرَعَ اللَّهُ، وَإِذَا سَرَقَ فَقَدْ سَرَقَ بِقَدَرِ اللَّهِ لَا بِشُرْعِهِ، لَكِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَذْكُرِ الشَّرْعَ هُنَا؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُقَابَلَ الْحُجَّةَ بِالْحُجَّةِ، فَهَذَا السَّارِقُ لَمَّا احْتَجَّ بِالْقَدَرِ؛ احْتَجَّ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقَدَرِ أَيْضًا.

٣- أَنَّ هَذَا الْمُحْتَجَّ لَوْ خُيِّرَ فِي السَّفَرِ بَيْنَ بِلَدَيْنِ: أَحَدُهُمَا: بَلَدٌ آمِنٌ مُطْمَئِنٌّ، فِيهِ أَنْوَاعُ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالتَّنْعَمِ، وَالثَّانِي: بَلَدٌ خَائِفٌ قَلِقٌ، فِيهِ أَنْوَاعُ الْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ، لَا خِتَارَ السَّفَرِ إِلَى الْبَلَدِ الْأَوَّلِ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْتَارَ الثَّانِي مُحْتَجًّا بِالْقَدَرِ، فَلِمَاذَا يَخْتَارُ الْأَفْضَلَ فِي مَقَرِّ الدُّنْيَا، وَلَا يَخْتَارُهُ فِي مَقَرِّ الْآخِرَةِ؟<sup>[١]</sup>

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٦) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴿[الأنعام: ١٠٦-١٠٧]، فَأَخْبَرَ أَنَّ شِرْكَهُمْ وَقَعَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى<sup>[٢]</sup>.

[١] لَوْ قِيلَ لَهُ: الْبَلَدُ هَذَا آمِنٌ مُطْمَئِنٌّ، وَفِيهِ أَنْوَاعُ الْخَيْرِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَالثَّانِي بِالْعَكْسِ. فَهَلْ يُمَكِّنُ لِأَيِّ عَاقِلٍ أَنْ يُسَافِرَ إِلَى الْبَلَدِ الثَّانِي وَيَحْتَجَّ بِالْقَدَرِ؟  
الْجَوَابُ: لَا يُمَكِّنُ أَبَدًا، بَلْ يُسَافِرُ إِلَى الْبَلَدِ الْأَمِنِ.

فَيُقَالُ: إِذَا كُنْتَ لَا تَخْتَارُ لِمَقَرِّكَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا هَذَا الْبَلَدَ الَّذِي فِيهِ الطُّمَأْنِينَةُ وَالرَّغْدُ وَالْخَيْرُ، فَلِمَاذَا لَا تَفْعَلُ هَذَا فِي مَقَرِّكَ فِي الْآخِرَةِ، الَّذِي هُوَ الْمَقَرُّ الدَّائِمُ الْأَبَدِيُّ؟  
فَالْأَمْرُ وَاضِحٌ، وَكَلْنَا يَعْرِفُ أَنَّ نَفْعًا بِاخْتِيَارِنَا وَنَتْرُكُ بِاخْتِيَارِنَا، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ خَيْرٌ غَيْرُ مُكْرَهٍ، لَكِنْ إِذَا فَعَلَ الشَّيْءَ فَإِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِإِرَادَةِ اللَّهِ.

[٢] هَذَا إِيرَادُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَخْبَرَ بَأَنَّ وَقُوعَ الشَّرِكِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَشِيئَتِهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾، فَكَيْفَ يَحْتَجُّ عَزَّوَجَلَّ بِمَشِيئَتِهِ عَلَى شِرْكِهِمْ؟

وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ تَسْلِيَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ شِرْكَهُمْ كَانَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ؛ هَانَ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ بِلَا شَكٍّ، وَخَرَجَ مِنَ الْمَسْئُولِيَّةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ



قِيلَ لَهُ: الْجَوَابُ عَنْهُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّ شُرَكَهُمْ وَاقَعَ بِمَشِيئَتِهِ تَسْلِيَةً لِرَسُولِهِ ﷺ لَا دِفَاعًا عَنْهُمْ، وَإِقَامَةً لِلْعُدْرِ لَهُمْ، بِخِلَافِ احْتِجَاجِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى شُرَكَهُمْ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، فَإِنَّمَا قَصَدُوا بِهِ دَفْعَ اللَّوْمِ عَنْهُمْ وَإِقَامَةَ الْعُدْرِ عَلَى اسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى الشِّرْكِ، وَلِهَذَا أَبْطَلَ اللَّهُ احْتِجَاجَهُمْ وَلَمْ يُبْطِلْ أَنَّ شُرَكَهُمْ وَاقَعَ بِمَشِيئَتِهِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا الْجَوَابُ عَمَّا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى -وَفِي لَفْظٍ: تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى-، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا، خَيْبَتْنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ. فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى، اضْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ، أَتُلُومُنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً. فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» «ثَلَاثًا»<sup>(١)</sup>، وَعِنْدَ أَحْمَدَ<sup>(٢)</sup>: «فَحَجَّهُ آدَمُ» أَيُّ: غَلَبَهُ فِي الْحُجَّةِ.

قِيلَ لَهُ: الْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ احْتِجَاجَ آدَمَ بِالْقَدَرِ كَانَ عَلَى الْمُصِيبَةِ الَّتِي حَصَلَتْ عَلَيْهِ،.....

عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿[الأنعام: ١٠٧] حَتَّى لَا يَضِيقَ صَدْرُ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ يَقُولَ: إِنِّي لَمْ أُبْلَغْ. أَوْ مَا أَشَبَهُ ذَلِكَ.

فَالْمَرَادُ التَّسْلِيَةُ، بِخِلَافِ احْتِجَاجِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى شُرَكَهُمْ بِقَوْلِهِمْ: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا. لِأَنَّ قَصْدَهُمْ بِهِذَا دَفْعُ اللَّوْمِ عَنْهُمْ، كَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَا لَوْمَ عَلَيْنَا؛ لِأَنَّهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَلَا عِقَابَ عَلَيْنَا؛ لِأَنَّهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ بغير اختيار. فَالْفَرْقُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ وَاضِحٌ.

(١) رواه البخاري: كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله رقم (٦٦١٤)، ومسلم: كتاب

القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام رقم (٢٦٥٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٨، رقم ٧٦٢٣).

وَهِيَ إِخْرَاجُهُ مِنَ الْجَنَّةِ هُوَ وَرَوْجُهُ، وَلَيْسَ عَلَى الذَّنْبِ الَّذِي ارْتَكَبَاهُ - وَهُوَ أَكْلُهُمَا مِنَ الشَّجَرَةِ -، فَإِنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَنْ يَعْتَبَ عَلَى آدَمَ فِي مَعْصِيَةِ تَابَ مِنْهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى، فَإِنَّ هَذَا بَعِيدٌ جِدًّا أَنْ يَقَعَ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ أَجَلٌ قَدْرًا مِنْ أَنْ يَلُومَ أَبَاهُ وَيَعْتَبَ عَلَيْهِ فِي هَذَا، وَإِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ الْمُصِيبَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لِآدَمَ وَبَنِيهِ وَهِيَ الْإِخْرَاجُ مِنَ الْجَنَّةِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِسَبَبِ الْمَعْصِيَةِ، فَاحْتَجَّ آدَمُ عَلَى ذَلِكَ بِالْقَدَرِ مِنْ بَابِ الْإِحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ عَلَى الْمَصَائِبِ، لَا عَلَى الْمَعَائِبِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ ﷺ: «أَحْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(١)</sup>.

فَقَدْ أَرْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى تَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ بَعْدَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَخْصُلُ بِهَا الْمَطْلُوبُ ثُمَّ يَتَخَلَّفُ.

وَنَظِيرُ هَذَا أَنْ يُسَافِرَ شَخْصٌ فَيَصَابَ بِحَادِثٍ فِي سَفَرِهِ، فَيَقَالُ لَهُ: لِمَ إِذَا تُسَافِرُ؟ فَيَقُولُ: هَذَا أَمْرٌ مُقَدَّرٌ وَالْمُقَدَّرُ لَا مَفَرَّ مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَحْتَجُّ هُنَا بِالْقَدَرِ عَلَى السَّفَرِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَكْرَهَ لَهُ وَأَنَّهُ لَمْ يُسَافِرْ لِيُصِيبْهُ الْحَادِثُ، وَإِنَّمَا يَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ الَّتِي ارْتَبَطَتْ بِهِ، وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ الَّذِي اخْتَارَهُ الشَّيْخُ الْمُؤَلِّفُ فِي هَذِهِ الْعَقِيدَةِ<sup>(١)</sup>.

[١] قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُحْتَجًّا عَلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنْتَ أَبُونَا، خَيِّتْنَا، وَأَخْرَجْتَنَا

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْقَدَرِ، بَابُ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ، رَقْمُ (٢٦٦٤).

مِنَ الْجَنَّةِ»، فما هي هذه الجنة؟ هل هي جنة الخلد أم جنة الأرض؟

الجواب: في هذا خلاف بين العلماء:

فمنهم من قال: إنها جنة الخلد التي في السماء. فهي كقوله تعالى: ﴿أَسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، و(أل) للعهد المعلوم في الدُّهْنِ، وهي إذا أُطْلِقَتْ تكونُ جنة المأوى التي في السماء.

ومنهم من قال: إنها جنة الأرض، فهي كقوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا مِّثْلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ﴾ [الكهف: ٣٢]، وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبا: ١٥].

والأقرب أنَّها جنة المأوى التي في السماء.

فموسى عليه الصلاة والسلام احتجَّ على آدم عليه الصلاة والسلام بكونه أخرج نفسه وذريته من الجنة بسبب معصيته، فقال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْنَبَهُ رَبُّهُ فَأَنبَأَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢١-١٢٢].

وآدم عليه الصلاة والسلام قال له: «أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده».

قوله: «اصطفاك الله بكلامه» أي: اختارك بكلامه، وجعلك من أصفياه، حيث كلمك بالوحي والرسالة.

وقد يردُّ وارِدٌ على تسمية موسى بكليم الله، مع أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قد كلمه الله تعالى في موضعٍ أشرف من الموضع الذي كلم موسى منه.

والسَّبَبُ في تسمية مُوسَى بكَلِيمِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ بِكَلَامِهِ، هُوَ أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُوسَى بِكَلَامِهِ فِي أَوَّلِ الرِّسَالَةِ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا أَرْسَلَهُ كَلَمَهُ، وَالرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا كَلَّمَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَوَّلُ الْوَحْيِ كَانَ بِوَاسِطَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَوْلُهُ: «وَحَطَّ لَكَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ»: فَالتَّوْرَةُ إِذْ نُحِطُّوْطَةُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، حَطَّهَا بِيَدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَإِذَا سَأَلَ سَائِلٌ: لِمَاذَا ذَكَرَ آدَمُ لِمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ بِكَلَامِهِ، وَحَطَّ لَهُ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ؟

فَالْجَوَابُ: أَيُّ: وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ مَنْزِلَتُهُ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَلُومَ عَلَى مَا قَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدَّرَهُ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» أَيُّ: غَلَبَهُ فِي الْحُجَّةِ. وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ.

وَعِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَحَجَّهُ آدَمُ»، وَأَتَيْنَا بِهِذَا اللَّفْظَ؛ لئَلَّا يُحَرِّفَ مُحَرِّفٌ فَيَقُولَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى. عَلَى نَصْبِ (آدَمَ)، فَيَكُونُ مُوسَى هُوَ الْغَالِبُ.

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، حَرَّفَهَا بَعْضُهُمْ وَقَالَ: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى. فَقَالَ لَهُ آخَرُ: مَاذَا تَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟!

فَظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ آدَمَ احْتَجَّ بِالْقَدَرِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ الَّتِي كَانَتْ سَبَبًا فِي إِخْرَاجِهِ مِنَ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ مُوسَى احْتَجَّ عَلَيْهِ بِكَوْنِهِ سَبَبًا فِي إِخْرَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ مِنَ الْجَنَّةِ.

فلاحتجاج من موسى مُنْصَبٌّ عَلَى السَّبَبِ الَّذِي خَرَجَ بِهِ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهُوَ  
مَعْصِيَتُهُ، وَهَذَا هُوَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ؛ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُنْصَبًّا عَلَى فِعْلِ آدَمَ، فَإِنَّ آدَمَ  
بِاحْتِجَاجِهِ بِالْقَدَرِ وَغَلْبَتِهِ مُوسَى، يَكُونُ قَدْ احْتَجَّ بِالْقَدَرِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَتَوَجَّهُ  
أَبَدًا أَنْ يَقُومَ مُوسَى فَيَحْتَجَّ عَلَى آدَمَ بِهَذِهِ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي زَالَتْ آثَارُهَا نِهَائِيًّا؛ فَلَوْ أَنَّ  
رَجُلًا كَانَ قَدْ أَسَاءَ فِي أَوَّلِ حَيَاتِهِ ثُمَّ اسْتَقَامَ وَاهْتَدَى، فَلَا يَتَوَجَّهُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: لِمَاذَا  
كُنْتَ فِي الْأَوَّلِ ضَالًّا؟ بَلْ يُثْنَى عَلَيْهِ وَيُمدَّحُ، وَهَذَا بَيْنَ شَخْصٍ وَشَخْصٍ مِنَ النَّاسِ،  
فَكَيْفَ يَقَعُ هَذَا بَيْنَ رَسُولٍ مِنْ أُولِي الْعِزِّ وَنَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ أَبُّ لَهُ أَيْضًا.

والاحتجاج بالقدر عَلَى الْمَصَائِبِ جَائِزٌ، سَوَاءٌ كَانَتْ هَذِهِ الْمَصِيبَةُ بِسَبَبٍ مِنْكَ  
أَمْ بِغَيْرِ سَبَبٍ، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مَرَضَ بِمَرَضٍ لَيْسَ لَهُ سَبَبٌ، وَقَالَ: هَذَا مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ  
وَقَدَرِهِ. فَإِنَّ هَذَا الْاِحْتِجَاجَ صَحِيحٌ.

ولهذا نقول: إِنَّ احْتِجَاجَ آدَمَ عَلَى مُوسَى، مِنْ بَابِ الْاِحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ عَلَى  
الْمَصَائِبِ لَا عَلَى الْمَعَاصِي.

فَادَمُ مَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي عَصَيْتُ اللَّهَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ ذَلِكَ عَلَيَّ. وَلَكِنْ قَالَ:  
إِنِّي خَرَجْتُ مِنَ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ ذَلِكَ عَلَيَّ. وَهَذَا قَالَ مُوسَى: أَخْرَجْتَنَا مِنَ  
الْجَنَّةِ.

وَنظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَحْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ»<sup>(١)</sup>،

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله،  
رقم (٢٦٦٤).

فَهَذَا أَمْرٌ بِفَعْلِ الْأَسْبَابِ، أَنْ تَحْرِصَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَأَلَّا تَعْتَمِدَ عَلَى قُوَّتِكَ وَجِرْصِكَ، بَلِ اسْتَعْنُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، أَي: لَا تَكْسُلْ عَنِ الِاسْتِمْرَارِ؛ فَتَدْعُ كَمَا يَدْعُ الْعَاجِزُ الشَّيْءَ فَلَا يُكْمِّلُهُ.

وإنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ بَعْدَ الْحَرْصِ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ؛ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ.

فَأَرَشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَحْتَجَّ بِالْقَدَرِ؛ لِأَنَّا فَعَلْنَا الْأَسْبَابَ التَّامَّةَ، وَحَرَصْنَا عَلَى مَا يَنْفَعُ، وَفَعَلْنَا وَاسْتَعْنَا بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ.

وَلَكِنْ إِنْ صَارَ الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ مَا أَرَدْنَا، حِينَئِذٍ نَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ، وَنَقُولُ: هَذَا قَدَّرَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ فَعَلَهُ.

وَإِذَا احْتَجَجْنَا بِالْقَدَرِ فِي هَذِهِ الْحَالِ فَإِنَّ نَفُوسَنَا تَطْمَئِنُّ وَلَا يَلْحَقُنَا النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى، وَيُقَالُ: هَذَا أَمْرٌ مَكْتُوبٌ وَلَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ.

وَنظِيرُ ذَلِكَ أَنْ يُسَافِرَ شَخْصٌ فَيُصَابَ بِحَادِثٍ فِي سَفَرِهِ، فَيُقَالُ لَهُ: لِمَاذَا سَافَرْتَ، لَوْ بَقِيتَ فِي بَيْتِكَ مَا أَصَابَكَ هَذَا الْحَادِثُ؟! فَلَا يَصِحُّ هَذَا اللَّوْمُ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُسَافِرْ لِيُصَابَ بِالْحَادِثِ.

فَادَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ لِيَخْرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَمْ يَطْرَأْ عَلَى بَالِهِ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ الْجَنَّةِ، لَكِنَّ الشَّيْطَانَ غَرَّهُ ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ﴾ [الأعراف: ٢١] فَاغْتَرَّ بِذَلِكَ، وَإِلَّا فَلَا شَكَّ أَنَّ آدَمَ لَمْ يَأْكُلْ لِيَخْرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ.

إِذَنْ: فَلَا لَوْمَ عَلَيْهِ، لَكِنْ يَصِحُّ اللَّوْمُ لَوْ كَانَ آدَمُ أَكَلَ لِيَخْرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الْإِحْتِجَاجَ بِالْقَدْرِ عَلَى تَرْكِ الْوَاجِبِ، أَوْ فِعْلِ الْمَحْرَمِ بَعْدَ التَّوْبَةِ جَائِزٌ مَقْبُولٌ، لِأَنَّ الْأَثَرَ الْمُتَرْتَّبَ عَلَى ذَلِكَ قَدْ زَالَ بِالتَّوْبَةِ، فَانْمَحَى بِهِ تَوَجُّهُ اللَّوْمِ عَلَى الْمُخَالَفَةِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مُحَضُّ الْقَدْرِ الَّذِي احْتَجَّ بِهِ لَا لِيَسْتَمِرَّ عَلَى تَرْكِ الْوَاجِبِ أَوْ فِعْلِ الْمَحْظُورِ، وَلَكِنْ تَقْوِيضًا إِلَى قَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي لَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ<sup>[١]</sup>.

[١] يَقُولُ: إِنَّ احْتِجَاجَ الْإِنْسَانِ بِالْقَدْرِ بَعْدَ التَّوْبَةِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ لِيُدْفَعَ اللَّوْمُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ جَائِزٌ. وَلَيْسَ هَذَا كاحتجاج المشرِّكين؛ لِأَنَّ الْمَشْرِكِينَ يَحْتَجُّونَ بِالْقَدْرِ؛ لِيَسْتَمِرُّوا عَلَى شُرُكِهِمْ، لَكِنَّ هَذَا احْتِجَاجٌ بِالْقَدْرِ بَعْدَ مَا تَابَ.

مِثَالُ ذَلِكَ: رَجُلٌ مُسْتَقِيمٌ وَعَدْلٌ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا أَحَدٌ يَعْتَبُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، أَرَادَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ أَنْ يَفْعَلَ فَاخِشَةً، فَندِمَ وَتَابَ وَأَكْثَرَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا فُلَانُ، كَيْفَ يَقَعُ مِنْكَ هَذَا الشَّيْءُ، وَأَنْتَ مَنْ أَنْتَ، أَنْتَ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ طَالِبُ الْعِلْمِ الدِّينِ، فَكَيْفَ قُمتَ بِهَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا قِضَاءٌ وَقَدَرٌ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ.

فَهَلْ يَجُوزُ هَذَا أَوْ لَا يَجُوزُ؟ الْجَوَابُ: عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ الثَّانِي يَجُوزُ، لِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَقُلْ: هَذَا قِضَاءٌ وَقَدَرٌ وَسَأَسْتَمِرُّ. بَلْ هُوَ نَادِمٌ عَلَى مَا حَصَلَ، وَيَقُولُ: لَا مَفَرَّ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ.

إِذَنْ: الْجَوَابُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ جَوَابَانِ:

الْأَوَّلُ: مَا اخْتَارَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّ آدَمَ إِنَّمَا احْتَجَّ بِالْقَدْرِ عَلَى الْمَصِيئَةِ لَا عَلَى الذَّنْبِ؛ لِأَنَّ مُوسَى لَمْ يُعَاتِبْهُ عَلَى الذَّنْبِ، إِذْ إِنَّ مُوسَى يَعْلَمُ أَنَّ آدَمَ لَمَّا تَابَ زَالَ عَنْهُ أَثَرُ الذَّنْبِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَلُومَ أَبَاهُ عَلَى ذَنْبٍ فَعَلَهُ وَتَابَ مِنْهُ.

الثَّانِي: أَنَّ هَذَا احْتِجَاجٌ بِالْقَدْرِ بَعْدَ التَّخْلِصِ مِنْ أَثَارِ الْمَعْصِيَةِ وَهَذَا جَائِزٌ، وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهُوَ تَلْمِيذُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ.

وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا ابْنُ الْقَيْمِ فِي (شِفَاءِ الْعَلِيلِ) <sup>(١)</sup>، وَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَدْفَعْ بِالْقَدَرِ حَقًّا وَلَا ذَكَرَهُ حُجَّةً لَهُ عَلَى بَاطِلٍ وَلَا مَحْذُورٍ فِي الْإِخْتِجَاجِ بِهِ، وَأَمَّا الْمَوْضِعُ الَّذِي يَضُرُّ الْإِخْتِجَاجُ بِهِ فِي الْحَالِ وَالْمُسْتَقْبَلِ بِأَنْ يَرْتَكِبَ فِعْلًا مُحَرَّمًا، أَوْ يَتْرَكَ وَاجِبًا فَيُلْوِمُهُ عَلَيْهِ لَائِمٌ فَيَحْتَجَّ بِالْقَدَرِ عَلَى إِقَامَتِهِ عَلَيْهِ وَإِصْرَارِهِ، فَيُبْطِلُ الْإِخْتِجَاجُ بِهِ حَقًّا وَيَرْتَكِبُ بَاطِلًا، كَمَا اخْتَجَّ بِهِ الْمُصْرُونَ عَلَى شُرَكِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ فَقَالُوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٠]، فَاخْتَجُّوا بِهِ مُصَوِّبِينَ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ، وَأَتَاهُمْ لَمْ يَنْدُمُوا عَلَى فِعْلِهِ، وَلَمْ يَعْزُمُوا عَلَى تَرْكِهِ، وَلَمْ يُقَرُّوا بِفَسَادِهِ، فَهَذَا ضِدُّ اخْتِجَاجٍ مَنْ تَبَيَّنَ لَهُ خَطَأُ نَفْسِهِ، وَنَدِمَ وَعَزَمَ كُلَّ الْعَزْمِ عَلَى الْإِلَافَةِ.

وَنُكْتَةُ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ اللَّوْمَ إِذَا ارْتَفَعَ صَحَّ الْإِخْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ، وَإِذَا كَانَ اللَّوْمُ وَاقِعًا فَلَا اخْتِجَاجَ بِالْقَدَرِ بَاطِلٌ، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ طَرَقَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَفَاطِمَةُ لَيْلًا فَقَالَ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ» الْحَدِيثُ <sup>(٢)</sup> <sup>(١)</sup>.

[١] عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَنْعَسَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٌّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

(١) شفاء العليل (ص: ١٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، رقم (١١٢٧).



وَأَجَابَ عَنْهُ بِأَنَّهُ احْتِجَاجٌ عَلَيَّ صَحِيحٌ؛ «وَلِذَلِكَ لَمْ يُنَكِّرْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ»<sup>(١)</sup>، وَصَاحِبُهُ يُعَذِّرُ فِيهِ، فَالِنَّائِمُ غَيْرُ مُفَرَّطٍ، وَاحْتِجَاجٌ غَيْرُ الْمُفَرَّطِ بِالْقَدَرِ صَحِيحٌ.

وَهَذَا عَرَضٌ وَلَيْسَ أَمْرًا، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسَنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا»، فَهَذَا احْتِجَاجٌ عَلَيَّ بِالْقَدَرِ بَعْدَ أَنْ مَضَى، وَلَمْ يَحْتَجَّ بِهِ لِلْمُسْتَقْبَلِ، فَانصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى فَخْذِهِ وَيَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَرْضَ هَذَا الْجَوَابَ تَمَامًا، بِدَلِيلِ أَنَّهُ انصَرَفَ يَضْرِبُ عَلَى فَخْذِهِ وَيَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.



(١) ما بين القوسين مني. (الشارح)

## فصل

## فِي ضَرُورَةِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ وَالْشَّرْعِ

لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ؛ لِأَنَّهُ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَةِ؛ وَلِأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ وَلِأَنَّ بِهِ تَحْقِيقَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَفْوِضَ الْأَمْرِ إِلَيْهِ مَعَ الْقِيَامِ بِالْأَسْبَابِ الصَّحِيحَةِ النَّافِعَةِ؛ وَلِأَنَّ بِهِ اطمِئْنَانِ الْإِنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ حَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ؛ وَلِأَنَّ بِهِ يَنْتَفِي الْإِعْجَابُ بِالنَّفْسِ عِنْدَ حُصُولِ الْمُرَادِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حُصُولَهُ بِقَدْرِ اللَّهِ، وَأَنَّ عَمَلَهُ الَّذِي حَصَلَ بِهِ مُرَادُهُ لَيْسَ إِلَّا مُجَرَّدَ سَبَبٍ يَسِّرُهُ اللَّهُ لَهُ؛ وَلِأَنَّ بِهِ يَزُولُ الْقَلْقُ وَالضَّجَرُ عِنْدَ فَوَاتِ الْمُرَادِ أَوْ حُصُولِ الْمَكْرُوهِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ<sup>[١]</sup>.

[١] يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ: «لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ»: وَذَكَرَ سِتَّةَ مَأْخَذٍ:

الْأَوَّلُ: لِأَنَّهُ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَةِ، وَإِذَا كَانَ هُوَ أَحَدَ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَةِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ.

الثَّانِي: لِأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ قَدَرُهُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَالرُّبُوبِيَّةُ هِيَ الْإِيمَانُ بِانْفِرَادِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ بِالْخَلْقِ وَالْمَلِكِ وَالتَّدْبِيرِ، فَهُوَ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِالرُّبُوبِيَّةِ.

الثَّالِثُ: لِأَنَّ بِهِ تَحْقِيقَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَفْوِضَ الْأَمْرِ إِلَيْهِ مَعَ الْقِيَامِ

بالأسباب؛ لأنك إذا علمت أن كل شيء بقضاء الله وقدره؛ فإنك تعتمد على الله في كل شيء مع فعل الأسباب.

فمثلاً: أسافر في التجارة مع علمي بأن الله تعالى إن أراد لي ربحاً ربحت، وإن أراد خسارة لم أربح، فتجد الإنسان كلما آمن بالقدر؛ ازداد في تفويض الأمر إلى الله عز وجل؛ لأن كل شيء بقضائه وقدره، ففيه تحقيق التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه، أي: تحقيق تفويض الأمر إلى الله عز وجل.

الرابع: لأن به اطمئنان الإنسان في حياته، حيث يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فكلما ازداد إيمانه بالقدر؛ ازدادت طمأنينته فيما قدر له؛ لأنه يعلم أنه من عند الله.

ولهذا قال علقمة رحمه الله - وهو أحد أكابر أصحاب عبد الله بن مسعود - في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، قال: هو الرجل تُصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله؛ فيرضى ويسلم<sup>(١)</sup>.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، أن ابنة للنبي ﷺ أرسلت إليه، وهو مع النبي ﷺ وسعد وأبي: نحسب أن ابنتي قد حُضرت فاشهدنا. فأرسل إليها السلام، ويقول: «إن لله ما أخذ وما أعطى، وكل شيء عنده مسمى، فلتحسب ولتصبر»<sup>(٢)</sup>.

فما قدر لا يمكن رفعه، وما لم يقدر لا يمكن جلبه، فإذا علمت هذا كنت راضياً بالقدر تماماً، إن أصبت بمرض قلت: الحمد لله، أنا عبد لله، يفعل بي ما شاء.

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦٦/٤)، وفي شعب الإيمان (٩٩٧٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المرضى، باب عيادة الصبيان، رقم (٥٣٣١).

فلا تَجِدُ أَحَدًا أَشَدَّ طُمَأْنِينَةً فِي الْمَقْدُورِ مِمَّنْ آمَنَ بِالْقَدَرِ، فَعَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»<sup>(١)</sup>.

فَإِذَا أُرِدْتَ الْعِيشَةَ الطَّيِّبَةَ، وَالْهَنَاءَ وَالسَّرُورَ؛ فَعَلَيْكَ بِتَحْقِيقِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ، إِنْ كَانَ سَرَاءً فَاشْكُرْ، وَإِنْ كَانَ ضَرَاءً فَاصْبِرْ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهَذِهِ الطُّمَأْنِينَةُ.

الخَامِسُ: لِأَنَّ بِهِ يَنْتَفِي الْإِعْجَابُ بِالنَّفْسِ عِنْدَ حُصُولِ الْمَرَادِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حُصُولَهُ بِقَدْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَأَنَّ عَمَلَهُ لَيْسَ إِلَّا سَبَبًا يَسَّرُهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ.

فكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا حَصَلَ مَرَادُهُ؛ فَإِنَّهُ يَنْسَبُ هَذَا إِلَى نَفْسِهِ، يَقُولُ: أَنَا الَّذِي فَعَلْتُ. وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ ضَرَرٌ عَلَى الْإِنْسَانِ؛ وَهَذَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يَقُولُ: إِنَّمَا أُوتَيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي؛ لِأَنَّهُ مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ، فَإِذَا آمَنَ بِالْقَدَرِ قُلْتُ: هَذَا بِقَدْرِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا إِلَّا سَبَبٌ قَدْ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ الْمَسَبَّبُ. لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ سَبَبٍ يَحْصُلُ بِهِ الْمَسَبَّبُ، فَقَدْ يُوجَدُ السَّبَبُ وَلَا يُوجَدُ الْمَسَبَّبُ شَرْعًا وَقَدَرًا.

فَالدُّعَاءُ يَرْفَعُ الْقَضَاءَ، فَكُم مِّنَ الْمَصَائِبِ ارْتَفَعَتْ بِالْدُّعَاءِ! وَكُم مِّنْ نِّعَمٍ جَلَبَهَا الدُّعَاءُ! كَمَا أَنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ مِّنْ أَسْبَابِ طَوْلِ الْعُمُرِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ. فَالَّذِي كُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ سَيَدْعُو وَيَرْتَفِعُ عَنْهُ الْقَضَاءُ، فَالِدُّعَاءُ مَكْتُوبٌ وَآثَارُهُ مَكْتُوبَةٌ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم (٢٩٩٩).

وَالِى هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يُشِيرُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿[الحديد: ٢٢-٢٣]﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا نظير قول النبي: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»<sup>(١)</sup>، قيل: المرادُ هنا البركةُ في العُمُر.

ونحن نقول: هو تأخير الأجل، لكن الذي كُتِبَ أَنَّ هَذَا سَيَصِلُ رَحِمُهُ وَيَمْتَدُّ عُمُرُهُ وَيَتَّسِعُ رِزْقُهُ.

فعند حصولِ المرادِ يَعْلَمُ أَنَّ حصوله بقدرِ الله، وأن عمله ليس إلا مجرد سببٍ يَسْرُهُ اللهُ لَهُ.

[١] قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ مثلُ الجذبِ وعدمِ الإنباتِ، وغير ذلك مما هو يُصِيبُ الأرضَ، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: مِنَ المرضِ وفقدِ الأحبابِ، وفقدِ الأموالِ، وما أشبه ذلك، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾: أي: في اللوحِ المحفوظِ، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾: الهاءُ اختلفَ العلماءُ في تفسيرِها: فقيل: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَ المصيبةَ، أي نَخْلُقُهَا.

وقيل: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَ أَنْفُسَكُمْ.

وقيل: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَ الأرضَ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، رقم (١٩٦١)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٧).

وَالصَّوَابُ: أَنَّهُ قَبْلَ هَذَا كُلِّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا الْحِكْمَةَ مِنْ بَيَانِهِ فَقَالَ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ أَي: بَيَّنَّا هَذَا لِكَيْ لَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ بِمَا تُحِبُّونَ، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أَي: بِمَا أَعْطَاكُمْ، وَالْمَرَادُ فَرَحُ الْبَطْرِ، وَأَمَّا فَرَحُ الشُّرُورِ مَعَ التَّقِيدِ بِشَرِيعَةِ اللَّهِ فَهَذَا مَحْمُودٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، فالمرادُ هنا فَرَحُ الشُّرُورِ بِالنِّعْمَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أَي: كُلَّ مُخْتَالٍ فِي هَيْئَتِهِ، فَخُورٍ بِلِسَانِهِ، يَقُولُ: أَنَا فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَالْمُخْتَالُ بَهَيْئَتِهِ، بَأَنَّهُ تَجَدَّ عِنْدَهُ اخْتِيَالًا فِي الْهَيْئَةِ، وَتَجَدَّ عِنْدَهُ اخْتِيَالًا فِي اللَّبَاسِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَالِإِعْجَابُ بِالنَّفْسِ مُطْلَقٌ؛ لِأَنَّ الْمُعْجَبَ بِنَفْسِهِ، مَعْنَاهُ الَّذِي يَنْسُبُ الْخَيْرَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَطْ، دُونَ أَنْ يَذْكُرَ فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَمَّا لَوْ سَرَّهُ فَعَلَّ نَفْسِهِ؛ فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ.

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَطَبَ بِالْجَائِيَةِ، فَقَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامِي فِيكُمْ، فَقَالَ: «اسْتَوْصُوا بِأَصْحَابِي خَيْرًا، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَبْتَدِئُ بِالشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ بِحَبْحَحَةٍ الْجَنَّةَ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، لَا يَخْلُونَ أَحَدُكُمْ بِأَمْرَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا، وَمَنْ سَرَّهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتُهُ سَيِّئَتُهُ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١٨/١ رقم ١١٤)، والترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٢١٦٥).

وَلَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ أَيْضًا مِنَ الْإِيمَانِ بِالشَّرْعِ، وَهُوَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِمَا مِنَ الْجَزَاءِ ثَوَابًا أَوْ عِقَابًا، فَيَقُومُ بِمَا يُلْزِمُهُ نَحْوُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَيُؤْمِنُ بِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِمَا مِنَ الْجَزَاءِ وَالْآثَارِ<sup>[١]</sup>.

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُرِيدٌ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ فِعْلٍ يُدْرِكُ بِهِ مَا يُرِيدُ، وَيَدْفَعُ بِهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ صَابِطٍ يَضْبِطُ تَصَرُّفَهُ؛ لِئَلَّا يَقَعَ فِيهَا يَضُرُّهُ، أَوْ يَقُوتَهُ مَا يَنْفَعُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، وَالشَّرْعُ الْإِلَهِيُّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ هُوَ الَّذِي يَضْبِطُ ذَلِكَ، وَيُصْدِرُ الْحُكْمَ بِهِ، وَيَكُونُ بِهِ التَّمْيِيزُ بَيْنَ النَّافِعِ وَالضَّارِّ، وَالصَّالِحِ وَالْفَاسِدِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، الْعَلِيمِ، الرَّحِيمِ، الْحَكِيمِ.

[١] لَا يَكْفِي أَنْ يُؤْمِنَ الْإِنْسَانُ بِالْقَدَرِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يُؤْمِنَ بِالشَّرْعِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَسْتَقِيمَ أَحْوَالُ النَّاسِ إِلَّا بِالشَّرْعِ.

فَكُلُّ بَنِي آدَمَ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، بَرُّهُمْ وَفَاجِرُهُمْ، فَاسِقُهُمْ وَمُسْتَقِيمُهُمْ لَهُ شَرْعٌ، فَقَوَائِنُ الْكَفْرِ الْوَضْعِيَّةُ تُعْتَبَرُ شَرْعًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، فيُقَالُ: تَشْرِيعٌ قَانُونِيٌّ، وَتَشْرِيعٌ نَبَوِيٌّ، فَكُلُّ أُمَّةٍ لَا بُدَّ أَنْ يُشْرَعَ لَهَا.

فَإِذَا سَأَلَ سَائِلٌ: مَا الشَّرْعُ الَّذِي يُقِيمُهُ الْخَلْقُ؟

فَالْجَوَابُ: لَا شَكَّ أَنَّ الشَّرْعَ الَّذِي يُقِيمُهُ الْخَلْقُ، هُوَ مَا شَرَعَهُ لَهُمْ خَالِقُهُمْ عَزَّوَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِهِمْ، وَلِأَنَّهُ أَرْحَمُ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلِأَنَّهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وَالْعُقُولُ وَإِنْ كَانَتْ تُدْرِكُ النَّافِعَ وَالضَّارَّ فِي الْجُمْلَةِ، لَكِنَّ تَفْصِيلَ ذَلِكَ  
وَالْإِحَاطَةَ بِهِ إِحَاطَةٌ تَامَّةٌ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ<sup>[١]</sup>.

وَهَذَا نَقُولُ: النَّفْعُ أَوْ الضَّرَرُ قَدْ يَكُونُ مَعْلُومًا بِالْفِطْرَةِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْلُومًا  
بِالْعَقْلِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْلُومًا بِالتَّجَارِبِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْلُومًا بِالشَّرْعِ. فَالشَّرْعُ يَأْتِي  
مُؤَيَّدًا لِمَا شَهِدَتْ بِهِ الْفِطْرَةُ وَالْعَقْلُ وَالتَّجَارِبُ، وَهَذِهِ تَأْتِي شَاهِدَةً لِمَا جَاءَ بِهِ  
الشَّرْعُ. وَفِي هَذَا الْمَقَامِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْأَعْمَالِ هَلْ يُعْرَفُ حُسْنُهَا وَقُبْحُهَا  
بِالشَّرْعِ أَوْ بِالْعَقْلِ؟

وَالْتَحْقِيقُ: أَنَّ ذَلِكَ يُعْرَفُ تَارَةً بِالشَّرْعِ، وَتَارَةً بِالْعَقْلِ، وَتَارَةً بِهِمَا، لَكِنَّ  
عِلْمَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الشُّمُولِ وَالتَّفْصِيلِ، وَعِلْمُ غَايَاتِ الْأَعْمَالِ فِي الْآخِرَةِ مِنْ  
سَعَادَةٍ وَشَقَاءٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِالشَّرْعِ<sup>[٢]</sup>.

[١] كُلُّ إِنْسَانٍ مُرِيدٌ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ الْيَحْصِبِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:  
«خَيْرُ الْأَسْمَاءِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ الْحَارِثُ وَهَمَامٌ»<sup>(١)</sup>، أَي: كُلُّ  
إِنْسَانٍ عِنْدَهُ هِمَّةٌ وَإِرَادَةٌ، كُلُّ إِنْسَانٍ لَهُ عَمَلٌ، هَذَا الْعَمَلُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَضْبُوطًا بِالشَّرْعِ؛  
صَارَ فَوْضَى.

فَلذَلِكَ: لَا بُدَّ مِنَ الشَّرْعِ، وَكُلُّ أُمَّةٍ لَهَا شَرْعٌ، إِذْ لَا يُمَكِّنُ ضَبْطُ الْأُمَمِ إِلَّا بِهَا،  
لَكِنْ مَا خَالَفَ الشَّرْعَ الْإِسْلَامِيَّ فَهُوَ شَرٌّ لَا يَصْلُحُ لِلخَلْقِ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ مَا يَصْلُحُ لِلخَلْقِ  
مَوْجُودٌ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

[٢] الْمَنَافِعُ وَالْمَضَارُّ بَعْضُهَا يُعْرَفُ بِالْعَقْلِ، وَبَعْضُهَا يُعْرَفُ بِالتَّجَارِبِ، وَبَعْضُهَا



يُعرف بالشرع، بِمَعْنَى أَنَّ بَعْضَهَا نَصٌّ عَلَيْهِ الشَّرْعُ فَعُلِمَ، وَقَدْ يَجْتَمِعُ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ، فَشُرْبُ الْخَمْرِ مَثَلًا عُلِمَ بِالْشَّرْعِ أَنَّهُ ضَارٌّ، وَبِالتَّجَارِبِ أَنَّهُ ضَارٌّ؛ لَمَا يَتَرْتَبُ عَلَى السُّكْرِ مِنْ مَفَاسِدَ عَظِيمَةٍ.

كَذَلِكَ يُعْرَفُ الضَّرَرُ بِالْحِسِّ، فَالْإِنْسَانُ مَثَلًا إِذَا اتَّكَأَ عَلَى حَدِيدَةٍ حَادَّةٍ؛ يَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَضُرُّهُ بِطَرِيقِ الْحِسِّ.

وَقَدْ يَكُونُ بِالْعَقْلِ، كَأَن يُوزَنَ الْإِنْسَانُ بَيْنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ، فِي أَيِّ شَيْءٍ لَمْ يَنْصَ عَلَيْهِ الشَّرْعُ.

لَكِنَّ الشَّرْعَ يُؤَيِّدُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْمَقْرَّرَةِ، أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَعَاضَّصَ صَحِيحُ الْمَقُولِ مَعَ صَرِيحِ الْمَقُولِ أَبَدًا.



## فصل

إِذَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ وَالْإِيمَانِ بِالشَّرْعِ، فَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ انْقَسَمُوا فِي ذَلِكَ إِلَى قِسْمَيْنِ:

القِسْمُ الْأَوَّلُ: أَهْلُ الْهُدَى وَالْفَلَاحِ الَّذِينَ آمَنُوا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ مِنَ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ، وَآمَنُوا أَيْضًا بِشَرْعِهِ فَقَامُوا بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَآمَنُوا بِمَا تَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ جَزَاءٍ وَأَثَارٍ، وَلَمْ يَحْتَجُّوا بِقَدَرِهِ عَلَى شَرْعِهِ، أَوْ بِشَرْعِهِ عَلَى قَدَرِهِ، وَلَمْ يَجْعَلُوا ذَلِكَ تَنَاقُضًا مِنَ الْخَالِقِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، الْمُؤْمِنُونَ بِمُقْتَضَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]<sup>[١]</sup>.

[١] الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنْ أَهْلِ الْهُدَى وَالصَّلَاحِ، آمَنُوا بِالْقَدَرِ وَالشَّرْعِ، وَلَمْ يَجْعَلُوا الْقَدَرَ حُجَّةً عَلَى الشَّرْعِ، بَلْ آمَنُوا بِهِذَا وَهَذَا، وَقَامُوا بِأَوَامِرِ اللَّهِ ففَعَلُوهَا، وَقَامُوا بِالنَّوَاهِي فَاجْتَنَبُوهَا بِقَدْرِ الْإِسْطَاعَةِ.

وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِأَنَّ كُلَّ مَا يَقَعُ مِنَّا فَهُوَ بِقَدْرِ اللَّهِ، وَنُؤْمِنُ بِالشَّرْعِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُلْزِمْنَا بِمَا لَا نَسْتَطِيعُ، فَتَنَفَّى الْجَبَرَ وَنُؤْمِنُ بِقَدْرِ اللَّهِ.

يَقُولُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هُمْ الَّذِينَ حَقَّقُوا مَقَامَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]»، (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فِي الشَّرْعِ، وَ(إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فِي الْقَدَرِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْإِسْتَعَانَةِ طَلِبُ الْعَوْنِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْإِنْسَانَ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَآمَنُوا أَيْضًا بِمُقْتَضَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، (الْخَلْقُ) بِاعْتِبَارِ الْقَدَرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَ(الْأَمْرُ) بِاعْتِبَارِ الشَّرْعِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: أَهْلُ الضَّلَالِ وَالْهَلَاكِ الْمُخَالِفُونَ لِلْجَمَاعَةِ، وَهُمْ ثَلَاثُ فِرَقٍ: مَجُوسِيَّةٌ، وَمُشْرِكِيَّةٌ، وَإِبِلِيسِيَّةٌ.

فَالْمَجُوسِيَّةُ: هُمْ الْقَدَرِيَّةُ الَّذِينَ آمَنُوا بِشَرَعِ اللَّهِ، وَكَذَّبُوا بِقَدَرِهِ، فَغُلَّابُهُمْ أَنْكَرُوا عُمُومَ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُقَدِّرْ أَعْمَالَ الْعِبَادِ، وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهَا قَبْلَ وَقُوعِهَا، وَمُقْتَصِدُوهُمْ آمَنُوا بِعِلْمِ اللَّهِ بِهَا قَبْلَ وَقُوعِهَا، وَأَنْكَرُوا أَنَّ تَكُونَ وَاقِعَةً بِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ تَكُونَ مَخْلُوقَةً لَهُ.

وَهَؤُلَاءِ هُمْ الْمُعْتَزِلَةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ. وَمَذْهَبُهُمْ بَاطِلٌ بِمَا سَبَقَ فِي أُدْلَةٍ مَرَاتِبِ الْقَدَرِ<sup>[١]</sup>.

[١] المَجُوسِيَّةُ هُمُ الْقَدَرِيَّةُ، وَسُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْخَوَاصِثَ لَهَا خَالِقَانِ:

فَأَفْعَالُ اللَّهِ خَلَقَهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، كإِنزَالِ الْمَطَرِ، وَإِنْبَاتِ النَّبَاتِ.

وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلَقَهَا الْعِبَادُ، وَلَا عِلَاقَةَ لِلَّهِ بِهَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَقَعَ، لَكِنَّهُ لَمْ يُقَدِّرْهَا وَلَمْ يَشَأْهَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِهَا. فَأَنْكَرُوا عُمُومَ عِلْمِ اللَّهِ وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَفْعَالِهِ فَقَطْ.

فَإِنْ أَنْكَرُوا عِلْمَ اللَّهِ كَفَرُوا؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، فَكَذَّبُوا هَذِهِ الْآيَةَ، وَإِنْ أَقْرَبُوا بِهِ خُصِمُوا، أَيُّ: قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ.

إِذَا قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِهَا. نَقُولُ: هَلْ وَقَعَتْ عَلَى مَعْلُومِهِ أَوْ عَلَى خِلَافِ مَعْلُومِهِ؟

وَالْمُشْرِكِيَّةُ هُمْ: الَّذِينَ أَقْرُوا بِقَدْرِ اللَّهِ وَاحْتَجُّوا بِهِ عَلَى شَرْعِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] <sup>[١]</sup>.

وَالْإِبْلِيسِيَّةُ هُمْ: الَّذِينَ أَقْرُوا بِالْأَمْرَيْنِ: بِالْقَدْرِ وَبِالشَّرْعِ، لَكِنْ جَعَلُوا ذَلِكَ تَنَاقُضًا مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَطَعَنُوا فِي حِكْمَتِهِ تَعَالَى، وَقَالُوا: كَيْفَ يَأْمُرُ الْعِبَادَ وَيَنْهَاهُمْ، وَقَدْ قَدَّرَ عَلَيْهِمْ مَا قَدَّرَ مِمَّا قَدْ يَكُونُ مُخَالِفًا لِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ؟ فَهَلْ هَذَا إِلَّا التَّنَاقُضُ الْمَحْضُ وَالتَّصَرُّفُ الْمُنَافِي لِلْحِكْمَةِ؟ وَهَؤُلَاءِ أَتْبَاعُ إِبْلِيسَ فَقَدْ اخْتَجَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ حِينَ أَمَرَهُ أَنْ يَسْجُدَ لِآدَمَ.....

فَإِنْ قَالُوا: عَلَى مَعْلُومِهِ. قُلْنَا: مَا دَامَتْ عَلَى مَعْلُومِهِ فَهِيَ بِإِرَادَتِهِ، إِذْ لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ.

وَإِنْ قَالُوا: عَلَى خِلَافِ مَعْلُومِهِ. أَنْكُرُوا الْعِلْمَ وَكْفَرُوا.

وَلَوْ سَأَلْتَ عَامِّيًّا مِنَ النَّاسِ: هَلْ أَفْعَالُكَ قَدَّرَهَا اللَّهُ أَوْ لَا؟

قَالَ: نَعَمْ، قَدَّرَهَا اللَّهُ؛ لِأَنِّي أَنَا وَأَفْعَالِي خَلَقَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

[١] هَؤُلَاءِ آمَنُوا بِالْقَدْرِ وَقَالُوا: كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ. وَهَذَا حَقٌّ، لَكِنَّهُمْ احْتَجُّوا بِالْقَدْرِ عَلَى الشَّرْعِ، وَقَالُوا: كَيْفَ يُلْزِمُنَا اللَّهُ بِشَيْءٍ لَا نَسْتَطِيعُهُ لِأَنَّهُ مُقَدَّرٌ.

وَقَدْ أَبْطَلَ اللَّهُ تَعَالَى حُجَّتَهُمْ فَقَالَ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وَوَجْهُ الْإِبْطَالِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ عَذْرُهُمْ مَقْبُولًا؛ مَا ذَاقُوا مِنَ الْبَاسِ.

فَقَالَ إِبْلِيسُ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]<sup>[١]</sup>.

وَالرَّدُّ عَلَى هَاتَيْنِ الْفِرْقَتَيْنِ مَعْلُومٌ مِنَ الرَّدِّ عَلَى الْمُحْتَجِّينَ بِالْقَدَرِ عَلَى مَعْصِيَةِ  
اللَّهِ تَعَالَى<sup>[٢]</sup>.

[١] هَذَا تَنَاقُضٌ، فَكَيْفَ تَأْمُرُنِي أَنْ أَسْجُدَ لَهُ وَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ؟! فَاحْتَجَّ بِالْقَدَرِ  
عَلَى التَّنَاقُضِ، مَعَ أَنَّ قَوْلَهُ: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ. دَعَا، وَكُلُّ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ  
مِنْ فُلَانٍ.

[٢] يَتَبَيَّنُ أَنَّ النَّاسَ فِي الْوَاقِعِ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: أَهْلُ الْهُدَى وَالصَّلَاحِ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: الْمَجُوسِيَّةُ.

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ: الْمَشْرِكِيَّةُ.

وَالْقِسْمُ الرَّابِعُ: الْإِبْلِيسِيَّةُ.



## فصل

وَأَمَّا الشَّرْعُ فَهُوَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خَلَقَ اللَّهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وَذَلِكَ هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فَالْإِسْلَامُ هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ وَخَدَهُ بِالطَّاعَةِ؛ فِعْلًا لِلْمَأْمُورِ، وَتَرْكًا لِلْمَحْظُورِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ كَانَتِ الشَّرِيعَةُ فِيهِ قَائِمَةً، وَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ بِالْمَعْنَى الْعَامَّةِ. وَعَلَى هَذَا يَكُونُ أَصْحَابُ الْمِلَلِ السَّابِقَةِ مُسْلِمِينَ حِينَ كَانَتْ شَرَائِعُهُمْ قَائِمَةً لَمْ تُنْسَخْ<sup>[١]</sup>.

[١] الشَّرْعُ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَالرُّسُلُ جَاءَتْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِخْلَاصِهَا لِلَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وَهَذَا هُوَ الَّذِي خُلِقَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَالْإِسْلَامُ هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ وَخَدَهُ، فَهُوَ فِعْلٌ لِلْمَأْمُورِ وَتَرْكٌ لِلْمَحْظُورِ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ كَانَتِ الشَّرِيعَةُ فِيهِ قَائِمَةً.

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نُوحٍ وَهُوَ يُخَاطَبُ قَوْمَهُ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وَقَالَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]<sup>[١]</sup>.

وَقَالَ أَيُّضًا: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣١-١٣٢]<sup>[٢]</sup>.

إِذَنْ: قَوْمُ نُوحٍ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ مُسْلِمُونَ، وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ مُوسَى وَقَوْمُ عِيسَى كُلُّهُمْ مُسْلِمُونَ؛ لِأَنَّهُمْ اسْتَسْلَمُوا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي وَقْتٍ كَانَتْ شَرَائِعُهُمْ قَائِمَةً.

[١] إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنَازَعَهُ كُلُّ الْمِلَلِ، فَالْيَهُودُ يَقُولُونَ: نَحْنُ أَتْبَاعُهُ. وَالنَّصَارَى يَقُولُونَ: نَحْنُ أَتْبَاعُهُ.

فَنَقَى اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ وَقَالَ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، هَذِهِ الْحَنِيفَةُ، وَالْإِسْلَامُ أَمَرْنَا أَنْ نَتَّبِعَهُ فِيهَا، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

[٢] وَإِنَّمَا نَصَّ عَلَى يَعْقُوبَ مَعَ أَنْ يَعْقُوبَ مِنْ بَنِي إِبْرَاهِيمَ؛ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ جَدُّ يَعْقُوبَ، لَكِنْ يَعْقُوبَ هُوَ إِسْرَائِيلُ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُتِمَّ الْحُجَّةَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّ آبَاهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ مُسْلِمًا وَوَصَّى بِهَا بَنِيهِ فَقَالَ: ﴿يَبْنِي إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وَقَالَ عَنْ مُوسَى فِي مُحَاطَبَتِهِ قَوْمَهُ: ﴿وَقَالَ مُوسَى بِقَوْمٍ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]. وَقَالَ عَنِ التَّوْرَةِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

وَقَالَ فِي الْحَوَارِيِّينَ أَتْبَاعَ عِيسَى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِوَيْرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

وَقَالَ عَنْ مَلَكَهٖ سَبِيًّا: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وَأَمَّا الْإِسْلَامُ بِالْمَعْنَى الْخَاصِّ فَيَخْتَصُّ بِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّا صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أَمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] <sup>[١]</sup>.

وَقَالَ فِي أُمَّتِهِ: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].

فَلَا إِسْلَامَ بَعْدَ بَعْثِهِ إِلَّا بِاتِّبَاعِهِ، لِأَنَّ دِينَهُ مُهَيَّمٌ عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا ظَاهِرٌ عَلَيْهَا، .....

وهؤلاء الذين من بني إسرائيل كفروا ولم يقبلوا وصية أبيهم، فهذه الحكمة في أنه تعالى نص على يعقوب، مع أنه داخل في بني إبراهيم.

[١] إذا قال قائل: كيف يقول: أنا أول المسلمين مع أن هناك إسلامًا سبق؟

والجواب: هذا الإسلام الخاص؛ ليتبين أن لا إسلام إلا شريعة محمد، لأنه أول مسلم، وما سبق ليس بإسلام بعد وجود هذا الإسلام.



وَشَرِيعَتُهُ نَاسِخَةٌ لِلشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ كُلِّهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] <sup>(١)</sup>.

وَالَّذِي جَاءَ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَ الرُّسُلِ قَبْلَهُ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]، وَهَذَا يَعُمُّ الظُّهُورَ قَدْرًا وَشَرْعًا.

[١] أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ كُلِّهِمْ، وَيَدْخُلُ فِيهِمُ الرُّسُلُ، ﴿لَمَّا ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾، وَهَذَا الْعَهْدُ ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، وَهَذَا الْعَهْدُ أَقْرَأُ بِهِ، ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي وَالْإِصْرُ أَيُّ الشَّيْءِ الثَّقِيلِ، ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

ولهذا: لما كانت ليلة الإسراء وحضر الرُّسُلُ، كان إمامهم مُحَمَّدًا ﷺ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ أَتْبَاعٌ لَهُ، وَيُذَكِّرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ صَحِيفَةً مِنَ التَّوْرَةِ فغَضِبَ، وَقَالَ: «لَوْ أَنَّ مُوسَىٰ كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي» <sup>(١)</sup>.

وهَذَا فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، فَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى تَفَضَّلَ عَلَىٰ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ بِهِذِهِ الرِّسَالَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالْهَيْمَنَةِ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَدْيَانِ السَّابِقَةِ، فَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ.

فَمَنْ بَلَغَتْهُ رِسَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ وَتَبِعَهُ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا وَلَا مُسْلِمًا، بَلْ هُوَ كَافِرٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ - يَعْنِي: أُمَّةَ الدَّعْوَةِ - يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>.

وَبِهَذَا يُعْلَمُ أَنَّ النَّزَاعَ فِيْمَنْ سَبَقَ مِنَ الْأُمَمِ: هَلْ هُمْ مُسْلِمُونَ أَوْ غَيْرُ مُسْلِمِينَ؟ نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ بِالْمَعْنَى الْعَامِّ يَتَنَاوَلُ كُلَّ شَرِيعَةٍ قَائِمَةٍ بَعَثَ اللَّهُ بِهَا نَبِيًّا، فَيَشْمَلُ إِسْلَامَ كُلِّ أُمَّةٍ مُتَّبِعَةٍ لِنَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا دَامَتْ شَرِيعَتُهُ قَائِمَةً غَيْرَ مَنْسُوخَةٍ بِالِاتِّفَاقِ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ النُّصُوصُ السَّابِقَةُ، وَأَمَّا بَعْدَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَخْتَصُّ بِمَا جَاءَ بِهِ، فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ وَتَبِعَهُ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ<sup>(١)</sup>.

[١] الْإِسْلَامُ بَعْدَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ: هُوَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، وَمَا سِوَاهُ لَيْسَ بِإِسْلَامٍ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ شَيْءٌ مِنَ الْإِشْكَالِ، فَقَوْلُهُ: «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ»، أَيِ: أُمَّةِ الدَّعْوَةِ، لِأَنَّ هُنَاكَ أُمَّةً إِجَابِيَّةً وَأُمَّةً دَعْوِيَّةً. فَأُمَّةُ الدَّعْوَةِ: كُلُّ مَنْ كَانَ بَعْدَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ مُوجَّهَةً إِلَيْهِ، وَأُمَّةُ الْإِجَابَةِ: هُمُ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.

وقوله ﷺ: «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ» ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّهُ إِذَا سَمِعَ وَلَمْ يُؤْمِنْ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ؛ لَكِنْ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ عَلَى وَجْهِ صَحِيحٍ: فَهَلْ نَحْكُمُ بِأَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، رقم (١٥٣).

النَّارِ؛ لعمومِ قوله: «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ»؟ أو نقول: إِنَّ هَذَا مَعذُورٌ؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ الْحَقَّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ؟

الجوابُ: الواجبُ عليه أَنْ يَلْتَمَسَ الْحَقَّ، مَا دَامَ بَلَغَهُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولٌ إِلَيْهِ، فَيَكُونُ مُفَرِّطًا بَعْدَ طَلَبِ الْعِلْمِ.

واعلم أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَ الْإِيمَانُ وَحْدَهُ شَمِلَ الْإِسْلَامَ، وَإِذَا ذُكِرَ الْإِسْلَامُ وَحْدَهُ شَمِلَ الْإِيمَانَ، وَإِذَا ذُكِرَا جَمِيعًا صَارَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ، وَالْفَرْقُ هُوَ مَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِجَبْرِيلَ حَيْثُ قَالَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»<sup>(١)</sup>.

وَوَرَقَةُ بْنُ تَوْفَلٍ آمَنَ بِلَا شَكٍّ؛ لَأَنَّهُ قَالَ: «وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنُصْرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا»<sup>(٢)</sup> وَأَقْرَبِهِ.

ولكن: هل نقول: هو أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

والجوابُ: لا؛ لَأَنَّهُ آمَنَ بِالنُّبُوَّةِ قَبْلَ أَنْ يُرْسَلَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلِهَذَا كَانَ إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنَ النِّسَاءِ، وَمِنَ الرِّجَالِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٨).

(٢) أخرجه البخاري: بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (١٦٠).

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ مَعَ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ دِينًا سِوَاهُ قَائِمًا مَقْبُولًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ دِينِ الْيَهُودِ، أَوْ النَّصَارَى، أَوْ غَيْرِهِمَا فَهُوَ مُكَذِّبٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَإِذَا كَانَ الْإِسْلَامُ اتِّبَاعَ الشَّرِيعَةِ الْقَائِمَةِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا نُسِخَ شَيْءٌ مِنْهَا لَمْ يَكُنِ الْمُنْسُوخُ دِينًا بَعْدَ نَسْخِهِ وَلَا اتِّبَاعُهُ إِسْلَامًا.

فَاسْتِقْبَالُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ -مَثَلًا- كَانَ دِينًا وَإِسْلَامًا قَبْلَ نَسْخِهِ، وَلَمْ يَكُنْ دِينًا وَلَا إِسْلَامًا بَعْدَهُ، وَزِيَارَةُ الْقُبُورِ لَمْ تَكُنْ دِينًا وَلَا إِسْلَامًا حِينَ النَّهْيِ عَنْهَا، وَكَانَتْ دِينًا وَإِسْلَامًا بَعْدَ الْأَمْرِ بِهَا<sup>[١]</sup>.

فَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ نَصَّ عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ ﷺ بِإِيْمَانِهِمْ، وَمَنْ سِوَاهُمْ نَقُولُ: إِنَّهُمْ فِي حُكْمِ الدُّنْيَا كُفَّارٌ، وَفِي حُكْمِ الْآخِرَةِ مُتَمَتِّحُونَ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَمَنْ أَطَاعَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَى دَخَلَ النَّارَ.

وَالَّذِينَ لَمْ تَبْلُغْهُمْ الدَّعْوَةُ كَذَلِكَ هُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، وَفِي الْآخِرَةِ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَقَدْ يُعْذَرُونَ لِأَنَّهُمْ يَقْتَدُونَ بِعُلَمَائِهِمْ، وَقَدْ لَا يُعْذَرُونَ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوا وَيَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَيَنْظُرُوا.

[١] هَذَا فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ: أَنَّ الْمُنْسُوخَ مِنَ الشَّرِيعَةِ لَا يُعْتَبَرُ دِينًا.

فَاسْتِقْبَالُ النَّبِيِّ ﷺ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثَابِتٌ، فَحِينَ هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ صَارَ يَسْتَقْبَلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ لِمُدَّةٍ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ أُمِرَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَاسْتَقْبَالَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ

لا يُعتبر ديناً بعد أن نُسخَ، ولو أنَّ أحدًا استقبل بيت المقدس لقلنا: بطلت صلاته.  
وهناك عبارات يتناقلها بعض الناس ويقولون في بيت المقدس: إنه ثالث الحرمين، وأولى القبلتين. فيتوهم السامع أن لبيت المقدس حرماً، ويتوهم أن استقبال بيت المقدس باقٍ؛ لأنَّ أولى القبلتين معناه أنَّ القبلتين باقيتان، وهذه عبارات يأتون بها من أجل تحميس الناس على إنقاذ بيت المقدس من اليهود، لكن التحميس لا بُدَّ أن يكون مبنياً على أساسي.

ولذلك كان النبي ﷺ وهو يستقبل بيت المقدس، كان يتمنى أن يُنسخ ذلك، قال الله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاوَاتِ فَلَنَوَلَّيَنَّكَ فِتْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فليس إلا قبلة واحدة، وهي الكعبة.

فاستقبال بيت المقدس كان ديناً ثم نُسخَ، فصار ليس بدين.

وكذلك زيارة القبور، كانت في الأول غير دين، ونُسخ النهي فصارت ديناً؛ لأنَّ النبي ﷺ صرح، فقال: «إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، رقم (٩٧٧).

## فصل

مَبْنَى الْإِسْلَامِ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، وَلَا بُدَّ فِي التَّوْحِيدِ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ وَحْدَهُ تَعْطِيلٌ، وَالْإِثْبَاتَ وَحْدَهُ لَا يَمْنَعُ الْمُشَارَكَةَ، فَلَا تَوْحِيدَ إِلَّا بِنَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ<sup>١</sup>.

وَقَدْ قَسَّمَهُ الْعُلَمَاءُ -بِالتَّبَعِ وَالِاسْتِقْرَاءِ- إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: تَوْحِيدُ الْأَلُوْهِيَّةِ.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ﴾، وَالْمَعْنَى: فَاسْأَلُوا، فَيَكُونُ الْاسْتِفْهَامُ بِمَعْنَى الْأَمْرِ.

وَلَا بُدَّ فِي التَّوْحِيدِ مِنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ الْمَحْضَ تَعْطِيلٌ، وَالْإِثْبَاتَ الْمَحْضَ لَا يَمْنَعُ الْمُشَارَكَةَ، فَإِذَا قُلْتَ: لَيْسَ فِي الْبَيْتِ قَائِمٌ. فَهَذَا نَفْيٌ مَحْضٌ، إِذَا الْقِيَامُ مَعْدُومٌ، وَإِذَا قُلْتَ: فِي الْبَيْتِ رَجُلٌ قَائِمٌ. فَهَذَا إِثْبَاتٌ لَكِنْ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مُشَارِكٌ قَائِمٌ فِي الْبَيْتِ.

وَإِذَا قُلْتَ: لَا قَائِمٌ فِي الْبَيْتِ إِلَّا فُلَانٌ. صَارَ تَوْحِيدًا، وَالتَّوْحِيدُ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: جَعَلُ الشَّيْءِ وَاحِدًا لَا يُشَارِكُهُ غَيْرُهُ.

وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَقْسَامَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاضْطِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]<sup>[١]</sup>.

[١] التَّوْحِيدُ قِسْمُهُ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَالثَّانِي: تَوْحِيدُ الْأَلُوْهِيَّةِ.

وَالثَّالِثُ: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَالدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاضْطِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

فَقَوْلُهُ: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هَذَا تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاضْطِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ هَذَا تَوْحِيدُ الْأَلُوْهِيَّةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ هَذَا تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَالْمَعْنَى: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ مَنْ يُسَامِيهِ وَيُمَاثِلُهُ؟ الْجَوَابُ: لَا.

وَنَادَى بَعْضُهُمْ بِتَوْحِيدِ الْحَاكِمِيَّةِ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ لَا حَاكِمَ إِلَّا اللَّهُ، وَهَذَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْحَاكِمِيَّةَ دَاخِلَةٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ بِاعْتِبَارِهَا مِنْ فِعْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَفِي الْعِبَادَةِ بِاعْتِبَارِهَا مِنْ فِعْلِ الشَّخْصِ.

وَزَادَ بَعْضُهُمْ أَيْضًا تَوْحِيدَ الْمَتَابَعَةِ، وَهَذَا خَطَأٌ؛ لِأَنَّ تَوْحِيدَ الْمَتَابَعَةِ لَا يَتَعَلَّقُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، بَلْ يَتَعَلَّقُ بِتَوْحِيدِ الطَّرِيقِ، وَلَا تَتَّبِعُ إِلَّا طَرِيقَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

إِذَنْ: لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّنَا مَتَى أَقْرَضْنَا اللَّهَ تَعَالَى بِالرُّبُوبِيَّةِ؛ لَزِمْنَا أَلَّا نَعْبُدَ اللَّهَ إِلَّا بِمَا شَرَعَ عَلَى أَيْدِي رُسُلِهِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

فَأَمَّا تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: فَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْخَلْقِ، وَالْمُلْكِ، وَالتَّدْبِيرِ.  
وَمِنْ أَدِلَّتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾  
[الأعراف: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٨٩]، وَقَوْلُهُ:  
﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ  
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ۖ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ  
عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٢-٢٣].

وَهَذَا قَدْ أَقَرَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا قَالَ اللَّهُ  
تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ  
مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ  
وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بَلْ أَنْتَنَّهُمْ بِالْحَقِّ  
وَأَنْتَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٩٠]<sup>[١]</sup>.

[١] هَذِهِ أَدَلَّةُ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾  
[الأعراف: ٥٤]، فَ(الْخَلْقُ) مَعْرُوفٌ، فَهُوَ خَالِقُ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ عَزَّوَجَلَّ، وَ(الْأَمْرُ) تَدْبِيرُهَا،  
فَهُوَ الْمُدَبِّرُ لَهَا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٨٩]، وَهنا قَدَّمَ الْخَبَرَ،  
وَالْخَبَرُ حَقُّهُ التَّأخيرُ، وَالْقَاعِدَةُ الْبَلَاغِيَّةُ: أَنَّ تَقْدِيمَ مَا حَقُّهُ التَّأخيرُ يُفِيدُ الْحَضَرَ.  
فَلَوْ قُلْتَ: كُلَّمُ زَيْدًا. فَهَذَا أَمْرٌ، لَكِنْ لَا يَمْنَعُ أَنْ يُكَلَّمَ آخَرَ.



وَلَوْ قُلْتَ: زَيْدًا كَلَّمُ. فَلَا تُكَلِّمْ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّهُ قَدَّمَ الْمَفْعُولَ وَحَقُّهُ التَّأْخِيرُ، وَتَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ يُفِيدُ الْحَصَرَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أَي: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ.

وَالْآيَةُ الثَّالِثَةُ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (٢٢) وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، [سبا: ٢٢-٢٣].

فَقَوْلُهُ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، هَلْ يَسْتَجِيبُونَ لَكُمْ أَوْ لَا؟ الْجَوَابُ: لَا. يَقُولُ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، أَي: عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِقْلَالِ، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾، أَي: عَلَى وَجْهِ الْمَسَاهِمَةِ، ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾، أَي: مُعِين.

فَالْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: مَا نَعْبُدُ هَذِهِ الْأَصْنَامَ إِلَّا لِيَقْرُبُونَا إِلَى اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ قَدْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْأَصْنَامَ تَنْفَعُ وَتَضُرُّ، فَنفَى اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ.

وَالْمُرَادُ بِهَذَا إِبْطَالُ شِرْكَ الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّنَا نَقُولُ: هَلْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ تَمْلِكُ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِقْلَالِ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا تَمْلِكُ، وَلَا تُعِينُ اللَّهَ، وَلَا تَشْفَعُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَمْ يَأْذَنْ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ أَنْ تَشْفَعَ.

إِذْنِ: الْمُشْرِكُونَ يُؤْمِنُونَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُمْ وَخَالِقُهُمْ، وَأَنَّهُ مُدَبِّرُ الْأَمْرِ، لَكِنْ يُشْرِكُونَ بِهِ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ!.

وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَلَا غَيْرِهِمْ يَمُنُّ بِخَالِقِ يَعْتَقِدُ أَنَّ أَحَدًا  
مِنَ الْخَلْقِ شَارَكَ اللَّهَ تَعَالَى فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَوْ غَيْرِهِمَا، وَلَا أَنَّ لِلْعَالَمِ  
صَانِعِينَ مُتَكَافِئِينَ فِي الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، وَلَمْ يَنْقُلْ أَرْبَابُ الْمَقَالَاتِ الَّذِينَ جَمَعُوا  
مَا قِيلَ فِي الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ وَالْأَرَاءِ وَالذِّيَّانَاتِ عَنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ قَالَ بِذَلِكَ.

وَعَايَةُ مَا نَقَلُوا قَوْلَ الشَّنَوِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِالْأَصْلَيْنِ: النُّورِ، وَالظُّلْمَةِ، وَأَنَّ النُّورَ  
خَلَقَ الْحَيَرَ، وَالظُّلْمَةَ خَلَقَتِ الشَّرَّ، لَكِنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بِتَسَاوِيهِمَا وَتَكَافُئِهِمَا،  
فَالنُّورُ مُضِيٌّ مُوَافِقٌ لِلْفِطْرَةِ، بِخِلَافِ الظُّلْمَةِ.

وَالنُّورُ قَدِيمٌ، وَهُمْ فِي الظُّلْمَةِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا مُحَدَّثَةٌ مَخْلُوقَةٌ لِلنُّورِ، فَيَكُونُ النُّورُ أَكْمَلَ مِنْهَا.

الثَّانِي: أَنَّهَا قَدِيمَةٌ لَكِنَّهَا لَا تَخْلُقُ إِلَّا الشَّرَّ.

فَصَارَتِ الظُّلْمَةُ نَاقِصَةً عَنِ النُّورِ فِي مَفْعُولَاتِهَا، كَمَا أَنَّهَا نَاقِصَةٌ عَنْهُ فِي  
وُجُودِهَا وَصِفَاتِهَا.

وَأَمَّا قَوْلُ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ حِينَ جَمَعَهُمْ فَنَادَى: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النَّازِعَاتِ: ٢٤]،

وَقَوْلُهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [الْقَصَصِ: ٢٨]، فَمُكَابَرَةٌ،

لَمْ يَصْدُرْ عَنْ عَقِيدَةٍ، بَلْ كَانَ يَعْتَقِدُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ؛ وَلِهَذَا لَمْ يُكَذِّبْ مُوسَى حِينَ قَالَ لَهُ: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرَعَوْتُ مَثْبُورًا﴾ [الْإِسْرَاءِ: ١٠٢]، وَاقْرَأْ

قَوْلَهُ تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: ﴿وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ

كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ مِنَ النَّاسِ: إِنَّ بَعْضَ الْحَوَادِثِ مَخْلُوقَةٌ لِغَيْرِ اللَّهِ كَالْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْعِبَادَ خَلَقُوا أَفْعَاهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَقْرَأُونَ بِأَنَّ الْعِبَادَ مَخْلُوقُونَ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ.

وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْفَلَسَفَةِ وَالطَّبْعِ وَالنُّجُومِ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ مُبْدِعَةً لِبَعْضِ الْأُمُورِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ الْفَاعِلَاتِ مَخْلُوقَةٌ حَادِثَةٌ.

وَبِهَذَا يَتَقَرَّرُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَدَّعِي أَنَّ لِلْعَالَمِ صَانِعِينَ مُتَكَافِئِينَ<sup>[١]</sup>.

[ ١ ] الثَّنَوِيَّةُ: طَائِفَةٌ مِنَ الْمَجُوسِ، يَقُولُونَ: إِنَّ الظُّلْمَةَ لَا تَخْلُقُ إِلَّا الشَّرَّ.

وَلِنَنْظُرُ أَوَّلًا: النُّورُ مُضِيٌّ مُوَافِقٌ لِلْفِطْرَةِ، بِخِلَافِ الظُّلْمَةِ.

ثَانِيًا: النُّورُ قَدِيمٌ، أَي: لَيْسَ بِحَادِثٍ، وَالظُّلْمَةُ فِيهَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا مُحَدَّثَةٌ مَخْلُوقَةٌ لِلنُّورِ، فَيَكُونُ النُّورُ أَكْمَلَ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ خَالِقٌ وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّهَا قَدِيمَةٌ، أَي: غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، لَكِنَّهَا لَا تَخْلُقُ إِلَّا الشَّرَّ.

فَالْقَاعِدَةُ إِذَنْ: أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْمَلَلِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ لِلْمَخْلُوقَاتِ خَالِقِينَ مُتَكَافِئِينَ أَبَدًا، وَالثَّنَوِيَّةُ يَرَوْنَ الْفَرْقَ بَيْنَ الظُّلْمَةِ وَالنُّورِ.



## فَصْلٌ

وَأَمَّا تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ فَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ بِأَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ  
وَلَا يُعْبَدَ غَيْرُهُ مِنْ مَلِكٍ، أَوْ رَسُولٍ، أَوْ نَبِيٍّ، أَوْ وَلِيٍّ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ حَجَرٍ، أَوْ شَمْسٍ،  
أَوْ قَمَرٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

وَمِنْ أَدِلَّتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]،  
وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا  
فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْهَكَمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾  
[البقرة: ١٦٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا  
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] <sup>[١]</sup>.

[١] يُقَالُ: تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ بِاعْتِبَارِ إِضَافَتِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَتَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ بِاعْتِبَارِ  
إِضَافَتِهِ إِلَى الْعَبْدِ، وَهُوَ أَنْ يُفْرَدَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ بِالْعِبَادَةِ، فَلَا يُعْبَدُ غَيْرُ اللَّهِ.

وَبَنُو آدَمَ اخْتَلَفُوا اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَالْبَقَرَ وَالشَّجَرَ  
وَالْحَجَرَ، بَلْ وَهَنَّا مَنْ يَعْبُدُ الشَّيْطَانَ، وَهَذَا ظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ  
يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ وَإِنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ  
مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠-٦١].

إِذَنْ: تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ هُوَ الَّذِي اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ اخْتِلَافًا مُتَبَايِنًا، وَالْحَقُّ أَنَّهُ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهِيَ الَّتِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهَا جَمِيعَ الرُّسُلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ

وَهَذَا التَّوَعُّ قَدْ أَنْكَرَهُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ هَيْتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿[الصافات: ٣٥-٣٦]﴾<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ (٤) أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلِقَ الْأَمْلَأُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصِيرُوا عَلَى إِلَهَيْكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿[ص: ٤-٦]﴾<sup>(٢)</sup>.

فَبَلَّغَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿[الأنبياء: ٢٥]﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

[١] إِذَا قِيلَ لَهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ هَذَا، وَيَأْبُونَ أَشَدَّ الْإِبَاءِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: ﴿إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ هَيْتَنَا﴾، أَي: هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ نَتْرِكَ آلِهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ؟ أَي: لِقَوْلِ شَاعِرٍ مَجْنُونٍ؟ وَيَعْنُونَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهَذَا غَيْرُ مُمَكِّنٍ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: وَهُوَ الرَّسُولُ ﷺ، وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ وَيَعْرِفُونَ أَصْلَهُ وَنَسَبَهُ، وَيَصِفُونَهُ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ بِ(الْأَمِينِ)، وَيَتَّقُونَ بِهِ غَايَةَ الثَّقَةِ، ثُمَّ لَمَّا جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّهِ كَفَرُوا بِهِ وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الصَّبْرَ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾: سَاحِرٌ؛ لِأَنَّ لِلْقُرْآنِ تَأْثِيرًا عَلَى الْعُقُولِ، حَتَّى كَانَ بَعْضُ قُرَيْشٍ يَتَسَلَّلُونَ فِي اللَّيْلِ لِيُؤَادَّ، يَسْتَمْعُونَ إِلَى صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالُوا: هَذَا سِحْرٌ. وَهَذَا مِنْ شِدَّةِ بَيَانِهِ، وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الخطبة، رقم (٤٨٥١).

وَمِنْ أَجْلِ إِنْكَارِهِمْ إِيَّاهُ قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَاسْتَبَاحَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ،  
وَسَبَى نِسَاءَهُمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرِهِ، وَلَمْ يَكُنْ إِقْرَارُهُمْ بِتَوْحِيدِ  
الرُّبُوبِيَّةِ مُخْرِجًا لَهُمْ عَنِ الشِّرْكِ، وَلَا عَاصِمًا لِدِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.

وَتَحْقِيقُ هَذَا النَّوعِ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِشَرْعِهِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ  
رُسُلُهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ  
رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

فَمَنْ لَمْ يُعْبِدِ اللَّهَ تَعَالَى فَهُوَ مُسْتَكْبِرٌ غَيْرٌ مُوَحِّدٌ، .....

وَقَالُوا: إِنَّهُ كَذَّابٌ فِيمَا ادَّعَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ.

ثُمَّ قَالُوا مُنْكَرِينَ غَايَةَ الْإِنْكَارِ: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾،  
أَي: عَجِيبٌ غَايَةَ الْعَجَبِ أَنْ يَجْعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْطَلِقُ اللَّأَمِنُهُمْ﴾ أَي: الْأَشْرَارُ وَمَنْ لَهُمْ وَزَنٌ، وَقَالُوا لِلنَّاسِ: ﴿إِنْ  
أَمْشُوا وَأَصِيرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾: أَمْشُوا لَا تَقِفُوا عِنْدَ هَذَا السَّاحِرِ الْكَذَّابِ، وَحَافِظُوا عَلَىٰ  
أَلِهَتِكُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾: اتَّهَمُوا النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُسَيِّطَرَ وَيَمْلِكَ،  
وَلَكِنَّ كَلَامَهُمْ هَذَا كَذِبٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَوْ أَرَادَ الْمَلِكُ لَصَارَتْ الْجِبَالُ مَعَهُ ذَهَبًا،  
وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا ﷺ.

إِذْنُ: هَذَا النَّوعُ مِنَ التَّوْحِيدِ أَنْكَرَهُ كُلُّ الَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ عَلَىٰ هَذَا النَّمْطِ،  
يُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ إِلَهًا وَاحِدًا.

وَمَنْ عَبْدَهُ وَعَبَدَ غَيْرَهُ فَهُوَ مُشْرِكٌ غَيْرُ مُوَحِّدٍ، وَمَنْ عَبْدَهُ بِمَا لَمْ يَشْرَعْهُ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ  
نَاقِصُ التَّوْحِيدِ حَيْثُ جَعَلَ لِلَّهِ تَعَالَى شَرِيكًا فِي التَّشْرِيعِ<sup>[١]</sup>.

وَالْعِبَادَةُ تُطْلَقُ عَلَى مَعْنَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: التَّعَبُّدُ، وَهُوَ فِعْلُ الْعَابِدِ فَتَكُونُ بِمَعْنَى التَّذَلُّلِ لِلْمَعْبُودِ حُبًّا  
وَتَعْظِيمًا. وَهَذَا - أَعْنِي: الْحُبَّ وَالتَّعْظِيمَ - أَسَاسُ الْعِبَادَةِ؛ فَبِالْحُبِّ يَكُونُ طَلَبُ  
الْوُصُولِ إِلَى مَرْضَاةِ الْمَعْبُودِ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَبِالتَّعْظِيمِ يَكُونُ الْهَرَبُ مِنْ أَسْبَابِ  
غَضَبِهِ بِتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ<sup>[٢]</sup>.

[١] مَنْ عَبْدَ اللَّهَ وَعَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَمَنْ لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ فَهُوَ مُسْتَكْبِرٌ،  
وَمَنْ عَبْدَ اللَّهَ بغير ما شرع فهو مُبْتَدِعٌ.

وَالْإِبْتِدَاعُ نَوْعٌ مِنَ الشَّرِكِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْمُبْتَدِعَ جَعَلَ نَفْسَهُ شَرِيكًا مَعَ اللَّهِ فِي التَّشْرِيعِ.  
[٢] الْعِبَادَةُ تُطْلَقُ عَلَى مَعْنَيْنِ:

الْمَعْنَى الْأَوَّلُ: التَّعَبُّدُ الَّذِي هُوَ فِعْلُ الْعَبْدِ، وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى شَيْئَيْنِ: الْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ.  
فَبِالْمَحَبَّةِ يَكُونُ فِعْلُ الْمَأْمُورِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَحَبَّ شَيْئًا طَلَبَهُ، وَسَعَى بِأَسْبَابِ  
الْوُصُولِ إِلَيْهِ، فَيَكُونُ فَاعِلًا لِلْمَأْمُورِ؛ لِيَصِلَ إِلَى هَذَا الْمَحْبُوبِ.

وَبِالتَّعْظِيمِ يَكُونُ تَرْكُ الْمَحْبُوبِ؛ لِأَنَّهُ يَخَافُ مِنْ هَذَا الَّذِي عَظَّمَهُ.

فَلِذَلِكَ نَقُولُ: لَا بُدَّ فِي الْعِبَادَةِ مِنْ أَمْرَيْنِ يَلْتَزِمُ مُرَاعَاتَهُمَا.

أَحَدُهُمَا: الْمَحَبَّةُ.

وَالثَّانِي: التَّعْظِيمُ.

وَلَنَضْرِبَ لِهَذَا مِثَالًا: قَامَ الْإِنْسَانُ لِيُصَلِّيَ حُبًّا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَرَجَاءً لثَوَابِهِ، وَخَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَى تَرْكِهَا، فَكُلُّ إِنْسَانٍ وَاعِي الْقَلْبِ لَا بُدَّ أَنْ يَسْتَحْضِرَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ فِي حَالِ الْعِبَادَةِ، أَمَّا الْغَفْلَةُ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الْجَلِيلَةِ، وَكَوْنُ الْإِنْسَانِ يَقُومُ يُصَلِّي كَالْعَادَةِ، فَهَذِهِ عِبَادَةٌ نَاقِصَةٌ لَا شَكَّ؛ وَلِذَلِكَ لَا تَرَى أَثَرَ الْعِبَادَةِ فِي قَلْبِكَ.

فَالصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا أَكْثَرَ الَّذِينَ لَا تَنْهَاهُمُ الصَّلَاةُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ! يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ فِيهَا بِقَلْبِهِ، وَيَخْرُجُ بِنَفْسِ الْقَلْبِ.

لَكِنَّ الصَّلَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ هِيَ الَّتِي إِذَا دَخَلْتَ فِيهَا بِقَلْبٍ؛ خَرَجْتَ بِقَلْبٍ أَحْسَنَ؛ لِأَنَّكَ فِي هَذِهِ الْحَالِ -حَالِ الصَّلَاةِ- اتَّصَلْتَ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَنَاجَيْتُهُ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَحْدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجْدَنِي عَبْدِي. وَقَالَ مَرَّةً: فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي. فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»<sup>(١)</sup>.

فَمَقَامُ الصَّلَاةِ مَقَامٌ عَظِيمٌ، لَكِنَّ الْغَفْلَةَ تَسْتَوْلِي عَلَى الْقُلُوبِ فَيَغْفُلُ مَنْ دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ وَخَرَجَ مِنْهَا عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي دُونَ أَنْ يَشْعَرَ بِهَا.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم (٣٩٥).



الثاني: المتعبَّدُ بِهِ، فتكونُ اسْمًا جَامِعًا لِكُلِّ مَا يُتَعَبَّدُ بِهِ اللهُ تَعَالَى كَالطَّهَّارَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ<sup>(١)</sup>.

وهَذَا الْحُكْمُ لَيْسَ عَامًّا لِكُلِّ أَحَدٍ، بَلْ مِنْ النَّاسِ مَنْ إِذَا صَلَّى اسْتَنَارَ قَلْبُهُ وَاسْتَنَارَ وَجْهُهُ، وَكَرِهَ الْمُنْكَرَ وَالْفَحْشَاءَ وَأَحَبَّ الْخَيْرَ.

إِذَنْ: الْعِبَادَةُ تُطْلَقُ عَلَى مَعْنَيْنِ:

الْأَوَّلُ: هُوَ التَّعَبُّدُ: أَي: فِعْلُ الْإِنْسَانِ.

وَالثَّانِي: سَيَأْتِي.

[١] الْعِبَادَةُ قَدْ تُطْلَقُ عَلَى الْمَفْعُولِ الْمُتَعَبَّدِ بِهِ، فَالصَّلَاةُ يُقَالُ لَهَا: عِبَادَةٌ، وَإِذَا صَلَّى الْإِنْسَانُ قِيلَ لِفِعْلِهِ عِبَادَةٌ؛ لِأَنَّهُ تَعَبَّدَ.

وَلِذَلِكَ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِ (الْعُبُودِيَّةِ): الْعِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ. وَهَذَا تَفْسِيرٌ لِلْعِبَادَةِ الَّتِي هِيَ الْمُتَعَبَّدُ بِهَا.

فَجَمِيعُ أَعْمَالِ الْخَيْرِ عِبَادَةٌ، فَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالصَّوْمُ وَالْحَجُّ عِبَادَةٌ، وَهَذِهِ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ، وَالرُّكْنُ الْأَوَّلُ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ عِبَادَةٌ.

وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ مَعْنَاهُ: الْإِحْسَانُ إِلَيْهِمَا بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، بِالْقَوْلِ بَأَنْ تَقُولَ لَهُمَا قَوْلًا لَيِّنًا كَرِيمًا فَتَدْخُلَ الشُّرُورَ عَلَيْهِمَا، وَبِالْفِعْلِ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمَا وَيَخْدُمَتَهُمَا، فَيَكُونُ كَمَا

وَلِلْعِبَادَةِ شَرْطَانِ:

أَحَدُهُمَا: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِأَلَّا يُرِيدَ بِهَا سِوَى وَجْهِ اللَّهِ وَالْوُصُولَ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ، وَهَذَا مِنْ تَحْقِيقِ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ<sup>(١)</sup>.

الثَّانِي: الْمَتَابَعَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَلَّا يُتَعَبَّدَ لِلَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ مَا شَرَعَهُ، وَهَذَا مِنْ تَحْقِيقِ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

وَالْبِرُّ دَيْنٌ، أَي: أَنْتَ إِذَا بَرَزْتَ وَالذِّكُّ؛ بَرِّكَ أَوْلَادُكَ؛ فَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ»<sup>(١)</sup>.

[١] الْإِخْلَاصُ مَعْنَاهُ: أَلَّا تُرِيدَ بِالْعِبَادَةِ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالْوُصُولَ إِلَى كَرَامَتِهِ، لَا تُرِيدُ أَنْ يَمْدَحَكَ النَّاسُ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَتَحْقِيقُ الْإِخْلَاصِ أَمْرٌ صَعِبٌ، وَقَدْ يَكُونُ سَهْلًا فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، فَقَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُخْلِصًا فِي الصَّلَاةِ، لَكِنْ عِنْدَ الصَّدَقَةِ يَكُونُ مَعَ الرِّيَاءِ.

إِذَنْ: الْإِخْلَاصُ مِنْ أَشَدِّ مَا يَكُونُ تَحْقِيقًا، حَتَّى قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا جَاهَدْتُ نَفْسِي عَلَى شَيْءٍ مُجَاهَدَتَهَا عَلَى الْإِخْلَاصِ.

[٢] الْمَتَابَعَةُ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شَرْطٌ لِلْعِبَادَةِ، فَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٢٩٩ رقم ١٠٠٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم (١٧١٨).

فَالْمُشْرِكُ فِي الْعِبَادَةِ لَا تُقْبَلُ عِبَادَتُهُ، وَلَا تَصِحُّ؛ لِفَقْدِ الشَّرْطِ الْأَوَّلِ، وَالْمُبْتَدِعُ فِيهَا لَا تُقْبَلُ وَلَا تَصِحُّ؛ لِفَقْدِ الشَّرْطِ الثَّانِي، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ.

فَمِنْ أَدِلَّةِ اشْتِرَاطِ الْإِخْلَاصِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ① أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿[الزمر: ٢-٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ الدَّلَالَةِ ②.

فَمَنْ تَعَبَّدَ لِلَّهِ بِإِخْلَاصٍ تَامٍّ، وَرِقَّةَ قَلْبٍ تَامَّةٍ، لَكِنْ عَلَى غَيْرِ مَا شَرَعَ الرَّسُولُ؛ فَعِبَادَتُهُ مَرْدُودَةٌ.

وإِنَّمَا كَانَتِ الْمَتَابَعَةُ شَرْطًا؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَصَلَ إِلَى بَيْتٍ مِنْ غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّذِي رُسِمَ لَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي وَضَعَ الطَّرِيقَ الْمَوْصِلَةَ إِلَيْهِ، فَكَيْفَ تُحَاوِلُ أَنْ تَصَلَ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ؟ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ.

[١] إِذَا كَانَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فَمَا بِأَلْكَ بغيره؟!

وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِنْسَانٌ قَامَ يُصَلِّي، وَفِي أَثْنَاءِ الصَّلَاةِ حَدَّثَ لَهُ رِيَاءٌ؛ لِأَنَّ حَوْلَهُ أَنَسًا، فَهَلْ تَبْطُلُ الصَّلَاةُ أَوْ لَا تَبْطُلُ؟

الْجَوَابُ: إِنَّ دَافِعَهُ لِيَتَخَلَّصَ مِنْهُ وَلَكِنْ تَغَلَّبَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وَمِنْ أَدِلَّتِهِ مِنَ السُّنَّةِ: مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ هَاجَرَ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» هَذَا أَحَدُ أَلْفَاظِ الْبُخَارِيِّ<sup>(١)</sup>.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ.....»

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»<sup>(٢)</sup>، وَإِنْ كَانَ يَعْمَلُ الرِّيَاءَ، وَصَارَ يُرَائِي مَنْ حَوْلَهُ؛ بَطَلَ مَا حَصَلَ بِهِ الرِّيَاءُ.

إِذَنْ: إِذَا حَدَّثَ الرِّيَاءُ فِي أَثْنَاءِ الْعِبَادَةِ، فَإِنْ دَافَعَهُ لِيَتَخَلَّصَ مِنْهُ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّهُ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يُلْقِي فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ الرِّيَاءَ، وَلَكِنْ إِذَا دَافَعَ وَاسْتَعَانَ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ.

وَإِنْ رَكَّنَ إِلَيْهِ وَاطْمَأَنَّ بِهِ وَاسْتَمَرَّ مُرَائِيًا، فَإِنْ كَانَتِ الْعِبَادَةُ لَا يَنْبَنِي بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ كَالصَّدَقَةِ؛ بَطَلَ مَا فِيهِ الرِّيَاءُ، وَصَحَّ مَا لَا رِيَاءَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَصْلَحَ بَعْضُهَا دُونَ بَعْضٍ كَالصَّلَاةِ؛ بَطَلَتْ جَمِيعُهَا.

(١) رواه الْبُخَارِيُّ: كتاب الحيل، باب في ترك الحيل رقم (٦٩٥٣)، ومسلم: كتاب الجهاد، باب قوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ» رقم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون، رقم (٤٩٦٨).

مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»<sup>(١)</sup> [١].

وَمَنْ أَدْلَةً اشْتَرَا طِ الْمَتَابَعَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] [٢].

[١] هَذَانِ الْحَدِيثَانِ فِيهِمَا التَّنْبِيهُ عَلَى الْإِخْلَاصِ، فَالْأَوَّلُ: مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا بَطَلٌ عَمَلُهُ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِجْرَتِهِ غَيْرَ اللَّهِ. وَالثَّانِي أَعَمُّ، فَقَوْلُهُ: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ»: هَلْ هُنَاكَ شَرِيكَ يَكُونُ غَنِيًّا عَنِ الشُّرْكِ؟

وَالْجَوَابُ: نَعَمْ، اشْتَرَكَ رَجُلَانِ فِي بَيْتٍ، أَحَدُهُمَا غَنِيٌّ وَالثَّانِي فَقِيرٌ، فَقَالَ الْغَنِيُّ: أَنَا مُتَنَازِلٌ عَنْ مِشَارِكَتِي. فَيَكُونُ الْبَيْتُ لِلْآخِرِ الْفَقِيرِ.

فَالشُّرَكَاءُ قَدْ يَسْتَغْنِي بَعْضُهُمْ عَنْ شُرَكَائِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ وَعَلَا غَيْرُ مُفْتَقِرٍ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، فَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُمْ.

فَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ عَمَلَ الْمَرَائِي، وَالْمَرَائِي لَا يَعْبُدُ النَّاسَ، لَكِنْ يُرِيدُ أَنْ يَمْدَحَهُ النَّاسُ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ أَي: لَيْسَ فِيهِ اعْوْجَاجٌ وَلَا ارْتِفَاعٌ وَلَا انْخِفَاضٌ، بَلْ هُوَ مُسْتَقِيمٌ ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: أفرد السبيل الموصل إليه؛ لأنه يوصل إلى واحد، وجمع السبل؛ لأن كل واحد له هدف، فجمعها باعتبار أنها طرق متباينة، فكل طريق يوصل إلى شيء آخر، أما طريق الله فإنه لا يوصل إلا إلى الله عز وجل.

وأضافه إليه؛ لأنه سبحانه الذي شرعه، ولأنه يوصل إليه سبحانه.

[١] فالیهود والنصارى لا تقبل صلاتهم ولا دعائهم، فهم خاسرون في الدنيا وفي الآخرة؛ لأن دنياهم ما نفعتهم، فأخروا أمرهم أن يموتوا ويحشروا إلى النار.

وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمَةِ: يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ»<sup>(١)</sup>، وهذا واضح.

ولا يجوز أن نقول: إن اليهود والنصارى على دين مقبول عند الله عز وجل. بل هم في ضلال وعمى، قد يكون بعضه عن جهل كعوامهم مثلاً، وأكثرهم عن علم، فهم يعلمون أن محمداً رسول الله، لكن لا يؤمنون به.

ومعلوم أن من اعتقد أن لليهود والنصارى ديناً مقبولاً عند الله فهو مكذب لكلام الله، والمكذب لكلام الله كافر بآيات الله، فعلينا أن نحذر وأن نعلم أن بيننا وبينهم فاصلاً وهو الإيمان والكفر، فعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: سَمِعْتُ

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، رقم (١٥٣).

وَقَوْلُهُ فِي وَصْفِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ  
وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، إِلَى غَيْرِ  
ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ الدَّلَالَةِ.

وَمَنْ أَدْلَتْهُ مِنَ السُّنَّةِ: مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ  
النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(١)</sup>، أَيُّ: مَرْدُودٌ، وَفِي  
صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا خَطَبَ  
النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ  
مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(٢)</sup> [١].

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»<sup>(٣)</sup>.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هَلْ تَظُنُّونَ أَنَّ الدَّعْوَى لَمْ تَصِلْ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ؟

وَالْجَوَابُ: نَعَمْ نَظَنُّ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَسْمَعُ فَيَفْهَمُ مَا يُقَالُ، إِذْ إِنَّ  
اللُّغَاتِ مُخْتَلِفَةً، وَالْقَاعِدَةُ تَقُولُ: مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ عَلَى وَجْهِ يَفْهَمُهَا؛ فَإِنَّهُ مَعْدُورٌ.

لَكِنَّا لَا نَحْكُمُ بِأَنَّهُ مُسْلِمٌ؛ لِأَنَّهُ عَلَى دِينِ النَّصَارَى، إِلَّا أَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ يُمْتَحَنُ  
بِمَا شَاءَ اللَّهُ، وَاللَّهُ عَالِمُ بِحَالِهِ.

[١] الْحَدِيثَانِ وَاضِحَانِ.

فَقَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»: أَيُّ مَرْدُودٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ،

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الصَّلَاحِ، بَابُ إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صَلَاحٍ جَوْرٍ فَالْصَّلَاحُ مَرْدُودٌ رَقْمُ (٢٦٩٧)،

وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْأَقْضِيَّةِ، بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ رَقْمُ (١٧١٨).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ رَقْمُ (٨٦٧).

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥ / ٣٤٦ رَقْمُ ٢٢٩٨٧).

وَهَذَا يَشْمَلُ مَا أُحْدِثَ أَصْلًا وَمَا غُيِّرَ عَمَّا شَرَعَ.

فَإِذَا غَيَّرْنَا الْمَشْرُوعَ؛ فَلَيْسَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِذَا أَحْدَثْنَا شَيْئًا مِنْ أَصْلِهِ؛ فَهُوَ مُرَدُّودٌ أَيْضًا؛ وَهَذَا جَاءَ الْحَدِيثُ بِلَفْظَيْنِ:

الْأَوَّلُ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

وَالثَّانِي: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(١)</sup>.

وَقَوْلُهُ: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ» (خَيْرَ الْحَدِيثِ) أَعْمٌ مِنَ اللَّفْظِ الْآخِرِ فِي قَوْلِهِ: (أَصْدَقَ الْحَدِيثِ)؛ لِأَنَّ (خَيْرَ الْحَدِيثِ) يَشْمَلُ الصِّدْقَ وَالْبَيَانَ وَالْفَصَاحَةَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَهُوَ أَعْمٌ؛ وَلِهَذَا اخْتَارَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يَقُولَ هَذَا فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ.

وَقَوْلُهُ: «وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (كُلُّ) مِنْ صِيغِ الْعُمُومِ، وَبِهَذَا نَعْرِفُ تَوَهُّمَ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْبِدْعَ خَمْسَةٌ أَقْسَامٍ أَوْ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ.

نَقُولُ لَهُمْ: أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ؟ سَيَقُولُونَ: رَسُولُ اللَّهِ.

نَقُولُ: إِذْنِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» فَهَلِ الرَّسُولُ ﷺ يَعْرِفُ مَعْنَى هَذَا الْعُمُومِ أَوْ لَا يَعْرِفُ؟ سَيَقُولُونَ: يَعْرِفُ. وَهَلْ هُوَ نَاصِحٌ لِأُمَّتِهِ حِينَ قَالَ: «وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، أَوْ غَيْرُ نَاصِحٍ؟ سَيَقُولُونَ: نَاصِحٌ لَا شَكَّ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الصَّلَاحِ، بَابُ إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صَلَاحٍ جَوْرٍ فَالْصَلَحُ مُرَدُّودٌ، رَقْمُ (٢٥٥٠)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، رَقْمُ (١٧١٨).



وَصَحَّ عَنْهُ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَسْمَكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ <sup>(١)</sup> <sup>(١)</sup>.

وَلَا تَتَحَقَّقُ الْمَتَابَعَةُ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ الْعِبَادَةِ لِلشَّرْعِ فِي سَبَبِهَا، وَجِنْسِهَا، وَقَدْرِهَا، وَكَيْفِيَّتِهَا، وَزَمَانِهَا، وَمَكَانِهَا <sup>(٢)</sup>.

[١] حَثَّ النَّبِيُّ عليه السلام عَلَى التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ، قَالَ: «تَمَسَّكُوا بِهَا بِأَيْدِيكُمْ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ».

وَالنَّوَاجِذُ أَقْصَى الْأَضْرَاسِ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ التَّمَسُّكِ بِهَا، فَكَانَ الْإِنْسَانُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِالشَّيْءِ بِقُوَّةٍ جَذَبَهُ أَوْ أَمْسَكَهُ بِيَدَيْهِ، وَعَضَّ عَلَيْهِ بِأَسْنَانِهِ حَتَّى لَا يُفْلِتَ مِنْهُ.

ثُمَّ حَذَّرَ النَّبِيُّ عليه السلام مِنَ الْإِحْدَاطِ فِي الدِّينِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

[٢] هَذِهِ سِتَّةُ أَشْيَاءَ لَا تَتَحَقَّقُ الْمَتَابَعَةُ إِلَّا بِهَا:

الْأَوَّلُ: السَّبَبُ: بِأَنْ يَتَّبَعَ أَنَّ هَذَا سَبَبٌ شَرْعِيٌّ.

الثَّانِي: الْجِنْسُ: بِأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْعِبَادَةُ عَلَى الْجِنْسِ الْمَشْرُوعِ.

الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ وَالْخَامِسُ وَالسَّادِسُ: الْقَدْرُ وَالْكَيفِيَّةُ وَالزَّمَانُ وَالْمَكَانُ، فَمَنْ تَعَبَّدَ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَادَةً مَقْرُونَةً بِسَبَبٍ لَمْ يَكُنْ سَبَبًا لَهَا شَرْعًا؛ فَلَا مُتَابَعَةَ.

مِثَالُ ذَلِكَ: لو أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، كَمَا إِذَا دَخَلَ إِلَى الْمَسْجِدِ، نَقُولُ: لَا يَجُوزُ، فَهَذَا غَيْرُ مَقْبُولٍ.

فَإِذَا قَالَ: صَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ فَقَطْ!

قُلْنَا: نَعَمْ، صَلَّيْتَ رَكَعَتَيْنِ، لَكِنْ لَا تَجْعَلُ دُخُولَ الْبَيْتِ سَبَبًا لِذَلِكَ.

وَلَوْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَتَسَوَّكُ عِنْدَ دُخُولِهِ؛ قُلْنَا: هَذَا لَيْسَ مُتَابَعَةً.

فَإِذَا قَالَ: أَلَيْسَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَى أَهْلِهِ يَتَسَوَّكُ؟ وَبَيْتُ اللَّهِ أَحَقُّ!

نَقُولُ: لَا، هَذَا خَطَأٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ أَنَّهُ يَتَسَوَّكُ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَكُلُّ شَيْءٍ وُجِدَ سَبَبُهُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَفْعَلْهُ؛ فَهُوَ بِدْعَةٌ إِذَا فَعَلَهُ الْإِنْسَانُ.

الثَّانِي: الْجِنْسُ: فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ مُوَافَقَةً لِلشَّرِيعَةِ فِي الْجِنْسِ، وَإِلَّا فَلَا مُتَابَعَةً.

مِثَالُ ذَلِكَ: رَجُلٌ ضَحَّى بِفَرَسٍ يَوْمَ عِيدِ الْأَضْحَى بَدَلًا عَنِ الشَّاةِ، فَهَذَا لَا يُجْزِئُ ذَبْحُهُ؛ لِمُخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ فِي الْجِنْسِ؛ لِأَنَّ الَّذِي تَصَحُّحُ التَّضَحِّيَّةُ بِهِ هِيَ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ: الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ.

الثَّالِثُ: الْقَدْرُ: فَإِذَا كَانَتِ الْعِبَادَةُ وَقَعَتْ عَلَى عَدَدٍ مُعَيَّنٍ، فزَادَ فِيهَا الْإِنْسَانُ؛ فَإِنَّهَا لَا تُقْبَلُ.

## وَالْعِبَادَةُ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ:

فَمِنْهَا الصَّلَاةُ وَالذَّبْحُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، فَمَنْ صَلَّى لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَمَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ تَقَرُّبًا وَتَعْظِيمًا فَهُوَ مُشْرِكٌ<sup>[١]</sup>.

مِثَالُهُ: المَشْرُوعُ فِي التَّسْبِيحِ بَعْدَ الصَّلَاةِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيَحْتَمُّ بِ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

فَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ تَعَبَدَ لِلَّهِ بِالزِّيَادَةِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَذْكَارِ الصَّلَاةِ، مَا عَلَى أَنَّهُ نَفْعٌ مُطْلَقٌ؛ فَهَذِهِ الزِّيَادَةُ لَا تُقْبَلُ؛ لِأَنَّهَا زَادَتْ عَنِ الْقَدْرِ الْمَشْرُوعِ.

كَذَلِكَ: لَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ صَلَّى الظُّهْرَ خَمْسًا؛ فَلَا مُتَابَعَةَ لَزِيَادَةِ الْعَدَدِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَالْعِبَادَةُ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ: فَمِنْهَا الصَّلَاةُ وَالذَّبْحُ...»: فَمَنْ صَلَّى لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، سِوَاءٍ بِرُكُوعٍ أَوْ سَجُودٍ أَوْ صَلَاةٍ تَامَّةٍ.

وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا نَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ فَذَبَحَ لَهُ ذَبِيحَةً، فَلَا يَكُونُ مُشْرِكًا؛ لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ وَتَعْظِيمًا، وَلَكِنَّهُ مِنْ بَابِ الْإِكْرَامِ، فَعَنْ أَبِي شَرِيحٍ الْكَعْبِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»<sup>(١)</sup>.

وَرُبَّمَا يَعْتَقَدُ هَذَا الذَّبْحُ أَنَّ الضَّيْفَ أَقَلُّ مِنْهُ مَرْتَبَةً وَلَا يُعْظَّمُهُ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، رَقْمُ (٥٦٧٢)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ وَلِزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ، رَقْمُ (٤٧).

وَمِنْهَا التَّوَكُّلُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]؛ وَهَذَا لَمَّا كَانَ التَّوَكُّلُ خَاصًّا بِهِ كَانَ وَحْدَهُ هُوَ الْحَسْبُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغَ أَمْرِهِ ﴿[الطلاق: ٣]<sup>[١]</sup>.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، فَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ حَسْبُكَ وَحَسْبُ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>[٢]</sup>، .....

أَمَّا لَوْ ذَبَحَ لَهُ تَعْظِيمًا كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ النَّاسِ إِذَا قَدِمَ الرَّئِيسُ، صَفُّوا لَهُ الْإِبِلَ أَوْ الْغَنَمَ، ثُمَّ أَرَأَقُوا لَهُ الدَّمَ عِنْدَ اسْتِقْبَالِهِ، وَتَرَكُوهُ لَا يَأْكُلُهُ هُوَ وَلَا هُمْ، فَهَذَا هُوَ الشَّرْكُ؛ لِأَنَّهُ تَقَرُّبٌ إِلَى هَذَا الْمَخْلُوقِ بِالذَّبْحِ، فَيَكُونُ هَذَا شِرْكًا، أَمَّا إِذَا ذَبَحَهُ لِلْإِكْرَامِ فَلَا بَأْسَ بِهِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَمِنْهَا التَّوَكُّلُ» أَي: مِنْ عِبَادَتِهِ التَّوَكُّلُ، وَهُوَ الْاعْتِمَادُ عَلَى اللَّهِ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مَعَ الثِّقَةِ بِهِ، وَأَنَّهُ إِذَا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ.

وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾، وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ أَنَّهُ قَدَّمَ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ، وَتَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ يُفِيدُ الْحَصْرَ، وَالْحَصْرُ إِثْبَاتُ الْحُكْمِ فِي الْمَذْكُورِ وَنَفْيُهُ عَمَّا سِوَاهُ.

وَهَذَا بِخِلَافِ مَا إِذَا تَوَكَّلْتَ عَلَى إِنْسَانٍ فِي شِرَاءِ شَيْءٍ أَوْ بَيْعِ شَيْءٍ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ عِبَادَةً؛ لِأَنَّ الْمُوَكَّلَ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ فَوْقَ الْمُوَكَّلِ أَوْ مُسَاوٍ لَهُ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، سِوَاءُ قُلْنَا: (حَسْبُ) مُبْتَدَأٌ وَلَفْظُ الْجَلَالَةِ (اللَّهُ) خَبَرٌ. أَوْ الْعَكْسُ.

فَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَتَّبَعَكَ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى الْكَافِ فِي قَوْلِهِ: ﴿حَسْبُكَ﴾ وَلَيْسَ مَعْطُوفًا عَلَى ﴿اللَّهُ﴾ كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ الْغَالِطِينَ، فَإِنَّ هَذَا يَفْسُدُ بِهِ الْمَعْنَى، إِذْ يَكُونُ الْمَعْنَى عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ: أَنَّ اللَّهَ وَالْمُؤْمِنِينَ حَسْبُ النَّبِيِّ ﷺ وَهَذَا بَاطِلٌ، فَإِنَّ مَقَامَ النَّبِيِّ ﷺ أَعْلَى وَأَقْوَى مِنْ مَقَامِ مَنْ أَتَّبَعَهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْأَدْنَى حَسْبًا لِلْأَعْلَى وَالْأَقْوَى<sup>[١]</sup>.

[١] وقوله: ﴿وَمَنْ أَتَّبَعَكَ﴾: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَعْطُوفٌ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ ﴿اللَّهُ﴾، أَيْ حَسْبُكَ اللَّهُ وَالَّذِينَ أَتَّبَعُوكَ، وَجَعَلَ هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي آيَدَكَ بِصِرِهِ وَيَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

وَعَلَى هَذَا: تَكُونُ (مَنْ) بِمَحَلِّ رَفْعٍ، إِذَا قُلْنَا: إِنَّهَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ (اللَّهُ)، وَلَفْظُ الْجَلَالَةِ (اللَّهُ) مَرْفُوعٌ، فَسَوَاءٌ جَاءَتْ مُبْتَدَأً أَوْ خَبَرًا، فَتَكُونُ عَلَى هَذَا (مَنْ) فِي مَحَلِّ رَفْعٍ، وَيَكُونُ مَنْ أَتَّبَعَهُ حَسْبَهُ أَيْضًا. وَهَذَا خَطَأٌ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْمُؤْمِنُ حَسْبَهُ، أَيْ: يَكْفُونَهُ؛ صَارُوا أَعْلَى مِنْهُ مَرْتَبَةً، وَلَا يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ التَّابِعُ أَعْلَى مَرْتَبَةً مِنَ الْمَتَّبِعِ، وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَيْسُوا يَكْفُونَ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَأَمَّا التَّنْظِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي آيَدَكَ بِصِرِهِ وَيَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَخَطَأٌ؛ لِأَنَّ الْمُؤَيَّدَ هُنَا هُوَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَالْمُؤْمِنُونَ جُعِلُوا وَسِيلَةً، فَهُمْ مُؤَيَّدٌ بِهِمْ وَلَيْسُوا مُؤَيَّدِينَ، وَالْمُؤَيَّدُ حَقِيقَةً هُوَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

وَالْمَعْنَى إِذَنْ: حَسْبُكَ اللَّهُ وَحَسْبُ مَنْ أَتَّبَعَكَ؛ لِأَنَّ الْكَافَ جَاءَتْ بَعْدَ (حَسْبُ)، وَإِذَا كَانَتْ (مَنْ) مَعْطُوفَةً عَلَى الْكَافِ؛ لَزِمَ أَنْ تَأْتِيَ بَعْدَ (حَسْبُ)، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: حَسْبُكَ اللَّهُ وَحَسْبُ مَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَمِنْهَا الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ تَعْبُدًا وَتَقَرُّبًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْنَّكَاسَ وَآخِشُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿اتَّخِشُونَهُمْ فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنِّي فَارِهٌ بُونٌ﴾ [النحل: ٥١]، فَجَعَلَ الرَّهْبَةَ لَهُ وَخَدَهُ كَمَا جَعَلَ الْعِبَادَةَ لَهُ وَخَدَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِنِّي فَأَعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].<sup>[١]</sup>

[١] الخوف قد يكون رهبة لا تقربًا، وقد يكون تقربًا، بِمَعْنَى أَنِّي أَخَافُ اللَّهَ فَاتَّقَرَّبُ إِلَيْهِ عَزَّوَجَلَّ فِي عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ خَوْفًا مِنْهُ.

أَمَّا أَنْ يَخَافَ الْإِنْسَانُ مِنَ السَّبْعِ أَوْ مِنَ الظَّالِمِ، فَهَذَا لَيْسَ خَوْفَ عِبَادَةٍ، وَلَا يَسْتَلْزِمُ التَّقَرُّبَ مِنَ الْمَخْلُوقِ، بَلْ يَسْتَلْزِمُ الْهَرَبَ مِنْهُ وَمُدَافَعَتَهُ بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ.

ولهذا: لَا بُدَّ أَنْ نُقَيِّدَ بِكَوْنِ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ تَعْبُدًا وَتَقَرُّبًا.

إِذَنْ: الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ تَقَرُّبًا وَتَعْبُدًا لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ، أَمَّا الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ هَرَبًا بِمَقْتَضَى الطَّبِيعَةِ، فَهَذِهِ تَكُونُ لِلَّهِ وَلِغَيْرِهِ، لَكِنَّ هَذَا النَّوْعَ لَا يُبْلِغُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ إِذَا وَقَعَ مِنْهُ، إِلَّا إِذَا تَرْتَبَ عَلَيْهِ تَرْكُ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلُ مُحَرَّمٍ، فَإِنَّهُ يُنْهَى عَنْهُ.

ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فَإِنِّي الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ وَيَقُولُ: هَؤُلَاءِ الْكَفَّارُ أَقْوَى مِنْكُمْ، هَؤُلَاءِ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ اقْتِصَادِيًّا، هَؤُلَاءِ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُدَبِّرُوا الْمَكَايِدَ عَلَيْكُمْ. ثُمَّ يُوهِنُ عَزَائِمَهُمْ فَلَا يَقُومُونَ لِلَّهِ، وَلَا يَنْشُطُونَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ خَوَّفَهُمْ أَوْلِيَاءَهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وَمِنْهَا التَّقْوَى تَعَبُّدًا وَتَقَرُّبًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٤١]،  
 وَقَوْلِهِ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾ [النحل: ٥٢]، وَقَوْلِهِ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا  
 قَوْلًا سَدِيدًا ۖ ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ  
 فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]<sup>[١]</sup>.

فَأَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ لَا يُقَاوِمُونَ أَوْلِيَاءَ الرَّحْمَنِ، لَكِنْ يَتَخَاذَلُ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ خَوْفًا  
 مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الَّذِي يُخَوِّفُهُمْ، فَلَوْ أَنَّ أَوْلِيَاءَ الرَّحْمَنِ اعْتَصَمُوا  
 بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَرَأَوْا أَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا بِشَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ مَا تَخَاذَلُوا أَمَامَ قُوَّةِ  
 هَؤُلَاءِ؛ لِأَنَّ قُوَّةَ هَؤُلَاءِ لَا تُسَاوِي شَيْئًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُوَّةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ تَعَالَى:  
 ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

[١] التَّقْوَى أَيْضًا (تَقَرُّبًا وَتَعَبُّدًا)، احْتِرَازًا مِنَ التَّقْوَى لغيرِ اللَّهِ، فَهَذِهِ تَكُونُ  
 لغيرِ اللَّهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

فَالْتَّقْوَى الَّتِي هِيَ تَقْوَى التَّعَبُّدِ وَالتَّذَلُّلِ، هَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَمَّا التَّقْوَى  
 الَّتِي هِيَ اتِّخَاذُ وَقَايَةٍ مِمَّا يَضُرُّ، بِدُونِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْعِبَادَةِ وَالتَّقَرُّبِ، فَهَذَا أَمْرٌ  
 يَكُونُ حَتَّى لِلْمَخْلُوقِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

هَذِهِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْعِبَادَةِ، لَكِنَّ الْعِبَادَةَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ ذَكَرَ  
 هَذِهِ الْأَنْوَاعَ مِنْ بَابِ الْأَمْثِلَةِ فَقَطْ، وَلَيْسَتْ عَلَى سَبِيلِ الْحَضَرِ.



## فصل

وَأَمَّا تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: فَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ،  
وَذَلِكَ بِإِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ  
رَسُولِهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ.  
فَلَا يَجُوزُ نَفْيُ شَيْءٍ مِمَّا سَمَّى اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:  
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]<sup>[١]</sup>.....

[١] قوله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ إِثْبَاتُ:  
الآيَةِ الْأُولَى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ فِدْعَاؤُهُ بِهَا يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتًا.  
وَالآيَةَ الثَّانِيَةَ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ أَي: وَلِلَّهِ الْوَصْفُ الْأَعْلَى، أَي: صِفَتُهُ.  
وقوله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فِيهَا  
إِثْبَاتُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ.

وقوله: ﴿فَلَا تَضَرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، هَذَا نَهْيٌ أَنْ نَجْعَلَ لِلَّهِ مِثِيلًا.  
وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ  
تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقوله:  
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾  
[الإسراء: ٣٦].



هَاتَانِ الْآيَتَانِ تَعُودَانِ عَلَى التَّكْيِيفِ؛ لِأَنَّ الْمَكْيِفَ قَالَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ.

بَقِيَ التَّحْرِيفُ وَالتَّعْطِيلُ؛ لِأَنَّ الَّذِي حَرَّفَ حَرَّفَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَمَثَلًا إِذَا قَالَ: لَيْسَ الْمَرَادُ بِالْيَدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، قَالَ: لَيْسَ الْمَرَادُ بِهَا الْيَدُ الْحَقِيقِيَّةُ. وَقَالَ: الْمَرَادُ بِهَا الْقُوَّةُ. فَقَدْ قَالَ مَا لَا يَعْلَمُ.

وَلِهَذَا نَقُولُ: إِنَّ الْمَحَرِّفَ قَالَ عَلَى اللَّهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

١ - نَفْيُ مَا أَرَادَ اللَّهُ. ٢ - إِثْبَاتُ مَا لَمْ يُرِدْهُ اللَّهُ.

وَالسُّنَّةُ يَأْتِي بِهَا الْأَمْرَانِ؛ لِأَنَّهُمْ إِنْ اعْتَقَدُوا صِحَّةَ هَذَا الْحَدِيثِ حَرَّفُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَعْتَقِدُوا صِحَّتَهُ كَذَّبُوهُ.

وَلِهَذَا: عِنْدَهُمْ قَاعِدَةٌ مِنْ أَفْسَادِ الْقَوَاعِدِ، يَقُولُونَ: إِنْ الْعُقَائِدُ لَا تَثْبُتُ بِخَيْرِ الْآحَادِ وَلَوْ صَحَّ الْحَدِيثُ!!.

فَبِنَاءٍ عَلَى قَاعِدَةٍ بَاطِلَةٍ يَقُولُونَ: لِأَنَّ خَيْرَ الْآحَادِ يُفِيدُ الظَّنَّ، وَالْعَقِيدَةُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ عَلَى يَقِينٍ.

وَكِلْتَا الْمَقْدَمَتَيْنِ بَاطِلَةٌ: فَإِنَّ مِنْ خَيْرِ الْآحَادِ مَا يُفِيدُ الْيَقِينَ، وَمِنْ الْعُقَائِدِ مَا لَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْقَطْعِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُتَلَقَّى مِنْ سُؤَالِ الْغَيْرِ لَا يُفِيدُ الْقَطْعَ؛ لِأَنَّهُ مُقَلَّدٌ، وَالتَّقْلِيدُ كُلُّهُ ظَنِّيٌّ لَا يُفِيدُ الْقَطْعَ، وَهَذَا فِي مَقَامِ السُّؤَالِ عَنِ الرَّسَالَةِ، وَالرَّسَالَةُ أَصْلٌ وَعَقِيدَةٌ.

وَلَاَنَّ ذَلِكَ تَعْطِيلٌ يَسْتَلْزِمُ تَحْرِيفَ النُّصُوصِ أَوْ تَكْذِيبَهَا مَعَ وَصْفِ اللَّهِ تَعَالَى  
بِالنَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ<sup>[١]</sup>.

وَلَا يَجُوزُ تَسْمِيَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ وَصْفُهُ بِمَا لَمْ يَأْتِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لِأَنَّ  
ذَلِكَ قَوْلٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِلَا عِلْمٍ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا  
ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ  
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وَقَالَ: ﴿وَلَا نَقُفُّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ  
كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَلَا يَجُوزُ إِثْبَاتُ اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ لِلَّهِ تَعَالَى مَعَ التَّمْثِيلِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ  
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ  
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]؛ وَلِأَنَّ ذَلِكَ إِشْرَاكٌ بِاللَّهِ تَعَالَى يَسْتَلْزِمُ تَحْرِيفَ  
النُّصُوصِ أَوْ تَكْذِيبَهَا مَعَ تَنْقُصِ اللَّهِ تَعَالَى بِتَمَثِيلِهِ بِالْمَخْلُوقِ النَّاقِصِ<sup>[٢]</sup>.

إِذَنْ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَمْشُونَ عَلَى مَا عَلَيْهِ السَّلَفُ فِي إِثْبَاتِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ،  
وَيُقَابِلُونَ النُّصُوصَ بِوَاحِدٍ مِنَ الْأَمْرَيْنِ، أَوْ بِالْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا، وَهُمَا: التَّحْرِيفُ وَالتَّكْذِيبُ،  
فَإِنْ أَمَكْنَهُمُ التَّكْذِيبُ كَذَّبُوا، وَإِنْ لَمْ يُمْكِنَهُمْ حَرَّفُوا.

[١] وقوله: «مَعَ وَصْفِ اللَّهِ تَعَالَى بِالنَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ»: معناه أَنَّ التَّحْرِيفَ  
يَسْتَلْزِمُ وَصْفَ اللَّهِ تَعَالَى بِالنَّقَائِصِ، وَكُلُّ مَنْ نَفَى مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ فَقَدْ تَنَقَّصَ اللَّهَ، وَوَجْهُ  
ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُثْبِتْ لِنَفْسِهِ إِلَّا الْكَمَالَ، فَإِذَا نَفَيْتَ الْكَمَالَ لَزِمَ ثُبُوتُ النِّقْصِ.

[٢] الإِخْبَارُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا يَفْعَلُهُ لَا بِأَسَرِّ بِهِ؛ لِأَنَّ فِعْلَهُ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِهِ، كَمَا

لو قُلْنَا مَثَلًا: إِنَّ اللَّهَ صَانِعٌ. فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

وَنَقُولُ: اللَّهُ مُتَكَلِّمٌ. فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، لَكِنَّ كَلِمَةَ (مُتَكَلِّمٌ) مَا جَاءَتْ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ بِهَذَا اللَّفْظِ أَوْ مِنْ أَسْمَائِهِ.

وَيَصِحُّ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ مُرِيدٌ. لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فَالْإِخْبَارُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا يَفْعَلُهُ، هُوَ إِخْبَارٌ عَنْ صِفَةٍ ثَابِتَةٍ لَهُ، وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، أَمَّا صِفَاتُ النَّقْصِ فَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْهَا بِكُلِّ حَالٍ مِنْ وَجْهَيْنِ:

١ - أَنَّهَا نَقْصٌ. ٢ - أَنَّهَا لَمْ تَرُدَّ عَنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ إِثْبَاتُ صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ التَّمَثِيلِ لِلْأَسْبَابِ التَّالِيَةِ:

١ - لِأَنَّ ذَلِكَ إِشْرَاكٌ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّكَ تَجْعَلُ هَذَا الْمَثِيلَ مِثْلَ اللَّهِ، وَهَذَا شِرْكٌ بِهِ.

٢ - لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ تَحْرِيفَ النُّصُوصِ أَوْ تَكْذِيبَهَا.

فَتَحْرِيفُ النُّصُوصِ بِتَغْيِيرِهَا عَنْ مَعْنَاهَا أَوْ تَكْذِيبُهَا، وَهَذَا فِيمَا يُمَكِّنُ تَكْذِيبَهُ - عَلَى حَدِّ قَوْلِهِمْ -، فَالتَّحْرِيفُ يَكُونُ فِي الْقُرْآنِ، وَالتَّكْذِيبُ يَكُونُ بغيرِ الْقُرْآنِ، كَمَا أَنَّ التَّحْرِيفَ يَكُونُ أَيْضًا فِي غيرِ الْقُرْآنِ.

٣ - لِأَنَّهُ تَنْقُصُ اللَّهِ بِتَمَثِيلِهِ بِالْمَخْلُوقِ النَّاقِصِ؛ لِأَنَّ الْإِحَاقَ الْكَامِلَ بِالنَّاقِصِ يَجْعَلُهُ

نَاقِصًا، وَقَدْ قِيلَ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ إِذَا قِيلَ: إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا

وَلَا يَجُوزُ إِثْبَاتُ اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ لِلَّهِ تَعَالَى مَعَ التَّكْيِيفِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ قَوْلٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِلَا عِلْمٍ، يَسْتَلْزِمُ الْقَوْضَى وَالتَّخْبُطَ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى؛ إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ يَتَخَيَّلُ كَيْفِيَّةً مُعَيَّنَةً غَيْرَ مَا يَتَخَيَّلُهُ الْآخَرُ، وَلِأَنَّ ذَلِكَ مُحَاوَلَةٌ لِإِدْرَاكِ مَا لَا يُمَكِّنُ إِدْرَاكُهُ بِالْعُقُولِ، فَإِنَّكَ مَهْمَا قَدَّرْتَ مِنْ كَيْفِيَّةٍ فَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْظَمُ<sup>[١]</sup>.

وَهَذَا النَّوعُ مِنَ التَّوْحِيدِ هُوَ الَّذِي كَثُرَ فِيهِ الْخَوْضُ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، فَانْقَسَمُوا فِي النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِيهِ إِلَى سِتَّةِ أَقْسَامٍ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: مَنْ أَجْرَوْهَا عَلَى ظَاهِرِهَا اللَّائِقِ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمَثِيلٍ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ السَّلَفُ، وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ الْمَقْطُوعُ بِهِ لِدَلَالَةِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالْعَقْلِ، وَالْإِجْمَاعِ السَّابِقِ عَلَيْهِ دَلَالَةٌ قَطْعِيَّةٌ أَوْ ظَنِّيَّةٌ<sup>[٢]</sup>.

[١] الْفَرْقُ بَيْنَ التَّكْيِيفِ وَالتَّمَثِيلِ، أَنَّ التَّمَثِيلَ مُقَيَّدٌ بِمُثَالٍ، وَالتَّكْيِيفَ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِمُثَالٍ.

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قُلْتَ: ثَوْبٌ فَلَانٍ مِثْلُ ثَوْبِ فَلَانٍ. فَهَذَا تَمَثِيلٌ، وَلَوْ قُلْتَ: إِنَّ ثَوْبَ فَلَانٍ صِفَتُهُ كَذَا وَكَذَا. وَذَكَرْتَ مِنْ صِفَاتِهِ؛ فَهَذَا نُسْمِيهِ تَكْيِيفًا.

إِذَنْ: يُمَكِّنُ أَنْ نَقُولَ: كُلُّ مُثَلٍّ مُكَيَّفٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مُكَيَّفٍ مُثَلًّا؛ لِأَنَّ الْمَكْيِفَ قَدْ يَتَخَيَّلُ كَيْفِيَّةً مُعَيَّنَةً غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ بِمُثَالٍ، بِخِلَافِ الْمَثَلِ فَإِنَّهُ يَذْكُرُ كَيْفِيَّةَ مُثَالٍ الشَّخْصِ الْفُلَانِيِّ.

[٢] قَوْلُهُ: «الْإِجْمَاعُ السَّابِقُ»: احْتِرَازًا مِنَ الْخِلَافِ الْلَّاحِقِ؛ لِأَنَّ الْخِلَافَ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ حَادِثٌ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَخْتَلَفُوا فِيهِ، وَإِنَّمَا حَدَثَ فِي زَمَنِ التَّابِعِينَ،

الْقِسْمُ الثَّانِي: مَنْ أَجْرَوْهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، لَكِنْ جَعَلُوهَا مِنْ جِنْسِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ الْمُمَثِّلَةُ، وَمَذْهَبُهُمْ بَاطِلٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْعَقْلِ وَإِنْكَارِ السَّلَفِ.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: مَنْ أَجْرَوْهَا عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهَا، وَعَيْنُوا لَهَا مَعَانِي يَعْقُولُهُمْ، وَحَرَّفُوا مِنْ أَجْلِهَا النُّصُوصَ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ التَّعْطِيلِ فَمِنْهُمْ مَنْ عَطَّلَ تَعْطِيلًا كَبِيرًا كَالْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَرِلةِ وَنَحْوِهِمْ وَمِنْهُمْ مَنْ عَطَّلَ دُونَ ذَلِكَ كَالْأَشَاعِرَةِ<sup>[١]</sup>.

الْقِسْمُ الرَّابِعُ: مَنْ قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ بِهَا، وَفَوَّضُوا عِلْمَ مَعَانِيهَا إِلَى اللَّهِ وَخَدَهُ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ التَّجْهِيلِ الْمُفَوِّضَةِ، وَتَنَاقَضَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَرِدْ إِثْبَاتُ صِفَةِ خَارِجِيَّةِ لَهُ تَعَالَى<sup>[٢]</sup>.

وَأَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِتَعْطِيلِ الصِّفَاتِ هُوَ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ، وَتَلَقَّى عَنْهُ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ، ثُمَّ كَثُرَتِ الْأَقْوَالُ فِيهِ.

[١] أَي: مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْمَعَانِي حَرَّفُوا هَذِهِ النُّصُوصَ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ التَّعْطِيلِ.

مَثَلًا يَقُولُونَ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] المراد: جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ؛ وَقَوْلُهُ: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]: أَي: نِعْمَتُهُ، وَهَكَذَا.. فَيُحَرِّفُونَ مِنْ أَجْلِ هَذَا التَّعْطِيلِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.

[٢] هَؤُلَاءِ قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ. وَأَثْبَتُوا لَهَا مَعْنَى، قَالُوا: إِنَّ لَهَا مَعْنَى، لَكِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ بِهَذَا الْمَعْنَى، فَهَؤُلَاءِ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ لَهَا مَعْنَى، لَكِنَّ مَعْنَاهَا مَجْهُولٌ، وَهَؤُلَاءِ يُسَمُّونَ الْمُفَوِّضَةَ، وَيُسَمُّونَ أَهْلَ التَّجْهِيلِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ كُلَّ أَحَدٍ جَاهِلٌ بِمَعَانِي آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا.

الْقِسْمُ الْخَامِسُ: مَنْ قَالُوا: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَذِهِ النُّصُوصِ إِثْبَاتُ صِفَةٍ تَلِيْقُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَأَلَّا يَكُونَ الْمُرَادُ ذَلِكَ، وَهُوَ لَا كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ<sup>[١]</sup>.

فهم يقولون: لها معنى، ولكنه مجهول لنا. ويستدلون بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

وبعضهم يقول: الله أعلم بما أراد، لكننا نعلم أنه لم يُرد إثبات صفة. وهذا تناقض؛ لأن حكمه على أن الله لم يُرد إثبات صفة، يُناقض قوله: الله أعلم بما أراد. لأن مقتضى قوله: الله أعلم بما أراد. أنه لا يدري هل أراد الله إثبات صفة أو لم يُرد. وبعضهم يقول: الله أعلم بما أراد، لكن نعلم أنه لم يُرد إثبات صفة خارجية.

ولو سأل سائل: ما معنى (صفة خارجية)؟

والجواب: أي: خارجية عن محتوى اللفظ المجرد فقط، أي: مثل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، تدل على صفة خارجية عن الذات، لكن هؤلاء يقولون: نحن نعلم أن الله لم يُرد إثبات المجيء لنفسه.

فالمراد بالخارجية، ما يكون متصورًا خارج الذات، أي: ذات الموصوف، فمن أهل التعطيل من يقول: صفاته هي ذاته.

[١] الفرق بين هذه الطائفة وتلك:

■ أن الطائفة الأولى يقولون: إن الله قد أراد معنى، لكن لا ندري ما هذا المعنى.

■ وهؤلاء يقولون: يجوز أن يكون المراد إثبات صفة، وألا يكون المراد ذلك.

فحكموا بتجويز الأمرين.

الْقِسْمُ السَّادِسُ: مَنْ أَعْرَضُوا بِقُلُوبِهِمْ وَأَمْسَكُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ عَنْ هَذَا كُلِّهِ  
وَأَقْتَصَرُوا عَلَى قِرَاءَةِ النُّصُوصِ وَلَمْ يَقُولُوا فِيهَا بِشَيْءٍ<sup>(١)</sup>.  
وَهَذِهِ الْأَقْسَامُ سِوَى الْأَوَّلِ بَاطِلَةٌ كَمَا قَدْ تَبَيَّنَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ<sup>[١]</sup>.

أَمَّا الطَّائِفَةُ الَّتِي قَبْلَهُمْ، فَلَا يُجَوِّزُونَ الْأَمْرَيْنِ، يَقُولُونَ: لَا بُدَّ أَنْ لَهَا مَعْنَى،  
لَكِنَّا لَا نَفْهَمُ هَذَا الْمَعْنَى.

[ ١ ] هَؤُلَاءِ أَشَدُّ إِيهَامًا مِمَّنْ سَبَقَهُمْ، يَقُولُونَ: لَا تَسْأَلُوا عَنْ شَيْءٍ، وَلَا تَقُولُوا:  
يَجُوزُ. وَلَا: لَا يَجُوزُ. وَلَا: لَهُ مَعْنَى. وَلَا: لَيْسَ لَهُ مَعْنَى. وَلَا: مَعْنَاهُ يُوَافِقُ الظَّاهِرَ  
وَلَا يُخَالِفُ الظَّاهِرَ.

فَالطَّائِفَةُ الَّتِي قَبْلَهُمْ حَكَمَتْ بِتَجْوِيزِ الْأَمْرَيْنِ، أَي: أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ  
مَعْنَى، وَأَنْ لَا يَكُونَ، أَمَّا هَؤُلَاءِ فَمَا حَكَمُوا بِشَيْءٍ إِطْلَاقًا، بَلْ سَكَتُوا عَنْ هَذَا كُلِّهِ  
وَقَالُوا: لَا تُحَدِّثُونَا وَلَا تُكَلِّمُونَا عَمَّا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ اللَّهِ.

وَالرَّدُّ عَلَى الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ الْأَخِيرَةِ إجمالًا بِأَنَّ هَؤُلَاءِ جَهْلَةٌ، فَالَّذِي يَقُولُ: اللَّهُ  
أَعْلَمُ. وَالَّذِي يَقُولُ: يَجُوزُ هَذَا وَيَجُوزُ هَذَا. وَالَّذِي يَسْكُتُ وَلَا يَتَكَلَّمُ، فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ  
جَهْلَةٌ.



(١) ذَكَرَ هَذِهِ الْأَقْسَامَ فِي الْفَتَاوَى الْحَمَوِيَّةِ. (الشارح).  
انظر: (ص ١٥٦-١٦٢).

## فصل

وَبِهَذَا التَّقْرِيرِ عَنْ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ يَتَبَيَّنُ غَلْطُ عَامَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي مُسَمَّى  
التَّوْحِيدِ حَيْثُ جَعَلُوهُ ثَلَاثَةً أَنْوَاعٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ لَا قَسِيمَ لَهُ، أَوْ لَا جُزْءَ لَهُ، أَوْ لَا بَعْضَ لَهُ.

الثَّانِي: أَنَّهُ وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ لَا شَبِيهَ لَهُ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ وَاحِدٌ فِي أَفْعَالِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ<sup>١١</sup>.

[١] هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ عِنْدَ عَامَّتِهِمْ، فَيَقُولُونَ: التَّوْحِيدُ

ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

١- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ لَا قَسِيمَ لَهُ، أَوْ لَا جُزْءَ لَهُ، أَوْ لَا بَعْضَ لَهُ.

٢- أَنَّهُ تَعَالَى وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ لَا شَبِيهَ لَهُ.

٣- أَنَّهُ تَعَالَى وَاحِدٌ فِي أَفْعَالِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَهَذَا هُوَ مُسَمَّى التَّوْحِيدِ عِنْدَ عَامَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ.

وَالصَّوَابُ أَنَّ التَّوْحِيدَ أَنْوَاعُهُ ثَلَاثَةٌ:

١- تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ.

٢- تَوْحِيدُ الْأَلُوْهِيَّةِ.

٣- تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.



وَبَيَّانُ غَلَطِهِمْ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ لَمْ يُدْخِلُوا فِيهِ تَوْحِيدَ الْأُلُوْهِيَّةِ<sup>[١]</sup>، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ فِي  
الْأُلُوْهِيَّةِ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَيُفَرِّدُ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ، مَعَ أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ التَّوْحِيدِ هُوَ  
الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خُلِقَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا  
لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَمِنْ أَجْلِهِ أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ  
قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِيْٓ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الانباء: ٢٥]، وَقَوْلِهِ:  
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾  
[النحل: ٣٦]، وَقَدْ قَامَ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِذَلِكَ يَدْعُونَ قَوْمَهُمْ ﴿أَنْ  
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، أَيْ: مَا لَكُمْ مِنْ مَعْبُودٍ حَقٌّ غَيْرُ اللَّهِ،  
فَجَمِيعُ الْأَلِهَةِ سِوَاهُ بَاطِلَةٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ  
دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [القمان: ٣٠].

وَمِنْ أَجْلِهِ قَامَتِ الْمَعَارِكُ الْكَلَامِيَّةُ وَالْقِتَالِيَّةُ بَيْنَ الرُّسُلِ وَأَقْوَامِهِمُ الْمُكَذِّبِينَ  
لَهُمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ نُوحٍ: ﴿قَالُوا يَنْتُحِ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا  
فَأَيْنَا يَمَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢]<sup>[٢]</sup>.

[١] وَهَذَا خَلَلٌ عَظِيمٌ جَدًّا، فَيُهْمَلُ مِنَ التَّوْحِيدِ تَوْحِيدَ الْأُلُوْهِيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي  
مِنْ أَجْلِهِ خُلِقَ النَّاسُ.

إِذَنْ: هَذَا نَقْصٌ عَظِيمٌ، لِأَنَّهُمْ أَسْقَطُوا أَعْظَمَ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ.

[٢] هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ جَادَلُوا، ثُمَّ تَحَدَّوْا نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أَنْذَرَهُمُ بِالْعَذَابِ،

وَقَالَ عَنْ قَوْمِ هُودٍ: ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِ قَالَ إِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٥-٥٣﴾ [هود: ٥٥-٥٣].<sup>[١]</sup>

وَقَالَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩-٦٦﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٩].<sup>[٢]</sup>

إِذَا هُمْ خَالِفُوا وَقَالُوا: ﴿فَأَنَّا بِمَا نَعْبُدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، إِلَىٰ هَذَا الْحَدِّ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- يَتَحَدَّى الْبَشَرُ رُسُلَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَلَكِنْ: أَتَاهُمْ مَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ، حَيْثُ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالْغَرَقِ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا ذُرِّيَّةُ نُوحٍ.

[١] قَوْلُهُ: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِ﴾ أَي: أَصَابُوكَ بِالْجُنُونِ، يَقُولُونَ: إِنَّ الْآلِهَةَ أَصَابَتْكَ بِالْجُنُونِ؛ فَصِرْتَ تَأْتِي بِهَذَا الْكَلَامِ الَّذِي يَدَّعُونَ أَنَّهُ مِنَ الْجُنُونِ.

وَلَكِنَّهُ تَحَدَّاهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَقَالَ: ﴿إِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَقَوْمُوا بِشَيْءٍ.

[٢] قَوْلُهُ: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾: فَأَضْرَمُوا نَارًا عَظِيمَةً جَدًّا، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْ حَوْلِهَا.

وَقَالَ عَنِ الْمُكَذِّبِينَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦] <sup>١١</sup>.

وَقَالَ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا بِمَا وَصَّيُوا عَلَىٰ آلِهَتِهِمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٤-٦] <sup>١٢</sup>.

وَأَلْقُوا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهَا بِوَاسِطَةِ الْمُنْجِنِيقِ الَّذِي يُرْمَى بِهِ مِنْ بَعِيدٍ، فَوَضَعُوهُ فِي كِفَّةِ الْمُنْجِنِيقِ، ثُمَّ رَمَوْهُ مِنْ بَعِيدٍ فِي هَذِهِ النَّارِ.

فَقَالَ رَبُّ النَّارِ عَزَّوَجَلَّ لِلنَّارِ: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ فَكَانَتْ بَرْدًا وَسَلَامًا، ﴿بَرْدًا﴾ ضِدَّ الْحَرَارَةِ، ﴿وَسَلَامًا﴾ ضِدَّ الْإِحْرَاقِ وَالْإِهْلَاقِ.

فَكَانَتْ كَأَنَّهَا رَوْضَةٌ خَضِرَاءُ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى كِبَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَدَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَشْيَاءَ لَيْسَتْ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْإِلْحَادِ الطَّبِيعِيُّونَ: إِنَّ الْأُمُورَ طَبِيعِيَّةٌ؛ لِأَنَّ النَّارَ مِنْ طَبِيعَتِهَا الْإِحْرَاقُ وَالْإِهْلَاقُ. لَكِنَّ هَذِهِ النَّارَ لَمْ تُحْرِقْ إِبْرَاهِيمَ.

[١] الاستفهام في قوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ لِلتَّحْقِيرِ وَالتَّصْغِيرِ، أَيْ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَعِيبُ الْآلِهَةَ.

[٢] قولهم: ﴿وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ أَيْ: عَلَى أَنْ يَأْتِيَكُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ أَثَرَتْ تَأْثِيرًا بِالْغَا؛ وَهَذَا تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ.

وَالْوَاقِعُ هُوَ مَا وَقَعَ، فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى دِينِهِمْ، وَفُتِحَتْ مَكَّةُ فِي أَشْرَفِ الشُّهُورِ فِي رَمَضَانَ، وَكُتِرَتْ الْأَصْنَامُ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُونَ وَثَلَاثُ مِثَّةٍ نُصِبَ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ

وَقَالَ فِي أَعْدَائِهِ: ﴿إِنْ يَشْفِقُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [المتحة: ٢]، وَقَالَ فِي قِتَالِهِمْ: ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وَالْمُهِمُّ أَنَّ هَذَا التَّوْحِيدَ الَّذِي هَذَا شَأْنُهُ قَدْ أَغْفَلَهُ عَامَّةُ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ أَحَدُ وُجُوهِ غَلْطِهِمْ فِي مُسَمَّى التَّوْحِيدِ<sup>(١)</sup>.

فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبا: ٤٩]»<sup>(١)</sup>.

[١] قَوْلُهُ: ﴿إِنْ يَشْفِقُوكُمْ﴾ أَي: إِنْ يَجِدُوكُمْ، ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: بِالضَّرْبِ، ﴿وَأَلْسِنَتَهُمْ﴾: بِالسَّبِّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بِالسُّوءِ﴾: يَتَعَلَّقُ بِفَعْلِهِ (يَبْسُطُ)، فَيَشْمَلُ السُّوءَ الْقَوْلِيَّ وَالسُّوءَ الْفِعْلِيَّ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾: كُلُّ كَافِرٍ يَوَدُّ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا، كَمَا قَالَ عَزَّجَلَّ هُنَا: ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

ولهذا: يُحَاوِلُونَ بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْ قُوَّةٍ، أَنْ يَصُدُّوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ، وَإِذَا أَمَكَّنَهُمْ أَنْ يُبِيدُوا الْمُسْلِمِينَ أَوْ طَائِفَةً مِنْهُمْ فَعَلُوا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَقَوْمَ الْإِسْلَامُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، إِذْ إِنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ، وَقَدْ قَالَ الشَّيْطَانُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، رقم (٢٣٤٦)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، رقم (١٧٨١).

الْوَجْهَ الثَّانِي: قَوْلُهُمْ: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ لَا قَسِيمَ لَهُ.. إلخ، فِيهِ إِجْمَالٌ:

فَإِنْ أَرَادُوا بِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَتَجَزَّأُ وَلَا يَتَفَرَّقُ وَلَا يَكُونُ مُرَكَّبًا مِنْ أَجْزَاءٍ فَهَذَا حَقٌّ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

وَإِنْ أَرَادُوا بِهِ مَعَ ذَلِكَ نَفْيَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ كَعُلُوِّهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَوَجْهِهِ، وَيَدَيْهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ - وَهَذَا مُرَادُهُمْ - فَهُوَ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ ذَلِكَ وَغَيْرَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ، وَتَوْحِيدُهُ فِيهَا إِبْتَاهَا لَهُ عَلَى الْوَجْهِ اللَّاتِقِ بِهِ بِدُونِ تَمَثُّلٍ لَا أَنْ تُنْفَى عَنْهُ بِنَوْعٍ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّعْطِيلِ<sup>[١]</sup>.

وَلِذَلِكَ: يَجِبُ أَنْ تُسَيِّئُوا الظَّنَّ بِكُلِّ الْكُفَّارِ، لَا تُحْسِنُوا فِيهِمُ الظَّنَّ، حَتَّى وَإِنْ تَظَاهَرُوا بِالصَّدَاقَةِ أَوْ بِالْوَلَايَةِ لَكُمْ، فَلَا تُحْسِنُوا بِهِمُ الظَّنَّ أَبَدًا؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَتَّخِذَهُمْ أَعْدَاءَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُدَّةِ﴾ [المتحنة: ١].

[١] إِذَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: «إِنَّهُ لَا قَسِيمَ لَهُ، أَوْ لَا جُزْءَ لَهُ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ» نَفْيَ صِفَاتِهِ الَّتِي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ؛ فَهَذَا بَاطِلٌ. وَهُمْ يُرِيدُونَ: لَا جُزْءَ لَهُ، فَيَقُولُونَ مَثَلًا: لَا وَجْهَ لَهُ؛ لِأَنَّ الْوَجْهَ جُزْءٌ مِنَ الذَّاتِ، فَيَقُولُونَ: لَيْسَ لَهُ جُزْءٌ.

وكَذَلِكَ إِذَا قَالُوا: لَا شَبِيهَ لَهُ، أَوْ لَا قَسِيمَ لَهُ. أَرَادُوا بِذَلِكَ أَيْضًا نَفْيَ عُلُوِّهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

نَقُولُ: هَذَا الَّذِي أَرَدْتُمُوهُ بَاطِلٌ، وَلَا نُوَافِقُكُمْ عَلَيْهِ، وَتَوْحِيدُ اللَّهِ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ تُثَبَّتَ لَهُ هَذِهِ الصِّفَاتُ، عَلَى الْوَجْهِ اللَّاتِقِ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَمَثُّلٍ، لَا أَنْ تُنْفَى عَنْهُ بِنَوْعٍ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّعْطِيلِ.

الْوَجْهَ الثَّالِثُ: قَوْلُهُمْ: «وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ لَا شَبِيهَ لَهُ» فِيهِ إِجْمَالٌ:  
فَإِنْ أَرَادُوا بِهِ إِثْبَاتَ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُمَائِلَهُ  
أَحَدٌ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِ فَهَذَا حَقٌّ، وَهُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ لَكِنَّ عَامَّةَ الْمُتَكَلِّمِينَ لَا يُرِيدُونَ  
ذَلِكَ.

وَإِنْ أَرَادُوا بِهِ نَفْيَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مُمَائِلًا لَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ،  
فَهَذَا لَعْوٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ فَهُوَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: السَّمَاءُ فَوْقَنَا وَالْأَرْضُ تَحْتَنَا<sup>[١]</sup>.  
لِأَنَّ مُمَائِلَةَ الْخَالِقِ لِلْمَخْلُوقِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ مَعْلُومٌ الْإِنْتِفَاءُ، بَلِ الْإِمْتِنَاعُ  
بِضُرُورَةِ الْعَقْلِ، وَالسَّمْعِ، وَإِجْمَاعِ الْعُقَلَاءِ؛ .....

[١] جميع أهل التعطيل لا يأتون بالألفاظ الصريحة، بل يأتون بالفاظٍ تحتمل  
حقاً وباطلاً؛ لأجل أن يلبسوها على الناس، فإذا خاطبهم أحدٌ وجادهم؛ قالوا: أردنا  
كذا. أي: يميلون الكلام على الوجه الصواب.  
وأما العامة فيفسرون لهم الكلام الذي أتوا به مجملاً على أنه نفى للصفات؛  
لأن أهل الباطل لو أتوا بالباطل صريحاً ما قبل منهم، ولكنهم يأتون بألفاظٍ مجملةٍ  
مُزَيَّنةٍ، يحسبها الجاهل حقاً وهي باطلٌ، كقولهم: «وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ لَا قِسِيمَ لَهُ»، إذا  
سمِعَهَا الْعَامِّيُّ يَقُولُ: نَعَمْ صَحِيحٌ، لَا قِسِيمَ لَهُ، وَلَيْسَ لَهُ جُزْءٌ، فَاللَّهُ لَا يَتَجَزَّأُ وَلَا يَتَفَرَّقُ  
وَلَا يَنْقَسِمُ!!.

وَلَكِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ هَذِهِ الْمَعَانِي، بَلِ يُرِيدُونَ الْمَعْنَى الثَّانِي، وَهُوَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ صِفَاتٌ.  
وقولهم: «وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ لَا شَبِيهَ لَهُ»: إِذَا سَمِعَهَا الْعَامِّيُّ أَوْ طَالِبُ الْعِلْمِ  
الَّذِي لَمْ يَتِمَكَّنْ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ: هَذَا كَلَامٌ جَيِّدٌ، وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ أَيُّ: لَيْسَ لَهُ شَبِيهٌ!!.

وَهَذَا لَمْ يُثَبِّتْ أَحَدٌ مِنَ الْأَمَمِ أَحَدًا مُمَثِّلًا لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَغَايَةُ مَنْ شَبَّهَ بِهِ شَيْئًا أَنْ يُشَبَّهَ بِهِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ.

وَإِنْ أَرَادُوا بِهِ نَفْيَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ صِفَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ مَعَ تَمْيِيزِ كُلِّ مِنْهُمَا بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ - وَهَذَا مُرَادُهُمْ - فَهُوَ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ بِضُرُورَةِ الْعَقْلِ أَنَّ كُلَّ مَوْجُودَيْنِ قَائِمَيْنِ بَأَنْفُسِهِمَا لَا بُدَّ مِنْ قَدْرِ مُشْتَرَكٍ بَيْنَهُمَا مَعَ تَمْيِيزِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ، كَاتِّفَاقِهِمَا فِي مُسَمًّى الوجودِ وَالذَّاتِ وَالْقِيَامِ بِالنَّفْسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَنَفْيُ هَذَا الْقَدْرِ تَعْطِيلٌ مُحْضٌ<sup>[١]</sup>.

[١] إِذَا قَالُوا: نُرِيدُ نَفْيَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ صِفَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ، مَعَ تَمْيِيزِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ - وَهَذَا هُوَ مُرَادُهُمْ -؛ فَهَذَا أَيْضًا بَاطِلٌ؛ أَي: إِذَا قَالُوا: لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُوجَدَ صِفَةٌ لِلْخَالِقِ يَتَصَفُّ بِهَا الْمَخْلُوقُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ - عَلَى زَعْمِهِمْ - التَّشْبِيهَ، فَمَثَلًا: لَا يُوجَدُ السَّمْعُ الْحَقِيقِيُّ لِلرَّبِّ؛ لِأَنَّهُ مَوْجُودٌ فِي الْخَلْقِ، أَي: مَعْنَاهُ أَنَّ الْقَدْرَ الْمَشْتَرَكَ بَيْنَ صِفَةِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مُتَّصِفٌ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَتَمَيَّزُ بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ، فَيَمْنَعُونَ هَذَا.

وَمَثَلًا: الْكَلَامُ صِفَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ، هُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَخْلُوقِ قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ فِي الْكَلَامِ.

وَنَحْنُ نَقُولُ: يَتَكَلَّمُ، لَكِنْ لَيْسَ كَلَامُ الْخَالِقِ كَكَلَامِ الْمَخْلُوقِ.

وَنَقُولُ: إِذَا أَرَدْتُمْ بِقَوْلِكُمْ: لَا شَبِيهَ لَهُ. أَي لَيْسَ هُنَاكَ قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ صِفَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، مَعَ تَمْيِيزِ الْخَالِقِ بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ وَالْمَخْلُوقِ بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ، إِذَا أَرَدْتُمْ هَذَا فَهَذَا غَيْرُ مَقْبُولٍ وَغَيْرُ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَدْرِ مُشْتَرَكٍ.

وَالْقَوْلُ بِهَذَا الْمُرَادِ لَا يَمْنَعُ نَفْيَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ عِنْدَ مَنْ يَرَى أَنَّ إِبْتِثَاتَ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، فَقَدْ سَبَقَ أَنَّ أَهْلَ التَّعْطِيلِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ أَذْخَلُوا نَفْيَ الصِّفَاتِ فِي مُسَمَّى التَّوْحِيدِ، وَقَالُوا: مَنْ أَثَبَّتَ لِلَّهِ عِلْمًا أَوْ قُدْرَةً وَنَحْوَ ذَلِكَ فَهُوَ مُشَبَّهٌ غَيْرٌ مُوَحَّدٍ، وَزَادَ عَلَيْهِمْ غُلَاةُ الْفَلَاسِفَةِ وَالْقَرَامِطَةُ فَأَذْخَلُوا فِيهِ نَفْيَ الْأَسْمَاءِ، وَقَالُوا: مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ. وَنَحْوَ ذَلِكَ فَهُوَ مُشَبَّهٌ غَيْرٌ مُوَحَّدٍ، وَزَادَ عَلَيْهِمْ غُلَاةُ الْغُلَاةِ فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِمَا يَتَّصِفُ بِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ نَفْيًا، فَمَنْ نَفَى عَنْهُ صِفَةً، أَوْ أَثَبَّتَ لَهُ صِفَةً فَهُوَ مُشَبَّهٌ غَيْرٌ مُوَحَّدٍ.

وَقَدْ سَبَقَ الرَّدُّ عَلَى هَؤُلَاءِ الطَّوَائِفِ فِي أَوَّلِ الرِّسَالَةِ وَاللَّهُ الْحَمْدُ.

إِذْنِ: الوجود للخالق والمخلوق قدرٌ مشتركٌ، كلٌّ منهما موجودٌ، لكنَّ وجودَ الخالقِ يَخْتَصُّ بِهِ، ووجودُ المخلوقِ يَخْتَصُّ بِهِ.

وَأَهْلُ التَّعْطِيلِ يُرِيدُونَ نَفْيَ الْقَدْرِ الْمَشْتَرَكِ.

نَقُولُ: هَذَا مُمْتَنِعٌ بِضَرُورَةِ الْعَقْلِ، فَإِنَّ كُلَّ مَوْجُودَيْنِ قَائِمَيْنِ بَأَنْفُسِهِمَا، فَلَا بُدَّ مِنْ قَدْرِ مُشْتَرَكٍ بَيْنَهُمَا مَعَ تَمْيِيزِ كُلِّ وَاحِدٍ، وَالْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ كِلَاهُمَا مَوْجُودٌ، وَالْقَدْرُ الْمَشْتَرَكُ بَيْنَهُمَا: الوجودُ، وَلَكِنْ يَتَمَيَّزُ وَجُودُ الْخَالِقِ عَنِ الْمَخْلُوقِ.

كَذَلِكَ الذَّاتُ، فَالْخَالِقُ لَهُ ذَاتٌ وَالْمَخْلُوقُ لَهُ ذَاتٌ، لَكِنْ تَخْتَلِفُ الذَّاتُ هَذِهِ عَنْ هَذِهِ، فَالْقِيَامُ بِالنَّفْسِ لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِهِ الْإِسْتِغْنَاءُ عَنِ الْغَيْرِ؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنِ اللَّهِ، لَكِنَّ الْمُرَادَ بِالْقِيَامِ بِالنَّفْسِ أَنَّهُ لَيْسَ عَرَضًا يَقُومُ بِغَيْرِهِ؛ لِأَنَّا نَعْرِفُ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ إِمَّا أَعْيَانٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا، وَإِمَّا أَعْرَاضٌ وَصِفَاتٌ قَائِمَةٌ بِغَيْرِهَا.

وَمُرَادُ الْمُؤَلَّفِ رَحْمَةُ اللَّهِ الْقِيَامُ بِالنَّفْسِ، أَيِ: الْأَعْيَانِ.



الْوَجْهَ الرَّابِعُ: قَوْلُهُمْ: «وَاحِدٌ فِي أَعْمَالِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ» وَهَذَا أَشْهَرُ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ عِنْدَهُمْ، وَيَعْنُونَ بِهِ أَنَّ خَالِقَ الْعَالَمِ وَاحِدٌ، وَيَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الْمَطْلُوبُ، وَأَنَّ هَذَا مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَيَجْعَلُونَ مَعْنَاهَا لَا قَادِرَ عَلَى الْإِخْتِرَاعِ إِلَّا اللَّهُ<sup>[١]</sup>.

[١] يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْعِلْمُ، فَالَّذِي يَرَى أَنَّ إِثْبَاتَ هَذَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، فَإِنَّ هَذَا الْمَرَادَ لَا يَمْنَعُ هَذَا الْقَوْلَ؛ لِأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ عَلَى رَأْيِهِمْ تَشْبِيهٌ.

وَعَلَى هَذَا: فَيَكُونُ هَذَا الْمَرَادُ يُقَرُّ الْقَوْلَ الْبَاطِلَ، وَهُوَ نَفْيُ الصِّفَاتِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، فَإِذَا قَالُوا: وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ لَا شَبِيهَ لَهُ. وَكَانُوا يُحَاطَبُونَ مَنْ يَرَى أَنَّ إِثْبَاتَ أَيِّ صِفَةٍ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْفُوا هَذَا الْبَاطِلَ.

وَكُلُّ الطَّوَائِفِ الْمُخَالَفَةِ يَرَوْنَ أَنَّ الْإِثْبَاتَ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، فَإِذَا قَالُوا: وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ لَا شَبِيهَ لَهُ. لَزِمَ مِنْ هَذَا عِنْدَ مَنْ يَرَى أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَةِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ؛ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ التَّعْطِيلُ وَنَفْيُ الصِّفَاتِ، فَصَارَ هَذَا الْقَوْلُ الْبَاطِلُ فِي نَفْسِهِ؛ يُقَرُّ الْقَوْلَ الْبَاطِلَ الْآخَرَ، الَّذِي يَقُولُ: إِنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ.

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ نَقُولُ لَهُمْ: لَا تُثَبِّتُوا الصِّفَةَ لِأَنَّ الْإِثْبَاتَ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ؛ إِذَنْ: نَفْيُ الصِّفَاتِ تَوْحِيدٌ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا يَمْنَعُ مِنَ التَّعْطِيلِ، وَعِنْدَ مَنْ يَرَى أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ.

وَإِذَا قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ لَا شَبِيهَ لَهُ. وَجَاءَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الطَّوَائِفِ تَقُولُ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ تَشْبِيهٌ. لَزِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ نَفْيَ الصِّفَةِ؛ لِأَنَّ إِثْبَاتَهَا تَشْبِيهٌ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ التَّوْحِيدُ نَفْيَ الصِّفَاتِ.

إِذَنْ: التَّوْحِيدُ عِنْدَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْفَلَّاسِفَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَغُلَاتِهِمْ وَغُلَاةِ الْغَلَاةِ نَفِيُّهِمُ التَّوْحِيدَ.

وقولهم: «واحدٌ في أفعاله لا شريك له» إذا سمعتَ هَذَا الكلامَ تقولُ: ما أحسنَ هَذَا الكلامَ! وَلِهَذَا نَجِدُهُمْ يُرَكِّزُونَ عَلَى تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي أَقَرَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ مِنَ الْعُقَلَاءِ.

وهنا يقولون: «اللهُ واحدٌ في أفعاله لا شريك له» يَعْنُونَ بِهِ: أَنَّ خَالِقَ الْعَالَمِ وَاحِدٌ، وَيَحْتَجُّونَ بِذَلِكَ بِمَا يَذْكُرُونَهُ مِنْ دَلَالَةِ التَّمَانُعِ وَغَيْرِهَا.

وَدَلَالَةُ التَّمَانُعِ مَعْنَاهَا: امْتِنَاعَ كَذَا لَامْتِنَاعِ كَذَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فَلَمْ تَفْسُدَا، إِذَنْ فَلَيْسَ فِيهِمَا آلِهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَاُمْتِنَاعَ تَعَدُّدِ الْآلِهَةِ لَامْتِنَاعِ الْفَسَادِ.

ولما كانتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ قَائِمَةً مُنْتَظِمَةً فِي غَايَةِ الْإِنْتِظَامِ، دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمَا إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَانِ لَفَسَدَتَا.

وَالْفَسَادُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْإِلَهَيْنِ يَنْفَرِدُ بِمَا خَلَقَ.

وَنَحْنُ نَشَاهِدُ الْآنَ نِظَامَ الْعَالَمِ وَاحِدٌ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ يَكُونُ الْخَالِقُ وَاحِدًا.

وَوَجْهٌ آخَرُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

إِذَنْ: لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ، لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ، وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا خَطَأٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأول: أَنَّ هَذَا الَّذِي قَرَّرُوهُ قَدْ أَقَرَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا لِلَّهِ شَرِيكًا فِي أَفْعَالِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وَمَعَ هَذَا لَمْ يَكُونُوا مُوَحِّدِينَ، بَلْ هُمْ مُشْرِكُونَ بِدَلَالَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ لِكُونِهِمْ أَنْكَرُوا تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ؛ وَقَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]؛ وَلِهَذَا قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مُسْتَبِيحًا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ.

الثاني: أَنَّ تَفْسِيرَهُمْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) بِهَذَا التَّفْسِيرِ الَّذِي ذَكَرُوهُ، أَيْ: أَنَّهُ لَا قَادِرَ عَلَى الْإِخْتِرَاعِ إِلَّا اللَّهُ، يَقْتَضِي أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى الْإِخْتِرَاعِ دُونَ غَيْرِهِ فَقَدْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَعَصَمَ دَمَهُ وَمَالَهُ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ تَفْسِيرَهَا بِهَذَا الْمَعْنَى بَاطِلٌ مُحَالِفٌ لِمَا عَرَفَهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا؛ فَإِنَّ تَفْسِيرَهَا الصَّحِيحَ: أَنَّ لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ، هَذَا هُوَ الَّذِي يَعْرِفُهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَعْنَاهَا، بَلْ وَالْمُشْرِكُونَ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوكُمْ إِلَهَتَنَا لِشَاعِرٍ تَجَنُّونَ﴾ [الصافات: ٣٥]- [٣٦].

وَكَانُوا لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ الْإِقْرَارِ بِقُلُوبِهِمْ وَالسِّتَةِ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ وَحْدَهُ، وَلَا يَدَّعُونَ أَنَّ آلِهَتَهُمْ تَخْلُقُ شَيْئًا، فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَعْلَمُ وَأَفْقَهُ

بِمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ<sup>[١]</sup>، وَأَنَّ غَايَةَ مَا يُقَرَّرُهُ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنْ التَّوْحِيدِ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، الَّذِي لَا يُجَلِّصُ الْإِنْسَانَ مِنَ الشَّرِكِ، وَلَا يَعِصُمُ بِهِ دَمَهُ وَمَالَهُ، وَلَا يَسْلَمُ بِهِ مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ<sup>[٢]</sup>.

[١] هم يقولون: لا إله إلا الله. أي: لا قادر على الصُّنْعِ إلا الله، وما قالوا: لا يصنع. فقد يكون «قادرًا» ولكنه لا يصنع، وهذا خطأ في أصل المعنى، وخطأ في تفصيل المعنى.

ففي أصل المعنى؛ لأنهم إذا قالوا: لا إله إلا الله. أي: لا قادر على الصُّنْعِ إلا الله، صار المشركون موحدين؛ لأنَّ المشركين يقولون: لا قادر على الصُّنْعِ ولا يصنع إلا الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

وهذا لا شكَّ أنه قولٌ باطلٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(٢٥)</sup> وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَينَا لِشَاعِرٍ تَجْنُونَ ﴿ [الصافات: ٣٥-٣٦]، ولو كان معنى (لا إله إلا الله): لا قادر على الصُّنْعِ إلا الله؛ فإنهم لا يستكبرون، بل يُقَرُّون به.

[٢] قوله: «وَأَنَّ غَايَةَ مَا يُقَرَّرُهُ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنَ التَّوْحِيدِ، تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ..»:

أما تفسيرهم توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية؛ فهو باطل أصلاً.

ولكن: لا شكَّ أنَّ الذي جاءت به الرُّسُلُ، والذي دَعَتْ إِلَيْهِ قَوْمُهَا هو توحيد الألوهية؛ لأنَّ هَؤُلَاءِ الْمَبْعُوثَ إِلَيْهِمْ يُقَرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَقَدْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ الْمُتَسِّبِينَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ  
وَالْتَّحْقِيقِ وَالتَّوْحِيدِ، فَكَانَ غَايَةً مَا عِنْدَهُمْ مِنَ التَّوْحِيدِ أَنْ يَشْهَدَ الْمَرْءُ أَنَّ اللَّهَ  
رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَلِيكُهُ، وَخَالِقُهُ، لَا سِوَا إِذَا غَابَ الْعَارِفُ بِمَوْجُودِهِ عَنْ وُجُودِهِ،  
وَبِمَشْهُودِهِ عَنْ شُهُودِهِ، وَبِمَعْرُوفِهِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَدَخَلَ فِي فَنَاءِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ  
بِحَيْثُ يَفْنَى مَنْ لَمْ يَكُنْ وَيَبْقَى مَنْ لَمْ يَزَلْ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الْغَايَةَ هِيَ مَا أَقْرَبَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ غَايَةٌ  
لَا يَكُونُ بِهَا الرَّجُلُ مُسْلِمًا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَادَةِ  
خَلْقِهِ<sup>(١)</sup>.

[١] أَهْلُ التَّصَوُّفِ مَذْهَبُهُمْ مَذْهَبٌ خَفِيٌّ، فَهَمَّ يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِنْسَانَ بِالتَّصَوُّفِ  
يَصُلُّ إِلَى دَرَجَةٍ لَا يَشْهَدُ غَيْرَ اللَّهِ. فَيَقُولُونَ: إِنَّ الْعَارِفَ<sup>(١)</sup> يَصُلُّ إِلَى دَرَجَةٍ يَغِيبُ  
بِمَوْجُودِهِ عَنْ وُجُودِهِ.

وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْسَى نَفْسَهُ بِالنَّسْبَةِ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، وَلَا يَشْهَدُ فِي الْكَوْنِ إِلَّا اللَّهَ.  
وَهُؤُلَاءِ يَقُولُونَ: نَحْنُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، الَّذِينَ لَا نَشْهَدُ فِي الْكَوْنِ إِلَّا اللَّهَ، أَمَّا الَّذِينَ  
يَشْهَدُونَ فِي الْكَوْنِ مَا سِوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ وَلَا يَتَّهَمُ نَاقِصَةً.

وَنَحْنُ نَقُولُ لَهُمْ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا لَا يَكُونُ بِهِ الرَّجُلُ مُسْلِمًا،  
فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ.

(١) كلمة (العارف) لقب صوفي؛ ولهذا إذا وجدت على الكتاب: هذا تصنيف العارف. فاعلم أن  
هذا صوفي. (الشارح)

وَمِنْ ثَمَّ صَارَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لَا يَتَقَيَّدُ بِالشَّرْعِ؛ لِأَنَّهُ يَشْهَدُ مَقَامَ الرُّبُوبِيَّةِ فَقَطْ،  
فِيُحِلُّونَ لَأَنْفُسِهِمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، حَتَّى إِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ يَحِلُّ لَهُ أَنْ  
يَتَزَوَّجَ مَنْ شَاءَ مِنَ النِّسَاءِ وَبِدُونِ وَلِيِّ، وَبِدُونِ رَضَا، وَبِدُونِ مَهْرٍ، وَبِدُونِ عَدَّةٍ،  
وَبِدُونِ عِدَّةٍ، فَمَتَى مَا اشْتَهَى؛ ذَهَبَ لِلرَّجُلِ وَقَالَ: تَزَوَّجْتُ ابْنَتَكَ بِدُونِ أَيِّ شَيْءٍ.  
وَهَذَا خَطَأٌ وَبَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ وَلَا أَساسَ.



## فصل

## في الفناء وأقسامه

الْفَنَاءُ لُغَةً: الزَّوَالُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (١٦) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿[الرحمن: ٢٦-٢٧]﴾<sup>[١]</sup>.

وَفِي الاصْطِلَاحِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: دِينِيَّ شَرْعِيٌّ وَهُوَ الْفَنَاءُ عَنْ إِرَادَةِ السَّوَى، .....

[١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أَي: مَنْ عَلَى الْأَرْضِ زَائِلٌ.

وقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: يَنْبَغِي أَنْ يَصَلَ قَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾؛ وَذَلِكَ لِيُظْهَرَ الْكَمَالَ فِي بَقَاءِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٢٨]؛ لِأَنَّ كَمَالَ الْبَقَاءِ إِنَّمَا يَظْهَرُ وَيَتَبَيَّنُ إِذَا كَانَ الْآخَرُ يَفْنَى؛ لِأَنَّ مُجَرَّدَ أَنْ نَقُولَ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ لَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَيَدُلُّ عَلَى نَقْصِ الْمَخْلُوقِ فَقَطْ، فَإِذَا وُصِلَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾؛ عُرِفَ تَمَامُ كَمَالِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

ولكن معروفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ الْقَوْلَ الثَّانِيَّ وَهُوَ اخْتِيَارُ الْوُقُوفِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَيِّ، سِوَاءِ كَانَ مَا بَعْدَهَا لَهُ تَعَلُّقٌ بِهَا أَمْ لَا، حَتَّى إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: يَحْسَنُ أَنْ نَقُولَ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]، وَنَقِفُ ثُمَّ نَقُولَ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥].

أَيُّ: عَنْ إِرَادَةِ مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ بِحَيْثُ يَفْنَى بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ عَنِ الشَّرْكِ،  
وَيَشْرِيَعْتِهِ عَنِ الْبِدْعَةِ، وَبِطَاعَتِهِ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَبِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ عَنِ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِهِ،  
وَيُمَرِّدُ رَبِّهِ عَنْ مُرَادِ نَفْسِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَشْتَغِلُّ بِهِ مِنْ مَرْضَاةِ اللَّهِ عَمَّا سِوَاهُ<sup>[١]</sup>.

وَحَقِيقَتُهُ: انْشِغَالُ الْعَبْدِ بِمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ عَمَّا لَا يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ وَإِنْ سُمِّيَ  
فَنَاءً فِي اصْطِلَاحِهِمْ.

وَهَذَا فَنَاءٌ شَرْعِيٌّ بِهِ جَاءَتْ الرُّسُلُ، وَنَزَلَتْ الْكُتُبُ، وَبِهِ قِيَامُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا،  
وَصَلَاحُ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا<sup>[٢]</sup>، .....

[١] قَوْلُهُ: «الْأَوَّلُ: دِينِيَّ شَرْعِيٌّ، وَهُوَ الْفَنَاءُ عَنْ إِرَادَةِ السَّوَى، أَيُّ: عَنْ إِرَادَةِ  
مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ...»: الْوَاقِعُ أَنَّ تَسْمِيَةَ هَذَا فَنَاءً إِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ الْمَسَايِرَةِ، وَإِلَّا فَلَا  
حَاجَةَ إِلَى أَنْ تُسَمَّى هَذَا فَنَاءً، بَلْ تُسَمَّى عِبَادَةً، لَكِنْ مِنْ بَابِ الْمَسَايِرَةِ هُوَ لَاءُ الصُّوفِيَّةِ  
تَكَلَّمَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِهَذَا الْكَلَامِ، وَتَكَلَّمَ عَنْ أَنَّ هَذَا يُسَمَّى فَنَاءً.

[٢] حَقِيقَةُ الْفَنَاءِ: أَنَّهُ انْشِغَالُ الْعَبْدِ بِمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ، إِنْ سُمِّيَ فَنَاءً عَلَى  
اصْطِلَاحِهِمْ.

وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: مَا هُوَ الْفَنَاءُ الدِّينِيَّ الشَّرْعِيُّ؟

وَالْجَوَابُ: هُوَ الْفَنَاءُ مِنْ إِرَادَةِ السَّوَى<sup>(١)</sup>، بِمَعْنَى أَنَّكَ لَا تُرِيدُ سِوَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ  
فِي عِبَادَتِهِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَنْ لَا يُرِيدُ إِلَّا اللَّهَ؛ فَسَوْفَ تَسْتَلِزُّمُ هَذِهِ الْإِرَادَةُ أَمْرَيْنِ:

٢- وَالْمَتَابَعَةُ.

١- الْإِخْلَاصُ.

(١) لَفْظُ (السَّوَى) هَذَا مِنْ بَابِ الْمَوَافَقَةِ عَلَى اصْطِلَاحَاتِهِمْ وَتَعْبِيرَاتِهِمْ. (الْشَارِحُ)



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]<sup>[١]</sup>، وَقَالَ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]<sup>[٢]</sup>، .....

لأنَّ شَخْصًا يَقُولُ: أُرِيدُ اللَّهَ. وَيُشْرِكُ بِهِ، نَقُولُ: أَنْتَ كَاذِبٌ.

وَشَخْصٌ يَقُولُ: أَنَا أُرِيدُ اللَّهَ. وَيَسْلُكُ غَيْرَ شَرِيعَتِهِ، نَقُولُ: أَنْتَ كَاذِبٌ؛ لِأَنَّ مَنْ أَرَادَ شَيْئًا سَلَكَ الطَّرِيقَ الْمَوْصِلَ إِلَيْهِ.

فَنَقُولُ: إِذَا كُنْتَ صَادِقًا فِي أَنَّكَ فَنَيْتَ عَنْ إِرَادَةِ السَّوَى؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَمَلُكَ مَبْنِيًّا عَلَى الْإِخْلَاصِ وَالْمَتَابَعَةِ.

وَقَوْلُهُ: «وَحَقِيقَتُهُ»: الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْفَنَاءِ الشَّرْعِيِّ.

[١] وَلَا يَكُونُ السَّعْيُ مَشْكُورًا إِلَّا بِهَذِهِ الشُّرُوطِ الثَّلَاثَةِ:

١- أَرَادَ الْآخِرَةَ.

٢- سَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا.

٣- وَهُوَ مُؤْمِنٌ.

لِأَنَّهُ قَدْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَيَسْعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا، لَكِنَّ قَلْبَهُ فِيهِ شَكٌّ، فَهَذَا لَا يَكُونُ سَعْيُهُ مَشْكُورًا.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل: ٩٧]،

اشْتَرَطَ اللَّهُ الْإِيمَانَ؛ لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ كَالْمُنَافِقِينَ مَثَلًا، فَالْمُنَافِقُ يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا لَكِنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ فَلَا يَنْفَعُهُ.

وَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً  
وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]<sup>(١)</sup>، .....

وقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، ولم يقل: فلنوسِّعَنَّ له في الرِّزْق؛  
لأنَّ المقصودَ الحياةَ الطَّيِّبَةَ، سواءً كان الرِّزْقُ واسعاً أم ضيقاً.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]،  
وهَذَا فِي الْآخِرَةِ، يُجْزَوْنَ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَمَلُ فِيهِ تَقْصِيرٌ  
يُرْفَعُ لَهُ وَيُكَمَّلُ.

[١] الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾  
[الرعد: ٢٢]، فَهَمَّ صَبَرُوا عَلَى الْأَقْدَارِ الْمُؤَلِّمَةِ الَّتِي لَا تُلَاثِمُ النَّفْسَ، وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي  
تَدْعُو إِلَيْهَا النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، وَعَلَى طَاعَةِ اللَّهِ الَّتِي تَنْفَرُ مِنْهَا النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ،  
فَهُمْ صَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ.

وَأَفْضَلُهَا: الصَّبْرُ عَلَى الطَّاعَةِ، ثُمَّ الصَّبْرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، ثُمَّ الصَّبْرُ عَلَى الْأَقْدَارِ.

وقوله: ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: فِي مُعَامَلَةِ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا سَيِّئَةً أَعْقَبُوهَا  
بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالرَّجُوعِ إِلَيْهِ، وَكَثْرَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَذَرَوْا السَّيِّئَةَ بِهَذِهِ الْحَسَنَةِ.

وكَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِمُعَامَلَةِ الْمَخْلُوقِينَ، إِذَا أَسَاءَ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ قَابَلُوهُ بِالْإِحْسَانِ، كَمَا  
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي سَأَلَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأَحْلُمُ  
عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ. فَقَالَ: «إِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ فَكَأَنَّمَا  
تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٨).

وَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]<sup>[١]</sup>.

وَهَذَا هُوَ الذَّوْقُ الْإِيمَانِيُّ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي لَا يُعَادِلُهُ ذَوْقٌ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، .....

و(الملل) أي: الرماذ الحار، أي: كأنها تُطعمهم الرماذ الحار.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي: العُقْبَى الحميدة وهي الجنة، ويمكنُ أَنْ تُحْمَلَ عَلَى مَا هُوَ أَعْمُ، عَلَى عُقْبَى الدَّارَيْنِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُمَكِّنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَيَسْتَخْلِفُهُمْ فِيهَا.

[١] أَمَّا عَنِ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]، أي: لَا تَنْشَغِلُوا بِهَا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَلَكِنْ انشَغِلُوا بِهَا لِذِكْرِ اللَّهِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ انشَغَالُكُمْ بِأَوْلَادِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»<sup>(١)</sup>، لَكِنْ لَا تَنْشَغَلْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: التَّلَهَّى بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ حَتَّى وَلَوْ رِبَحَ الْمَالُ رِبْحًا عَظِيمًا فَهُوَ خَاسِرٌ؛ لِأَنَّهُ قَوَّتَ ثَوَابًا عَظِيمًا بِالطَّاعَةِ.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، رقم (٣٨٩٥)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب حسن معاشره النساء، رقم (١٩٧٧).

وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ  
كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا،  
وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا»<sup>(٢)</sup> (١).

[١] فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ إِثْبَاتُ الذَّوْقِ؛ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ  
وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ» هَذَا ذَوْقٌ؛ وَالثَّانِي: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ» فَهَذَا هُوَ الذَّوْقُ الْإِيمَانِيُّ  
الْحَقِيقِيُّ، أَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانُ بَطَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى ذَوْقًا وَحَلَاوَةً يَنْسَى بِهَا كُلَّ شَيْءٍ.  
فَالأَوَّلُ يَقُولُ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَالْمَحَبَّةُ تَكُونُ فِي  
الْقَلْبِ، وَهِيَ الَّتِي تَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْفِعْلِ أَوْ التَّرْكِ.  
وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ مَدَارَ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى الْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ الَّتِي تُحَرِّكُ  
فِي الْوَاقِعِ، إِذْ تُحِبُّ الشَّيْءَ فَتَعْمَلُ لَهُ، وَتُحِبُّ عَدَمَهُ فَتَعْمَلُ ضِدَّهُ، فَهِيَ -فِي الْوَاقِعِ-  
الْمَحَرِّكَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لَا فِي أُمُورِ الدِّينِ وَلَا فِي أُمُورِ الدُّنْيَا.  
فَإِذَا كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ لِلْإِنْسَانِ مِمَّا سِوَاهُمَا؛ فَهَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يُقَدِّمَ مَحَبَّةَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَمَعَ هَذَا إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَأَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛ أَحَبَّهُ  
كُلُّ شَيْءٍ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: قَدْ أَحْبَبْتُ  
فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ. فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ رَقْمُ (١٦)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ  
خِصَالِ مَنْ اتَّصَفَ بِهِنِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ رَقْمُ (٤٢، ٤٣).  
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا رَقْمُ (٣٤).

الْقِسْمُ الثَّانِي: صُورِيٌّ بِدَعِيٍّ وَهُوَ: الْفَنَاءُ عَنْ شُهُودِ السَّوَى، أَيْ: عَنْ شُهُودِ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ أَنَّهُ بِمَا وَرَدَ عَلَى قَلْبِهِ مِنَ التَّعَلُّقِ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَضَعْفِهِ عَنْ تَحْمُلِ هَذَا الْوَارِدِ وَمُقَاوَمَتِهِ غَابَ عَنْ قَلْبِهِ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَفَنِيَ بِهِذِهِ الْغَيْبُوتَةِ عَنْ شُهُودِ مَا سِوَاهُ، فَفَنِيَ بِالْمَعْبُودِ عَنِ الْعِبَادَةِ وَبِالْمَذْكُورِ عَنِ الذِّكْرِ، حَتَّى صَارَ لَا يَذَرِي أَهْوَى فِي عِبَادَةٍ وَذِكْرٍ أَمْ لَا؛ لِأَنَّهُ غَائِبٌ عَنْ ذَلِكَ بِالْمَعْبُودِ وَالْمَذْكُورِ؛ لِقُوَّةِ سَيْطَرَةِ الْوَارِدِ عَلَى قَلْبِهِ<sup>[١]</sup>.

فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ<sup>(١)</sup>.

فَعَلَى هَذَا نَقُولُ: يَجِبُ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْلِكَ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَبِمَحَبَّةِ اللَّهِ يَكُونُ الْإِخْلَاصُ، وَبِمَحَبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ تَكُونُ الْمَتَابَعَةُ.

إِذَنْ: مُحَبَّةُ اللَّهِ تَسْتَلِزُّمُ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، وَمَحَبَّةُ الرَّسُولِ تَسْتَلِزُّمُ مَتَابَعَتِهِ.

وَنَضْرِبُ لِهَذَا مَثَلًا: لَوْ أَنَّ شَخْصًا قَالَ قَوْلًا يُخَالِفُ الْحَدِيثَ، فَأَنْتَ إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ الرَّسُولَ ﷺ أَحَبَّ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تَتَّبِعَ الرَّسُولَ ﷺ، لَكِنْ إِذَا كُنْتَ تُحِبُّ هَؤُلَاءِ أَكْثَرَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ؛ يُمَكِّنُ أَنْ تَتَّبِعَ هَذَا الرَّجُلَ.

الْخُلَاصَةُ: أَنَّهُ بِمَحَبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ تَتَحَقَّقُ الْمَتَابَعَةُ، فَإِذَا تَحَقَّقَتْ مُحَبَّةُ اللَّهِ؛ تَحَقَّقَ لَكَ الْإِخْلَاصُ، وَبِالْإِخْلَاصِ وَالْمَتَابَعَةِ تَذُوقُ طَعْمِ الْإِيمَانِ.

[١] قَوْلُهُمْ: «هَذَا فَنَاءٌ بِاللَّهِ» أَيْ: يَفْنَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ، حَتَّى وَهُوَ يَعْبُدُ اللَّهَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، بَابُ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، رَقْمُ (٣٠٣٧)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَبَبَهُ إِلَى عِبَادِهِ، رَقْمُ (٢٦٣٧).

وَهَذَا فَنَاءٌ يَخْصُلُ لِبَعْضِ أَرْبَابِ السُّلُوكِ وَهُوَ فَنَاءٌ نَاقِصٌ مِنْ وَجْهِهِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ قَلْبِ الْفَانِي، وَأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الْجَمْعَ بَيْنَ شُهُودِ الْمَعْبُودِ وَالْعِبَادَةِ، وَالْأَمْرِ وَالْمَأْمُورِ بِهِ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ إِذَا شَاهَدَ الْعِبَادَةَ وَالْأَمْرَ اشْتَغَلَ بِهِ عَنِ الْمَعْبُودِ وَالْأَمْرِ، بَلْ إِذَا ذَكَرَ الْعِبَادَةَ وَالذِّكْرَ كَانَ ذَلِكَ اشْتِغَالًا عَنِ الْمَعْبُودِ وَالْمَذْكُورِ<sup>[١]</sup>.

يَفْنَى عَنِ الْعِبَادَةِ، فَيَنْشَغُلُ عَنْهَا وَلَا يَدْرِي أَرْكَعَ أَمْ سَجَدَ، أَوْ قَعَدَ أَمْ قَامَ، أَوْ حَجَّ أَمْ اعْتَمَرَ؛ لِأَنَّ قَلْبَهُ - كَمَا يَزْعُمُ - مُتَعَلِّقٌ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، لَا يُشَاهِدُ غَيْرَهُ، فَيَغِيبُ بِمَعْبُودِهِ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَبِمَذْكُورِهِ عَنْ ذِكْرِهِ.

[١] أَي: أَنَّ قَلْبَهُ لَا يَتَسَّعُ لَذِكْرِ الطَّرَفَيْنِ: الْعِبَادَةِ وَالْمَعْبُودِ؛ فَيَبْقَى هَائِمًا فَيَنْشَغُلُ بِالْمَعْبُودِ عَنِ الْعِبَادَةِ، وَهَذَا نَقْصٌ.

وَذَكَرَ عَنْ بَعْضِهِمْ، أَنَّهُ كَانَ يَدْفِنُ وَلَدَهُ حَزِينًا عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يَتَبَسَّمُ وَوَلَدُهُ مَيِّتٌ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ قَلْبِهِ، إِذْ عَجَزَ عَنْ تَحْمِيلِ الْمَصِيبَةِ مَعَ الصَّبْرِ، فَفَرَّغَ قَلْبَهُ نِهَائِيًّا، حَتَّى جَعَلَ يَضْحَكُ كَأَنَّهُ مَسْرُورٌ.

وَقَدْ بَكَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمَيِّتِ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيِّفِ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظَنَرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّمَهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَذْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ

الثاني: أَنَّهُ يَصِلُ بِصَاحِبِهِ إِلَى حَالٍ تُشَبِّهُ حَالَ الْمَجَانِينِ وَالسَّكَارَى، حَتَّى إِنَّهُ لَيَصْدُرُ عَنْهُ مِنَ الشَّطَحَاتِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ الْمُخَالِفَةِ لِلشَّرْعِ مَا يَعْلَمُ هُوَ وَغَيْرُهُ غَلَطَهُ فِيهَا، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ: «سُبْحَانِي... سُبْحَانِي أَنَا اللَّهُ... مَا فِي الْجُبَّةِ إِلَّا اللَّهُ، أَنْصِبْ خِيَمَتِي عَلَى جَهَنَّمَ»<sup>(١)</sup>، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْهَذْيَانِ وَالشَّطَحِ<sup>[١]</sup>.

الثالث: أَنَّ هَذَا الْفَنَاءَ لَمْ يَقَعْ مِنَ الْمُخْلِصِينَ الْكُمَّلِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، فَلَمْ يَحْصُلْ لِلرُّسُلِ وَلَا لِلْأَنْبِيَاءِ وَلَا لِلصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأَى لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْيَقِينِيَّةِ مَا لَمْ يَقَعْ لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ كَانَ ﷺ عَلَى غَايَةِ مِنَ الثَّبَاتِ فِي قُوَاهُ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قُوَاهُ الظَّاهِرَةِ: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧]، وَقَالَ عَنْ قُوَاهُ الْبَاطِنَةِ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]<sup>[٢]</sup>.

لمحزونون»<sup>(٢)</sup>، فَجَمَعَ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ.

[١] يَقُولُ: سُبْحَانِي سُبْحَانِي، أَنَا اللَّهُ. لِأَنَّهُ ذَاهِبٌ عَقْلُهُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ وَالطَّرَبِ وَالْفَنَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنْصِبْ خِيَمَتِي عَلَى جَهَنَّمَ. وَهُوَ يَضْرِبُ بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ! فِدِينُهُ يَصِلُ إِلَى حَدِّ الْجُنُونِ.

[٢] فَهَذَا النَّبِيُّ ﷺ شَاهِدَ الْمَلَكُوتِ، يَصْعَدُ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ،

(١) قائل هذه العبارة أبو يزيد البسطامي. انظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»، رقم (١٢٤١)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، رقم (٢٣١٥).

وَهَا هُمْ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ؛ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
أَفْضَلُ الْبَشَرِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، وَسَادَاتُ أَوْلِيَائِهِمْ، لَمْ يَقَعْ لَهُمْ مِثْلُ هَذَا الْفَنَاءِ، وَهَا  
هُمْ سَائِرُ الصَّحَابَةِ مَعَ عُلُوِّ مَقَامِهِمْ وَكَمَالِ أَحْوَالِهِمْ لَمْ يَقَعْ لَهُمْ مِثْلُ هَذَا الْفَنَاءِ.

وَإِنَّمَا حَدَثَ هَذَا فِي عَصْرِ التَّابِعِينَ، فَوَقَعَ مِنْهُ مِنْ بَعْضِ الْعُبَادِ وَالنُّسَاكِ مَا  
وَقَعَ، فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَصْرُخُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصْعَقُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ، وَعُرِفَ  
هَذَا كَثِيرًا فِي بَعْضِ مَشَايخِ الصُّوفِيَّةِ<sup>[١]</sup>.

وَمَنْ جَعَلَ هَذَا نِهَايَةَ السَّالِكِينَ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا، وَمَنْ جَعَلَهُ مِنْ لَوَازِمِ  
السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ أَخْطَأَ.

وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّهُ مِنَ الْعَوَارِضِ الَّتِي تَعْرِضُ لِبَعْضِ السَّالِكِينَ؛ لِقُوَّةِ الْوَارِدِ عَلَى  
قُلُوبِهِمْ وَضَعْفِهَا عَنْ مُقَاوَمَتِهِ، وَعَنِ الْجَمْعِ بَيْنَ شُهُودِ الْعِبَادَةِ وَالْمَعْبُودِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وُيُسَلَّمُ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَيَرَى صِفَةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَرَى  
أَشْيَاءَ عَجِيبَةً؛ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا زَاغَ بَصَرُهُ وَمَا طَغَى وَرَأَى مَا لَيْسَ وَاقِعًا، وَمَا تَجَاوَزَ  
مَا أُذِنَ لَهُ، وَمَا كَذَبَهُ الْفُؤَادُ، بَلْ أَدْرَكَ الشَّيْءَ يَقِينًا.

فَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ عَلَى كَمَالِ الْأَدَبِ لَيْلَةَ الْمَعْرَاجِ، مَا زَاغَ بَصَرُهُ وَمَا طَغَى، وَفُؤَادُهُ  
عَلَى أَصْدَقِ مَا يَكُونُ، فَمَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى.

[١] وَلَمْ يُوجَدْ هَذَا الْفَنَاءُ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ، وَكَمَا قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّمَا  
حَدَّثَ فِي عَصْرِ التَّابِعِينَ. فَتَجَدُّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ مِنْ شِدَّةٍ مَا يَجِدُ يُصْرَعُ، وَبَعْضُهُمْ  
يَمُوتُ مِنْ شِدَّةٍ مَا فِي قَلْبِهِ لَا يَتَحَمَّلُ.



الْقِسْمُ الثَّالِثُ: فَنَاءُ الْخَادِي كُفْرِيٍّ وَهُوَ: الْفَنَاءُ عَنْ وُجُودِ السَّوَى، أَي: عَنْ وُجُودِ مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ، بِحَيْثُ يَرَى أَنَّ الْخَالِقَ عَيْنُ الْمَخْلُوقِ، وَأَنَّ الْمَوْجُودَ عَيْنُ الْمَوْجِدِ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ رَبٍّ وَمَرْبُوبٍ، وَخَالِقٍ وَمَخْلُوقٍ، وَعَابِدٌ وَمَعْبُودٌ، وَأَمْرٌ وَمَأْمُورٌ، بَلِ الْكُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَعَيْنٌ وَاحِدَةٌ.

وَهَذَا فَنَاءُ أَهْلِ الْإِلْحَادِ الْقَائِلِينَ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ كَابْنِ عَرَبِيٍّ، وَالتِّلْمِسَانِيِّ، وَابْنِ سَبْعِينَ، وَالْقَوْنَوِيِّ، وَنَحْوِهِمْ.. وَهَؤُلَاءِ أَكْفَرُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَؤُلَاءِ جَعَلُوا الرَّبَّ الْخَالِقَ عَيْنَ الْمَرْبُوبِ الْمَخْلُوقِ، وَأَوَّلِيكَ النَّصَارَى جَعَلُوا الرَّبَّ مُتَّحِدًا بِعَبْدِهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ بَعْدَ أَنْ كَانَا غَيْرَ مُتَّحِدَيْنِ<sup>[١]</sup>.

[١] الْفَنَاءُ الشَّرْعِيُّ، فَنَاءٌ عَنْ إِرَادَةِ الْإِسْتِوَاءِ.

وَالثَّانِي الصُّوفِيُّ، وَهُوَ فَنَاءٌ عَنْ شُهُودِ السَّوَى.

وَالثَّالِثُ الْكُفْرِيُّ، وَهُوَ فَنَاءٌ عَنْ وَجُودِ الْإِسْتِوَاءِ، أَي: أَنَّ الشَّيْءَ كُلَّهُ وَاحِدٌ، وَالْكُونُ وَالرَّبُّ كُلُّهُ وَاحِدٌ.

فَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ شَيْءٌ وَاحِدٌ.

فَالرَّبُّ مَثَلًا هُوَ الْبَعِيرُ، وَهُوَ الْحِصَانُ، وَهُوَ مَا أَقْدَرُ مِنْ ذَلِكَ، كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ هِيَ الْخَالِقُ.

وَالنَّصَارَى قَالُوا: إِنَّ الرَّبَّ حَلَّ فِي عِيسَى، فَكَانَ وَاحِدًا أَوَّلًا وَعِيسَى وَاحِدًا، ثُمَّ اتَّحَدَا.

الثاني: أَنَّ هَؤُلَاءِ جَعَلُوا اتِّحَادَ الرَّبِّ سَارِيًّا فِي كُلِّ شَيْءٍ: فِي الْكِلَابِ،  
وَالْحَنَازِيرِ، وَالْأَقْدَارِ، وَالْأَوْسَاحِ، وَأُولَئِكَ النَّصَارَى خَصُّوهُ بِمَنْ عَظَّمُوهُ  
كَالْمَسِيحِ<sup>(١)</sup>.

وَتَصَوَّرُوا هَذَا الْقَوْلَ كَافٍ فِي رَدِّهِ، إِذْ مُقْتَضَاهُ: أَنَّ الرَّبَّ وَالْعَبْدَ شَيْءٌ وَاحِدٌ،  
وَالْأَكِلَ وَالْمَأْكُولَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَالنَّايِحَ وَالْمَنْكُوحَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَالْحَصَمَ وَالْقَاضِيَ  
شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَالْمَشْهُودَ لَهُ وَعَلَيْهِ وَالشَّاهِدَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَهَذَا غَايَةُ مَا يَكُونُ مِنَ  
السَّفَهِ وَالضَّلَالِ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُذَكِّرُ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي ابْنَهُ وَيَدَّعِي أَنَّهُ اللَّهُ  
رَبُّ الْعَالَمِينَ<sup>(٢)</sup>، فَقَبَّحَ اللَّهُ طَائِفَةً يَكُونُ إِلَهَهَا الَّذِي تَعْبُدُهُ هُوَ مَوْطُوءَهَا الَّذِي  
تَفْتَرِشُهُ.

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي النُّونِيَّةِ عَنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ:

فَالْقَوْمُ مَا صَانُوهُ عَنْ إِنْسٍ وَلَا	جَنٍّ وَلَا شَجَرٍ وَلَا حَيَوَانٍ
لَكِنَّهُ الْمَطْعُومُ وَالْمَلْبُوسُ وَال	مَشْمُومٌ وَالْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ
وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ الْمَنْكُوحُ وَال	مَذْبُوحٌ بَلْ عَيْنُ الْغَوِيِّ الزَّانِي
إِلَى أَنْ قَالَ:	

هَذَا هُوَ الْمَعْبُودُ عِنْدَهُمْ فَقُلْ  
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ

(١) راجع مجموع الفتاوى لابن قاسم (٢/ ١٧٢). (الشارح)

(٢) راجع مجموع الفتاوى لابن قاسم (٢/ ٣٧٨). (الشارح)

يَا أُمَّةً مَعْبُودُهَا مَوْطُوءُهَا      أَيْنَ الْإِلَهِ وَتَغْرَةُ الطَّعَّانِ  
يَا أُمَّةً قَدْ صَارَ مِنْ كُفْرَانِهَا      جُزْءًا يَسِيرًا جُمْلَةُ الْكُفْرَانِ<sup>[١]</sup>

[١] لَأَنَّهُ صَارَ (جُمْلَةُ الْكُفْرَانِ) جُزْءًا يَسِيرًا مِنْهُ، وَهَذَا لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ  
بُطْلَانُهُ، فَالزَّوْجُ وَالزَّوْجَةُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَالْقَاضِي وَالْحَاضِمُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَإِذَا ضَرَبْتَ  
ابْنَكَ لِلتَّأْدِيبِ فَقَدْ ضَرَبْتَ نَفْسَكَ؛ لِأَنَّكَ أَنْتَ هُوَ.  
وَهَذَا كُلُّهُ سَفَهٌ وَضَلَالٌ لَا يَقْبَلُهُ عَقْلٌ وَلَا دِينٌ.



## فصل

وَلَا يَتِمُّ الْإِسْلَامُ إِلَّا بِالْبَرَاءَةِ مِمَّا سِوَاهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَافِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨] <sup>[١]</sup>.

وَبَيَّنَّ أَنَّ لَنَا فِيهِ أُسُوءَ حَسَنَةٍ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسُوءٌ حَسَنَةً فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المتحنة: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: ٥١-٥٢] <sup>[٢]</sup>.

[١] قوله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾ أَي: بَرِيٌّ، لَكِنْ (بَرَاءٌ) أَعْظَمُ مِنْ (بَرِيٌّ)؛ لِأَنَّ (بَرِيٌّ) اسْمٌ فَاعِلٍ، وَأَمَّا (بَرَاءٌ) فَصِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ وَهِيَ أَبْلَغُ.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ هَذَا الاستثناءُ إِنْ كَانَ قَوْمُهُ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ؛ فَهُوَ مُتَّصِلٌ، وَإِنْ كَانُوا لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ؛ فَهُوَ مُنْقَطِعٌ.

[٢] قوله تَعَالَى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أَي: شَكٌّ فِي وَعْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وَالْبَرَاءَةُ نَوْعَانِ:

الْأَوَّلُ: بَرَاءَةٌ مِنْ عَمَلٍ.

الثَّانِي: بَرَاءَةٌ مِنْ عَامِلٍ.

فَأَمَّا الْبَرَاءَةُ مِنَ الْعَمَلِ: فَتَجِبُ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ مُحَرَّمٍ سِوَاءَ كَانَ كُفْرًا أَمْ دُونَهُ، فَيَبْرَأُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الشَّرِكِ، وَالزَّانَا، وَشُرْبِ الْحَمْرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يَرْضَاهُ وَلَا يَقْرَهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ؛ لِأَنَّ الرِّضَا بِذَلِكَ أَوْ إِقْرَارُهُ أَوْ الْعَمَلُ بِهِ مُضَادَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَرِضَا بِنَا لَا يَرْضَاهُ.

وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ مِنَ الْعَامِلِ: فَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ كُفْرًا وَجَبَتْ الْبَرَاءَةُ مِنْهُ بِكُلِّ حَالٍ مِنْ كُلِّ وَجْهِ لِمَا سَبَقَ مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ؛ وَلِأَنَّهُ لَمْ يَتَّصِفْ بِمَا يَقْتَضِي وَلَاءَهُ. وَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ دُونَ الْكُفْرِ وَجَبَتْ الْبَرَاءَةُ مِنْهُ مِنْ وَجْهِ دُونَ وَجْهِ، .....

﴿يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أَي: فِي مَوَدَّتِهِمْ وَمُؤَالَاتِهِمْ، يَحْتَجُونَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿نَخْشَعُ أَنْ تُصِيبَنَا دَآبِرَةٌ﴾: فَلَا نَجِدُ مَا يُسْرِنَا.

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ أَي: بِالنَّصْرِ، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ أَي: أَنْ يَأْخُذَهُمْ بِشَيْءٍ لَا طَاقَةَ لِلْبَشَرِ بِهِ، ﴿فَيُصِيبُحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا﴾.

فِيَوَالِي بِمَا مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيَتَبَرَّأُ مِنْهُ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْمَعَاصِي؛ لِأَنَّ  
الْفُسُوقَ لَا يُنَافِي أَصْلَ الْإِيمَانِ، فَقَدْ يَكُونُ فِي الْإِنْسَانِ خِصَالُ فُسُوقٍ وَخِصَالُ  
طَاعَةٍ، وَخِصَالُ إِيمَانٍ، وَخِصَالُ كُفْرٍ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطَافِنَا مِنْ  
الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ  
تَفْعَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ  
﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠]، فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى  
الطَّائِفَتَيْنِ الْمُقْتَلَتَيْنِ إِخْوَةً لِلطَّائِفَةِ الْمُصْلِحَةِ، وَوَصَفَهُمْ بِالْإِيمَانِ مَعَ أَنَّ قِتَالَ  
الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ مِنْ خِصَالِ الْكُفْرِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ  
كُفْرٌ»<sup>(١)</sup> وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْخِصْلَةُ الْكُفْرِيَّةُ مُنَافِيَةً لِأَصْلِ الْإِيمَانِ وَلَا رَافِعَةً لِلْأُخُوَّةِ  
الْإِيمَانِيَّةِ، وَلَا رَبِّبَ أَنَّ الْأُخُوَّةَ الْإِيمَانِيَّةَ مُقْتَضِيَةٌ لِلْمَحَبَّةِ وَالْوِلَايَةِ، وَيَقْوَى  
مُقْتَضَاهَا بِحَسَبِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَالِاسْتِقَامَةِ.

وَهَذَا الْأَصْلُ -أَعْنِي: أَنَّهُ قَدْ يَجْتَمِعُ فِي الْإِنْسَانِ خِصْلَةُ إِيمَانٍ، وَخِصْلَةُ  
كُفْرٍ- هُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ، فَتَكُونُ الْمَحَبَّةُ  
وَالْوِلَايَةُ تَابِعَةً لِمَا مَعَهُ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ، وَالكَرَاهَةُ وَالْعَدَاوَةُ تَابِعَةً لِمَا عِنْدَهُ مِنْ  
خِصَالِ الْكُفْرِ<sup>(١)</sup>.

[١] هَذَا مَا يُعْبَرُّ عَنْهُ بِالْوِلَايَةِ وَالْبَرَاءِ، وَيُنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

الْأَوَّلُ: الْبَرَاءَةُ مِنَ الْعَمَلِ.

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر رقم (٤٨)،  
ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ...»، رقم (٦٤).

والثاني: البراءة من العامل.

أما البراءة من العمل، فيجب على كل مؤمن أن يتبرأ من كل معصية، وأن لا يرضاهما، وأن يتجنبها بقدر المستطاع.

وأما البراءة من العامل، فإن كان لا خير فيه كالكافر؛ وجبت البراءة منه في كل حال؛ لأنه ليس فيه ما يؤالى عليه.

وإن كان فاسقاً، أي: أنه مؤمن لكنه معه فسق؛ فهنا نؤاليه بما معه من الإيمان والعمل الصالح، ونتبرأ منه بما معه من المعصية.

فمثلاً: إذا رأيت شخصاً حالقاً لحيته، فحلق اللحية نفسه يجب البراءة منه، ولا يجوز الرضا به، والحالق معه إيمان، فيصلي ويؤتي ويصوم ويحج، فهو معه إيمان، فلا نتبرأ منه مطلقاً ونقول: نحن منك براء. ولكن نحبه لما معه من الإيمان والعمل الصالح، ونكرهه لما معه من المعصية.

فإذا قال قائل: كيف يمكن أن يجتمع هذا وهذا؟

نقول: القرآن يدل على هذا، فقتل المؤمن كُفراً، ومع ذلك إذا اقتلت طائفتان فهما إخوان لنا، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

والبراءة من الكافرين تكون بالقلب والأفعال والأقوال؛ لأنهم ليس فيهم خير. فالموالاة معناها: المناصرة والأخذ باليد، وأن يكون الإنسان معهم على السراء والضراء، والصواب والخطأ.

ولهذا نجد الآية الكريمة تقول: ﴿يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، لم يقل: يُحِبُّونَ.

ويؤادون أي: يتعاملون معهم بالمودَّة، ويطلبُ ودَّ هذا الكافر، ويسدي إليه ودَّه.

فكلما رأيت من نفسك أنك تطلب مودَّته؛ فانصرف عنه، ولا تلقِ عليه السَّلام ابتداءً فهذا لا يجوز؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ نهى عن ذلك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَا تَبْدُؤُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطُّرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، رقم (٢١٦٧).



## فصل

الْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ، وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَقْدُورِ<sup>[١]</sup>، قَالَ  
 اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ  
 تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]<sup>[٢]</sup>.

[١] فِي جَانِبِ الْأَمْرِ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»<sup>(١)</sup>.  
 وَفِي جَانِبِ النَّهْيِ قَالَ ﷺ: «وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ»<sup>(٢)</sup>؛ لِأَنَّ الْاجْتِنَابَ لَا يَشُقُّ؛  
 لِأَنَّ مِمَّا مُمَارَسَةُ الْمَمْنُوعِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِسَبَبٍ، لَا لِعَدَمِ الْقُدْرَةِ، بَلْ لَوْجُودِ السَّبَبِ الْمُقْتَضِي  
 لِفِعْلِ الْمَحْرَمِ كَالِاضْطِرَارِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا  
 اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وكَذَلِكَ مَأْمُورٌ بِالصَّبْرِ عَلَى الْمَقْدُورِ الَّذِي لَا يُلَاثِمُ النَّفْسَ؛ لِأَنَّ الَّذِي يُقَدِّرُهُ اللَّهُ  
 عَلَى الْعَبْدِ: مُلَاثِمٌ وَمُؤَلِّمٌ، وَالَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ هُوَ الْمُؤَلِّمُ، أَمَّا الْمُلَاثِمُ فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى  
 شُكْرِ، كَمَا قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]،  
 وَلَمْ يَقُلْ: أَأَصْبِرُ أَمْ أَتَوَجَّعُ. لِأَنَّ الْإِبْتِلَاءَ بِالنَّعْمِ يَحْتَاجُ إِلَى شُكْرِ، وَالْإِبْتِلَاءُ بِمَا يُؤَلِّمُ  
 يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، وَالْإِنْسَانُ مَأْمُورٌ بِهِذَا وَبِهَذَا.

[٢] اسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْإِعْتَصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، بَابُ الْإِقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَقْمُ  
 (٦٨٥٨).

(٢) التَّخْرِيجُ السَّابِقُ.

وَقَالَ: ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]،<sup>١١</sup>  
وَقَالَ عَنْ لُقْمَانَ: ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا  
أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]،<sup>١٢</sup> وَقَالَ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿[آل عمران: ٢٠٠]، اصْبِرُوا: هَذَا صَبْرٌ عَلَى الْمَصَائِبِ  
وَعَلَى الْأَوَامِرِ وَعَنِ النَّوَاهِي.

﴿وَصَابِرُوا﴾ أَي: تَصَبَّرُوا وَقَاوِمُوا؛ لِأَنَّ الصَّبَرَ قَدْ لَا تَنْقَادُ لَهُ النَّفْسُ، وَتَحْتَاجُ  
إِلَى مُعَانَةٍ، وَلِهَذَا جَاءَ بِلَفْظِ: (صَابِرُوا).

أَمَّا (رَابِطُوا) فَمُعَانَةٌ: أَدِيمُوا الطَّاعَةَ؛ وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ  
عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ،  
فَذَلِكَ الرِّبَاطُ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ»<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى النَّتِيجَةَ لِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ فَقَالَ: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [يوسف: ٩٠]، التَّقْوَى إِذَا أُطْلِقَتْ  
شَمِلَتْ فِعْلَ الْمَأْمُورِ وَتَرْكَ الْمَحْذُورِ، وَإِذَا قُرِنَتْ بِالْبِرِّ صَارَ الْبِرُّ فِعْلَ الْمَأْمُورِ وَالتَّقْوَى  
تَرْكَ الْمَحْذُورِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أَي: إِذَا اتَّقَى وَصَبَرَ فَإِنَّهُ مُحْسِنٌ،  
وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.

[٢] وَأَمَّا لُقْمَانُ فَقَالَ لِابْنِهِ: ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [لقمان: ١٧]، وَتَأَمَّلْ هَذَا الْخُطَابَ  
وَالنِّدَاءَ اللَّطِيفَ، قَالَ ﴿يَبْنِيْ﴾ بِالتَّصْغِيرِ تَرْفُفًا وَتَلَطُّفًا؛ لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ التَّصْغِيرَ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم (٢٥١).

وَمَا مُورٌ فِي جَانِبِ الطَّاعَةِ بِالْإِخْلَاصِ وَالِاسْتِغْفَارِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [حمد: ١٩]، .....

يُوجِبُ اللَّطَافَةَ وَالْحَنَانَ وَالرَّأْفَةَ، ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾؛ لِأَنَّهَا عَمُودُ الدِّينِ، فَبَدَأَ بِهَا أَوَّلًا.  
وقوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: وَلَمْ يَذْكُرْ سِوَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ فَإِنَّهَا تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْتَغِ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾؛ لِإِصْلَاحِ غَيْرِكَ؛ لِأَنَّكَ إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَأَتَمَرْتَ أَنْتَ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْتَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَحَاوَلْ أَنْ يَكُونَ غَيْرُكَ كَذَلِكَ، فَأَمَرَهُ بِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ: إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَصَائِبِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أَي: مِنْ صَوَابِهَا وَحَزْمِهَا، وَمِنْ وَاجِبَاتِهَا أَيْضًا؛ لِأَنَّ الْعَزِيمَةَ تُطْلَقُ عَلَى الْوَاجِبِ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْحَزْمِ، وَتُطْلَقُ عَلَى الصَّوَابِ، كُلُّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

[١] قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾: عِلْمٌ يُثْمِرُ الْعَمَلَ؛ لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَخْلَصَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، إِذْ لَا يَنْفَعُهُ إِلَّا اللَّهُ.

وقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ أَي: لِمَا حَصَلَ لَكَ مِنَ الذُّنُوبِ، إِمَّا بِتَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلٍ مُحَرَّمٍ.

وَالْخِطَابُ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، أَي: اسْتَغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،

وَقَالَ: ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (٢) وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴿[هود: ٢-٣]﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

فكان الرسول ﷺ يَسْتَغْفِرُ لَذَنْبِهِ.

وَفِي هَذَا رَدُّ وَاضِحٌ عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يُذْنِبْ، وَإِنْ اسْتَغْفَرَهُ لَذَنْبِهِ يَعْنِي اسْتَغْفَرَهُ لِأَمْتِهِ، فَقَالُوا مِثْلًا: ﴿فَسَيَحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ﴾ [النصر: ٣]، أَيْ: لَذُنُوبِ أُمَّتِكَ، أَمَّا أَنْتَ فَلَا ذَنْبَ لَكَ.

نَقُولُ: الرَّسُولُ ﷺ أُمِرَ بِأَنْ يَسْتَغْفِرَ لَذَنْبِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْعَطْفُ يَقْتَضِي الْمَغَايِرَةَ، وَأَيْضًا هُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ؛ دِقَّةً وَجِلَّةً، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»<sup>(١)</sup>، فَكَيْفَ نَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ؟!

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدْ يَقَعُ مِنْهُ الذَّنْبُ، لَكِنَّ الَّذِي يَقَعُ مِنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ لَيْسَ لِأَخْلَاقٍ سَافِلَةٍ وَلَا لِإِشْرَاقٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُخِلُّ بِأَصْلِ الرِّسَالَةِ.

وَلِهَذَا: لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ رَزَى أَبَدًا، وَلَا شَرِبَ الْخَمْرَ، وَلَا كَذَبَ، لَكِنْ تَقَعُ مَعَاصٍ قَدْ يَكُونُ سَبَبُهَا التَّعَجُّلُ بِأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ بِنَاءً عَلَى اجْتِهَادٍ، وَيَكُونُ السَّبَبُ فِيهَا التَّفْرِيطُ دُونَ الْعُدْوَانِ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]: أَيْ اسْتَغْفِرُوهُ مِنَ الذَّنْبِ الْمَاضِي، ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، أَيْ: ارْجِعُوا إِلَيْهِ بِفِعْلِ الطَّاعَةِ وَتَرْكِ الْمَعْصِيَةِ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ مَا يَقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، رَقْمُ (٤٨٣).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِثَّةَ مَرَّةٍ»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ: «إِنَّهُ لَيَغَانُ<sup>(٢)</sup> عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِثَّةَ مَرَّةٍ» أَخْرَجَهُمَا مُسْلِمٌ<sup>(٣)</sup>.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»<sup>(٤)</sup>.

وَالْجَامِعُ لِهَذَا: أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي الْأَمْرِ مِنْ أَصْلَيْنِ، وَلَا بُدَّ فِي الْقَدَرِ مِنْ أَصْلَيْنِ أَيْضًا<sup>(٥)</sup>.

[ ١ ] قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِثَّةَ مَرَّةٍ»<sup>(٥)</sup>.

وَالْغَيْنُ عَلَى الْقَلْبِ دُونَ الرَّيْنِ عَلَيْهِ، أَيِ: يَشْمَرُ الْقَلْبُ وَلَا يَنْشَرِحُ، وَمَعَ ذَلِكَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِثَّةَ مَرَّةٍ؛ لِأَنَّ الذُّنُوبَ لَهَا آثَارٌ عَلَى الْقَلْبِ، حَتَّى فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ، وَانْطِلَاقِ الْقَلْبِ إِذَا أَذْنَبَ الْإِنْسَانُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُغَطَّى عَلَى قَلْبِهِ؛ لِأَنَّ الذَّنْبَ يَكُونُ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي الْقَلْبِ، وَالنُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ مَرَضٌ يَتَأَثَّرُ بِهَا الْقَلْبُ.

(١) أخرجه أحمد (٤/٢١١، رقم ١٨٠٠١)، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب الاستغفار رقم (٣٨١٥).  
(٢) أي: يلبس ويغطي، قيل: بسبب أتمته وما اطلع عليه من أحوالها بعده، وقيل: بسبب النظر في مصالح أتمته وغيرها من الأمور فيرى أنه قد شغل، فيستغفر الله لذلك. انظر: مشارق الأنوار (١٤٢/٢).

(٣) مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه رقم (٢٧٠٢).  
(٤) البخاري: كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم واللييلة رقم (٦٣٠٧).  
(٥) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم (٢٧٠٢).

وَأَمَّا الْأَصْلَانِ فِي الْأَمْرِ فَهُمَا:

أَصْلٌ قَبْلَ الْعَمَلِ أَوْ مُقَارِنٌ لَهُ وَهُوَ: الْإِجْتِهَادُ فِي الْإِمْتِنَالِ عِلْمًا وَعَمَلًا، فَيَجْتَهِدُ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ، ثُمَّ يَعْمَلُ بِمَا يَقْتَضِيهِ ذَلِكَ الْعِلْمُ مِنْ تَصْدِيقِ الْأَخْبَارِ، وَالْعَمَلِ بِالْأَحْكَامِ فِعْلًا لِلْمَأْمُورِ، وَتَرْكًا لِلْمَحْظُورِ.

وَالثَّانِي: أَصْلٌ بَعْدَ الْعَمَلِ وَهُوَ الْإِسْتِغْفَارُ وَالتَّوْبَةُ مِنَ التَّفْرِيطِ فِي الْمَأْمُورِ، أَوِ التَّعَدِّي فِي الْمَحْظُورِ؛ وَلِهَذَا كَانَ مِنَ الْمَشْرُوعِ خَتْمُ الْأَعْمَالِ بِالْإِسْتِغْفَارِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، فَقَامُوا اللَّيْلَ وَخَتَمُوهُ بِالْإِسْتِغْفَارِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا<sup>(١)</sup>، وَآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ النَّصْرِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿[النصر: ١-٣]، فَكَانَ بَعْدَ نُزُولِهَا يُكثِّرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»<sup>(٢)</sup>، .....

لِهَذَا يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة رقم (٥٩١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب التسبيح والدعاء في السجود، رقم (٨١٧)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٤).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب سجود القرآن، باب في الاستغفار، رقم (١٥١٨)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب الاستغفار، رقم (٣٨١٩).

وَكَانَ نُزُولُهَا إِذَا نَا بِقُرْبِ أَجَلِهِ ﷺ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فَأَقْرَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ <sup>(١)</sup> <sup>(١)</sup>.

[١] كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ صِغَارِ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَدِّمُهُ وَيُجِلُّهُ؛ لِأَنَّهُ صَاحِبُ عِلْمٍ، فَكَانَ الْأَنْصَارُ فِي نَفْسِهِمْ شَيْءٌ، يَقُولُونَ: كَيْفَ يَحْضُرُ ابْنُ عَبَّاسٍ مَجَالِسَنَا وَهُوَ صَغِيرٌ، وَلَا يَحْضُرُ أَبْنَاؤُنَا مَعَهُ.

فَأَرَادَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمُ السَّبَبَ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ وَابْنَ عَبَّاسٍ وَقَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿[النصر: ١-٣]، قَالُوا: نَقُولُ فِيهَا: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ إِذَا جَاءَ الْفَتْحُ وَالنَّصْرُ؛ أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ وَيُسَبِّحَ. وَهَذَا التَّفْسِيرُ الظَّاهِرِيُّ لِلشُّورَةِ.

أَمَّا ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: لَا، هَذَا أَجَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْلَمَهُ اللَّهُ أَنَّ أَجَلَ قَرِيبٍ، فَلِيَخْتِمَ عُمَرُ بِالتَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ.

فَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا عَلِمْتُ. فَظَهَرَ بِذَلِكَ فَضْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَهَذَا مِنْ فِقْهِ عُمَرَ، أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَعَلَ فِعْلًا يَخْشَى أَنْ يُتَّقَدَّ عَلَيْهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَدْرَأَ عَنْ نَفْسِهِ التُّهْمَةَ، وَأَنْ يُبَيِّنَ السَّبَبَ الَّذِي يَزُولُ بِهِ التَّسَاوُلُ بَيْنَ النَّاسِ.

وَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ لَمَّا خَرَجَ بِصَفِيَّةَ يُشَيِّعُهَا وَهُوَ مُعْتَكِفٌ، وَمَرَّ بِهِ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَاسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيبٍ». فَقَالَا:

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ رَقْمُ (٣٦٢٧).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»<sup>(١)</sup> فَجَعَلَ الْإِسْتِغْفَارَ وَالتَّوْبَةَ خَاتِمَةَ الْعُمُرِ كَمَا جُعِلَتَا خَاتِمَةَ الْعَمَلِ.  
وَأَمَّا الْأَصْلَانِ فِي الْقَدَرِ فَهُمَا:

أَصْلٌ قَبْلَ الْمَقْدُورِ وَهُوَ: الْإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالْإِسْتِعَاذَةُ بِهِ وَدُعَاؤُهُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً، فَيَكُونُ مُعْتَمِدًا عَلَى رَبِّهِ، مُلْتَجِيًا إِلَيْهِ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ<sup>(٢)</sup>.

سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ بِحَرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا» أَوْ قَالَ: «شَيْئًا»<sup>(٣)</sup>.

[١] الاستعانة بالله على العمل، والاستعاذة به من المكروه، والشئ الثَّالِثُ دُعَاؤُهُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً، فَيَرْغَبُ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَيَرْهَبُ مِنْ أَنْ يَرُدَّ دُعَاؤُهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ دَعَا يُسْتَجَابُ وَيَحْصُلُ لَهُ مَطْلُوبُهُ، لَكِنْ إِذَا أَخْلَصَ الْإِنْسَانُ فِي الدُّعَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ وَاحِدٌ مِنْ أُمُورِ ثَلَاثَةٍ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِنْهُمْ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشُّوْءِ مِثْلَهَا»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود رقم (٤٨٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب، رقم (٥٨٦٥).

(٣) أخرجه أحمد (١٨/٣) رقم (١١١٤٩).



وَالثَّانِي بَعْدَ الْمَقْدُورِ وَهُوَ: الصَّبْرُ عَلَى الْمَقْدُورِ حَيْثُ يَفُوتُ مَطْلُوبُهُ، أَوْ يَقَعُ مَكْرُوهُهُ فَيَوْطِنُ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، بِحَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَأَنَّ الْحَالَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَغَيَّرَ عَمَّا قَدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَيَرْضَى بِذَلِكَ وَيُسَلِّمُ، وَيَنْشَرِّحُ صَدْرُهُ، وَيَذْهَبُ عَنْهُ النَّدَمُ وَالْحُزْنُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يَهْدِي قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَقَالَ عَلْقَمَةُ فِي الْآيَةِ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ.

فَإِذَا رَاعَى الْأَمْرَ وَالْقَدَرَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَا كَانَ عَابِدًا لِلَّهِ تَعَالَى مُسْتَعِينًا بِهِ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ مِنَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]<sup>[١]</sup>.

[١] بَعْدَ وَقُوعِ الْمَقْدُورِ فَلَا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ بِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَلَا يُمَكِّنُ رَفْعُ الْوَاقِعِ، فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ ثُمَّ نَدِمَ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُرْجِعَهَا.

وَلَوْ فَاتَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: لَوْ أَنِّي قُلْتُ كَذَا. هَذَا أَيْضًا لَا يُمَكِّنُ؛ لِأَنَّهُ فَاتَ. إِذَنْ: مَوْقِفْنَا مِنَ الْقَدَرِ أَصْلٌ سَابِقٌ وَأَصْلٌ لَاحِقٌ.



## فصل

وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْمَقَامِ - مَقَامِ الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ - أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: مَنْ حَقَّقُوا هَذِهِ الْأُصُولَ الْأَرْبَعَةَ: أَصْلِي الشَّرْعِ، وَأَصْلِي الْقَدَرِ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ مَا تَصْلُحُ بِهِ أَحْوَاهُمْ، فَكَانُوا لِلَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَفِي اللَّهِ<sup>[١]</sup>.

وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْقِسْطِ وَالْعَدْلِ الَّذِينَ شَهِدُوا مَقَامَ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوْهِيَّةِ، وَهُمْ أَعْلَى الْأَقْسَامِ، فَإِنَّ هَذَا مَقَامُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: مَنْ فَاتَهُمُ التَّحْقِيقُ فِي أَصْلِي الْقَدَرِ، فَكَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِعَانَةِ فِي شَرْعِهِ مَا عِنْدَهُمْ، لَكِنْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ قُوَّةٌ فِي الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَالصَّبْرِ عَلَى أَحْكَامِهِ الْكُونِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ، فَيُصِيبُهُمْ عِنْدَ الْعَمَلِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ مَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْعَمَلِ أَوْ إِكْمَالِهِ، وَيَلْحَقُهُمْ بَعْدَ الْعَمَلِ مِنَ الْعُجْبِ وَالْفَخْرِ مَا قَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِحُبُوطِ عَمَلِهِمْ وَخِذْلَانِهِمْ، .....

[١] كانوا (لله) إخلاصًا، و(بالله) استعانةً، و(في الله) عبادةً؛ أي: في شرع الله لا يتجاوزونه، ف(في) للدخول في العبادة بلا تجاوز، والباء (بالله) للاستعانة، واللام (لله) للإخلاص.

إِذَنْ: كَانُوا لِلَّهِ إِخْلَاصًا، وَبِاللَّهِ اسْتِعَانَةً، وَفِي اللَّهِ عِبَادَةً لَا يَتَعَدُّونَ الشَّرْعَ.

وَهُؤُلَاءِ أَوْعَفُ مِمَّنْ سَبَقَهُمْ وَأَدْنَى مَقَامًا وَأَقْلَ عَدَلًا، لِأَنَّ شُهُودَهُمْ مَقَامَ الْإِلَهِيَّةِ غَالِبٌ عَلَى شُهُودِ مَقَامِ الرُّبُوبِيَّةِ<sup>[١]</sup>.

الثَّالِثُ: مَنْ فَاتَهُمُ التَّحْقِيقُ فِي أَصْلِي الشَّرْعِ، فَكَانُوا ضُعَفَاءَ فِي الْإِسْتِقَامَةِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَمُتَابَعَةِ شَرْعِهِ، لَكِنْ عِنْدَهُمْ قُوَّةٌ فِي الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي أُمُورٍ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ تَعَالَى وَلَا يَرْضَاهَا، فَيَعَانُ وَيُمْكِّنُ لَهُ بِقَدْرِ حَالِهِ، وَيَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْمُكَاشَفَاتِ وَالتَّأَثِيرَاتِ مَا لَا يَحْصُلُ لِلْقِسْمِ الَّذِي قَبْلَهُ، لَكِنْ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ يَكُونُ مِنْ نَصِيبِ الْعَاجِلَةِ الدُّنْيَا، أَمَّا عَاقِبَتُهُ فَعَاقِبَةُ سَيِّئَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُتَّقِينَ وَإِنَّمَا الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْنَعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿[العنكبوت: ٦٥-٦٦]، فَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ سَيُشْرِكُونَ بَعْدَ أَنْ يُنَجِّيَهُمْ، لَكِنْ لَمَّا كَانُوا فِي الْبَحْرِ كَانُوا مُخْلِصِينَ فِي دُعَائِهِمْ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُنَجِّيَهُمْ صَادِقِينَ فِي تَفْوِيزِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ حَصَلَ مُرَادُهُمْ،.....

[١] وَهَذَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ، تَجِدُهُ فِي الْعِبَادَةِ مُجْتَهِدًا حَرِيصًا، لَكِنْ فِي الْقَدْرِ تَجِدُهُ ضَعِيفًا، اسْتَعَانَتُهُ بِاللَّهِ قَلِيلَةٌ، يَعْتَمِدُ عَلَى نَفْسِهِ، يَقُومُ يَتَوَضَّأُ وَلَا يَشْعُرُ أَنَّهُ مُسْتَعِينٌ بِاللَّهِ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يُعِنَهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، كَذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ وَفِي بَقِيَّةِ الْأَعْمَالِ.

فَهَذَا هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ غَالِبُ النَّاسِ، فَيَكُونُ هَؤُلَاءِ أَنْقَصَ مِمَّنْ قَبْلَهُمْ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ يَسْتَعِينُونَ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مَعَ قِيَامِهِم بِالْعُبُودِيَّةِ.

لَكِنَّ هَؤُلَاءِ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي مُجْتَهِدُونَ فِي الْعِبَادَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ ضَعِيفُونَ فِي التَّوَكُّلِ وَالْإِسْتِعَانَةِ.

وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِبَادَةٌ لَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُمْ وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ خُسْرًا.

فَالْفَرْقُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَبَيْنَ الْقِسْمِ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ: أَنَّ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ كَانَ لَهُمْ دِينٌ ضَعِيفٌ لِضَعْفِ اسْتِعَانَتِهِمْ بِاللَّهِ وَتَوَكُّلِهِمْ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ مُسْتَمِرٌّ بَاقٍ إِنْ لَمْ يُفْسِدْهُ صَاحِبُهُ بِالْعَجْزِ وَالْجَزَعِ. وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ حَالٌ وَقُوَّةٌ لَكِنْ لَا يَبْقَى لَهُمْ إِلَّا مَا وَافَقُوا فِيهِ الْأَمْرَ وَاتَّبَعُوا فِيهِ السُّنَّةَ<sup>[١]</sup>.

الْقِسْمُ الرَّابِعُ: مَنْ فَاتَهُمْ تَحْقِيقُ أَصْلِي الشَّرْعِ وَأَصْلِي الْقَدَرِ، فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ عِبَادَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَا اسْتِعَانَةٌ بِهِ، وَلَا لُجُوءٌ إِلَيْهِ عِنْدَ الشَّدَةِ، فَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، مُسْتَعْنُونَ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ خَالِقِهِمْ، وَرُبَّمَا لَجُّوا فِي الشَّدَائِدِ وَإِدْرَاكِ مَطَالِبِهِمْ إِلَى الشَّيَاطِينِ فَطَاعُوهَا فِيمَا يُرِيدُ، وَأَعَانَتْهُمْ فِيمَا يُرِيدُونَ، فَيُظَنُّ الظَّانُّ أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ الْكَرَامَاتِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ الْإِهَانَاتِ؛ لِأَنَّ عَاقِبَتَهُمُ الذُّلُّ وَالْهَوَانُ. وَهَذَا الْقِسْمُ شَرُّ الْأَقْسَامِ<sup>[٢]</sup>.

[١] وَهَذَا أَيْضًا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَتَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فُسَاقًا، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ دِينٌ إِلَّا قَلِيلًا، لَكِنْ عِنْدَهُمْ اسْتِعَانَةٌ بِاللَّهِ، كُلُّ أُمُورِهِمْ يَكِلُونَهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهَؤُلَاءِ يَحْصُلُ لَهُمُ الْأَمْرُ الْمَقْصُودُ، لَكِنَّ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمُ الْخُسْرَانُ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ دِينٌ قَوِيٌّ.

[٢] هُنَاكَ أُنَاسٌ لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَرْعٌ وَلَا عِنْدَهُمْ قَدَرٌ، وَإِنَّمَا يَتَوَلَّوْنَ الشَّيَاطِينَ، وَالشَّيَاطِينُ تَخْدُمُهُمْ فِيمَا يُرِيدُونَ، لَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ عُقُوبَتَهُمُ الذُّلُّ وَالْهَوَانُ.

هُنَاكَ أُنَاسٌ يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ، وَتَخْدُمُهُمُ الشَّيَاطِينُ فِيمَا يُرِيدُونَ، حَتَّى إِنْ الشَّيَاطِينُ نَحَمَلُهُمْ إِلَى الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ؛ فَيُظَنُّ الظَّانُّ أَنَّ ذَلِكَ كَرَامَةٌ لَهُمْ، وَهُمْ أَيْضًا رَبِّمَا يَتَلَبَّسُونَ بِصُورَةِ الْعَابِدِ فَيُضِلُّونَ النَّاسَ.

## فَصْلٌ

## فِي الْمُفَاضَلَةِ وَالْمُقَارَنَةِ بَيْنَ أَرْبَابِ الْبِدَعِ

نُظَّارُ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ التَّحْقِيقَ وَيَتَسَبَّبُونَ إِلَى السُّنَّةِ يَرَوْنَ التَّوْحِيدَ  
عِبَارَةً عَنْ تَحْقِيقِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ<sup>[١]</sup>.

وَطَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ الَّذِينَ يَتَسَبَّبُونَ إِلَى التَّحْقِيقِ وَالْمَعْرِفَةِ غَايَةَ  
التَّوْحِيدِ عِنْدَهُمْ شُهُودُ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا هُوَ مَا أَقْرَبَهُ الْمُشْرِكُونَ،  
وَأَنَّ الرَّجُلَ لَا يَكُونُ بِهِ مُسْلِمًا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، أَوْ مِنْ  
سَادَاتِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى<sup>[٢]</sup>.

وَطَائِفَةٌ أُخْرَى تُقَرِّرُ هَذَا التَّوْحِيدَ مَعَ نَفْيِ الصِّفَاتِ، فَيَقْعُونَ فِي التَّقْصِيرِ  
وَالْتَّعْطِيلِ، وَهَذَا شَرٌّ مِنْ حَالِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

[١] هَؤُلَاءِ سَبَقَ الرَّدُّ عَلَيْهِمْ، وَبَيْنَا أَنَّ هَذَا غَلَطٌ عَظِيمٌ، وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ  
بُعِثَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَقْرَأُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَيُنْكِرُونَ تَوْحِيدَ  
الْأَلُوْهِيَّةِ، وَقَدْ سَمَّاهُمُ اللَّهُ مُشْرِكِينَ، وَأَبَاحَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَسَبَّيَ نِسَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ،  
فَهُمْ فِي فَهْمِ التَّوْحِيدِ خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّظَّارِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ.

وَلَا يَخْفَى أَنَّهُ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ لَا قَسِيمَ لَهُ، وَفِي  
أَفْعَالِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَفِي صِفَاتِهِ لَا شَبِيهَ لَهُ.

[٢] وَسَبَقَ أَنَّ هَؤُلَاءِ وَصَلَ بِهِمُ الْحَدُّ إِلَى الْقَوْلِ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ، وَسَبَقَ هَذَا فِي  
غُلَاةِ الْمُتَصَوِّفَةِ.

وَالْجَهَنَّمُ بَنُ صَفْوَانَ إِمَامُ الْجَهْمِيَّةِ نَفَاةِ الصِّفَاتِ يَغْلُو فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَيَقُولُ بِالْجَبْرِ، فَيُؤَافِقُ الْمُشْرِكِينَ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، لَكِنَّهُ يُثَبِّتُ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ فَيُفَارِقُ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ بِالْإِزْجَاءِ فَيَضْعُفُ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَالْعِقَابُ عِنْدَهُ؛ لِأَنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ كَامِلٌ الْإِيمَانِ غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ لِلْعِقَابِ<sup>[١]</sup>.

وَالنَّجَارِيَّةُ - أَتْبَاعُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّجَّارِ - .....

[١] الْجَهْمِيَّةُ أَصْلٌ مَذْهَبُهُمْ مِنْ رَجُلٍ يَقَالُ لَهُ: الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ. لَكِنَّ هَذَا الْجَعْدُ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُ أَنْ يَنْشُرَ مَذْهَبَهُ، فَقُتِلَ قَبْلَ ذَلِكَ.

ثُمَّ خَلَفَهُ الْجَهَنَّمُ بْنُ صَفْوَانَ، وَكَانَ جَيِّدًا فِي الْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ؛ فَنَشَرَ الْمَذْهَبَ وَانْتَشَرَ بِسُرْعَةٍ، فَصَارَ الْمَذْهَبُ يُنسَبُ إِلَيْهِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ الْإِمَامُ فِيهِ، الْإِمَامُ فِيهِ هُوَ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ، جَمَعَ بَيْنَ حَيَاتٍ ثَلَاثَةٍ: التَّجَهُّمُ وَالْجَبْرُ وَالْإِزْجَاءُ.

التَّجَهُّمُ: تَعْطِيلُ الصِّفَاتِ.

وَالْجَبْرُ: إنْكَارُ إِرَادَةِ وَمَشِيئَةِ الْعَبْدِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ عَلَى عَمَلِهِ، لَكِنَّ اللَّهَ يُعَاقِبُهُ عَلَى عَمَلِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

وَالْإِزْجَاءُ: أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْمَعْرِفَةُ وَتَصْدِيقُ الْقَلْبِ، أَمَّا الْأَعْمَالُ فَلَا تَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ، فَإِذَا رَزَى الْإِنْسَانُ وَسَرَقَ وَشَرِبَ الْخَمْرَ وَقَتَلَ النَّفْسَ؛ فَهُوَ عِنْدَ الْجَهَنَّمِ مُؤْمِنٌ كَامِلٌ الْإِيمَانِ، وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ، وَمَا وَرَدَ مِنَ الْعُقُوبَاتِ عَلَى هَذِهِ الْأَفْعَالِ فَهُوَ خَاصٌّ بِالْكَفَّارِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا ضَلَالٌ، وَلَا أَحَدٌ يُؤَافِقُ عَلَى ذَلِكَ.

وَالضَّرَارِيَّةُ - أَتْبَاعُ ضَرَارِ بْنِ عَمْرِو وَحَفْصِ الْقَرْدِ - يَقْرُبُونَ مِنْ جَهَنَّمَ فِي مَسَائِلِ الْقَدَرِ وَالْإِيْمَانِ مَعَ مُقَارَبَتِهِمْ لَهُ أَيْضًا فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ <sup>[١]</sup>.

وَالْكَلَابِيَّةُ - أَتْبَاعُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كَلَابٍ - وَالْأَشْعَرِيَّةُ الْمُتَنَسِّبُونَ لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ فِي بَابِ الصِّفَاتِ، فَإِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةَ، وَأَيْمَتُهُمْ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ فِي الْجُمْلَةِ، وَأَمَّا فِي الْقَدَرِ وَمَسَائِلِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ فَأَقْوَاهُمْ مُتَقَارِبَةً.

وَأَصْحَابُ ابْنِ كَلَابٍ كَالْحَارِثِ الْمُحَاسِبِيِّ خَيْرٌ مِنَ الْأَشْعَرِيَّةِ فِي هَذَا وَهَذَا.

وَالْكَرَامِيَّةُ - أَتْبَاعُ مُحَمَّدِ بْنِ كَرَامٍ - قَوْلُهُمْ فِي الصِّفَاتِ، وَالْقَدَرِ، وَالْوَعْدِ، وَالْوَعِيدِ أَشْبَهُ مِنْ أَكْثَرِ طَوَائِفِ أَهْلِ الْكَلَامِ الَّتِي فِي أَقْوَاهَا مُحَالَفَةُ لِلْسُنَّةِ، وَأَمَّا فِي الْإِيْمَانِ فَقَوْلُهُمْ مُنْكَرٌ لَمْ يَسْبِقْهُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ، فَإِنَّهُمْ جَعَلُوا الْإِيْمَانِ قَوْلَ اللِّسَانِ فَقَطُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ، فَالْمُنَافِقُ عِنْدَهُمْ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنَّهُ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ <sup>[٢]</sup>.

وَالْمُعْتَزِّلَةُ - أَتْبَاعُ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ الَّذِي اعْتَزَلَ مَجْلِسَ الْحَسَنِ الْبُضْرِيِّ - يُقَارِبُونَ قَوْلَ جَهَنَّمَ فِي الصِّفَاتِ فَيَقُولُونَ بِنَفْيِهَا، .....

[١] الْكَلَامُ عَلَى النَّجَارِيَّةِ وَالضَّرَارِيَّةِ، كَالْكَلَامِ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ.

[٢] وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا قَوْلٌ فَاسِدٌ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْمُنَافِقُ مُؤْمِنًا؟! وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

يَقُولُ عَنْهُمْ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

وَكَيْفَ يَخْلَدُ فِي النَّارِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ؟!

فَهَذَا قَوْلٌ مُنْكَرٌ لَا أَسَاسَ لَهُ مِنَ الصَّحَّةِ أَبَدًا.

وَأَمَّا فِي الْقَدْرِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ فَيُخَالِفُونَهُ، فَبِالْقَدْرِ يَقُولُونَ: إِنَّ الْعَبْدَ مُسْتَقِلٌّ بِعَمَلِهِ بِكَامِلِ الْإِرَادَةِ فِيهِ، لَيْسَ لِلَّهِ فِي عَمَلِهِ تَقْدِيرٌ وَلَا خَلْقٌ، فَفِيهِمْ نَوْعٌ مِنَ الشَّرِكِ مِنْ هَذَا الْبَابِ.

وَجَهَنَّمُ يَقُولُ: إِنَّ الْعَبْدَ مُجْبَرٌ عَلَى عَمَلِهِ، وَلَيْسَ لَهُ إِرَادَةٌ فِيهِ.

وَبِالْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ يَقُولُ الْمُعْتَزَلَةُ: إِنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ خَارِجٌ عَنِ الْإِيمَانِ غَيْرٌ دَاخِلٌ فِي الْكُفْرِ، فَهُوَ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ، وَلَكِنَّهُ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، وَيَقُولُ جَهَنَّمُ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ كَامِلٌ الْإِيمَانِ غَيْرٌ مُسْتَحَقٌّ لِدُخُولِ النَّارِ<sup>[١]</sup>.

وَالْمُعْتَزَلَةُ خَيْرٌ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ فِيمَا خَالَفُوهُمْ فِيهِ مِنَ الْقَدْرِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ، فَإِنَّ إِبْطَاتِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ مَعَ نَفْيِ الْقَدْرِ، خَيْرٌ مِنْ إِبْطَاتِ الْقَدْرِ مَعَ نَفْيِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَلِهَذَا لَمْ يُوجَدْ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مَنْ يَنْفِي الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ، وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ وَوُجِدَ فِي زَمَنِ الْقَدَرِيَّةِ وَالْحَوَارِجِ الْحُرُورِيَّةِ.

[١] الْمُعْتَزَلَةُ مَعَ الْجَهْمِيَّةِ إِخْوَانٌ فِي إِنْكَارِ الصِّفَاتِ، لَكِنَّهُمَا ضِدَّانِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ.

وَالْجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: الْفَاسِقُ (فَاعِلُ الْكَبِيرَةِ) مُؤْمِنٌ كَامِلٌ الْإِيمَانِ.

وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ، بَلْ هُوَ بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ.

وَالْجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: فَاعِلُ الْكَبِيرَةِ لَا يَسْتَحِقُّ الدُّخُولَ فِي النَّارِ.

وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: إِنَّهُ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ.



وإِنَّمَا يَظْهَرُ مِنَ الْبِدْعِ أَوَّلًا مَا كَانَ أَخَفَّ، وَكُلَّمَا ضَعُفَ مَنْ يَقُومُ بِنُورِ  
النُّبُوَّةِ قَوِيَّتِ الْبِدْعَةُ، وَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ إِلَى السَّلَفِ وَالْأَيْمَةِ أَقْرَبَ كَانَ قَوْلُهُ أَعْلَى  
وَأَفْضَلَ.

وَالْمُتَصَوِّفَةُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ الْحَقِيقَةَ الْكَوْنِيَّةَ مَعَ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ  
شَرٌّ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ الْمُعْتَزَلَةِ وَنَحْوِهِمْ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةَ يُشَبِّهُونَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ  
قَالُوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وَالْقَدَرِيَّةُ يُشَبِّهُونَ الْمَجُوسَ الَّذِينَ  
قَالُوا: إِنَّ لِلْعَالَمِ خَالِقِينَ، وَالْمُشْرِكُونَ شَرٌّ مِنَ الْمَجُوسِ.

أَمَّا الصُّوفِيَّةُ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِنَ تَعْظِيمِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَعَ مُشَاهَدَةِ  
تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَإِقْرَارِهِمْ بِالْقَدَرِ، فَهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ، لَكِنَّهُمْ مُعْتَزَلَةٌ مِنْ وَجْهِ  
آخَرَ حَيْثُ جَعَلُوا غَايَةَ التَّوْحِيدِ مُشَاهَدَةَ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْفَنَاءَ فِيهِ، فَاعْتَزَلُوا  
بِذَلِكَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَسُنَّتَهُمْ، وَقَدْ يَكُونُ مَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْبِدْعَةِ شَرًّا مِنْ  
بِدْعَةِ أَوْلَيْكَ الْمُعْتَزَلَةِ.

وَكُلُّ هَذِهِ الطَّوَائِفِ عِنْدَهَا مِنَ الضَّلَالِ وَالْبِدْعِ بِقَدْرِ مَا فَارَقَتْ بِهِ جَمَاعَةَ  
الْمُسْلِمِينَ وَسُنَّتَهُمْ، وَدِينُ اللَّهِ تَعَالَى مَا بَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، وَهُوَ  
الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ طَرِيقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ خَيْرِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ  
الْأُمَمِ.

وَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نَقُولَ فِي صَلَاتِنَا: ﴿أَعِدْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ①﴾ صِرَاطُ  
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿ [الفاتحة: ٦-٧]، فَالْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ  
كَالْيَهُودِ عَرَفُوا الْحَقَّ فَلَمْ يَتَّبِعُوهُ، وَالضَّالُّونَ كَالنَّصَارَى عَبْدُوا اللَّهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ،

وَكَانَ يُقَالُ: تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ، وَالْعَابِدِ الْجَاهِلِ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا» وَخَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] <sup>(١)</sup>، وَقَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ اسْتَقِيمُوا وَخُذُوا طَرِيقَ مَنْ قَبْلَكُمْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمُوهُمْ لَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وَلَئِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا» <sup>(٢)</sup>، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَبَرُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعَمَّقُهَا عِلْمًا، وَأَقْلَهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَإِقَامَةِ دِينِهِ فَاعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ وَتَمَسَّكُوا بِهِدْيِهِمْ فَإِنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ» <sup>(٣)</sup>.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ، وَأَلَّا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ <sup>[١]</sup>.

[١] الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّامِّ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُمْ عِلْمًا نَافِعًا، وَعَمَلًا

صَالِحًا.

(١) رواه أحمد (١/ ٤٦٥، رقم ٤٤٣٧)، والطيالسي رقم (٢٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٧) وابن حبان في صحيحه رقم (١٧٤١، ١٧٤٢)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٢٣٩، ٣١٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم (٧٢٨٢) بغير هذا اللفظ.

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٦).

(تَمَّ فِي ٢٢ / ٥ / ١٤١٠ هـ)

تَمَّتْ مُقَابَلَتُهَا عَلَى صَاحِبِ الْفَضِيلَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثَيْمِينَ وَذَلِكَ  
يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ الْمُوَافِقِ ٥ / ٦ / ١٤١٢ هـ بِمَدِينَةِ الرَّيَاضِ وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ.

وَأَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالْعَمَلِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَتَحْقِيقِ الْعِبَادَةِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ،  
فَالنَّاسُ الْيَوْمَ فِي أَمْوَاجٍ مِنَ الْفِتَنِ كَبِيرَةٍ عَظِيمَةٍ، تُزَلْزِلُ الْأَرْضَ وَتُزْعِزُ الْعَقِيدَةَ، فَإِنْ  
لَمْ تُقَابِلْهَا بِالْعَزَمِ وَالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ، وَالنِّيَّةِ الْحَالِصَةِ، وَالسَّبِيلِ الْمُسْتَقِيمِ؛ ضَاعَتِ الْأُمَّةُ،  
وَالْأُمَّةُ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

وَعَلَى هَذَا: فَعِلْمَاءُ أُمَّتِهِ مُكَلَّفُونَ بِمَا كُتِّفَ بِهِ الرَّسُلُ، مِنْ إِبْلَاحِ دِينِ اللَّهِ، وَالدَّعْوَةِ  
إِلَيْهِ وَالتَّمَسُّكِ بِهِ.

فَعَلَيْكُمْ بِهِذَا؛ مَعَ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَالِاسْتِغْفَارِ مِنَ التَّقْصِيرِ،  
وَنَسْأَلُ اللَّهَ لِلْجَمِيعِ الْهُدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.



100

100

100

100

100

100

100

100

100

## فهرس الآيات

## الآية



## الصفحة

- ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ..... ١٩
- ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَيَّ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ..... ١٩
- ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ آتَيْنَاكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١١٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ..... ١٩
- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ ..... ١٩
- ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ..... ٢٠
- ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ﴾ ..... ٢١
- ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا﴾ ..... ٢١
- ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ..... ٢٢
- ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ..... ٢٢
- ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ ..... ٢٢
- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ..... ٢٢
- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ..... ٢٢
- ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ..... ٢٢

- ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ ..... ٢٢
- ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ ..... ٢٤
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ..... ٢٦
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ ..... ٢٦
- ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبَصَرَ﴾ ..... ٢٧، ١٢٠، ٢٣٢، ٣٨٤
- ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ..... ٢٩
- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ ..... ٣٠
- ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ..... ٣٠
- ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ ..... ٣١
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ ..... ٣٢
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَصَبِّئُوهُ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ ..... ٣٧
- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ..... ٤٨
- ﴿لَا غَلِبَتِ أَنَا وَرُسُلِي﴾ ..... ٥٥
- ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ..... ٥٥
- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ..... ٦٥، ٢٤٢
- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ..... ٦٦
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ  
وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ..... ٦٨، ٢٥٥

- ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٧٠﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ إِلَيْكُمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٧١﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ..... ٦٩
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ ..... ٧٠
- ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ ..... ٧٠
- ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ..... ٧٠
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧١﴾ وَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ..... ٧١
- ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ..... ٧١
- ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ..... ٧١
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ ..... ٧٢
- ﴿وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ..... ٧٢
- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ..... ٧٣
- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ ..... ٧٣، ٨٩
- ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ..... ٧٤
- ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ ..... ٧٥
- ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ..... ٧٥، ٤٨٨
- ﴿وَيُثِرُ مُعْطَلَةً﴾ ..... ٧٥

- ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ..... ١٥٧، ٧٨، ٧٢
- ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ ..... ٧٨
- ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ ..... ٧٩
- ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ..... ٧٩
- ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ..... ١٠٩، ٧٩
- ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ..... ٧٩
- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ ..... ٢٧٥، ٧٩
- ﴿يَتَأْتَىٰ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ ..... ١٥٩، ٨١
- ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ ..... ٨٣
- ﴿وَاللَّهُ كُزُّ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ ..... ٨٣
- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ..... ٨٣
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ..... ٨٦
- ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ ..... ٢٥٠، ٨٨
- ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ ..... ٩٠
- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ..... ٩٤
- ﴿لِيُخْلِصَنَّهُمْ مِنْ خَلَائِفِ بَرِئُونَهُ، وَلَئِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ ..... ٩٤
- ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ..... ٩٤
- ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ..... ٥١٥، ٢٣٦، ١٩٩، ٩٣



- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ..... ٩٥
- ﴿وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ..... ٩٧
- ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاهُ﴾ ..... ٩٨
- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ..... ٩٨
- ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ..... ١٥٦، ١٥٧
- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ..... ١٥٧
- ﴿عَلَّمَ اللَّهُ أَتَكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ ..... ١٥٨
- ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ..... ١٥٨
- ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ..... ١٥٩
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ..... ١٥٩
- ﴿وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ..... ١٦٠
- ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ ..... ١٦١
- ﴿وَالنَّاسُ لَهُ الْخَاسِرُونَ﴾ ..... ١٦٢
- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ..... ١٦٣
- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ..... ١٦٤
- ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٥﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٦٦﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ..... ١٦٥
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ..... ١٦٦
- ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ ..... ١٦٧
- ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ ﴿١٦٨﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ..... ١٦٨
- ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ..... ٢٢٥، ١١٣

- ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ..... ١١٣، ٣١١
- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ..... ١١٣، ١١٦
- ﴿ وَجَعَلْنَا آيَاتِنَا آيَاتٍ مُبَارَكَةً ﴾ ..... ١١٣
- ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ..... ١١٣
- ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ ..... ١١٣
- ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ مَأْذَنَ لَكُمْ ﴾ ..... ١١٤
- ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ..... ١١٥
- ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ ..... ١١٩
- ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ ..... ١١٩
- ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ..... ١٢٧
- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُفْعَدُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَالْقَوْمُ الَّذِينَ إِنْ اللَّهَ سَمِعَ عَلَيْهِمْ ① يَتَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ؕ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ  
لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ..... ١٣٤
- ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعِيفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعِيفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا  
وَشَيْبَةً ﴾ ..... ١٣٧
- ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ ..... ١٣٨
- ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ ..... ١٣٨
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ..... ١٣٨
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ..... ١٣٨
- ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ ..... ١٣٩

- ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾. ١٣٩
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ ..... ١٤١
- ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ ..... ١٤٤
- ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ..... ١٤٤
- ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ..... ١٤٧
- ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ..... ١٤٧
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ ..... ١٥١
- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ مَّا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
- بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ..... ١٥٦
- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ..... ١٥٨
- ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ..... ١٥٨
- ﴿يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ ..... ١٥٩
- ﴿يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي﴾ ..... ١٥٩
- ﴿جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ ..... ١٥٩
- ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ ..... ١٥٩
- ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ تَبَرَّأْنَا مِنْهُ الْهَيِّ يَا بَنِي إِسْرَٰهِيمَ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ ..... ١٦٠
- ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا﴾ ..... ١٦٠
- ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ ..... ١٦٢
- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
- الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ ..... ١٦٢

- ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ﴾ ..... ١٦٣
- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ ..... ١٦٧
- ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ  
مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ  
عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ..... ١٧١
- ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ..... ١٧١
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ  
وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا  
﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ..... ١٧٣
- ﴿اجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ ..... ١٧٨
- ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَنَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَلْهُ أَوْ جَحْنُوهُ﴾ ..... ١٨٢
- ﴿إِن هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا﴾ ..... ١٨٣
- ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَصَالُونَ﴾ ..... ١٨٣
- ﴿أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ..... ١٨٤
- ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ ..... ١٨٧
- ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَأَنَّ ﴿١٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ..... ١٨٧
- ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٧﴾ أَمْوتُوا غَيْرَ أَحْيَاءٍ  
وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ..... ١٩٥
- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ..... ١٩٧
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي

- الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿..... ٢٠٠
- ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ..... ٢٧٤، ٢٠٠
- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ..... ٢٨٢، ٢٠١
- ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ ..... ٢٠١
- ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا﴾ ..... ٢٠١
- ﴿وَأَعِذُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ..... ٢٠٢
- ﴿وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ ..... ٢٠٥
- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ ..... ٢٠٥
- ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ..... ٢٠٩، ٢٠٧
- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ..... ٢٠٩
- ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ ..... ٢٠٩
- ﴿فَلَمَّا هَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ ..... ٢١٤
- ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَاقِ﴾ ..... ٢١٨
- ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ ..... ٢١٨
- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ ..... ٢١٨
- ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ ..... ٢١٨
- ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ ..... ٢٢٠
- ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ..... ٢٢٦
- ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا﴾ ..... ٢٣٢

- ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ..... ٢٣٣
- ﴿يَتَابَتَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ (٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ ..... ٢٣٣
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ..... ٢٣٤
- ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ ..... ٢٤٠
- ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ ..... ٢٤٠
- ﴿وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ ..... ٢٤٠
- ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ ..... ٢٤٤
- ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ ..... ٢٤٤
- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ..... ٢٧٦، ٢٤٨، ٢٤٢
- ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ ..... ٢٤٢
- ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ..... ٢٤٢
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ﴾ ..... ٢٤٢
- ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ..... ٢٤٣
- ﴿لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ..... ٢٤٣
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ ۖ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ..... ٢٤٣
- ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ..... ٢٤٣
- ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ..... ٢٤٣
- ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ ..... ٢٤٤
- ﴿صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ..... ٢٤٤
- ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ..... ٢٤٥

- ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ..... ٢٤٦
- ﴿فَلَنْ أُنَبِّحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِیَ أَبِیْ أَوْ یَحْكُمَ اللَّهُ لِی﴾ ..... ٢٤٧
- ﴿فِی كِتَابٍ لَا یَضِلُّ رَبِّی وَلَا یَنْسِی﴾ ..... ٢٤٨
- ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِی السَّمَوَاتِ وَلَا فِی الْأَرْضِ﴾ ..... ٢٤٨
- ﴿وَلَمْ یَعَىٰ یُخْلِفُهُنَّ﴾ ..... ٢٤٨
- ﴿وَلَا یَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ..... ٢٤٨
- ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَیْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَبَعُثُوا فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ﴾ ..... ٢٥٢
- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِی السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ..... ٢٥٥
- ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ ..... ٢٥٧
- ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ..... ٢٥٧
- ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ..... ٢٥٧
- ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَتَابًا﴾ ..... ٢٥٧
- ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ..... ٢٥٨
- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ لَكُمْ وَیَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ..... ٢٩٥، ٢٥٨
- ﴿مُبِينٌ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ..... ٢٥٨
- ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِی السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ..... ٢٥٨
- ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ..... ٢٦٢
- ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ .. ٢٨٧، ٢٦٦

- ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ..... ٢٦٨
- ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ..... ٢٦٨
- ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ ..... ٢٧١
- ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ ..... ٢٧١
- ﴿وَلِلَّهِ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ
- ﴿يَلْسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ..... ٢٧١ ﴿١٣٤﴾
- ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ..... ٢٧٢
- ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا دُؤَيْبَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ ..... ٢٧٢
- ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ..... ٢٧٤
- ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ ..... ٢٨١، ٢٧٤
- ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ..... ٢٧٦
- ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ..... ٢٧٦
- ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ ..... ٢٧٦
- ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ..... ٢٧٦
- ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ ..... ٢٧٦
- ﴿وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ ..... ٢٧٦
- ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ..... ٢٧٦
- ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ..... ٢٧٨
- ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ ..... ٢٨٠
- ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ ..... ٢٨٢



- ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ﴾ ١٠ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا تُمْطَرُونَ﴾ ١١ ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ ١٢ ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُشِّرَ﴾ ١٣ ﴿فَجَرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ﴾ ..... ٢٨٢
- ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ﴾ ..... ٢٨٢
- ﴿هِيَ مَا كَسَبَتْ آيِدِي النَّاسِ﴾ ..... ٢٨٦
- ﴿يُسَبِّحُ اللَّهَ لَكُمْ أَن تَضَلُّوا﴾ ..... ٢٩٥
- ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ ..... ٢٩٨
- ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ..... ٣٠١
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِيَّ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ..... ٣٠١
- ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ ..... ٣٠٥
- ﴿وَأَمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ..... ٣٠٧
- ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ..... ٣٠٨
- ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ..... ٣٠٨
- ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ..... ٣٠٩
- ﴿وَلَا صَلَبَتْكُمْ فِي جُدُوعٍ النَّخْلِ﴾ ..... ٣٠٩
- ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ..... ٣٠٩
- ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ..... ٣٠٩
- ﴿وَلَا صَلَبَتْكُمْ فِي جُدُوعٍ النَّخْلِ﴾ ..... ٣٠٩

- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ..... ٣٠٩
- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ..... ٣١١
- ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ... ٣٥٩، ٣١١
- ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ..... ٣١١
- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ..... ٣١٢
- ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ..... ٣١٢
- ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ ..... ٣١٢
- ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ..... ٣١٥
- ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ..... ٣١٥
- ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يِعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ ..... ٣١٨
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ ... ٣١٨
- ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ..... ٣١٨
- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ... ٣١٩
- ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ..... ٣٢٣
- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ..... ٣٢٦
- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ ..... ٣٣٢
- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ ..... ٣٣٧
- ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ ..... ٣٣٨

- ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِ يَنَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ ..... ٣٣٩
- ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ..... ٣٤٠
- ﴿وَاحِلَ اللَّهِ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ..... ٣٤٠
- ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ ..... ٣٤٢
- ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ ..... ٣٤٤
- ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ..... ٣٤٧
- ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ..... ٣٤٧
- ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ ..... ٣٤٩
- ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ..... ٣٥٢
- ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ ..... ٣٥٣
- ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ..... ٣٥٣
- ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ ..... ٣٥٣
- ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ..... ٣٥٣
- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ ..... ٣٥٣
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ..... ٣٥٦
- ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أَمْ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ ..... ٣٥٧
- ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ..... ٣٥٧

- ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ ..... ٣٥٧
- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ ..... ٣٥٧
- ﴿وَقَمَّتْ كُلُّمْتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ ..... ٣٥٩
- ﴿الْفَنِّ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾ ..... ٣٦٢
- ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ ..... ٣٧٢، ٣٦٢
- ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ..... ٣٧٢، ٣٦٢
- ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ..... ٣٦٢
- ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ..... ٣٦٢
- ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ..... ٣٦٣
- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ..... ٣٩٢، ٣٦٥
- ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا احْسَبُوا﴾ ..... ٣٦٥
- ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ..... ٣٦٥
- ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ..... ٣٦٦
- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ ..... ٣٦٨
- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ..... ٣٦٨
- ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ..... ٣٦٨
- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثُلُثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ﴾ ..... ٣٦٨
- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ ..... ٣٦٨
- ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ..... ٣٦٩

- ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ..... ٣٦٩
- ﴿رَبِّ إِنَّا بَنِي مِنْ أَهْلِي﴾ ..... ٣٧١
- ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ ..... ٣٧١
- ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ ..... ٣٧٢
- ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ..... ٣٧٣
- ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الْبَشِيرِ الَّذِي يَوْمُنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ﴾ ..... ٣٧٥
- ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ ..... ٣٧٥
- ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَادِينَ﴾ ..... ٣٧٥
- ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ..... ٣٧٦
- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُرِخْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ..... ٣٧٨
- ﴿أَكْكَلُونَ لِلشُّحِّ﴾ ..... ٣٨٠
- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ..... ٣٨٠
- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمُ اللَّهُ شَيْءًا مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ ..... ٣٨٠
- ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ..... ٣٨٢
- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ..... ٣٨٧
- ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ..... ٣٨٨

- ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ..... ٣٨٨
- ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ..... ٣٨٩
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ ..... ٣٩٠
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ ..... ٣٩٠
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ..... ٣٩٠
- ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ حَيْثُ أَصْطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ..... ٣٩٠
- ﴿فَتَسْلُكُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ..... ٣٩١
- ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ..... ٣٩١
- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ..... ٣٩١
- ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ..... ٣٩١
- ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَقَرَأَ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوزِلْنَا مَالٌ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ ..... ٣٩١
- ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ قَالَتْ قُرْآنُهُ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ..... ٣٩٢
- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ ..... ٣٩٢
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ..... ٤٠٠
- ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ ..... ٤٠١
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ..... ٤٠٢
- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ..... ٤٠٧
- ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ ..... ٤٠٧

- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ..... ٤٠٧
- ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ ..... ٤٠٨
- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ..... ٤٠٨
- ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ..... ٤١٤
- ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ ..... ٤١٧
- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ..... ٤١٩
- ﴿وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ..... ٤٣٣
- ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ..... ٤٤٠
- ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ ..... ٤٤٣
- ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ..... ٤٤٨
- ﴿عَلَيْكُمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ..... ٤٤٩
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ..... ٤٤٩
- ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ..... ٤٤٩
- ﴿يَمَحُوهَا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُهَا وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ..... ٤٥٠
- ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ..... ٤٥١
- ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ..... ٤٥١
- ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ..... ٤٥١

- ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ..... ٤٥١
- ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ ..... ٤٥٢
- ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ..... ٤٥٢
- ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ... ٤٥٤
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَاجِّ﴾ ..... ٤٥٥
- ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ..... ٤٥٧
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ..... ٤٥٧
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَلِ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا﴾ ..... ٤٥٧
- ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ..... ٤٥٧
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ..... ٤٥٧
- ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ..... ٤٥٧
- ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .. ٤٥٩
- ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ ..... ٤٥٩
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ..... ٤٥٩
- ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ..... ٤٥٩
- ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ..... ٤٦٠
- ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ..... ٤٦٠



- ﴿لَمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ..... ٤٦٠
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَن ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ..... ٤٦٠
- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ..... ٤٦٠
- ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ..... ٤٦٠
- ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ..... ٤٦٠
- ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ..... ٤٦٣
- ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ ..... ٤٦٣
- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ ..... ٤٦٤
- ﴿وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ..... ٤٦٤
- ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا يَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ ..... ٤٦٨
- ﴿فَانْظُرْ إِلَى ءَآثِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْحَى الْمَوْقُوتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ..... ٤٦٨
- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ..... ٤٦٩
- ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ..... ٤٧٠
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ ..... ٤٧٠
- ﴿يَسَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبراهيمَ﴾ ..... ٤٧٢

- ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ ..... ٤٧٤
- ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرِّ قَدِيرٍ﴾ ..... ٤٧٤
- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ ..... ٤٧٤
- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ ..... ٤٧٤
- ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ..... ٤٧٤
- ﴿وَيَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ..... ٤٧٧
- ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ..... ٤٧٧
- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلُنَ عُلُوقًا كَافِرًا﴾ ..... ٤٧٧
- ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ ..... ٤٧٨
- ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ ..... ٤٧٨
- ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ ..... ٤٧٩
- ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ ..... ٤٧٩
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۖ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ ..... ٤٧٩
- ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ ..... ٤٧٩
- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنِ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنِ ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ ..... ٤٨١
- ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ..... ٤٨٣
- ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ ..... ٤٨٤

- ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ..... ٤٨٧
- ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا مِّثْلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ﴾ ..... ٤٨٧
- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ ..... ٤٨٧
- ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْنَبْهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ ..... ٤٨٧
- ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ ..... ٤٨٨
- ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ﴾ ..... ٤٩٠
- ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا﴾ ..... ٤٩٢
- ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ ..... ٤٩٢
- ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ..... ٤٩٢
- ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَاهَاً  
إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ﴾
- ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ..... ٤٩٧
- ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ ..... ٤٩٩
- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ..... ٤٩٩
- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ..... ٥٠٢
- ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْآمَرُ﴾ ..... ٥٠٢
- ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ..... ٥٠٣
- ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ  
كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ ..... ٥٠٤
- ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ..... ٥٠٥

- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ..... ٥٠٦
- ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ..... ٥٠٦
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ..... ٥٠٦
- ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ..... ٥٠٧
- ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ..... ٥٠٧
- ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ..... ٥٠٧
- ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَیْ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ..... ٥٠٧
- ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ مَآمِنُكُمْ بِاللَّهِ فَقَلِّتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ..... ٥٠٨
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَهْدِيكُمْ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ ..... ٥٠٨
- ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ..... ٥٠٨
- ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ..... ٥٠٨
- ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ..... ٥٠٨
- ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ فِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ ..... ٥٠٨
- ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ..... ٥٠٩
- ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ ..... ٥٠٩

- ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ..... ٥٠٩
- ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ..... ٥١٢
- ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ..... ٥١٢
- ﴿ قَدْ رَأَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَتَوَلَّىكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطَرَ  
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ..... ٥١٣
- ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ..... ٥١٤
- ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ..... ٥١٥
- ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ..... ٥١٦
- ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ..... ٥١٦
- ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ  
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٣﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ  
عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ ..... ٥١٦
- ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ..... ٥١٦
- ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ..... ٥١٦
- ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ  
الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ ..... ٥١٦
- ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ ..... ٥١٦
- ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ ..... ٥١٨
- ﴿ يَتَأَيَّهَا أَلَمَلًا مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ ..... ٥١٨
- ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ  
بِنَفَرَعَوْتٍ مَشْبُورًا ﴾ ..... ٥١٨

- ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ..... ٥١٨
- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ..... ٥٢٠
- ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ..... ٥٢٠
- ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَیَّ ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ..... ٥٢٠
- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ..... ٥٢١
- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَئِنَّا لَشَاعِرٌ يُجَنُّونَ﴾ ..... ٥٢١
- ﴿وَعِجْبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا وَاصْبِرُوا عَلَى إِلَهَيْكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ ..... ٥٢١
- ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ..... ٥٢٢
- ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ..... ٥٢٦
- ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ ..... ٥٢٧
- ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ ..... ٥٢٧
- ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ..... ٥٢٧
- ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ..... ٥٢٧
- ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ..... ٥٢٧
- ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ غَفِيرٌ﴾ ..... ٥٢٩

- ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ ..... ٥٩٨، ٥٢٩
- ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ..... ٥٣٠
- ﴿قَالِذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ءُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ..... ٥٣١
- ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ﴾ ..... ٥٣٥
- ﴿قُلْ إِنِّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ..... ٥٣٥
- ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ..... ٥٣٦
- ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ..... ٥٣٦
- ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ؕ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ﴾ ..... ٥٣٦
- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ..... ٥٣٦
- ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِصِرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ..... ٥٣٧
- ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ..... ٥٣٨
- ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْكَاسَ وَالْأَخْشُونَ﴾ ..... ٥٣٨
- ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ؕ فَإِنَّ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ..... ٥٣٨
- ﴿فَإِنِّي فَارِهْبُونَ﴾ ..... ٥٣٨
- ﴿فَإِنِّي فَاعْبُدُونَ﴾ ..... ٥٣٨
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ ..... ٥٣٩
- ﴿وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾ ..... ٥٣٩
- ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾ ..... ٥٣٩
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

- ذُنُوبِكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥٣٩.....
- ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾..... ٥٣٩
- ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا
- يَعْمَلُونَ﴾..... ٥٤٠
- ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ
- مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾..... ٥٤٢
- ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾..... ٥٤٢
- ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ﴾..... ٥٤٢
- ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾..... ٥٤٣
- ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾..... ٥٤٣
- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾..... ٥٤٥
- ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾..... ٥٤٥
- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾..... ٥٤٩
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾..... ٥٤٩
- ﴿قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَنَّادْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا يَمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾..... ٥٤٩
- ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَبِلَا
- لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ
- كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنْدَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾..... ٥٥٠
- ﴿وَعِجْبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَجَرٌ كَذَابٌ ﴿٦٩﴾ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِيَّاهَا
- وَحِيدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٧٠﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ آلِهَتِهِمْ إِنَّ هَٰذَا
- لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾..... ٥٥١



- ﴿إِنْ يَشْفُقُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ .. ٥٥٢
- ﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ ..... ٥٥٢
- ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ..... ٥٥٩
- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ هَيْتَنَا لِيُشَاعِرَ تَجَنُّونَ﴾ ..... ٥٥٩
- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ..... ٥٦٣
- ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ .. ٥٦٥
- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ..... ٥٦٥
- ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ أُولَئِكَ لَهُمْ عِزٌّ عِزِّ الدَّارِ﴾ ..... ٥٦٦
- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ..... ٥٦٧
- ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ ..... ٥٧١
- ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ..... ٥٧١
- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ..... ٥٧٦
- ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ ..... ٥٧٦

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ ..... ٥٧٦
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ ..... ٥٧٦
- ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ..... ٥٧٧
- ﴿وَلَنْ تَجِدَ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ ..... ٥٧٨
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصِدُّوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ..... ٥٨١
- ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ..... ٥٨٢
- ﴿يَجْنِي أَقْمِرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَآثَةً عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبَرَ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَمِّ الْأُمُورِ﴾ ..... ٥٨٢
- ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ..... ٥٨٢
- ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ..... ٥٨٢
- ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ ..... ٥٨٢
- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ ..... ٥٨٢
- ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ ..... ٥٨٦
- ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ..... ٥٨٩
- ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْنَعُوا فُسُوقَ يَعْلَمُونَ﴾ ..... ٥٩١
- ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ ..... ٥٩٤



## فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث
٤٦٥.....	«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ».....
٤٨٥.....	«اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى».....
٤٨٦.....	«اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ».....
٥٦٨.....	«إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ قَالَ لِجَنرِيلَ قَدْ أَحْبَبْتُ فَلَانًا فَأَحْبَهُ. فَيَحِبُّهُ جَنرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحْبُوهُ. فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ».....
٥٨١.....	«إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».....
٤٦٧.....	«إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ».....
٢٠.....	«إِذَا صَلَحَ صَلَحَ الْبَدَنُ كُلُّهُ».....
٣٨٤.....	«إِذَا وُضِعَتِ الْجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي...».....
٤٣٨.....	«أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ».....
٥٨٢.....	«إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ».....

- «اَسْتَوْصُوا بِأَصْحَابِي خَيْرًا...» ..... ٤٩٨
- «أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ» ..... ٢١
- «أَعْتَقَهَا فَلِئَلاَّ تُؤْمِنَهُ» ..... ٢٦٤
- «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ..... ٣٨٢، ٢٢٤
- «أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ هِيَ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ» ..... ٣٦٠
- «اعْمَلُوا فِكْلٌ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» ..... ٤٨١
- «أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» ..... ٣٩٦
- «اَكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ» ..... ٤٤
- «أَلَا تُصَلِّيَانِ» ..... ٤٩٢
- «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» ..... ٥١١
- «الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ صَافَحَهُ وَقَبَّلَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللَّهَ وَقَبَّلَ يَمِينَهُ» ..... ٢٨٣
- «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ» ..... ٣٨٣
- «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةِ: فِي شَرْطَةِ مَحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيِّ بِنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ» ..... ٤٧٠
- «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ» ..... ٥٣١
- «الْغَضَبُ جَهْرَةٌ يُلْقِيهَا الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ» ..... ٢١١
- «الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ» ..... ١١٣

- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّةَ وَجِلِّهِ وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ» ..... ٥٨٤
- «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي» ..... ١٧٤
- «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ» ..... ٥٦٨
- «اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ» ..... ٣٣٨
- «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» ..... ٥٣١
- «أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضٌ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، وَاسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ» ..... ٢٨٠
- «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» ..... ٢٠١، ١٥٨
- «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ قَبَلَ وَجْهَهُ» ..... ٢٦٢
- «إِنَّ آدَمَ احْتَجَّ بِالْقَدَرِ» ..... ٣١
- «أَنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ» ..... ٢٣٤
- «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا - أَوْ قَالَ شَيْئًا» ..... ٥٨٨
- «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ» ..... ٥٧٠
- «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» ..... ٥٢٨
- «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا قَبِلَ شَخْصًا جَعَلَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مَحَبَّةَ لَهُ وَقَبُولًا لَهُ» ..... ٤٨
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ» ..... ٤٠٠
- «أَنَّ اللَّهَ يَضْحَكُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ» ..... ٢١٨، ٨٢

- «أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ مَا عَلِمْنَا ذَلِكَ» ... ٨١، ٣٣٣
- «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ
- مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» ..... ٤٥٤
- «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ
- وَشَرِّهِ» ..... ٤٤٧
- «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ - مَا تَرَى فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ؟ قَالَ: مَثْنَى
- مَثْنَى. فَإِذَا خَشِيَ الصُّبْحَ صَلَّى وَاحِدَةً. فَأَوْتَرَتْ لَهُ مَا صَلَّى» ..... ٣٩٥
- «أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ - كَانَ يَكْتُبُ حَدِيثَ
- النَّبِيِّ ﷺ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ» ..... ٤٤
- «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ
- حَيْثُ يَشَاءُ» ..... ٢٨٨
- «إِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ
- مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» ..... ٥٦٦
- «إِنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مُسَمًّى، فَلْتَحْتَسِبْ وَلْتَصْبِرْ» ..... ٤٩٥
- «إِنَّ مِنَ الْبَيَانَ لِسِحْرًا» ..... ٥٢١
- «إِنَّ هَذَا نَعِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ..... ٣٤١
- «أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ» ..... ٣٢٤
- «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ» ..... ٢٣، ١٧٠
- «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ» ..... ٣٠
- «إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ» ..... ٣٧
- «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ» ..... ١٤٣

- «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»..... ٥٨٥
- «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ بَعْدِي  
الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ»..... ٥٣٣
- «إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»..... ٢٠
- «إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَرُزُّوْهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ»..... ٥١٣
- «أَوْ كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جَزِيلٌ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لِجَدَلٍ  
هَؤُلَاءِ»..... ١٣٣
- «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْقَدَرُ قَالَ:  
فَكَتَبَ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»..... ٤٥١
- «أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ»..... ٣٦٠
- «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ»..... ١٦٥
- «بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ»..... ٥٢٦
- «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ»..... ٥٦٨
- «ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ وَيَخْلِفُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ»..... ٤١
- «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ  
السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ..... ٢٩١
- «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»..... ١٠٥
- «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا»..... ٥٩٨
- «خَيْرُ الْأَسْمَاءِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ الْحَارِثُ وَهَمَامٌ»..... ٥٠٠
- «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»..... ١٣١

- «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» ..... ٥٦٧
- «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» ..... ٣١٢
- «دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُونَ وَثَلَاثُ مِائَةٍ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ» ..... ٥٥٢
- «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا» ..... ٥٦٨
- «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» ..... ٥٧٨
- «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» ..... ٣٤٠
- «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» ..... ٥٨٦
- «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» ..... ٥٨٨
- «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» ..... ٤٦٥
- «سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ بِسُورَةِ الطَّوْرِ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَقَالَ: فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْقُوتُ﴾. كَادَ قَلْبِي يَطِيرُ» ..... ١٨٢
- «سُورَةُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» ..... ٣٦٠
- «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» ..... ٣٩٠
- «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ» ..... ٤٤٣
- «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» ..... ٤٩٦، ٤٤٨
- «فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُكْرَهَ لَهُ» ..... ٤٥٧
- «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» ..... ٥٢٤
- «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ» ..... ٥٢٨



- «قَالَ رَجُلٌ لِلرَّسُولِ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، قَالَ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدَاءً؟»..... ١١٦
- «قَالَ: أَوْجَدْتُمْ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ!، قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»..... ٦٢
- «قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيِّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ! قَالَ: أَجَلٌ، لَقَدْ مَهَّأْنَا أَنْ نَسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ»..... ٢٦
- «كَانَ إِذَا دَخَلَ الْحَلَاءَ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحُبْثِ وَالْحَبَائِثِ»..... ٣٤٨
- «كَانَ اللَّهُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ»..... ٤٥٤
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْشِي فِي الْمَدِينَةِ ذَاتَ يَوْمٍ، فَجَالَتْ بِهِ بَغْلَتُهُ حَتَّى كَادَتْ تُلْقِيهِ؛ لِأَنَّهَا سَمِعَتْ صَاحِبَ قَبْرِ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ»..... ٣٨٤
- «كَانَ يَتَعَوَّذُ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ»..... ٣٤٨
- «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»..... ٤٥٣
- «كَمَا تَكُونُونَ يُؤَلَّى عَلَيْكُمْ»..... ٣٥
- «لَا تَبْدُءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ»..... ٥٨٠
- «لَا تَغْضَبْ»..... ٤٤٣
- «لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُ إِلَّا فَهَمَّا يُعْطِيهِ اللَّهُ عَزَّجَلَّ رَجُلًا وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ»..... ٣٨٨
- «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّائِحَةَ وَالْمُسْتَمِعَةَ»..... ٤٧٨
- «لَقَدْ تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلَّبُ جَنَاحِيهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا»..... ٢٥

- «لَهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ  
فَلَاةٍ» ..... ٤٤٢
- «لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي» ..... ٥٠٠
- «لَيْسَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ» ..... ٢٢٥
- «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخِرَدَلَةٍ فِي يَدِ  
أَحَدِكُمْ» ..... ٢٦٧
- «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ  
بِيمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرَبُّو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ» ..... ٢٨٧
- «مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَاً إِلَّا وَقَدْ خَلَقَ لَهُ دَوَاءً، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ» ..... ٣٨٨
- «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا  
إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ  
يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشُّوْرِ مِثْلَهَا» ..... ٥٨٨
- «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ» ..... ٤٨٠
- «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ،  
حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» ..... ٤٧٦
- «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَيِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» ..... ٤٩٧، ٤٦٩
- «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» ..... ٥٣٢
- «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» ..... ٥٢٦
- «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ» ..... ٥٩٨
- «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» ..... ٥٣٥
- «مَنْ لَزِمَ الْاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا» ..... ٥٨٦

- «مَنْ يُضِلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ» ..... ٤٨
- «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ  
الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي» ..... ٣٣
- «نَهَى عَنْ إِضَاعَةِ الْمَالِ» ..... ٢٥
- «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» ..... ٣٨٥، ٣٥٢، ٢٢١، ١٦٥
- «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مَا مِثْلُ أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» ..... ٣٠
- «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمَصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمَ» ..... ٤٩٥
- «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ -يَعْنِي أُمَّةَ الدَّعْوَةِ-  
يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ  
النَّارِ» ..... ٥٣٠، ٥١٠
- «وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ» ..... ٥٨١
- «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ الثَّغِيرُ» ..... ٥٢
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِمَرِيٍّ مَا نَوَى» ..... ٥٢٨
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ثَوَّبُوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» ..... ٥٨٥
- «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ» ..... ١٦٠
- «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي» ..... ٢١٢
- «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا وَخُذُوا طَرِيقَ مَنْ قَبْلَكُمْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمُوهُمْ لَقَدْ  
سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وَلَئِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا» ..... ٥٩٨
- «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ  
خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّهِ» ..... ٤٤٠
- «يَسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا، فَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُسَرِّينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعْسِرِينَ» .... ١٦٥

- «يَضْحَكُ اللهُ مِنْ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» ..... ٤٤٢
- «يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟» ..... ٢٦٧
- «يَمَكُثُ الدَّجَالُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَالْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَالْيَوْمُ كَالضُّرَامِ السَّعْفَةِ فِي النَّارِ» ..... ٤٥٥
- «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» ..... ٣٣٣



## فهرس الفوائد

الصفحة	الفائدة
١٧.....	من خطب النبي ﷺ
١٧.....	التَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ هِيَ الرَّجُوعُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَى طَاعَتِهِ
١٧.....	النَّفْسُ تُصَنَّفُ: إِمَّا مُطْمِئِنَّةً، وَإِمَّا أَمَّارَةً، وَنَفْسٌ لَوَّامَةٌ
١٨.....	أَنَّ الْهُدَايَةَ وَالْإِضْلَالَ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ
١٩.....	نُزُولُ السُّورَةِ صَارَ لِقَوْمٍ شِفَاءً، وَلِقَوْمٍ دَاءٌ بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِهِمْ
١٩.....	الْمَنَافِقُونَ يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ بِسَبَبِ فَسَادِ قُلُوبِهِمْ
٢٠.....	يَجِبُ أَنْ نَهْتَمَّ بِصَلَاحِ الْقَلْبِ، وَإِزَالَةِ الشَّوَابِ عَنْهُ
	أَنَّ النَّفْسَ تُحِبُّ أَنْ تَقُومَ هِيَ بِالْحَقِّ، وَأَنْ تَنْشُرَ الْحَقَّ، وَتَسْبِقَ غَيْرَهَا، لَكِنْ لَا يَجُوزُ
٢١.....	أَنْ تَكْرَهَ غَيْرَكَ إِذَا سَبَقَكَ فِي خَيْرٍ؛ لِأَنَّ هَذَا حَسَدٌ
٢١.....	الْأَلَهَةُ الْبَاطِلَةُ مَوْجُودَةٌ لَكِنَّهَا بَاطِلَةٌ، فَهِيَ أَسْمَاءٌ بِلَا مُسَمِّيَّاتٍ
٢٢.....	أَمَانَةُ النَّبِيِّ هِيَ الرَّسَالَةُ
٢٢.....	لَوْ كَانَ الرَّسُولُ - ﷺ - كَاتِمًا لَشَيْءٍ مِمَّا أُرْسِلَ بِهِ لَكَانَ يَكْتُمُ أَوَّلَ سُورَةِ الْأَحْزَابِ
٢٣.....	الْمَسَائِلُ الدَّالَّةُ عَلَى نُصْحِ الرَّسُولِ ﷺ كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَرُ
٢٣.....	عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَا كَلِمَتِهِمْ وَمَشَارِبِهِمْ، كَيْفِيَّةً وَكَمِيَّةً
٢٥.....	عِلْمُ التَّشْرِيحِ لَمْ تَتَعَرَّضْ لَهُ الشَّرِيعَةُ
	بَيَّنَّتْ لَنَا الصِّفَةَ وَمَعْنَاهَا الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ بِمُقْتَضَى اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَوِ الْحَقِيقَةِ الشَّرْعِيَّةِ،
٢٧.....	أَمَّا كَيْفِيَّةُ الصِّفَةِ فَلَمْ يُبَيِّنْهَا اللَّهُ لَنَا؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ إِدْرَاكُهَا

- لا توحيد إلا بالنفي والإثبات ..... ٢٨
- التوحيد لا بُدَّ فيه من إثبات مُضادٍّ للتَّعطيل، ونفي مُضادٍّ للمُشاركَةِ ..... ٢٨
- هل التَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ يَشْمَلُ الْقَرْنَ الثَّانِي فَقَطْ أَمْ الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ؟ ..... ٢٩
- فَرَّقَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بَيْنَ الدَّاعِيَةِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَبَيْنَ الْمُقَلِّدِ ..... ٣٠
- أهل البدع الشيء الذي لا يُمكنهم تكذيبه يلجؤون فيه إلى التَّحريف ..... ٣١
- أهل الحق يُصدِّقون النصوص إذا صَحَّتْ ..... ٣١
- (من) الْبَيَانِيَّةِ وَالتَّبَعِيَّةِ ..... ٣١
- الْمُبْتَدِعَةُ لَا يُمكنهم أَنْ يَرُدُّوا الْقُرْآنَ، وَالتَّوَاتُرَ مِنَ السُّنَّةِ، وَلَكِنَّهُمْ رَدُّوا أَخْبَارَ الْآحَادِ ... ٣٢
- إِنَّ الْعُلَمَاءَ فِيْمَا نَرَى ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: عَالِمٌ دَوْلَةٍ، وَعَالِمٌ أُمَّةٍ، وَعَالِمٌ مِلَّةٍ ..... ٣٤
- أَنَّ صَلَاحَ الْأُمَّةِ بِصَلَاحِ وَلَاتِهَا ..... ٣٥
- غَالِبُ الْحُكَّامِ سِلَاحُهُمُ الْعُلَمَاءُ ..... ٣٦
- بِدْعَةُ الْخَوَارِجِ وَالرَّافِضَةِ بِدْعَتَانِ مُتَقَابِلَتَانِ ..... ٣٦
- الرَّوَافِضُ عَمَّرُوا الْمَشَاهِدَ وَخَرَّبُوا الْمَسَاجِدَ ..... ٣٧
- إِذَا انْحَطَّ قَدْرُ الزُّعَمَاءِ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ فَإِنَّ الثُّقَّةَ بِالشَّرِيعَةِ كُلِّهَا سَوْفَ تَنْعَدِمُ ..... ٣٧
- كَانَ مُلْكُ مُعَاوِيَةَ مُلْكًا وَرَحْمَةً ..... ٣٨
- إِنَّ بِدْعَتِي الْخَوَارِجِ وَالرَّافِضَةِ لَيْسَ فِيْهِمَا كَلَامٌ عَنِ الرَّبِّ عَزَّجَلَّ فِي الْأَسْمَاءِ  
وَالصِّفَاتِ، وَإِنَّمَا كَانَ الْكَلَامُ فِيْهِمَا عَنِ الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ  
الْأَحْكَامِ ..... ٣٩
- ظُهُورُ فِتْنَةِ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْقَدَرَ ..... ٣٩
- ظُهُورُ فِتْنَةِ الْمُزْجِيَّةِ الَّذِينَ أَخْرَجُوا الْأَعْمَالَ عَنِ الْإِيمَانِ ..... ٣٩

- لَيْسَ فِي الْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِيَّةِ شَيْءٌ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى الصِّفَاتِ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِيهِمَا عَلَى  
 ٤٠..... أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَالْأَحْكَامِ
- أَنَّ الْمُرْجِيَّةَ يَرَوْنَ أَنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ مُؤْمِنٌ كَامِلُ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْكَبِيرَةَ لَمْ تَنْقُصْ  
 ٤٠..... إِيْمَانَهُ
- أَنَّ الْقَدَرِيَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ خَارِجٌ مِنَ الْإِيمَانِ، لَكِنْ لَيْسَ بِكَافِرٍ بَلْ هُوَ  
 ٤٠..... فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ
- الْحَوَارجَ يَرَوْنَ أَنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ وَكَافِرٌ .....  
 ٤٠.....
- ظُهُورُ الْخَوَاضِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ .....  
 ٤٠.....
- أَنَّ الْعَجَمَ لَيْسُوا كَالْعَرَبِ .....  
 ٤١.....
- جُمْهُورُ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ انْقَرَضُوا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ أَصَاغِرِ الصَّحَابَةِ فِي إِمَارَةِ ابْنِ  
 ٤١..... الزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الْمَلِكِ
- جُمْهُورُ تَابِعِي التَّابِعِينَ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَأَوَائِلِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ .....  
 ٤١.....
- حَدُوثُ الرَّأْيِ، وَالْكَلامِ، وَالتَّصَوُّفِ .....  
 ٤٢.....
- حَدُوثُ التَّجَهُُّمِ .....  
 ٤٢.....
- مَدَارُ الْبِدْعِ الَّتِي حَدَّثَتْ بِالْأُمَّةِ، رَأْيٌ وَكَلَامٌ وَتَصَوُّفٌ يُقَابَلُ بِهِمُ النَّص .....  
 ٤٢.....
- التَّجَهُُّمُ: نَفْيُ الصِّفَاتِ .....  
 ٤٢.....
- إِنَّ الْبِدْعَةَ لَا تُقَابَلُ وَلَا تُقْتَلُ بِالْبِدْعَةِ، وَإِنَّمَا تُقْتَلُ بِالسُّنَّةِ .....  
 ٤٢.....
- بِدْعَةُ الْقَدَرِ أَذْرَكَتْ آخِرَ عَصْرِ الصَّحَابَةِ فَأَنْكَرَهَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ حَيًّا .....  
 ٤٣.....
- بِدْعَةُ الْحُلُولِ ظَهَرَ أَمْرُهَا فِي زَمَنِ الْحُسَيْنِ الْحَلَّاجِ .....  
 ٤٣.....
- تَدْوِينُ السُّنَّةِ .....  
 ٤٤.....

- التفسير ..... ٤٤
- تدوين المسائل الفقهية المولدة من الرأي المحض ..... ٤٥
- تدوين القول في أصول الديانات ..... ٤٥
- للعلماء في تعلم المنطق أقوال ..... ٤٦
- السعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف ..... ٤٧
- ابن حجر رحمه الله من كبار أتباع الأئمة الذين يُعتبر قولهم قولاً سديداً ..... ٤٧
- النووي يميل إلى التأويل أكثر من ابن حجر ..... ٤٧
- لا بد أن يكون للحق من يقاومه ويُعارضه، سواء كان على يد الرسل، أو كان على يد أتباعهم ..... ٤٨
- إذا وُجد من يناظر ويمجاد بالباطل فإن صاحب الحق سوف يعرف هذه الشبهة، ثم يستطيع أن يرد عليها ويدحض أصحابها ..... ٤٩
- شيخ الإسلام رحمه الله مجاهد بلسانه وبنايه وسنانه ..... ٥٢
- كتاب (العقل والنقل)، المسمى: (درء تعارض العقل والنقل) ..... ٥٢
- كتاب (منهاج السنة) ..... ٥٣
- أن وصف ابن القيم رحمه الله للروافض بشيعة الشيطان وصف مطابق تماماً ..... ٥٤
- إن شيعة الرحمن هم الذين يذبون عن دين الله الحق ..... ٥٤
- لو أن أهل السنة على الجادة السليمة المستقيمة ما قاومهم أحد لا من الشيعة ولا من غيرهم ..... ٥٥
- يجب علينا قبل أن نصحح مسيرة غيرنا أن نصحح مسيرة أنفسنا ..... ٥٥
- (ألا) أداة استفتاح تُفيد التوكيد ..... ٥٥



- الظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الرَّسَالَةَ (التدمرية) ضَمَّنَ أَجْوِبَةَ أَجَابَ بِهَا الشَّيْخُ أَهْلَ تَدْمُرَ ..... ٥٨
- بَيَانُ سَبَبِ تَأْلِيفِ هَذِهِ الرَّسَالَةِ ..... ٦٠
- الْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْعَقِيدَةِ كُلِّهَا فِي مَوْضُوعَيْنِ ..... ٦١
- شُبْهَةُ التَّمَثِيلِ ..... ٦٢
- الشُّبُهَاتُ لَا تَرُدُّ عَلَى قَلْبٍ مُتَمَلِّئٍ بِالشُّبُهَاتِ، إِنَّمَا تَرُدُّ عَلَى قَلْبٍ خَالِصٍ لِيُفْسَدَ بِهَا ..... ٦٢
- إِنَّمَا يَتَسَلَّطُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَلْبٍ عَامِرٍ لِيُخْرِبَهُ وَيُدْمِرَهُ ..... ٦٣
- الْكَلَامُ فِي التَّوْحِيدِ وَالصِّفَاتِ وَفِي الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ ..... ٦٤
- تَعْرِيفُ الْبَلَائِغِينَ لِلْخَيْرِ ..... ٦٤
- كُلُّ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْحَقِّ ..... ٦٤
- مَوْقِفُ الْمُخَاطَبِ بِالنِّسْبَةِ لِلْخَيْرِ: إِمَّا تَصْدِيقٌ، وَإِمَّا تَكْذِيبٌ ..... ٦٤
- التَّكْذِيبُ قَدْ يَكُونُ بِالْإِنْكَارِ، وَقَدْ يَكُونُ بِالتَّحْرِيفِ ..... ٦٥
- الْكَلَامُ فِي الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ مِنْ بَابِ الطَّلَبِ ..... ٦٦
- الشَّيْخُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَتَى بِالْقَدَرِ تَبَعًا لِلشَّرْعِ وَإِلَّا فَالْقَدَرُ خَبَرٌ ..... ٦٧
- الْوَاجِبُ عَلَى الْعِبَادِ إِزَاءَ الطَّلَبِ ..... ٦٩
- إِنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ صَدَّقَ الرَّسُولَ تَصْدِيقًا وَاضِحًا وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا ..... ٦٩
- الْكَافِرُ هُوَ: الْأَصَمُّ الْأَبْكَمُ الْأَعْمَى الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ ..... ٧١
- أَصْلُ الْبَلَاءِ لِلْإِضْلَالِ مِنَ الشَّخْصِ نَفْسِهِ ..... ٧١
- الْكُفَّارُ شَرٌّ مِنَ الْخَنَازِيرِ وَالْكَلابِ ..... ٧٢
- أَنَّ الْكَلَامَ فِي التَّوْحِيدِ مِنْ بَابِ الْخَيْرِ لَا يَمْنَعُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ الطَّلَبِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ ..... ٧٢

- الْأَضْلُ فِي تَوْحِيدِ الصِّفَاتِ ..... ٧٣
- (الْكَاف) دَالَّةٌ عَلَى التَّشْبِيهِ ..... ٧٣
- سَمِعُ اللهُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ ..... ٧٤
- التَّحْرِيفُ: فِي اللُّغَةِ وَفِي الْإِصْطِلَاحِ ..... ٧٥
- التَّعْطِيلُ: فِي اللُّغَةِ وَفِي الْإِصْطِلَاحِ ..... ٧٥
- التَّكْيِيفُ ..... ٧٦
- نُزُولُ اللهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ..... ٧٦
- التَّمثِيلُ: ذِكْرُ الْكَيْفِيَّةِ مُقَدِّمَةً بِمِثَالٍ ..... ٧٦
- التَّمثِيلُ أَحْصَى مِنَ التَّكْيِيفِ ..... ٧٧
- التَّعْبِيرُ بِنَفْيِ التَّمثِيلِ أَوَّلَى مِنَ التَّعْبِيرِ بِنَفْيِ التَّشْبِيهِ لُجُوهٌ ..... ٧٧
- نَفْيُ الْمِثَالَةِ مُبْطَلٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّمثِيلِ، وَإِثْبَاتُ سَمْعٍ وَبَصَرٍ مُبْطَلٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ  
التَّعْطِيلِ ..... ٧٧
- هل (الدَّهْر) مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ؟ ..... ٧٨
- دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ ..... ٧٨
- دُعَاءُ الْعِبَادَةِ ..... ٧٨
- الْعَقْلُ يَعْلَمُ أَنَّ الرَّبَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ كَامِلَ الصِّفَاتِ، لَكِنْ تَفَاصِيلُ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُهُ ..... ٨١
- أَسْمَاءُ اللهِ تَوْقِيفِيَّةٌ ..... ٨٢
- الْجَمْعُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فِي بَابِ الصِّفَاتِ هُوَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ فِيهِ ..... ٨٣
- هَلْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾؛ إِثْبَاتٌ وَنَفْيٌ؟ ..... ٨٣
- لَا يُمَكِّنُ تَوْحِيدُ أَحَدٍ بَشْيَءٌ إِلَّا بِالْجَمْعِ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ ..... ٨٤

- ٨٤..... أَنَّ الصِّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةَ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ كُلُّهَا صِفَاتُ كَمَالٍ
- ٨٥..... الصِّفَاتِ الْمُنْفِيَّةِ الَّتِي نَفَاهَا اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ كُلُّهَا صِفَاتُ نَقْصٍ وَلَا تَلِيْقُ بِهِ
- قَدْ تَكُونُ الصِّفَةُ صِفَةً كَمَالٍ فَيَنْفِي عَنْهَا النِّقْصَ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَغْتَرِيَهَا بِالنِّسْبَةِ
- ٨٦..... لِلْمَخْلُوقِ
- ٨٦..... النِّقْصُ فِي مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ
- ٨٧..... الْغَالِبُ فِي الْإِثْبَاتِ التَّفْصِيلُ
- ٨٨..... التَّفْصِيلُ فِي الْعُيُوبِ لَا شَكَّ أَنَّهُ قَدْحَ
- ٨٩..... قَدْ يَأْتِي الْإِجْمَالُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ الثَّبُوتِيَّةِ
- ٩٠..... قَدْ يَأْتِي التَّفْصِيلُ فِي الصِّفَاتِ الْمُنْفِيَّةِ لِأَسْبَابٍ مِنْهَا
- ٩٢..... أَمْثَلُهُ التَّفْصِيلُ فِي الْإِثْبَاتِ وَالْإِجْمَالُ فِي النَّفْيِ
- ٩٣..... أَمْثَلُهُ الْإِجْمَالُ فِي النَّفْيِ
- ٩٣..... السَّرِّ فِي كَوْنِ الْاسْتِفْهَامِ يَأْتِي بِمَعْنَى النَّفْيِ
- ٩٣..... لَا يُوجَدُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الْمُنْفِيَّةِ نَفْيٌ مُحْضٌ لَا يَتَضَمَّنُ ثُبُوتَ كَمَالٍ ضِدَّهُ
- ٩٥..... إِنَّ مِمَّا نَفَى اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ الظَّلَمَ
- ٩٧..... أَنَّ الْإِشْتِرَاكَ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لَا يَسْتَلْزِمُ تَمَازُلَ الْمُسَمَّيَاتِ وَالْمَوْصُوفَاتِ
- ٩٧..... الْفَرْقَ بَيْنَ عِلْمِ اللَّهِ وَعِلْمِ الْمَخْلُوقِ
- ١٠١..... الْأَفْعَالُ وَالصِّفَاتُ كُلُّهَا تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ
- أنواع الأدلة على مَبَايِنَةِ الْخَالِقِ لِلْمَخْلُوقِ فِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ثَلَاثَةٌ: السَّمْعُ، وَالْعَقْلُ،
- وَالْحِسُّ.
- ١٠٢.....
- ١٠٢..... الْاِسْتِدْلَالُ بِالسَّمْعِ هُوَ الْأَضْلُّ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ

- أَنَّ الْعَقْلَ يُبَاشِرُ الرُّوحَ ..... ١٠٣
- اِخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْأُمُورِ الْعَقْلِيَّةِ الْقِيَاسِيَّةِ اخْتِلَافًا كَبِيرًا. .... ١٠٣
- الزَّائِعُونَ عَنْ سَبِيلِ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ قِسْمَانِ: مُثَلَّةٌ، وَمُعْطَلَّةٌ... ١٠٤
- الْمُثَلَّةُ غَلَوَا فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ، وَقَصَّروا فِي جَانِبِ النِّفْيِ ..... ١٠٤
- الْمُعْطَلَّةُ غَلَوَا فِي جَانِبِ النِّفْيِ وَقَصَّروا فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ ..... ١٠٤
- لَا يُوجَدُ شَيْءٌ فِي الْقُرْآنِ غَيْرَ مَعْلُومٍ لِكُلِّ النَّاسِ ..... ١٠٦
- الْقَوْلُ الرَّاجِحُ فِي الْحُرُوفِ الْهَجَائِيَّةِ الَّتِي فِي أَوَائِلِ السُّورِ أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا مَعْنَى ..... ١٠٦
- نُشِبَتْ لِلَّهِ مِنَ الصِّفَاتِ مَا يَلِيْقُ بِهِ وَلَا يُمَانِلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ ..... ١٠٦
- التَّبَايُنُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فِي الذَّاتِ وَالْوُجُودِ يَسْتَلْزِمُ التَّبَايُنَ فِي الصِّفَاتِ .. ١٠٧
- أَنَّ الْقَوْلَ بِالْمُمَانِلَةِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ يَسْتَلْزِمُ نَقْصَ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ ..... ١٠٨
- اللَّامُ فِي قَوْلِهِ: (يَذَّبَرُوا) لِلتَّعْلِيلِ ..... ١١١
- الْقُرْآنُ (مُبَارَكٌ) فِي ثَوَابِهِ، (مُبَارَكٌ) فِي أَثَرِهِ، (مُبَارَكٌ) فِي تَأْثِيرِهِ ..... ١١٢
- نَزَلَ الْقُرْآنَ لَتَدَبَّرَهُ، وَأَنْ نَتَذَكَّرَ بِهِ ..... ١١٢
- إِنْ تَلَاوَتْنَا لِلْقُرْآنِ قِسْمَانِ ..... ١١٢
- لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ عَقْلَ وَفَهْمَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ لَكَانَ لِسَانُ قَوْمِهِ  
وَلِسَانُ غَيْرِهِمْ سَوَاءً ..... ١١٤
- أُرْسِلَ الرُّسُلُ السَّابِقُونَ كُلُّ بِلُغَتِهِ ..... ١١٤
- لَوْ كَانَ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا يُفْهَمُ لَكَانَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ وَغَيْرُ الْعَرَبِيِّ سَوَاءً ..... ١١٤
- أَنَّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّمَا أَخْبَرَ بِهِ مُضَافًا إِلَى نَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ، فَيَكُونُ لَا إِفْقًا بِهِ  
لَا مُثَانِلًا لِمَخْلُوقَاتِهِ ..... ١١٥

- ١١٥..... لَا يُمكنُ لِأَحِدٍ أَنْ يَفْهَمَ مِمَّا أَصَافَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ التَّمثِيلَ
- ١١٧..... أَنَّ المَائِلَةَ تَسْتَلْزِمُ نَقْصَ الخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا
- ١١٩..... هَلْ يُوجَدُ الآنَ مُثَلَّةٌ؟ أَوْ أَنَّهُمْ انْقَرَضُوا؟
- ١٢٠..... المَعْطَلَةُ
- ١٢٠..... الأَشَاعِرَةُ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ مِنَ المَآثِرِ يَدِيَّةٍ وَغَيْرِهِمْ
- ١٢١..... كِتَابُ (الإِبَانَةِ عَنِ أَصُولِ الدِّيَانَةِ).
- ١٢١..... المَآثِرِ يَدِيَّةٍ
- ١٢٢..... الأَشَاعِرَةُ أَهْوَنُ المَعْطَلَةِ.
- أَثْبَتَ الأَشَاعِرَةُ مِنَ الصِّفَاتِ سَبْعَ صِفَاتٍ: الحَيَاةَ، وَالْعِلْمَ، وَالْقُدْرَةَ، وَالْإِرَادَةَ،  
وَالكَلَامَ، وَالسَّمْعَ، وَالْبَصَرَ..... ١٢٤
- ١٢٤..... إِيجَادُ المَخْلُوقَاتِ يَدُلُّ عَلَى القُدْرَةِ
- ١٢٤..... التَّخْصِيصُ يَدُلُّ عَلَى الإِرَادَةِ
- ١٢٥..... كَوْنُ البَدَنِ البَشَرِيِّ مُحْكَمًا يَدُلُّ عَلَى عِلْمِ اللهِ
- ١٢٥..... الصِّفَاتُ الثَّلَاثُ: (القُدْرَةُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْعِلْمُ)، تَدُلُّ عَلَى الحَيَاةِ
- ١٢٦..... الفَرْقُ بَيْنَ دَلَالَةِ المُلَازِمَةِ وَدَلَالَةِ المُطَابَقَةِ:
- دَلَالَةُ المُطَابَقَةِ وَالتَّضَمُّنُ تَكُونُ الدَّلَالَةُ مَأْخُودَةً مِنْ لَفْظِ الدَّالِّ، يَغْنِي مِنْ لَفْظِ  
الدَّلِيلِ..... ١٢٦
- ١٢٦..... دَلَالَةُ الإلتِزَامِ مَأْخُودَةٌ مِنْ أَمْرِ خَارِجٍ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ لَكِنْ يَلْزَمُ مِنْهُ.
- ١٢٦..... مِثَالُ دَلَالَةِ الإِرَادَةِ عَلَى الإِرَادَةِ نَفْسِهَا مِثْلُ: أَرَادَ تَدُلُّ عَلَى الإِرَادَةِ، هَذِهِ مُطَابَقَةٌ.
- ١٢٧..... أَنَّ الحُجَّةَ مَا ثَبَتَ بِهَا الحُكْمُ، وَالشُّبْهَةُ مَا لَا يَثْبِتُ بِهِ الحُكْمُ

- كُلُّ حَيٍّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا مُتَكَلِّمًا، أَوْ يَكُونَ أَصَمَّ أَعْمَى أَخْرَسَ ..... ١٢٧
- الْصِّفَاتُ السَّبْعُ الَّتِي تَثْبُتُ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ دَلَّ عَلَيْهَا ..... ١٢٨
- الْكَلَامُ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِنَفْسِ اللَّهِ ..... ١٢٨
- الرَّدُّ عَلَى الْأَشَاعِرَةِ مِنْ وَجْهِه ..... ١٢٩
- قَالَ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «نَصِيفُ اللَّهِ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا تَتَعَدَّى الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ» ..... ١٢٩
- لَا يُوجَدُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَوْ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنَ الْأَثَمَةِ رَجَعُوا إِلَى الْعَقْلِ فِي بَابِ إِبْتِاتِ صِفَاتِ اللَّهِ أَوْ نَفْيِهَا ..... ١٢٩
- أَنَّ الرُّجُوعَ إِلَى الْعَقْلِ فِي بَابِ الصِّفَاتِ مُخَالِفٌ لِلْعَقْلِ ..... ١٣٢
- كَيْفَ تَرْفَعُ أَصْوَاتَنَا فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ رَفْعًا مَعْنَوِيًّا بِحَيْثُ نَرُدُّ قَوْلَهُ بِقَوْلِنَا ..... ١٣٢
- أَنَّ الرُّجُوعَ فِي بَابِ الصِّفَاتِ إِلَى الْعَقْلِ مُسْتَلَزِمٌ لِلَاخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ ..... ١٣٣
- إِذَا صَرَفُوا النُّصُوصَ عَنْ ظَاهِرِهَا إِلَى مَعْنَى زَعَمُوا أَنَّ الْعَقْلَ يُوجِبُهُ، فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى نَظِيرُ مَا يَلْزَمُهُمْ فِي الْمَعْنَى الَّتِي نَقُوهُ ..... ١٣٤
- إِذَا قَالُوا الْمُرَادُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى إِرَادَةُ ثَوَابِ الْمَحْبُوبِ أَوْ الثَّوَابُ نَفْسُهُ ..... ١٣٦
- إِبْتِاتُ الْإِرَادَةِ لِلْإِنْسَانِ أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالسَّمْعِ وَالْعَقْلِ وَالْوَاقِعِ ..... ١٣٧
- الثَّوَابُ مَخْلُوقٌ مَفْعُولٌ ..... ١٣٨
- مَعْنَى الْمَحَبَّةِ ..... ١٣٨
- الرَّحْمَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ ..... ١٤٢
- دَلَالَةُ الْعَقْلِ عَلَى ثُبُوتِ الْإِرَادَةِ لِلَّهِ هِيَ التَّخْصِصُ ..... ١٤٢
- دَلَالَةُ الْإِحْسَانِ عَلَى الرَّحْمَةِ أَوْضَحُ وَأَبْيَنُ مِنْ دَلَالَةِ التَّخْصِصِ عَلَى الْإِرَادَةِ ..... ١٤٣

- قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ فِي الْجَدَلِ: إِذَا انْتَفَتِ الْأَدِلَّةُ مُطْلَقًا لَزِمَ انْتِفَاءُ الْمَذْلُومِ، لَكِنَّ الدَّلِيلَ  
 ١٤٥..... الْمُعَيَّنَ قَدْ يَنْتَفِي وَيَكُونُ هُنَاكَ دَلِيلٌ آخَرُ يَثْبُتُ بِهِ الْمَذْلُومُ
- الدَّلِيلُ السَّمْعِيُّ لَهُ مُعَارِضٌ مُقَاوِمٌ، وَهُوَ الْعَقْلُ..... ١٤٦
- التَّنَاقُضُ يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ الْقَوْلِ..... ١٤٨
- الْمُعْتَرِزَةُ فِرْقَةٌ يَتَرَعَّمُهُمْ عَمْرُو بْنُ عَيِّدٍ، وَوَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ، فَسُمُوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ  
 اعْتَرَزُوا مَجْلِسَ النَّبِيِّ الْمَشْهُورِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ سُئِلَ عَنْ أَصْحَابِ  
 الْكِبَائِرِ..... ١٥٠
- الْمُعْطَلَةُ يَرَوْنَ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هُوَ التَّفْوِيضُ..... ١٥١
- أَثَبَتَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ الصِّفَاتِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا، وَنَفَى الْمِثَالَةَ..... ١٥٤
- إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ لَا يَسْتَلْزِمُ التَّمَثِيلَ..... ١٥٤
- مَنْ لَا يَتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ رَبًّا وَلَا إِلَهًا..... ١٥٧
- أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ صِفَةٍ، وَلَا يُمَكِّنُ وُجُودَ ذَاتٍ مُجَرَّدَةٍ عَنِ الصِّفَاتِ..... ١٥٩
- أَنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ أَعْلَامٌ مُحَضَّةٌ مُتَرَادِفَةٌ لَا تَدُلُّ إِلَّا عَلَى ذَاتِ اللَّهِ فَقَطْ قَوْلٌ  
 بَاطِلٌ..... ١٦٠
- أَنَّ الْقَوْلَ (بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِلَا عِلْمٍ، وَقَدِيرٌ بِلَا قُدْرَةٍ، وَسَمِيعٌ بِلَا سَمْعٍ وَنَحْوِ  
 ذَلِكَ) قَوْلٌ بَاطِلٌ..... ١٦١
- أَنَّ قَوْلَهُمْ: (لَا يُوجَدُ شَيْءٌ مُتَّصِفٌ بِالصِّفَاتِ إِلَّا جِسْمٌ) مَمْنُوعٌ..... ١٦٣
- أَنَّ قَوْلَهُمْ (الْأَجْسَامُ مُتَمَائِلَةٌ) بَاطِلٌ ظَاهِرُ الْبُطْلَانِ..... ١٦٣
- الطَّائِفَةُ الثَّالِثَةُ: غُلَاةُ الْجَهَنَّمِيَّةِ، وَالْقَرَامِطِيَّةِ، وَالْبَاطِنِيَّةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ..... ١٦٥
- الْغُلُوُّ يَعْنِي: الزِّيَادَةُ..... ١٦٥
- الْمُسْكِلَةُ أَنَّ الْعَالِيَّ يَرَى أَنَّهُ عَلَى دِينٍ..... ١٦٥

- (غُلَاةُ الْجَهْمِيَّةِ) أَنْكَرُوا الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتَ ..... ١٦٦
- هَلْ يُوجَدُ مَوْصُوفٌ مُتَجَرِّدٌ عَنْ كُلِّ اسْمٍ وَصِفَةٍ؟ ..... ١٦٧
- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمَعَ فِيهَا سَمًى وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ ..... ١٦٩
- قَاعِدَةٌ نَافِعَةٌ: (الْكُفْرُ بِبَعْضِ الشَّرِيعَةِ كُفْرٌ بِالْجَمِيعِ، وَالْكُفْرُ بِبَعْضِ الرُّسُلِ كُفْرٌ  
بِالْجَمِيعِ) ..... ١٦٩
- قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ» لَيْسَ الْمُرَادُ بِأَحْكَامِ الدُّنْيَا، الْمُرَادُ  
بِذَلِكَ الصَّنْعَةُ وَالتَّجَرُّبَةُ، وَيَدُلُّ هَذَا سَبَبَ الْحَدِيثِ ..... ١٧١
- أَنَّ الْمَوْجُودَ الْمُطْلَقَ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْخَارِجِ الْمَحْسُوسِ ..... ١٧١
- قَوْلُهُمْ: «إِنَّ الصِّفَةَ عَيْنُ الْمَوْصُوفِ، وَإِنَّ كُلَّ صِفَةٍ عَيْنُ الصِّفَةِ الْأُخْرَى» مُكَابَرَةٌ  
فِي الْمَعْقُولَاتِ، سَفْسَطَةٌ فِي الْبَدِيعِيَّاتِ ..... ١٧٢
- السُّوفِسْطَائِيَّةُ قَوْمٌ يُنْكِرُونَ اتِّصَافَ الْمَحْسُوسَاتِ بِأَوْصَافِهَا ..... ١٧٣
- أَنَّ وَصْفَ اللَّهِ تَعَالَى بِصِفَاتِ الْإِثْبَاتِ أَدُلُّ عَلَى الْكَمَالِ مِنْ وَصْفِهِ بِصِفَاتِ النَّفْيِ ..... ١٧٤
- الْعَدَمُ لَيْسَ صِفَةً كَمَالٍ إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَ كَمَالًا ..... ١٧٥
- قَوْلُهُمْ: (إِنَّ إِثْبَاتَ صِفَاتٍ مُتَغَايِرَةٍ مُغَايِرَةٌ لِلْمَوْصُوفِ يَسْتَلْزِمُ التَّعَدُّدَ...) قَوْلٌ  
بَاطِلٌ مُخَالَفٌ لِلْمَعْقُولِ وَالْمَحْسُوسِ ..... ١٧٥
- إِنَّ الْمَعَانِيَ الَّتِي تَلْزِمُ مِنْ إِثْبَاتِ الْأَسْمَاءِ صِفَاتٌ لَا ثِقَّةَ بِاللَّهِ تَعَالَى غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ  
عَلَيْهِ ..... ١٧٦
- أَنَّ النَّفْيَ الَّذِي قَالُوا بِهِ يَسْتَلْزِمُ تَشْبِيهَهُ بِالْمَعْدُومَاتِ ..... ١٧٧
- غُلَاةُ الْغُلَاةِ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ أَنْكَرُوا فِي حَقِّ اللَّهِ  
تَعَالَى الْإِثْبَاتَ وَالنَّفْيَ ..... ١٧٩
- أَنَّ تَسْمِيَةَ اللَّهِ وَوَصْفَهُ بِمَا سَمَّى وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ لَيْسَ تَشْبِيهًا وَلَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ ..... ١٨٠



- عِلْمَ بَصَرُورَةِ الْعَقْلِ وَالْحِسِّ أَنَّ الْمَوْجُودَ الْمُمَكِّنَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُوَجِّدٍ وَاجِبِ  
 ١٨٢..... الْوُجُودِ
- ١٨٤..... الْوُجُودُ بِالنَّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقَاتِ وَالْحَالِقِ مُفَرَّقٌ مِنْ وَجْهِ ثَلَاثَةٍ
- ١٨٥..... وَجُودُ الْخَالِقِ وَاجِبٌ أَزَلِيٌّ مُتَتَّبِعُ الْحُدُوثِ
- ١٨٧..... كُلُّ مَوْجُودِينَ: إِمَّا مُتَنَاقِضَانِ، أَوْ مُتَضَادَّانِ، أَوْ مُتَبَايِنَانِ، أَوْ خِلَافَانِ
- ١٨٧..... الضَّدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَرْتَفِعَا
- ١٨٨..... الْمُتَنَاقِضَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ
- ١٩٠..... أَنَّ التَّقَابِلَ لَهُ عِدَّةٌ أَوْجِهٌ
- ١٩٠..... الْعَدَمَ وَالْمَلَكَةَ
- ١٩١..... تَقَابُلُ السَّلْبِ وَالِإِيجَابِ
- ١٩٣..... الْقَوْلُ الْاضْطِلَاحِيُّ لَا يُغَيِّرُ الْحَقَائِقَ فِي الْوَاقِعِ
- ١٩٤..... الْأَصْلُ عَدَمُ الْمَجَازِ
- ١٩٥..... أَنَّ الَّذِي يَقْبَلُ الْكَمَالَ أَكْمَلُ مِنَ الَّذِي لَا يَقْبَلُهُ
- ١٩٦..... إِنَّ الْعَمَى فِيمَا يَقْبَلُ الْبَصَرَ نَقْصٌ
- ١٩٦..... قَاعِدَةٌ فِي الْأُصُولِ: الْبَرَاءَةُ الْأَصْلِيَّةُ، وَأَنَّ الشَّيْءَ لَا يَثْبُتُ إِلَّا بَيِّنَةً
- ١٩٧..... مَذْهَبُ السَّلَفِ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - بَيِّنٌ وَاضِحٌ جَلِيٌّ لَا يَحْتَاجُ لَتَعَبٍ وَلَا عَنَاءٍ
- ١٩٩..... عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَسْلَمَ عَقِيدَتَهُ مِنْ هَذِهِ التَّقْدِيرَاتِ
- ٢٠٠..... الْقَاعِدَةُ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ لَمْ تَبْلُغْهُ الْحُجَّةُ
- ٢٠٣..... الْجَنَائِدَةُ عَلَى النُّصُوصِ بِتَحْرِيفِهَا وَتَعْطِيلِهَا عَنِ الْمُرَادِ بِهَا
- ٢٠٤..... الَّذِي نَفَى حَقِيقَةَ الْيَدِ، وَأَثْبَتَ الْقُوَّةَ، عِنْدَهُ إِبْثَاتٌ وَنَفْيٌ

- كُلِّ النَّافِينَ لِلصِّفَاتِ هُمْ يَنْفُونَ شَيْئًا وَيُثْبِتُونَ آخَرَ ..... ٢٠٥
- سِتَّةَ مُحَاذِيرٍ اَزْتَكَبَتْهَا كُلُّ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُعْطَلَةِ ..... ٢٠٣
- حَاجَةٌ مِنْ بَابِ الْإِلْزَامِ ..... ٢٠٧
- الْقَوْلُ الْفَضْلُ الْمُطَرَّدُ السَّالِمُ مِنَ التَّنَاقُضِ مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأُيُومُهَا مِنْ  
إِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، إِثْبَاتًا بِلَا تَمَثِيلٍ، وَتَنْزِيهَا بِلَا  
تَعْطِيلٍ ..... ٢٠٧
- التَّحْرِيفُ (لَفْظِي، وَمَعْنَوِي) ..... ٢٠٨
- «الْقَوْلُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي بَعْضٍ» ..... ٢٠٩
- إِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ يُثْبِتُ لِلَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةَ الْإِرَادَةِ، وَيَنْفِي حَقِيقَةَ الْغَضَبِ ..... ٢١٠
- إِنْ كَانَ إِثْبَاتُ حَقِيقَةِ الْإِرَادَةِ لَا يَسْتَلْزِمُهُ، فَإِثْبَاتُ حَقِيقَةِ الْغَضَبِ لَا يَسْتَلْزِمُهُ  
أَيْضًا ..... ٢١٠
- الْغَضَبُ يَدُلُّ عَلَى الْقُوَّةِ ..... ٢١١
- الْحُزْنُ لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ وَلَا يُوصَفُ بِهِ ..... ٢١٢
- هَلْ تَعْذِيبُ الْمَسِيءِ يَكُونُ مِنَ الْغَضَبِ؟ ..... ٢١٣
- الْقَوْلُ فِي الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ ..... ٢١٣
- أَنَّ كُلَّ مَا ثَبِتَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ فَلَا بَدَّ أَنْ يَدُلَّ عَلَى قَدْرِ مُشْتَرَكٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا  
يُثْبِتُ لَمَّا تَوَاطَأَ فِيهِ الْمُسَمَّيَاتُ ..... ٢١٣
- يُقَالُ لِأَهْلِ التَّمَثِيلِ: أَلَسْتُمْ لَا تُثَبِّلُونَ ذَاتَ اللَّهِ بِذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؟! فَلَمَّا إِذَا  
تُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؟ ..... ٢١٥
- قَالَ مَالِكٌ وَشَيْخُهُ رَبِيعَةُ وَغَيْرُهُمَا فِي الْإِسْتِوَاءِ: «الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَالْكِيفُ مَجْهُولٌ،  
وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ» ..... ٢١٥

- ٢١٦..... (الاستِواءُ معلومٌ) أي معلومٌ المعنى في اللغة العربية
- ٢١٦..... الاستِواءُ له معانٍ بحسبِ إطلاقه وتقييده
- ٢١٧..... الاستِواءُ يتعدى بـ (على)، و (الواو)، و (إلى)
- ٢١٧..... هل لاستِواءِ الله على عرشه كيفية؟
- ٢١٩..... أَنَّ الشَّيْءَ لَا تُعْلَمُ كَيْفِيَّتُهُ إِلَّا بِمُشَاهَدَتِهِ، أَوْ مُشَاهَدَةِ نَظِيرِهِ أَوْ الْخَيْرِ الصَّادِقِ عَنْهُ
- ٢٢٠..... الفصاحةُ والبيانُ
- ٢٢١..... في السؤالِ عن كيفية الصِّفةِ ثلاثةُ محاذير
- ٢٢٣..... نعيمُ الجنةِ
- ٢٢٤..... كلامُ الله ورسوله مُنزَّهٌ عن اللغو
- ٢٢٥..... ثلاثةُ أدلَّةٍ تدلُّ على أَنَّ ما في الآخرةِ مُخالفٌ لما في الدنيا في الحقيقة
- ٢٢٦..... ما معنى (ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ)؟
- ٢٢٦..... انْقَسَمَ النَّاسُ فِي مَقَامِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ إِلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ:
- ٢٢٨..... قَدْ يُوجَدُ فِي الْمُتَنَسِّينَ إِلَى التَّصَوُّفِ وَالسُّلُوكِ مَنْ يَدْخُلُ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ...
- ٢٢٩..... الرُّوحُ
- إذا كنَّا لا نستطيعُ أَنْ نَعْرِفَ كُنْهَ أرواحنا فكيف نُحاولُ أَنْ نَعْرِفَ كُنْهَ حقيقةِ
- ٢٣٠..... الخالقِ عَزَّجَلَّ
- ٢٣٣..... أَنَّ اضْطِرَابَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفَلَاسِفَةِ فِي الرُّوحِ كَثِيرٌ وَلَهُ سَبَبَانِ:
- ٢٣٤..... صَحَّ أَنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَتْ تَبْعَهَا الْبَصَرُ
- ٢٣٦..... الْقَاعِدَةُ الْأُولَى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَوْصُوفٌ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ
- ٢٣٧..... كُلُّ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ فَهُوَ صِفَاتٌ كَمَالٍ

- ٢٣٧..... الصِّفَاتِ الدَّاتِيَّةُ.
- ٢٣٧..... صِفَاتُ الْمَعَانِي الدَّاتِيَّةُ.
- ٢٣٧..... الصِّفَاتُ الْخَبَرِيَّةُ الدَّاتِيَّةُ.
- ٢٣٨..... الْإِسْتَوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ.
- ٢٤٠..... الْكَلَامُ مُتَجَدِّدُ الْآحَادِ.
- مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ: الْحَيَاةُ، وَالْعِلْمُ، وَالْقُدْرَةُ، وَالسَّمْعُ،  
وَالْبَصَرُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْكَلَامُ، وَالْعِزَّةُ، وَالْحِكْمَةُ، وَالْمَغْفِرَةُ، وَالرَّحْمَةُ. ٢٤٢.....
- قُدْرَةُ الْمَخْلُوقِ مَسْبُوقَةٌ بِعَجْزٍ وَمَلْحُوقَةٌ بِعَجْزٍ. ٢٤٣.....
- مَا مَعْنَى الْحِكْمَةِ؟ ٢٤٤.....
- مِنْ طَرِيقِ إِبْتِهَاتِ الْحِكْمَةِ الْحَرْفُ الدَّالُّ عَلَى التَّعْلِيلِ. ٢٤٦.....
- الْحُكْمُ إِمَّا كَوْنِيٌّ وَإِمَّا شَرْعِيٌّ. ٢٤٧.....
- مِنْ الصِّفَاتِ الَّتِي نَفَاهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ: الْمَوْتُ، وَالْجَهْلُ، وَالنَّسْيَانُ، وَالْعَجْزُ،  
وَالسُّنَّةُ، وَالنَّوْمُ، وَاللُّغُوبُ، وَالْإِعْيَاءُ، وَالظُّلْمُ. ٢٤٨.....
- كُلُّ صِفَةٍ نَقَصِ نَفَاهَا اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ لَيْسَ الْمَرَادُ النَّفْيُ الْمَحْضُ، وَإِنَّمَا نَفَاهَا لِكَمَالٍ  
ضِدِّهَا. ٢٤٨.....
- الْعَجْزُ يَعْتَرِي الْعَاجِزَ إِمَّا لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ، وَإِمَّا لِعَدَمِ عِلْمِهِ. ٢٤٩.....
- النَّفْيُ الْمَحْضُ الَّذِي لَا يَتَضَمَّنُ شَيْئًا لَا يَكُونُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ لَوْجُوهٌ. ٢٥٠.....
- النَّفْيُ إِذَا لَمْ يَتَضَمَّنْ كَمَالًا فَقَدْ يَكُونُ لِلْعَجْزِ. ٢٥١.....
- اجْتَمَعَ فِي خَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَيْرِ رَسُولِهِ كَمَالُ الْعِلْمِ، وَكَمَالُ الصَّدْقِ، وَكَمَالُ الْبَيَانِ،  
وَكَمَالُ الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ. ٢٦٠.....
- مَا ثَبَتَ بِاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأُيُومَتِهَا وَجَبَ قَبُولُهُ. ٢٦١.....

- الجهة..... ٢٦٤
- الحيز أو المتحيز..... ٢٦٥
- الأسباب التي تحول بين الإنسان وبين فهم النصوص..... ٢٦٩
- ظاهر النصوص ما يتبادر منها من المعاني بحسب ما تضاف إليه وما يخفى بها  
من القرائن..... ٢٧١
- الكلمة بنفسها يتغير معناها بحسب السياق..... ٢٧١
- الواجب في النصوص إجراؤها على ظاهرها بدون تحريف..... ٢٧١
- الزكاة في اللغة: النماء، لكن في الشرع: المال الواجب في الأموال الزكوية..... ٢٧٢
- الصلاة في اللغة: الدعاء، وفي الشرع: العبادة المعروفة ذات الأقوال والأفعال،  
المفتحة بالتكبير المختمة بالتسليم..... ٢٧٢
- قد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن نصوص الصفات تجرى على ظاهرها للاتق  
بالله عز وجل من غير تحريف..... ٢٧٦
- من قال: إن ظاهر نصوص الصفات غير مراد. فقد أخطأ على كل تقدير..... ٢٧٧
- الذين يجعلون ظاهر النصوص معنى فاسداً فينكرونها يكون خطؤهم على وجهين: .. ٢٨٠
- بعض السلف يفسرون قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفْرًا﴾: أي بمرأى منا.... ٢٨٣
- إن علو الله تعالى على عرشه - وإن كان العرش محدوداً - لا يستلزم معنى فاسداً... ٢٨٦
- إن الله تعالى منزّه عن الجوارح والقبائح..... ٢٨٦
- إن ثبوت اليدين الحقيقيتين لله عز وجل لا يستلزم معنى فاسداً..... ٢٨٧
- إن ثبوت الأصابع الحقيقية لله تعالى لا يستلزم معنى فاسداً..... ٢٩٠
- توهم بعض الناس في نصوص الصفات والمحاذير المترتبة على ذلك..... ٢٩٥

- المَحْذُورُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ مِثْلُ مَا فَهَمَهُ مِنَ النُّصُوصِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ ..... ٢٩٦
- المَحْذُورُ الثَّانِي: أَنَّهُ عَطَلَ النُّصُوصَ عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ  
بِالله ..... ٢٩٧
- المَحْذُورُ الثَّلَاثُ: أَنَّهُ نَفَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ مِنَ الصِّفَاتِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ..... ٢٩٨
- النَّفْيُ أَشَدُّ جُرْأَةً مِنَ التَّعْطِيلِ ..... ٢٩٨
- المَحْذُورُ الرَّابِعُ: أَنَّهُ إِذَا نَفَى عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَا تَقْتَضِيهِ النُّصُوصُ مِنْ صِفَاتِ  
الْكَمَالِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- مُتَّصِفًا بِنَقِيضِهَا مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ ..... ٢٩٩
- الإِلْحَادُ فِي الْآيَاتِ الْكُؤْنِيَّةِ ..... ٣٠٢
- الإِلْحَادُ فِي الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ ..... ٣٠٢
- هَلْ نَقُولُ: إِنَّ اسْتِوَاءَ اللهِ عَلَى الْعَرْشِ يَعْنِي قُعودَهُ عَلَيْهِ؟ ..... ٣٠٤
- الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُطْلَقِ وَالْعَامِّ أَنَّ الْمُطْلَقَ يَشْمَلُ أَفْرَادَهُ عَلَى سَبِيلِ الْبَدْلِ، وَالْعَامُّ يَتَنَاوَلُ  
أَفْرَادَهُ عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ وَالشُّمُولِ ..... ٣٠٥
- مَا أَخْبَرَنَا اللهُ تَعَالَى بِهِ عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ مَعْلُومٌ لَنَا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى، وَمَجْهُولٌ لَنَا مِنْ  
جِهَةِ الْكَيْفِيَّةِ. .... ٣١١
- حَثَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ وَلَمْ يَسْتَشِنْ شَيْئًا مِنْهُ ..... ٣١٣
- الْحَثُّ عَلَى تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ شَامِلٌ لِتَدْبِيرِ جَمِيعِ آيَاتِهِ الْخَبَرِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْحُكْمِيَّةِ  
الْعَمَلِيَّةِ ..... ٣١٥
- دَلَالَةُ الْعَقْلِ عَلَى فَهْمِ مَعَانِي مَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ وَجْهَيْنِ: ..... ٣١٦
- أَعْلَى مَرَاتِبِ الْأَخْبَارِ ..... ٣١٦
- مِنَ الْمَحَالِ أَنْ يُنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ كِتَابًا يُعَرِّفُهُمْ فِيهِ بِأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ،  
وَأَفْعَالِهِ، وَأَحْكَامِهِ، ثُمَّ تَكُونُ كَلِمَاتُهُ فِي أَعْظَمِ الْمَطَالِبِ غَيْرَ مَعْلُومَةٍ الْمَعْنَى ..... ٣١٧

- ٣٢٠..... «الرَّاسِخُونَ» فِيهَا لِلْعُلَمَاءِ وَجْهَانِ:
- ٣٢٣..... الْمُرَادُ بِالتَّأْوِيلِ
- ٣٢٥..... الْأُمُورُ الْغَيْبِيَّةُ
- كَوْنُ مَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ مَجْهُولًا لَنَا مِنْ جِهَةِ الْكَيْفِيَّةِ فَثَابِتٌ بِدَلَالَةِ السَّمْعِ وَالْعَقْلِ. ٣٢٦.....
- ٣٢٨..... مَا هِيَ الْكَيْفِيَّةُ الَّتِي تُقَدَّرُهَا لِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ؟! ٣٢٨.....
- الإِيمَانُ بِالْإِسْتِوَاءِ وَاجِبٌ ٣٢٨.....
- إِنَّ السَّلَفَ إِنَّمَا يُقَوِّضُونَ عِلْمَ الْكَيْفِيَّةِ دُونَ عِلْمِ الْمَعْنَى ٣٣١.....
- مَذْهَبُ السَّلَفِ إِبْتِثَاتُ الْمَعَانِي وَفَهْمُهَا وَنَشْرُهَا بَيْنَ الْأُمَّةِ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْفُونَ عَنْ الْكَيْفِيَّةِ ٣٣٥.....
- التَّأْوِيلُ لُغَةً: تَرْجِيعُ الشَّيْءِ إِلَى الْغَايَةِ الْمُرَادَةِ مِنْهُ ٣٣٧.....
- من معاني التأويل: التفسير، ومأل الكلام إلى حقيقته، وهذان المعنيان للتأويل هما المعنيان المعروفان في الكتاب والسنة وكلام السلف. ٣٣٩.....
- المعنى الثالث للتأويل: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقتضيه، وهذا اصطلاح كثير من المتأخرين الذين تكلموا في الفقه وأصوله ٣٤٥.....
- الدليل الصارف عن الظاهر: ٣٤٨.....
- هل نقول استوى على العرش بذاته؟ ٣٥٢.....
- الذين قالوا إن معية الله حقيقة فما معنى ذلك؟ ٣٥٤.....
- هل يمكن حصر المعية بالعلم والإحاطة؟ ٣٥٦.....
- انقسم الناس في التشابه إلى قسمين: ٣٥٨.....

- الإِحْكَامُ هُوَ: الْإِثْقَانُ وَالْجَوْدَةُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ..... ٣٥٩
- التَّشَابُهُ هُوَ: تَشَابُهُ الْقُرْآنِ فِي الْكَمَالِ وَالْإِثْقَانِ وَالْإِتِّلَافِ ..... ٣٥٩
- أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ هِيَ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ ..... ٣٦٠
- سُورَةُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ..... ٣٦٠
- لَا اخْتِلَافَ فِي الْقُرْآنِ ..... ٣٦٠
- يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَيْسَ لِحِظَةٍ أَوْ دَقِيقَةٍ، فَهُوَ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ ..... ٣٦٢
- الإِحْكَامُ الَّذِي وُصِفَ بِهِ بَعْضُ الْقُرْآنِ هُوَ: الْوُضُوحُ وَالظُّهُورُ ..... ٣٦٣
- التَّنَاقُصُ فِي أَخْبَارِ اللَّهِ مَمْنُوعٌ ..... ٣٦٤
- التَّشَابُهُ الَّذِي وُصِفَ بِهِ بَعْضُ الْقُرْآنِ فَهُوَ: الْإِشْتِبَاهُ أَيْ خَفَاءُ الْمَعْنَى ..... ٣٦٥
- إِنَّ وَصْفَ الْقُرْآنِ جَمِيعِهِ بِالْإِحْكَامِ، وَوَصْفَهُ جَمِيعُهُ بِالتَّشَابِهِ لَا يَتَعَارَضَانِ ..... ٣٦٦
- الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ..... ٣٦٧
- أَهْلُ الضَّلَالِ وَالزَّيْغِ ..... ٣٦٧
- إِنَّ الْهِدَايَةَ نَوْعَانِ: ..... ٣٧٠
- الْقُرْآنُ إِنَّمَا يَكُونُ شِفَاءً لِمَنْ يَطْلُبُ الْإِسْتِشْفَاءَ بِهِ ..... ٣٧٣
- مَا الْحِكْمَةُ مِنْ كَوْنِ بَعْضِ الْقُرْآنِ مُتَشَابِهًا؟ ..... ٣٧٧
- التَّشَابُهُ الْوَاقِعُ فِي الْقُرْآنِ نَوْعَانِ: حَقِيقِيٌّ وَنَسْبِيٌّ ..... ٣٨١
- إِنَّ الْمَخْلُوقَاتِ تَخْتَلِفُ حَوَاسُّهَا بِالنِّسْبَةِ لِلْمَسْمُوعِ وَالْمُرْئِي ..... ٣٨٤
- أَسْبَابُ نُقْصَانِ الْعِلْمِ أَرْبَعَةٌ: ..... ٣٨٩
- الْبَيَانُ نَوْعَانِ: ..... ٣٩٠
- قِصَّةُ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ مَعَ رَجُلٍ نَصْرَانِيٍّ فِي مَطْعَمٍ حَوْلَ تَبْيَانِ الْقُرْآنِ لِكُلِّ شَيْءٍ ..... ٣٩٠



- المراد بالضابط ..... ٣٩٨
- الفرق بين الضابط هنا والضابط في المسائل الفقهية: ..... ٣٩٨
- لا يصح الاعتماد في ضابط النفي على مجرد نفي التشبيه ..... ٤٠٣
- إن أريد بالنفي نفي مطلق التشابه فهذا النفي لا يصح ..... ٤٠٣
- الفرق بين (كُلِّ) و(كُل) ..... ٤٠٨
- إرادة نفي مطلق التشبيه يستلزم تعطيل المطلق ..... ٤٠٩
- الفرق بين النقيضين والضدين: ..... ٤١٠
- أن الناس اختلفوا في تفسير التشبيه ..... ٤١٥
- المعتزلة يرون أن القدم أخص وصف الإله ..... ٤١٥
- الواجب نفي ما نفته الأدلة الشرعية والعقلية فقط ..... ٤١٨
- لا يصح الاعتماد في النفي على مجرد نفي التشبيه ..... ٤٢٢
- أن لفظ (الجسم) و (الجوهر) و (التحيز) ونحوها عبارات مجملة مشتبهة لا تحق حقا، ولا تبطل باطلا ..... ٤٢٣
- وصف الله بالمرض والتعب والولادة أعظم نقصا من وصفه بأنه جسم ..... ٤٢٥
- الذين اعتمدوا في ضابط ما ينفي عن الله على نفي التجسيم والتحيز ..... ٤٢٨
- صفات الكمال ثابتة لله بالسمع والعقل ..... ٤٢٨
- رد الأشاعرة على المعتزلة من وجهين: ..... ٤٣٠
- الضابط في الإثبات ..... ٤٣٣
- فرح الله تعالى بتوبة عبده ..... ٤٤٢
- الغضب في موضعه كمال، وفي غير موضعه نقص ..... ٤٤٣

- ٤٤٥..... الحقيقتان إذا تماثلتا جازَ عَلَى الواحدة ما يجوزُ عَلَى الأخرى.
- ٤٤٦..... الْقَدَرُ تَقْدِيرُ اللَّهِ تَعَالَى لِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ أَزَلًا وَأَبَدًا.
- ٤٤٨..... لِلْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ مَرَاتِبُ:
- ٤٥٠..... اللُّوْحُ المحفوظُ لَمْ يَلْغُنا عنه كثيرٌ مِنَ التَّفْصِيلِ
- ٤٥٢..... مفاتيحُ الغيبِ خمسةٌ
- ٤٥٦..... العرشُ سابقٌ عَلَى القَلَمِ
- ٤٥٩..... المرادُ بالتَّقْدِيرِ
- ٤٦٠..... الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ فِعْلَ اللَّهِ بِمَشِيئَتِهِ
- ٤٦٤..... العامُّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الحُصُوصُ، والعامُّ المخصوصُ
- ٤٦٤..... إِنَّ دَعْوَى المعتزلةِ والجهميةِ والأشاعرةِ أَنَّ الْقُرْآنَ مخلوقٌ، دَعْوَى باطلةٌ.
- ٤٦٦..... الْقَدَرُ لَا يُنَافِي الْأَسْبَابَ الْقَدَرِيَّةَ أَوْ الشَّرْعِيَّةَ
- ٤٦٨..... الجنةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْمُتَّقِي، والنَّارُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْمُعْتَدِي
- ٤٦٨..... مِنَ الْأَسْبَابِ الْقَدَرِيَّةِ
- ٤٦٩..... مِنَ الْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ
- ٤٧٠..... الْأَسْبَابُ الْحُسْنِيَّةُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تُنَافِي الْقَدَرَ
- ٤٧١..... بماذا نعرفُ الصَّحَّةَ مِنْ عَدَمِهَا بِالنَّسْبَةِ لِلْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ؟
- ٤٧٢..... النَّاسُ فِي الْأَسْبَابِ طَرَفَانِ وَوَسَطٌ:
- ٤٧٥..... الْقَدَرِيَّةُ يَقُولُونَ: الْإِنْسَانُ فَاعِلٌ بِنَفْسِهِ وَلَا عِلَاقَةُ لِلَّهِ بِفِعْلِهِ.
- ٤٧٦..... الفرقُ بينَ الْقَضَاءِ وَالْمُقْضَى
- ٤٧٧..... التَّكْفِيرُ بِقَدَرِ المصيبةِ

- ٤٧٧..... النَّاسُ فِي الْمَقْضِيَّاتِ الْكُونِيَّةِ يَنْقَسِمُونَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ
- ٤٨٢..... اسْتِدْلَالُ النَّبِيِّ ﷺ بِالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْأَصْلُ
- ٤٨٢..... أَنَّ الْقُرْآنَ حُجَّةٌ مُلْزِمَةٌ
- ٤٨٣..... إِقْحَامُ النَّفْسِ فِي فِعْلِ الْمَعَاصِي وَتَرْكِ الْوَاجِبَاتِ ظَلَمٌ لَهَا
- ٤٨٨..... السَّبَبُ فِي تَسْمِيَةِ مُوسَى بِكَلِيمِ اللَّهِ
- ٤٨٩..... أَنَّ اخْتِجَاجَ آدَمَ بِالْقَدَرِ كَانَ عَلَى الْمُصِيبَةِ الَّتِي حَصَلَتْ عَلَيْهِ
- ٤٨٩..... الْاِخْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ عَلَى الْمَصَائِبِ جَائِزٌ
- ٤٩٤..... لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ
- ٤٩٦..... لَا تَجِدُ أَحَدًا أَشَدَّ طُمَأْنِينَةً فِي الْمَقْدُورِ مِمَّنْ آمَنَ بِالْقَدَرِ
- ٤٩٩..... لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالشَّرْعِ
- ٤٩٩..... مَا الشَّرْعُ الَّذِي يُقِيمُهُ الْخَلْقُ؟
- النَّفْعُ أَوْ الضَّرَرُ قَدْ يَكُونُ مَعْلُومًا بِالْفِطْرَةِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْلُومًا بِالْعَقْلِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْلُومًا بِالتَّجَارِبِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْلُومًا بِالشَّرْعِ
- ٥٠٠.....
- ٥٠٢..... أَهْلُ الْهُدَى وَالْفَلَاحِ الَّذِينَ آمَنُوا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ
- أَهْلُ الضَّلَالِ وَالْهَلَاكِ الْمُخَالِفُونَ لِلْجَمَاعَةِ، وَهُمْ ثَلَاثُ فِرَقٍ: مَجُوسِيَّةٌ، وَمُشْرِكِيَّةٌ، وَإِبْلِيسِيَّةٌ
- ٥٠٣.....
- ٥٠٣..... الْمَجُوسِيَّةُ هُمْ: الْقَدَرِيَّةُ
- ٥٠٤..... الْمُشْرِكِيَّةُ هُمْ: الَّذِينَ أَقْرَأُوا بِقَدْرِ اللَّهِ وَاسْتَحْتَجُّوا بِهِ عَلَى شَرْعِهِ
- الإِبْلِيسِيَّةُ هُمْ: الَّذِينَ أَقْرَأُوا بِالْأَمْرَيْنِ: بِالْقَدَرِ وَبِالشَّرْعِ، لَكِنْ جَعَلُوا ذَلِكَ تَنَاقُضًا
- ٥٠٤..... مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ
- ٥٠٦..... الشَّرْعُ هُوَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى

- الإِسْلَامُ هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ وَحْدَهُ..... ٥٠٦
- إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنَازَرَهُ كُلُّ الْمَلَلِ..... ٥٠٧
- الإِسْلَامُ بِالْمَعْنَى الْخَاصِّ..... ٥٠٨
- أَنَّ التَّزَاعَ فَيَمَنْ سَبَقَ مِنَ الْأُمَمِ هَلْ هُمْ مُسْلِمُونَ أَوْ غَيْرُ مُسْلِمِينَ؟ نَزَاعٌ لَفْظِيٌّ..... ٥١٠
- الإِسْلَامُ بَعْدَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ..... ٥١٠
- اِسْتِقْبَالُ النَّبِيِّ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ..... ٥١٢
- قَسَمَ الْعُلَمَاءُ التَّوْحِيدَ -بِالتَّبَعِ وَالْإِسْتِقْرَاءِ- إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:..... ٥١٤
- تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْخَلْقِ، وَالْمُلْكِ، وَالتَّدْبِيرِ..... ٥١٦
- الثَّنَوِيَّةُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَجُوسِ، يَقُولُونَ: إِنَّ الظُّلْمَةَ لَا تَخْلُقُ إِلَّا الشَّرَّ..... ٥١٩
- تَوْحِيدُ الْأَلُوْهِيَّةِ هُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ بِأَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ وَلَا يُعْبَدُ غَيْرُهُ..... ٥٢٠
- الابْتِدَاعُ نَوْعٌ مِنَ الشَّرِكِ..... ٥٢٣
- الْعِبَادَةُ تُطْلَقُ عَلَى مَعْنَيْنِ: التَّعَبُّدُ، الْمُتَعَبَّدُ بِهِ..... ٥٢٣
- جَمِيعُ أَعْمَالِ الْخَيْرِ عِبَادَةٌ..... ٥٢٥
- لِلْعِبَادَةِ شَرْطَانِ: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالْمُتَابَعَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ..... ٥٢٦
- إِذَا حَدَّثَ الرَّيَاءُ فِي أَثْنَاءِ الْعِبَادَةِ..... ٥٢٨
- الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى لَا تُقْبَلُ صَلَاتُهُمْ وَلَا دُعَاؤُهُمْ..... ٥٣٠
- النَّوَاجِدُ أَقْصَى الْأَضْرَاسِ..... ٥٣٣
- سِتَّةُ أَشْيَاءٍ لَا تَتَحَقَّقُ الْمَتَابَعَةُ إِلَّا بِهَا: السَّبَبُ، الْجِنْسُ، الْقَدْرُ وَالْكَفِيَّةُ وَالزَّمَانُ وَالْمَكَانُ..... ٥٣٣
- الْعِبَادَةُ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ..... ٥٣٥

- الخوف والخشية تقرُّبًا وتعبُّدًا لا تكونُ إِلَّا لله ..... ٥٣٨
- تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ..... ٥٤٠
- إِنَّ الْمَحْرَفَ قَالَ عَلَى اللَّهِ بِلا عِلْمٍ مِنْ وَجْهَيْنِ: ..... ٥٤١
- لَا يَجُوزُ تَسْمِيَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ وَصْفُهُ بِمَا لَمْ يَأْتِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ..... ٥٤٢
- لَا يَجُوزُ إِثْبَاتُ اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ لِلَّهِ تَعَالَى مَعَ التَّمْثِيلِ ..... ٥٤٢
- لَا يَجُوزُ إِثْبَاتُ اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ لِلَّهِ تَعَالَى مَعَ التَّكْيِيفِ ..... ٥٤٤
- الْفَرْقُ بَيْنَ التَّكْيِيفِ وَالتَّمْثِيلِ ..... ٥٤٤
- غَلَطَ عَامَّةُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي مُسَمَّى التَّوْحِيدِ، وَيَبَانَ غَلَطُهُمْ مِنْ وَجْهَيْنِ: ..... ٥٤٩
- يَجِبُ أَنْ تُسَيِّئُوا الظَّنَّ بِكُلِّ الْكَفَّارِ ..... ٥٥٣
- جَمِيعُ أَهْلِ التَّعْطِيلِ لَا يَأْتُونَ بِالْأَلْفَاظِ الصَّرِيحَةِ ..... ٥٥٤
- دَلَالَةُ التَّنَافُحِ ..... ٥٥٨
- أَهْلُ التَّصَوُّفِ مَذْهَبُهُمْ مَذْهَبٌ خَفِيٌّ ..... ٥٦١
- الْفَنَاءُ فِي الْإِضْطِلَاحِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: ..... ٥٦٣
- حَقِيقَةُ الْفَنَاءِ ..... ٥٦٤
- الْفَنَاءُ الشَّرْعِيُّ، فَنَاءٌ عَنْ إِرَادَةِ الْإِسْتِوَاءِ ..... ٥٦٤
- مَحَبَّةُ اللَّهِ تَسْتَلْزِمُ الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ، وَمَحَبَّةُ الرَّسُولِ تَسْتَلْزِمُ مَتَابَعَتَهُ ..... ٥٦٩
- الْفَنَاءُ الصُّوفِيُّ، فَنَاءٌ عَنْ شُهُودِ السَّوَى ..... ٥٦٩
- الْفَنَاءُ الْكُفْرِيُّ، فَنَاءٌ عَنْ وَجُودِ الْإِسْتِوَاءِ ..... ٥٧٣
- لَا يَتِمُّ الْإِسْلَامُ إِلَّا بِالْبَرَاءَةِ بِمَا سِوَاهُ ..... ٥٧٦
- الْبَرَاءَةُ نَوْعَانِ: مِنْ عَمَلٍ، وَمِنْ عَامِلٍ ..... ٥٧٧

- البراءة من الكافرين تكون بالقلب والأفعال والأقوال ..... ٥٧٩
- المؤمن مأمور بفعل المأمور، وترك المخطور، والصبر على المقدور ..... ٥٨١
- أن الرسول ﷺ قد يقع منه الذنب ..... ٥٨٤
- ينبغي للإنسان أن يكثر من الاستغفار ..... ٥٨٦
- الناس في مقام الشرع والقدر أربعة أقسام: ..... ٥٩٠
- المفاضلة والمقارنة بين أبواب البدع ..... ٥٩٣
- الجهنم بن صفوان إمام الجهمية نفاه الصفات يغلو في القضاء والقدر ويقول  
بالجبر ..... ٥٩٤
- النجارية والضرارية يقربون من جهنم في مسائل القدر والإيمان ..... ٥٩٤
- الكلاية والأشعرية يثبتون لله الصفات العقلية ..... ٥٩٥
- الكرامية ..... ٥٩٥
- المعتزلة يقاربون قول جهنم في الصفات ..... ٥٩٥
- المعتزلة خير من الجهمية فيما خالفوهم فيه من القدر والأسماء والأحكام ..... ٥٩٦
- إنما يظهر من البدع أولاً ما كان أخف، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت  
البدعة، وكلما كان الرجل إلى السلف والأئمة أقرب كان قوله أعلى وأفضل ..... ٥٩٧
- المتصوفة الذين يشهدون الحقيقة الكونية مع إغراضهم عن الأمر والنهي سر  
من القدرية المعتزلة ونحوهم ..... ٥٩٧
- الصوفية الذين عندهم شيء من تعظيم الأمر والنهي مع مشاهدة توحيد الربوبية  
وإقرارهم بالقدر خير من المعتزلة ..... ٥٩٧



## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم.....	٥
نبذة مختصرة عن فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين.....	٧
صورة من التعديلات التي أجراها فضيلة الشيخ المؤلف.....	١٥
المقدمة وتشتمل على:.....	١٧
- بيان شمول رسالة النبي ﷺ.....	٢٣
- متى حدثت البدع وترتيبها؟.....	٣٢
- من حكمة الله ظهور المعارضين للحق.....	٤٨
- من جملة الناصرين للحق شيخ الإسلام ابن تيمية.....	٥١
- ثناء ابن القيم على شيخ الإسلام وعلى مؤلفاته.....	٥٥
الرسالة التدمرية وسبب تأليفها.....	٦٠
الكلام في التوحيد والصفات من باب الخبر وفي الشرع والقدر من باب الطلب.....	٦٤
- ما يدور عليه كل من البابين من قبل المتكلم وما يقابل به من قبل المخاطب.....	٦٦
- الواجب على العباد إزاءهما.....	٦٩
الأصل في توحيد الصفات وأدلتها.....	٧٣
- الجمع بين النفي والإثبات في باب الصفات هو حقيقة التوحيد.....	٨٣
- الصفات الثبوتية كلها صفات كمال والصفات المنفية كلها صفات نقص.....	٨٤

- التفصيل في الصفات الثبوتية أكثر من الإجمال والعكس في الصفات المنفية  
وتعليل ذلك ..... ٨٤
- الصفات لا تستلزم التمثيل ودليل من السمع والعقل والحس ..... ٩٧
- سبيل الرسل وأتباعهم في أسماء الله تعالى وصفاته ..... ١٠٤
- الزائغون عن سبيلهم قسمان: ممثلة، ومعطلة ..... ١٠٤
- مذهب الممثلة وشبهتهم والرد عليهم ..... ١٠٤
- المعطلة أربع طوائف: ..... ١٢٠
- الطائفة الأولى: أثبتوا الأسماء وبعض الصفات ..... ١٢٠
- شبهتهم والرد عليهم ..... ١٢٣
- الطائفة الثانية: أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات ..... ١٥٠
- شبهتهم والرد عليهم ..... ١٥٣
- الطائفة الثالثة: نفوا الأسماء والصفات ..... ١٦٥
- شبهتهم والرد عليهم ..... ١٦٧
- الطائفة الرابعة: نفوا الإثبات والنفي ..... ١٧٩
- شبهتهم والرد عليهم ..... ١٧٩
- كل طائفة من طوائف التعطيل الأربع واقعة في نظير ما فرت منه من التشبيه  
وبيان ذلك ..... ٢٠٢
- القول الفصل المطرد ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها في الإثبات والنفي ..... ٢٠٧
- بيان أن هذا هو القول الفصل بأصلين ومثلين وخاتمة ..... ٢٠٩
- الأصل الأول: أن القول في بعض الصفات كالقول في بعض وبيان ذلك بالمثال... ٢٠٩



- كل ما ثبت من أسماء الله وصفاته فلا بد فيه من قدر مشترك فيما يثبت لنا  
وتعليل ذلك..... ٢١٠
- الأصل الثاني: أن القول في الصفات كالقول في الذات وبيان ذلك بالمثال..... ٢١٤
- شرح قول ربعة ومالك رحمهما الله في الاستواء..... ٢١٥
- وجه كون كيفية الاستواء مجهولة..... ٢١٧
- ما يقال في الاستواء يقال في غيره..... ٢٢٢
- المثالن: أحدهما نعيم الجنة ..... ٢٢٣
- انقسام الناس في الإيمان بالله واليوم الآخر إلى ثلاث فرق وبيانها ..... ٢٢٦
- المثل الثاني: الروح وصفها في النصوص اختلاف الناس فيها..... ٢٢٩
- سبب اختلاف الناس فيها والقول الصحيح فيها ..... ٢٣٢
- الخاتمة وتشتمل على قواعد: ..... ٢٣٥
- القاعدة الأولى: أن الله جمع فيما وصف به نفسه بين النفيث والإثبات، وذكر أمثلة  
ذلك..... ٢٣٦
- كل صفة نفاها الله عن نفسه متضمنة لشيئين..... ٢٤٩
- لا يمكن أن يكون النفي المحض في صفات الله تعالى وتعليل ذلك..... ٢٥٠
- القاعدة الثانية: ما أخبرنا الله به عن نفسه وجب علينا تصديقه ودليل ذلك..... ٢٥٥
- حكم ما تنازع فيه المتأخرون كالجهة..... ٢٦١
- تنبيه على ما جاء في القاعدة..... ٢٦٧
- القاعدة الثالثة: ظاهر النصوص ووجوب العمل به والقول بأن ظاهر النصوص  
غير مراد خطأ على كل تقدير وبيان ذلك..... ٢٧١

- اتفق سلف الأمة وأئمتها على إجراء نصوص الصفات على ظاهرها اللائق بالله. .. ٢٧٥
- من صفاتنا ما هو أعراض ومعان ومنها ما هو أجسام وأبعاد ..... ٢٧٧
- الذين يجعلون ظاهر النصوص معنى فاسداً مخطئون وخطوئهم على وجهين
- وبيان ذلك بالأمثلة لكل وجه. .... ٢٨٠
- قد يجتمع الخطأ من الوجهين في مثال واحد..... ٢٨٨
- يشبه هذا الخطأ أن يجعل اللفظ نظيراً لما ليس مثله والجواب عنه..... ٢٩٢
- القاعدة الرابعة: المحاذير التي يقع فيها من يتوهم أن في نصوص الصفات ما يستلزم التمثيل ومثال ذلك..... ٢٩٥
- على أي شيء يخرج قوله تعالى: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ..... ٣٠٨
- القاعدة الخامسة: أننا نعلم ما أخبرنا الله به عن نفسه من وجه دون وجه..... ٣١١
- علمنا بمعناه ثابت بدلالة السمع والعقل..... ٣١١
- الجواب عن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ ..... ٣١٩
- جهلنا بكيفية صفات الله تعالى ثابت بدلالة السمع والعقل..... ٣٢٦
- لا يمكن أن يكون في القرآن شيء لا يعلم معناه إلا الله..... ٣٣١
- بطلان مذهب المفوضة..... ٣٣١
- كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في المفوضة..... ٣٣٣
- التأويل ومعانيه: ..... ٣٣٧
- معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ..... ٣٤٢
- المعنى الثالث للتأويل صحيح إن دل عليه دليل، وإلا فلا، وأمثلة لذلك..... ٣٤٥

- وصف القرآن من حيث الأحكام والتشابه. ٣٥٧.....
- موقفنا من اختلاف هذه الأوصاف. ٣٦٦.....
- أمثلة للمتشابه الذي اتبعه أهل الزيغ. ٣٦٨.....
- الحكمة من اشتباه بعض القرآن. ٣٧٧.....
- التشابه الواقع في القرآن نوعان: حقيقي ونسبي، وأمثلة ذلك. ٣٨١.....
- القاعدة السادسة: في ضابط ما يجوز لله ويمتنع عنه نفيا وإثباتا. ٣٩٨.....
- لا يصح الاعتماد في النفي على مجرد نفي التشبيه لوجهين، وبيان ذلك. ٤٢٢.....
- الجواب عما يقال إن الشيء إذا شارك غيره من وجه جاز عليه من ذلك الوجه
- ما يجوز على الآخر. ٤٢٣.....
- الاعتماد في النفي على نفي التجسيم والتحيز ونحو ذلك أفسد من الاعتماد على
- مجرد نفي التشبيه، وبيان ذلك من وجوه. ٤٢٨.....
- لا يصح الاعتماد في الإثبات على مجرد الإثبات بلا تشبيه، وتعليل ذلك. ٤٣٣.....
- الأصل الثاني: في العبادات الشرع والقدر. ٤٤٦.....
- الإيمان بالقدر ومرتبته في الدين. ٤٤٧.....
- مراتب الإيمان بالقدر ودليل كل مرتبة. ٤٤٨.....
- القدر لا ينافي الأسباب الكونية أو الشرعية، وتعليل ذلك. ٤٦٦.....
- انقسام الناس في الأسباب إلى طرفين ووسط. ٤٧٢.....
- للعبد إرادة وقدرة لكنه غير مستقل بهما، ودليل ذلك وتعليله. ٤٧٤.....
- الاحتجاج بالقدر على مخالفة الشرع لا يصح بدليل الكتاب والسنة والنظر
- الصحيح. ٤٧٨.....

- الجواب عن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾، وعن حديث احتجاج آدم وموسى..... ٤٨٤
- لا بد للإنسان من الإيمان بالقدر، وتعليل ذلك..... ٤٩٤
- لا بد للإنسان من الإيمان بالشرع، وتعليل ذلك..... ٤٩٩
- هل يعرف حسن الأعمال وقبحها بالشرع أو بالعقل؟..... ٥٠٠
- انقسم الناس في الإيمان بالقدر والشرع إلى قسمين: مهتدون وضلال، والضلال ثلاث فرق..... ٥٠٢
- الشرع ما جاءت به الرسل من عبادة الله تعالى..... ٥٠٦
- الإسلام هو الاستسلام لله تعالى بالطاعة..... ٥٠٦
- متى كان الطلب بالشرعية قائما كان التزامه إسلاما في أي مكان ومكان وأمة..... ٥٠٦
- الإسلام بعد بعثة النبي ﷺ خاص باتباع ما جاء به دون غيره..... ٥١٠
- النزاع فيمن سبق من الأمم هل هم مسلمون أو لا؟ نزاع لفظي، وتعليل ذلك..... ٥١٠
- من زعم أن مع دين محمد ﷺ ديناً قائماً مقبولا عند الله فقد كذب الله تعالى..... ٥١٢
- مبنى الإسلام على توحيد الله تعالى..... ٥١٤
- لا بد في التوحيد من الجمع بين النفي والإثبات، وتعليل ذلك..... ٥١٤
- أنواع التوحيد ثلاثة، وبيان كل نوع وأدلتها، وما الذي أقر به المشركون منها وأنكروه..... ٥١٤
- لم يكن أحد من المقرين بالله يعتقد أن له شريكا في الخلق ولا أن للعالم صانعين متكافئين..... ٥١٨
- تحقيق توحيد الألوهية، وذكر شيء من أنواع العبادة..... ٥٢٠

- العبادة يراد بها التعبد تارة، والمتعبد تارة أخرى..... ٥٢٣
- للعبادة شرطان الإخلاص والمتابعة، ودليل ذلك..... ٥٢٦
- لا تتحقق المتابعة إلا بموافقة العبادة للشرع في ستة أمور، وبيان ذلك..... ٥٣٣
- توحيد الأسماء والصفات وأدلتها..... ٥٤٠
- أقسام أهل القبلة في نصوص الصفات..... ٥٤٤
- غلط عامة المتكلمين في مسمى التوحيد وبيان وجوه غلطهم..... ٥٤٨
- تفسير المتكلمين لـ«لا إله إلا الله»، بالقادر على الاختراع باطل، مخالف لما يعرفه المسلمون والمشركون..... ٥٥٢
- سلك مسلك المتكلمين في هذا طوائف من أهل التصوف والمتسبين إلى المعرفة والتحقيق..... ٥٦١
- الفناء وأقسامه..... ٥٦٣
- الفناء الشرعي هو الذوق الإيماني الحقيقي..... ٥٦٣
- الفناء الصوفي بدعي ناقص من وجوه..... ٥٦٩
- حدث الفناء الصوفي في عهد التابعين..... ٥٧٢
- الفناء الإلحادي الكفري ومعتنقوه أكفر من النصارى من وجهين..... ٥٧٣
- لا يتم الإسلام إلا بالبراءة مما سواه، ودليل ذلك..... ٥٧٦
- البراءة نوعان: براءة من عمل، وبراءة من عامل..... ٥٧٧
- المؤمن مأمور بفعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور..... ٥٨١
- لا بد في الأمر من أصلين، ولا بد في القدر من أصلين، وبيان ذلك ودليله..... ٥٨٥
- الناس في مقام الشرع والقدر أربعة أقسام، وبيان كل قسم..... ٥٩٠

المفاضلة والمقارنة بين أرباب البدع.....	٥٩٣
طوائف أهل البدع عندهم من الضلال بقدر ما فارقوا به جماعة المسلمين.....	٥٩٧
وصية ابن مسعود وحذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالأخذ عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ... ..	٥٩٨
فهرس الآيات.....	٦٠١
فهرس الأحاديث والآثار.....	٦٣١
فهرس الفوائد.....	٦٤١
فهرس الموضوعات.....	٦٦٧

